بسم الله الرحمن الرحيم

اسم المؤلف : **السيد عمار الحكيم**

عنوان الكتاب : **خطاب الاعتدال والبناء**

موسوعة الخطب والكلمات والبيانات والرسائل للسيد عمار الحكيم لعام (٢٠١٥)

الطبعة الثانية : ٢٠٢٢

الترقيم الدولي : ISBN: 978-9922-914-22-0

العراق - بغداد- الجادرية جسر ذي الطابقين

شارع المتنبي - مقابل مقهى الشابندر - قرب مصرف الرشيد

07813614106

inky.publishing@gmail.com

خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات واللقاءات المجتمعية والإعلامية والبيانات للسيد عمار الحكيم

لعام (٢٠١٥)

الجزء الحادي عشر

تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد..

فهذا هو المجلد الحادي عشر من الموسوعة الموسومة بـ(خطاب الاعتدال والبناء)، وقد تضمن هذا الجزء كلمات رئيس تيار الحكمة الوطني السيد عمّار الحكيم، خلال العام (٢٠١٥)، الملتقيات الثقافية التي درج على إقامتها كل أسبوع، مواكبًا فيها ما يشهده الوطن من أحداث، وما يعني المواطن من شؤون حياته، وقد افتتح كل ملتقى بحديث ثقافي، بسط فيه النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، من خلال قراءة تحليلية لعهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر.

أما الفصل الثاني فقد كان محلًا للأمسيات الرمضانية، التي اعتاد السيد عمّار الحكيم على عقدها كل عام في أمسيات رمضان المبارك، مستثمرًا هذه المناسبة الجليلة للإرشاد وتصحيح المسارات، مستكملًا بحثه المهم في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أما الفصل الثالث فتضمن كلمات السيد عمّار الحكيم في دواوين بغداد مع النخب السياسية والإعلامية والعشائرية والمهنية والشبابية التي كانت تُعقد أسبوعيًا في مكتب سماحته

نسأل الله أن نكون قد وفقنا في هذا العمل، والحمد لله رب العالمين.

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

الملتقيات الثقافية

الملتقى الثقافي بتأريخ ٤ /٢/ ٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

كنّا قد توقفنا عن هذه الملتقيات الثقافية الأسبوعية لمناسبة شهري محرم وصفر، والاحتفالات والمؤتمرات التي تلتهما في شهر ربيع المولد، وها نحن نستأنف الملتقى الثقافي الأسبوعي بإذن الله تعالى.

لا بُدَّ لي في البداية من أن أجدد العزاء بذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، إذ نعيش هذه الأيام ذكرى استشهادها بناءً على رواية أن وفاتها كانت بعد حوالي أربعين يومًا من وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[1]، وإن كانت هذه الرواية هي الأضعف بين الروايات التي تحدثت عن تأريخ شهادتها عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولكن لا بُدَّ من أن نقف ونعزي بعضنا بهذه المناسبة الأليمة.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا في النظرية الإسلامية للقيادة والإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر يمثل تجسيدًا واختزالًا لهذه النظرية، وكان حديثنا في الفصل السادس عشر من هذا العهد، ومن هذه الوثيقة التأريخية المهمة، حيث كان

١. بحار الأنوار ٤٣: ٧ ح٨، ٢٣: ٢١٢ ح٤١، وفيهما: أنها توفيت بعد أربعين يومًا من وفاة والدها.

الحديث عن الطبقية في الإسلام، وذكرنا أن الطبقية في رؤية الإسلام لا تنتج من اختلاف في المكنة الاقتصادية، فالطبقية في النظرة المادية هي طبقية اقتصادية؛ فهناك فقير وهناك غني، والغني يُقدم على الفقير ويُصنّف في طبقة اجتماعية متقدمة، وهذا ما يجعل الفقير يشعر بالغبن دائمًا، لأن هناك من يتقدم عليه وتتوافر لديه الإمكانات المالية التي لا تتوافر للفقير، فهذا المعنى والتفسير للطبقيةيوجد حالة من النفرة بين أفراد المجتمع، وسيشعر الفقير دائمًا أن الغني احتكر ثروات هذا الوطن لصالحه، وسلبها من حقوق المواطن البسيط، حتى صعد إلى طبقة أخرى ومرتبة أعلى، أما في رؤية الإسلام فالطبقية هي تشكيل إنساني مهني، فهي تعبير عن التنوع في المهمات والحرف، وبقدر تنوع وتعدد المسؤوليات والمهمات الاجتماعية تتعدد الطبقات، فهناك طبقة المهندسين، وطبقة الأطباء وطبقة العسكر ورجال الأمن. . وهكذا، فكل مهمة من المهمات تشكل طبقة، وبما أن الإنسان يحتاج إلى جميع هذه المهمات في حياته، مهما كانت مهمته، سواء كان طبيبًا أو مهندسًا أو محاميًا أو قاضيًا أو معلمًا أو أي شيء آخر، فهو يحتاج إلى الآخرين، إذن فهذا التفسير للطبقية يقرّب الناس بعضهم من بعض ويشد بعضهم إلى بعض، وبذلك يتضح الفارق الجوهري بين تفسير الطبقية في المدارس الوضعية الذي يوجد النفرة بين الناس، وبين تفسير الطبقية في رؤية الإسلام الذي يُوجد حالة من التكامل بين الناس، ويشدّ بعضهم إلى بعض، فمن الصعب القول إن الطبيب أو المهندس أو المعلم أهم من غيره، فكل منهم يمارس مهمة أساسية تتكامل مع المهمة الثالثة والرابعة والعاشرة، فالناس تتكامل مع بعضها.

الطبقية الاجتماعية في رؤية الإسلام

يُقسَّم المجتمع في رؤية الإسلام إلى خمس طبقات، كما وردت في كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد تحدثنا عنها في الأشهر الماضية، وهي:

الطبقة الأولى/ الجند والقوات المسلحة.

الطبقة الثانية/ دافعو الضرائب، وهي ما نسميها في زماننا الطبقة الوسطى في المجتمع.

الطبقة الثالثة/ شريحة الموظفين، وقد ركز أمير المؤمنين في عهده على ثلاث شرائح من الموظفين؛ هي القضاة والعمال، وقلنا إن المراد من العمال في التراث الإسلامي جميع أولئك الذين يشتغلون فيوضع السياسات النقدية والمالية والتجارية والاقتصادية، والإشراف عليها ومراقبتها وتنفيذها إلى غير ذلك، فاليوم إذا أردنا أن

نطبق مفهوم العمال في أدبياتنا الحاضرة، فسيشمل وزارة المالية ووزارة التخطيط ووزارة التجارةوالبنك المركزي والمصارف وهيئة النزاهة وديوان الرقابة المالية، إلى غير ذلك من مؤسسات ترتبط بالسياسة النقدية والمالية والاقتصادية والتجارية، وهي كلها تدخل في مفهوم (العمال) في تراثنا الإسلامي. وكذلك يشير الأمير إلى الكُتّاب، وهم أولئك الذين يسجلون الاتفاقات والعهود والمواثيق والالتزامات، التي قد تكون بين أشخاص بشأن عقار أو قضيةٍ ما، كدائرة الأحوال المدنية أو التسجيل العقاري أو ما شابه ذلك، وقد تكون هذه الاتفاقات بين دول، وهي التي تبرمها وزارة الخارجية مع الدول الأخرى. هذه هي الأصناف الثلاثة التي يذكرها أمير المؤمنين للموظفين.

الطبقة الرابعة/ رجال الأعمال والصناعيون، وهؤلاء لهم دور كبير في تحريك عجلة الاقتصاد، وفي إيجاد فرص العمل الكبيرة وإنعاش الواقع الاقتصادي في المجتمع.

الطبقة الخامسة/ هي شريحة المتعففين والفقراء وذوي الدخل المحدود وفاقدي المعيل، إلى غير ذلك ممن لا يستطيعون أن يديروا شؤونهم بأنفسهم وبإمكاناتهم الخاصة، ويحتاجون إلى رعاية حكومية لكي يديروا شؤونهم. هذه هي الطبقات الخمس التي تحدث عنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في هذا المقطع من مقاطع العهد.

مبدأ الرعاية الإلهية

((وَفِي الله لِكُلِّ سَعَةٌ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ. وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ الله مِنْ ذلِكَ إِلاَّ بِالاهْتِمام وَالاسْتِعَانَةِ بِالله، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.))

ثم انتقل الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا المقطع المهم، وهو قوله: «وفي الله لكلٍّ سعة»، فالله (سبحانه وتعالى) جعل فرصة وسعة ومجالا للرزق لكل إنسان، وتكفل بالأرزاق لعباده، وهذه من الأمور التي نجدها في عدد من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرض إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٢]، الضمير في قوله تعالى(إنه) عائد على الرزق، فكما أن النطق صفة بشرية تلازم الإنسان، بل هي جزء من هوية الإنسان، والنطق لا نعني به الحديث، لأن الإنسان قد يكون قادرا على الحديث وقد يكون محروما منه كالأخرس وأمثاله، لكن النطق بمعنى الفكر والرؤية والمنطق، وهذه هي السمة التي تُميز الإنسان، أنه حيوان ناطق كما يعرّفه المناطقة، إذن فالنطق هوية ملازمة

٢. سورة الذاريات: الآية ٢٣

وجزء ملازم لهوية الإنسان، وفي هذه الآية الشريفة يذكر القرآن الكريم أن الرزق لا ينفك أيضًا عن الإنسان، فالله (سبحانه وتعالى) كتب الأرزاق لجميع عباده.

حق المواطن ومسؤولية الحاكم

«ولكلٍّ على الوالي حقّ»، لكل مواطن حقٌّ على الوالي (الحاكم) أو الحكومة، «بقدر ما يصلحه»، بقدر ما يكفيه في معيشته، أي في تحقيق كفاف العيش له، إذن فإن كفاف العيش ومقدار الصلاح في إدارة الحياة حق لكل مواطن على الحاكم وعلى الحكومة.

«وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك»، ولا يوجد حاكم يستطيع أن يتنصل مما ألزمه الله وأوجب عليه من توفير العيش الكريم والرفاه الاجتماعي للمواطنين الذين يحكمهم، فهذه مهمة الحاكم ومسؤوليته؛ أن يوفر الكفاف في المعيشة للمواطنين، ويحرص على توفير الرفاه والعيش الكريم لهم، ولا يستطيع الوالي أن يقوم بذلك «إلاّ بالاهتمام والاستعانة بالله»، ببذل الجهد والتوكل على الله سبحانه، «وتوطين نفسه على لزوم الحق»، وأن يوطن نفسه على القيام بهذا الحق والالتزام به ويسخرها لذلك، وهو خدمة الوطن والمواطن.

«والصبر عليه في ما خفّ عليه أو ثقل»، إن خدمة المواطنين قد تكون بوسائل متاحة وبسيطة وميسورة، وقد تكون بوسائل صعبة، فقد يأتي يوم تتحقق فيه وفرة مالية، فتكون الخدمة سهلة، وقد يأتي يوم تنخفض فيه أسعار النفط، فتكون الخدمة أصعب، ولكن مهمة الخدمة لا تسقط في جميع الأحوال، بل يبقى هذا المبدأ، سواء كانت هذه المهمة خفيفة أو ثقيلة، فإن على الحاكم أن يقوم بها ويوفر العيش الكريم للمواطنين.

إضاءات مهمة

ينطوي قول أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على إضاءات مهمة هي:

الإضاءة الأولى / التكامل بين الحقوق والواجبات

يشير هذا المقطع إلى مبدأ إسلامي مهم، هو أن التضامن الاجتماعي مسؤولية مجتمعية عامة، لا يتحمل وزرها وتبعاتها ومحنتها الفقير وحده، وإنما يجب أن يتحمل الجميع مسؤولياتهم، والحياة الكريمة والعيش الكريم وكفاف العيش، هذه مسؤولية الحاكم في رؤية الإسلام، فالحاكم أو المسؤول عليه أن يوفر الخدمة للمواطنين، ومن

لا يخدم لا يمكن أن يكون حاكمًا، فهو مقصر في أداء واجباته في الرؤية الإسلامية، والمواطن عليه التزامات، إذ يجب عليه أن يلتزم بالكثير من المحددات والقوانين، كدفع الضرائب للدولة مثلًا، فيجب عليه أن يقوم بالكثير من الواجبات في مقابل حقوقه، فهناك تكاملية بين الحقوق والواجبات، فما دام المواطن مكلفًا بواجبات، يجب أن يحظى بحقوق، والحق هو العيش الكريم في رؤية الإسلام، وهذه هي الحالة التكاملية والتوازن الدقيق بين الحقوق والواجبات، فطالما عليك واجب لك حق، وما دام الواجب مسجلًا عليك، فالحق مسجل لك، وعليك أن تطالب به وتحصل عليه.

حين يشعر الجميع في المجتمع بأنهم مكفولون، وأن مستوى الكفاف والحاجة الضرورية لحياتهم قد تحقق، فإنهم سيشعرون بالأمن والاستقرار النفسي، وهذا الأمن النفسي يولد أمنًا واستقرارًا مجتمعيًا، الأمر الذي يولد فرصا جيدة للعمل والنشاط والتنافس في الخير وتطوير القدرات والمهارات والإمكانات إلى غير ذلك، «ولكلٍّ على الوالي حق بقدر ما يصلحه»، على الوالي والحاكم حقٌّ تجاه المواطن في أن يوفر له مقدار الكفاف في العيش.

الإضاءة الثانية / خدمة الناس واجب شرعي

تحقيق الرفاه الاجتماعي وكفاف العيش واجب شرعي على الحاكم والوالي، وليس الأمر أن هذا مسؤول جيد لأنه يخدم الناس، فهذا واجبه وليس فقط مسؤوليته الوطنية والأخلاقية، بل مسؤوليته الشرعية أن يخدم الناس ويوفر العيش الكريم لهم. لاحظوا تعبير الامام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك»، فهناك حالة إلزام من الله تعالى في هذا الأمر، فالأمر مسألة شرعية وإلزام ووجوب شرعي في تحقيق العيش الكريم للمواطنين من قبل المسؤول، إذن فالمسؤولية والتصدي للإدارة والحكم والقيادة، تأخذ أبعادا شرعية ترتبط بالآخرة، ففي منطق الإسلام على الحاكم واجبات، وهذه الواجبات شرعية بحكم موقعه.

الإضاءة الثالثة / خريطة النجاح

لقد وضع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مستلزمات النجاح في هذه الوظيفة الشرعية، إذ رسم خريطة الطريق للنجاح، فيا أيها الحكام والمسؤولون في مختلف المستويات، إذا أردتم أن تحققوا الخدمة للمواطنين فعليكم أن تنتهجوا خريطة الطريق التي يطرحها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي في أربع نقاط:

الأمر الأول / الهمة العالية: أيها المسؤول، إذا أردت أن تخدم وتبني دولة وأن تنجح، فأنت بحاجة إلى همة عالية، وإلى بذل الجهد في تقديم الخدمة للمواطنين، وإذا أردت ان تكون في موقع المسؤولية الحقيقية التي وضعك الله فيها وألزمك شرعًا بخدمة الناس، فعليك أن تلتزم بالدوام، فالمسؤول الذي يقضي وقته في الإيفادات والسفرات والبعيد عن هموم الناس، والمسؤول الذي يفكر بظروفه الشخصية وامتيازاته أكثر من تفكيره بأوضاع الناس وتحدياتهم ومشاكلهم، هذا المسؤول لا يستطيع أن يبني دولة، ولا يستطيع أن يفي بالالتزام الشرعي في خدمة المواطنين، فالهمة العالية مطلوبة في المسؤول، وعليه أن يبذل جهدًا كبيرًا من أجل أن يحقق هذه الخدمة للناس.

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من بذل جهد طاقته بلغ كنه إرادته»[٣]، أيها المسؤول، أيها الإنسان الذي تريد أن تكون ناجحًا، قد تكون مسؤولًا حكوميًا أو في شركة أو في تنظيم في أي مكان وفي أي مستوى، إذا أردت أن تكون ناجحًا، فيجب أن تبذل كل طاقتك، وأن تعطي وجودك كله للعمل لكي تبلغ وتحقق كامل أهدافك، فمن أراد أن يحقق هدفه فعليه أن يبذل كل طاقته في طريق تحقيق هذا الهدف، إذن فالهمم العالية والجهد والنشاط والحماسة والحيوية في المهمة التي يُكلف بها الإنسان وتُناط به، هي السبيل لتحقيق النجاح.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أشرف الهمم رعاية الذّمَام»[٤]، أي الالتزام بالعهود والمواثيق التي قطعها الإنسان على نفسه، فصاحب الهمة العالية لا يقبل بأقل من أن يحقق المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن يحقق الأهداف التي رسمها لنفسه ويؤدي الواجبات التي كُلّف بها بشكل كامل، من دون مبررات وتسويف أو تضييع للوقت وما شابه ذلك، هذا صاحب الهمة العالية الشريفة.

وفي رواية أخرى: «أحسن الهمم إنجاز الوعد»[٥]، فصاحب الهمة العالية إذا وعد وفى، وإذا رفع شعارًا في الانتخابات وقال سنعمل على أن نحقق لكم تطلعاتكم، فعليه أن يعمل عليها ويحققها ويفي بوعده ويلتزم بما قطعه مع شعبه.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ذمتي بما أقول رهينة»[٦]، أتحمل

٣. غرر الحكم: ٦٣٨/ ١١٣١.
٤. غرر الحكم: ٢١٣/ ٤٧٩.
٥. غرر الحكم: ٢١٤/ ٥٠٣.
٦. غرر الحكم: ٣١٧/ ٣١.

كامل المسؤولية عن كل كلمة قلتها لكم، «وأنا به زعيم»، أنا مسؤول عما قلته، فالهمة العالية هي تعبير عن الصدقية في الالتزام بالعهود التي قطعها الإنسان مع ربه ومع شعبه. أيها المسؤول إذا أردت أن تكون ناجحا في خدمة الناس، فعليك أن تكون ذا همة في تقديم الخدمة للمواطنين.

الأمر الثاني / الاستعانة بالله: التوكل على الله تعالى وأن تجعله نصب عينيك، لا تضع الله جانبًا، لأن الإنسان لا يساوي شيئًا من دون المدد الإلهي، فالله تعالى هو الذي يجعل الأسباب مؤثرة في تحقيق النتائج، وأي عمل من دون توكل يضيع، ونفس العمل إذا قام به إنسان آخر مع التوكل يكون مثمرًا، وكذلك الكلام وجميع الخطوات تكون منتجة ومثمرة بالتوكل على الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، الله يتكفل أمره ويحقق له النتائج، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٨].

وفي سورة الحشر: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهم أَنفُسَهُمْ﴾، هناك مسؤول لا يعرف ماذا يعمل، فهو حائر فاقد لخريطة الطريق ولا يعرف أين يضع قدمه، ويرى المشاكل قد تراكمت عليه، لأنه منقطع عن الله تعالى، ﴿أولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٩]، إذن فالاستعانة بالله من شروط النجاح.

الأمر الثالث / يوطن نفسه على هذا العمل: يصرف كل وقته وكل جهده من أجل خدمة المواطن، فهو يسخر نفسه لهذه الخدمة، فوجوده مسخر لذلك، إذن يجب أن يكون همّ المسؤول خدمة المواطنين، ويجب أن تعيش المسؤولية والمهمات المناطة به معه ليل نهار، ويصرف وقته ويبذل جهده كله من أجل تحقيق هذا الهدف، كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وتوطين نفسه على لزوم الحق»، فهذا الحق هو حق الناس عليه بخدمتهم وتوفير العيش الكريم لهم.

الأمر الرابع/ الثبات والصبر والاستقامة: لتحقيق الإنجاز وخدمة المواطن، على المسؤول الثبات والصبر والاستقامة في طريق الحق وتحمل المنغصات، فيا أيها المسؤول، عليك تحقيق الإنجاز، وهو طريق فيه صعوبات ومشاكل ومنغصات ومعرقلات ومطبات، وفيه إغراءات ومنزلقات، فكيف تتعامل مع جميع هذه التحديات؟.

٧. سورة هود: الآية٨٨.
٨. سورة الطلاق: الآية ٣.
٩. سورة الحشر: الآية ١٩.

إذا كنت على قدر المسؤولية فهنيئًا لك، فسوف تنجح، ولكن إذا شعرت بالضعف والانكسار أمام البيروقراطية والتحديات والمشاكل والنيات غير السليمة للعاملين معك في إدارتك، فسوف لا تستطيع تحقيق التقدم، فإنه «من لج ولج ومن جد وجد»، والأمور لا تأتي على حين غرة وبالصدفة ولا تأتي بيسر وسهولة، «ومن طلب العلا سهر الليالي»، ومن أراد تحقيق الإنجازات الكبرى فعليه أن يتحمل التحديات الكبرى، يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر»[10]، بالصبر والثبات يهتدي إلى طريق النصر ويصل إلى النتائج الكبيرة والباهرة.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «اصبر تظفر»[11]، إذا أردت الظفر والانتصار فعليك بالصبر.

هذه هي النقاط الأربع التي يشير إليها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويعتبرها أسبابًا أساسية في تحقيق النجاح للمسؤول في أداء واجبه في خدمة المواطن.

مؤتمر الوئام الوطني

عُقد المؤتمر الوطني للوئام بين الأديان والطوائف، بحضور لافت للرئاسات والقيادات الدينية والسياسية والمجتمعية والعشائرية والسلك الدبلوماسي، وهو يمثل محطة التقاء مهمة بين شرائح المجتمع العراقي كافة.

إننا نثمن هذا الجهد والحضور الواسع والرسائل المسؤولة التي أطلقها الجميع، والتي جاءت لتؤكد مساحة المشتركات الكبيرة بين أبناء الشعب العراقي على اختلاف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية والسياسية.

مبادئ المصالحة

ولكننا نؤكد أن المصالحة الحقيقية والوئام والتعايش السلمي بين العراقيين، تتطلب الاعتماد على مبادئ محددة، واعتبارها الأساس والمعيار الذي نجتمع عليه والخطوط الحمراء التي يتحتم على الجميع الالتزام بها.

ومن هذه المبادئ:

١٠. بحار الأنوار ٧٥: ٧٩ ح٥٦.
١١. غرر الحكم: ١٣٠/ ١٣.

١ ـ الالتزام بالدستور واعتباره المرجعية القانونية لتحديد شرعية المطالبات والتوقعات، فما وافقه يُلتزم به وما عارضه تُرفع اليد عنه.

٢ ـ الالتزام بالعملية السياسية والديمقراطية والقبول بنتائجها والتعامل على أساسها.

٣ ـ اعتماد مبدأ الحلول الوسط والالتقاء في المنتصف والأخذ والعطاء، وتطمين المكونات كافة وليس بعضها دون بعض، وعلى كل مكوّن أن يحرص على تطمين المكون الآخر، فعلى الشيعة أن يطمئنوا السنة، وعلى السنة أن يطمئنوا الشيعة، وعلى العرب أن يطمئنوا الكرد والتركمان والشبك، وعلى أتباع القوميات الأخرى أن يطمئنوا العرب، وهكذا.

٤ ـ تجنب الإثارة والتشكيك بكل خطوة تطمينية للآخر، والتخفيف من حدة الخطاب الإعلامي، والتعامل المسؤول مع القضايا من موقع رجل الدولة، فكفى تلاعبًا بمشاعر الناس وإثارة الخوف لدى كل شارع تجاه الشارع الآخر، والقراءة المنقوصة والمنحازة للحقائق وتعقيد مسار المصالحة.

٥ ـ تعبئة جميع الطاقات الخيّرة من رجال الدين وأئمة المساجد والمؤسسة الدينية، والقيادات والقوى السياسية والعشائر ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام، وصولًا إلى النخب والجامعات ومراكز التأثير وعموم المواطنين، في تعزيز روح التعايش والتسامح وترسيخ الوطنية وحس المواطنة، وتشجيع الناس على التقارب بينهم وإزالة الحواجز النفسية والمعنوية وتعميق حسن الظن بعضنا تجاه البعض الآخر.

هذه الأسس الرئيسة التي يجب أن تُعتمد في كل مشروع جاد لتحقيق الوئام بين المكونات، وفي هذا السياق نشدد على ضرورة تنفيذ البرنامج الحكومي الذي اتفقنا عليه وأقررناه، وكان الأساس في تشكيل الحكومة الجديدة ضمن الأسقف الزمنية المحددة.

إن أي تنصل أو تسويف أو تراجع عن هذا البرنامج سيعني نسف الاتفاقات المتبادلة بين الأطراف، وبداية النهاية للوئام السياسي الذي عشناه في الأشهر الماضية، وكلنا سعادة أن نلمس الجدية في تنفيذ البرنامج من دولة رئيس الوزراء والسادة الوزراء والكتل السياسية المختلفة.

ولكن يجب الالتفات أيضًا إلى أن تنفيذ البرنامج يجب أن يعتمد مبدأ السلة الواحدة التي تحمل رسائل التطمين لجميع المكونات في كل خطوة، ولا تقتصر على تطمين

مكون أو طرف دون آخر، مما يعني إثارة الطرف الآخر وفسح المجال للخطاب المتشدد بأن يأخذ مدياته في الاتهام والتخوين، وهذا سيعرقل خطوات التنفيذ اللاحقة.

وكذلك فإن إقرار الخطوات لا يعني تلبية الرغبات الكاملة لأي من الأطراف على حساب رؤية وقناعة الآخرين، وإنما القبول بالحلول الوسطية التي تحقق جزءًا مهمًا من متطلبات بعض الأطراف، من دون أن تتجاوز مخاوف وهواجس الأطراف الأخرى.

وفي هذا السياق حينما نتحدث عن المصادقة على قانون الحرس الوطني وحظر حزب البعث والمساءلة والعدالة في سلة واحدة في مجلس الوزراء، فهو يعني أننا نسير في الاتجاه الصحيح، ويجب ألا تُرفض هذه القوانين من هذا الطرف أو ذاك؛ لأن مادة أو فقرة في القانون لا تحظى بالقبول، ولكن علينا النظر إلى مجمل القانون وما يمثله من خطوة صحيحة في تعميق الوئام وتحقيق مطالب أبناء شعبنا. ومتى ما خرج طرف بكامل الرضا في قضية خلافية، علينا أن نشكك في عدالة الخطوة التي منحت كامل الطلبات والرغبات لطرف واحد، فهذا يعني أنها تجاهلت كامل المخاوف والهواجس للطرف الآخر.

داعش.. خطر عابر للحدود

تابعنا بأسف شديد عملية إحراق الطيار الأردني الشهيد (معاذ الكساسبة) على يد الإرهاب الداعشي، هذه الجريمة النكراء التي تُضاف إلى قائمة جرائمهم الطويلة، وقد سبقها قتل الرهينتين اليابانيتين، فضلًا عن الجرائم التي يقترفونها يوميًا في العراق وسوريا.

إن هذه الجريمة عبّرت من جديد عن أن الخطر من هذه العصابة الإرهابية لا ينحصر بالعراق وسوريا، وهذه النار الداعشية ستحرق أي مكان تصل إليه، وسرعان ما تنتشر كالغدة السرطانية، وإن كان العراق، بحكم الظروف القاهرة التي عاشها منذ عقود، تمكّن من احتواء الصدمة والتعامل مع هذا الواقع الإجرامي والصمود بوجهه، وشعوب ودول المنطقة ستتصدى أكثر في مواجهة الإرهاب من خلال التعاطي مع هذه الجرائم التي ستترك أثرها في توسيع جبهة المواجهة للإرهاب كما حصل في العراق.

إن الوسائل التي يعتمدها هؤلاء الإرهابيون تختلف عن الحروب التقليدية، وتتخطى وسائل المراقبة النمطية التي تستخدم من قبل الأجهزة الأمنية في المنطقة والعالم، فما لم نقف بوجوههم في العراق ونقضي على هذه الظاهرة هنا، فسنواجه المشاكل والتحديات

المتزايدة في مواجهتهم في أكثر من ثمانين دولة استقطبوا أعضاء منها، وتدربوا على وحشيتهم وطُرق إجرامهم ووسائل صنع العبوات المحلية التي تتوفر موادها في أي سوق ومتجر في العالم، وهذا ما يؤكد ضرورة الجدية في مواجهة داعش، وإسناد القوى العسكرية العراقية التي تمارس دورًا محوريًا في المواجهة والقتال، كالجيش والشرطة والحشد الشعبي والبيشمركة والقوى العشائرية.

دعم المقاتلين مسؤولية تأريخية

إنها مسؤوليتنا جميعًا أن نقف صفًا واحدًا في دعم هذه القوى وتسليحها وتدريبها، وتوفير الغطاء المعنوي والقانوني لدورها، بعيدًا عن الحساسيات المذهبية أو المناطقية أو القومية، ومن موارد الدعم رصد الأخطاء والانحرافات والإساءات التي تصدر ممن يدّعي الانتساب لهذه القوى المسلحة الوطنية، ومعالجتها ومنعها وصدها بقوة حفاظًا على سمعة هذه الأجهزة والدور التأريخي الذي تقوم به، ولكن في الوقت نفسه نحذر بشدة من اتخاذ بعض هذه الأخطاء ذريعة لاستهداف هذه القوى، والتنكر للعمل العظيم الذي تقوم به والانتصارات الكبرى التي تحققها، وتجاهل الدور التأريخي الذي تضطلع به.

ومن موارد الدعم الرعاية المتميزة لعوائل الشهداء والجرحى المصابين في العمليات العسكرية في مواجهة داعش، فإن لهؤلاء حقًا كبيرًا علينا جميعًا، ويجب استنفار جميع الجهود والإمكانات لتضميد جراحات عوائل الشهداء بالدعم المعنوي والمادي المناسب، والرعاية الصحية للجرحى، فقد تابعنا بأسف تطور الإصابة بل استشهاد بعض هؤلاء الأبطال نتيجة الإهمال أو ضعف التشخيص أو التباطؤ في تقديم العلاج المناسب، ليفقد حياته أو بعض أعضائه دون حاجة إلى ذلك، وهو وزر تأريخي نتحمله حينما نتهاون في رعاية من قدم نفسه رخيصة للعقيدة والوطن وحماية الأرض والعرض.

ومن موارد الدعم إبراز جرائم الداعشيين والتذكير المستمر بها، والتحذير المتواصل من خطرهم.

كيف لنا أن نستقر ونهدأ وما زال عدد كبير من الحرائر العراقيات من التركمان، من أتباع أهل البيت، ومن الإيزيديات وغيرهن، في أسر هؤلاء المجرمين؟.

كيف نهدأ ونستقر وما زالت دماء الأبرياء في سبايكر وسجن بادوش وغيرها لم يُثأر لها بتسليم الجناة إلى العدالة؟.

كيف نهدأ ونستقر ولم يعُد مئات الآلاف من النازحين إلى مدنهم وقراهم؟.

كيف نهدأ ونستقر ولم ننتهِ من تحرير كامل أراضينا وإعمار مدننا وقرانا التي هدمها وفجّرها الداعشيون؟.

ومن موارد الدعم المساعدات الإنسانية التي يقدمها الميسورون ومنظمات المجتمع المدني وذوو القدرة على العطاء، للمنكوبين والمحتاجين وللمجاهدين الذين يقاتلون الإرهاب بكل بسالة. وقد لاحظنا النشاط والجهد الواسع للمرجعية الدينية في الرعاية الشاملة لهذه الشرائح ومن كافة المكونات، ومنها المساعدات الإغاثية التي قدمتها المرجعية العليا لأهلنا في حديثة في محافظة الأنبار مؤخرًا، واستضافة أبناء الفلوجة في كربلاء والنجف وغيرها.

إنصاف موظفي التمويل الذاتي

ما زال عشرات الآلاف من عمال وموظفي التمويل الذاتي في المصانع التابعة لوزارة الصناعة يمرون بأصعب الظروف المعيشية لعدم صرف رواتبهم، وهي مشكلة كبيرة نعاني منها منذ سنوات طوال. لا يكفي أن نقول إننا لا نمتلك المال لنحرمهم من فرص الحياة بسبب ترشيق الموازنة، بل علينا أن نبذل الجهود ونضع الخطط والمعالجات الفعلية لحل مشكلتهم وتفعيل معاملهم، بسياسات اقتصادية ناجحة تحمي المنتوج الوطني، وفتح نافذة لشراكة القطاع الخاص العراقي والأجنبي مع هذه المصانع، لتمويل عملية تطويرها وتحويلها إلى مصانع منتجة تدرّ الأرباح وتوفر الرواتب للمنتسبين وغير ذلك.

نحن أمام مسؤولية أخلاقية تجاه هذه العوائل الكريمة، ولا يكفي أن نرفع اليد عنهم ونتركهم يواجهون هذه المحنة بمفردهم..

أهالي مخيم رفحاء

أهالي رفحاء الكرام، هؤلاء الأبطال الذين قضوا سنين طويلة من حياتهم في صحراء رفحاء، ودفعوا ضريبة الولاء للوطن، وبعد الجهد الجهيد لتشريع قانون يضمن حقوقهم، إذا بالإجراءات البيروقراطية والبطيئة والطويلة تحول دون استكمال الاعتراف بهم وبقضيتهم، ويتابع البعض منهم المعاملات الإدارية منذ سنوات من دون حسم.

إنني أدعو هيئة السجناء السياسيين لوضع آلية سريعة لمعالجة هذا الأمر، وإنجاز معاملات هؤلاء المضحين ضمن مدّة زمنية معقولة.

الملتقى الثقافي بتأريخ ١١/ ٢/ ٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية في النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وانتهينا إلى المقطع السادس عشر من عهد أمير المؤمنين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر

معايير اختيار القادة العسكريين

((فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِه ولإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ممّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَيَرْأَفُ بالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصّالِحَةِ، وَالسّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمّ أَهْلِ النّجْدَةِ وَالشّجَاعَةِ، وَالسّخَاءِ وَالسّماحَةِ، فَإِنّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ))

اليوم ننتقل في الحديث إلى المقطع السابع عشر في هذا العهد والوثيقة التأريخية المهمة، التي اُعتُمدت في الأمم المتحدة كوثيقة من أهم الوثائق التي تشير إلى عدالة

الحكم والحكومة والإدارة. في هذا المقطع يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى معايير اختيار القادة العسكريين، فإذا كان الجند يشكّلون طبقة من الطبقات الاجتماعية، كما شرحنا في الأسابيع الماضية، فلا بدّ لهؤلاء الجند من قادة عسكريين يقودونهم، فكيف يتم اختيار هؤلاء القادة؟ وما المعايير والسمات والأوصاف التي يجب أن توجد في هذا العسكري لكي يتم اختياره قائدا للجيش والجند؟ كأنْ يكون قائد فرقة أو قائد فيلق أو أمر لواء.. وغيرها.

أولًا: الصلاح والاستقامة

لاحظوا هذه العبارات ذات المغزى العميق: «فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك»، يا مالك، اختر قائدًا لجندك، وليكن أكثرهم نصحًا وأكثرهم خيرًا في نفسك. اختر من هو أكثر استقامة لله ولرسوله ولإمامك، وأكثر نصحًا في الالتزام بالحدود الشرعية، وتطبيق المعايير الشرعية في أدائه ومهماته العسكرية. اختر من يخاف الله تعالى في أوامره العسكرية التي يأمر بها أولئك الجنود.

ثانيًا: طهارة القلب والحلم

«وأنقاهم جيبًا»، الجيبكان في الصدر، ويرمز إلى القلب نفسه، أي اختر أطهرهم قلبًا، «وأفضلهم حلمًا»، اختر يا مالك من يكون الأفضل في حلمه، أي يكون حليما، «ممن يبطئ عن الغضب»، ممن لا يغضب بسرعة، أي يكون بطيئا في انفعالاته، فالعمل العسكري يحتاج إلى رباطة جأش وسكينة، ويحتاج إلى رؤية وتشخيص وتقدير دقيقين للمصلحة، وهذا لا يتم بالانفعالات.

ثالثًا: التسامح والرأفة مع القوة والحزم

«ويستريح إلى العذر»، أي يكون متسامحًا ويقبل أدنى العذر، فهو يريد أن يحل مشكلة، ويفرض سلطة القانون وهيبته، ولا تأخذه العزة والتكبر حين يرى بيده السلاح وتحت أمرته الجنود، فهذه القوة والسطوة رهن إشارة القائد، وعليه أن يبحث عن عذر للإصلاح، فإذا كان الإصلاح يتحقق بالتلويح بالقوة دون استخدامها، فعليه أن يكتفي بالتلويح دون استخدام السلاح، وأحيانًا يتطلب الإصلاح استخدام القوة بمستوى معين، دون استخدام القوة المفرطة، بل بقدر الضرورة، وحينما يرضخ الخصم ويستسلم ينبغي التوقف عن القتال.

«ويرأف بالضعفاء»، وهو في ذروة القوة والقدرة على الفتك والبطش، تجده رؤوفا بالضعفاء، يرعاهم ويهتم بهم، «وينبو على الأقوياء»، أما المتعجرفون المتطرفون، الأعداء المغترون بقوتهم، الفاتكون بالضعفاء، الظالمون للناس، فيجب أن يتعامل معهم بقوة وحزم، ولكن عليه أن يبحث عن الحلول الناجعة والسلمية والسلاح بيده، فالضعيف يرعاه ويهتم به، والعدو المتطرف الذي يريد الشر بالأمة والشعب والوطن يفتك به ويضربه بقوة.

«ممّن لا يثيره العنف»، في القضايا التي فيها تطرف وشدة وغلظة، وحين يشتمك العدو عبر وسائل الاتصال اللاسلكية، يجب أن تكون قادرًا على احتواء العدو، وألاّ تثار بالشدة والعنف المستخدم من قبل الأعداء، فالعدو أحيانًا يجرك إلى الانفعال لتقع في الفخ، حينما تُستدرج وتنفعل بسبب شتيمة أو موقف أو قضية من القضايا، «ولا يقعد به الضعف»، ولكن المرونة في التعامل مع الضعفاء وتقدير المصالح والحرص على استخدام القوة بالمستوى الأدنى المطلوب، لا تمنعه من القيام بواجباته العسكرية. لاحظوا هذا التوازن العميق؛ لا إفراط ولا تفريط، فلا شدة مفرطة لا نحتاج إليها في تحقيق الهدف أحيانًا، ولا تسامح يوحي للخصم بأنك ضعيف فيفتك بك أكثر. شدة مع الأعداء وليونة مع الآخرين، وفتح مجال ونافذة للرجوع لمن يشاء أن يرجع للدولة ويلتزم بالقانون.

إن قيادة الجنود والقوات المسلحة موقع حساس وخطير، ولأنه خطير يجب أن تكون صفات القائد نوعية، وجزء من هذه الصفات يرتبط بالقدرات الذاتية للشخص لكي يكون قائدًا عسكريًا؛ كاللياقة البدنية والخبرة العسكرية في القتال والشجاعة والبسالة والإرادة القوية لتحقيق الانتصارات في الظروف الصعبة، وحسن التدبير والقدرة على وضع الخطط العسكرية، إلى غير ذلك من المؤهلات المطلوبة، ولكن هل نكتفي بها؟.

في جيوش العالم يكتفون بهذه المؤهلات، أما في الرؤية الإسلامية، فبعد إحراز الكفاءة والقدرة على قيادة المجموعة والقطعة العسكرية، هناك سمات وصفات وشروط ترتبط بالجانب الأخلاقي؛ هل يمتلك الأخلاقية القيادية والسلوك الإداري الأخلاقي، إذ يجب أن تكون عنده أخلاق في الإدارة والقيادة، وهذا شيء يختلف عن المواصفات الذاتية التي تمكنه من قيادة العسكر مهنيًا.

معيار الارتباط بالله هو الأساس

لقد استعرض الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مجموعة من السمات والصفات المطلوبة في القادة العسكريين؛ فالسمة الأولى هي أن نصحه «لله ولرسوله ولإمامك». يا مالك، اطلب من يبحث عن الخير والصلاح، ولا تأتِ بإنسان لا تحكمه موازين شرعية وأخلاقية، يريد أن يثأر ويتشفى وينكل بالخصم وبالعدو، بل اختر من يبحث عن الخير والصلاح، ولا يكفي أن يبحث عن الصلاح، بل يجب أن يكونأصلحهم، وأنصحهم، وأن يطلب الخير والصلاح بدوافع إلهية، «لله ولرسوله ولإمامك»، فالدوافع دوافع إلهية، ودوافع إنسانية ومعنوية، تدفعه لأن يطلب الخير والصلاح، من أجل الحفاظ على المصلحة العامة. يريد الخير والصلاح، ويبحث عما يحقق المصلحة العامة وليس المصلحة الشخصية، أو النزوات الذاتية السلطوية، أو إشباع حب الأنا.

اختر من يخاف الله (سبحانه وتعالى)، ويجعل المعيار والأساس هو الارتباط بالله وحب الله، والقيود والموازين الشرعية التي أرادها الله (سبحانه وتعالى)، أما ذاك الذي يبحث عن مصالح شخصية وأنانية وسلطوية وغرائز شهوانية ويتلذذ بالتشفي بالآخرين والثأر منهم، وقتل الآخرين وإراقة الدماء، فهذا إنسان ما إن يحصل له انتصار ويتحقق له إنجاز، حتى يخرج عن طوره وعن انضباطه ويقتل ببشاعة ويسيء إلى الناس بدون حدود. نجد اليوم في هؤلاء البربريين الدواعش مثل هذه النزوات والسلوكيات السادية؛ حب الدماء والرغبة في القتل، وعدم وجود حرمة لشيء، وما إن يختلف أحد معهم حتى يفتكوا به ويقتلوه.

إذا كان الأساس هو المصلحة الخاصة، فمن يحقق له هذه المصلحة يصطف معه، فهذا القائد ليس له موقف مبدئي وليس له مواقف وطنية كما نعبر، ولعل عدوًا من الداخل أو آخر من الخارج يستغل هذا الإنسان نتيجة لأنانيته، فيصبح عنصرًا دخيلًا من موقع القيادة في المؤسسة العسكرية، فيفشي الأسرار ويوصل الخطط العسكرية إلى الأعداء، ويعبث بداخل هذه المؤسسة العسكرية، ويوظف الناس بالرشاوى ويفعل ما يفعل، وهذه كلها مشاكل كبيرة يمكن أن يتعرض لها الإنسان حينما لا يكون ولاؤه لله ولرسوله ولإمامه، ويكون ولاؤه للمصلحة وهي متغيرة؛ فحين تعطيه الدولة مليوني دينار ويعطيه العدو خمسة ملايين، يكون ولاؤه لمصلحته، فإما أن ينتقل إلى جبهة العدو كليًا، أو يمارس دور الاختراق في المؤسسة، فيكون صوتًا وعينًا لأولئك الأعداء، وهذا هو

الأخطر، وهو نتيجة اختيار قيادات عسكرية لا تمتلك أخلاقية العمل العسكري ولا أخلاقية السلوك القيادي، فتقع في هذه المطبات الكبيرة.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يقيم أمر الله سبحانه إلاّ من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع»[١٢]، أي لا يهادن في الحق، فلا يقيم أمر الله المهادن الذي يبحث عن مصلحته وليس المصلحة العامة، ويبحث عن دوره وليس الأدوار المطلوبة لتحقيق المصالح العليا، «ولا يضارع»، لا يتشبث بأهل الباطل في طرقهم ووسائلهم، لأنهم لا يملكون أي قيود ويسيئون بلا حدود، فيقتلون المرأة والطفل والرجل، ويغتصبون النساء، فليس لديهم حدود، وأنت قائد عسكري على وفق الرؤية الإسلامية ومن منطلقات إسلامية ووطنية، وعليك أن تنظر إلى هذه الاعتبارات والمعايير.

ولا «يتبع المطامع». على القائد ألاّ يتبع مطامعه ولا يبحث عن مصلحته بقدر ما يهتم بمصالح الجندي الذي يقوده، ومصالح المشروع الذي يحمله على أكتافه، ومصالح الشعب والأمة التي وضعت ثقتها فيه، ومصالح الوطن الذي كلفه بمهمة حمايته، يجب أن يفكر بهذه.

استقامة القائد حصانة لجنوده

والسمة الثانية هي «وأنقاهم جيبًا»، طهارة القلب وطهارة النفس، والعفة والطهارة والأمانة، سمات قيادية مهمة يجب أن توجد في من يرشح لقيادة قوة عسكرية، إنها سمات لكل المستويات، ولكن من يكون في موقع القيادة تبرز أهمية هذه السمة فيه بشكل أعظم.

الأمانة والطهارة والعفة والنجابة، كل هذه الصفات مطلوبة إلى حد كبير، فالانتصار يشعر القائد العسكري بالزهو والغرور إذا لم يكن يملك الأمانة، فلا يستطيع أن يضبط انفعالاته، ويندفع ليعبر عن زهوه بالفتك والبطش بالناس والإساءة غير المبررة والقوة المفرطة التي لا يحتاج إليها في تحقيق أهدافه العسكرية، ويقع في حالة التشفي والثأر، وهذه سمات غير محببة وغير مقبولة، وحينما يكون القائد عفيفًا أمينًا طاهرًا نقيًا فإن «القطعة بآمرها»، والجنود عيونهم على هذا القائد، وحينما يتشفى القائد ويبيح لنفسه قتل الناس، فإنه يعطي الفرصة لكل الجنود بأن يفتكوا ويقتلوا ويتجرؤوا على أعمال غير مقبولة ويخربوا.

---

١٢. نهج البلاغة ٤: ٢٦/ الحكمة ١١٠.

لذلك فإن دور القائد يختلف عن دور الجنود، والجندي قد يخطئ، ولكن سلوك القائد إما أن يدفع الجنود بالاتجاه الخاطئ، أو يدفعهم باتجاه الانضباط والموقف المبدئي والخطوات المحسوبة المدروسة، وشتان بين هذا وذاك، لذلك فإن اختلال عنصر الأمانة والطهارة لدى الجندي يكون بمقداره، مثل الوساخة الظاهرية التي قد تصيب أيًا منا، فهي واضحة ومن السهولة غسلها، ولكن انحراف القائد العسكري مثل الالتهاب الداخلي الذي يحتاج إلى علاج ومضادات حيوية، ولا يكفي الغسل بسهولة، وهذه الوساخة الباطنية أعظم وأصعب، حينما يكون القائد العسكري بهذه السمات.

الحلم والانضباط ضمانة النجاح

والسمة الثالثة هي «وأفضلهم حلمًا»، فالقائد العسكري عليه أن يكون حليمًا يحكّم العقل ويتعامل بحلم، فلا يمكن تحقيق الأهداف وإنجاح المهمة إلاّ بالحلم وسعة الصدر، وبدون الحلم ستشتد الأزمات، وتتعقد الأمور وتتفاقم المشاكل، وترتبك العلاقة بين الأطراف وبين الناس، فهناك الحلم وهناك حالات الانفعال والاستعجال والخطوات المرتجلة، فمثلًا حين تسقط قذيفة ويستشهد بعض الجنود، على القائد ألاّ يتسرع بالهجوم، فقد تقتل هذه الخطوة المتسرعة عشرين أو ثلاثين من الأبرياء وتجرّ خطوات غير صحيحة. لا داعي للاستعجال والانفعال، تريّث وتعامل بحلم، وادرس القضايا لتهدأ النفوس وانظر أين المصلحة، واتخذ قراراتك على أساس المصلحة، وليس النظرة الضيقة والميول الشخصية والنزوات السلطوية.

الاستعجال يفسد جميع شؤون الحياة، وفي الشؤون العسكرية يكون إفساده أكبر، وفي الأدوار القيادية يكون إفساده أعظم، لذلك يجب التحلي بالحلم، فإن سرعة استخدام السلاح، وسرعة استخدام القوة المفرطة في غير مواقعها، قد تأتي بمردودات عكسية، مثلا: حين يخرج الناس بتظاهرات، دعهم يعبروا عن أنفسهم واطلب منهم الالتزام بالقانون، فإن إطلاق النار المتعجل والمنفعل على جمهور متظاهر في قضية مدنية وبسيطة، مثل إطلاق رواتب أو قضية ومطلب معين، قد يؤجج الشارع ويؤدي إلى مضاعفات كبيرة، وقد لاحظنا أن الثورة التونسية بدأت من شاب أُهين فأحرق نفسه، هذه الإهانة التي جاءت بسبب استخدام القوة من أطراف عسكرية في غير محلها، أججت الشارع التونسي كله، وتم قلب النظام، لذلك فإن السلوك المنضبط والتعامل بحلم مع الأمور، من المسائل الأساسية المطلوبة.

ما أكثر المواقف المعارضة التي كان من الممكن أن تتفكك بموقف هادئ وتطييب

خواطر وبمعالجة معينة، ولكن نتيجة استخدام القوة المفرطة تحولت إلى ردود أفعال شديدة، وأخذتنا إلى مراحل جديدة، وليس بالإمكان العودة إلى المربعات السابقة، وخرجت الأمور عن سياقاتها، فالحلم قضية أساسية في الإدارة والقيادة، ولا بُدَّ من السيطرة على حالات الغضب والهيجان النفسي والمشاعري الذي يستشعره القائد العسكري وقطعاته العسكرية، وحينما تحصل انتصارات فلا بُدَّ من ضبط النفس، وحينما يصدر الاعتذار من الآخرين فلا بد من قبول العذر، إذا كان هناك مجال لقبول العذر، وتهدئة النفوس وعدم الولوج في تفاصيل قد تؤدي إلى مضاعفات تتعمق يوما بعد يوم لتخرج الأمور عن السيطرة، وكان بالإمكان السيطرة عليها.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الحلم سجية فاضلة»[١٣]، خصلة فاضلة، و«الحلم تمام العقل»[١٤]، حين يكون الإنسان حليمًا يبلغ قمة العقل وتمامه، و«الحلم رأس السياسة»[١٥]، عماد السياسة والإدارة، و «من حلم عن عدوه ظفر به»[١٦] تنتصر عليه، حينما تحلم عن العدو وهو يحاول أن يدفعك إلى الانفعال، فانتظر وقلّبها ودعه يعاني الحيرة بماذا سترد، فيعيش حالة مقلقة، لا يدري بأي لحظة ستباغته وتتخذ الموقف بعد الدراسة، فبالحلم تنتصر على عدوك.

في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السلم ثمرة الحلم»[١٧]، إذا كنت تريد السلام والصلح، وتريد المصالحة الوطنية والتعايش بين الناس، فإن مدخل ذلك هو التعامل بحلم، فحينما تتعامل بحلم تكون قادرًا على تهدئة النفوس والوصول إلى الحلول الوسط. نسأل الله أن يوفقنا إلى أن نكون من هذا الصنف.

ذكرى انتصار الثورة الإسلامية

نعيش هذه الأيام الذكرى السادسة والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، حيث انطلق رجل عظيم ومرجع كبير وقائد فذ، هو الإمام الخميني (قدس)، في ثورة ومشروع أصبح أنموذجًا ومحطة للدراسة والتحليل لتميزه عن المشاريع الأخرى.

فالإمام الخميني بخلفيته الدينية كفقيه من كبار العلماء ومراجع التقليد، اختزل

١٣. عيون الحكم والمواعظ: ٦٩.
١٤. غرر الحكم: ٥٧ / ١٠٩٧.
١٥. غرر الحكم: ٤٦ / ٨٢١.
١٦. بحار الأنوار ٦٨: ٤٢٨ ح٧٨.
١٧. عيون الحكم والمواعظ: ٣١.

كل هذا الخزين المعرفي للمنهج المحمدي الأصيل، وتصدى لشؤون الحياة والواقع الاجتماعي والسياسي بواقعية وموضوعية، وقدم مشروعًا منسجمًا مع تلك الأصالة والخلفية الدينية، ومتكيفًا مع الواقع السياسي وتعقيداته التي نعيشها في عالمنا اليوم، واستطاع أن يبرهن على أن الإسلام قادر على بناء مجتمع وقيادة أمة وتنمية دولة، كما استطاع أن يقدم نظرية إسلامية في إدارة المجتمع والدولة، مع قطع النظر عمن يتفق أو يختلف معه فيها، ولكنها أثبتت جدارة كبيرة وحققت نجاحًا باهرًا.

صفات قائد الثورة

تميز الإمام الخميني (قدس) بالثقة العالية بالله والتوكل عليه، وبالشجاعة في اتخاذ القرارات والإصرار على المنهج وقوة الإرادة، كما تميز بالزهد والتواضع والترابية.

لقد مثّل شخصية قيادية من الطراز الأول، وكانت له ثقة عالية بشعبه، وكان يبعث فيهم الأمل ويعتمد عليهم، والشعب الإيراني بادله الثقة وقدم له الطاعة والاتباع، لتكتمل بذلك عناصر الانتصار والنجاح؛ أمة منسجمة ومطيعة لقيادتها، وقيادة واثقة بشعبها.

كان الإمام الخميني قريبًا من شعبه مهما ابتعد جغرافيًا عنه في المنافي المختلفة، فمن السنين الطوال التي قضاها في العراق، في النجف الأشرف، إلى فرنسا، إلى عودته إلى إيران، حين توجه مباشرة إلى مقبرة الشهداء ليعطي رسالة واضحة أن هذه الثورة ما كان بالإمكان أن تنتصر لولا التضحية، فالنصر لا يكون إلا بالتضحية.

وفي خطابه الأول لشعبه بعد أن عاد إلى أرض الوطن، أكد أن الإسلام دين الحياة وقادر على أن يصنع الرفاه للناس، وأن مساحة الحلال في هذه الحياة أوسع من مساحة الحرام، ولو تمسكنا بقيم الإسلام الأصيلة بعيدًا عن التطرف أو التشويه، لاستطعنا أن نبني حياة عزيزة وكريمة للشعوب المستضعفة.

وبذلك استطاع أن يؤرخ لولادة إسلامية، ظن الجميع أنها لن تُولد، وكان من أشد التحديات التي تواجه الجمهورية الإسلامية هي البديل الذي يمكن أن يشغل الموقع القيادي للإمام الخميني، الفقيه المرجع المحنك، ذي التأثير الواسع ليس في إيران وحدها، بل في الشعوب الإسلامية والمستضعفة في العالم.

امتداد القيادة الفذة

ولكن سنن التأريخ تؤكد أن القادة يصنعون قادة، وينمّون قادة، وهو ما كان؛ إذ برز الإمام الخامنئي فقيهًا وعالمًا وقائدًا محنكًا، حافظ على مشروع الثورة وأصّل فيه وانتقل به إلى مرحلة بناء الدّولة، واستطاع بحكمته العالية وشخصيته القيادية الفذة أن يواصل المسيرة ويشق الطريق ويتخذ المسارات والاتجاهات الصحيحة.

تتّسم شخصية الإمام الخامنئي بالشمولية والعمق، وهو ما يكتشفه الإنسان حين يجلس في محضره أو يتابع خطاباته وبياناته، إذ يجد فيها السعة والدقة والعمق، واستحضار الكثير من الملاحظات التي قد تغيب عن الإنسان في رؤيته الأولية للأمور في شؤون المجتمع والدولة والسياسة.

إن شخصية الإمام الخامنئي بالإضافة للبعد العلمي والفقهي والحنكة السياسية والقدرة على إدارة الدولة، تتميز بسعة الصدر الكبيرة والقدرة على لملمة الأوضاع، بالرغم من التعقيدات الكبيرة التي تشهدها الساحة الإيرانية في أوضاعها الداخلية، وفي حجم الضغوط والحصار الدولي المفروض عليها طوال عقود من الزمن، ولكن الإمام الخامنئي استطاع بسعة صدره وحكمته أن يحمي الثورة من نفسها ومن أعدائها الخارجيين.

إن القيادة ليست حالة وظيفية، بل هي حالة معنوية، وكلما زادت قناعة الناس بالقائد، انشدّوا إليه واتّبعوه وأطاعوه، وكلما شعروا بالثقة تفجرت طاقاتهم وإمكاناتهم الهائلة، وبادروا لتحقيق المزيد، وهو ما نلاحظه في إيران اليوم.

سمات الثورة الإسلامية

إن من السمات المهمة التي تميزت بها الثورة الإسلامية:

١ ـ قيادة المرجعية الدينية لهذه الثورة.

٢ ـ هي ثورة محورها الإسلام، بالرغم من حضور التيارات اليمينية واليسارية فيها.

٣ ـ هي ثورة شعبية اعتمدت على قطاعات الأمة ولم تنحصر بالنخب.

٤ ـ هي ثورة سلمية لم تحمل السلاح، بالرغم من بعض المناشدات التي رُفضت بشكل قاطع من الإمام الخميني آنذاك.

٥ ـ هي ثورة وطنية استندت في جميع تفاصيلها إلى الشعب الإيراني وقيادته، دون الاستعانة بالقوى الأجنبية الشرقية منها أو الغربية.

٦ ـ هي ثورة حملت مشروعًا متكاملًا لإدارة الدولة وقيادة الأمة، ولم تنحصر بأهداف مرحلية لإسقاط الدكتاتور.

٧ ـ هي ثورة اعتمدت على الذات وتطوير القدرات الذاتية والوطنية بعد الثقة بالله والتوكل عليه، ما جعل إيران اليوم من أكثر البلدان تطورًا في المنطقة.

٨ ـ هي ثورة حققت الوحدة والانسجام بين جميع المكونات القومية والمذهبية والدينية للشعب الإيراني.

٩ ـ هي ثورة اعتمدت على التنمية الشاملة؛ الثقافية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، ما جعل إيران تحتل مواقع الصدارة في التطور العلمي العالمي، وبذلك وفرت الأمن والاستقرار ومقومات العيش الكريم والإعمّار والازدهار لشعبها.

١٠ـ هي ثورة جمعت بين الجانب الديني والمعنوي من ناحية، والجانب المادي والمعيشي من ناحية أخرى، وهو ما نجده من التكاملية بين المؤسسة الدينية (الحوزة العلمية)، والمؤسسة الأكاديمية (الجامعات).

١١ـ هي ثورة تبنت الدفاع عن المظلومين والمستضعفين في العالم، وجعلت ذلك مادة دستورية ملزمة للحكومات المتعاقبة في إيران.

١٢ـ هي ثورة تبنت الدفاع عن القضية الفلسطينية وقضايا المسلمين العامة، والوقوف بوجه الاستكبار العالمي ودعم حركات التحرر في العالم.

إننا نبارك من جديد ذكرى انتصار هذه الثورة الإسلامية، ونتمنى للشعب الإيراني المسلم وقيادته الحكيمة المزيد من التطور والاستقرار والازدهار.

ملف مواجهة الإرهاب

ما زال الملف الأمني ومواجهة داعش أمرًا يحتل الصدارة في الهموم اليومية للمواطن العراقي، والمسؤولين في الحكومة والقيادات العسكرية والأمنية في الجيش والشرطة والحشد الشعبي والبيشمركة وقوات العشائر العربية الأصيلة.

المهم في هذه المعركة أن المبادرة أصبحت بيد الدولة ومؤسساتها، والانتصارات تتعاقب من منطقة إلى أخرى، ويُضيّق على الإرهابيين الداعشيين في أكثر من صعيد،

وجبهة المواجهة لداعش تتسع وبجدية أكبر نتيجة الجرائم البشعة التي ترتكبها هذه العصابة في العديد من البلدان.

إننا نؤكد من جديد أن صولاتنا بوجه داعش ستستمر بإذن الله، حتى تطهير آخر شبر من تراب هذا الوطن من دنسهم.

ونتحمل جميعًا المسؤولية الشرعية والأخلاقية والوطنية، في الوقوف صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص في الدفاع عن أبنائنا الأبطال الذين يضحون بدمائهم وأرواحهم من أجل العقيدة والوطن، وأن نعمل جاهدين على توفير مستلزمات القتال والانتصار في هذه المعركة، من الدعم اللوجستي والمالي والإمكانات والسلاح والعتاد والغطاء القانوني والسياسي والإعلامي، فهي معركة الكرامة والشرف، وهي محطة الاختبار الحاسمة لمدى وطنيتنا وجديتنا في الدفاع عن الأرض والعِرض، والالتزام بالعملية السياسية، والتمسك بالعراق الواحد المتماسك من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه.

رؤية متكاملة

إننا نشدد أيضًا على أن مواجهة داعش لا يمكن اختزالها في الجانب العسكري فحسب، بل نحتاج إلى رؤية متكاملة في هذه المواجهة تمتد لتشمل المجالات كافة، فنحن بحاجة إلى معالجة ثقافية وفكرية لنبذ الفكر المتطرف والمتشدد، وإشاعة المفاهيم الإسلامية السمحاء التي ترتكز على التعايش والانفتاح على الآخر وتقبله، ونبذ العنف والتطرف وإراقة الدماء وهتك الحرمات، لكي نقطع الطريق على هؤلاء المجرمين في استغلال المشاعر الدينية البريئة للشباب المسلم، وتصوير سفك الدماء على أنه طريق الوصول إلى الجنة والسعادة الأخروية.

نحن بحاجة إلى معالجة مجتمعية تجعل الناس تتحابب وتتعايش وتتكامل مع بعضها، وتجمد الثارات الشخصية وتلجأ إلى القضاء والمؤسسات المختصة والقانون في فض النزاعات والخصومات، كي نضمن سلمًا مجتمعيًا في المناطق المحررة يساعد على عودة النازحين إلى مناطقهم والعيش بأمان وسلام.

ونحن بحاجة إلى معالجة تنموية وخدمية، تعيد إعمار المناطق المحررة من داعش، وتوفر الخدمات الضرورية والبنى التحتية لها.

وكل ذلك يتطلب الثقة بأبناء شعبنا في هذه المحافظات، وتحميلهم المسؤولية بقياداتهم السياسية والعشائرية والنخبوية وعموم المواطنين، في حفظ الأمن في

مناطقهم ووضع الخطط الناجعة لبناء هذه المحافظات والمدن التي تهدمت بفعل الإرهاب الداعشي.

ليعرف الجميع أن ما نخسره جميعًا من عمليات الاستنزاف والتحريض وأزمة الثقة المتبادلة، أكبر بكثير مما نحصل عليه، ولا خيار لنا إلاّ القبول بهذا الواقع التعددي والتعايش بيننا، والاهتمام بالهواجس والمخاوف المتبادلة وتطمين بعضنا للبعض الآخر.

مواجهة التحديات الاقتصادية

تابعنا باهتمام المؤتمر الدولي للاستثمار الذي عُقد برعاية اللجنة الاقتصادية في مجلس النواب والمستثمرين العراقيين، وقد مثّل تظاهرة مهمة للتعبير عن الإرادة الوطنية العراقية باستثمار الظرف الراهن الذي يشهد انخفاض أسعار النفط، وتحويل التحدي إلى فرصة للبحث عن وسائل جديدة لتعظيم الإيرادات وتسهيل مشاريع الاستثمار، ومنح المزيد من الأدوار للقطاع الخاص وإزالة العراقيل والبيروقراطية الشديدة المانعة من انطلاقه.

لنعتمد على شعبنا وقدراته الكبيرة ونمنحه الصلاحيات والفرص والثقة، ليتحمل مسؤوليته في إطلاق عجلة الاقتصاد، فهو الأقدر على ذلك.

إنني أحيي هذه المبادرة، وأدعو اللجان المختصة في مجلس النواب والعاملين في القطاعات المختلفة الصناعية والزراعية والتنموية والخدمية والصحية والتربوية والتعليمية والثقافية وغيرها، إلى القيام بفعاليات مشابهة ودراسة الاحتياجات والتحديات والفرص والحلول في كل حقل من هذه الحقول والقطاعات.

قانون الأحزاب

تُسلط الأضواء هذه الأيام على قانون الأحزاب في مجلس النواب. إنها خطوة في الاتجاه الصحيح، وما لم يشرع قانون الأحزاب ويُلتزم به، فمن الصعب أن نشهد انتظامًا في الممارسة السياسية والحزبية في البلاد.

إننا ندعو إلى دراسة مستفيضة لمسودة هذا القانون والإسراع في تشريعه، مع مراعاة جوهر العملية الديمقراطية وما تتطلبه من استقلالية للعمل السياسي عن المؤسسات الحكومية، وعدم العبث والتدخل في الشأن الحزبي وخصوصياته بما يتعارض مع مهماته المحددة.

الأزمة اليمنية

نتابع باهتمام التطورات التي تشهدها جمهورية اليمن الشقيقة، وننظر بإيجابية وتفاؤل للاجتماعات المكثفة التي تعقدها القوى السياسية اليمنية ومساعيها للوصول إلى رؤية شاملة تضمن مصالح الجميع.

إن الإعلان الدستوري الذي جاء ليملأ الفراغ الدستوري الذي شهدته البلاد، والحرص على تحقيق الشراكة الوطنية بين الفعاليات السياسية اليمنية، خطوات مهمة في طريق الوصول إلى عملية سياسية ضامنة لحقوق الجميع.

إننا نشدد على أن الحل يجب أن يكون يمنيًا، فاليمنيون وحدهم قادرون على تحقيق الوفاق الوطني وتعزيز الشراكة والتعاون بينهم، وأي تدخل في الشأن اليمني لصالح طرف من الأطراف سيؤدي إلى مزيد من التعقيدات والإرباك في الوضع الداخلي، ونتمنى على القوى اليمنية بما نعهده فيها من حرص وحكمة، أن تنجز هذه المهمة الوطنية الملقاة على عاتقها بأحسن وجه، ونتمنى أن نشهد الاستقرار والأمان والازدهار في هذا البلد العربي الشقيق.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٥/٢/١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

((فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِه ولإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ممّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَيَرْأَفُ بالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ))

انتهينا إلى المقطع السابع عشر من عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر الذي يذكر فيه معايير اختيار القادة العسكريين، ، وذكرنا في اللقاء السابق بعض المعايير والمواصفات والشروط المطلوبة.

وذكرنا أن من المعايير معيار الكفاءة المهنية والقدرة على القيادة والإدارة والخبرة واللياقات البدنية والفكرية، إلى غير ذلك من المعايير، وهذه من المسائل المطلوبة التي لم يستعرضها الأمير في هذا القسم من الحديث.

المعايير الأخلاقية لقيادة الجيش

إن المعايير الأخلاقية التي يجب أن توجد في من يتصدى للقيادة العسكرية كما يذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي:

السمة الأولى / «فولِّمن جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك»، أن يكون القائد العسكري هو الأنصح والأقرب للفلاح والأكثر التزاما بالمعايير الشرعية والأخلاقية، وبما أنه قائد فهو يصدر الأوامر والتعليمات والجنود تطيع وتلتزم، فإذا كان يستحضر المعايير الأخلاقية فلن يأمرهم بما هو حرام، وسوف لا يكون سببا في إراقة الدماء، ولن يتساهل في أي خطوة أو أي موقف تضيع فيه الأرواح والأموال والممتلكات العامة.

مخافة الله لدى القائد العسكري تجعل سلوك تلك القطعة العسكرية، سواء كانت فيلقا أو لواء أو فوجا أو أي مستوى من المستويات، تجعلها منضبطة بانضباط القائد، فالقائد العسكري يملي رأيه والجنود ينفذون أوامره العسكرية، فإذا كانت لديه معرفة بالمعايير الشرعية، فسوف يكون أداؤه أداء موفقا.

السمة الثانية / «وأنقاهم جيبا»، أن يكون قلبه نقيا طاهرا فيكون مؤتمنًا، وقلنا إن الأمانة من الشروط الأساسية في القائد العسكري، فيجب أن توجد فيه الطهارة والعفة والأمانة، مما يجعل أداءه منضبطًا، والجنود يأتمرون بأوامره ويكونون منضبطين أيضًا، وقلنا إن هذه واحدة من المشاكل، فالعسكر يحققون الانتصارات، والانتصار يولد حالة من الزهو، ومن مضاعفات الزهو الانفعالات غير المنضبطة التي قد تؤدي إلى إزهاق في الأرواح واستخدام مفرط في القوة، مما يترك آثارًا غير ضرورية في المعركة. نحن لسنا أصحاب ثأر ولا نبحث عن التشفي، فنحن على وفق الفهم الإسلامي لا نقاتل للسطوة والهيمنة على الآخرين، بل نقاتل لإحقاق الحق، فالقوة يجب أن تُستخدم بقدر الضرورة وليس أكثر من ذلك، فاستخدام القوة المفرطة يخلف آثارًا ومردودات عكسية على خلاف ما أُريد بها.

السمة الثالثة / «وأفضلهم حلمًا»، قلنا إن القائد العسكري يجب أن يكون حليما، فالحلم والانضباط والسيطرة على المشاعر، تجعل القرارات العسكرية ناجحة وناجعة وقادرة على تحقيق الإنجاز العسكري الكبير.

السمة الرابعة / «ممن يبطئ عن الغضب»، من شروط القائد العسكري ألاّ يكون

سريع الغضب والانفعال، ما إن يرى مشهدا مروعا وهو في ساحة المعركة، كأنْ يجد أحد جنوده مقطّع الأوصال على يد الإرهاب والعدو، والعدو لا ذمة له ولا ضمير، ينفعل ويصدر قرارات وتعليمات ويستعمل قوة مفرطة قد لا يذهب ضحيتها العدو وحده، بل تطول أناسًا أبرياء في المنطقة التي يتواجد فيها العدو، فسرعة الغضب والانفعال إشكالية كبيرة، والقرار المنفعل قرار لا يتسم بالحكمة الكافية، لأن الإنسان في لحظات الانفعال غير قادر على أن يحكّم عقله ودرايته ويتخذ القرارات الصحيحة، لذلك يجب أن يُبطئ عن الغضب وأن يكون قادرًا على لجم مشاعره، وأن يحكّم عقله في قراراته العسكرية وليس انفعالاته التي تحصل نتيجة لموقف يراه أو كلمة نابية يسمعها من العدو، وأحيانًا يستفز العدو خصومه ليسحبهم إلى لحظات الانفعال، لكي يصدر منهم ما يسيء إليهم. هذه هي أهم السمات.

ذمُّ الغضب.. بحث روائي

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغضب شر إن أطعته دمّر»[١٨]، طاعة الغضب والانسياق وراء الانفعالات يؤديان إلى التدمير، لأن الغضب يدفع الإنسان لقرارات مرتجلة انفعالية، وهذه القرارات لا يمكن أن تتفق مع العقل والحكمة والمصلحة، وأي قرار بعيد عن المصلحة من قائد عسكري له امتدادات في جنوده، وله تأثير في إطلاق النار والصواريخ واستخدام السلاح والقوة، هذا القرار ستكون له آثار مدمرة.

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنكم إن أطعتم سورة الغضب أوردتكم نهاية العقب»[١٩]، العقب هو الفشل والانهيار والانكسار، فإذا أخذتكم حالة الغضب والانفعال، فهذا الغضب سيأخذ بكم إلى أشد حالات الانكسار والهزيمة، وسوف تُهزمون نتيجة تعاطيكم بطريقة غاضبة.

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أشرف المروءة ملك الغضب وإماتة الشهوة»[٢٠]، أشرف حالات المروءة للإنسان، أن يكون مهيمنا ومسيطرا على غضبه، فهو يتحكم بالغضب وليس العكس، وإماطة الشهوة، أي القضاء على النزوات المحرمة، فيترك النظرة المحرمة حتى لو كان فيها لذة، ويترك سماع ما هو محرم سماعه، حتى لو كان في الاستماع إليه لذة، فيمسك نفسه ويسيطر على النزوات والغرائز المحرمة.

١٨. مستدرك الوسائل ١٣: ١١.
١٩. مستدرك الوسائل ١٢: ١٢.
٢٠. عيون الحكم والمواعظ: ١١٢.

الغضب من جند إبليس

في الرسالة التاسعة والستين في نهج البلاغة، رسالة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الحارث الهمداني يقول ناصحا له: «واكظم الغيظ»، يا حارث اكظم غيظك، «وتجاوز عند المقدرة،»[٢١] حينما تكون مسؤولا وتقدر على أن تقتص من هذا الإنسان وأن تحرك الوسائل المتاحة للاقتصاص منه، مع هذه القدرة تقول له عفوت عنك، كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٢٢] و«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[٢٣]، فلم يقلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما كان في المهاجر والمنافي، بل قالها حينما عاد إلى مكة فاتحا، وحينما دخل بجيش جرار حتى أن أبا سفيان يقول لعلي بن أبي طالب إن ملك ابن عمك لعظيم، وبالطبع هو لم يعرف الأبعاد الرسالية لرسول الله، وإنما يراه ملكا وحكما وسطوة، وفي أشد حالات الاقتدار قال رسول الله اذهبوا فأنتم الطلقاء.

«واحلم عن الغضب»، تجاوز حالة الغضب، «واصفح مع الدولة» وحينما تأتيك الدنيا وتكون في مواضع الاقتدار، في هذه الحالات اصفح وتجاوز. بالتأكيد ليس هناك قصة نجاح ليس فيها منغصات، فالناجح علميا وعسكريا وسياسيا، والناجح مهنيا وعشائريا، أي نجاح، تقف بوجهه الكثير من المنغصات، ولكن هناك من يصل ويحمل معه جميع عُقد الماضي. كن كبيرا واصفح وتجاوز، «تكن لك العاقبة»، هذه السمات إذا وفرتها يا حارث فإن عاقبتك ستكون حسنة وستنجح وتتفوق وتتميز وتحقق ما تريد.

«واحذر الغضب»، هنا الشاهد، «فإنه جند عظيم من جند إبليس»، احذر الغضب لأنه من أهم أدوات إبليس، فلا تقع في هذا الفخ، ولا تحكّم انفعالاتك.

في الوصية السادسة والسبعين في «نهج البلاغة»، وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لعبد الله بن العباس حينما ولاه البصرة، يقول: «وإياك والغضب»، احذر الغضب يا عبد الله بن العباس، «فإنه طيرة من الشيطان»[٢٤]، الغضب خفة يوقعها الشيطان فيك، والإنسان المتزن مسيطر على انفعالاته، أما من يسيطر عليه الغضب، فهو يعاني هشاشة في الشخصية، وفتوة في التجربة.

٢١. نهج البلاغة ٣: ١٢٩ كتاب ٦٩.
٢٢. تأريخ الطبري ٢: ٣٣٧.
٢٣. تأريخ الطبري ٢: ٣٣١.
٢٤. نهج البلاغة ٣: ١٣٦ كتاب ٧٦.

هناك مرحلة في عمر الإنسان تسمى المراهقة، ما بين الطفولة والشباب، حين ينتقل من الطفولة إلى المراهقة فيقال أصبح مراهقًا، فلا هو شاب نتعامل معه بنضج الشباب، ولا هو طفل فنقول إنه طفل معذور، لذلك فإن أصعب مرحلة عمرية هي فترة المراهقة؛ إذ يرى نفسه كبيرًا وهو في الواقع ليس كذلك، فسلوكه سلوك الأطفال ولكنه يتقمص شخصية الكبار، وهذه المراهقة ليست بالعمر فقط، فأحيانًا يبلغ عمر الإنسان خمسين سنة، ولكنه حين يدخل معترك السياسة، يُعد مراهقًا سياسيًا، أو يدخل المؤسسة العسكرية وهو مراهق في الشؤون العسكرية، ويظن أنه يفهم الكثير وهو لا يفقه شيئًا، فهناك مراهق اجتماعيا، ومراهق في المهمة وفي المسؤولية التي يمارسها، فهو غير ناضج ولكنه يرى نفسه شيئًا كبيرًا، فقد يحصل أحدهم على ورقة توصية بتعيينه في المكان الفلاني، ويصدر الأمر الديواني بذلك، فيعتقد أنه عبقري لأنه حصل على هذه الورقة ويفقد اتزانه، والواقع أن هذه الورقة لم تزد في علمه وخبرته شيئًا، وبعضهم يحتاج إلى بضعة أشهر ليفهمماذا يعني الموقع الذي يشغله، فهذا مراهق في المهمة الموكلة إليه.

يعبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن حالة الغضب بالطيرة، وأنها طيرة وخفة من الشيطان تصيب الإنسان فيفقد اتزانه.

السمة الخامسة / «يستريح إلى العذر»، القائد العسكري يجب أن يكون متساهلا متسامحا، يبحث عن العذر، وينتظر في أي لحظة يصل الخصم إلى الإعياء فيرفع الراية البيضاء، ليقبلها مباشرة، فليس هدفه أن يزيد عدد القتلى، بل هدفه أن يحقق العدل والإنجاز، فمن أراد العودة إلى الصواب يفتح له الباب، ليرجع من غُرّر به حين يرى فرصة وخط رجعة، أما إذا لم تترك خط رجعة، فإن أي إنسان مهما كان جبانا ومهما كان على باطل وفاقدا للإرادة والهمة، إذا شعر بأنه ليس هناك خط رجعة فسوف يستبسل، فلا تعطه شرف القتال بشجاعة بقطع الطريق عليه، بل افتح له الطريق وأعطه مجالا وتساهل وتسامح معه.

الصفح سمة الكرام

الكريم هو الذي يقبل العذر ويصفح، كما قال الشاعر: (والعذر عند كرام الناس مقبول)، فإذا كان بين جنود القائد العسكري جندي يتغيب ويتأخر، وليس هناك إنسان كامل، فسبحان من لا نقص فيه، فيجب أن يقبل عذره ويعطيه فرصة لينطلق ويأخذ موقعه، ففي مواقع الإدارة والقيادة يجب أن يكون التسامح بالشكل الذي يجعل الجميع

يعيد حساباته وينضم إلى المشروع ويندفع نحوه، وهذا منهج إيجابي صحيح، وهو الحفاظ على الطاقات، فإن إنسانًا تبنيه خلال سنين، يجب ألاّ تخرجه لأنه أخطأ وتأتي ببديل، ومن هو الكامل ومن يستطيع أن يحقق كل ما تريد؟ فكل إنسان جعل الله فيه عناصر قوة وعناصر ضعف، فلنساعد الآخرين على أن يوسعوا من عناصر القوة في شخصيتهم، ويضيقوا من عناصر الضعف.

إذا اعتذر أحدهم واعتبر، فاقبل عذره وأعطه فرصة، لكي تستطيع أن تنفتح على مساحة واسعة من الناس، فالعمل لا يتقدم إلا بالجمع بين الحزم واللين، بين التساهل والتسامح من ناحية، والشدة في الأخطاء الأساسية والخطوط الحمراء وتجاوزها من ناحية أخرى، فتعجل التوبيخ والإدانة، وليس من الصحيح أن تصله العقوبة فورًا ما إن يرتكب خطأ، فهذا يجعل الإنسان يشعر بالعزة بالخطأ ويصر عليه، ويرى نفسه على صواب، فتفقده بذلك فرصة أن يلملم أوراقه ويعيد الانطلاق من جديد.

في «بحار الأنوار» عن الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تعاجل الذنب بالعقوبة»، ليس من الصحيح أن تعاقبه فورا عند ارتكاب الذنب، «واجعل بينهما للاعتذار طريقا»[٢٥]، دع فرصة للاعتذار، فإذا لم يندم ويتراجع ويعتذر فعاقبه، ولكن إذا اخطأ فأعطه فرصة لترى ما يفعل بشأن هذا الخطأ؛ هل أصبح مدمنًا على الخطأ؟ وهل أصبح غير مكترث بالخطأ والمعصية؟ وهل هناك حاجة لعقوبته؟.. فإذا أخطأ بشيء ويريد أن يرجع ويصحح، فأعطه فرصة للتصحيح.

التسامح أساس البناء الاجتماعي

إذا أردنا بناء علاقات مجتمعية وإنسانية صحيحة، فعلينا أن نبقي باب التسامح مفتوحًا دائمًا، لأن الإنسان يخطئ ويتوهم، وتحركه انطباعات معينة في لحظة ما، فيندفع باتجاهات غير صحيحة، فهذا بشر وفي تأريخ الإنسانية الشيء الكثير، ولا تتوهم أن الناس يرون من حقك ما تراه أنت، فتقبل اختلاف الناس معك، فهم بحاجة إلى وقت ليعرفوا حقك، وتجد أحدهم أحيانًا يهمس في إذنك ويقول لك: (أبرئني الذمة)، فما معنى هذا؟. إن هذا شخص أخطأ بحقك وكانت لديه صورة خاطئة عنك في لحظة ما، وتبين له أنه كان مخطئا فتراجع عن موقفه.

أنا شخصيًا كثيرًا ما تحدث عندي هذه الحالة، إذ يهمسون في إذني ويقولون لي أبرئنا

٢٥. بحار الأنوار ٧٥: ١١٣.

الذمة، ومن المؤكد أن كلًا منّا مرت عليه حالات من هذا النوع، وهذا يعني أن الكثير ممن يقفون موقفا تجاهك ليسوا مغرضين، بل مغرر بهم وحصل لديهم انطباع معين، فقدم له صورة تصحح انطباعاته عنك، وليس من الصحيح أن كل من اختلف معي فهو إمبريالي وعدو للإنسانية، فربما قد التبست عليه الأمور، وفي هذه القضية محق وفي تلك غير محق، ولكن لم تصل إليه الصورة، وبدل أن أتهمه وأخوّنه أوصل إليه الصورة الصحيحة ليرى الواقع كما هو، وعند ذلكإن كان مغرضًا وجاحدًا، فلن ينفع معه شيء، كما يقول تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢٦]، فهذا الشخص (قافل) كما نعبر بلغتنا الدارجة، أما الأساس فإن الناس ليسوا كذلك، وليسوا متصلبين ويبحثون عن الحقيقة، وعليك أن توصلهم إلى هذه الحقيقة.

في «غرر الحكم» عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أعظم الوزر منع قبول العذر»[٢٧]، يعني أن أعظم ذنب يرتكبه الإنسان أن يقطع الطريق على الاعتذار، فإن لم تعذره فاعلم أن خطأك أكبر من خطئه، لأن أعظم الوزر حينما لا تقبل عذر الآخر، فتجعله مُصرًا على الخطأ ومندفعًا نحوه، فأعطه فرصة وتسامح وتساهل معه. نسأل الله أن يجعلنا من المتسامحين، وللحديث صلة.

بيان المرجعية.. وثيقة للحق والتأريخ

أصدرت المرجعية العليا في الأسبوع المنصرم بيانًا تحت عنوان ((نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد))، إن هذا البيان يحتاج منا إلى وقفة متأنية في شكله ومضمونه، فالمرجعية العليا لديها وسائلها وقنواتها المعروفة التي من خلالها تقدم كل ما هو مفيد وموجه ومقوم للمجتمع والأمة، ولكن أن تقوم بإصدار بيان مفصل ومطول بهذا الشكل، فهو يعتبر وثيقة تأريخية أكثر مما هو بيان إرشادي وتوجيهي، ومن نعم الله علينا أن وهبنا هذه المرجعية التي كانت وما زالت وستبقى بوصلة المؤمنين، وصمام الأمان للوطن والمواطن، تنظر للحاضر وتوثق للمستقبل، كي تحفظ للتأريخ المواقف واضحة دون تشويه أو تحريف.

إن المرجعية التي دعت إلى الجهاد وحماية العقيدة والأمة والوطن، هي أيضًا من تحمي الجهاد والمجاهدين من أي تدليس أو تشويه أو انحراف، وفي هذه الظروف المقلقة والمتداخلة جاء البيان التأريخي للمرجعية، ليميز بين جهاد مزعوم منحرف وضال، وجهاد

٢٦. سورة التوبة: الآية ٨٠.
٢٧. غرر الحكم: ١٩٣ / ١٧٨.

مقدس يخضع بصرامة لضوابط الدين المحمدي الأصيل، فالإرهاب الأعمى اليوم يغتصب النساء ويسبي الحرائر ويستبيح الدماء بعنوان الجهاد، ويرتكب أبشع الآثام تحت غطاء ومسمى الخلافة الإسلامية، فجاء بيان المرجعية العليا كي يبين للأمة وللعالم أجمع معايير الجهاد المقدس الذي نتحدث عنه نحن، وما يميزه عن الجهاد المزعوم للقوى الإرهابية، كي لا تختلط المسميات في زحمة الأحداث.

مفهوم الجهاد وصفات المجاهدين

يبدأ بيان المرجعية بمخاطبة المقاتلين في جبهات القتال ضد المعتدين، فجهادهم المزعوم اعتداء، وجهادنا المقدس دفاع، وهذه هي المفصلية الأساسية بين جهادنا وجهاد الإرهاب المزعوم، وبعدها يستمر البيان على امتداد عشرين فقرة من التوضيح والشرح والتحديد، بما يرتقي إلى اعتباره وثيقة دولية إنسانية في تحديد وضبط آليات العمل العسكري وحماية المدنيين في ساحات القتال، ومنهجًا إسلاميًا أصيلًا في تحديد الإطار الشرعي للجهاد، استنادًا إلى النصوص الدينية في التعامل مع مختلف الحالات التي يتعرض لها المقاتلون في الجبهات، سواء كانت حالات أخلاقية أو ظروفًا نفسية واجتماعية وعسكرية.

ونرى في البيان أنه ركز على الجانب المعنوي؛ من الالتزام بالصلوات في أوقاتها، والإكثار من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم، بقوله: ((ولا يفوتنكم الاهتمام بصلواتكم المفروضة، وإن الصلاة لهي الأدب الذي يتأدب به الإنسان مع خالقه، والتحية التي يؤديها تجاهه، واستعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه، واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم إليه))، كما ركز البيان في جانب آخر على أهمية التحلي بالأخلاق الإسلامية الحميدة، حيث قال: (واحرصوا أعانكم الله على أن تعملوا بخُلق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعًا، حتى تكونوا للإسلام زينًا ولقيمه مَثَلًا). وعلى الجميع أن يَدَعوا العصبيات الذميمة ويتمسكوا بمكارم الأخلاق، فلا تغلِبَنَّكم الأفكار الضيقة والأنانيات الشخصية، وقد علمتم ما حلَّ بكم وبعامة المسلمين في سائر بلادهم، حتى أصبحت طاقاتهم وقُواهم وأموالهم وثرواتهم تُهدر في ضرب بعضهم البعض، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[٢٨]، أمّا وقد وقعت الفتنة فحاولوا إطفاءها وتجنّبوا إذكاءها، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٢٩].

٢٨. سورة الأنفال: الآية ٢٥.
٢٩. سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

كما سلط الضوء على فقرة تحدد الجهاد بآدابه وحدوده، سواء كان مع المسلمين أو مع غيرهم، فالدين المحمدي الأصيل هو دين الإنسانية جمعاء، ومنها ما روي عن الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا صبيًّا ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرًا إلاّ أن تضطرّوا إليها»[٣٠]، الأمر الذي يجعل الإنسان والحيوان والطبيعة والبيئة كلها محمية في مفهوم الجهاد الحقيقي. هذه هي أخلاق الإسلام الأصيل، وهذا هو جهاده، أما جهاد الإرهاب والانحراف والفكر المسموم، فهو جهاد مزعوم يتلذذ بحرق الأسرى وهم أحياء، واغتصاب النساء، وتسميم الأنهر، وجلد الأطفال وقتلهم.

الفرق بين الجهاد المقدس والإرهاب

ويؤكد البيان على حرمة قتل النفس البشرية أو التعرض للأموال والممتلكات بغير ما أحلّ الله تعالى، فيقول: ((الله الله في النفوس، فلا يُستحلَنّ التعرّض لها بغير ما أحلّه الله تعالى في حال من الأحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة. الله الله في حرمات عامة الناس ممن لم يقاتلوكم، لا سيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم. الله الله في أموال الناس، فإنه لا يحلُ مال أمرئ مسلم لغيره إلا بطيب نفسه. الله الله في الحرمات كلها، فإياكم والتعرض لها أو انتهاكَ شيء منها بلسان أو يد، واحذروا أخذ أمرئ بذنب غيره، ولا تمنعوا قومًا من حقوقهم وإن أبغضوكم ما لم يقاتلوكم))، وبهذا تؤكدً المرجعية العليا أن عدوكم هو من يحمل السلاح من الإرهابيين ويروم قتلكم.

ويؤشر البيان إلى بعض التفاصيل العملية التي قد تلتبس فيها الأمور، ويقول: ((فإن وجدتم حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة بكم، فقدّموا التحذير بالقول أو بالرمي الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدّي إلى الهلاك، معذرةً إلى ربّكم واحتياطًا على النفوس البريئة))، هذا هو جهادنا، وهذا هو ديننا، وهذه هي عقيدتنا، وعلى العالَم الذي يدّعي التحضر أن يميّز جيدا بين جهاد الانحراف الإرهابي، وجهاد الإسلام المحمدي، وبين جهاد الطلقاء وجهاد الأصلاء.

ويستمر البيان في توثيق الحدود الشرعية لجهادنا ضد الهجمة الإرهابية المنحرفة، فيقول: ((الله الله في اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرماتهم))، «واعلموا

٣٠. الكافي ٥: ٢٧ ح١.

أنّ من شهد الشهادتين كان مسلمًا يُعصم دمُه ومالُه، وإن وقع في بعض الضلالة وارتكب بعض البدعة». أين هذا الفكر الإنساني الإسلامي الراقي من فكر التكفير المنحرف؟!.

إن جوهر المشكلة ليس في القاعدة أو داعش أو بوكو حرام أو التسميات الأخرى التي يطلقونها هنا أو هناك، بل هو في الفكر المنحرف والتكفيري المتشدد، الذي يخلق البيئة الملوثة التي تساعد على نمو الإرهاب باسم الدين والعقيدة.

الدعوة للتسامح والعدل

وينتقل البيان إلى إشاعة روح التسامح بقوله: «واعلموا أن أكثر من يقاتلكم إنما وقع في الشبهة بتضليل آخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضلين بما يوجب قوة الشبهة في أذهان الناس حتى ينقلبوا أنصارًا لهم، بل ادرؤوها بحسن تصرفكم ونصحكم وأخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان»، ليفتح نافذة للتعامل حتى مع المغرر بهم وإعادتهم إلى الصف الوطني وإلى صفوف الشعب، وعدم خسارتهم بسبب ما التبس عليهم من أمور في لحظة ما.

ويؤكد البيان في مقطع آخر أن الجرائم الوحشية التي ارتكبها الإرهاب الداعشي، لا تُواجه باعتداء مقابل وظلم في معاملة الناس والمناطق التي يتواجد فيها الداعشيون، بقوله: ((ولا يظنّنَّ أحدٌ في الجور علاجًا لما لا يتعالج بالعدل، فإنَ ذلك ينشأ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة إليها، من غير انتباه إلى عواقب الأمور ونتائجها في الأمد المتوسط والبعيد، ولا اطلاع على سنن الحياة وتأريخ الأمم؛ حيث ينبه ذلك على عظيم ما يخلّفه الظلم من شحنٍ للنفوس ومشاعر العداء مما يهد المجتمع هدًا))، وهكذا الإشارات المهمة في سائر فقَراته.

ضرورة ترجمة البيان

إن هذا البيان لا يخص المقاتلين وحدهم، بل يعنينا جميعًا، وعلى كل مسلم وكل عراقي أن يطلع عليه ويتعمق فيه ويعمل به، فهو وثيقتنا أمام التأريخ في لحظة تأريخية مضطربة توقدت فيها الفتنة، ومن المهم أن يُترجم هذا البيان إلى جميع اللغات الحية، كي يعرف العالم أننا في زمن القتل على الهوية نلتزم بتعاليم رسولنا الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن أتباع أهل البيت لا يقاتلون انتقاما أو تشفيًا، ولا يحرقون أسراهم ولا يقتلون الناس على الهوية كما صنع أدعياء الجهاد الداعشي في سبايكر وبادوش ومواقع كثيرة أخرى.

إن الفكر المنحرف ما بات مجرد اجتهاد خاطئ في طيات الكتب، بل تحول إلى ثقافة منحرفة تنتشر وتنمو وتسبب ضياع الأمة وهلاك أبنائها في الخندقين؛ خندق من غُرر بهم، وخندق المدافعين عن كرامتها. علينا جميعًا أن نتمسك ببيان المرجعية العليا، ونجعل منه نقطة انطلاق نحو مواجهة جديدة وحاسمة مع الإرهاب والانحراف، والتأكيد على هويتنا الإسلامية وأخلاقنا المحمدية الأصيلة.

النفخ في رماد الفتنة

في موضوع متصل، حدث اختراق أمني كبير في الأسبوع المنصرم، تمثل باغتيال الشيخ قاسم الجنابي وابن أخيه وحمايته ومرافقيه، وهو عمل شائن ومدان ومكشوف الغايات؛ إذ يرمي إلى تعميق الفتنة الطائفية ونشرها على أكبر مساحة ممكنة من مساحة الوطن، وإننا إذ نستنكر هذه الجريمة النكراء بأشد العبارات، ونحمّل الجهات الأمنية المعنية مسؤولية الكشف عن الجناة بأسرع وقت، فإننا ندعو جميع الإخوة الشركاء إلى عدم التسرع في إطلاق الاتهامات، وتوجيه أصابع الاتهام نحو مكون محدد من مكونات الشعب العراقي، وقد كان معيبًا للغاية ما انتشر في بعض المقاطع الصوتية من كلمات طائفية غير مسؤولة تفوّه بها البعض.

إننا ننتفض لاغتيال الشيعي والسني على السواء، لأننا نؤمن بأن الشعب العراقي مستهدَف بجميع مكوناته؛ بسُنته وشيعته وبعربه وكرده وتركمانه وشبكه، بمسيحييه وصابئته وإيزيديته، والغاية من اغتيال الشيخ (قاسم الجنابي) هي أن يكون اغتياله سببًا لتبادل الاتهامات وإثارة النعرات الطائفية، وعليه أوصي الجميع بألاّ يشاركوا القتلة في جريمتهم ويساعدوهم على تحقيق مآربهم بقصد أو بدون قصد، ويجب أن نضرب بيد

من حديد على يد كل من تسول له نفسه التلاعب بدماء العراقيين ومستقبلهم ووحدتهم، كما أوجه ندائي إلى الإخوة في الأجهزة الأمنية، فالظروف الحرجة التي يمر بها الوطن تحتم عليهم أن يكونوا أكثر يقظة وحذرًا وحرصًا وكفاءةً وتنسيقًا في ما بينهم، للحد من حدوث خروقات بهذا المستوى الكبير من التجاوز على الدولة ومؤسساتها، وإن صبر العراقيين قد نفد والكيل قد طفح، وما زلنا نستمع إلى نفس المبررات غير المقنعة من بعض القادة العسكريين.

الإرهاب سرطان يهدد الجميع

وفي محور آخر من محاور الإرهاب والاضطراب الأمني، تابعنا في الأسبوع المنصرم ظهور ما يسمى (داعش) في سيناء المصرية، واعتداءهم على عدد من المواطنين المصريين الأقباط على الأراضي الليبية، وهو تطور متوقع من قبلنا على الرغم من أنه فاجأ البعض، فقد نبهنا أكثر من مرة ومن هذا المنبر، على أن الإرهاب ليس حالة خاصة في الجغرافيا العراقية، بل هو غدة سرطانية خبيثة لا توجد أي ضوابط لمنع انتشارها، وقلنا إنه لا يمكن لأي دولة إقليمية أن تنأى بنفسها عنه، وإنما هي مسألة وقت، والآن أعيد وأؤكد أن كل الدول العربية والإسلامية معرضة بقوة للدخول إلى نادي الفوضى!.

إن الإرهاب لم يعد حالة محددة بتنظيم أو مساحة معينة أو مهتمًا بقضية محددة، بل أصبح اليوم ثقافة، وهي ثقافة سريعة الانتشار، لا سيّما أن منافذ الفكر المنحرف ما زالت مفتوحة، وهي تغذي الإرهاب بالتسويغات والفتاوى المنحرفة التي تمنحه الغطاء الشرعي والديني الذي يحتاج إليه، ولا يمكن الانتصار على الإرهاب بالوسائل العسكرية والأمنية فحسب، بل يجب أن تتم مواجهته فكريا وثقافيا وجماهيريًا، ويجب أن تكون المعركة ضد الإرهاب شاملة ومتعددة الجبهات.

لقد ظن البعض أن داعش جاءت لكي تقتل الشيعة وحدهم، بناء على أدبياتها وشعاراتها، ولكن تبين اليوم أنها باتت تقتل الشيعة والسنة، وأعلنها اليوم من هذا المنبر؛ أن داعش ستقتل من أهلنا السنة أضعاف ما ستقتل من الشيعة أو الأديان الأخرى، وأنها ستتحول إلى السرطان الخبيث الذي يعيث فسادًا في أكثر من دولة عربية وإقليمية، اللهمّ إني قد بلغت، اللهم فاشهد، ولذلك علينا أن نوحد جهودنا بمواجهة الإرهاب من الموصل إلى بنغازي، فداعش وصمة عار على جبين الأمة التي سمحت لأصحاب الفكر المنحرف فيها بإصدار أفكارهم المسمومة، لينتج عنها داعش وأخواتها.

ازدواجية المعايير

وردتنا أنباء عن قتل عائلة مسلمة في الولايات المتحدة، وأن دوافع القتل كانت عنصرية، أي قُتلوا لأنهم مسلمون، وحقيقة أن ردة الفعل العالمية كانت بائسة ومعيبة، فلم نسمع أصوات الاستنكار تعلو، ولم نر مسيرات عالمية تُحشد، ولو كان القاتل مسلمًا والعائلة من ديانة أخرى، فلكم أن تتصوروا ماذا ستكون ردة الفعل، حتى أن الرئيس الأمريكي تأخر عدة أيام كي يصدر استنكارًا لاغتيال عائلة كاملة من مواطني الولايات المتحدة، فهل هناك عنوان أوضح لمفهوم ازدواجية المعايير؟ وهل هناك عنوان أوضح لمفهوم الارتباك العالمي في تعريف الإرهاب؟.

إن التوجه العالمي يصنف القاتل إذا كان أسود بأنه سارق، وإذا كان مسلمًا بأنه إرهابي، أما إذا كان من ديانة أخرى، فهو دفاع عن النفس!. إن الإرهاب واحد، لأنه دائمًا ينشأ من فكر منحرف، سواء كان حامل هذا الفكر مسلمًا أو مسيحيًا أو يهوديًا، والفكر المنحرف ينتج إرهابًا وإرهابيين، فلماذا هذه الازدواجية في المعايير؟ ولماذا هذا السلوك الدولي المعيب والمحبط في نفس الوقت. عائلة مسالمة تُقتل لا لشيء إلا لأنها مسلمة، على يد شخص إرهابي متطرف باسم المسيحية والدفاع عن السيد المسيح، ليستبيح دماء الأبرياء، فهل نجد من يتهم المسيحية بالإرهاب كما يُتهم الإسلام من البعض؟!. إن ازدواجية المعايير والتعامل الانتقائي مع القيم، جزء من الفكر المنحرف، وجزء من العوامل المساعدة على نمو الإرهاب.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٥/٣/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا خلال الأسابيع الماضية في النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر، يمثل اختزالا لهذه النظرية، وانتهينا في شرح هذا العهد إلى المقطع السابع عشر الذي يتحدث فيه الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ عن المعايير والسمات المطلوبة في القادة العسكريين.

((فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِه ولإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ممّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ وَيَرْأَفُ بالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ. ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصّالِحَةِ، وَالسّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمّ أَهْلِ النّجْدَةِ وَالشّجَاعَةِ، وَالسّخَاءِ وَالسّمَاحَةِ، فَإِنّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ))

صفات القادة العسكريين

هناك صفات مهنية وصفات عامة، ترتبط بالبعد القيادي في شخصية القائد العسكري، والجانب المهني هو ما يتصل بالكفاءة واللياقة البدنية والخبرة العسكرية والقدرة على القيادة ورسم الخطط الناجحة وإدارة العمليات العسكرية، إلى غير ذلك

من السمات المعروفة، ولكن ما يميز الرؤية الإسلامية أنها لا تعتبر الشخص جديرًا بالتصدي لقيادة عسكرية ـ وبالطبع تنطبق هذه السمات على مجمل المتصدين للإدارة والقيادة من غير العسكريين ـ لاتصافه بالكفاءة فقط، بل هناك سمات ترتبط بشخصية هذا القائد تساعده على تحقيق النجاح في الإدارة، واستعرضنا خمس سمات منها، كما ذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العهد.

السمة السادسة / «ويرأف بالضعفاء»، أن يكون ليّنا رؤوفا مع الضعيف، الذي لا يملك واسطة ولا يملك حزبًا وجماعة تحميه، وليس لديه معارف أو مال يغري به أولئك الذين لديهم صوت مسموع وقوي.

رحمة الناس تستنزل الرحمة الإلهية

القائد الناجح بحسب الرؤية الإسلامية هو من يحمي هؤلاء ويهتم بهم، فهذا الاهتمام بالضعفاء وهموم الناس من قبل القائد والمسؤول في أي موقع، يوجد حالة من التقارب والتكامل والثقة المتبادلة بينه وبين المواطنين، وستثق به الناس وتحبه وتقدره وتتمسك به، فتُبنى علاقة فيها وئام ومحبة وثقة بين المسؤول والرعية، وبين القائد العسكري والجنود الذين يقعون تحت أمرته، وهذه العلاقة تحرك الأمور وتدعوهم إلى الانضباط أكثر بألف مرة من علاقة السطوة والخوف والرعب والقلق.

اجعل الناس تحبك يا مسؤول لتلتزم بتعليماتك وتفديك بأرواحها، لأنها وجدت فيك المصداقية والرأفة، ووجدت فيك التسامح والحرص على معالجة همومهم وقضاياهم، فالناس تبادل المسؤول المشاعر، فحين يحب ناسه ومن يقع تحت مسؤوليته ويحترمهم ويقدرهم، فإن أولئك الناس سيبادلونه المشاعر بنفس الاتجاه، فتُخلق علاقة محبة ووئام وتسامح وتساهل وثقة، وليست علاقة تسلط وهيمنة.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في (غرر الحكم): «رحمة الضعفاء تستنزل الرحمة»[٣١]، الرحمة الإلهية تُستنزل حينما ترحم الرعية وتهتم بهم. وفي رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أبلغ ما تستدر به الرحمة أن تضمر لجميع الناس الرحمة»[٣٢]، أفضل طريقة تُستنزل بها الرحمة الإلهية، أن تضمر في قرارة نفسك الرحمة والشفقة تجاه الآخرين وتتعاطى معهم من الناحية الواقعية على أساس ذلك، وإذا تعاملت بهذه الطريقة فإن الله

٣١. غرر الحكم: ٣٨٨ / ٣٢.
٣٢. غرر الحكم: ٢١٦ / ٥٢٨.

(سبحانه وتعالى) هو العليم بما في الصدور، ويعلم نيتك وانطباعاتك وقناعاتك، فإذا وجد منك الرحمة تجاه الناس، فإنه سينزل رحمته عليك أيضًا.

في الخطبة السابعة والعشرين من نهج البلاغة، يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الحدث المعروف الذي وقع في حينها، وهو هجوم الغامدي على محافظة الأنبار، إذ هجموا واعتدوا وسبوا.

يقول علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه الخطبة: «ولقد بلغني»، يصف الحالة التي وصلت إليه في هذه الغارة التي نفذها الغامدي وجيشه المعتدي على أهل الأنبار، «ولقد بلغني أن الرجل منهم (جيش الغامدي) كان يدخل على المرأة المسلمة (يفتح الباب ويدخل على النساء) والأخرى المعاهدة (غير المسلمات من أهل الذمة، اللاتي يتعايشن مع المسلمين)، فينتزع حجلها (يأخذ حجلها من رجلها)، وقلبها (سوارها من يدها) وقلائدها وَرعاثَهَا (الأقراط)، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام»، ماذا تفعل المرأة الضعيفة أمام الجنود الذين يأخذون زينتها بالقوة والقهر، فليس لها طريق إلا الاسترجاع، أي أن تقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، والاسترحام، أي تطلب منهم الرحمة عسى ألاّ يأخذوها.

بعد أن يصف ما جرى في هذه الواقعة على أهل الأنبار، يقول علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فلو أن امرأً مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا ما كان به ملومًا»، لو أن أحدًا مات بعد ما حدث أسفًا لم يكن ملومًا، فهو يرى العدو يدخل على المسلمة أو المعاهدة وينتزع حجلها أو سوارها بالقوة، وهي تسترحم من لا يرحمون، «بل كان به عندي جديرًا»[٣٣]، لا أكتفي بعدم لومه، بل أعذره، لأن ذلك معناه أن عنده مشاعر ويحمل هموم الناس، ولا يصبر على هذه المحنة.

سيدي يا أمير المؤمنين، إذا كان الرجل يدخل فينتزع سوارًا أو حجلًا أو ما إلى ذلك من زينة المرأة المسلمة أو غير المسلمة، وحريٌّ بنا أن نموت أسفا على ذلك، فأين أنت يا أمير المؤمنين ممن يعتدون على حرائرنا في مناطق من البلاد، ويسبون نساءنا ويعتدون عليهن، ويقتلون أطفالنا ويذبحون رجالنا كما يُذبح الكبش بالسكين، ويفجرون بيوت أهلنا في هذه المناطق، فماذا علينا أن نصنع إزاء ما يحدث الآن، إذا كان حريًا بالإنسان أن يموت أسفًا على انتزاع الزينة؟.

٣٣. نهج البلاغة ١: ٦٨ الخطبة ٢٧.

إن علاقة الشفقة والرحمة والشعور بالمسؤولية والحرص على الناس، هي العلاقة الإسلامية بين المسؤول أو القائد، وبين الرعية.

إنصاف الضعيف من القوي

السمة السابعة / «وينبو على الأقوياء»، بقدر ما يتواضع المسؤول للضعفاء ويرحمهم ويرأف بهم ويحل مشاكلهم ويحمل همومهم، عليه أن يكون شديدا على الأقوياء، أولئك الذين يستقوون بالمال أو السلطة أو الوجاهة أو حزب أو جماعة، ويخرقون القانون ويعتدون على الناس استنادا إلى قوة مسؤولهم، وعلى القائد أن يردعهم، فهم من يستغل السلطة والنفوذ لمآربه ومصالحه الخاصة على حساب مصالح الناس، فالمسؤول أو القائد عليه أن يكون شديدا ولا يرضخ لابتزازهم وأن يواجههم. هذا هو التوازن في الشخصية القيادية على وفق رؤية الإسلام.

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما قُدست أمة لم يُؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير متعتع»[٣٤]، أي غير منقوص، والأمة التي يضيع فيها حق الفقير وتعجز عن أن تأخذ له حقه كاملًا من دون نقص، هذه الأمة لا تستحق القداسة، فالأمة المقدسة هي تلك الأمة القادرة على أن تأخذ حق الضعيف بالكمال والتمام من القوي وتعيده للضعيف، فالضعيف لا يسير مطأطِئ الرأس، بل هو مرفوع الرأس وقوي بقوة الحق الذي معه، وليس قوة السطوة والقدرة والهيمنة، فهو قوي لأنه صاحب حق. والأمة التي تعطي حق الضعيف وتأخذه من القوي، هذه الأمة تستحق القداسة.

في الخطبة السابعة والثلاثين من نهج البلاغة يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»[٣٥]، هذا هو المنهج والسمات القيادية في رؤية الإسلام، فحينما تكون في مواقع القيادة وتتسم بهذه السمة المهمة، فلا أحد يطمع أو يسمح لنفسه بتجاوز الحدود، ومهما كانت له من وجاهة لا يجرؤ على الإساءة إلى الناس والاعتداء على ممتلكاتهم.

سعة الصدر سمة الأقوياء

السمة الثامنة / «ممن لا يثيره العنف»، لا يندفع إلى المواقف المتشددة، فأحيانًا يسعى الخصم لجرّك إلى الانفعال، فيشتمك ويخرج في الفضائيات وينال منك، ويريدك

٣٤. الكافي ٥: ٥٦ ح٢.
٣٥. نهج البلاغة ١: ٨٩ الخطبة ٣٧.

أن تتكلم أيضًا وترد عليه بنفس النبرة، ليحدث «عراك ديكة» ويضيع الحق في الصراخ والضجيج، فهذا يصرخ وذاك يصرخ، فيقال تعبنا من السياسيين وعراكهم المستمر، وتكثر الأقوال من هنا وهناك، حتى تنتهي إلى ظهور انطباع بأنهم جميعًا (حرامية) ولا يستحون، وهذه الـ (كلهم) هي هدفه، فهو ليس طامعا بثقة الناس، بل يريد أن يسقط الثقة بالصلحاء ومن يستحق الثقة، وإذا أسقط ثقتهم بالناس وثقة الناس بهم فقد حقق ما يريد، والناس تسبه على كل حال وتعرف أنه عدو، فهو لا يخسر شيئا، ولكنه يعمل على اختلاق المشاكل والشجار.

إن إجابة المتشددين بصوت متشدد، والرد على الشتيمة بالشتيمة، ربما يدفعان الناس في لحظتها إلى التصفيق له ووصفه بأنه قوي، وتجد البعض يقول: لماذا الانبطاح؟ نحن لسنا ضعافًا، ويجب الرد عليهم.. وهكذا يجرون المسؤول إلى الرد، ولكن الحصيلة أن الذين شجعوه أنفسهم يرون الصورة العامة أنها كلها ضجيج وتخوين كل طرف للطرف الثاني، فتهتز الثقة بالجميع، وحينها يربح العدو، ويكون الخاسر هو القوى الوطنية التي تحمل همّ الوطن، ويخسر صاحب المشروع الذي يخدم الناس حينما تحصل أزمة الثقة والفجوة بينه وبين الناس. فالمطلوب هو سعة الصدر والقدرة على تحمل المنغصات وإساءات الأعداء.

لاحظوا كيف كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يتعامل مع الكلمات الجارحة في النهروان، حيث قاتل الخوارج، والخوارج هم (داعش) ذلك الزمان ويحملون نفس سمات الدواعش، فهؤلاء خارجيون تماما، فإن ظاهرهم حق وعبادة وبكاء ودفاع عن الدين والمبادئ، وهذا الظاهر مغر جدا، ولكن واقعهم قراءة مغلوطة للدين وفهم خاطئ ونظرة ظلامية، فيسيئون للدين ولأنفسهم بهذا التعنت وهذا الفهم المعوج، وهذه هي ظاهرة الخوارج، فحينما قاتلهم جاءت نساء أولئك المقتولين وأخذن يشتمن عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يرد عليهن، بل أوصى أصحابه بألاّ يخرجوا من طورهم وأن يضبطوا أنفسهم ولا يردوا عليهن، حتى لو كانت هذه زوجة عدو قاتلناه للتو. هكذا تعاطى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ معهن.

أحيانًا يتطلب الأمر الإهمال وأحيانًا يتطلب التأجيل، فهي لحظة انفعال ولا يجب الرد عليها، فأنت إذا أجبته بمثله فقد استدرجك إلى صراع لا أحد يستفيد منه، وإذا أردت أن تفهمه شيئًا فإن الصخب سيمنعك، فدع الأمور تبرد قليلا حتى يأتي وقتها واصبر وتحمل، وبهذه الطريقة تفكك الموقف، وتحافظ على تماسك الأمة بالاتجاه الصحيح، فلا تضيع البوصلة واتجاهها، فكم تحمّل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولئك

الخوارج، إذ كانوا يسيئون إليه ويشتمونه ويقاطعونه في خطبه ويقاطعونه في صلاته، فيتحمّل ويصبر ولا يرد عليهم.

في إحدى المرات كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخطب، فقام أحدهم وقال كلمة الخوارج الشهيرة: «لا حكم إلا لله» ـ ومن قال إن الحكم ليس لله؟ إنها كلمة حق يُراد بها باطل، وهل كان علي يحكم بغير حكم الله؟ ـ فسكت علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ احتراما وأراد أن يواصل، فقام شخص آخر وقال: «لا حكم إلا لله»، فسكت أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحين أراد أن يبدأ قام آخر وآخر، إذ كانوا متوزعين في المسجد، وكلٌ يقوم من مكانه ويقول: «لا حكم إلا لله»، ليقاطعوا عليًا ولا يسمحوا له بالتركيز ويشتتوا أنظار الناس ولا يعطوا الفرصة لعلي ليخطب، ولكنه لم يقل أمسكوهم وضعوهم في السجن، بل قال: «حكم الله أنتظر فيكم»[٣٦]، أنا قادر على أن أفعل ما أفعل بكم، ولكني انتظر حكم الله، فإن قولكم هو «كلمة حق يُلتمس بها باطل» هذه لقلقة لسان لا تعرفون معناها، وتوظفونها توظيفًا خاطئًا وتستخدمونها في غير محلها.

«أما إن لكم عندنا يا معشر الخوارج ثلاثًا»، لكم علينا ثلاثة حقوق، «لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه»، لن نمنعكم من دخول المساجد، «ولا نمنعكم الفيء»، إيرادات الدولة، «ما دامت أيديكم مع أيدينا»، ما دمتم تقاتلون معنا أعداءنا المشتركين، فبحكم هذا القتال المشترك تحظون بحقوق المواطنة، «ولن نقاتلكم حتى تبدؤونا»[٣٧]، لا نبدؤكم بقتال حتى تقطعوا الطريق وتشهروا السلاح، فحينها سنقاتلكم، وهذا ما حصل، فقد تحملهم طويلا إلى معركة النهروان، حينما قطعوا الطريق وحملوا السلاح وأربكوا الأمن، حينئذ جيّش علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الجيوش وقاتلهم وهو يقول: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه»[٣٨]، هم يفهمون الأمور فهما مغلوطًا ومغرر بهم، وقاتلناهم لأنهم حملوا السلاح، فلا تقاتلوهم بعدي إذا رموا السلاح.

وفي حادثة أخرى، كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يصلي صلاة الصبح في المسجد، وإذا بابن الكواء، وهو من الخوارج، يقاطعه من الخلف في أثناء الصلاة ويقرأ بصوت عال من سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

٣٦. نهج البلاغة ١: ٩١ الخطبة ٤٠.
٣٧. نهج السعادة ٢: ٣٤٢. الإيضاح لابن شاذان: ٤٧٤.
٣٨. نهج البلاغة ١: ١٠٨ الخطبة ٦١.

مِنَ الخاسرين﴾[٣٩]، وكان يحاول أن يطبق الآية على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ويتهمه بالشرك، وبأنه من الخاسرين، وحينما كان يقرأ الآية بصوت مرتفع من الخلف، كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يصمت احتراما لتلاوة القرآن، وحين ينتهي يواصل الصلاة، فيعيد الكرة فيسكت أمير المؤمنين احترامًا، مرة بعد أخرى، حتى أجابه أمير المؤمنين في أثناء الصلاة بتلاوته الآية الشريفة من سورة الروم، ونعرف أن تلاوة القرآن لا تبطل الصلاة، وذكر الله لا يبطل الصلاة، بل تبطل الصلاة بغير ذكر الله، أما التلاوة في أثناء الصلاة فلا تبطلها: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[٤٠] يعني لست أنا المشرك بل الصابر، وسيأتي وعد الله قريبا، فصمت ابن الكواء واستمر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في أداء صلاته[٤١].

انتصارات الحشد والتحدي الجغرافي

شهدنا في الأيام الماضية انتصارات كبرى في معركتنا ضد الإرهاب، إن المعارك التي يخوضها الحشد الشعبي الآن مع الجيش والشرطة الاتحادية وأبناء العشائر الكريمة وانضمام البيشمركة مؤخرًا، تمتد على مساحة جغرافية شاسعة، والمناطق التي يراد تحريرها في هذه العملية تصل إلى ستة آلاف كيلو متر مربع، وإن هذه المساحة الكبيرة تمثل تحديًا آخر من تحديات المعركة، ولكن قيادة الحشد الشعبي ولله الحمد تتعامل مع هذا التحدي بجدية وحكمة. إنها حرب شوارع وتطهير مناطق ومسك الأرض، وهي ليست حربًا عسكرية بين جيشين حيث تكون خطوط النار واضحة ومحددة.

إننا نخوض معركة صعبة من الناحية الجغرافية والديموغرافية، حيث المساحات الشاسعة والتداخل الكبير بين المدنيين والمسلحين، وحساسية القتال في الأحياء السكنية والشوارع وتطهير القرى المحيطة بالمدن، وتأمين خطوط الإمداد بين القطعات المختلفة.

في بداية المعارك كانت هناك شكوك كبيرة في قدرة قوات الحشد الشعبي على التعامل مع الانتشار الجغرافي المعقد للمسلحين وفي تطهير هذه المساحات الشاسعة، ولكننا اليوم نجد أن القدرات اللوجستية والتعبوية قد تطورت بشكل كبير وأصبحت قوات الحشد قادرة على تحرير وتطهير مناطق واسعة من الأرض في مدة زمنية قصيرة وقياسية. . .

٣٩. سورة الزمر: الآية ٦٥.
٤٠. سورة الروم: الآية ٦٠.
٤١. بحار الأنوار ٣٣: ٣٤٤ ح٥٨٧.

إننا بحاجة إلى حشد سياسي وإعلامي وجماهيري يوازي الحشد العسكري لمواجهة داعش، لأن تحقيق الانتصار يتطلب تكامل الأدوار، وما زال البعض يتعامل بطريقة خجولة في الدعم والإسناد، في وقت لم يعد فيه مجال للوقوف على الحياد وفي المنتصف.

إن دماء شهدائنا وجرحانا ليست رخيصة لتُستهدف تضحياتهم، عبر محاولات تضليل الرأي العام ونشر الأخبار المفبركة والكاذبة، للتأثير في سكان المناطق المغتصبة وشحنهم طائفيًا، في حين قدم هؤلاء الأبطال لتحرير وطنهم وحماية أهلهم من القاطنين في هذه المناطق وصيانة أعراضهم وأموالهم، وبعد تحرير المناطق وتطهيرها وإعادة النازحين إليها يكونون قد حققوا مهمتهم الشرعية والوطنية والإنسانية.

دور العشائر في المناطق المغتصبة

من الضروري التركيز على دور العشائر في المناطق المغتصبة في عملية تحريرها، مع تقديم الدعم والمساعدة من قوات الحشد الشعبي والقوات العسكرية الأخرى، لأن أهل المناطق المغتصبة يعرفون جيدًا الطبيعة الجغرافية لمناطقهم، ويميزون بين أبنائهم المدنيين، وبين المسلحين الإرهابيين المندسين معهم، ويدركون جيدا حجم الدمار والوحشية التي مارسها الدواعش ضد أهلهم وذويهم.

إن تلاحم العشائر العراقية الأصيلة في هذه المرحلة الحساسة من تأريخ وطننا، يعبّر عن أصالتها وموقفها الحقيقي والصادق في حربها ضد الإرهاب الأسود، الذي يعيث فسادا في مناطقها وعقول بعض أبنائها المغرر بهم.

إنها فرصة ثمينة لإثبات صدق ووطنية وعراقية الكثيرين، الذين لم تتوفّر لهم الفرصة من قبل ليعبروا عن موقفهم تجاه الإرهاب بالأفعال لا بالأقوال.

كما نشدد دائمًا على أبنائنا في الحشد الشعبي، بأن يحافظوا على أرواح المدنيين وممتلكات المواطنين، ويتجنبوا الدخول في اشتباكات في المناطق المكتظة بالسكان قدر الإمكان.

إن الإرهاب الداعشي ليس لديه ما يخسره، وهو يتجه نحو الهزيمة، ويعمل من أجل نشر ثقافة الموت والدمار، بينما نحن كعراقيين، بجميع أعراقنا ومذاهبنا وأديانا، نمتلك الكثير الذي يجب أن نحافظ عليه، وأوله أرواح أبنائنا المواطنين والمقاتلين في الحشد والقوات المسلحة الأخرى، وبمنح دور فعال لأبناء المناطق المغتصبة في

عملية تحرير مناطقهم، فإننا نحمي الكثير من الأرواح، ونحقق تفوقًا نوعيًا على العدو، ونرسخ مبدأ العدو الواحد المشترك.

دور التحالف الدولي

يتساءل البعض عن تقويمنا لدور التحالف الدولي في الحرب على الإرهاب في العراق، وجوابنا هو أننا لا نشعر بالجدية والفاعلية الكافية والمطلوبة للتحالف الدولي، مقارنة بالهجمة الشرسة البربرية التي يتعرض لها العراق والعراقيون من قبل الإرهاب.

إن هؤلاء الإرهابيين أثبتوا بما لا يدع مجالًا للشك أنهم ضد التأريخ والحضارة والإنسانية، فهم يدمرون الآثار بعد سرقتها، وهناك آلاف الضحايا الأبرياء الذين سقطوا منذ بداية هذه الهجمة البربرية، وملايين النازحين، ومئات القرى وعشرات البلدات المدمرة، ومع كل هذا فإن التحالف الدولي يتعامل مع الأحداث وكأنه نزاع عسكري مسلح يخضع لقواعد الاشتباك وعامل الوقت.

عشرات الدول أعلنت انضمامها إلى التحالف الدولي ضد الإرهاب، ولكن من المؤسف أن تكون مشاركتها شبه رمزية، وكأننا في استعراض عسكري، ولسنا في مواجهة أبشع تنظيم إرهابي عرفه التأريخ. إنهم يتحدثون عن جداول زمنية مخجلة لا تتلاءم والقدرات العسكرية الهائلة لهذه الدول المشاركة في التحالف.

إن الإرهاب يستخف كل يوم بالتحالف الدولي، ويرد على عملياته الجوية بالمزيد من التدمير للمواقع التأريخية والحضارية في العراق، ومزيد من الضحايا العراقيين وحملات الإرهاب الدموي المنظم.

نحن واثقون من أن التحالف يستطيع أن يقدم المزيد من الدعم العسكري والاستخباري واللوجستي للعراق، وكذلك يستطيع أن يزيد من فاعلية عملياته وضرباته الجوية، ويدمر البنية العسكرية لداعش في أكثر من مكان.

إن قواتنا الأمنية والحشد الشعبي وأبناء العشائر والبيشمركة بدأت تأخذ المزيد من الأدوار، وتمتلك زمام المبادرة، لأنها أدركت أن عليها خوض معركتها المصيرية معتمدة على إمكانياتها الذاتية وإرادة أبنائها بشكل أساسي.

الدور الإيراني في المعركة ضد الإرهاب

في الوقت نفسه نجد هناك من يتساءل عن الدور الإيراني في مواجهة الإرهاب، وهناك من ينظر بعين الريبة والشك لهذا الدور.

من وجهة نظرنا فإن الجمهورية الإسلامية كانت أول من استجاب لطلب المساعدة الذي أطلقه العراق، وعلى جميع الجبهات، ابتداءً من حزام بغداد إلى حدود أربيل، وبدون شروط أو تحفظات سياسية، وفي الحروب يعتمد تقييم الموقف على سرعة الاستجابة لطلبات المساعدة.

لم تنتظر الجمهورية الإسلامية أن يقوم الإرهاب بجرائمه كي ترسل مساعداتها، بل استشعرت خطورة الموقف منذ اللحظات الأولى.

إن عصابات داعش الإرهابية تشن حملتها بأهداف معلنة وأخرى خفية، ومن الأهداف المعلنة تكفير الشيعة وإبادتهم، وإيران تدرك أنها ستكون الهدف التالي لهذا الإرهاب إذا انهارت الأسوار العراقية لا سمح الله، وهي اليوم تقاتل الإرهاب في الخطوط الأمامية، لأنها تدرك أنها هدف مباشر للإرهاب عن طريق البوابة العراقية.

في هذا الظرف، من المنطقي والطبيعي أن يكون لإيران دور فعال في هذه الحرب، لأنها حربها المباشرة ضد الإرهاب كما هي حرب العراقيين، وكذلك هي حرب المنطقة والعالم كله، ولكن للأسف لا يشعر البعض في منطقتنا بالخطر حتى يطرق بابه بصورة مباشرة، ولا يتعامل مع الإرهاب بجدية حتى يضرب مدنه ويقتل أبناءه، وإيران ليست من هذا النوع.

إننا نخوض معركة مصيرية، ولسنا في نزاع مسلح محدود، وسنقيّم علاقاتنا المستقبلية مع الجميع من خلال موقفهم معنا في هذه الحرب المصيرية، وكل من يدّعي الاهتمام بمصير العراق وحياة العراقيين، عليه أن يثبت ذلك من خلال دعمه الواضح والمباشر والفعال للعراق والعراقيين في هذه الحرب التي يخوضها العراقيون دفاعًا عن أنفسهم، ونيابة عن دول المنطقة والعالم.

إن الجمهورية الإسلامية وقفت كثيرًا مع العراقيين، بالأمس البعيد والقريب، وتقف اليوم أيضًا بجميع إمكانياتها، ومن يسأل عن الدور الإيراني في الحرب على الإرهاب عليه أن يقيّم دور الآخرين الذين يصل بعضهم إلى حد التآمر على العراق

وشعبه، وهي فرصة نجدد فيها دعوتنا لجميع الخيرين المستعدين لمساندة العراق في مواجهة الإرهاب الداعشي، للتعاون المشترك في هذه المواجهة، وتشكيل جبهة إقليمية واسعة للقضاء على الفكر المتطرف والسلوك المتطرف بعيدًا عن الحساسيات المذهبية، وبما يعزز الأمن والاستقرار في المنطقة.

الاتفاق النووي الإيراني الغربي

في المحور الإيراني أيضًا، نتلمس بوادر اتفاق وشيك بين إيران والقوى الغربية بخصوص الملف النووي، ونحن نرحب بأي اتفاق يعزز الثقة، ويحفظ الحقوق للجميع ويجنب المنطقة المزيد من التوتر.

إن الاتفاق الإيراني الغربي إذا ما تحقق، فسيكون عاملًا إضافيًا في تدعيم الجبهة المضادة للإرهاب، وسيكون خطوة مهمة للأمام.

إن الجمهورية الإسلامية التزمت أمام العالم بسلمية مشروعها النووي ورفض إنتاج واستخدام الأسلحة النووية، وعلى العالم عمومًا والغرب خصوصًا أن يحترم هذا التعهد ويتعامل معه بثقة وحسن نية.

إن الأحداث التي نعيشها والتجارب القاسية التي نخوضها، تخبرنا أن الإرهاب التكفيري الدموي الأسود أخطر من السلاح النووي وتأثيراته المدمرة، لأن الإرهاب يدمر العقول مثلما يدمر الآثار والمدن ويقتل الأبرياء.

إن المغامرة بإضاعة هذه الفرصة الكبيرة، ستفتح الباب أمام الكثير من المخاطر والاحتمالات السيئة، ونأمل أن نرى اتفاقًا شاملًا وعادلًا في المستقبل القريب.

المصالحة الوطنية.. خطوة لإعادة بناء الوطن

في محور المصالحة الوطنية، نرى أن الواقعية والمصارحة الذاتية من أهم عوامل النجاح والاستقرار، وأن المصارحة وإنْ كانت مؤلمة في بعض الأحيان وجارحة في أحيان أخرى، إلا أنها الطريق الوحيد للوصول إلى نتائج حقيقية ومرضية في المشاكل التي نواجهها.

وهنا نسأل أنفسنا؛ هل نحن كعراقيين بحاجة إلى مصالحة وطنية؟.

الجواب من وجهة نظرنا هو نعم، نحتاج إلى مصالحة، بل مصالحة حقيقية على مختلف الأصعدة، ولا خيار لنا سواها.

لقد تركت الأحداث تأثيراتها في المجتمع العراقي، كما خلّفت المتغيرات الكبيرة والمتسارعة في العراق الكثير من الجروح في أكثر من موقع، ونحن بحاجة إلى تضميد ومعالجة سريعة وعملية لهذه الجروح. إن المجتمع العراقي تعرض إلى ضغوط لم يتعرض لها أي شعب في المنطقة، ولكن هذه الضغوط بالرغم من قساوتها لم تنجح في كسر البنيان الرئيسي للمجتمع العراقي، وإن عرّضته لضرر كبير.

لقد تضرر المجتمع العراقي بشكل كبير ولكنه لم ينكسر، ولهذا فنحن بحاجة إلى مصالحة وطنية حقيقية شاملة وعميقة، ويجب أن تُبنى على وفق سلة شاملة ومتكاملة من الحلول الأمنية والسياسية والمجتمعية والتنموية، كما نحتاج إلى مصالحة من أجل العراق وليس مصالحة على حساب العراق، وأن نحدد على ماذا نتصالح؟ وتحت أي سقف نتصالح؟ ومع من نتصالح؟ وبأي ضمانات نتصالح؟ فهي أسئلة جوهرية ستحدد مسارات المصالحة وخريطة الطريق فيها.

ونقولها بأسف شديد؛ إن بعض محاولات المصالحة السابقة حكمتها المزاجية والنرجسية في التعامل مع هذا الملف الحساس والشائك، وكذلك حكمتها المصلحة والحاجة الآنية واللحظية لهذا الطرف أو ذاك.

إن المصالحة ليست سلعة نشتريها أو نرفع شعارها، بل هي مفهوم ورؤية ومشروع، ومتى ما حددنا المفهوم ووضعنا الرؤية وآمنّا بمشروع العراق الواحد الموحد، فإننا سنستطيع أن ننطلق بالمصالحة الحقيقية الانطلاقة الصحيحة، ونرى نتائجها الفعالة على امتداد مساحة المجتمع العراقي.

الدبلوماسية العراقية والجرائم الإرهابية

كل يوم يتفنن الإرهاب في إضافة جريمة جديدة إلى سجل جرائمه المتعددة، وكان آخرها تجريف المدن الأثرية التي يمتد عمرها لآلاف السنين، إنه عمل لا يستوعبه العقل، فقد مرّ على المنطقة الكثير من الأحداث والمجرمين والمنحرفين، ولكن لم نر من وصل به الإجرام إلى سرقة الآثار وتدمير المدن الأثرية، وهذا دليل واضح على أن ما نواجهه أسوأ إرهاب وإجرام على مرّ التأريخ.

إننا نطلب من الدبلوماسية العراقية العمل بالسرعة الممكنة على تشجيع المجتمع الدولي ومجلس الأمن، على إصدار قانون يجرّم تدمير الآثار العراقية ويعتبره جريمة حرب.

إن تدمير الآثـار يبرهن على أن هؤلاء المجرمين لو تمكنوا من الأرض، فإنهم سيكونون أسوأ من الطاعون، ومن جميع الجراثيم التي عرفها الإنسان، وهذا هو نتاج الفكر المنحرف والعقيدة المزورة، ولهذا فإن قادتنا وأئمتنا قاتلوهم على طول التأريخ، لأنهم أدركوا خطورتهم وضرورة منعهم من التكاثر والانتشار.

جريمة حلبجة

نستذكر هذه الأيام فاجعة حلبجة الأليمة، بكل ما خلفته من مرارة وقسوة، تلك الجريمة التي راح ضحيتها آلاف الأبرياء المدنيين، على يد أبشع نظام استبدادي استهزأ بقيمة الإنسان وكرامته.

إن المجتمع الدولي يتحمل مسؤولية كبيرة في الحد من مثل هذه الجرائم البشعة، من خلال الحيلولة دون تسلط الطغاة والمستبدين على رقاب الأبرياء وإبادتهم، لإشباع ساديتهم وتعزيز سلطتهم غير المشروعة.

الطلبة المبتعثون

نشكر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي على قرارها الصحيح بالتراجع عن تخفيض نفقات الطلبة المبتعثين، كما نشكر المرجعية الدينية العليا، وجميع قوى المجتمع المدني ووسائل الإعلام، وكل من ساهم في شرح وتوضيح الأضرار الكبيرة لهذا القرار. إن هذا الجهد المشترك يؤكد لنا القدرة الكبيرة على التغيير وتصحيح الأخطاء، متى ما امتلكنا الرؤية الصحيحة والمتابعة الحثيثة والمشاركة الفاعلة من الجميع.

نتمنى لأبنائنا الطلبة المزيد من التوفيق، ونحن بانتظار عودتهم إلى أرض الوطن كي يعوضوا شعبهم ووطنهم مع زملائهم من الطلبة الدارسين في الجامعات العراقية، عن سنين الدمار والجهل والظلام.

الملتقى الثقافي بتأريخ ١٨-٣-٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

((فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِه ولإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ممّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسِ وَيَرْأَفُ بالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَممّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بها لَضّعْفُ. ثُمّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصّالِحَةِ، وَالسّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمّ أَهْلِ النّجْدَةِ وَالشّجَاعَةِ، وَالسّخَاءِ وَالسّمَاحَةِ، فَإِنّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ)).

انتهينا إلى المقطع السابع عشر من عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر، الذي يتحدث عن معايير اختيار القيادات العسكرية، وقلنا إن هذه المعايير والمواصفات على صنفين؛ الأول ما يرتبط بالجوانب الفنية للقيادة العسكرية، كالتدريب والتخطيط الإستراتيجي والقدرة على قيادة وإدارة العمليات العسكرية وإدارة الجند، إلى غير ذلك من الأمور، والصنف الثاني يتمثل بالمواصفات والمعايير الأخلاقية المطلوبة في شخصية القائد العسكري، كما ذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد استعرضنا منها ثماني سمات، واليوم نكمل استعراض هذه السمات:

القيادة الناجحة.. حزمٌ في لين

السمة التاسعة / «ولا يقعد به الضعف»، القائد العسكري يجب أن يكون مرنا متساهلًا متسامحًا، ولكن ليس على حساب الأهداف التي وُضعت للمعركة، فهذا التسامح ليس تساهلًا في تحقيق الأهداف أو في الوصول إلى المصالح العليا التي دعت إلى المعركة. يجب ألا تحول المرونة دون تحقيق الأهداف، فالمرونة والخلق الكريم مدخل حقيقي لبناء قاعدة شعبية واسعة داعمة للقوات المسلحة في أداء واجباتها، والمرونة ناتجة من المنظومة الأخلاقية التي تمنع من استخدام العنف والقوة المفرطة إلاّ عند الضرورة القصوى، وبدونها لا حاجة لهذا الأمر.

المرونة لتقليل الخسائر المعنوية في المعركة، وتحقيق الإنجازات بأقل التبعات والخسائر والغضب الشعبي أو ما إلى ذلك في المناطق التي تدور فيها المعارك، إذن فالهدف من المرونة يتعلق بأبعاد أخلاقية وسلوكية وأهداف ترتبط بالتواصل مع الناس، ولكنها لا تعني بحال من الأحوال التساهل في تحقيق الأهداف والغايات والدفاع عن المصالح العليا التي أوجبت هذه المعارك، فيجب ألاّ تُستغل الشفقة واللين والرأفة لدى القوات المسلحة لفرض أمر واقع على خلاف المصالح، وهذا ما يعبر عنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مواقع أخرى: «حزم في لين»[٤٢]، فهناك لين ومرونة، ولكن مرونة الحازم، ومن يفكك الملفات ويفرز بين الأمور، فما يرتبط بالناس فهو متساهل ورحيم وودود تجاههم، وما يرتبط بالأهداف فهو صلب في تحقيقها.

يجب ألاّ تتحول حالة المرونة والشفقة إلى ذريعة للتقليل من قيمة الحدث والتساهل في تحقيق الأهداف، فيضيع العمل العسكري، فهناك قتال وهناك أهداف نبيلة، هي إقصاء العدو وتمكين الناس وإعادة الأمن والاستقرار إليهم، والعمل العسكري يحتاج إلى شدة وحزم، ولكن حزم المتسامح، وحزم اللين مع الناس، والحزم مع العدو: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤٣]، وهذه ليست ازدواجية، بل عين التوازن أن يفكك الإنسان الأمور، فيكون ليّنًا مع من يستحق اللين، وهم المواطنون الأبرياء الذين ليس لهم ذنب في هذه الأمور، ويكون شديدا وصلبًا مع من يستحق، وهم الأعداء والخصوم.

٤٢. بحار الأنوار ٧٥: ٢٥ ح٨٩.
٤٣. سورة الفتح: الآية ٢٩.

شجاعة في حكمة

لاحظوا هذه الرواية في نهج البلاغة، الكتاب الثاني عشر، وهو كتاب وجهه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى كل من زياد بن نظر وشريح بن هاني، وهما من القيادات الوسطية في مقدمة الجيش، وبعدها أراد إرسال القائد إلى المعركة، وهو مالك الأشتر، فأرسل لهما أمرًا عسكريا جاء فيه: «وقد أمّرت عليكما وعلى من في حيّزكما مالك بن الحارث الأشتر»، أي القوات التابعة لكما، «فاسمعا له وأطيعا»، في سلسلة المراتب، كل قائد أعلى يجب أن يُطاع ويُسمع له من قبل المراتب الدنيا، فاسمعوا له وأطيعوا أوامره التي يصدرها والتزموا بها، «واجعلاه درعًا ومجنًّا»، اجعلوا هذا القائد درعًا ومجنًّا، أي وقاية، ويعني التفوا حوله وتمسكوا به، فهو القائد ويجب أن يُطاع من قبل الآخرين، «فإنّه ممن لا يُخاف وهنُه»، مالك الأشتر، قائد قوي شجاع مقدام ليس به ضعف، فالقائد الضعيف لا يفيدنا في ساحة المعركة، «ولا سقطته»، لا يُخشى من سقطاته وأخطائه، فهذا رجل مخضرم لا يرتكب أخطاء إستراتيجية، والقائد المحنك هو الذي يستطيع أن يضع خططًا صحيحة في الحرب ويحقق الانتصارات.

«ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم»، لا يبطئ ولا يتساهل ولا يضعف بموقع يتطلب الحزم، «ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أنبل»[٤٤]، المسألة ليست في السرعة، بل كيف تحقق الانتصار بأقل الخسائر، فإذا كنّا نستطيع أن نحقق الهدف بوقت أطول بأقل الخسائر، فليس من الشجاعة أن يلقي الإنسان بنفسه إلى التهلكة، بل الشجاعة أن يضحي حينما يتطلب الأمر التضحية، وفي المقابل يكون هادئًا ومحتاطًا ويحافظ على الأرواح.

ثم يكمل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، استعراض السمات المطلوبة في القادة العسكريين:

السمة العاشرة / «ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة»، إذا أردت أن تختار قيادات فاختر قيادات عسكرية من ذوي المروءات، أي أصحاب مروءة. انتخب ذوي الأحساب من أهل الشرف والبيوتات الصالحة، من الأسر والعشائر المعروفة. اختر شخصًا معروفًا تستطيع أن تثق به وتدفعه إلى ساحة المعركة ليقاتل ويحقق لك الأهداف الكبرى.

٤٤. نهج البلاغة ٣: ١٤ح ١٣.

دور الوراثة والتنشئة الأسرية

ألصق بذوي المروءات، والأحساب والشرف، وأهل البيوتات الصالحة، فالقيادة موقع حساس، ولا سيّما القيادة العسكرية، فإن أرواح الناس بيد هذا القائد، وقد يدفع بهم إلى التهلكة، أو يحافظ على أرواحهم، فمن يكون في موقع القيادة يجب أن يتسم بسمات استثنائية على المستوى الشخصي والتربوي، ويجب أن يكون كفوءًا وقديرًا في تحمل هذه المسؤوليات الجسام.

لقد أثبتت التجارب الإنسانية أن الوراثة والتربية والتنشئة الأسرية لها دور كبير ومهم في الإعداد النفسي لهذا الإنسان، وهذا لا يعني أن جميع أبناء البيوتات والأسر والعشائر الكريمة هم أصحاب شأن وأصحاب شجاعة وإقدام، وكذلك لا يعني أن الشخص إذا لم يكن ينتمي إلى أسرة أو عشيرة كبيرة ومرموقة، فهذا لا يمكن أن يكون من ذوي السمات والصفات المميزة، ولكن في الأعم الأغلب يمكن التعويل على أبناء الأسر الشريفة والمعروفة والعشائر الكبيرة، ويمكن الاعتماد عليهم في إناطة المهمات والواجبات الكبرى بهم. إذن من كان من أبناء (الحمولة)، وكانت عينه مملوءة، كما نعبّر، ورأى الحياة واختبر الأمور، مثل هؤلاء الناس يمكن الاعتماد والتعويل عليهم، فانتخب من القادة العسكريين من يكونون بهذه السمات.

القيادة لأصحاب التأريخ المشرِّف

السمة الحادية عشرة / «والسوابق الحسنة»، يجب أن يكون القائد من ذوي السوابق الحسنة والتأريخ الناصع، يعني ألاّ يكون ذا سابقة سيئة وفي تأريخه انحرافات ونقاط سوداء، وليس صحيحًا أن نقول: «عفا الله عما سلف ويجب إرجاعهم»، فإنّ (عفا الله عما سلف)، تعني أن تعطيه فرصة للحياة، أما أن تعطيه قيادة الجيش بالرغم من تأريخه السيئ فهذا لا يصح، ويؤدي بنا إلى ما وصلنا إليه من الانهيارات التي نراها اليوم، لأن الراية سُلمت لمن لا يستحق؛ إذ إن عددًا من القيادات العسكرية لم يكونوا من ذوي السوابق الحسنة، فكانت هذه النتائج والمعطيات الكارثية.

لا يكفي ألاّ يكون ذا سابقة سيئة، ولا يكون تأريخه سيئًا، بل يجب أن يكون له تأريخ ناصع وحافل بالإنجازات، فهو ليس مقاتلًا عاديًا، بل ضابط تريد أن تؤمره على قطعات عسكرية وتسلم أرواح المقاتلين بيده، فمن يؤتمن وتسلم له الراية يجب أن

يكون صاحب تأريخ مشرف، وقام بأدوار كبيرة وسجل مواقف خالدة، وحقق إبداعًا وتكتيكات عسكرية فذة في ظروف سابقة.

اختر المجرب وضعه في موقع القيادة والإدارة، أي صاحب التدبير والإبداع وبُعد النظر والحكمة والشجاعة والبسالة والقدرة على التخطيط والإدارة، هذه هي المؤهلات التي يجب أن تختار على أساسها.

السمة الثانية عشرة / «ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة»، أي اختر أهل النخوة والشجاعة والكرم وسماحة الطباع، «فإنهم جِمَاعٌ من الكرم»، هؤلاء مجموع من الكرم، «وشُعَبٌ من العُرف»، أي من المعروف.

إن السمات الأخلاقية شرط أساسي في القائد العسكري، فإذا أردت نجاحًا مضمونًا وإقدامًا في المعارك وانتصارات متلاحقة، فعليك أن تختار أهل النخوة والشجعان الأبطال، وليس من يكون أول الفارين والجندي يتوسل به ليقاتل، ولكنه يركب سيارته ويهرب خائفًا مرتجفًا كالسعفة. العار والشنار لمثل هؤلاء الضباط، وكلّ قطرة دم نريقها اليوم لاستعادة شبر من الأرض وقع تحت هيمنة الدواعش نتيجة جبن بعض القادة العسكريين، فهؤلاء يتحملون مسؤوليتها.

الشجاعة والنخوة والسماحة والكرم والإقدام، هذه السمات الأخلاقية، تعبر عن ملمح مهم من ملامح الشخصية القيادية، وعندما نضع شخصًا في موقع القيادة العسكرية، فعلينا أن نحرص على أنه (جِماعٌ من الكرم)، فهذه السمات الأخلاقية تمثل مجمع الكرم، والإنسان الشجاع المقدام والكريم وصاحب النخوة والسماحة، هو الذي يمكن الاعتماد عليه في قيادة المعركة.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ثم إياكم وتهزيع الأخلاق)[٤٥]، احذروا الانكسار والانهيار الخلقي في أثناء المعركة، بأن تجد الجنود يقاتلون ويستشهدون بينما الضابط متفرغ لليالية الحمراء أو يرتكب انحرافات أخلاقية أو يقوم بأفعال مشينة، ولا يهمه أن يُقتَل الشباب الشجعان المنتسبون للقوات المسلحة وتُراق دماؤهم، وبالطبع نحن لا نعمم، وليست هذه السمة العامة، فهذه الانتصارات التي تتحقق اليوم دليل على وجود قادة بارعين، ولكن هناك من فيه مثل هذه السمات، وكان سببا في انتكاسات كبيرة حصلت في الأشهر الماضية.

٤٥. نهج البلاغة ٢: ٩٣ الخطبة ١٧٦.

«ثم إياكم وتهزيع الأخلاق»، الانكسار والانهيار الأخلاقي، «وتصريفها» حالة التلون والنفاق والازدواجية، فيظهر أمام الآخرين بمظهر البسالة والشجاعة، وفي المعركة تجده أجبن من الجبان، ولا يتخذ موقفًا ويهرب من ساحة المعركة ويتخلف عن أداء الواجب، وشتان بين هذا وبين هؤلاء الذين نحتاج إليهم، ممن يحملون سمات القادة الأبطال الذين يقاتلون بشجاعة دفاعًا عن الوطن.

هذه هي السمات الاثنتا عشرة التي ذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للقيادات العسكرية الوسطية، ولا بُدَّ من أن تكون محط اهتمامنا ونحن نعيد بناء جيشنا ونستعد لبناء قوات مسلحة متنوعة، من الحشد الشعبي والشرطة الاتحادية والعشائر الأصيلة إلى غير ذلك من المسميات، وجميعهم مورد الإشادة والتقدير لما يبذلونه من جهود، فهذه السمات تضمن لنا قادة عسكريين يحققون انتصارات متلاحقة.

الحشد الشعبي.. انتصار الإرادة العراقية

يتقدم اليوم أبناؤنا من الحشد الشعبي بثقة وقوة وشجاعة وانضباط في قلب المناطق التي كان الدواعش يعدّونها حصنهم الحصين، ولا بُدَّ من استمرار المراقبة الدقيقة والحرص على عدم وقوع الأخطاء ورصد السلبيات ومعالجتها أولًا بأول، والتعامل بحزم مع كل من تسوّل له نفسه القيام بخطوات غير مسؤولة تسيء للحشد الشعبي وانتصاراته الكبرى ومواقفه الوطنية. وتقع علينا جميعًا مسؤولية الدفاع عن الحشد الشعبي وحمايته سياسيًا ومعنويًا، كما يتحتم علينا توسيع مشاركة أبناء المناطق وتحميلهم المسؤولية الأكبر في تحرير مدنهم وقراهم، وتقديم الدعم والإسناد لهم بقدر حاجتهم إليه، واعتبار الانتصارات المتحققة لجميع العراقيين، ولا سيّما أبناء المناطق المحررة وعدم اختزاله أو احتكاره لطرف بعينه.

لقد ذكرنا قبل مدة أن الانتصار في هذه المعركة ليس انتصار جولات، بل هو انتصار إرادات، ولقد انتصرت إرادتنا وإرادة شعبنا، وكسرنا حاجز الثقة بالنفس وأصبح مقاتلونا هم أصحاب المبادرة في جميع الجبهات، وعليه ليست العبرة في أن نحرر كامل مدينة تكريت بسرعة، ولو بخسائر بشرية ومادية فادحة، وإنما العبرة في أنهم يتراجعون ويندحرون، ولأنهم ليسوا من أهل العراق، ولأنهم باعوا ضمائرهم للشيطان، فلا يعنيهم أن يحرقوا كل مدينة تكريت ويشردوا أهلها، ولكن الأمر مختلف عندنا نحن أبناء هذا الوطن، إذ نحرص على أن تحرّر المدينة بأقل الخسائر في أرواح أبنائنا الأبطال

من الحشد الشعبي وإخوتهم من أبناء العشائر والجيش والشرطة الاتحادية، أو في أرواح المدنيين، مع الحفاظ على البنية التحتية للمدينة قدر الإمكان.

إنها معركة إرادة وليست معركة مواقع، واليوم أصبح واضحًا للجميع من هو الذي يمتلك الإرادة الحقيقية والصلبة في هذه المواجهة. لنكن حذرين في المراحل القادمة من المعركة ولنحافظ على الأرواح والمدنيين قدر الإمكان، لأن الإرهابيين الآن في مرحلة الانكفاء والتراجع، وقد أصبحت جبهاتهم ممزقة وخطوط إمداداتهم متقطعة، ولن يصمدوا طويلًا بإذن الله تعالى.

شهداء سبايكر.. الحق الذي لن يموت

بالتزامن مع تقدم قوات الحشد الشعبي في المناطق المحررة من محافظة تكريت، بدأت تتضح ملامح الجريمة التي ارتكبها إذناب الشيطان بحق شباب قاعدة سبايكر، ومع تواصل التقدم لقوات الحشد الشعبي والعشائر والجيش والشرطة الاتحادية سيتم اكتشاف المقابر ورفات الشهداء، والكشف عن خيوط الجريمة وتفاصيلها، ولا بُدَّ من تحديد جهة مختصة تتولى عملية الإشراف والمتابعة والبحث في هذا الموضوع الحساس، وإنه من المهم جدًا أن يتم التعامل بدرجة عالية من الاحتراز في نقل جثامين الشهداء، وأن تتم فحوصات الـ «دي أن أي» للرفات لمطابقة الأسماء مع قائمة المفقودين. إنها عملية في غاية الأهمية لآلاف العوائل التي فقدت أبناءها، وتعبّر كذلك عن مدى احترامنا لشهدائنا وضحايانا ومدى التزامنا تجاههم، كما أطالب بأن تقوم اللجنة البرلمانية المشكلة للتحقيق بمجزرة سبايكر باستكمال عملها مع الجهة المختصة بالبحث عن رفات الشهداء، كي تكون هذه القضية متكاملة الجوانب عند عرضها على الأمم المتحدة والمطالبة باعتبارها جريمة إبادة جماعية.

إن جريمة سبايكر ستبقى وصمة عار على جبين كل من سمع بها ولم يتخذ موقفًا تجاهها، وستبقى عارًا يلاحق كل من أسهم بها من قريب أو بعيد، وستبقى بالنسبة لنا مثالًا حيًا على عمق الإجرام الذي يقترفه هؤلاء الدواعش وحجم الحقد الذي يحملونه تجاهنا. إن كل مقاتل من مقاتلي الحشد الشعبي أو العشائر الأصيلة أو الجيش والشرطة، يدرك أنه يقاتل من أجل ألاّ تتكرر سبايكر، وألاّ تتكرر حلبجة، وألاّ تتكرر المقابر الجماعية في الجنوب. إنها ثقافة الدم والقتل والإرهاب التي زرعها الشيطان فيهم، وهم أبناء الشيطان مهما اختلفت أسماؤهم أو تعددت عناوينهم.

التغيير الديموغرافي خط أحمر

بالتزامن مع انتصارات الحشد الشعبي والعشائر الأصيلة والقوى العسكرية الوطنية الأخرى، فإن الأراضي المحررة يجب أن تعمر ويعود إليها أبناؤها بأسرع وقت. إن من أهم أهداف الإرهاب الأسود هو تغيير الواقع الديموغرافي للمناطق العراقية، وخلق كانتونات طائفية وقومية منعزلة، كي يبقى الإرهاب يتحكم فيها بين الحين والآخر، ولن نسمح تحت أي عذر أو تبرير بأن يتم تغيير الواقع الديموغرافي للمناطق المغتصبة. إنه حق مقدس أن يعود الناس إلى أراضيهم وبيوتهم ومناطقهم التي عاشوا فيها مئات السنين، وإن الإرهاب ليس معركة تنتهي بطرد الإرهابيين، بل هو آثار يجب أن نمحوها ونفوت عليه فرصة تثبيت آثاره القبيحة في وطننا ومناطقنا.

لن نسمح لأحد بأن يقول إن تركمان تلعفر بإمكانهم أن يستقروا في كربلاء أو النجف، فأبناء تلعفر مكانهم وموطنهم الحقيقي والوحيد هو تلعفر نفسها، وشبك الموصل مكانهم الوحيد هو مناطقهم، وأبناء القرى المسيحية في سهل نينوى وطنهم الأساسي هو ديارهم التي عاشوا فيها مئات السنين، وإن سهل نينوى هو الموطن الحقيقي والأصلي للمسيحيين وسيعودون إليه بإذن الله، ومكان الإيزيديين هو سنجار والمناطق الأخرى التي عاشوا فيها تأريخهم وبنوا فيها حضارتهم، وهكذا أبناء العلم وتكريت والموصل والسعدية وجلولاء وأي منطقة أخرى في العراق. إن الإرهاب الأسود يراهن على تشظينا وقلعنا من جذورنا، ولن نسمح له بأن يربح هذا الرهان.

المشروع السياسي والحل العسكري

في الوقت الذي يتقدم فيه الحل العسكري في جبهات القتال ضد الإرهاب الداعشي، فإننا نعتقد بأن المشروع السياسي يجب أن ينضج ويتطور، وأن تكون هناك رؤية سياسية واضحة نعتمدها لمرحلة ما بعد داعش، فلا يمكننا الاعتماد على الحلول العسكرية في معالجة الوضع غير المستقر والمضطرب الذي يعيشه العراق منذ سنتين.

لقد أخبرتنا التجارب أنه مهما كانت الحلول العسكرية قوية، فإنها لن تكتمل بدون أن تتوج باتفاقيات سياسية ومشروع سياسي، لأن الحرب تنتهي في الميدان والحياة تستمر، ونحتاج إلى مشروع سياسي ناضج كي نضمن استمرار الحياة بانسيابية وقناعة من قبل جميع الأطراف.

إن أحد أسباب ظهور داعش ومن قبلها القاعدة، هو تعثر الحل السياسي والتصلب

في المواقف وانتهاج سياسة التأزيم والتصعيد، ولذلك فإنني أدعو جميع السياسيين ليكونوا على قدر المسؤولية، ويقتنعوا بضرورة تطوير مشروع سياسي ناضج يؤمن لنا العبور السلس للمرحلة المقبلة.

المصالحة السياسية والإصلاح السياسي

إننا بحاجة إلى مصالحة سياسية حقيقية وواعية مع الأطراف التي تستطيع أن تؤثّر في محيطها الجغرافي والديموغرافي، وألاّ يكون هناك أي مكان للإرهاب الداعشي الأسود وكل من تواطأ معه في هذه المصالحة لا من قريب ولا من بعيد.

البعض يقول مع من نتصالح؟ والحقيقة أننا جميعا بحاجة إلى مصالحة من مختلف الاتجاهات، حتى إننا بحاجة إلى مصالحة داخل البيت الواحد. إن الظروف غير الطبيعية التي عاشها العراق، والتي مرت بها العملية السياسية، جعلت كثيرين يخطئون بحق الآخر، سواء بقصد أو من دون قصد، وبوعي أو من دون وعي، لأنها تجربة حديثة ووليدة ومضطربة وفيها الكثير من التداخلات الإقليمية والدولية والظروف غير المتوقعة، ومن الطبيعي أن يشوبها الكثير من الأخطاء.

علينا أن نتصالح مع أنفسنا أولًا، وأن نؤمن بأننا لن نصمد بدون عراق واحد موحد، ومن بعدها نتصالح بعضنا مع بعض كعراقيين، وجزء من مشروع المصالحة هو الإصلاح السياسي، فأمامنا الكثير لنعمله، لأن أدواتنا غير مكتملة، وقوانيننا ناقصة ومتداخلة، وتشريعاتنا تحتاج إلى التحديث والوضوح، والمهم أن نبدأ بالإصلاح السياسي، لأنه سيسهم في ترسيخ المصالحة وإنجاحها.

وعليه فإننا نرى أن المصالحة السياسية والإصلاح السياسي محوران متصلان في عملية واحدة، وعلينا أن نعي أن المصالحة الوطنية السياسية يجب أن تكون تحت سقف الدستور وضمن حدود الوطن.

مجلس الوزراء ومنح الصلاحيات الاستثنائية

أود أن أوجه نداءً مهمًا وعاجلًا إلى مجلس الوزراء الموقر بخصوص الصلاحيات الممنوحة للمحافظين والوزراء. إن الوضع الاستثنائي الذي يعيشه العراق يحتاج إلى صلاحيات استثنائية، وبعد أن أصاب الشلل الدولة العراقية لمدة سنة كاملة بسبب عدم

إقرار الموازنة لعام (٢٠١٤)، فإننا نحتاج إلى التعويض في عام (٢٠١٥)، ومع الآليات والقوانين الروتينية المقيدة التي تحكم الواقع الحكومي العراقي، فإنه من المستحيل أن يتمكن المحافظون والوزراء من القيام بواجباتهم المطلوبة منهم، يضاف إليها عامل الشح في الموازنة والموارد والأموال المخصصة لهم، لذا أطالب مجلس الوزراء بإقرار صلاحيات استثنائية للمحافظين والوزراء في عام (٢٠١٥)، كي يتمكنوا من إطلاق المشاريع الضرورية، وأن تُمنح لهم الصلاحيات الكافية في إدارة محافظاتهم ووزاراتهم بالطريقة المثلى وتعويض التوقف الذي أصابهم في عام (٢٠١٤).

بيان الأزهر والحقائق الموثقة

صُدمنا بيان الأزهر الشريف بشأن الأحداث في العراق، وإنها لصدمة مزدوجة؛ إذ إننا تعودنا من الأزهر أن يكون دقيقًا وألاّ تؤخذ منه المواقف عنوة، وتعودنا أن يكون حكيمًا فيزن الأمور بميزانها الصحيح.

لقد كان الأجدر بالأزهر أن يرسل لجنة تقصي حقائق، للتدقيق والتحري عن الواقع اذا كانت لديه معلومات مقلقة، وهذا هو دور المؤسسات الدينية ذات المقام العالي كالأزهر الشريف، أو أن يرسل وفدًا ويتواصل مع الحكومة العراقية والأطراف ذات العلاقة ويستمع منها، وبعدها يقرر الموقف الذي سيتخذه.

إن الأمة الإسلامية في الوقت الراهن تعيش حالة من الانقسام والتشظي، وتحتاج إلى مواقف مسؤولة تضمد جراحاتها وتعمق لحمتها، وإن الإرهاب الأسود الذي يدنّس أرض العراق اليوم هو نفسه الإرهاب الأسود الذي يدنس أرض سيناء، ويتلذذ بقتل الجنود المصريين الأبرياء.

إن من أبسط الحقائق التي تجاهلها بيان الأزهر هي أن الحشد الشعبي لو كان ينوي أن يعيث في الأرض فسادًا لما صبر على هؤلاء المجرمين وهم يدنسون أرضنا كل هذه المدة، وكان يكفي محاصرتهم واستمرار قصفهم وتحطيم المدن فوق رؤوسهم، ولكن أبناء الحشد الشعبي يقدمون التضحيات والشهداء كي يقللوا الخسائر بالمدنيين والبنى التحتية والمنشآت العامة والخاصة، ويتقدمون بحذر في القرى والأرياف ولا يستعجلون باقتحام المدن إلاّ بعد تأمين سكانها. نتمنى من الأزهر الشريف تصحيح هذا الموقف، وترسيخ الانطباع التأريخي المأخوذ عنه في الاعتدال والوسطية وجمع الكلمة بين المسلمين.

ضرورة المساعدات الإنسانية

إننا نثمّن عاليًا المساعدات الإنسانية التي تقدمها المرجعية الدينية والحكومة العراقية وجميع المحسنين، للنازحين والمواطنين في مناطق القتال، ومقاتلي الحشد الشعبي والعشائر الأصيلة والقوات العسكرية، وهي من أبسط الحقوق التي يستحقها هؤلاء الأعزاء، لشد أزرهم وتقوية معنوياتهم وهم يتحملون أعباء المواجهة مع الإرهاب الداعشي، وندعو لتكثيف الجهود في محافظة الأنبار لما يصلنا من معلومات وتقارير عن المعاناة الكبيرة لأهلنا في هذه المحافظة، على صعيد السلاح والعتاد وعلى صعيد الإغاثة الإنسانية.

النازحون.. جرح نازف

تستمر معاناة النازحين بعد أشهر طويلة قضوها في المخيمات ومناطق بعيدة عن مدنهم، في ظل ظروف صعبة وقاهرة، وهناك ما يقرب من مليونين وثمانمائة ألف نازح في الداخل والخارج، ومن بينهم ما يقرب من مليون وأربعمائة ألف طفل.

إن هؤلاء النازحين بحاجة ماسة إلى الرعاية والاهتمام، وتوفير فرص العودة الطوعية لمناطقهم بعد تحريرها، وإعادة البنية التحتية المدمرة في المدن المحررة.

الجهد الاستخباري

إننا نقدّر دور جهاز المخابرات الوطني في تفكيك خلايا ولاية بغداد الداعشية، ونشيد بالخطوات الاستباقية التي تقوم بها أجهزتنا الأمنية، ونشدد على أهمية الجهد الأمني والاستخباري في المعركة والتغلب على الأعداء.

أعياد النوروز

نبارك أعياد النوروز لأبناء شعبنا الكردي ولشعوب المنطقة التي تحتفل بهذا العيد، وما نلاحظه هو التعاطي الإسلامي إيجابيًا مع هذا الموروث القومي وتأييده، كما ورد في كلمات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (نورزونا كل يوم)[٤٦]، حين قُدمت له الحلوى بمناسبة النوروز، مما يعبر عن انفتاح الإسلام على الثقافات الأخرى في أبعادها الإيجابية، فهذا العيد يقترن بالربيع والطبيعة، وتقاليده هي التزاور وتقديم الهدايا وتنظيف الدور والمدن

٤٦. تأريخ بغداد ١٣: ٧٢٣.

وإشاعة المحبة والوئام والتسامح بين الناس، وهذه كلها أمور حسنة وسلوك يتسق مع المنهج الإسلامي الأصيل.

إنها فرصة ندعو فيها أمانة بغداد وبلديات المحافظات ووزارة البيئة ومنظمات المجتمع المدني، لإطلاق حملة لتنظيف وتشجير المدن وتوفير بيئة نظيفة وخضراء، تبعث رسالة الحياة لتتكامل مع الرسائل الأمنية الرامية لتحقيق الأمن والاستقرار في البلاد.

الصابئة المندائيون

كما نبارك لشركائنا وأهلنا الصابئة المندائيين عيد الخليقة، ونثمّن حضورهم ودورهم وارتباطهم الوثيق بالأنهر والمياه وما ترمز إليه من الطهارة والنقاء، وإسهاماتهم في الإثراء الحضاري، وترجمتهم التراث اليوناني إلى العربية، كتراجم «حنين بن إسحاق الصابئي»، وعلاقة الشريف الرضي مؤلف (نهج البلاغة) بالكاتب «ابن إسحاق الصابئي»، ونعتز بالدكتور «عبد الجبار عبد الله الصابئي» من طلاب اينشتاين، وأول رئيس لجامعة بغداد.

إن موقف الصابئة المندائيين بحصر احتفالاتهم هذا العام بالطقوس الدينية، بسبب تزامنها مع المعارك التي يخوضها الجيش والشرطة والحشد الشعبي والعشائر الأصيلة والبيشمركة، ضد الإرهاب الداعشي، لهو دليل آخر على وطنيتهم وحبهم لهذا الوطن وأبنائه.

إننا نعبر عن اعتزازنا بالصابئة المندائيين، واستنكار استهدافهم وتهجيرهم من مناطقهم من قبل الإرهابيين، ونتمنى أن يعيشوا وسائر العراقيين بسلام ووئام.

الملتقى الثقافي بتأريخ ١-٤-٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا خلال الأسابيع الماضية في النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة، وقد انتهينا من المقطع السابع عشر من عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر، الذي يتحدث عن معايير اختيار القادة العسكريين. وننتقل اليوم إلى المقطع الثامن عشر.

((ثُمّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلّ، فَإِنّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظّنّ بِكَ. وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعًا لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ، وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. فَإِنّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ)).

مسؤوليات القائد الأعلى تجاه المستويات الأدنى

في هذه المقطع يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤوليات القيادات العليا تجاه القادة الأدنى في المؤسسة العسكرية؛ كمسؤوليات القائد العام تجاه قادة الفرق الذين يرعاهم بشكل مباشر، ومسؤوليات قائد الفرقة تجاه أمراء الألوية، ومسؤوليات أمر اللواء تجاه أمراء الأفواج والسرايا، وما إلى ذلك.

لقد بسط أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مهمات القائد الأعلى ومسؤولياته تجاه المستويات الأدنى في المؤسسة العسكرية، بهذه العبارات العميقة:

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما»، لقد أرسلناك قائدًا أعلى للقوات المسلحة في مصر، فأنت ستكون والي مصر وحاكمها، وهناك القادة العسكريون الذين يجب عليك أن تتفقد أمورهم وتطمئن على أحوالهم، وتتأكد من توفر احتياجاتهم، بالطريقة التي يتفقد بها الوالدان ولدهما، فهم أبناؤك، فالقيادات العسكرية أبناء الدولة، وعلى القائد الأعلى أن يرعاهم كما يرعى الأب والأم أولادهما.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا يتفاقمنَّ في نفسك شيء قويتهم به»، لا تستكثر أن تقدم لهم العون، ولا تقل هذا كثير عليهم. لا تستكثر توفير الخدمة الملائمة لهم.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تحقرنَّ لطفًا تعاهدتهم به وإنْ قلّ»، وفي الجانب الآخر، لا تقلل من قيمة أي رعاية أو اهتمام أو تفقّد أو إشارة اهتمام تخص هؤلاء، وحاول أن تشعرهم بالاهتمام، وقد يقول البعض إن هذه القضايا بسيطة، وهذا يقلل من قيمة الجوانب الروحية والمعنوية، مع أنها شيء مهم.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك»، هذا التفقد في كبائر الأمور، كالتجهيز والتسليح والتدريب وتوفير الاحتياجات الحياتية إلى غير ذلك، أو في صغائر الأمور الجزئية التفصيلية، هذا التفقد «داعية لهم إلى بذل النصيحة لك»، إذ يدفعهم إلى أن ينصحوك ويقفوا معك.

لا تستطيع أن تقاتل وتنتصر من دون هؤلاء، فأنت تنتصر بهم، وعلاقة المحبة والمودة والتفقد والرعاية والاهتمام، تجعلهم يرتبطون بك ويقدمون النصيحة الصحيحة لك.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وحسن الظن بك»، يحبونك ويحسنون الظن بك ويتعلقون بك.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالًا على جسيمها»، لا تترك صغائر

ولطائف الأمور والاهتمامات الخاصة، ككتاب شكر أو اتصال أو رعاية أو تفقد مريض أو ما شابه. أي لا تترك شؤونهم الشخصية، متكلًا على كبائر الأمور والقضايا الأساسية.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به»، هذه القضايا البسيطة التفصيلية لها مكانة في نفوسهم، وتنفعهم وتشد من عزيمتهم وتدفعهم لمزيد من الإصرار والحماسة لأداء واجباتهم.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه»، ومعالجاتك المهمة في القضايا الأساسية لها موقع لا يمكن الاستغناء عنه، فلا تترك صغائر الأمور لكبائرها، ولا تترك كبائر الأمور باهتمامك بالتفاصيل، فهؤلاء القادة يحتاجون لكلا الحالتين والاهتمامين.

مهمات القائد الأعلى

هذه العبارات الكريمة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ تشير إلى ثلاث مهمات للقائد الأعلى:

أولًا: التفقد والرعاية والاهتمام/ في قوله: (تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما)، وتفقد الوالدين لولدهما فيه جانبان؛ جانب محبة وشفقة وتعبير عن الاهتمام والاحترام والتقدير والرعاية، والجانب الآخر هو الرصد والتدقيق والتأكد من سلامة السلوك والأخلاق، أي كيف يتصرف وكيف يتعامل، هذه مسؤولية الآباء والأمهات؛ أن يرعوا أبناءهم بالرصد والتدقيق من دون التدخل في شؤونهم وإشعارهم بأنهم تحت مجهر الرقابة، فهذا التدقيق في أفكارهم وسلوكهم وتعاملهم وأقوالهم، شيء مطلوب وضمن الحرص من الأب والأم؛ ألاّ يهملا ويتركا أبناءهما يتصرفون كيفما يشاؤون، بل يهتمان بهم، وكذلك القائد الأعلى عليه أن يرعى قادته الميدانيين، أي يرعى المستويات الأدنى؛ كيف يفكرون، وماذا يعتقدون، وما هي انطباعاتهم، وما هو سلوكهم، وكيف يتعاطون مع الجند، وهناك تفقد في البُعد المشاعري، يخص العواطف والمحبة والعلاقة الإيمانية القائمة على أساس الرحمة والشفقة واللين إلى غير ذلك، فلا بد من الاهتمام بكلا الأمرين، وهي مسؤولية أساسية من القيادة العليا تجاه القيادات الأدنى.

ثانيًا: الدعم في القضايا الأساسية/ في قوله: (ولا يتفاقمنَّ في نفسك شيء قويتهم به)، فالمسؤولية الثانية أن يقوم بدعمهم في القضايا الأساسية التي يحتاجون إليها. إن الأمن شريان الحياة في أي بلد، وإذا أردنا عملية سياسية مستقرة، فيجب أن نوفر بيئة آمنة، وإذا أردنا اقتصادًا منتعشًا، فعلينا توفير الأمن، ليعمل رجال الأعمال والمقاولون في بيئة آمنة، وإذا أردنا بيئة ثقافية نامية ومؤثرة في مجتمعها، فعلينا توفير الأمن، ليستطيع

المحاضر أن يحاضر، ويمكن للدورات أن تُعقد، والمدارس والجامعات والمعاهد أن تمارس مهماتها ومسؤولياتها، وكذلك المساجد والكنائس ودور العبادة إلى غير ذلك، فكل المهمات والمسؤوليات مرتبطة بالجانب الأمني، لذلك علينا أن نهتم بالأمن، والاهتمام بالأمن يبدأ من الاهتمام برجال الأمن وبالقيادات العسكرية والأمنية، فلا تستكثر عليهم الرعاية لأحوالهم الخاصة؛ رواتبهم وسكنهم واحتياجاتهم، وفي متطلبات نجاح مهمتهم العسكرية، من السلاح والعتاد والمؤن وتجهيز المواد الغذائية إلى غير ذلك مما يحتاجون إليه. لا تستكثر على القوات المسلحة أن يُنفق عليها بما يحقق احتياجاتها، وبما يجعل أبناءها قادرين على أداء واجباتهم، ليمارسوا هذا الدور براحة نفس وطيب خاطر إلى غير ذلك.

ثالثًا: الاهتمام بالقضايا التفصيلية / في قوله: (ولا تحقرنَّ لطفًا تعاهدتهم به وإنْ قلّ). إن الاهتمام بالقضايا الكبيرة لا يمنع من الاهتمام بالقضايا التفصيلية؛ كوقفة اهتمام واحترام لآمر سرية أو آمر فوج أمام جنوده ومقاتليه، أو تقدير الموقف البطولي والشجاع، فالإنسان بطبعه يحب أن يُشكر ويُقدر، فحينما يكون لأي من القادة إنجاز حققه، ثم يأتي القائد الأعلى ويكرم ويكافئ ويشكر ويقدر ذلك الإنجاز، فهذا له تبعات وتأثيرات نفسية إيجابية وطيبة في نفس هذا القائد العسكري.

هناك جناحان يجب أن نطير بهما في الرعاية؛ هما تلبية الاحتياجات الكبيرة، وعدم التغافل عن القضايا النفسية البسيطة، فقد ينكسر القائد نفسيا في شيء يمكن أن يؤثر في أدائه في ساحة المعركة وحماسه في القتال، فيجب أن تعالج هذه التصدعات والجروح النفسية مهما كانت بسيطة، وهذا مكمل لذلك الاهتمام والرعاية في القضايا الكبيرة والأساسية.

آثار قيام القائد الأعلى بمسؤولياته

إن القيام بهذه المسؤوليات الثلاث له آثار وتبعات:

«فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك»، من آثار رعاية القائد الأعلى للقيادات الأدنى، أن يخلق ذلك عندهم حسن الظن بالقائد الأعلى فيتمسكون به، ويلتفون حوله ويطيعونه وينصحونه ولا يجاملونه على حساب الحقائق، ولكن إذا لم يكن هناك حسن ظن بالقائد الأعلى من قبل قادته الأدنون، وهو لا يعلم ظروفهم وأحوالهم ومشاق المعركة العسكرية، بل يكتفي بإصدار التعليمات والعقوبات، وليس

عنده غير ثقافة العقوبة وتحميلهم المسؤولية، وهو (النبي المعصوم) الذي لا يتحمل أي تبعات، إذا كان ذلك، فلن يكاشفوه بالحقائق، وسوف يسمعونه ما يعجبه من تقارير كاذبة عن نتائج المعارك، خوفًا من أن يسيء إليهم أو يحمّلهم المسؤولية، فالقسوة والشدة والفجوة بين القائد الأعلى والقيادات الأدنى توجد مثل هذه الحالات، فليس هناك حسن ظن وانفتاح وجرأة في بيان الحقائق، وبالتالي تكون نتيجة هذه التقارير غير الصحيحة والعلاقة غير الودية هي الهزيمة والانكسار في المعركة، بخلاف نتائج وجود هذه الرعاية؛ إذ سيحسنون الظن به ويحبونه ويصارحونه ويعتبرونه كأخيهم الكبير، ويقولون له الحقائق ويطرحون له المعوقات كما هي، ولا يجاملونه على حساب المعركة والانتصار فيها، وتتعمق الثقة والعلاقة فتكون علاقة مودة ومحبة وأخوّة تجاه أخيهم الكبير. هذه هي العلاقة التي ينظر إليها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتمثل الرؤية الإسلامية.

«ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالًا على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه»، هذا هو التكامل، إذ يجب ألاّ يقول لقد أعطيتك راتبًا ووفرت لك العتاد، فماذا تريد مني أكثر من هذا؟.. أريد منك عطفًا واحترامًا ومودة واهتمامًا، وهي لا تغني عن تلك، فالراتب بمكانه، والسلاح والعتاد والتجهيز والتدريب بمكانها، والمشاعر والعواطف وعلاقة المحبة والتراحم بمكانها أيضًا، وهذا لا يغني عن ذاك، بل تتكامل الأدوار حينما يجتمع الأمران مع بعضهما.

ثم ينتقل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للحديث عن المسؤولية الرابعة..

رابعًا: المفاضلة بين القادة/ في قوله: «وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته»، أيها القائد الأعلى، فاضل وميّز بين قادة الجنود، وبين أمرائك الذين تحت إمرتك، على أساس مواساتهم لمقاتليهم وجنودهم ومساعدتهم وإعانتهم لهم. هذا هو الأساس؛ يجب أن تميّز أكثرهم التصاقًا بمقاتليه وأكثرهم معونةً وإسنادًا لجنده، فمن كان كذلك فميّزه واشكره أمام الآخرين وفضله على باقي الأمراء.

حين يأتي آمر لواء أو قائد فرقة ويرى آمر فوج مهتمًا بجنوده جدًا، ومتواضعًا وميدانيًا يعيش مع مقاتليه ويخدمهم ويساعدهم ويرعاهم، فعليه أن يفضله على أمراء الأفواج الآخرين ويشكره ويقدره، ليخلق حافزا ودافعا لأمراء الأفواج أن يلتصقوا بجنودهم ويواسوهم لكي يحظوا أيضًا بالتفضيل والرعاية من القائد الأعلى.

«وأفضَلَ عليهم من جِدَتِه»، يواسيهم ويساعدهم ويعينهم بماذا؟ بأن يفيض عليهم من جِدَتِه، أي مما يوجد عنده، فحين يكون عنده مال يعطيهم منه، وحين تكون عنده

صلاحيات يستخدمها لتوفير متطلباتهم واحتياجاتهم، وإذا تطلبت هذه الاحتياجات متابعة، يهتم بها ويسعى في قضائها، فيتابع أمور مقاتليه ومشاكلهم وكأنّها مشكلته هو. إذن على الأمر أن يتابع ويحل مشاكل جنوده ويستخدم صلاحياته لمعالجة أمورهم، ويعطيهم بحسب ما يتوفر لديه من إمكانات.

«بما يسعهم»، بما يلبي حاجتهم ويوسع عليهم، «ويسع مَنْ وراءهم من خُلُوف أهليهم»، فهذا المقاتل وراءه أهل؛ زوجته وأولاده أو أمه وأبوه، بحسب طبيعة الناس المسؤول عنهم، فعلى الآمر أن يوظف صلاحياته لحل مشكلة المقاتل، وحل مشكلة أهل المقاتل الذين خلفهم وراءه، لأن المقاتل عندما تكون أموره محلولة وعائلته مستقرة يقاتل بشراسة، إذ ليس عنده شيء يؤخره ويأخذ اهتمامه ويشغله عن القتال، فأموره مؤمنة وكذلك أمور عائلته، إذن يتفرغ للقتال، فواجب الآمر أن يرعى حتى عوائل المقاتلين بحسب إمكاناته وصلاحياته.

«حتى يكون همّهم همًّا واحدًا»، في جهاد العدو «فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك»، يصبح همهم واحدا هو قتال الأعداء، وبقدر ما تعطف أيها الآمر على مقاتليك سيعطفون عليك، فتوجد العلاقة التكاملية والفريق المنسجم المستعد لدخول ساحات الوغى، وقتال الأعداء بشراسة وتحقيق الانتصارات تلو الانتصارات، لأن الانتصار في المعركة يتطلب معنويات قوية، وهذه العلاقة البينية؛ علاقة الشفقة والمودة والمحبة، توجد مثل هذه المعنويات العالية التي تحقق الانتصارات المتلاحقة.

إذن فإن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه المسؤولية الرابعة، يشير إلى مبدأ مهم من مبادئ الإسلام، يتمثل بنظرية القيادة والإدارة المواساتية، ومفادها أن على المسؤول سواء كان في قيادة عسكرية أو في قيادة إدارية مدنية، ألاّ يجلس في برجه العاجي ويبتعد عن جمهوره.

على القائد العسكري ألاّ يبتعد عن مقاتليه، وأن يكون معهم والى جانبهم، وأن يقترب منهم ويتعرف على مشاكلهم ويواسيهم ويشعرهم بالاهتمام ويحل مشاكلهم بقدر ما يستطيع، فالقيادة المواساتية هي التي يشير إليها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي التي تخلق المعنويات العالية، وهذه الإدارة المواساتية تشمل المقاتلين في السلك العسكري، والعاملين في الجانب المدني، وتشمل العاملين وعوائلهم، كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بما يسعهم ويسع من وراءهم من خُلُوف أهليهم».

في رواية عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحسن المواساة مواساة الإخوان»[٤٧]، تواسيه وتشاركه محنته، وهذا أعظم الإحسان إليه.

إن الأثر المترتب على هذه القيادة والإدارة المواساتية، هو: «حتى يكون همهم همًّا واحدًا في جهاد العدو»، يصبح همهم همًّا واحدًا، واندفاعهم وتحملهم للمسؤولية بمستوى واحد، «فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك»، هذه العلاقة العاطفية القلبية المتبادلة تحقق الانسجام، وتبني الفريق القوي المنسجم، وتوجد الانتصارات والإنجازات الكبرى.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما حفظت الأخوّة بمثل المواساة»[٤٨]، لا تحفظ الأخوّة بشيء كما بالمواساة.

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا ممن يواسي من يعمل معه وفريق عمله، وأن نكون ممن يعين بعضهم بعضًا، وأن نبني إدارة وقيادة على أساس الرحمة والشفقة والمحبة والتراحم بيننا، وهناك مسؤوليات أخرى يأتي الحديث عنها لاحقًا.

انتصار كبير.. وثلاث رسائل

نحمد الله كثيرًا على نعمة النصر ونعمة الصبر ونعمة الثبات، فاليوم تقدم أبناؤنا، في القوى الأمنية من حشد شعبي وجيش وطني وشرطة اتحادية وأبناء عشائر غيارى، خطوة كبيرة أخرى إلى الأمام وحرروا مدينة تكريت، ورفعوا العلم العراقي فوق مقر الحكومة المحلية وأزاحوا علم الخلافة المغتصبة الإرهابية، خلافة الفكر الظلامي المنحرف. إن هذه الخطوة النوعية تحمل الكثير من الرسائل والدلالات، وسأركز هنا على أهمها وأوجزها في ثلاث رسائل مهمة ومحورية.

الرسالة الأولى: اكتشاف إمكاناتنا الحقيقية، فإننا كعراقيين نستطيع أن نحقق انتصارات كبيرة متى ما عرفنا كيف نستثمر إمكاناتنا الذاتية الحقيقية. لقد صرفنا مليارات الدولارات على مدار سنوات عدة في بناء القوات المسلحة، ولكننا وللأسف أخفقنا في بناء مؤسسة عسكرية متكاملة وقوية، وكان أحد أهم أسباب الإخفاق غياب قيادة وإدارة صحيحة لعملية البناء، وأهم قاعدة في بناء المؤسسات العسكرية هي ((إن الوحدة بآمرها))، أي أن الوحدة العسكرية لا تُبنى بكمية السلاح والعتاد والمؤن الغذائية

٤٧. **غرر الحكم**: ١٩٤ /١٩٧.
٤٨. **غرر الحكم**: ٦٩٠ / ١٢٦، عيون الحكم والمواعظ: ١: ٤٧٧.

والتجهيز والتدريب وحجم الرواتب التي تُدفع لجنودها، رغم أهمية هذه العوامل، ولكن الوحدة العسكرية تُبنى عندما يكون هناك قائد حقيقي يقودها، وعندما نتمكّن من بناء وحدة عسكرية قوية ومتماسكة، فسنتمكن من بناء جيش مهني قوي، وعندها يمكننا القول إننا أصبحنا نمتلك مؤسسة عسكرية فاعلة.

لقد علمتنا المعارك في تحرير أرضنا من الإرهـاب، ولا سيّما معركة تكريت الأخيرة، أننا قادرون على تحقيق الانتصار متى ما اكتشفنا إمكاناتنا الحقيقية، وأولها قدرتنا على إعداد القادة الحقيقيين الذين يتمكنون من قيادة وحداتهم بانضباط وصبر وقوة، ويحققون الانتصارات المتلاحقة.

الرسالة الثانية: إننا أقوى مما كانوا يتصورون، وهم أضعف مما كنا نتوقع، فالحرب نصفها إرادة ونصفها شائعة، وقد أشاع الإرهابيون أنهم لا يُهزمون بسهولة، وأنهم يمتلكون عقيدة منحرفة لا تُقهر، وأنهم يموتون دون أهدافهم، وأنهم سيحولون مدن العراق إلى مزرعة من الألغام والطرق المفخخة، وقالوا الكثير، وقد أخذت هذه الأقوال مأخذها في فترة معينة، واستطاع الإرهاب الظلامي المنحرف أن يتقدم مرحليا بحرب الشائعات، ولكن توالي الانتصارات بدأ يكشف عورتهم وكذبهم وزيف بطولاتهم، فهم أبطال على الضحايا العزل من شباب الشيعة في سبايكر وبادوش، وأبناء عشيرة البو نمر والجبور واللهيب والعبيد السنة، والمدنيين التركمان والشبك الشيعة، وأبناء سنجار من الإيزيديين، ومن أتباع أهل البيت، وأبناء سهل نينوى من المسيحيين، وغيرهم من الأبرياء الكثير، وأن عقيدتهم أوهن من بيت العنكبوت، وأن أهل الضلال من القوقاز والجزيرة العربية الذين يقاتلون معهم إنما هم بقايا المجتمعات المريضة والشخصيات المنحرفة التي تتلذذ بالقتل والتعذيب وتبحث عن السبايا. لقد اكتشفوا حقيقة قوتنا، واكتشفنا حقيقة ضعفهم.

إننا نحرص على تقليل الخسائر، لأن هذا وطننا وهذه مدننا، وهؤلاء المدنيين المأسورين أو النازحين أهلنا، ومن يقاتل في أرضه ليس كالغريب المنحرف الذي لا يهمه شيء ولا يقف عند حد، ويحرص على إعطاء رسالة العنف بكل صورها، ليخلق الرعب في قلوب الناس، وهو سلاحه الوحيد للهيمنة على البلاد والعباد، وليس كابن الوطن الخائن الذي باع نفسه للإرهاب والشيطان، ولهذا فإن الأبطال يتقدمون ببطء، ولكن بثبات وإصرار، ويواصلون تحقيق الانتصارات.

الرسالة الثالثة: شكرًا لكل من يدعمنا، ولكن لا تفرضوا علينا شروطكم. نقول

شكرا لكل من يدعمنا في معركتنا المصيرية، ولكل من يقف معنا في هذه اللحظة التأريخية من حياتنا وحياة وطننا، ولكننا نقول إن الدعم يجب ألاّ يكون مغلفا بشروط وإملاءات علينا، فالصديق لا يشترط على صديقه، والحليف لا يشترط على حليفه. لقد اُبتلينا بالإرهاب الأسود والفكر المنحرف الظلامي التكفيري منذ عشر سنوات، وكنا دائمًا نستمع لنصائح أصدقائنا وحلفائنا، وجربنا جميع الوصفات والحلول والخبرات، وقد حان الوقت كي يستمعوا إلينا وإلى حلولنا، ولتتوقف قائمة الشروط المرافقة للدعم والنصائح، فنحن كدولة نقبل النصح ولكن لا نقبل الشروط، ولا سيّما التعجيزية منها، تحت أي مبرر.

إشراك أبناء المناطق المغتصبة

أحب أن أؤكد على محور مهم آخر في معركتنا ضد الإرهاب، وهو محور المشاركة الواسعة لأبناء المناطق المغتصبة في تحرير أرضهم، وألاّ تكون هذه المشاركة رمزية أو محدودة مناطقيًا، فهم أولى بتحرير أرضهم ومدنهم وقراهم من رجس الشيطان وخلافته الضالة، وهذا ما أكدت عليه المرجعية العليا مرارًا، وهي تدرك بحكمتها ورؤيتها الثاقبة، أن المشاركة الواسعة لأبناء المناطق المغتصبة سوف تحقق الكثير في طريق النصر النهائي على الإرهاب وأهله، فهم أصحاب الأرض ويعرفون مداخلها ومخارجها، وهم يتحركون بين أهلهم وعشائرهم ومناطقهم، فيعرفون المواطنين ويميزون بين البريء والإرهابي، وبذلك يثبت للقريب والبعيد أن أبناء هذه المناطق الكريمة، مع إخوتهم في الحشد الشعبي والقوات المسلحة، إنما يمثلون فريقًا واحدًا وهدفًا واحدًا ومهمة واحدة، فتخرس ألسنة المتقولين وتتضح الحقائق للمشككين.

وكذلك فإن وجود أبناء المناطق المغتصبة يسهم في مسك الأرض بعد تحريرها، وهي المهمة الأساسية بعد كل معركة، ولا يمكن لأبناء القوات الأمنية المشتركة القيام بهذا الواجب بمفردهم، كونهم قوات مقاتلة مهمتها استعادة الأراضي المغتصبة وليس التمركز فيها، وعليه فإن مهمة مسك الأرض يجب أن تكون لأبناء المناطق وبدعم من القوات الأمنية المشتركة، أما إعادة الإعمار وترميم البنية التحتية الضرورية، فإنها معركة أخرى لا تقل أهمية عن معركة تحرير الأرض، ويجب أن يتم التعامل معها بطرق مدروسة وخطط معدة مسبقا وبجهد مشترك من قبل جميع الوزارات، ومن هنا أدعو جميع الميسورين من أبناء المناطق المحررة إلى تفعيل مبدأ ((الجهد الطوعي))، في إعادة تأهيل البنية التحتية للمناطق، فهناك الكثير من رجال الأعمال والتجار والمقاولين

الذين يمتلكون الكثير من الآليات والمعدات والأيدي العاملة، وهم أكثر حرصًا وأكثر كفاءةً من مؤسسات الدولة وروتينها المعقد، فالجهد الطوعي يجب أن يكون له دور كبير وبارز في إعادة التأهيل للمناطق المحررة.

الحرص على الانضباط

كما أدعو إخوتي المتطوعين من الحشد الشعبي والعشائر الأصيلة والبيشمركة والقوات المسلحة من الجيش والشرطة الاتحادية، إلى الحرص الشديد على عدم وقوع الأخطاء، والدقة في الأداء. إن معركتنا هذه فيها الكثير من الحساسية، وهناك الكثير من الموتورين المتربصين الذين ينتظرون خطأ هنا أو هناك، كي يؤججوا نار الفتنة، وهي مستعرة أصلًا، ويتلهفون لتشويه انتصاراتكم والتشويش عليها، فأرجو منكم أن تكونوا على قدر المسؤولية وفي أعلى درجات الحذر والانضباط، وأن تفوّتوا الفرصة على أصحاب المشاريع المشبوهة والتخريبية والذين يعتاشون على خلق الأزمات والفتن، فارتكاب الأخطاء مرفوض سواء كان بقصد أو من غير قصد، والانضباط هو أوجب الواجبات وقمة الالتزام.

ضرب الأطفال في المدارس

تفاجأنا في الأسبوع الماضي بحادث أثّر فينا كثيرًا وهزّ ضميرنا الإنساني ومشاعرنا الأبوية، ألا وهو ضرب مدير إحدى المدارس للتلاميذ الأطفال، إن هذا الحادث ليس معيبًا ومشينًا وخارج نطاق التربية فحسب، بل هو حادث يدلّ على أن نظامنا التربوي كما يعاني من تلكؤ في العملية التربوية والتعليمية، يعاني كذلك من التلكؤ في العملية الإنسانية التي تصاحب التربية والتعليم، وإلاّ كيف استطاع هذا الشخص الذي يضرب الأطفال بهذا الشكل القاسي والمهين، أن يصل إلى درجة مدير مدرسة يتعلم فيها أطفالنا، فأين النظام الإشرافي؟ وأين المراقبة الدورية للمعلمين والمدراء، ولا سيّما في مدارس الأطفال؟ وكيف نتأكد من عدم وجود حالات مشابهة في المدارس الأخرى، ويعجز فيها التلاميذ الأطفال وهم بعمر الورود، عن الدفاع عن أنفسهم أو نقل شكواهم؟.

إننا نطالب ألاّ يُكتفى بفصل المدير المسيء، وإنما بفتح تحقيق يشمل مدير المنطقة التعليمية وصولًا إلى مدير التربية العام، كي تكون المسؤولية مشتركة، فلولا إهمال الرأس ما تجرأت الدرجات الوظيفية الدنيا على الانحراف والإساءة. يجب أن تكون معالجاتنا جذرية وليست ارتجالية ومرحلية. أين مسؤولية المعاون؟ ومسؤولية المشرف

التربوي؟ وأين مسؤولية المدرسين والمعلمين الذين يتواجدون في المدرسة؟ ولماذا لم يبلغوا عن هذه الممارسات الشاذة بحق الأطفال. أن تكون قراراتنا وردود أفعالنا مبنية على الصدفة فقط فهذا غير مقبول، وأتمنى من الأخ وزير التربية أن يقف طويلًا عند هذه الظواهر التي تسيء إلى النظام التعليمي والتربوي في البلاد ويضع المعالجات الجذرية لها.

ملفات القمة العربية

في الشأن العربي والإقليمي، فإن انعقاد القمة العربية شيء جيد وندعو إليه دائمًا ونتمنى أن يتكرر ويترسخ، واتخاذ قرارات بإجماع عربي خطوة في الطريق الصحيح، ولكن نتمنى على أشقائنا العرب أن يراعوا مسألة التوازن في سرعة انعقاد القمم وجرأة اتخاذ القرارات فيها، كي يشعر الجميع في الجامعة العربية بأنهم متساوون، وأن هناك إنصافًا في التعامل مع قضاياهم.

لا ننكر أن الوضع صعب ومربك في أكثر من بلد عربي، وأن المنطقة عموما والدول العربية خصوصا تتعرض لضغط شديد منذ سنوات، وأن المحاور والتخندقات أصبحت أكثر وضوحا واستقطابا، نحن ندرك هذا كله تماما، وندرك أن ما يجتمع عليه العرب في الجامعة العربية يجب أن يُنظر له على أنه قرار عربي، بغض النظر عن نوعية هذا القرار ومدى صحته أو خطئه، ولكننا نرى أن التوازن من أهم عوامل صناعة الاستقرار في المنطقة والعالم، وهو قانون الطبيعة الأول، ومن غير توازن لا توجد قيمة لأي شيء، وهنا نقول: أين التوازن في قرارات الجامعة العربية؟ وأين التوازن في اهتمامها بقضية دون أخرى؟ ونوعية الإجراءات المتخذة في قضية دون أخرى؟. أسئلة كبيرة وكثيرة تثار، ونتمنى أن نجد لها إجابات صريحة ومنطقية، فهناك أكثر من ملف عربي شائك، فلماذا لا يتم التعامل مع جميع الملفات بنفس الحزم الذي تم التعامل به مع ملف اليمن؟ ولماذا لا تكون القرارات بنفس الجرأة؟.

ومع ذلك فإننا نشدد على أن الجامعة العربية تبقى الإطار لأي تحرك عربي، وندعو إلى أن تكون حازمة في إيجاد حل للأزمة اليمنية، مثلما كانت حازمة في التدخل في هذه الأزمة، وكلنا أمل بإخوتنا العرب أن يكون صوت الحكمة عندهم أعلى من صوت المدافع.

اليمن وعاصفة الحزم

وفي الشأن اليمني، فإننا تابعنا باهتمام وحذر تطورات الأزمة اليمنية الأخيرة، وانطلاق عملية عاصفة الحزم، وأصبحت لدينا عاصفة أخرى تضاف إلى عواصف المنطقة التي لا تنتهي، ولكي نكون منطقيين وواقعيين، فإن الأزمة اليمنية تداخلت فيها العوامل الداخلية والخارجية بشكل كبير، وهذا يمثل أحد أسباب اتجاهها نحو التعقيد.

إنَّ موقفنا الثابت هو عدم التدخل في شؤون الآخرين، وإذا كان هناك تدخل فيجب أن يكون تدخلًا إيجابيًا، وليس لصالح طرف على حساب آخر، لأن من السهل اتخاذ قرار الحرب، ولكن من الصعوبة بمكان اتخاذ قرار إيقافها، وجمهورية اليمن بتركيبتها السكانية والعشائرية وطبيعتها الجغرافية وطبيعة أهلها، ليست بلدًا سهلًا لحرب مفتوحة كهذه، وكذلك نحمّل الأطراف المعنية مسؤولية ما حدث وما وصل إليه اليمن، وإننا ندرك جيدا أن هناك دولًا إقليمية لديها مناطق رخوة في أمنها القومي، وأنها تعتبر بعض الأحداث الداخلية في اليمن جزءًا لا يتجزأ من أمنها الإستراتيجي، وهنا نركز على أن عبور الخطوط الحمر هو تصرف طائش من الجميع بدون استثناء، لأننا نؤمن بأن الجزء المهم من عملية حفظ الاستقرار في المنطقة هو الحفاظ على الخطوط الحمر التقليدية وتدعيمها، وأن سياسة فرض الأمر الواقع ليست السياسة الصحيحة في منطقة ملتهبة كمنطقتنا.

نتمنى على اليمنيين ألاّ يزهدوا بالحوار المشترك لأنه نهاية كل أزمة، وأن يبدأ الحوار في أسرع وقت، كما لا نتمنى أن يتورط الأشقاء العرب في حرب مفتوحة في اليمن، وألاّ تكون هذه الأزمة بداية لصراع طائفي مفتوح، ويجب ألاّ يُسمح لها أن تكون صراعًا طائفيًا أو حتى قوميًا مفتوحًا.

الملتقى الثقافي بتأريخ ١٥-٤-٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا خلال الأسابيع الماضية في النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة، وتحدثنا في المقطع الثامن عشر من عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر عن مسؤوليات القيادات العليا تجاه القيادات الدنيا في المؤسسة العسكرية. وتحدثنا عن أربع منها.

((وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ الأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاَءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ))

العدل أساس الملك

نجد أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قبل أن ينتقل إلى المسؤولية الخامسة في مجال استعراض المسؤوليات والواجبات، يقف عند موضوع مهم، ثم يعود إلى الواجبات والمسؤوليات، وهذا الموضوع هو أهمية العدل وإشاعته في المجتمع الإسلامي، وأنه الركيزة الأساسية والدعامة المهمة التي يجب أن يستند إليها المتصدي للإدارة والحكم في المجتمع الإسلامي.

لاحظوا هذه العبارات الكريمة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد»، قرة العين وأفضل الإنجازات وأهم دعامة للحاكم والمسؤول وأهم منتج يمكن أن يفخر به المسؤول، أن يشيع العدل والإنصاف بين الناس، «وظهور مودة الرعية»، وحينما يكون منصفًا عادلًا، لا يميز بين أحد وآخر، ويعطي الفرص الحقيقية للناس، فإن الشعب سيتعلق بهذا المسؤول ويمنحه الثقة ويلتف حوله ويحيطه بالعواطف والمشاعر.

«وإنّه لا تظهر مودتهم إلاّ بسلامة صدورهم»، كيف يمكن أن يحظى الإنسان بثقة شعبه؟ فالشعب لا يعطي المحبة بالمجان، وإنما يعطيها لمن يزرع فيه الثقة، ومن يجد فيه الصدق والوفاء والصراحة والاندفاع في خدمته، ولمن يستطيع أن يعزز الثقة بقلوب شعبه، فلذلك حينما يكون الحاكم مهتمًا بإشاعة العدل والإنصاف، فالشعب يبادله أيضًا النصيحة والمحبة والمودة ويلتف حوله بسلامة الصدور، حينما تكون قلوب المواطنين بعيدة عن الضغينة والحقد وعن أزمة الثقة بالمسؤول، وحينما يشعر المواطن براحة من المسؤول ويجد أنه قد قام بواجباته، فعندها ستجد فيه سلامة القلب والانشراح القلبي تجاه المسؤول، وبالتالي ستجد المودة والمحبة للمسؤول.

«ولا تصح نصيحتهم إلاّ بحِيطَتِهم على ولاة الأمور»، وحينذاك ينصح المواطنون المسؤول ويلتفون ويتمحورون حوله ويتمسكون به ويدافعون عنه، «وقلة استثقال دولهم»، وحينئذ لا يجدون هذا الحاكم ثقيلًا عليهم يتمنون أن تأتي الانتخابات لكي يتخلصوا منه.

«وترك استبطاء انقطاع مدتهم»، لا يجدون حكمه طويل الأمد، ولا تمضي أيام هذه الحكومة ببطء شديد، بل تبدو قصيرة الأمد وتمضي سريعًا، لأن فيها مودة وثقة واحترامًا متبادلًا بين المسؤول والمواطنين إلى غير ذلك.

إن السؤال المطروح هنا: لماذا اختار أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المقطع ليشير إلى قضية العدل، وهو يستعرض واجبات ومسؤوليات القائد العسكري الأعلى تجاه قياداته الدنيا؟ وما علاقة العدل بالقيادات العسكرية؟ مع أن العدل ظاهرة مجتمعية يحتاج إليها الإنسان والمسؤول في جميع مستوياته، سواء كان مسؤولًا عسكريًا أو مدنيًا، وسواء كان في مستويات عالية من المسؤولية أو في مستويات دنيا، ففي جميع الأحوال يجب أن يكون عادلًا ويشيع العدل، فلماذا ذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الأمر في إطار مهمات القيادات العسكرية؟.

قد يكون السبب في ذلك هو أن الدولة ما لم تتخلص من الأعداء في الداخل والخارج، لا يمكن أن تعيش الاستقرار وأن تفشي الإنصاف بين الناس، فالعدل يحتاج إلى بيئة مستقرة، وما دام العدو الداخلي والخارجي يعبثان بالبلاد، فإن فرص إشاعة العدل أضعف من الفرص في الظروف العادية، ومن يقف بوجه العدو الداخلي والخارجي ويعالجه ويخلص العباد والبلاد منه هم منتسبو القوات العسكرية، ولذلك فإن تنويه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بأهمية آثار العدل في المجتمع في طيات حديثه عن مسؤوليات ومهمات القادة العسكريين، قد يكون لهذا الاعتبار.

الإضاءات من كلام أمير المؤمنين في العدل

الإضاءة الأولى / أهمية العدل في الإدارة والقيادة والحكم، فالذي يريد أن ينجح في مواقع التصدي، عليه أن يوفر معايير الإدارة والقيادة في نفسه، وبالطبع كلّما كانت المهمة أعظم، لزم تحقيق هذه الصفات بشكل أكبر وأوضح. إن إشاعة العدل والإنصاف بين الناس من الصفات المهمة في القيادة والإدارة من وجهة نظر الإسلام، وكما ذكرنا فإن هذه القواعد لا تخص الحكام وحدهم، بل تشمل جميع حالات التصدي والمنظومات القيادية، كأنْ يكون مسؤول شركة أو جماعة من الناس أو رئيس عشيرة أو مسؤول حزب أو كيان أو فريق رياضي وغير ذلك.

إذن فالركيزة الأساسية لنجاح المتصدي هي أن يكون عادلًا، فالعدل هو المعيار وهو المسطرة التي يقاس بها مستوى النجاح، فإذا أردنا أن نقيس مدى نجاح المسؤول، فعلينا أن نرى مدى عدله في دائرة مسؤوليته، بين الناس الذين يقعون تحت مسؤوليته.

في رواية عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ملاك السياسة العدل»[٤٩]، فالمعيار والملاك في السياسة والإدارة والقيادة هو العدل، وبقدر تحقق العدل يتحقق النجاح في المهمة.

معنى العدل في الحكم والإدارة

أولًا / أن تكون هناك إمكانات وفرص متكافئة لجميع من هو مسؤول عنهم، بأن يتكاملوا ويتعلموا ويأخذوا فرصهم بشكل متكافئ، فلا يشعر البعض بأنه بمحسوبياته ومحاباة المسؤول أقرب للوصول إلى المواقع والامتيازات من الآخر، فليس من العدل أن يحصل من كان قريبا من المسؤول والمتزلّف له على العطايا والمواقع والامتيازات، ومن كان بعيدا لا يحصل على فرصة مهما كان كفوءًا، فتوفير الفرص المتكافئة من واجبات المسؤول.

ثانيًا / حصول الجميع على استحقاقاتهم من غير نقيصة، وكل من يقوم بعمل يحصل على استحقاقه جزاء هذا العمل، فلا يجوز عدم ترفيع الضابط الذي يعمل بجد، والآخر المتكاسل يتم ترفيعه مرة بعد أخرى، لأنّ لديه قرابة أو جسورًا مع المسؤول فيحظى بالترقيات، فالعدل أن يحصل الإنسان على استحقاقاته الكاملة دون أن يضطر إلى تملق أو مواقف مشبوهة، بل تشفع له كفاءته وأداؤه فيحظى بالامتيازات المستحقة.

ثالثًا / شمول الجميع بالقانون وتطبيقه على الجميع من دون مواربة، فالعدل أن تكون هناك قاعدة واحدة ومعايير وضوابط تطبق على الجميع من دون استثناء.

رابعًا / أن يكون هناك تمايز في الامتيازات والفرص مبني على أساس الكفاءات وليس أكثر من ذلك، فيتقاضى فلان راتبًا أكثر مني، لأن عنده اختصاصًا وخبرة وعطاء أكثر مني، فيحصل نتيجة لذلك على امتيازات أكثر، وليس لأنه يعمل في الدائرة الفلانية، فقد تجد موظفًا بسيطًا في الرئاسات أو في مواقع أخرى يتقاضى راتبًا لا يتقاضاه مدير عام في وزارة! وهنا التمايز ليس على أساس الكفاءة والقدرة، وإنما على أساس اعتبارات أخرى، فالناس تتدافع لتحصل على وظيفة في وزارات محددة ومواقع معينة، لأن الرواتب والمخصصات في هذه المواقع أكثر من المواقع الأخرى، وهذه فرصة لكي ندعو فيها لتوحيد سلم الرواتب، ليكون عادلًا ويُبنى على أساس الاحتراف والاختصاص والخبرة، وليس على أسس أخرى بعيدة عن العدل والإنصاف.

خامسًا / العدل في الحكم والإدارة والسياسة يعني عدم التبعيض والتمييز على

٤٩. غرر الحكم: ٧٠٢ / ٢.

جميع الأصعدة، فيجب عدم التمييز على مستوى الأفراد والأسرة والعشيرة وما شابه، وعدم التمييز على المستوى الاجتماعي، فلا يطأطئ أحد رأسه لأنه من عرق أو مذهب أو قومية أو جماعة أو عنوان معين، والناس لا تتعامل معه كما تتعامل مع الآخرين، فحقوق المواطنة يجب أن تكون متكافئة، وكذلك عدم التمييز على المستوى السياسي، بأن يحظى الجميع بشكل متساو ومتكافئ بالاحترام والتعاطي والتعامل، وعدم التمييز في الإدارة، أي ألاّ تكون إدارة تمييزية فيتعامل الموظف مع البعض بطريقة مهينة، فهذا لا يصح، ويجب أن يكون التعامل باحترام مع من يعرف ومن لا يعرف، مع الغني والفقير، فكرامة الإنسان ليست بالمال الذي يملكه، وليست بالانتماء الحزبي أو السياسي، وليست بقرابته من هذا المدير أو ذلك الموظف، بل الإنسان مُكرّم بحد ذاته، سواء كان فقيرًا أو غنيًا، وسواء كان منتميًا لحزب أو ليس كذلك، هذه هي العدالة في التعاطي الإداري.

وكذلك العدالة في التعاطي الاقتصادي على مستوى الفرص الاقتصادية، والعدالة على مستوى الفرص الثقافية، والعدالة القضائية، فإن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو خليفة المسلمين، لم يقبل من القاضي أن ينظر إليه أكثر من ذلك اليهودي الذي تخاصم معه أمام القاضي في ملكية سيف؛ فالإمام يقول هو ملكي، واليهودي يزعم أن السيف ملكه، وبما أن عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدّعي ذلك والسيف بيد الآخر، ولم يكن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يملك وصل شراء ذلك السيف، فقد حكم القاضي لمصلحة اليهودي، وحينما خرجا من المحكمة جاء اليهودي وقال: أريد أن أسلم، قيل له: لماذا؟ فقال متعجبًا: هذا خليفة المسلمين والسيف له، وأنا في بلاد الإسلام والقاضي مسلم وأقاضي خليفة المسلمين، ثم أكسب الدعوى بالباطل! فأعاد السيف إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ[٥٠]، هذه هي العدالة في القضاء. وهناك العدالة في التعامل الأمني مع الجميع على حد سواء، فالإجراءات الأمنية يجب أن تطبق على الجميع بصورة متساوية. إذن يجب أن تكون هناك عدالة وإنصاف في التعاطي مع جميع هذه الشؤون.

هذه هي السمات الخمس للعدل في الإدارة والقيادة والحكم. وبهذا يتبين أن العدل هو الذي يحقق النظام في أي مجتمع من المجتمعات، وهو ما يعبر عنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العدل نظام الأمرة»، فالنظام يتحقق بالعدل، والحكومة التي ليس فيها عدل لا تستطيع أن تحقق وتنجز عملها بشكل صحيح، هذه هي الإضاءة الأولى.

٥٠. انظر: بحار الأنوار ٤١: ٥٦ ح٦.

الإضاءة الثانية / العلاقة الصحيحة والوثيقة بين المواطنين والحاكم، فكما أن الحاكم يجب أن يكون عادلا، فالمواطن يجب أن تكون له علاقة وثيقة مع الحاكم والمسؤول والمتصدي، بأن يحمل المودة وحسن الظن تجاه المسؤول، فكما أن المسؤول مطالب بالعدل والإنصاف، فكذلك المواطن مطالب بأن يثق بالمسؤول ويدافع عنه وينصره، لكي تُبنى هذه العلاقة الصحيحة بالشكل الوثيق: «وإنه لا تظهر مودتهم إلاّ بسلامة صدورهم»، يجب أن تكون القلوب نظيفة وطاهرة وبعيدة عن أي تصدعات وضغائن تجاه المسؤول، فالرؤية الإسلامية تحمّل المسؤول مسؤولية مضاعفة في إشاعة العدل وأن يغرس الثقة وأن يحكم القلوب وليس الأجساد بقوة السلاح والنار، وتطلب من المواطن إذا وفى المسؤول بواجباته، وكان عادلًا، أن يطهر قلبه تجاه هذا المسؤول.

المواطن الذي يشعر بالظلم والغبن يدخل إلى دائرة، وهو على حق، ولكنه يدخل خائفًا لا يعرف إن كان سيُحكم لصالحه أو ستُنجز معاملته، وتكون العلاقة بينه وبين المسؤول علاقة خوف وارتشاء وعلاقة انتهازية، وليست علاقة ثقة ومحبة، فالثقة تولد حينما يشيع العدل والإنصاف، وبدون ذلك لا قيمة للحكم والإدارة، وسيكون حكمًا يكره فيه الناس حاكمهم ويدعون عليه بالزوال.

ما قيمة الحكم إذا لم تكن هناك إشاعة للعدل؟ وما قيمة التصدي للمسؤولية إذا لم تقترن بإشاعة العدل والإنصاف بين الناس؟. وهذا ما يشير إليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة الثالثة من نهج البلاغة: (أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ)، لولا وقوف هؤلاء الناس في بيعتهم لي، (وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ)، ولولا وجود الأمة الواعية المتصدية التي تدافع عن المشروع، (وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا) ألاّ يوافقوا (عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ)، الكظة هي الثقل الذي يصيب الإنسان حينما يكثر من الأكل، و(كظة الظالم) إشارة إلى استئثار الظالم بحقوق الناس، وقد أخذ الله على العلماء ألاّ يوافقوا على استئثار الظالمين بحقوق الناس ولا يقروا ذلك ولا يقبلوا به، (وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ)، السغب هو شدة الجوع، ويعني ألاّ يقبلوا بأن تُهضم حقوق المظلومين، فلولا ما أخذه الله علينا من الوقوف بوجه الظالم والدفاع عن المظلوم وإعادة حقه إليه، لولا ذلك، (لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا)، لتركت الأمر وتخليت عنه، ولما كنت تصديت للمسؤولية، فالمسؤولية ليست تشريفًا وإنما تكليف. (ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ولألفَيْتُم دُنياكُم هذه أزهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفطَةِ عَنْزٍ)[٥١]، ما قيمة هذه

٥١. نهج البلاغة ١: ٣٦ الخطبة ٣.

الدنيا إذا لم يستطع الإنسان أن يفشي فيها العدل والانصاف بين الناس؟. نسأل الله أن يعيننا على ذلك ويجعل جميع المتصدين في بلادنا وبلدان المسلمين من الذين يشيعون العدل ويقدمون الخدمة والرعاية للمواطنين.

الحشد الشعبي ومؤامرة التشويه

الحشد الشعبي يعد اليوم محورًا أساسيًا في إستراتيجيتنا الدفاعية للوطن، وهناك محاولات مدسوسة من أجل تشويه صورة الحشد والتعاطي الإعلامي لبعض الأخطاء والتجاوزات إن وجدت.

إن ما حدث في تكريت شيء كبير ومهم، إذ تبلورت نظرية الوطن الواحد، ولم يعد هناك فرق بين الدم الشيعي والدم السني، أو الأرض الشيعية والأرض السنية، وكل من أخطأ وتجاوز فإنه لا يمثل مؤسسة الجيش والشرطة والحشد الشعبي وأبناء العشائر الأصيلة وقيمهم وأخلاقهم، بل هي عناصر مدسوسة ومنحرفة.

إن بعض الذي حدث كان مدبرًا ومخططًا له مسبقًا، وثقافة حرق بعض المنازل والمحال التجارية وخلق الفوضى ثقافة هدامة نعرف أصحابها جيدًا، والذاكرة العراقية مليئة بمثل هذه الممارسات، وأحداث غزو الكويت وما نتج عنها، والانتفاضة الشعبانية المباركة عام (١٩٩١) وما حصل فيها، وما جرى في بغداد ليلة سقوط الدكتاتور، ليست ببعيدة، وفي جميع هذه الأحداث لم يكن قد وُلد الحشد الشعبي بعد، إنهم يجيدون التخريب والتشويه وحرق المدن وسرقة الممتلكات الخاصة والعامة والفرهود.

وكذلك فإن مساهمة بعض القنوات الإعلامية التي تدّعي الحياد بتسمية الحشد الشعبي بالمليشيا، إنما هي استكمال لعملية التشويه ومحاولة وضع الحشد الشعبي في خانة من يحمل السلاح خارج إطار الدولة، في الوقت الذي تعلن فيه الحكومة العراقية أن قائد الحشد هو القائد العام للقوات المسلحة العراقية ورئيس الوزراء العراقي الشرعي.

حضارتنا تُدمّر اليوم على يد داعش، وليس جميع إرهابيي داعش من القادمين من وراء الحدود، بل إن جزءًا من المنحرفين القتلة في الوقت الراهن، من العراقيين الذين لا يؤمنون بالعراق ولا بالإسلام المحمدي الأصيل ولا بأي قيمة حضارية أو مدنية أو إنسانية، وإنما هم عبيد نزواتهم وشهواتهم وأفكارهم المنحرفة الإرهابية الخبيثة،

ومع كل هذا نرى ونسمع، مع الأسف الشديد، من البعض محاولات لاعتبار الحشد الشعبي هو المشكلة، ونقول لهم إن الحشد الشعبي هو الجزء المهم من الحل لوقف الإرهاب وسحقه والانتصار عليه، وجميع محاولات التشويه ستنكشف لأبناء شعبنا وتفضح من يقف وراءها شرّ فضيحة.

مؤسسة الشهداء

في محور آخر، هو محور شهداء الحشد الشعبي وحقوقهم وتكريمهم من قبل الدولة العراقية، نناشد مجلس النواب تجنب حالة ازدواجية المعايير والعمل بروح العراق الواحد بكل تضحياته وكل أزمانه، فليس من الصحيح والمنطقي أن يكون لدينا مؤسسة شهداء مختصة بالشهداء من ضحايا النظام السابق فقط، فماذا عن شهداء الاعتداءات الإرهابية؟ وماذا عن شهداء الحشد الشعبي بجميع أطيافه والقوى الأمنية الأخرى؟ وهل أصبحنا في زمن تقسم فيه الشهادة على مؤسسات مختلفة؟.

إن مؤسسة الشهداء يجب أن تكون لجميع شهداء العراق في الماضي والحاضر والمستقبل، فالعراق واحد والشهادة واحدة مهما كانت الأسباب، وليس من الصحيح أن يتم حصر عمل مؤسسة الشهداء بالمرحلة السابقة، وليس من المنطق أن نذهب إلى تأسيس مؤسسات شهداء أخرى وزيادة البيروقراطية وتعقيد الأمور.

ومن يدّعي أن هناك تفاصيل تختلف، نقول له لتكن مؤسسة واحدة فيها تفاصيل ومقاسات ومقامات مختلفة، فهل من المنطق ألاّ يكون شهداء سبايكر ضمن عمل مؤسسة الشهداء؟ أو شهداء العمليات الإرهابية الذين سقطوا وهم يصوتون للدستور الذي منح البرلمان ومؤسساته الشرعية؟ أو الذين سقطوا وهم يدافعون عن العراق الجديد؟. واليوم يسقط شهداء الحشد الشعبي والقوات العسكرية والأمنية الأخرى من أجل العراق ومستقبله، فهل يعقل أن يكونوا بعيدين عن مؤسسة الشهداء؟. إن مؤسسة الشهداء لجميع شهداء العراق وفي جميع أزمانهم ومراحلهم، ولأننا نؤمن بالعراق الواحد، فعلينا أن نؤمن بالشهيد العراقي الواحد.

الإعلام وبناء المصداقية

في المحور الثالث لملتقانا اليوم، سأتحدث عن الإعلام والإعلاميين والبحث عن الحقيقة وبناء المصداقية، وفي بداية الحديث أتوجه إلى السيد محافظ البصرة وأطلب منه أن يتنازل عن حقه ويسقط الدعوى المقامة ضد أحد الإعلاميين، فنحن تيار لا

نفضل مقاضاة الإعلاميين وإنْ أخطؤوا بحقنا، لأننا أصحاب مشروع ورسالة، وعلينا أن نتحمل وندفع ضريبة هذا المشروع، وأقول لجميع الإخوة الإعلاميين ونشطاء الحركة المدنية والمجتمعية، عليكم أن تكونوا قدوة في الفعل ورد الفعل، وعليكم أن تختاروا الوسائل الصحيحة والحضارية للتعبير عن رفضكم أو احتجاجكم أو غضبكم، فالذي يكون إعلاميًا ويدّعي أنه ناشط مدني واجتماعي وسياسي، ومع ذلك يستخدم العبارات النابية ويعتدي ويسيء إلى صورة المسؤول في الأماكن العامة ويستخدم عبارات تحض على الكراهية، فأي رسالة يرسلها للمجتمع، علما بأني شخصيا ضد أن يكون للمسؤول صور في الشوارع، فالأداء هو الذي يجب أن يتكلم، ولكن كان الأجدر أن يتم اختيار وسائل أكثر حضارية ونضجًا ووعيًا للتعبير عن الرأي، لأن مسؤولية الإعلامي هي خلق الوعي وليس التشجيع على الفوضى.

إن الإعلام مسؤولية وليس وسيلة من وسائل الشائعات والتسقيط والتشهير، وبناء المصداقية الإعلامية مسؤولية كبيرة، ولأننا نحترم الإعلام ونقدر المسؤولية التي يمثلها في المجتمع، فإننا نتابع ما يقول، ولدينا أجهزتنا التي ترصد وتحلل وتتابع، ويؤسفنا أيضًا أن تقوم وسيلة إعلامية كبيرة بترديد الشائعات ونشر الصور المفبركة وإطلاق النداءات، قبل التأكد من محتوى المادة التي تنشرها، فعندما يقوم مقدم برنامج سياسي خدمي بتوجيه نداء إلى عمّار الحكيم ويقول له: أين مسؤوليتك أمام رجالك؟ فإن عمّار الحكيم يستمع للنداء ويأمر بالمتابعة ويفتح تحقيقًا، ولكن عندما نجد أن النداء أُطلق بناء على صور مفبركة ومعلومات تسقيطية، وأن الصراعات السياسية، مع الأسف، هي التي كانت وراء الموضوع، فإننا سنعيد تقييمنا لمصداقية ما تقدمه هذه القناة أو تلك؛ لأن رجالها لم يدققوا جيدًا بالمادة التي يعرضونها، وكأن هذه القناة تقول لنا إنها لا تدقق في كل ما تقوله، وليس كل ما تنشره يتمتع بالمصداقية. نتمنى لإعلامنا المستقل أن يكون أكثر استقلالية ومصداقية.

شركات التخليص الجمركي

في المحور الرابع، نتحدث عن مظلومية وصلتنا من شركات التخليص الجمركي في ميناء أم قصر وفي الموانئ العراقية الأخرى، وهم يتحدثون عن نية وزارة النقل توحيد عقد عمليات التخليص الجمركي بمؤسسة واحدة، وأن يعمل الآخرون تحت غطاء هذه المؤسسة.

إننا دائمًا نقف مع حق أبنائنا وإخوتنا في أي مكان كانوا وتحت أي عنوان عملوا، ونحن وإن كنّا لا نعرف الخلفيات الفنية والقانونية للقرار، ولكن نطلب من السيد وزير النقل أن يجتمع مع هؤلاء الإخوة ويطّلع على مشاكلهم ويستمع لوجهة نظرهم، فإن التواصل مهم جدًا بين المسؤول والمواطنين، ولا سيّما حين يتعلق الأمر بقانون أو إجراء يخص العلاقة بين الطرفين، وإني أدعو المسؤولين كافة إلى اتباع أسلوب التحاور والتداول بين الإداريين والمواطنين المستفيدين قبل القيام بأي خطوة إجرائية، فقد تكون الخطوة صحيحة لكنها غير واضحة أو مفهومة، وقد تكون ناقصة وبالحوار والتداول تصبح كاملة ومفيدة.

الإعفاء الدراسي وحق التميز

لقد وصلنا تظلم بخصوص قرار وزارة التربية إيقاف العمل بنظام الإعفاء للمتفوقين والمتميزين، وهنا نقول هل يستوي المتميز مع غيره؟. التميز مفهوم إسلامي وإنساني عام، فما هي الحوافز التي نقدمها للطالب إذا قمنا بإلغاء نظام الإعفاء؟ وإذا كان السبب وجود خطأ هنا أو تجاوز هناك، فليس الحل بإلغاء الفكرة الصحيحة بسبب الأخطاء في تنفيذها، ولا تبنى العملية التربوية، وهي أساس بناء المجتمع المستقبلي، بهذه الطريقة.

إن النجاح هو مكافأة الذين يجتازون الاختبارات، ولكن الإعفاء هو مكافأة المتميزين على تميزهم والحصول على درجات عالية طوال السنة، فلا يكونون بحاجة لدخول الامتحانات النهائية، ونحن بأمس الحاجة لدفع أبنائنا إلى التميز، ومنحهم المساحة الكافية للتنافس في تحقيق التميز، وإن إلغاء «الإعفاء» إنما هو تضييق لهذه المساحة وتحويل العملية التربوية إلى عملية رتيبة يتساوى فيها الجميع، ولا يكون هناك حافز للطالب لبذل المزيد من الجهد طوال السنة، لأنه يدرك أن النهاية ستكون واحدة وأن الجميع سيكونون في قاعة امتحان واحدة، وسيكون هم الطالب هو النجاح وعبور المراحل فقط وليس التميز.

نهيب بالإخوة في وزارة التربية مراجعة هذا الإجراء وتصحيحه، وأن يحافظوا على مساحة التميز لأنها أساس خلق روح التفوق لدى الطالب.

الشهادات العليا تحرق

لقد آلمني كثيرًا مشهد خريجي الدراسات العليا وهم يحرقون شهاداتهم العلمية وأبحاثهم الدراسية، وليس هينًا على الإنسان أن يحرق ولو رمزيًا أعز ما يملك من إنتاج

في هذه الحياة، ألا وهو الإنتاج العلمي، فماذا يحصل؟ وإلى أي مستوى وصل تردي الحال؟ وهل أصبحنا عاجزين عن استيعاب بضع مئات من خريجي الدراسات العليا من الدكتوراه والماجستير، لندفعهم إلى حرق شهاداتهم العلمية علنا وتمزيق أبحاثهم التخرجية.

إنني ومن هذا المنبر أوجه ندائي إلى الإخوة في الحكومة، وأقول لهم إن هذه رسالة مقلقة، وعليكم أن تجدوا الحلول لها، وإن التعبير عن الإحباط بهذا المستوى يدل على أن فرص الأمل تضاءلت لدى أبنائنا، وهذه مسؤولية الجميع كي يثبتوا لهؤلاء الشباب أن الأمل موجود، وأن الإيمان بالمستقبل هو خيارنا الوحيد والأكيد.

رأس السنة الإيزيدية

بمناسبة حلول رأس السنة الإيزيدية، نتقدم لشركائنا الأعزاء في الوطن والإنسانية بأسمى التهاني والتبريكات، ونتمنى لهم دوام السعادة والنجاح والهناء، وعودة النازحين منهم إلى مناطقهم ومدنهم وقراهم، وانتهاء معاناة الحرائر المختطفات من الإيزيديات الكريمات بتحريرهن وعودتهن إلى أحضان أسرهن، وأن يعيشوا في وطنهم بعزة وكرامة.

آثار السلوكيات الخاطئة

في محور محلي آخر، سأتكلم في بعض السلوكيات الثقافية والمجتمعية الخاطئة في مجتمعنا الكريم، فنحن دائمًا نشكو من قلة الخدمات المقدمة من قبل الحكومة أو ضعفها أحيانًا، وهذه الشكوى حقيقية في مضمونها وجوهرها، فما زال حجم الخدمات المقدمة ضعيفًا ونوعيتها دون المستوى المطلوب، ولكن أين مسؤوليتنا نحن كمجتمع تجاه هذه الخدمات؟ ألا نتحمل جزءا من المسؤولية؟ أليست النظافة جزءًا من مسؤوليتنا الاجتماعية الرئيسة كما هي من مسؤولية البلدية؟ فهل نساهم في جعل واجهات بيوتنا ومحالّنا جميلة ونظيفة؟ وهل ننظم عملية جمع النفايات ووضعها في الأماكن المخصصة لها عند الضرورة؟. لا توجد بلدية نظيفة وبلدية غير نظيفة، ولكن يوجد مجتمع نظيف ومجتمع أقل نظافة، وعلينا أن نقوم بحملة توعية كي يكون مجتمعنا نظيفًا، ومن هنا أهيب بجميع القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية والصحف ومنظمات المجتمع المدني بمختلف توجهاتها، القيام بواجبها في توعية المجتمع بأهمية النظافة، وإيصال المجتمع إلى درجة عالية من الوعي

البيئي، فإننا بخطوات بسيطة نستطيع أن نجعل شوارعنا ومدننا أنظف وأجمل، وأن نساعد الحكومة على رفع مستوى الخدمات التي تقدمها بعد أن نتحول من ناقدين إلى مشاركين فاعلين.

النظافة من الإيمان، وهي أيضًا من أساسيات الراحة النفسية والمعنوية للمجتمعات، فمن الصعب أن تجد مجتمعًا موتورًا وبيئته نظيفة، لأن النظافة تدفع الإنسان إلى الهدوء والسكينة وترفع من مستوى الذوق العام. تصوروا لو أن صاحب كل محل تجاري نظف ونظم واجهة محله، فكيف سيكون منظر الأسواق؟. إننا اليوم نعيش فوضى في المعروضات واستغلال الأرصفة والتجاوز على المساحات المخصصة للمارة، بالإضافة إلى النفايات التي ترميها المحال أمام واجهاتها.

علينا أيضًا أن نطور ثقافتنا الاستهلاكية، فنحن نستهلك أكثر مما نحتاج، ولعل ربع ما نستهلكه ينتهي إلى سلة المهملات، فإن كمية الخبز والصمون التي ترمى كفضلات تمثل (٢٠٪) من مجموع استهلاك الطحين في العراق، وكذلك استهلاك السكر وباقي المواد الغذائية.

وعلينا أن نقتصد بالماء والكهرباء، لأننا بهذه المعدلات غير المنضبطة في الاستهلاك لا نستطيع الانتظام بإنتاج الكهرباء والماء لفترة طويلة، هذا هو الواقع، فالمشكلة لم تعد في الإنتاج فقط، بل في سوء الاستهلاك أيضًا، واليوم يستهلك العراق من الماء والكهرباء أكثر من معدلات الدول المجاورة على الرغم من عدم انتظام إمدادات الكهرباء والماء فيه.

إذن نحن كمجتمع علينا أن نقوم بواجباتنا ونغير من أنماطنا الاستهلاكية، فالنظافة أساس الذوق وأساس المجتمع الواعي، وترشيد وضبط الاستهلاك أساس بناء الاقتصاد المتزن.

الوضع الإقليمي

في الوضع الإقليمي، نراقب بحذر شديد تطور الأوضاع والمواقف على الساحة الإقليمية الملتهبة، واليوم نرى أن الشرق الأوسط أصبح كرة نار تتدحرج نحو المجهول، فالمعارك في جميع الجبهات والبلدان، وهناك دول جديدة مرشحة لدخول نادي عدم الاستقرار السياسي، وحتى اللحظة لم تفعّل أي مبادرة ناضجة لوقف الأحداث في اليمن.

إن الحل السلمي للمشاكل هو الحل الوحيد والأكيد الذي ينفع شعوب المنطقة، كما أكد ذلك القرار الأخير لمجلس الأمن الدولي، فلا يمكن لمنطقة بأهمية الشرق الأوسط أن تُفرض فيها حلول عسكرية، وقد جربت دول كبيرة فرض الحلول العسكرية ولكنها أخفقت واستجابت لمنطق التفاهم والحوار في نهاية المطاف، فمنطقتنا منطقة نفوذ مشترك ومصالح متداخلة، وهي أيضًا نقطة التقاء خطوط التجارة الدولية، ولن يُسمح لها أن تحترق أو تدخل المجهول، ونخشى أن يكون البعض قد تورط من دون حسابات دقيقة في الرمال اليمنية المتحركة. إن الشرق الأوسط لا يستقر إلاّ اذا اقتنعت جميع دول المنطقة بحقيقة أن أمنها واحد ومصيرها الجيوسياسي واحد، واحترام مساحات النفوذ هو الحل الأمثل والوحيد.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٥/٥/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

ما زلنا في عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر، وانتهينا إلى المقطع الثامن عشر من هذا العهد، حيث يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤوليات القيادات العليا تجاه القادة والمراتب الأدنون في المؤسسة العسكرية.

وفي هذا الموضوع، شرحنا ما ذكره أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من أهمية العدل في الإدارة والقيادة، وفي قيادة القوات المسلحة، وتحدثنا عن العلاقة الإنسانية والوثيقة المطلوبة بين الحاكم والمتصدي والمسؤول من ناحية، وعموم المواطنين من ناحية أخرى.

سمات العلاقة بين المسؤول والمواطن

((وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ الأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاَءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ))

بقي علينا، في هذا الموضوع، أن نتحدث عن العلاقة الثنائية البينية بين المسؤول أو الحاكم أو المتصدي للخدمة العامة وإدارة شؤون المجتمع، وبين عموم الناس، فمن ناحية المسؤول عليه أن يرعى المواطنين ويهتم بهم وينصفهم ويكون عادلا معهم، وأن يشيع العدل في ذلك المجتمع، هذه مسؤولية ومهمة أساسية يتحملها المسؤول تجاه مواطنيه في إطار العلاقة بينهما. ومن ناحية المواطنين، فإنهم حينما يجدون المسؤول عارفًا بواجباته، ملتزمًا بمسؤولياته، منصفًا لهم مدافعًا عن حقوقهم، متابعًا لمشاكلهم راعيًا لمطالبهم، عندئذ عليهم أن يبادلوه الثقة والمحبة والاحترام والتقدير والالتفاف حوله، وأن يصفّوا قلوبهم تجاهه وينظروا له بإيجابية، وهنا تُبنى هذه العلاقة المثالية بين المسؤول العامل بواجباته تجاه الأمة، وبين الأمة المتفهمة والمقدرة لمثل هذا المسؤول ولخدماته. والسمات الأساسية للعلاقة بين المسؤول والمواطن كما ذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي:

السمة الأولى / (ولا تصح نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة الأمور): لا يكون المواطن ناصحًا للمسؤول، واثقا منه، محبًا له، ملتفًا حوله، مدافعًا عنه، إلاّ حينما يكون المسؤول قد قام بواجبه في خدمة هذا المواطن ورعايته وإزالة الظلم والغبن عنه، حتى يتحقق ركنا وجناحا العلاقة بين المسؤول تجاه المواطن، والمواطن تجاه المسؤول. هناك حكام منبوذون من شعوبهم، وهناك حكام تفديهم شعوبهم بالروح والـدم، حقيقة وليس شعارًا، فالحاكم العادل يكون محبوب شعبه، والمسؤول والمتصدي الذي يرعى مرؤوسيه، يتمسكون به ويحبونه ويدعمونه ويصدون الأعداء والشبهات عنه إلى غير ذلك، بل كلما زادت الشبهات والاتهامات، ازدادوا تصلبا في الدفاع عنه وشعروا بمظلومية هذا المسؤول أو المتصدي الذي يتعرض إلى الاستهداف والتشويش والتشويه، هذه هي السمة الأولى؛ ثقة واحترام ورعاية واهتمام، فالمسؤول يهتم بالناس ويرعاهم ويحل مشاكلهم، والناس تقدم النصيحة والتقدير للمسؤول، وتلتف حوله وتحيط به.

السمة الثانية / (وقلة استثقال دولهم): حينما يؤدي الحاكم واجباته تجاه الأمة، ويكون ليّنًا لطيفًا منصفًا عادلًا مع شعبه، فإن الأمة لا تجد هذا الحاكم ثقيلا عليها، وهذا يشمل جميع المسؤولين في علاقتهم مع مرؤوسيهم والمواطنين.

أحيانًا يأتي ضيف غير مرغوب فيه كثيرًا، أو يكون البيت غير مستعد لاستقباله، أو يكون التوقيت غير ملائم للزيارة، أو يكون لدى صاحب البيت التزام آخر ويداهمه

الوقت، فيكون هذا الضيف ثقيلًا عليه، وأحيانًا يكون عليك أن تؤدي واجبًا اجتماعيًا مرهقًا ولا تريد أن تذهب، ولكن الواجب الاجتماعي يتطلب أن تذهب حتى لو كنت متعبًا، فيكون هذا الواجب الاجتماعي ثقيلا عليك، فتخرج وأنت غير مرتاح، وأحيانًا أخرى يزورك صديق عزيز، ولديك الوقت الكافي وليس عندك التزام، فتمر الساعات من غير أن تشعر ولا يكون ثقيلًا، أو يكون هناك واجب اجتماعي في مجلس فيه أصدقاء وأخلّاء وأنس ومحبة إلى غير ذلك، فلا يشعر الإنسان بالملل أو التعب، بل يكون الواجب مريحا، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يمثل بهذا المثال، فحين يكون الحاكم غير مرغوب فيه من الناس، سيشعرون بثقل أيامه ويتمنون الخلاص منه. ومثال ذلك، أن يبغض الناس مسؤولًا في مكانٍ ما، فلا يفكرون إلاّ بانقضاء الوقت ليتخلصوا منه.

إذن فالسمة الثانية في العلاقة بين الحكام والمواطنين هي (قلة استثقال دولهم)، يعني لا يستثقل الناس فترة حكمهم ومسؤوليتهم وتصديهم، بل يتمنون بقاءهم، وكذلك أي مسؤول، فتجد – مثلًا – مسؤولًا حين يريد أن ينتقل إلى دائرة أخرى، يبكي الموظفون ويتألمون لأنه أنصفهم، بخلاف لو كان هذا المسؤول متعنتا يضيق على الناس ويلاحقهم في حرياتهم ويضغط عليهم، فمن المؤكد أن مثل هذا المسؤول بهذه الممارسات والأزمات والمشاكل، وابتعاده عن الناس وجلوسه في قصره وبرجه العاجي، وعدم اهتمامه بمشاكلهم، مثل هذا المسؤول يكون ثقيلًا ويتمنى الناس الخلاص منه.

السمة الثالثة / (وترك استبطاء انقطاع مدتهم)، هناك حاكم تبدو مدته بطيئة، فالأسبوع في أثناء حكمه كأنه سنة، وكذلك أي مسؤول، سواء كان رئيسًا أو وزيرًا أو مديرًا أو في أي موقع من مواقع التصدي، لا يعامل الناس بالعدل والإنصاف، ستكون فترة حضوره ليست ثقيلة فقط، بل بطيئة أيضًا، فيومه كأنه سنة، والناس تحسب أيام هذا المسؤول لكي تعرف متى تتخلص منه، وهناك فضائيات تضع صورة المسؤول الفلاني وتضع عدادًا لزمن بقائه، بينما لا تستثقل الناس مدة المسؤول الذي يحسن أداءه، بل العكس؛ تكون السنة معه بيوم، وتنتهي أربع سنوات من غير أن تشعر الناس بالوقت، وذلك لحسن تعامله وعدالته.

إذن فالعلاقة المتوازنة بين المسؤول والمواطنين، القائمة على إشاعة العدل من قبل المسؤول، وحسن الظن من قبل المواطن تجاه المسؤول، هذه العلاقة تتصف بهذه السمات الثلاث التي ذكرناها.

واجبات القيادات العسكرية العليا

يعود أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ذكر الواجبات والمهمات الملقاة على عاتق القيادة العليا، كالقيادة العامة للقوات المسلحة تجاه قادة الفرق، أو قائد الفرقة تجاه أمراء الألوية، أو آمر اللواء تجاه أمراء الأفواج. .

المسؤولية الخامسة / منحهم الفرصة لإظهار قدراتهم: في قوله: (فافسح في آمالهم)، أيها القائد، امنح الضباط الذين تحت أمرتك دورًا وأعطهم الفرصة وافسح في آمالهم، أي افتح المجال أمام طموحاتهم، ولكن هل ندعهم يفعلون ما يشتهون، فالآمال الواسعة والامتيازات الكبيرة تؤدي إلى الاسترخاء وقلة الحماسة والاندفاع، وتؤدي إلى النرجسيات والوقوع في الأوهام، وهناك طلبات غير معقولة، ومن المؤكد أنها غير مقصودة في كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل المراد هو ما كان ضمن استحقاقات هؤلاء، والسياق القانوني كما نعبر اليوم، فإذا استحق أحد ضباطك الترفيع فرفعه ولا تبقه عشر سنوات أو خمس عشرة سنة بلا ترفيع، بل أعطه حقه ولا تشعره بالغبن وأطلق آماله، وإذا كان يستحق امتيازات فلا تحرمه منها، أو مخصصات فلا تقتطعها وتأخذها لك يا مسؤول، لأنه سيعرف أين ذهب المبلغ، حين يوقع على رقم ويتسلم رقمًا آخر، فلا تأكل من أموالهم ولا تحجز من مخصصاتهم المشروعة المخصصة لهم، بل امنحها لهم بالكمال والتمام.

الجانب الآخر هو الصلاحيات؛ فإذا كنت تريد أن تخوض معركة فاستشره وأعطه دورا، وقل له نريد أن نحقق هذا الهدف، فماذا تقول وما هي الخطة المناسبة؟ وأعطه المجال ليبدع ويفكر، وقد يعطيك فكرة لم تفكر بها وإن كنت قائدًا أعلى، فيجب إعطاء الصلاحيات والدور ضمن الإستراتيجيات والأهداف المحددة.

أعطه مساحة ليعبر عن نفسه ويفجر طاقاته، ودعه يشعر بأنه شريك في وضع الخطط وفي تنفيذ المعارك، أما المبدأ المعروف: «نفّذ ثم ناقش»، أي لا تفتح فمك وخذ التعليمات والأوامر ونفّذ وليس من حقك النقاش، فهذا غير صحيح، فاسمع منه وافتح قلبك له لعله يمتلك فكرة صحيحة وإستراتيجية نافعة إلى غير ذلك، أما إطلاق العنان للهوى وللتمنيات وللطموحات غير المشروعة، فهذا ما رفضه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان؛ اتباع الهوى وطول الأمل)[٥٢]، هذا ما

٥٢. نهج البلاغة ١: ٧٢ الخطبة ٢٨.

أخاف عليكم منه، فكيف يمكن أن يوصي القائد العسكري الأعلى بأن يمارس مثل هذا الدور التخريبي للقيادات الدنيا؟ فمن المؤكد أن هذا ليس مقصودًا، إنما المقصود هو ضمن الإطارين؛ إطار المخصصات وإطار الصلاحيات وتفجير الطاقات والفرص للتعبير عن النفس، والوصول إلى القيادة الخلاقة، وليس القيادة المغلقة المحتكرة للقرار والأنانية التي لا تلتفت لأحد ولا تسمع لأحد ولا تريد أن تشرك أحدًا، وتريد أن تحتكر الأدوار لنفسها وبمفردها، وهذا ما يرفضه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن ذلك يسبب إحباطًا للقيادة وعدم شعور بالمسؤولية، ويسبب انكسارًا وعدم اندفاع نحو المعركة وتحقيق الأهداف، وسوف يتعلل القائد الأدنى بأنه غير مسؤول لأن القائد لم يستشره، فالمطلوب هو القيادة التضامنية والجماعية والتشاورية والتشاركية، فهذه القيادة تشرك المراتب والضباط وتشعرهم بالحماسة، وبأنهم جميعًا جزء من الانتصار وجزء من المسؤولية الملقاة على عواتق هؤلاء، وهذا ما يعمق الروح المعنوية بين القيادات الدنيا والقائد الأعلى.

المسؤولية السادسة / الثناء على الإنجاز والبطولات: في قوله: (وواصل من حسن الثناء عليهم)، لتصدر منك الإشادة والتقدير لما يسطرونه من مواقف في ساحة المعركة، من خلال إبراز النقاط الوضاءة والإنجازات الكبيرة التي يحققونها، ولا تستحوذ على انتصاراتهم وإنجازاتهم وتنسبها لنفسك، بل عليك أن تشيد بهم وتحترمهم وتحفزهم وترغبهم، وتفاخر أمام الآخرين بشجاعتهم وبطولاتهم. كرموا القادة الشجعان وتحدثوا ببطولاتهم، وألّفوا الكتب، وأنتجوا المسلسلات والأفلام عن بطولات القادة، إذ يجب تقدير الإنجاز والإشادة به وشكره، ليس بذكره مرة أو مرتين، بل واصل حسن الثناء عليهم باستمرار، وامدح واشكر وقدّر وثمّن بطولاتهم دائما.

(وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم)، وعدد واستعرض واشرح بطولات هؤلاء ومواقفهم بالتفصيل، وكلّم الناس عنهم، واخرج أيها القائد في الإعلام وقل إن القائد أو الآمر الفلاني وقف هذا الموقف، وفعل هذا الفعل، ليعرف الناس من هم القادة الذين يصنعون الإنجازات والانتصارات الكبرى، (فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم)، كثرة مدحهم والإشادة ببطولاتهم، (تهزّ الشجاع)، يهتز القائد الشجاع فيتفاعل معها ويندفع ويحقق بطولات أعظم وأكبر، (وتحرِّض الناكل)، والخائف المتردد والمتقاعس والمتخاذل عندما يسمع المديح والإطراء للأبطال، سيتحرك الدم في عروقه وتُبعث فيه الجرأة على أن يكون شجاعًا وبطلًا كأقرانه من الضباط الآخرين، فهذا المديح يفيد

الشجاع ويزيده شجاعة وإقداما، ويفيد المتخاذل بأن يبعث فيه الحماسة ليكون شجاعًا ومقدامًا في أداء واجباته القتالية.

مبدأ التشجيع والتحفيز

تشير هذه المسؤولية التي وضعها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مبدأ التشجيع والتحفيز، وهو مبدأ مهم وأساسي؛ لأن العلاقة فيها بُعدٌ نفسي، وعندما تشجعه ستدفعه وسيشعر بأن إنجازه منظور، وهذا شيء طبيعي؛ لأن الإنسان عندما يرى الآخرين يصفقون له ويشيدون به ويقدرون مواقفه يشعر بحماسة واندفاع أكبر، وفي خطاب الله (سبحانه وتعالى) إلى نوح شيخ الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أمره أن يبني السفينة، قال تعالى: (واصنع الفلك بأعيننا)[٥٣]، يا نوح اصنع السفينة ونحن نراك ونشجعك، ونوح شيخ الأنبياء يحتاج إلى التشجيع أيضًا ويأنس بالتشجيع، ونرى في القانون الرياضي أن أي فريق يلعب في أرضه وبين جمهوره فإن الهدف يحسب هدفًا واحدًا، ولكنه حين يلعب على أرض الخصم، فإن الهدف يحسب هدفين، لماذا؟ لأن هذا بين جمهوره والناس تصفق له فيصبح التأثير مضاعفًا، وهذا مبدأ إنساني طبيعي، فالتشجيع والتحفيز يفجران الطاقات.

إننا، مع الأسف، لا نكترث كثيرا لهذا المبدأ، وتتحقق الإنجازات الكبرى ولا أحد يفكر بمن فعلها، أو يحتكرها أحد ما، أما من أعطى الدماء وقدم وأبدع فلا نقف عندها، ونحن أمة لا نشجع أبطالنا ولا نساعد على بروز هذه الشخصيات الشجاعة، ونحن أمة نحتفي بأبطالنا بعد موتهم؛ إذ نبدأ حينها بمدح هذا البطل الصنديد الذي قام بكذا وكذا، وحين كان حيًا لم نذكره ولم نمتدحه، وكذلك الأمر مع العلماء؛ فبعد استشهاد هذا العالم، يصبح عالمًا ربانيًا عظيمًا، وعندما كان موجودًا بيننا لم يسمع غير الشائعات والاتهامات والسباب، ولا نعرف قيمة الشجعان والأبطال وذوي المواقف الكريمة ولا نقدرهم ما داموا فينا، وعندما نفقدهم نعرف ذلك ونؤبنهم.

إن خلفية هذا المبدأ واضحة؛ فالإنسان بفطرته يعشق الكمال ويريد دائمًا أن يطور من نفسه، والتشجيع يفتح له مثل هذه الآفاق ويساعده على أن يكون إيجابيا، وأن يندفع أكثر لتحقيق المزيد من الإنجازات والانتصارات، لأن أي إخفاق يبعده عن الكمال وعمّا يندفع نحوه فطريًا.

---

٥٣. سورة هود: الآية٣٧.

إذن هناك نظريتان في التعاطي مع الناس؛ نظرية ترى أنك إذا أرت أن يسير الناس باستقامة فأشهر سيفك، وهي (نظرية العقوبة)، فهذا اقطع راتبه وهذا عاقبه. . وهكذا تسير الناس بقوة السيف، وهناك نظرية أخرى هي النظرية الإسلامية، وهي أن المبدأ الأساسي هو التحفيز والتشجيع والترغيب، وما دام التشجيع مؤثرًا فلا تذهب إلى خيارات أخرى. شجع الناس على إيجابياتهم وعاقب الكسول بتشجيعك للكفوء والنشيط وتكريمه وشكره وتقديره، وهذه الحالة تجعل الخامل يبدأ بالتحرك والتساؤل؛ لماذا يُكرم ذاك ولم يكرم هو؟ فيقوم بالعمل الصحيح، وبذلك يصبح المبدأ هو التحفيز والتشجيع وليس العقوبة، أما العقوبة فتُستخدم عندما لا يكون التشجيع مفيدا، فهناك من قلبه ميت ولا يتحرك وليس منه فائدة، وفي هذه الحالات نستخدم مبدأ العقوبة لكي نحفزه ونحركه، فهو مبدأ استثنائي وطارئ وليس هو الأساس في هذه العملية.

آثار مبدأ التحفيز والتشجيع

يبين أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الأثر المترتب على التشجيع بقوله: (فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع وتُحرِّض الناكل)، الأثر المترتب على التشجيع هو أن الفاعل يزداد فاعلية والخامل يفعل وينشط ويتحرك ويتحمس. قال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في غرر الحكم: (من اشتاق أدلج)[٥٤]، إذا اشتاق شخص إلى شيء يخرج أول الناس ويبكر ويركض، ويكفي أن تجعل حافز محبة الهدف والإيمان به محركًا للإنسان، فحين يفهم الهدف ويقتنع به تراه هو شخصيًا يركض ويبكر (أدلج)، وهو الذي يبادر اشتياقًا إلى الهدف، فأقنعه بالمشروع وأوضح له الأسباب؛ يا مواطن نريد أن نأخذ هذا الإجراء الحكومي لهذه الأسباب لمصلحتك، واشرح ووضّح للناس أيها المسؤول لماذا اتخذت هذا الإجراء، ولماذا اتخذت هذه المحددات أو التسعيرة وأقنعهم بالمنطق، فإذا اقتنعوا فسوف يسرعون نحو الموقف الصحيح ويتبنونه ويلتزمون به.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ازجر المسيء بثواب المحسن)[٥٥]، إذا أساء شخص فإن عقابه وزجره يكونان بأن تثيب المحسن وتكافئه وتحترمه وتقدره، وهذا مبدأ مهم جدًا، ففي التربية إذا كان أحد أولادك مشاغبًا لا ينفع معه الضرب مرة أو مرتين، فإن الضرب سيكون غير نافع، والضرب ليس مبدأ صحيحًا في التربية؛ لأنه يولّد عقدًا ومشاكل، والحل هو أن تشكر الابن الآخر الملتزم، وعندها سيتساءل المشاغب عن

٥٤. غرر الحكم: ٦٦٥ / ١٥٠٦، عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٦.
٥٥. نهج البلاغة ٤: ٤٢ الحكمة ١٧٧.

سبب عدم إعطائه هدية مثل أخيه، فأجبه بأن هذا التزم وحقق درجات عالية في دروسه ونام في وقته. . إلى آخره، وعندما تفعل مثله سأجلب لك هدية، أي عاقب المسيء بمكافأة المحسن، فانظر إلى المنهج الإسلامي الرصين لخلق المنافسة وتحقيق مبدأ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٥٦].

في رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ضادوا الشر بالخير)[٥٧]، عادوا الشر بفعل الخير، فإذا أساء إليك أحد وسبك فاتبع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٥٨]، أي عاقبه بفعل الخير، ومن أساء إليك وصفعك لا قدر الله، فإذا صفعته فقد جرّك إلى ما يريده، وأكبر عقوبة له عندما تكون أكبر من الإساءة وتقابل الإساءة بالإحسان، فتحرج موقفه بشكل كبير، فيقول لك لماذا تفعل ذلك؟ فأنا سببتك فسبني، محاولًا جرك إلى هذه الساحة، فضادوّا القسوة بالرقة، ومن يتعامل بقسوة تعاملوا معه تعاملًا لطيفًا ليرى تأثير الرقة واللطف في التعامل ويخجل من نفسه لقسوته، فمن أساء إليك فبادره بالإحسان، وهذا منهج إسلامي رصين وعظيم يعتمد على مبدأ التحفيز والتشجيع والترغيب لتحقيق الأهداف والغايات.

الحشد الشعبي بين المشروعية والتشويه

إن الحشد الشعبي هو المشروع الناجز لفتوى المرجعية الرشيدة، للدفاع عن العراق وعن أهلنا في المدن التي أصبحت قاب قوسين أو أدنى من استباحة الإرهاب الأسود لها، وقد كتب الحشد سيرته بدماء أبنائه من الشباب الذين عانقوا الشهادة وانطلقوا مؤمنين بحتمية الانتصار، وقد حذرنا من هذا المنبر من حملات التشويه والتلفيق التي تحاول النيل من أبناء الحشد الشعبي، وأكدنا مرارًا أن جزءًا من المسؤولية يقع أيضًا على المتصدين لقيادة الحشد والقادة الميدانيين؛ إذ عليهم أن يقوموا بمراقبة شديدة ويرسخوا الانضباط والالتزام الشرعي والأخلاقي والعسكري بين المقاتلين من الحشد الشعبي، سواء في جبهات القتال أو في تعاملهم مع المواطنين في المدن والخطوط الخلفية، وأن يمنعوا شرذمة منفلتة هنا أو هناك من الإساءة إلى هذا المشروع الوطني وتشويه سمعته بتصرفات شخصية وانتهازية.

واليوم أعود لأشدّد على أن مشروع الحشد الشعبي هو مشروع مبارك جاء نتيجة

٥٦. سورة البقرة: الآية ١٤٨، سورة المائدة: الآية ٤٨.
٥٧. غرر الحكم: ٤٢٦ / ٢٧، عيون الحكم والمواعظ: ٣٠٩.
٥٨. سورة الفرقان: الآية ٦٣.

فتوى مرجعيتنا العليا، وأنه خط أحمر ضمن ثوابتنا في الدفاع عن الوطن والعقيدة، ولن نسمح بالتجاوز عليه أو استهدافه ظلما وعدوانا.

إن معركتنا ضد الإرهاب طويلة وشرسة، وقد قدمنا الشهداء والتضحيات للانتصار في هذه المعركة وسنستمر بتقديم التضحيات، فالانتصار في هذه المعركة هو انتصار أخلاقي مبدئي قبل أن يكون انتصارًا ميدانيًا، فنحن نقاتل أصحاب العقيدة المنحرفة والسلوك المنحرف، وعلينا أن ننتصر بالاستقامة والالتزام وتقديم نموذج متميز يوضح الفرق الشاسع بين أصحاب المشروع المحمدي الأصيل وأبناء المشروع المنحرف المزيف فكرًا وسلوكًا.

أمن العاصمة وتحديد المسؤولية

في المحور الثاني نركز على أمن العاصمة الذي تعرض إلى اختراقات عديدة في المدة الأخيرة. إننا ندرك تماما أن هدف الإرهاب ومن معه ومن يدفعه هو خلط الأوراق وتشتيت الجهد الأمني والعسكري للحكومة، من خلال إرباك أمن العاصمة وإنْ كان ذلك من خلال عمليات إرهابية غير ذات قيمة إستراتيجيًا وعسكريًا وسياسيًا، وإنما لإرهاب المواطنين فقط وإزهاق المزيد من الأرواح البريئة في الأسواق التجارية والأماكن العامة، وإن هذا الاستهداف معروف الغايات ومكشوف الأساليب، ولكننا اليوم نطرح سؤالًا محددًا؛ هو من المسؤول الحقيقي والمباشر عن أمن العاصمة؟ هل هو وزارة الداخلية أو قيادة عمليات بغداد أو جهة ثالثة؟.

إن تحديد المسؤول المباشر عن أمن العاصمة هو أولى الخطوات الصحيحة لبناء منظومة أمنية حقيقية، تستطيع أن توقف الإرهاب وتبعده عن شوارعنا وإحيائنا، ولتشخيص مستوى الإنجاز الذي يحققه هذا المسؤول في مكافحة الإرهاب أو إخفاقه في هذا العمل، وليجيبنا عن السؤال الأهم؛ وهو لماذا ما زال الإرهاب يمتلك القدرة على إثارة الرعب لدى المواطنين وإرباك الوضع الأمني في العاصمة؟ ولماذا يتحقق الأمن لفترة ثم يتراجع فجأة؟. إنها أسئلة مشروعة وعلى من يتصدى لإدارة الملف الأمني أن يجيب عنها، لأن دماء أبنائنا ليست رخيصة ولا نقبل أن يستمر الإرهاب بالتلاعب بها وقتما يشاء وأينما يشاء، فإما أن تتحمل الأجهزة الأمنية المكلفة مسؤولياتها أو تتنحى وتفسح المجال لأجهزة أخرى لتحقق الأمن وتدوس على رأس الإرهاب.

تدعيم الحالة الوطنية

في المحور الثالث لملتقانا اليوم، نتحدث عن تدعيم الحالة الوطنية بتحديد الحد الأدنى من التوافق. لا يخفى على الجميع أننا سياسيًا وأمنيًا واجتماعيًا واقتصاديًا نعاني من أزمات حقيقية وجدية، وأن الوضع الوطني ليس بأفضل حالاته، والوضع الإقليمي قد اقترب من نقطة الانهيار، وعليه فإن البيئة الداخلية والخارجية هي بيئة سياسية ملتهبة ومأزومة، ومرحلة التحديات الكبيرة والمصيرية قد بدأت، وفي أوضاع كهذه علينا البحث عن خطوة تدفعنا جميعا إلى الأمام وتبقينا في الأقل في الحد الأدنى من التوافق.

إن ما حدث في مجلس النواب قبل أيام في التصويت على رفض مشروع القرار المفترض للكونغرس الأمريكي، قد أظهر درجة عالية من الانقسام في المواقف بين المكونات السياسية في العراق، وإذا أردنا أن نحلل ما حدث بعيدا عن العاطفة والاستفزاز والتعصب للرأي، فإننا نجد أننا كنا قادرين على تجنبه من دون أن يفرّط أحدنا بالآخر.

إن علينا التعامل على أساس أننا دولة واحدة، كي يقوى منطقنا في مطالبة الآخرين بالتعاطي معنا على هذا النحو، وتمنيت لو شرح لنا المدافعون عن هذا التوجه في الكونغرس تعريفهم لمفردة تسليح العشائر، وهل حددوا العشائر أو الجهات السياسية في المناطق السنية الكريمة التي ينوون إرسال المساعدات لها؟ أو أن هناك تقسيمًا آخر وتفصيلًا آخر؟ وعندها ندخل في مرحلة تقسيم المقسم. وكذلك في ما يخص إقليم كردستان؛ فهل سترسل المساعدات المفترضة إلى حكومة الإقليم، أو إلى فصائل البيشمركة مباشرة، أو إلى الأحزاب السياسية؟.

إن الفكرة أصلًا غير واعية ومشوهة ومسمومة، وإذا كان من حسنة لهذا المقترح فهي ما أظهره من هشاشة التوافق السياسي العراقي في هذه المرحلة الحساسة من حاضر الدولة العراقية، وهو ما يؤكد أننا في هذا الوقت بالتحديد بأمس الحاجة إلى جهد سياسي أو مبادرة سياسية أو اتفاق مبادئ يضمن لنا التوافق بحده الأدنى.

أزمة صلاحيات الحكومات المحلية

في المحور الرابع نتحدث عن أزمة صامتة لا يركز عليها الكثيرون، وهي أزمة الصلاحيات للحكومات المحلية، ففي علم الإدارة هناك مبدأ واضح وصريح هو: عندما تقل الموارد تزداد الصلاحيات، وهو مبدأ منطقي، لأنه إذا لم يكن لدي الكثير

من المال كي أمنحك، فعليّ أن أجعل حركتك أسهل وقدرتك على المناورة أكبر وصلاحياتك أوسع، كي تبتكر الحلول وتحقق الحد الأدنى من الإنجاز، أما أن أمنع عنك التمويل بسبب ضعف الموازنة والموارد، وأقيدك بحبال الروتين والبيروقراطية والتعليمات، ثم أقول لك أنت حكومة محلية وعليك أن تخدم محافظتك ومواطنيك، فهذا أشبه بتقييد شخص ورميه في الماء ثم طلب السباحة منه!.

إننا نعاني من قصور في إدارة الأزمة، فمنذ خمسة أشهر ونحن نتباكى بسبب قلة الموارد، ولكن ما هي الحلول التي قدمناها؟ وما هي الصلاحيات التي منحناها للوزارات والمحافظات كي نخفف من آثار قلة الموارد وضعف الموازنة؟.

علينا أن نفكر بعقلية إدارة الدولة، وهي تحتاج إلى حلول وليس مجرد استذكار المشاكل. الدولة تحتاج إلى تقديم الأفكار والمقترحات لحل المشاكل، والاستماع لأفكار ومقترحات الآخرين، فقد مضى نصف السنة وما زالت الصلاحيات معطلة، بل إن تعليمات تنفيذ الموازنة ((الضعيفة أصلًا)) هي تعليمات مقيدة ومربكة ومعرقلة فنيًا، فأي إدارة للأزمة نملك؟ ومن يضع السياسات الإدارية العليا للدولة؟ ومن ينسق بين هذه السياسات ومن يقوّمها؟.

لن تكون لنا تنمية بدون إدارة، ولن تكون لنا إدارة بدون صلاحيات، ولن نعرف ما هي الصلاحيات التي يحتاج إليها المسؤولون إلاّ إذا استمعنا إليهم، وقدمنا لهم ما يحتاجون إليه بأسرع وقت ومن دون مماطلة أو تسويف.

المتغيرات الإقليمية وضرورة الاستعداد

في المحور الخامس والأخير لملتقانا اليوم، نتحدث عن الجانب الإقليمي، وقد ذكرنا سابقا في أكثر من مناسبة أن هناك متغيرات إقليمية كبيرة قادمة، وعلينا أن نكون واقعيين ومستعدين، فإنكار المتغيرات لا يعني المنع من حدوثها، ونحن أمام واقع جديد ووقائع غير متوقعة ومتغيرات سريعة؛ فدول المنطقة تتغير وسياساتها تتغير وقادتها يتغيرون والظروف المحيطة بها تتغير، وهذا يعني أننا في مرحلة متغيرة وعواملها متغيرة أيضًا، وفي وضع كهذا لا يكون سقف التوقعات منخفضًا، لأن المنطق يفرض علينا سقفًا عاليًا بغض النظر عما إذا كنّا نفسيًا مرحبين به أو غير مرحبين.

إننا في العراق سنكون من أكثر المتأثرين بهذه المتغيرات، سواء على المستوى الأفقي بتأثيرها في المكونات السياسية والمذهبية والقومية والمناطقية للمجتمع العراقي، أو

على المستوى العمودي في علاقة الدولة العراقية بالمتغيرات التي تحيط بها وضغط هذه المتغيرات عليها.

إنني أدعو إخوتي المتصدين للهمّ القيادي في الساحة العراقية إلى الاستعداد لقادم الأيام بواقعية وعقلانية، وحساب جميع المعادلات والنظر للصورة من جميع الزوايا والابتعاد عن المزايدات والشعارات، لأن العراق مسؤوليتنا وشعب العراق أمانة في أعناقنا، وعلينا أن نضمن أفضل النتائج بحدود الممكن لوطننا وشعبنا أمام عاصفة المتغيرات القادمة.

الأمسيات الرمضانية

الأمسية الرمضانية الأولى بتأريخ ٢٠١٥/٦/١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [٥٩] صدق الله العلي العظيم. . سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأبارك لكم هذه الليلة الشريفة التي نستقبل فيها شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والمغفرة، شهر الصيام والقيام، وشهر الإنابة، شهر دُعينا فيه إلى ضيافة الله وجُعلنا فيه من أهل كرامة الله. هنيئًا لكم هذه الضيافة الإلهية والوفود على الله تعالى. هنيئًا لكم هذه الفرصة التي لا تعوض حينما تكون أيادي الشياطين مغلولة، وحينما يكون الإنسان مستعدًا ومهيأ لطاعة الله تعالى، كما قال نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نومكم فيه عبادة وأنفاسكم فيه تسبيح»[٦٠]، وعلينا أن نستثمر فرصة هذا الشهر الفضيل ونحن على أبوابه وفي بدايته.

الحصول على سعادة الدارين

إننا قد نرتكب أخطاء في هذه الحياة، فمتى يصحح الإنسان ومتى يقول لنفسه كفى؟ ومتى يعدل من مواقفه ويراجع نفسه؟ ومتى يتخذ القرار التأريخي الصحيح بأن يسير في طريق العبودية لله تعالى؟. في دائرة المؤمنين كلنا نبحث عن الآخرة، ونريد أن يتوج عملنا بالجنة والسعادة في الدنيا والآخرة، ومن يعمل ليكون سعيدًا في آخرته، فالله تعالى يعطيه سعادة الدنيا والآخرة معًا، وهذه هي المفارقة؛ فمن عمل للدنيا فقط فقد

٥٩. سورة البقرة: الآية ١٨٥.
٦٠. بحار الأنوار ٩٣: ٣٥٦ ح٢٥.

أضاع الآخرة، مع أن الدنيا لا تعطيه كل شيء، فمن يعمل للدنيا يحصل في أفضل الأحوال على جزء من طموحاته الدنيوية، والجزء الأكبر من الدنيا لا يحصل عليه، ويُضيع آخرته، ومن يعمل للآخرة يحصل على سعادة الدارين، فعلينا أن نستثمر هذا الشهر الفضيل، بأن نبذل جهودنا لنخرج من هذا الشهر ونحن في حال غير ما كنّا عليه حين دخلناه.

أبدأ بوقفة سريعة في مستهل هذا الشهر الفضيل، بالحديث عن واجباتنا وكيف نتعامل مع شهر رمضان، ومن يوم غد سنبدأ، إن شاء الله، بالحديث عن رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أعمال شهر رمضان

تتنوع الأعمال الواردة في شهر رمضان، من الوجوب والاستحباب، ويرتبط جزء منها بالجوانح والنية والقلب بداخل الإنسان، وبعضها يرتبط بالجوارح، وهي:

أولًا / النية، وهي البداية، فإذا كان قلبك طاهرا فإن اندفاعك نحو العمل سيكون اندفاعًا صحيحًا، وتشمل جانبًا من الأعمال العبادية والممارسات المهمة، أولها الصوم، وهذا هو الجانب الجانحي.

ثانيًا / العبادة بالجوارح، وتشمل ممارسات عبادية عديدة في بناء الإنسان.

ثالثًا / جانب السلوك، ويرتبط بسلوك الإنسان تجاه الآخرين؛ كيف تصل الرحم، وكيف تبني علاقات إنسانية، وكيف تنسق مواقفك وتنظم إيقاع السلوك بالشكل الذي لا يكون فيه اعتداء على الآخر أو إساءة إليه؟.

رابعًا / الاهتمام بالقضايا الإنسانية، فلا يمكن أن تمر على الفقير كما تمر عليه في وقت آخر، فالضعفاء والفقراء والمساكين والنازحون، وكل من لهم حاجة أو يعانون ضعفًا في أوضاعهم المادية، تجب رعايتهم، وهذه سلسلة من الأعمال تصب في هذا الاتجاه.

خامسًا / جانب يرتبط بهموم الأمة، كالجهاد في سبيل الله، فإن أهم غزوة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي غزوة بدر، كانت في شهر رمضان، فرمضان ليس وقتا للجلوس والراحة في الثقافة الإسلامية، بل الجهاد والتصدي والمواقف الكبيرة في شهر رمضان.

سادسًا/ العلم والتفقه في الدين والتعرف على واقع هذه الحياة وعلى مسؤولياتنا؛ من نحن؟ وأين نحن؟ وماذا يجري في هذا الكون؟ وما هو موقفنا تجاه ما يجري؟ وما هي واجباتنا؟ وما هي الأحكام والرؤية، وماذا يحتم علينا الإسلام من مواقف شرعية؟ وما هي الاستحقاقات الاجتماعية؟. إن دائرة الواجبات والمستحبات في العبادات والأعمال الواردة في شهر رمضان فيها شمولية كبيرة، إذ فيها جوانب ذاتية وعبادية واجتماعية وأخلاقية وروحية ومادية، وفيها جوانب سياسية وعسكرية ومعرفية إلى غير ذلك.

دائرة الواجبات والمستحبات

النية الصادقة وتطهير القلب: يجب توفر النية الصادقة في شهر رمضان، وكل إنسان يعرف نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[٦١]، والله تعالى عالم بنا وبنيّاتنا، فيجب تنظيف وتطهير القلوب وإزالة الأدران منها، وليس هناك وقت أفضل من شهر رمضان لإزالة الذنوب والمعاصي وتعديل النيّات غير الطيبة والمخططات غير المشروعة.

التوبة النصوح: شهر رمضان فرصة لاتخاذ قرار التوبة إلى الله تعالى؛ التوبة النصوح التي لا يعود بعدها إلى الذنب من جديد. راجع نفسك واعترف بين يدي الله تعالى وليس أمام عباد الله، وقل يا إلهي، أنا الذي أذنبت وأسأت وأخطأت، واعمل مراجعة وقل يا إلهي، أنا ضيفك في شهر ضيافتك، وأرجوك أن تحسن إلى ضيفك، وأسألك المغفرة والرضوان منك يا الله في هذا الشهر الكريم.

الصلاة وقراءة القرآن: تلاحظون في أعمال شهر رمضان، أن هناك صلوات مستحبة يمكن أن يأتي بها الإنسان في جميع أوقات اليوم، وكذلك قراءة القرآن، فإن شهر رمضان ربيع القرآن، ويجب أن تأنس بالقرآن، وحاول أن تعطي شهر رمضان خصوصية في هذا الجانب؛ من حيث الكمية والتدبر في الآيات، وهناك مصاحف توجد في هامشها معاني بعض المفردات غير المفهومة، والذي يتجاوز هذه المرحلة ويقرأ تفسير هذه الآيات فسوف يزداد معرفة.

إن تلاوة القرآن عنوان وارد في الروايات، والتدبر في آيات الذكر الحكيم عنوان آخر مستقل ورد في أعمال شهر رمضان أيضا.

---

٦١. سورة القيامة: الآية ١٤ ـ ١٥.

الإكثار من الدعاء: تعلم كيف تتحدث مع رب العالمين، وأئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ علمونا ذلك، وأدعية شهر رمضان أدعية عالية المضمون يجب أن نتدبر فيها وكأنها تعبر عن ظروفنا وذنوبنا ومعاصينا وسلوكنا، ويجب أن نأنس بالدعاء.

الذكر والزيارة: الذكر في شهر رمضان له حلاوة خاصة، وكذلك زيارة المشاهد المشرفة لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذه فرصة في شهر رمضان.

إفطار الصائمين والصدقة: تقربوا إلى الله واضمنوا لأنفسكم الجنة بإفطار الصائم، ولو بشق تمرة أو ماء، فإن إطعام الصائمين شيء مهم، وكذلك التصدق على الفقراء والمساكين بما تجود به النفس، فالصدقة لا تقلل من أموالك بل توجد النماء، كما قال الله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٦٢]، وورد في الروايات أنه إذا شحت عنكم الأموال فتصدقوا، والله سبحانه يفرج عنكم.

التفقه في الدين: تعلم الأحكام الشرعية، بدءًا من أحكام الصيام؛ متى تمسك، وما هي موارد الإمساك، ومتى تفطر؟.. ولا تتعجل في أمور ومسائل يتبين أنها مخلة بالصيام، وكذلك باقي الأحكام الشرعية، فليس معقولاً أن يكون الإنسان من المصلين، وبعد مرور أربعين سنة يتبين أن صلاته غير صحيحة، ربما لأن وضوءه غير صحيح أو قراءته غير صحيحة إلى غير ذلك من الأمور، لذلك يجب أن تكون لدى الإنسان معرفة بالحكم الشرعي، واليوم – ولله الحمد – هناك فضائيات يظهر فيها علماء يبينون الحكم الشرعي بشكل بسيط.

إن ثقافة الحكم الشرعي، مع الأسف، ضعيفة في بلادنا، وفي ما مضى كان الخطيب حينما يرتقي المنبر يبدأ ببيان قضية شرعية، واليوم اختفت هذه القضية ولم يعد الخطباء يبينون قضية شرعية، فهناك نوع من القصور في هذا الجانب، ونحتاج إلى الجهد لتعلم الأحكام الشرعية.

الاعتكاف: الاعتكاف في ليالي القدر في المسجد الجامع في كل منطقة، وقد لا يعرف الكثيرون ما في الاعتكاف من فوائد عظيمة.

التقوى والورع: التقوى ألاّ أترك الواجب ولا أرتكب الحرام، فهذا حلال وهذا حرام، وهذا يرضى به الله تعالى وذاك لا يرضى به، أما المستحب والمكروه فيدخلان في الورع، فالورع عن محارم الله قضية ليس فيها حرام، ولكن فيها شبهة نبتعد عنها،

٦٢. سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

ففي القضايا غير الواضحة، كالنظرة أو الاستماع إلى هذا الأمر أو متابعة هذا المسلسل، في هذه الأمور نترك ما نشك به.

الجهاد في سبيل الله: الجهاد في الإسلام له معنى واسع، وأوضح مصاديقه هو الجهاد العسكري، واليوم يقاتل أبناؤنا من الجيش والشرطة والحشد الشعبي في هذا الحر وفي الصحراء، يقاتلون الإرهاب الداعشي ويقدمون التضحيات العظيمة والكبيرة فهنيئًا لهم.

لقد دعت المرجعية إلى التعبئة الشاملة، فيا طلاب المدارس والجامعات استثمروا هذه الفرصة واذهبوا وتعلموا استخدام السلاح، واستعدوا للحظة المنازلة إذا ما تطلب الأمر، فيجب أن نكون مهيئين لأسوأ الاحتمالات. الجهاد في الإسلام بمعنى التصدي، وهو جهاد في سبيل الله، والتصدي لتزكية النفس يسمى الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، وفي أي خطوة صحيحة تتصدى لها فهو جهاد في سبيل الله.

رعاية الضعفاء والمساكين: هناك ثلاثة ملايين نازح، وعوائل شهداء ومجاهدون ذهبوا للدفاع عن الوطن والعقيدة، وبعضهم ليس لهم رواتب، فما هي مسؤوليتي تجاه هذه العوائل والفقراء والمساكين والأرامل؟.. نحتاج إلى تضامن ورعاية.

مودة المؤمنين وصلة الأرحام: أي التواصل الاجتماعي، وإني أوجه ندائي للقيادات والقوى السياسية الكريمة والقوى المجتمعية وأبناء شعبنا والقوى العشائرية ولجميع المكونات؛ إن شهر رمضان هو شهر التواصل الاجتماعي، فإذا كانت لديك مشكلة على المستوى الفردي مع أخ أو صديق أو قريب، فهذا هو الوقت المناسب لتبادر إلى إصلاح ما بينكما، وليكن لك السبق في هذا الأمر، وعلى المستوى السياسي، إذا كانت هناك قوى سياسية لديها مشاكل مع قوى أخرى، فليستثمروا أجواء شهر رمضان ويجلسوا ويحلوا مشاكلهم، ويا أيها القوى الاجتماعية والمذاهب والقوميات والأديان والمناطق والعشائر، إن كانت لديكم مشاكل ونزاعات، فاجلسوا في شهر رمضان، وببركة هذا الشهر الفضيل ضعوا يدًا بيد وافتحوا صفحة جديدة، وسترون كيف تنزل البركة الإلهية على الجميع.

إني انتهز هذه الفرصة، في شهر رمضان، لأدعو جميع الأطراف إلى المحبة والتلاحم والتماسك والتواصل، وإلى حسن الظن بعضنا ببعض، ومد الجسور بعضنا إلى البعض الآخر، ولنمد أيادينا إلى إخواننا وشركائنا في هذا الوطن.

حسن الخلق: الأخلاق الحسنة مع الناس، والابتسامة والكلمة الرقيقة والتعامل

بهدوء وتجنب المواقف والأقوال الشديدة والعنيفة، وكذلك الأخلاق الحسنة مع الأهل؛ مع الزوجات والأخوات والأمهات، والتعامل الحسن مع من ملك أمره من العبيد أو العاملين تحت يده، واليوم ليس هناك عبيد، ولكن البعض تحت يده موظف أو ناس يأتمرون بأمره، وعليه التعامل الحسن والطيب معهم.

نظافة العين واللسان واليد: لنحرص في شهر رمضان على ألاّ ننظر إلى الحرام، وهذا واجب في كل وقت، ولكن في شهر رمضان تكون هناك خصوصية، وكذلك نظافة اللسان، فالبعض منا يصدر منه الكلام البذيء عن طريق المزاح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٦٣]، فيجب تجنب الكلام البذيء، والخطوات غير الصحيحة، والنظرة غير البريئة وغير الموفقة. هذه عناوين وردت في العبادات في شهر رمضان.

الأهداف والغايات من الممارسات العبادية

إن جميع هذه العبادات جاءت لتحقق أهدافًا معينة، فالله تعالى لا يريد الأذى لعباده بالتأكيد، حاشاه، فالصيام والصلاة والصدقة والجهاد والعلم وغيرها، وكل واحد من هذه الأمور، هي في الحقيقة لتنمية جانب من شخصيتنا، والله تعالى يرفق بنا ويدربنا ويعلمنا حبًا بنا، كما في ساحات القتال؛ فإن شدة التدريب من أجل قوة المقاتلين وثباتهم، وكذلك الله تعالى جعل لهذه العبادات أهدافا وغايات، وللعبادة عادة شكل ومضمون، فالصيام أن تمسك قبل الفجر إلى الليل، وهذا هو الشكل العبادي، وفي الصلاة يجب توفر الطهارة وأن تصلي في الوقت وتستقبل القبلة، مع طهارة المكان والثوب، وهذا هو الشكل العبادي، وهناك جوهر وروح العبادة والهدف والغاية منها، وهذه الأهداف هي:

الهدف الأول / تزكية النفس: يسعى الإنسان ليحصل على عنوان وارد في جميع الأدعية ونطلبه من الله تعالى، وهو العتق من النار، فحريتنا بحسن العبودية لله تعالى، هذا هو الهدف المركزي والأساسي؛ تزكية النفس وصولا إلى العتق من النار.

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحدهما، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب وغضوا أبصاركم عما حرم الله ولا تنازعوا ولا تحاسدوا)، أن يغبط بعضنا بعضا، (ولا تغتابوا)، لا تذكروا الآخرين بسوء، ويعني أن هناك منقصة حقًا ولكن لا تذكرها، أما إذا لم تكن هناك منقصة ومع ذلك تذكره

٦٣. سورة الإسراء: الآية ٧٠.

بسوء فهذا بهتان، وهو ذنب وخطيئة أعظم من الغيبة، «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[٦٤]، كما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(ولا تَمارَوا ولا تَحالفوا صدقًا ولا كذبًا)، لا تقسموا لأبسط الأمور، فالحلف لا يكون إلاّ في القضايا الخطيرة والحساسة التي تحتاج إلى اليمين، أما أن يأتي اسم رب العالمين في كل قضية فهذا لا يجوز، فالله عظيم لا يذكر إلاّ عند الحاجة.

(ولا تسابّوا)، امتنعوا عن السباب والشتيمة، فحينما تكسر الآخر فسوف يدافع عن نفسه ويسبك أيضًا ويزيد، وأنت أيضًا سترد عليه ويتطور الأمر، وربما تزهق الأرواح وتتصدع النفوس. فيا أيها المسلم؛ حتى لو اختلفت مع الآخر فلا تسبّ ولا تجرح ولا تكسر ولا تعتد لكي لا يعتدي الآخر عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٦٥].

(ولا تَشَاتَموا ولا تظلموا)، لا تعتدِ على أحد، (ولا تَسَافَهوا)، لا تقلل من قيمة الآخر ولا تسخر منه وتستهزئ به، لأن ذلك جرح لمشاعر الناس، (ولا تَفَاجَروا)، الفجور هو المعصية والرذيلة فابتعدوا عنه، (ولا تغفلوا عن ذكر الله ولا عن الصلاة، والزموا الصمت والسكون والصبر والصدق ومجانبة أهل الشر)، ابتعد عن الإنسان الذي ليس له سمعة طيبة، (واجتنبوا قول الزور والكذب والفري والخصومة وظن السوء)[٦٦].

شهر رمضان فيه كل هذه المعاني، وليس أن تمسك عن الطعام والشراب فقط، بل جميع جوارحك صائمة؛ يدك وعينك وقلبك ولسانك وفكرك ورجلك، كلها صائمة وممسكة، وهذا شيء مهم.

الهدف الثاني / الصبر والاستقامة: الصوم إرادة، والإمساك عن الطعام والشراب وغيرها يقوي الإرادة، فتكون أقوى من هواك، ومن يملك ذرة من الضمير يندم ويلوم نفسه بعد المعصية، لأنه يعرف أن هذه معصية وحرام، ولكنه يفعلها لعدم امتلاكه الإرادة، والعبادة في شهر رمضان تقوي الإرادة. البعض يظن أن القوة هي القوة الجسمانية ويعرض عضلاته أمام النساء، وينهار أمام أول امرأة ويذهب إلى المعصية فورًا، وهذه ليست شجاعة، فالشجاعة ليست بالعضلات وإنما بالإرادة، فإذا كانت

٦٤. نهج البلاغة ٢: ٩٦ الخطبة ١٧٦.
٦٥. سورة الأنعام: الآية ١٠٨.
٦٦. وسائل الشيعة ١٠: ١٦٣ باب ١١ ح٣.

لديك إرادة فأنت الشجاع القوي حتى لو لم تملك العضلات، وإذا لم تكن لديك إرادة فأنت ضعيف حتى لو كانت لديك العضلات القوية، فالقوة بالإرادة.

الهدف الثالث / العلم والمعرفة: هو أن نخرج من شهر رمضان ونحن أكثر معرفة برسول الله وأهل بيته، وبديننا ودنيانا وخطواتنا وأخلاقنا، وإن أفضل الأعمال في أفضل الليالي، وهي ليلة القدر، هو طلب العلم، العلم النافع المقرب إلى الله، فطلب العلم أولًا، لذلك كان كبار علمائنا يخصصون ساعات من ليلة القدر للمذاكرة العلمية، وبالطبع هو العلم المقرب إلى الله تعالى.

الهدف الرابع/ العلاقات الإيمانية: تكلمنا عن هذا الجانب وضرورة أن تكون لنا علاقات إيمانية مهمة.

الهدف الخامس / الأبعاد الإنسانية: هو دعم الفقراء والمساكين، فهذا شهر العطاء والتواضع، فزوروا عوائل الشهداء والمجاهدين وبيوت الأرامل واليتامى مع زوجاتكم وأخواتكم. زوروا الضعفاء في المجتمع وقدموا لهم ما يتيسر، وسوف تكون البركة في رزقكم وحياتكم، ويُدفع عنكم البلاء بهذا الخطوات.

الهدف السادس / الجهاد في سبيل الله والتصدي: وقد سبق الكلام عن هذا المطلب الإسلامي المهم، سواء التصدي العسكري في سبيل الله، أو التصدي لتزكية النفس.

هذه ستة أهداف جوهرية وأساسية تمثل الغايات والأهداف للصيام وأعمال شهر رمضان، وحينما نخرج من هذا الشهر ونحن أكثر تحملًا للمسؤولية وأكثر تواصلًا مع الناس وأكثر علمًا، فحينئذ نكون قد حققنا النتائج.

برنامج خاص لرمضان

هناك نقطة أخيرة؛ هي أنه يجب على كل واحد منا أن يضع برنامجًا خاصًا به ينسجم مع ظروفه، ويأخذ من هذه السلسلة الكبيرة من الأعمال والعبادات جانبا، ويحاول في هذه المجموعة من العبادات التي يأخذها أن يكون فيها من جميع هذه الأعمال المتنوعة. هناك من يبتعد عن الناس ويتفرغ للعبادة، ولكن يبدو من منهج أهل البيت أن هذا غير صحيح، بل الحضور في مجالس العلم والمعرفة، كهذا المجلس، جزء من العبادة والتكامل في الشخصية الإنسانية.

وعليكم بالتواصل مع الناس، وأن تحاولوا أن يكون لكم في شهر رمضان عطاء مالي وتصدٍّ اجتماعي واهتمامات إنسانية ومعنوية بذواتكم وعوائلكم، والله تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٦٧]، فاصطحبوا أولادكم وعائلاتكم إلى المجالس، ولا تمارسوا هذه العبادات وحدكم من دون العائلة، وليكن في منهاجك الخاص التزام كامل بالواجبات، وانتقاء للمستحبات بشكل منوع فيه هذا التعدد والتلون، وفيه مراعاة للغايات والأهداف والمضمون والمحتوى المطلوب، وفيه مراعاة لطبيعة المرحلة؛ فنحن اليوم في مرحلة تصدٍّ وجهاد في سبيل الله ومواجهة العدو، فدعوات التصدي ومواجهة الأعداء يجب أن تكون أعلى، وحين لا يكون هناك عدو ونعيش حياة عادية، تكون دعوات العبادة أعلى، فيجب أن نلاحظ طبيعة الظرف الذي نمر به كمجتمع وشخوص ونضع برنامجا على هذه الخلفية. سنبدأ إن شاء الله من ليلة الغد في أبحاثنا المستمرة في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من المرحومين، ولا يجعلنا من المحرومين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٦٧. سورة التحريم: الآية ٦.

الأمسية الرمضانية الثانية بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن ينزل رحمته علينا وعلى شعبنا وأمتنا وعلى المسلمين والإنسانية جمعاء في رحاب ضيافة الله (سبحانه وتعالى).

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في السنوات الأربع الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذكرنا أن من أهم عناصر القوة والتماسك والتلاحم في المجتمع، هو حينما تتكامل الأدوار وتُمنح الحقوق لأبنائه ويشعر الجميع بالإنصاف وأن حقوقهم مصانة في ظل هذا المجتمع. وذكرنا أن الحقوق تستلزم الواجبات؛ فما هو حق للشخص أو الجماعة، هو التزام من المجتمع تجاه هذا الفرد أو تلك الجماعة، فما هو حقي هو واجبك تجاهي، وما هو حقك هو واجبي تجاهك، فحينما نتحدث عن منظومة الحقوق علينا أن نحدد الواجبات والالتزامات، لأنهما وجهان لعملة واحدة ولا يمكن التفكيك بينهما. وذكرنا أن الحق هو مفهوم عام يشمل مجموعة من القواعد والأصول والأسس والسياقات التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع، وتنظم العلاقة بين المجتمعات في علاقاتها البينية، إذ علينا أن نحدد هذه القواعد والأسس والسياقات لكي نحسن العلاقة في ما بيننا.

لقد تحدثنا عن رؤية الإسلام في منظومة الحقوق، وقلنا إن الرؤية الإسلامية لحقوق المجتمع تُبنى على أربع ركائز أساسية هي:

- الكرامة الإنسانية
- العقيدة الصحيحة
- القيم النبيلة
- السلوك المستقيم

لذلك فإن منظومة الحقوق في نظرية الإسلام ليست فيها خلفية مذهبية، وليست فيها خلفية قومية، بل تنظر إلى جميع أبناء المجتمع وتضع لهم الحقوق التي يستحقونها، وذكرنا أن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، تمثل اختزالًا لهذه النظرية الإسلامية، وتضع النقاط على الحروف وتحدد القواعد والضوابط في علاقة الإنسان مع ربه وعلاقته مع نفسه وعلاقته مع أبناء المجتمع.

وذكرنا في السنوات الماضية العديد من هذه الحقوق، هي:

١- حق الله الأكبر ٢- حق النفس ٣- حق اللسان ٤- حق السمع ٥- حق البصر ٦- حق الرِّجْل ٧- حق اليد.

مراجعة لحق اليد

وكنا نتحدث في حق اليد حينما انتهى شهر رمضان من السنة الماضية، واليوم، في هذا الشهر الفضيل، نكمل تلك الأبحاث في حق اليد وما بعدها من الحقوق، إن شاء الله وقدر، ولكي نكون في الأجواء نعود لنذكّر بحق اليد.

((وأما حق يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها مما افترض الله عليها ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما يحل لها وبسطها إلى كثير مما ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب من الله في الآجل))

مواطن قبض اليد وبسطها

قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق اليد: (وأمّا حقّ يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك)، لا تمدّ يدك إلى ما لا يحل لك، أي لا تستخدم اليد استخدامًا محرمًا، (فتنال بما تبسطها إليه)، تنال حينما تمد يدك إلى الحرام وما لا يحل (من الله العقوبة في الآجل

ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل)، مدُّ اليد إلى الحرام يعرضك إلى العقوبة الأخروية وإلى الملامة الدنيوية، إذ يلومك الناس في الدنيا لأنك مددت يدك إلى الحرام، والله (سبحانه وتعالى) يعاقبك في الآخرة أيضا، (ولا تقبضها مما افترض الله عليها)، فكما عليك ألاّ تبسط يدك إلى الحرام، كذلك لا تقبضها ولا تمسكها عن الفعل الواجب، إذن هناك واجبات على اليد، ويجب عليك أن تستخدمها في هذه الواجبات.

(ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما يحل لها)، هذا الحكم الثالث لاستخدام اليد، وهو أن توقّرها بإبعادها عن أن تستخدمها في أمور ليست محرمة وواضحة الحرمة، ولكن فيها شبهة، والأمر الذي فيه شبهة يفضل أن تتجنبه، فلا تستخدم يدك في ما هو من موارد الشبهة، (وتبسطها إلى كثير مما ليس عليها)، هذا الحكم الرابع لليد، وهو أن تمد يدك وتقوم بفعل الخير في الأمور التي هي ليست واجبة، ولكن يفضل أن تقوم بها لأنها من فعل الخير، فتبسط يدك وتقوم بهذه الأفعال وإن لم تكن واجبة عليك.

(فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل)، إذا منعت يدك في ما يحرم استخدام اليد فيه، ومددتها إلى ما يجب على اليد فعله، وتجنبت الشبهات وفعل المكروه بيدك، وأقدمت على فعل الخير والمستحب بيدك، إذا عملت بهذه الأحكام الأربعة، فحينذاك تكون قد شرفت في العاجل، أي تكون هذه اليد شريفة بشرف صاحبها وبشرف فعل الخير الذي تقوم به، (وجب لها حسن الثواب من الله في الآجل)، ففي العاجل تحظى بالشرف لشرف صاحبها وفعله الخير، وفي الآجل، يوم القيامة، تحصل على الثواب الحسن والأجر الجزيل من الله (سبحانه وتعالى)، فمن أراد سعادة الدنيا والآخرة، ومن أراد أن تكون له سمعة طيبة في الدنيا وأجر جزيل وعظيم في الآخرة، فعليه أن يستخدم يده في مواردها الصحيحة ضمن هذه الأحكام الأربعة، حرمةً ووجوبًا وكراهةً واستحبابًا.

معاني اليد

أولًا: المعنى الحقيقي

قلنا في السنة الماضية إن اليد لها معنى حقيقي، وهذا المعنى يتمثل بالعضو في الإنسان الذي ينقل به الأشياء من مكان لآخر، ويستخدمه في فعل واجب أو حرام أو مكروه أو مستحب، هذا المعنى الحقيقي لليد، وقد تحدثنا بالتفصيل في السنة الماضية بالآيات التي وردت فيها هذه الأحكام الأربعة؛ أين الواجب والحرام؟ وأين المستحب؟ وأين المكروه؟

ثانيًا : المعنى المجازي

ثم انتقلنا للحديث عن المعنى المجازي لليد، وهو يعني الآثار المترتبة على اليد، فيطلق لفظ اليد ويقصد به ما يترتب على اليد من آثار، وقلنا إن من أوضح هذه الآثار هو الظلم والتعدي والتجاوز على الآخرين، وتحدثنا في موضوع الظلم.

ثالثًا : المعنى الكنائي

المعنى الثالث الذي سنتحدث به تباعا هو المعنى الكنائي لليد، وهو التورط في الشيء؛ فيقال له يدٌ في هذه القضية بمعنى أنه متورط فيها، فهذه الأحكام الذي ذكرها الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق اليد تشمل اليد بالمعنى الحقيقي، واليد بالمعنى المجازي، واليد بالمعنى الكنائي، وكنا نتحدث في المعنى المجازي لليد، وقلنا إن من أوضح مصاديقه الظلم والتعدي والتجاوز على الآخرين، وذكرنا في بحث قرآني في السنة الماضية العديد من عناوين الظلم، وتحدثنا في الآثار المدمرة للظلم، وفي تنزيه الله (سبحانه وتعالى) وأنبيائه وأهل البيت(سلام الله عليهم) عن الوقوع في الظلم، وتحدثنا عن موانع الظلم، أي الأمور التي إذا أوجدها الإنسان في نفسه فإنها تمنع من وقوعه في الظلم، والمحددات التي تمنع الإنسان وتقيه من الوقوع في الظلم.

ثم انتهى بنا المطاف للحديث عن موجبات الظلم، أي الأمور التي تدفع الإنسان إلى الظلم والتجاوز، حيث استعرضنا الأمر الأول في هذا الجانب وهو الشيطان ووساوسه، وقلنا إن الشيطان حينما يوسوس للإنسان يدفعه للظلم والتجاوز والاعتداء على الآخرين. هذه هي مجمل الأبحاث التي استعرضناها في السنوات الماضية.

المعنى المجازي لليد

موجبات الظلم

نكمل الحديث في المعنى المجازي لليد، في عنوان موجبات الظلم، أي الأمور التي تسبب الظلم وتدفع الإنسان نحو الظلم.

ثانيًا وثالثًا: مرض القلب وقسوة القلب: مفهومان قرآنيان يطرحهما القرآن الكريم، وليس المرض هنا هو المرض العضوي، بل مرض الروح وقسوة القلب، وهذان أمران يؤديان إلى الظلم. لاحظوا هذه الآيات الشريفة من سورة الحج، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [٦٨]، إن الفرق بين الرسول والنبي أن النبي ينزل عليه الوحي ولكنه غير مطالب بنشر رسالة على نطاق واسع، فقد يكون نبيًا لعشيرته، فينزل عليه الوحي ليوصل رسالة لعشيرة أو قرية ولمساحة محدودة من الناس، فهذا نسميه نبيًا غير مكلف، فلا يحمل رسالة يُكلّف بنشرها على نطاق واسع، بالرغم من عصمته ونزول الوحي عليه، ولكن مساحة مسؤوليته ومهمته محدودة، فيسمى نبيًا، أما الرسول فيتحمل مسؤولية كبيرة في التصدي، ويحمل رسالة ومشروعا إصلاحيًا متكاملًا للأمة، وعليه بذل ما في وسعه من أجل التعريف بهذا المشروع وشرحه وهداية الناس، وإيجاد التغيير الشامل في الأمة باتجاه مشروعه الإصلاحي في أبعاده الفكرية والثقافية والاجتماعية والدينية والعقيدية والسياسية، فيسمى رسولًا.

تقول الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا رسول الله، ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾، جميع الأنبياء والمرسلين، يعني جميع من نزل عليه الوحي، ليس هناك استثناء، بل جميع الأنبياء والمرسلين، سواء كانت مهمته صغيرة أو كبيرة وواسعة، ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾، إذا طرح مشروعه الإصلاحي وبلغ ما أنزل الله عليه لقرية أو عشيرة أو للإنسانية جمعاء، وهو مشروع حق، فهو مشروع السماء، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، كل مشروع إصلاحي حمله الأنبياء والرسل تدخل الشيطان وجنوده لكي يشوشوا ويربكوا ويثيروا الناس، ولو بقي الناس على فطرتهم وأتى مشروع الأنبياء لقبلوه واتبعوه، فإن الله يريد الخير للناس، والناس عطاشى للفكر الصحيح، وسيكون لهم كالماء البارد، ولكن حين تبدأ وساوس الشيطان وأعوانه، تشوش عقول الناس وتخلط الأوراق عليهم، وتتصيد في الماء العكر وتغير الأجواء وتشكك الناس بالمشروع، وتثبطهم عن اللحاق بمشروع الأنبياء والمرسلين.

تشمل هذه الآية جميع الأنبياء والمرسلين قبل خاتمهم وسيدهم نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أي (١٢٤) ألف نبي قبله، والآية تقول إن أحدًا من هؤلاء لم يسلم، لا نبي ولا رسول، فليس هناك استثناء من هذه القضية، بل تشمل جميع الأنبياء والمرسلين، فما إن يطرحوا مشاريعهم حتى تهيج الألسن الأخرى وأعوان الشيطان ويشككوا الناس ويثيروا الشبهات ليمنعوهم من اللحاق بالمشاريع الإصلاحية

٦٨. الحج٥٣-٥٢.

الحقة، ونفهم من هذا أن كل من يحمل مشروعًا إصلاحيًا حقًا يجب أن يوطن نفسه على الاعتراضات الواسعة وعلى عدم تفهم مشروعه، وطالما ولدت المشاريع الإصلاحية غريبة ومحاربة، ولطالما اتحد جميع أعوان الشر مع بعضهم لكي يوقفوها، فالذي يحمل مشروعًا إصلاحيا حقًا عليه أن يوطن نفسه على أن الناس لن تتلاقف المشروع على الأكف، ولن تصفق له بسهولة، ولو بقي الناس على فطرتهم لقبلوه، ولكن ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، فالشيطان يتدخل فورًا ويوسوس ويشاغب ويخلط الأوراق، لكي يمنع الناس من السير وراء المشروع الصحيح، ويشمل هذا المشاريع الإصلاحية المعصومة التي تتكلم عنها الآية، والمشاريع الإصلاحية غير المعصومة، فجميعها تواجه غربة واختلافًا وعدم تقبل، نتيجة هذا التشويش الكبير الذي يبثه الآخرون، ويبثه الشيطان وأعوانه.

﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾، يتدخل الله (سبحانه وتعالى)، ويزيل هذه المشاغبات والتشويش فترى الناس الحقيقة، وتكون النتيجة كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[٦٩]، إذ يتبين كذب جميع الأصوات وعدم جدواها وعدم صحتها، وشيئًا فشيئًا تفتح الأمة عيونها وتلتحم حول مشاريع الإصلاح، فالنبي يأتي معزولًا وغريبًا، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾[٧٠]، شيخ الأنبياء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومه (٩٥٠) سنة بشهادة القرآن، فلم يزدهم دعاؤه إلاّ فرارًا، فشكا إلى ربه أن لا أحد يسمع منه أو يأخذ بكلامه، وبعد (٩٥٠) سنة عرف الناس قيمة نوح حين ركب السفينة ومعه المخلصون، وجاء العذاب الإلهي وأخذ الآخرين.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياته﴾: عندما يزول الوسواس والمشاغبات وتظهر الحقيقة، ستهرول الناس نحو هذا المشروع كالعطشى وتتمسك به وتلتئم حوله فيثبت المشروع، فإن الله (سبحانه وتعالى) يقول: (ثم يحكم الله آياته)، يثبت الله دعائم المشروع بعد ذلك، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليس استثناء من هذه القاعدة، فقد أمضى ثلاث عشرة سنة يحفر في الصخر بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة، وفي البداية كانت قرية تسمى يثرب، وهناك بنى مسجدًا صغيرًا وحوله مجموعة من المسلمين، وأمضى عشر سنوات في المدينة، وبذلك أمضى ثلاثًا وعشرين سنة من العناء، حتى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما

٦٩. سورة الرعد: الآية ١٧.
٧٠. سورة نوح: الآية ٥ ـ ٦.

أوذي نبي بمثل ما أوذيت»[٧١]، وفي نهاية المطاف دخل مكة فاتحا؛ ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهَ آياته﴾، وبعد الفتح دخل الناس في دين الله أفواجًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[٧٢].

حين فتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مكة واُحكمت الآيات، قال: «نُعيت إليّ نفسي»[٧٣]، عندما دخلت المسجد الحرام ورأيت الآلاف مجتمعين قلت إن مهمتي انتهت؛ فهذه الناس قد التفت حول المشروع، وهذا معناه أني حققت واجبي وبقي أن أسلم الراية وأمضي إلى ربي، وبعدها بشهرين توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: الله بعلمه وحكمته يزيل الوساوس والمشاغبات وهذه الفوبيا الإعلامية، ويظهر المشروع الإصلاحي الحق فيلتف الناس حوله، ليرحل هذا المصلح ويأتي مصلح آخر، ويبدأ مشوار جديد وجهد جديد ومشاغبات جديدة، حتى تنكشف الغمة وتعرف الناس حقيقة المشروع فتلتف حوله، فيرحل إلى ربه ويأتي المصلح الآخر، هذه سنة الحياة تشير إليها هذه الآية.

الدنيا دار بلاء واختبار وافتتان

لماذا تتكرر هذه القصة وهذا البلاء؟ ولماذا هذه الوساوس الشيطانية؟ ولماذا تركض الأمة دائما وراء السراب؟. لماذا يندفع الرأي العام والعقل الجمعي إلى مشاريع يعتقد أنها تخدمه وهي خلاف مصلحته؟. إن الجواب في هذه الآية، وهنا الشاهد: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة)، الله تعالى يريد أن يختبرنا، والدنيا دار بلاء وابتلاء وافتتان، فمن كان مستقيمًا عالي الوعي يشخص المشروع الإصلاحي الصحيح ويسير وراءه، فقد كان لدى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حواريون، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت لديه ثلة مؤمنة من الأتباع، ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ عنده أسرة صغيرة وقفت معه، ولكن حتى زوجته لم تكن من ضمن المهديين السائرين على طريق الحق، وكذلك صالح وشعيب وجميع الأنبياء، حتى وصل الدور إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الذي كان معه أهل بيته والثلة المخلصة من أصحابه.

إذن فالرأي العام أو العقل الجمعي يسير في اتجاهات أخرى، وتتبين الثلة المخلصة، وهذا افتتان واختبار إلهي، ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

٧١. بحار الأنوار ٣٩: ٥٦، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤٢.
٧٢. سورة النصر: الآية ١ ـ ٢
٧٣. بحار الأنوار ١٨: ١١٦ ح٢٤، المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٢٦٢.

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، انظروا إلى مرض القلب وقسوة القلب، كيف يولدان الظلم والاعتداء والوقوف بوجه الأنبياء والمرسلين والمشاريع الإصلاحية الحقة، فيجب علينا لكي لا نكون من الظلمة، ولا نكون ممن يقف بوجه مشاريع الحق والإصلاح، يجب أن نتخلص من قسوة القلب ومرضه، لأن هذا يورث الظلم، والظلم يجعلنا في مواجهة مشاريع الإصلاح.

رابعًا: رفيق السوء

رفيق السوء موجب آخر من موجبات الظلم وسبب من أسبابه، نستجير بالله، فقد تكون إنسانًا طيبًا طاهرًا نقيًا، تحب الخير والصلاح والهدى، ولكن تُبتلى بصديق السوء، الذي لا يُحبب إليك الذهاب إلى المسجد لتسمع حديثًا مفيدًا وموعظة، ويغريك باللهو وتضييع الوقت والموبقات. إن أعوان الشيطان مستعدون لكم في جميع الأوقات، وترون كيف تصنع القنوات الفضائية في رمضان، إذ توصل الليل بالنهار، ساعة تبث وساعة تعيد، والناس مشغولة ويأتي رمضان ويخرج ولا تعرف ما القصة. وهكذا رفيق السوء؛ إذ تكون سائرا في دربك، فيأتي رفيق السوء ويحرفك.

قال الله تعالى في الآية السابعة والعشرين وما بعدها من سورة الفرقان: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[٧٤]، عندما يتحسر الشخص ويتألم يعض على يده ندمًا على فعل الخطأ، وفي يوم القيامة يعض الظالم على يديه من الحسرة، ولذلك يسمي الله عز وجل يوم القيامة (يوم الحسرة)، فيقول في سورة مريم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمر وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٧٥]، انتهى الحساب وحُسمت النتيجة وقضي الأمر ولا ينفع الندم، ، لا يعرفون ما سيجري عليهم، وستأتي النتائج ويتبين وضعهم، فلا يبقى لدى الظالم غير عض الأيدي من الحسرة والندم.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: كان النبي أمامي والإمام أمامي والمرجع أمامي والمصلح أمامي، ولكني لم أتبع كلامهم، وليتني فعلت ذلك ورأيت الطريق

٧٤. سورة الفرقان: الآية ٢٧
٧٥. سورة مريم: الآية ٣٩

الصحيح، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[٧٦]، ليس لأحد أن يقول لا أعلم؛ فإن الله يضع الحق أمامه وفي طريقه فيرى الحق، فإن تمسك به فهنيئًا له وهو من الفائزين، وإن تخلى عنه فسوف يتحسر بعدها ويعض على يديه، ويتمنى لو أنه كان سائرًا مع النبي: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، أي طريقًا، لو كنت قد سرت مع النبي لكنت الآن من أهل الجنة.

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾: لم أسر مع النبي بسبب صديقي فلان الذي ورطني ومنعني من فعل الخير، وشجعني على الرذيلة وزين المعصية في عيني، ولولا صديق السوء هذا لكنت سائرًا بدربي بشكل صحيح، ولكنه جاء وورطني، فماذا يفيد الندم والحسرة؟.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾: جاءني الذكر وتمسكت به وصرت مؤمنًا، وبعد ذلك جاء صديق السوء وحرفني من طريق الإيمان، وذهب بي إلى طريق الضلال والانحراف والعياذ بالله، ولو لم يأتِ لبقيت سائرا في طريق الإيمان وكنت الآن من أصحاب الجنة، فكيف تورطت؟ ليتني لم اتخذه صديقًا.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسان خَذُولًا﴾: إذا سرت خلف الشيطان فسوف تقع في الفخ؛ فهو سيخذلك، إذ يعطيك دفعة ثم يتركك ويذهب، وتنقل لنا الآية الشريفة من سورة الحشر حال الشيطان: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسان اكْفُرْ﴾، قال له اترك الأنبياء والمرسلين واترك الله واكفر وسِر معي، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾[٧٧]، لم يطيّب له خاطره ويقل له أنت الآن من جماعتي، بل قال اذهب فإني بريء منك، فالشيطان ليس له صاحب، بل يورطك ويعطيك الدفعة ويذهب، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾: لمّا ترك الله وجاء وراء الشيطان، قال له إني بريء منك فاذهب عني، وهذه نهاية من مشى خلف الشيطان، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسان خَذُولًا﴾.

شاهد تأريخي على أثر صديق السوء

يقال في شأن نزول هذه الآية الشريفة[٧٨] إنها نزلت بحق (عقبة بن أبي معيط) وهو رجل شريف نبيل، وكان في الجاهلية رجل خير، إذ كان يتاجر وعندما يرجع إلى

٧٦. سورة الأنعام: الآية ١٤٩
٧٧. سورة الحشر: الآية ١٦.
٧٨. أسباب النزول للواحدي ٢٢٥.

المدينة (يثرب)، التي هي مدينته، يقيم وليمة ويطعم الناس وأشراف القوم، وكان يأنس بالجلوس عند رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالرغم من كونه مشركًا، ولكنه معجب بشخصية الرسول، فكان يذهب إليه ويسمع منه، وكان عنده صديق من أهل الشام اسمه (أبيّ بن خلف)، وكانت بينهما تجارة ومصالح فوق صداقتهما، وفي إحدى ولائمه دعا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فلبى الدعوة، وحين وضعوا الطعام قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «ما أنا بآكل من طعامك»، وكان رسول الله يعلم أن عقبة رجل طيب السريرة، وهناك فرصة لأن ينتشله من الشرك ومن الانحراف ويأتي به إلى التوحيد، فرأى أنها فرصة فقال: «ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله»، يا عقبة، إذا أردتني أن آكل فيجب أن تشهد الشهادتين فتكون مسلمًا، فانظروا إلى شفقة الرسول وحرصه، فقد رأى أنها فرصة بأن يحرجه ويدفعه باتجاه الإسلام، فقال عقبة: «أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»، فمدّ رسول الله يديه وأكل.

انتهت القضية وصار الرجل مسلمًا، وهذه نعمة عظيمة أن يخرج من الشرك إلى الإسلام والإيمان، وعندما وصل الخبر إلى صديقه «أبي بن خلف» بدأ يتحرك فقال: «صبأت» وتركت عقيدتك ودينك وذهبت وراء محمد، وما زال يلومه ويعاتبه، فقال عقبة: «لا والله ما صبأت»، أخذته العزة بالإثم، وقال إني لم أغير عقيدتي وما زلت على عقيدة الأوثان، «ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلاّ أن أشهد له»، لم يقبل أن يأكل من طعامي إلاّ أن أشهد، فاستحييت لأنه جالس على سفرتي فكيف يخرج بلا طعام، فتلفظت بالشهادتين، يعني تراجع وارتد عن الشهادتين، فقال (أبي): «ما كنت براض عنك أبدًا حتى تأتيه»، يعني لا يكفي أن تقول تراجعت، فقد أراد أن يقطع الجسر بينه وبين الإيمان، «حتى تأتيه»، إلاّ أن تذهب إلى رسول الله، «فتبزق في وجهه»، والعياذ بالله، ما هذا التعدي والتجاوز، ففعل عقبة ذلك، فانظروا كيف خرج من الإيمان وارتد وأساء لرسول الله في هذه الفعلة الشنيعة، وأخذ رحم دابة، وهو مليء بالدم، فألقاها بين كتفي رسول الله، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «لا ألقاك خارجًا من مكة إلاّ علوت رأسك بالسيف»، إذا صرت أمامي في معركة سأقتلك بسيفي.

لقد ارتد عقبة عن الإسلام بعد أن بذل الرسول ما في وسعه لهدايته، وبالفعل قتل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عقبة بن أبي معيط في معركة بدر، وقتل (أبي) في معركة أحد، والآية القرآنية تذكر لنا كلام عقبة يوم القيامة وهو يعض على يديه ندمًا: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، عندما أسلمت والرسول على مائدتي، ليتني التزمت بهذا الأمر، لكان وضعي الآن مختلفًا، ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾، يا ليتني لم

اتبع (أبي)، ولم أسمع كلامه وأرتد عن الإيمان والإسلام، ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾، كنت مسلما فأضلني وأعادني إلى الوراء والهاوية، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسان خَذُولًا﴾. إن حالة صديق السوء وأثره تنطبق علينا جميعا، أجارنا الله، وتنطبق على كل إنسان، فعلينا أن نحسن اختيار الصديق.

اختيار الصديق.. بحث روائي

قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصديق: «الصديق أقرب الأقارب»[٧٩]، أقرب من أخيك أحيانًا، فدقق في من تختاره صديقًا، وقال: «الأصدقاء نفس واحد في جسوم متفرقة»[٨٠]، الأجسام متفرقة والروح واحدة بين الصديقين، فاختر من تشترك معه في روحك، وقال: «كل أمرئ يميل إلى مثله»[٨١]، الطيور على أشكالها تقع؛ فالصالح يختار الصالح، والطالح يختار الطالح ويأنس به.

معايير الصديق الصالح

وجاء في (بحار الأنوار): «لا تُسمِّ الرجل صديقًا حتى تختبره بثلاث»، لا تقل هذا صديقي وتشهد بصداقته أمام الناس، إلاّ بعد أن تختبره بثلاث حالات، فإذا تأكدت منها فقل هذا صديقي، وإلاّ لا تتكلم ودعها مستورة، وهذه الحالات:

لزوم الحق عند الغضب: «فتنظر غضبه يخرجه من الحق إلى الباطل»، عندما ينفعل هل يبقى حقانيًا، أو يميل إلى الباطل؟ فإذا مال سقط بالامتحان ولا تعتبره صديقًا، إذ لا تعرف حقيقته وجوهره ما دام هادئًا ومرتاحًا، ولكن عندما ينفعل ستعرف حقيقته؛ هل يلتزم بالمعايير والموازين الشرعية، ويقف أمام ما يجوز له وما لا يجوز؟.

أمانة التعامل المالي: «وعند الدينار والدرهم»، إذا وقعت النقود في يده فتعرف على تعامله المالي؛ هل يعطي الحق لأهله أو تمتد يده إلى المال الحرام؟ فإذا امتدت يده فلا يفيده حتى لو كان لا يترك صلاة الليل، فالتعامل المالي معيار أساسي من معايير الصديق الوفي الصحيح؛ هل يضعف أمام المال؟ فإن كان كذلك فهذا لا يفيدك، ولو كان المال مليار دينار، فمن كانت طينته سالمة يكون الفلس والمليار عنده شيئًا واحدًا.

---

٧٩. عيون الحكم والمواعظ: ٥٠.
٨٠. عيون الحكم والمواعظ: ٦٣.
٨١. غرر الحكم: ٥٠٧ / ٣٨.

حسن الصحبة في السفر: «وحتى تسافر معه»[٨٢]، المعيار الثالث أن تأخذه في سفرة، ففي السفر تظهر حالته الطبيعية، فانظر كيف يعمل حين يبتعد عن العائلة والأهل ويكون في ظروف أخرى، كما لو كانت دورة تدريبية. هذه ثلاثة معايير للصديق تبرز أمامك حين تختبره ثلاثة اختبارات؛ في (الغضب) و (التعامل المالي) و (السفر).

يرى لك ما يرى لنفسه

ومن معايير الصديق الصدوق، ما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه»[٨٣]، الصديق يجب أن يتمنى لك ما يتمنى لنفسه، ويرغب في مشاركتك كل ما يحب، أما أن يقول لي أحدهم أنت صديقي، ولكنه يستأثر بكل ما هو جيد لنفسه، سواء في الامتيازات أو الراحة أو الطعام أو الملبس، فهذه ليست صداقة، فأنا أريد صديقًا يخدمني بعنوان الصداقة، ويرغب في مشاركتي ما يحب، هذا هو الصديق.

وفي (نهج البلاغة) يذكر أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعة معايير للصديق، في كلام يخاطب به ابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ:

العقل: «يا بني إياك ومصادقة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك»، لا يعرف كيف يمدحك فيسيء إليك أمام الناس، ويأخذ نقودك ليتاجر بها فيخسرها ويضرك، فهو لضعف عقله سيضرك دائما، فابتعد عنه.

الكرم: «وإياك ومصادقة البخيل؛ فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه»، في لحظة الضيق التي تحتاج إليه فيها لا يخطو خطوة باتجاهك بسبب بخله.

العفة: «وإياك ومصادقة الفاجر»، وهو الذي يرتكب الموبقات والعياذ بالله، «فإنه يبيعك بالتافه»، يبيعك من أجل ليلة حمراء أنت وجميع أصدقائه، فالفاجر ليس لديه ضمير، بل تقوده شهواته وهواه نستجير بالله.

الصدق: «وإياك ومصادقة الكذاب؛ فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب»[٨٤]، من كذب مع غيرك سيكذب معك، ومن يكذب فاتركه ولا تقترب منه ولا تصادقه.

---

٨٢. بحار الأنوار ٧١: ٨٠ح٨.
٨٣. جامع أحاديث الشيعة ١٦: ٤٩١ ح٣.
٨٤. نهج البلاغة ٤: ١١ الحكمة ٣٨.

اختيار أهل الدين والعلم والمروءة

عن علي بن جعفر عن أبيه (الإمام الصادق) عن جده الإمام الباقر عن علي بن الحسين السجاد سلام الله عليهم أجمعين، أنه كان يقول لبنيه (أي الإمام زين العابدين): «جالسوا أهل الدين والمعرفة»، أجلس مع الذين لديهم دين وعلم وصادقهم، فمن كان من أهل الدين والعلم سيعطيك من علمه وتستفيد منه دائما، «فإن لم تقدروا عليهم»، إذا لم تجد مثل هؤلاء، «فالوحدة آنس وأسلم»، أن تبقى وحدك أفضل، فلا تصادق إلاّ من له علم ودين، ومن لا يملك فجامله، فالوحدة أفضل من الانغماس في علاقات وثيقة مع من ليس لديهم علم ودين، «فإن أبيتم إلاّ مجالسة الناس»، إذا ثقلت عليكم الوحدة ويجب أن تجلسوا مع الناس، «فجالسوا أهل المروءات»، إذا لم يكن لديه دين وعلم فلديه مروءة، «فإنهم لا يرفثون في مجالسهم»[٨٥]، مجالسهم ليس فيها حديث قبيح، فهي لا تُضيف لك شيئًا، ولا تأخذ منك، فإنك إذا جلست في مجلس فيه إساءة للناس وفاحشة وسباب وشتيمة، فستخرج وقد خسرت من دينك ونور قلبك، فهذا المجلس قد أخذ منك فضلًا عن عدم فائدته، فانتبه لهذا في الأقل، واذهب إلى مكان اذا لم يُضف لك فهو لا يأخذ منك، لتحافظ على دينك وسلامة قلبك.

يُعرف الرجل بمن يصادق

رواية أخيرة أختم بها الكلام، فقد روي أن النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لا تحكموا لرجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب»، لا تقيم شخصًا مهما أظهر لك من لطف في منطقه وسلوكه، فقد يجاملك ويتظاهر أمامك، واسأل من صديقه، وقيمه من خلال صديقه، ولا تقل إنّ هذا آية في الأخلاق والكمال والعلم ولكن صديقه تافه، فمعنى هذا أنه تافه في أعماقه، وما تراه ليس أكثر من مظاهر، فلو كان عالمًا بالفعل، فلماذا لم يذهب إلى عالم مثله؟. «فإنما يُعرف الرجل بأشكاله وأقرانه ويُنسب إلى أصحابه وأخدانه»[٨٦]، الأخدان يعني الأصدقاء، فالرجل يُنسب إلى أصدقائه وأصحابه، فقيّمه من خلال ذلك.

٨٥. بحار الأنوار ٧١: ١٦٩ ح٢٧.
٨٦. بحار الأنوار ٧١: ١٨٨ ح١٧.

واجبات الصديق الحقيقي

في (نهج البلاغة)، قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يكون الصديق صديقًا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته»[٨٧]

أولًا / «في نكبته»: أي يقف مع صديقه في الضيق، ولا يكون قريبًا في أيام الرخاء، وعندما يصاب صديقه بأزمة يغلق هاتفه ويختفي، فالمعيار هو: يقف معه في الشدة أم لا؟.

ثانيًا / «وغيبته»: هل ينساه؟ هل يذكره ويسأل عنه؟ هل يحفظ غيبته ويدافع عنه ويرعى شؤونه؟..

ثالثًا / «ووفاته»، هل يحفظ عائلته بعد الوفاة؟.. هل نحفظ عوائل أصدقائنا إذا أخذتهم المنية؟. إن الصديق الحقيقي يظهر بعد الوفاة، حيث لا مصلحة له في ما يفعل، على العكس من صداقة المصلحة التي تنتهي مع الوفاة.

إذن فإن رفيق السوء يدفع إلى الظلم، وهو من موجبات الظلم، نسأل الله تعالى أن يجيرنا من ذلك.

٨٧. نهج البلاغة ٤: ٣٣ الحكمة ١٣٤.

الأمسية الرمضانية الثالثة بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم في هذا الشهر الفضيل.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

موجبات الظلم

نواصل الحديث في المعنى المجازي لليد، في عنوان (موجبات الظلم)، أي الأمور التي تسبب الظلم والتجاوز، وقد ذكرنا في ما سبق أربعة من موجبات الظلم وأسبابه، ونكمل بذكر الموجب الخامس من موجبات الظلم.

خامسًا / الترف

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (٨٨).

أولو بقية، أي الصفوة الرسالية وأهل العلم والمعرفة والحرص والمسؤولية تجاه

٨٨. سورة هود: الآية١١٦ ـ ١١٧.

مشروع السماء، هؤلاء بحركتهم الاصلاحية يمنعون من شمول هذه الأمم والشعوب بالعذاب الإلهي، والقرآن الكريم يستخدم مفردة البقية في أكثر من موضع؛ فقد جاء في خطاب شعيب لقومه، في سورة هود: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٨٩]، بقية الله هي الثلة المخلصة المؤمنة الصالحة المتصدية التي تتحمل المسؤولية، فلذلك يعبر عن سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان ببقية الله على الأرض، لأنه صاحب المشروع الإصلاحي الأكبر والأعظم الذي سيملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

دور البقية الصالحة

إذن دور البقية ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، دور النخبة المؤمنة الصالحة، دور الجماعة الإصلاحية التي تحمل مشروع الإصلاح وتعمل من أجل إشاعة الصلاح والهدى بين الناس، دور أساسي ومحوري، دور يمنع ويحد من شمول العذاب والعقوبة الإلهية الشاملة، فإن هؤلاء ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، فلا يسمحون بالفساد ولا يقبلون بالانحراف مهما كان تيار الانحراف جارفًا، ويرفعون أصواتهم ويعملون كل ما في وسعهم من أجل إيقاف الانحراف وإعادة المجتمع إلى طريق الهداية والصلاح.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، القليل من الذين ينجون من عذاب الله يتحملون مسؤولياتهم تجاه مشروع السماء ويحملون المشروع الإصلاحي على أكتافهم، وهؤلاء مع أنهم قلة، ولكنها قلة مؤثرة وفاعلة ومبادرة، فالخير كله في هذه القلة ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، في البقية الصالحة، في ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ كما يعبر القرآن الكريم. إن أغلب الأنبياء تحيط بهم ثلة قليلة، ولكن المشروع الإصلاحي يبدأ من هؤلاء القلة، ثم يتسع بالتدريج ويأخذ مدياته.

أثر الترف في إيجاد الظلم

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: هنا الشاهد على أن الترف من عوامل إيجاد الظلم ومن موجباته، فالترف والدعة والراحة والأموال والثروات والسلطات التي ليس عليها رقيب ولا حسيب، توجد حالة من التراخي والانغماس في الدنيا والابتعاد عن الله تعالى.

إن للترف مثل هذا التأثير الهدام والخطير في مسارات الإنسان نحو الله تعالى، إذ يوقع

٨٩. سورة هود: الآية٨٦.

الإنسان في الظلم والطغيان والاستبداد والتعدي والتجاوز على الحرمات والاستهانة بالناس. لقد أعطاك الله تعالى فرصة لتتبوأ موقعًا مهمًا، فلماذا تتعالى على الناس وعلى أقرب الناس إليك، وتنظر إلى الناس وكأنهم عبيد؟ لماذا أصبحت شيئًا آخر واختل توازنك فجأة؟.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ما دامت هناك ثلة مصلحة وأولو بقية في الأمة يعملون على تقويمها وإعادتها إلى طريق العبودية لله تعالى، فالله تعالى لا ينزل العذاب على هذه الأمة، هذا هو الدور الذي يؤديه أولو البقية والنخبة المؤمنة الصالحة، ومع أنها قليلة ولكن المجتمع يُحفظ بها، ومن دونها ينزل العذاب والعقوبة الإلهية حينما ينغمس الناس في الفساد والرذيلة والعياذ بالله، فما دام هناك من يريد أن يصلح، فالله تعالى يعطي فرصة للمصلحين عسى أن يستطيعوا الإصلاح، حتى تأتي اللحظة التي يعم فيها الإحباط واليأس، وينعزل النبي في بيته مع ثلة قليلة، والمجتمع كله في واد آخر، وهنا ينذر الله تعالى النبي، ثم يأتي العذاب ليعم الجميع، حتى لو كان فيهم ابن نبي أو زوج نبي.

أولو البقية لهم مثل هذه التأثيرات العظيمة، فهذه النخبة لها دور كبير في مسارات الأحداث والحفاظ على الأمم والشعوب، والخطر كل الخطر في اللحظة التي يدب فيها اليأس والقنوط، فإذا جلست الثلة المؤمنة، والآخرون أساسًا في عالم آخر، فسيأتي العذاب الإلهي، فإن لوجود هؤلاء وحيويتهم مهما كانوا معدودين ومحاصرين، الدور الكبير في حفظ المجتمع.

إذا كان المجتمع صالحًا فالله سينزل رحمته عليه، وإذا كان في المجتمع ظواهر فساد كبيرة، ولكن هناك جماعة صالحة مؤمنة تعمل جاهدة لإصلاح المجتمع، فإن الله تعالى يوقف العذاب ويعطي الفرصة، أما إذا لم يكن هناك صلاح ولا إصلاح فإن العذاب سينزل، وهذه سُنّة الله. إذن فهذه الجماعة الصالحة(أولو بقية) لها دور مهم، بل فيها حياة المجتمع.

الغنى.. والفساد في الأرض

في الآية السابعة والعشرين من سورة الشورى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾، حينما تأتي الأموال فإن قليلًا من الناس يبقى كما هو، فهناك من لا يتغير ولا يسرف ولا يبذر حينما يكون عنده ألف أو مليار، ولكن الحالة العامة أن

الإنسان يتأثر بالمال والإمكانات ويفقد نفسه ويختل التوازن عنده؛ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾، تتملكهم حالة من الطغيان والتجاوز ويقعون في ظلم الآخرين.

﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾: لحرصه علينا يعطينا على قدر حاجتنا ونفسياتنا، لكي لا نضيع ولا نذهب إلى الهاوية ولا ننحرف ولا نظلم، ولنبقى في طريق العبودية لله تعالى، فهو يقدر المصلحة في ما يراه منسجمًا مع نفوسنا وواقعنا. هناك قصة وقعت في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهي أن هناك رجلا مؤمنا صائما مصليا لا تفوته صلاة الجماعة، جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال له ادعُ لي بالرزق، فقال له رسول الله إن بقاءك على الحال التي أنت فيها أفضل لك، مع هذا العدد المحدود من ماشيتك، فأبى الرجل وألح على الرسول الأكرم أن يدعو له بالرزق، وبعد أن ألقى النبي الحجة على الرجل بأن بقاءه على حاله أفضل له من مشاكل الثراء والترف، وإصرار الرجل على مطلبه في الرزق الوفير، دعا له الرسول بالرزق، فاستجاب الله تعالى لرسوله، ويوما بعد يوم ازداد عدد الماشية عند الرجل وكثرت أمواله، حتى طلب عددًا من الناس ليعاونوه في إدارة ما يملك من أموال وماشية، وانقطع عن الصلاة في المسجد لأنه مشغول برزقه الوفير، واكتفى بالحضور إلى المسجد في يوم الجمعة فقط، وتفقده الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوما وسأله عن عدم قدومه إلى المسجد، فقال إنه مشغول بقطعانه وأمواله[٩٠]. هذه حالة من الترف والرغبة في الاستحواذ على الإمكانات.

﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، الله يعرف عباده جيدا، فلا يوقعهم في الفقر الشديد ولا في الترف الذي يدفعهم إلى البغي والطغيان والانحراف. قال تعالى في سورة العلق: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسان لَيَطْغَى. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[٩١]، حينما يصبح غنيًا ذا وجاهات وأموال، يقع في الظلم والطغيان وتجاوز الحدود، لذلك فإن الله تعالى رفقا ومحبة بنا وحرصا علينا يعطينا بقدر، لكي لا نقع في المشاكل.

في شأن نزول هذه الآية الشريفة، يقال إنها نزلت في حق خباب بن الأرت[٩٢]، وهو من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد قال (خباب) إننا فقراء مساكين ليس عندنا أموال، ونرى اليهود يمتلكون الأموال والإمكانات والقصور، فنزلت هذه الآية الشريفة في حقهم، إذ يقول الله أنا أستطيع أن أعطيكم، ولكن انظروا ماذا حل بهؤلاء؛ لقد انتهوا

٩٠. أسباب النزول للواحدي: ١٧٠.
٩١. سورة العلق: الآية ٦ ـ ٧.
٩٢. أسباب النزول للواحدي: ٢٥١.

وحل بهم الخراب. وقيل إنها نزلت بحق (أهل الصفة)[٩٣] وهؤلاء عدد من أصحاب رسول الله الذين كانوا يأتون من خارج المدينة وليس لهم عوائل وبيوت، وفي البداية جاء واحد منهم فأمر رسول الله أن يبيت في المسجد، ولكنهم تكاثروا وقاموا بغسل ملابسهم وأشيائهم مما أدى إلى إرباك المسجد، فقال رسول الله ابنوا لهم سقيفة خارج المسجد سميت (الصفة)، فكان هؤلاء يجلسون في الصفة ومن كانت عنده خيرات وزكاة من المسلمين يعطيها إلى هؤلاء، وكان رسول الله يرعاهم ويشاركهم الأكل أحيانًا، وهؤلاء وهم بهذه الحال في هذا المكان البسيط أخذوا يتمنون على الله تعالى أن يرزقهم مثل الآخرين، فنزلت هذه الآية.

أسباب سعة الرزق لمن لا يستحقها

ربّ قائل يقول: إذا كانت سعة الرزق والوفرة المالية توقع الإنسان في مشاكل، ولذلك يحجبها الله تعالى عنا، فلماذا نرى أناسًا عندهم أموال كثيرة وهم غير ملتزمين، وهناك جماعات عندها أموال طائلة ودول عندها مليارات ومواقفها ليست مواقف صحيحة، فإذا كان الإنسان لا يُعطى الأموال والإمكانات لكي لا ينحرف، فلماذا يعطي الله هؤلاء وهم منحرفون ولا يأخذها منهم.. لماذا أعطاهم الله هذه الإمكانات وساروا في طريق الانحراف؟.

السبب الأول / أن الله تعالى يبتلي بعضهم ويختبره بالمال، والاختبار يكون على صنفين؛ فالبعض يختبره بالمحنة والمصيبة في الجوع والفقر، والبعض الآخر يختبره بالمال والترف، فالفقير يختبره الله تعالى ويبتليه بفقره، والغني يبتليه الله ويختبره بغناه، ولعل الاختبار في الفقر والفاقة والمحنة أسهل من الاختبار في الراحة والدعة والعطاء والمال؛ فالإنسان ما دام في شدة وعناء تكون عينه على رب العالمين ويدعو الله، ولكن إذا أصبح عنده مال وإمكانات فسوف ينسى الله. يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٩٤]، نبتليكم بالشر والخير فتنة، فهناك افتتان في الشر، وهناك افتتان واختبار في الخير.

السبب الثاني / أن الله تعالى يعطي المال للبعض لكي يبرهن لصاحب المال نفسه وللآخرين، أن المال ليس كل شيء في هذا الدنيا، فالمال مهم ولكن السعادة لا ترتبط

٩٣. أسباب النزول للواحدي: ٢٥٢.
٩٤. سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

بالمال، والانتصارات لا ترتبط بالمال، والإنجازات لا تحصل بالمال، لذلك تشاهدون في استطلاعات الرأي أن الأمراض النفسية شائعة في أوساط المترفين أصحاب الإمكانات، وليس في أوساط الفقراء، مع أن المفترض هو أن يكون الأمر معكوسًا. إن الجرائم البشعة والرذائل الغريبة والعجيبة تجدونها في المجتمعات المترفة وليس في المجتمعات الأخرى. الله تعالى يريد أن يري الناس، فهذا عنده مليارات ولكنه يعاني أمراضا نفسية وليست لديه علاقات اجتماعية، واليوم في الدول المتقدمة جدًا، تبلغ ميزانيات بعضها آلاف مليارات الدولارات، ولكن أين الأسرة؟ وأين المشاعر؟ وأين العواطف؟ إذ يسكن أحدهم مع صديقته في بيت سنين طويلة وينجبون الأولاد، وهم لا يزالون أصدقاء ولم يقرروا متى يتزوجون!. ما هذه الحياة التي ليس فيها طعم ولا مشاعر، بل ليس فيها حياة، وماذا تفيد البنايات الجميلة؟. إن السكن في كوخ بسعادة أحسن من السكن في ناطحة سحاب وأنت لم تحصل على السعادة، فالله تعالى يجعلهم عبرة لأنفسهم وللآخرين، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٩٥] و ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٩٦]، عبادة وتقوى وتوجه نحو الله وخدمة لعباد الله، هذه هي الأشياء التي يطمح لها الإنسان وخُلق من أجلها، فأين هي في الدول المتقدمة التي يكون فيها الإنسان مثل الماكنة ولا يعرف شيئًا؟.

السبب الثالث / أن الله تعالى يعطي بعضهم أحيانًا عقوبة له؛ إذ يحير بأمواله وبالمتربصين به من حوله كالذئاب التي تريد أن تفترسه، فلا ليل عنده ولا نهار، فهؤلاء التجار الكبار لا يعرفون طعم الراحة، فماذا تفيده الطائرة الخاصة والسفر والأموال وهو لا يرى عائلته ويركض ليل نهار؟ وهذه مشكلة، فأحيانًا يعطي الله البعض ليعاقبهم. يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٩٧]، لكي ينغمس أكثر في الرذيلة والمعصية، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، والعذاب المهين يواجههم لاحقًا. إذن من كانت عنده الأموال فليس بالضرورة أن يكون وضعه جيدًا، ومن لا يملكها لا يعني ذلك بالضرورة الخسران الكبير، فقد لا أملك الأموال والإمكانات، ولكن الله تعالى أنعم عليّ بالستر، ولو كانت عندي لربما انحرفت، وقد تكون عندي أموال وإمكانات وأصرفها في محلها، فيعطيني الله أكثر، وقد لا أستخدمها بشكل صحيح فيكون وزرها عليّ، لذلك فهي سيف ذو حدين.

٩٥. سورة الأسراء: الآية ٧٠.
٩٦. سورة الذاريات: الآية ٥٦.
٩٧. سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

الرزق والأخذ بالأسباب

قد يقول قائل: إذا كان الله تعالى يقدر المصالح ولا يعطي للبعض، فلماذا يسعى الذي ليس عنده الأموال والإمكانات ويعمل ويتعب إذا كان الله تعالى مقدرا له هذه الحال؟. وهذا كلام خطير وخاطئ، فالبعض يقدر الله تعالى له أن يحصل على الرزق ولكن بأسباب طبيعية، بأن يعمل ليأتيه رزقه، ومن لا يعمل شيئا فالله تعالى لا يعطيك المال، وهناك آخر يعمل ولكن الأمور لا تسير معه كما يريد، وهناك من يصبح التراب تحت يديه ذهبًا كما يقال، وهناك من يعمل بجد وله إمكانية وقدرة عقلية ولكن الأمور تعاكسه، فيبذل جهدًا كبيرًا من غير نتائج، وربما كانت هناك مصلحة إلهية بذلك، كأنْ تضره هذه الأموال إن جاءت ولا تنفعه، ولكن وجود مثل هذه القاعدة الإلهية لا يعني عدم التحرك والجلوس، بل واجبنا أن نتحرك والباقي على الله تعالى، فإذا أراد أن يرزقنا يجعل هذا الجهد مؤثرًا فيأتي الرزق، وإذا لم يرَ مصلحة في أن يرزقنا وأراد أن يختبرنا، فهذا الجهد لن يكون منتجًا ولن يأتي بالرزق، ولكن واجبنا في جميع الأحوال أن نقوم بالجهد وأن نبذل الوسع في طلب الرزق، فإن جاء فهو المطلوب، وإن لم يأت فعلينا ألاّ نصاب بالإحباط. إن العمل لتحقيق الرزق والوصول إلى الإمكانات دلت عليه روايات كثيرة أشارت إلى هذا الموضوع:

روى الشيخ الكليني في الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يدع خلفًا أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأيّ شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي، وكان (الإمام الباقر) رجلًا بادنًا ثقيلًا وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين (جاء ليحرث أرضه)، فقلت في نفسي سبحان الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة (حر شديد مع هذه السمنة وصعوبة الحركة) في طلب الدنيا! (يعاتب الإمام الباقر في نفسه على خروجه ظهرًا)، أما لأعِظنّه، فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليّ السلام ببهر (بهر يعني أن الإمام كان يتنفس بصعوبة) وهو يتصبب عرقًا، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟ فقال: (الإمام الباقر) لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة الله

عز وجل (هذه عبادة)، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف لو أنه جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني»[٩٨]. فطلب الرزق وبذل الجهد من أجل توفير الكفاف للإنسان وعائلته، أمر فيه فائدة كبيرة وأجر عظيم، وهناك روايات أخرى نتلوها على مسامعكم في الليلة القادمة إن شاء الله تعالى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٩٨. الكافي ٥: ٧٤ ح٥.

الأمسية الرمضانية الرابعة بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن ينزل رحمته علينا وعلى شعبنا وأمتنا وعلى المسلمين والإنسانية جمعاء في رحاب ضيافة الله (سبحانه وتعالى).

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

موجبات الظلم

كان حديثنا في الليالي الماضية في (موجبات الظلم)، أي الأمور التي تدفع الإنسان للوقوع في الظلم والتجاوز على الآخرين، وذكرنا أن وساوس الشيطان، ومرض القلب، وقسوة القلب، ورفيق السوء، وصولًا إلى الترف، هذه كلها عوامل تسبب وقوع الإنسان في الظلم، واستشهدنا بالآيات القرآنية الكريمة في هذا الشأن، وفي ما يخص الترف قلنا إن الله (سبحانه وتعالى) بلطفه وفضله وبتقديره لمصالح عباده، يحجز عنهم الوفرة المالية والإمكانات أحيانًا، لأن حالة الترف توقع الإنسان في الكثير من المطبات، وما أكثر الناس الذين إذا امتلكوا الإمكانات والثروات والأموال فسوف يبتعدون عن الله (سبحانه وتعالى)، ولكن هذا التقدير الإلهي حرصًا على العباد يجب ألاّ يمنعنا من أن نعمل جاهدين لطلب الرزق، فإن كانت هناك مصلحة في أن نحصل على الرزق، فإن الله (سبحانه وتعالى) سيجعل هذا الجهد مثمرًا ويحقق لنا النتائج، وإن لم

يكن الأمر كذلك، فلن نحصل على ما نريد، ولكن لا يمكن رفع اليد عن طلب الرزق والاهتمام بهذا الموضوع، بل لا بُدَّ للإنسان من أن يعمل جاهدا للتكسب وطلب الرزق وتوفير ما تحتاج إليه عائلته وذووه ومن هو مسؤول عنهم.

أجر التكسب باليد

التكسب باليد من العمل الصالح، وهو من أخلاق الأنبياء وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعباد الله الصالحين، وكنا نستعرض بعض الروايات الشريفة في هذا الشأن، وذكرنا رواية عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف أنه بالرغم من ثقل جسمه كان يخرج في ذلك الحر اللاهب وفي وقت الظهيرة، ليمارس مهنة الزراعة، ويتقرب إلى الله (سبحانه وتعالى) بالكد طلبًا للرزق له ولعائلته، وكان يعدّ ذلك طاعة، ويتمنى لو أن الله (سبحانه وتعالى) قدر له نهاية حياته في أثناء طلب الرزق والعمل والسعي من أجل العيال.

في رواية أخرى في هذا الشأن عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أوحى الله عز وجل إلى داود (عليه وعلى نبينا وآله السلام) أنك نعم العبد»، أنت نبي من أنبيائنا وعبد صالح، «لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئًا»، لكنك تأكل من الأموال العامة، من بيت المال، ولا تعمل ولا تتكسب وتحصل على رزقك من خلال العمل المباشر، «فبكى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعين صباحًا»، عسى أن يمكنه الله (سبحانه وتعالى) من أن يقوم بعمل بنفسه، لكي لا يمد يده إلى المال العام، بل يكد بيده وبجهده الخاص ويحصل على الفرص، فاستجاب الله تعالى لدعائه في أن يفتح له نافذة لطلب الرزق «فأوحى الله عز وجل إلى الحديد»، «أن لِنْ لعبدي داود»، أمر الحديد بأن يلين لداود، «فألان الله عز وجل له الحديد فكان يعمل كل يوم درعًا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمئة وستين درعًا فباعها بثلاثمئة وستين ألفًا واستغنى عن بيت المال»[٩٩]. ألان الله (سبحانه وتعالى) له الحديد، ألانه بأسباب طبيعية أو كانت مكرمة إلهية خاصة ولطف من الله لداود، في أن يستطيع أن يلين الحديد ويصنع الدروع بيده، فترون كيف أن نبيًا عظيمًا من الأنبياء يقول الله له أنت صالح، ولكن عليك أن تطلب الرزق بيديك ولا تكتفي بأن تأخذ من المال العام.

٩٩. الكافي ٥: ٧٤ ح٥.

لا رهبانية في الإسلام

في رواية أخرى عن أسباط بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله (الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه) فسألنا عن عمر بن مسلم(أحد المسلمين): «ما فعل»؟ فقلت: «صالح»، أي ما زال على الصلاح سيدي يا أبا عبد الله، «ولكنه قد ترك التجارة»، كان تاجرًا وتركها تفرغًا للعبادة، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عمل الشيطان عمل الشيطان عمل الشيطان»، أن يترك التكسب والتجارة فهذا من فعل الشيطان ووساوسه، ولم يرض الإمام الصادق، «أما علم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اشترى عِيرًا أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسم في قرابته، يقول الله عز وجل: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار)، يقول القُصّاص»، أي رواة القصص والأكاذيب، «إن القوم لم يكونوا يتجرون»، يعني لا يتاجرون وهم متفرغون للعبادة فقط، والإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول إن هذا التفسير كاذب، «كذبوا ولكنهم لم يكونوا يدّعون الصلاة في ميقاتها وهو أفضل ممن حضر الصلاة ولم يتجر»[١٠٠].

هناك من يتاجر ولكن حين يأتي وقت الصلاة يقطع تجارته ويصلي، وهذا هو معنى الآية الكريمة، فهم يتاجرون ويبيعون ويتكسبون ويعملون، ولكن هذا العمل لا يلهيهم عن ذكر الله، وحين يأتي وقت الصلاة يقطعون العمل ويصلون ثم يعودون إلى عملهم، «وهو أفضل ممن حضر الصلاة ولم يتجر»، فهناك عاطل يأتي ليصلي، وهناك من يعمل ويتكسب ويتاجر ويقطع تجارته ويأتي ليصلي، فهذا الثاني أفضل من الأول. هل عمر بن مسلم أفضل من رسول الله؟ فإن رسول الله مارس التجارة واشترى قافلة وافدة من الشام وباعها، ومن أرباحها سدد ديونه ووزع الباقي بين أقاربه والمحتاجين، فإذا كان رسول الله يتاجر ويتكسب، فلماذا يستكثر عمر بن مسلم على نفسه ذلك؟.

لذلك علينا ألاّ نقصر في طلب الرزق وفي التكسب بالأعمال الممكنة المباحة والمهن الشريفة المتوفرة، إذن ترك التكسب من عمل الشيطان كما يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

١٠٠. الكافي ٥: ٧٥ ح٨.

التوكل على الله

وردت هذه الرواية الشريفة عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يخرج ومعه أحمال النوى»، نوى التمر يجمعها ويضعها في كيس ويأخذها، «فيقال له: يا أبا الحسن ما هذا معك؟ فيقول: نخل إن شاء الله، فيغرسه فلم يغادر منه واحدة»[١٠١]، النوى إذا زُرعت وتمت رعايتها تخرج نخلًا، وكل نواة يمكن أن تكون نخلة، فعندما يحمل حملًا من النوى فمعناه آلاف النخيل، وهذا درس آخر، فليس طلب الرزق فقط، بل الأمل بالنجاح والتوفيق والربح في طلب الرزق، فأمير المؤمنين يخرج ويسأل الله (سبحانه وتعالى) أن تكون كل نواة نخلة، وعندما يُسأل عنها لا يقول إنها نواة، بل نخلة إن شاء الله. بمباركة الله (سبحانه وتعالى) ستكون كل نواة نخلة إذا تمت رعايتها.

بين الوظيفة والعمل الحر

وعن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: «رأيت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي»، أتستكثر أن أعمل بيدي، وقد عمل بيده من هو أفضل مني ومن أبي، يعني الإمام الصادق، «فقلت له: ومن هو؟»، من أفضل منك ومن أبيك؟.. من أفضل من الإمامين الكاظم والصادق؟ «فقال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين وآبائي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين»[١٠٢].

إذن ليس عيبًا أن يعمل الإنسان، وليس عيبا أن يتكسب، وليس عيبا أن يذهب إلى المهن الشريفة الموجودة في المجتمع ويستغني عن الحاجة للناس بالعمل، واليوم نرى شبابًا لديهم شهادات جامعية؛ بكالوريوس وماجستير وشهادات عليا، وضعوا شهاداتهم في جيوبهم وجلسوا بلا عمل؛ فإما تعيين في دوائر الحكومة أو يجلس في بيته، وهذه ثقافة خاطئة، فالحكومة لا تستطيع أن توظف كل الشعب، ولو استطاعت فيجب أن نقول إن هذه نظرية شيوعية، فأفراد الشعب كلهم موظفون في الدولة، فمتى يستقل الناس ويعملون ويستفيدون؟. إن الراتب عندما يكون من الحكومة، وهي لها

١٠١. الكافي ٥: ٧٥ ح٩.
١٠٢. الكافي ٥: ٧٥ ح١٠.

سياسات وأجندة، فستقول له أنت موظف وعليك أن تسير ورائي وتفعل كل ما أقول، فأين الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي؟. لذلك ترون أن ثقافة أهل البيت هي ثقافة العمل الحر كما نعبر عنه اليوم، والزراعة وتربية الأغنام وما شابه والتجارة والصناعة، هذه مهن الأنبياء وعلينا أن نعمل فيها ونسير بهذا النهج.

العمل يستوجب الرحمة الإلهية

عن أبي عمر الشيباني قال: «رأيت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له، (مزرعة) والعرق يتصابّ على ظهره، فقلت: جعلت فداك أعطني أكفِكَ»، استرح وأنا أخدمك سيدي وأحرث الأرض، «فقال لي: أنا أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة»[١٠٣]، إذا قمت أنت بحراثة الأرض فسوف أفقد هذه الفرصة؛ أن يقف الإنسان تحت حرارة الشمس ويتصبب عرقًا في طلب الرزق، فهذا شيء يحبه الله (سبحانه وتعالى) وينزل رحمته عليه، فلماذا تريد أن تفقدني الفرصة بأن أعمل بيدي؟. لاحظوا المنهج الإسلامي الأصيل؛ وهو تحمل المشقة في طلب الرزق. يا عمال الأفران، يا سواق سيارات الأجرة، يا عمال البناء، يا من يعملون في الأماكن الحارة، يا من يبذل الجهد الكبير ويتصبب عرقا في طلب الرزق، أيها المجاهدون في سبيل الله في ساحات الجهاد، هنيئًا لكم جميعًا؛ فهذا هو منهج الإسلام، وهذا هو ما يستنزل الرحمة الإلهية حينما يعمل الإنسان ويكد من أجل عياله وقوته.

عن عمر بن يزيد قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: رجل قال: لأقعدنَّ في بيتي ولأصلينَّ ولأصومنَّ ولأعبدنَّ ربي فأمّا رزقي فسيأتيني»، ينقل للإمام الصادق رأي عابد من العبّاد ترك العمل وطلق الدنيا وقال سوف أجلس في بيتي وأصوم السنة كلها وأقضي حياتي بالصلاة والعبادة والتهجد، أما رزقي فقد سألتُ الله أن يأتيني به، «فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم»[١٠٤]، لم يبارك الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فعل هذا الرجل، بل أخبر أنه أحد الذين لا يُستجاب لهم، فهو جالس في بيته يصلي ويصوم ويريد من الله أن يأتيه برزقه، وهذا لا يكون، ودعاء أمثال هذا الرجل لا يستجاب، فلا رهبانية في الإسلام. لا يصح أن تجلس في البيت تصلي وتصوم فقط وتعتزل الأمة، بل انزل إلى الميدان واحتك بالناس وتحمل المسؤولية واعمل لكسب الرزق وعش عزيزًا.

---

١٠٣. الكافي ٥: ٧٦ ح١٣.

١٠٤. الكافي ٥: ٧٧ ح١.

طلب الرزق من العبادة

عن أبي حمزة عن أبي جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من طلب الرزق في الدنيا استعفافًا عن الناس»، لا يمد يده للناس ولا يريق ماء وجهه أمامهم ويطلب من هذا وذاك، بل يعمل لكي يستغني عن الناس، «وتوسيعًا على أهله»، هناك من يرزقه الله وتأتيه أرباح ولكنه يدخرها ويجمعها لأنه ليس لديه ثقة بالله، فأطفاله جياع وملابسهم رثة وبيته بائس، والملايين مدخرة. إن الله (سبحانه وتعالى) يحب أن يجد أثر الخير على عباده حينما يرزقهم، فاصرف بلا إسراف وبلا تبذير وبلا ترف، والبس ملابس جيدة وأطعم أهلك طعامًا جيدًا وأسكنهم في دار جيدة، والفائض من هذه الأموال تصدق به على الفقراء من جيرانك وأصدقائك. عش الخير وأعط الخير للآخرين، وعند ذلك حتى من لا يملك من الناس سوف يدعو لك بالبركة وزيادة الرزق، لأنه يراك من أهل الخير.

إن طلب الرزق (استعفافًا عن الناس) يمثل صنفًا من طالبي الرزق، وهناك صنف آخر يعمل ليوسع على عياله، ذكره في قوله: (توسيعًا على أهله)، فهو عنده ما يكفي حاجة عياله، ولكنه يريد أن يوسع عليهم.

«وتعطفًا على جاره»، انظروا إلى الأولويات؛ ترعى عائلتك وتوفر حاجتهم، فالأقربون أولى بالمعروف، ثم بعد ذلك يأتي دور جارك، لأن عينه عليك وأنت تدخل وكيس الفواكه بيدك، وقد لا يستطيع أن يشتري مثلك، وعينه على اللحم، ويشم رائحة ما تطبخ من الطعام في بيتك ويشتهي، وليس لديه ما يشتري به لعياله، فاذكره إذا وسّع الله عليك وهناك زيادة وفائض، ودع الآخرين يروا النعمة التي أنعمها الله عليك، ليدعوا لك بسعة الرزق والبركة لأنك من أهل الخير.

«لقي الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»[١٠٥]، من كان بهذه الصفات، فسوف يكون وجهه يوم القيامة كالقمر حين يكون بدرًا، فهنيئًا له.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «العبادة سبعون جزءًا، أفضلها طلب الحلال»[١٠٦]، أفضل العبادات أن تطلب الحلال، والرزق الحلال الطيب.

والرواية الأخيرة في هذا الباب عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أيعجز أحدكم أن

١٠٥. الكافي ٥: ٧٨ ح٥.
١٠٦. الكافي ٥: ٧٨ ح٦.

يكون مثل النملة»، تشبيه لطيف من الإمام الصادق، يقول لنكن مثل النملة، «فإن النملة تجر إلى جحرها»[١٠٧]، لا ترى نملة واقفة، بل تتحرك دوما وترفع شيئًا بسيطًا أو تجره إلى جحرها، وأحيانًا ترون أكثر من نملة تتعاون وتبذل جهدًا كبيرًا لتجر حبة من القمح وتوصلها إلى جحرها، فالنملة تكافح وتعمل وتركض بلا كلل ولا ملل، فهل نستطيع أن نكون مثلها ونبذل الجهود في طلب الرزق وإيصاله إلى بيوتنا وبيوت المحيطين بنا؟. نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا لنكون كذلك.

الطمع من أسباب الظلم

إذن فالترف عنصر آخر من العناصر والموجبات التي تدفع إلى الظلم، وكذلك الطمع من الأمور التي توقع الإنسان في الظلم، فالطماع عينه على ما في أيدي الناس، ويريد المزيد ولا يشبع، ويستكثر على الآخرين، فهو يحسد الناس على كل شيء؛ بيت أو سيارة أو ملابس، بل حتى القلم والسبحة والخاتم، فإن عينه على كل شيء بأيدي الناس. الطمع يوقع الإنسان في الظلم؛ فهو يريد كل شيء، ولا يريد لأحد أن يملك شيئًا.

لاحظوا هذه الآيات الشريفة من سورة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، قصة شخصين ترافعا عند داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، عنده تسع وتسعون نعجة، وأنا أخوه من أمه وأبيه، وعندي نعجة واحدة، وعينه على هذه الواحدة! ويطمع في جعل نعاجه مئة بدلًا من تسع وتسعين، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، أي غلبني في الكلام، من أجل أن يأخذ الواحدة، وهذه هي حالة الطمع والجشع.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾، لقد ظلمك، وما جره إلى هذا الظلم هو الطمع، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، شريك يظلم شريكه ويعتدي عليه، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[١٠٨]، المؤمنون الصادقون قليلون، أولئك الذين تستطيع أن تضع يدك بأيدهم وتغمض عينك ولا يطعنونك ولا يسيئون إليك ولا يغدرون بك ولا يتجاوزون على أموالك ولا يتطاولون

١٠٧. الكافي ٥: ٧٩ ح١٠.
١٠٨. سورة ص: الآية ٢٣.

على حقوقك ولا يطمعون بك، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، أولئك قليلون، فإذا حصلت عليهم فتمسك بهم ولا تضيّع هذا الصنف من الناس.

الطمع داء أخلاقي عظيم يقع فيه الإنسان، ونتبرك ببعض الروايات الواردة في هذا الشأن، ونبدأ برواية الكليني في الكافي الشريف عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قلت: ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟»، ماذا نفعل ليثبت الإيمان في قلوبنا ونكون مؤمنين حقا؟. «قال: الورع»، عن محارم الله، فهذا حرام فاتركه، وهذا مشكوك به وهناك احتمال أن يكون حرامًا فاتركه أيضًا، وهذا واجب فاعمله، والذي تشك أنه واجب فاعمله أيضًا. اجتناب الشبهات يسمى الورع، أن يكون الإنسان ورعا يتجنب الشبهات، فهذا هو الذي يثبت الإيمان، «والذي يخرجه منه؟»، الذي يخرج الإيمان من الإنسان ويفقد الإنسان إيمانه بالله (سبحانه وتعالى)، «قال: الطمع»[١٠٩]، إذن فالطمع يُذهب الإيمان من قلب الإنسان، نستجير بالله من ذلك.

الطمّاع يقوده طمعه

عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «بئس العبد عبد له طمع يقوده»[١١٠]، الطماع ليس أمره بيده، بل تقوده حالة الحرص والجشع التي تسيطر عليه، ونفسه تقوده وليس هو الذي يقودها، ولا يشبع مما يحصل عليه بل يريد أكثر، وربما كان بالأمس القريب لا يملك شيئًا، ثم أصبح غنيًا يتكلم بالملايين، ولكنه لا يكتفي ولا يقنع، بل عينه على هذا وذاك، ويرتكب أي معصية ليحصل على المزيد، وهذه مشكلة.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في (نهج البلاغة) قال: «أزرى بنفسه»، يعني احتقر نفسه، «من استشعر الطمع»، يذل نفسه من سلم قياده للطمع، «ورضي بالذل من كشف ضره»[١١١]، هذا الذي مشاكله وقضاياه الخاصة ومعاناته بأفواه الناس، وحيثما جلس بدأ بالتشكي واستعطاف الناس، هذا يصبح ذليلًا، فلنكن أعزاء مهما كان عندنا من مشاكل، ولنكبر على مشاكلنا ونعض على الجراح ونكن بقدر المسؤولية.

---

١٠٩. الكافي ٢: ٣٢٠ ح٤.
١١٠. الكافي ٢: ٣٢٠ ح٢.
١١١. نهج البلاغة ٤: ٣ الحكمة ٢.

الطمع مصرع العقول والفقر الحاضر

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الطمع رِقٌّ مؤبد»[١١٢]، الجميع يريدون الخروج من العبودية وأن يصبحوا أحرارًا، والطماع يدخل نفسه في عبودية مؤبدة لا خروج منها، لأنه يبقى مريضًا ذليلًا يشعر بالنقص دومًا حتى لو كان يملك المليارات، وعينه على ما يساوي أو لا يساوي شيئًا.

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[١١٣]، يذهب العقل ويزول الفكر تحت بريق الطمع الذي يأخذ الإنسان إلى سلوكيات وانفعالات تُذله وتضعفه أمام الآخرين.

عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه قال: «جاء أبو أيوب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أوصني وأقلل لعلي أن أحفظ»، أعطني وصية ولتكن قصيرة، لأني أنسى حين تكون طويلة وأنا أريد أن أحفظها وأستفيد منها، «قال رسول الله: أوصيك بخمس»، أعطاه منهجًا لصلاح دنياه وآخرته:

أولًا - «باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى»، ما دامت عينك على أيدي الناس فأنت تشعر بالفقر والدونية أمام الآخر، فاستغنِ عما في أيدي الناس واعمل ولا تطلب، وحين يحصل عندك الاستغناء عما في أيدي الناس ولا تريق ماء وجهك للآخرين ولا تطلب من أحد، فهذه أعلى مراتب الغنى حتى لو لم تكن تملك الكثير.

ثانيًا - «وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر»، الطماع يرى أي شيء في يدك ثمينًا، وحتى لو كان يملك الملايين فهو يعيش الفقر ويطلب من الآخرين ويشعر بالدونية تجاههم، فالطمع هو (الفقر الحاضر).

ثالثًا - «وصلِّ صلاة مودِّع»، لو أن أحدنا علم أنه سيموت بعد دقائق، وأُعطي فرصة أن يصلي ركعتين، فكيف سيكون خشوعه وحضور قلبه وتوجهه نحو الله وبكاؤه بين يديه؟. هذه هي صلاة المودِّع، وهكذا يجب أن تكون صلواتنا.

رابعًا - «وإياك وما يُعتذر منه»، لا تضع نفسك في مواقف تضطرك إلى التبرير والاعتذار، وأغلق هذا الباب أصلًا، فلا تقل كلمة تضطر بعدها للاعتذار، ولا تفعل

١١٢. نهج البلاغة ٤: ٤٢ الحكمة ١٨٠.
١١٣. نهج البلاغة ٤: ٤٩ الحكمة ٢١٩.

فعلا تضطر أن تعتذر عنه، وهذه قاعدة عامة؛ فكل شيء لا يُفهم بشكل صحيح وتضطر بعده للتبرير والاعتذار لا تفعله لتبقى عزيزًا.

خامسًا – «وأحبَّ لأخيك ما تحب لنفسك»[١١٤]، ما تريد لنفسك وتشتهي من طعام وملبس ومأكل ومسكن، عليك أن تشتهي مثله لإخوانك وتتمنى لهم الخير الذي تتمناه لنفسك، فمن المهم ألاّ يكون الإنسان أنانيًا واحتكاريًا، فحين يرى شيئا جيدا أو بضاعة رخيصة في مكان، يحب أن يعرف الآخرون بذلك، وبوده أن يستفيد أصدقاؤه من أي فرصة طيبة ويشتهي لهم ما يشتهي لنفسه.

وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما هدم الدين مثل البدع ولا أفسد الرجل مثل الطمع»[١١٥]، الطمع يفسد الرجال نستجير بالله من ذلك.

وعن هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، في رواية يرويها صاحب المستدرك، قال: «وأمت الطمع من المخلوقين فإن الطمع مفتاح للذل واختلاس العقل»، يذهب العقل ولا تستطيع أن تقدّر المصلحة وتنساق وراء مشاعرك وعواطفك ورغبتك بالاستحواذ على كل شيء. «واختلاف المرؤات»، عندما يُذل الإنسان نفسه ويطلب شيئًا من الآخر، فهذا خلاف المروءة، «وتدنيس العرض»، الطمع يدنس سمعتك، فالطماع كثير الطلب حتى لا تبقى له سمعة في المجتمع، «والذهاب بالعلم»، يذهب العلم من الإنسان، «وعليك بالاعتصام بربك والتوكل عليه»[١١٦]، نسأل الله أن يعيننا على ذلك.

هناك روايات كثيرة، تشير إلى خطورة الطمع، وكيف أنه يتسبب بوقوع الإنسان في الظلم، ولكن نكتفي بهذا المقدار.

نسأل الله أن يجيرنا من ذلك كله، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١٤. بحار الأنوار ٧٠: ١٦٨ ح٤.
١١٥. بحار الأنوار ٧٥: ٩٢ ح٩٨.
١١٦. بحار الأنوار ٧٥: ٣١٥.

الأمسية الرمضانية الخامسة بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، ونسأل الله أن يتقبل منكم صالح الأعمال في هذا الشهر الفضيل.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنا نتحدث عن موجبات الظلم، أي الأشياء والأمور التي تدفع الإنسان نحو الظلم والاعتداء.

الآثار المترتبة على الظلم

الأثر الأول/ الاختلاف

وصلنا إلى موضوع جديد وعنوان جديد، هو آثار الظلم، حينما يقع الإنسان في الظلم ويتحول إلى ظالم، أي الآثار التي تترتب على هذا الأمر في حياته، وقد أشار القرآن الكريم إلى عدد من النقاط في هذا الموضوع، وأول الآثار هو الاختلاف، إذ يقع الاختلاف نتيجة الظلم.

في الآية (٢١٣) من سورة البقرة، يقول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، بدأت المجتمعات بسيطة وغير مركبة أو معقدة، إذ كان العدد قليلا؛ آدم وحواء ثم هابيل وقابيل، وهذا العدد القليل من الناس يعيش في أرض واسعة وخيرات عظيمة، وليس هناك مجتمع أو احتكاك أو اختلاف، وكلما كثر عدد الناس كبرت معهم الطموحات والتقاطع والمصالح؛ هذا يريد هذه الأرض وذاك يريدها، وهذا يرغب بالزواج بالبنت الفلانية والآخر يرغب بها.. وهكذا بدأت أمور الحياة تتعقد في الرزق والعمل والمساحات والملكية، وفي كل شيء، فبدأت الخلافات والنزاعات والطموحات.

وهذا نراه كثيرًا في الحياة؛ إذ يدخل الإنسان في مجال عمل معين أو في مشروع، بنية طيبة ويريد أن يخدم وليس لديه طموح آخر، وشيئا فشيئا تبدأ لديه طموحات جديدة؛ فيدخل الوظيفة ليعيش، ثم بعد التعيين تقع عينه على منصب مسؤول القسم ويتنافس مع الآخرين على هذا الموضوع، وحين يصبح مسؤول قسم تقع عينه على منصب المدير العام ويتنافس مع الطامحين، ثم على وكالة الوزير ثم على منصب الوزير ثم على منصب رئيس الوزراء، وهكذا لا يقف الطموح عند حد، فيبدأ بنية معينة، ولكن بعد أن يدخل في المشروع وتبدأ المشاكل والتدافعات تتغير نيته، وهذا التحدي في كل مجال، سواء في الأمور المدنية أو في الأمور العسكرية والجهاد، فعندما يدخل في الجهاد يبدأ التفكير بأن الجماعة الفلانية تقدمت، ويجب أن نمسك الأرض أو ذاك الذي يمسك الأرض، ومن الأقوى ومن الأحسن ومن الذي يستطيع أن يتقدم ومن يتأخر، ولماذا أصبح هذا آمر سرية مع أني أكثر كفاءة منه؟... ففي كل مجال من مجالات الحياة كان الناس أمة واحدة، وتبدأ الأمور بسيطة وبدوافع إلهية، ثم تتعقد ويختلف الناس في ما بينهم، لذلك جاء التأكيد في الإسلام والرؤية الإسلامية على النية، فالحج يُعقد بالنية، وكذلك الصلاة والصوم، بالنية والدوافع؛ أن يكون عملنا لله (سبحانه وتعالى)، وهذا شيء مهم جدًا في تحقيق الأمر.

الحاجة إلى مرشد وتشريعات

إذن كان الناس أمة واحدة ثم اختلفوا، وعندما اختلفوا احتاجوا إلى أمرين:

الأول/ مرشد يهديهم ويرشدهم.

الثاني/ تشريعات وقوانين. هذا يجوز وهذا لا يجوز، وهذا يجب أن تفعله وذاك لا، لكي تفكك التقاطعات في ما بينهم، ونضرب مثلًا، والأمثال تضرب ولا تقاس؛ إذا كان لدينا شارع مليء بالسيارات ويعاني اختناقًا مروريًا كبيرًا، فإننا نحتاج إلى شرطي مرور، وإلى قانون يعمل على أساسه هذا الشرطي، فتُحل هذه القضية ويصبح الشارع سالكًا بانسيابية، وكذلك الناس عندما تتقاطع تحتاج إلى مرشد وهو النبي، وتحتاج إلى قوانين وهي الكتب السماوية والشريعة التي تأتي من السماء لتحل لنا هذه الإشكاليات.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾: أرسل إلينا الأنبياء ليحلوا الاختلافات في ما بيننا، ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: يبشرون بدخول الجنة وينذرون من دخول النار، ولذلك يطيعهم الناس؛ فإن النبي يخبرهم أن هناك بعثًا بعد الموت، وأن هناك جنة ونارًا، ومن يعمل عملًا صالحًا فإن نهايته إلى الجنة، ومن يرتكب الذنوب والمعاصي فإن نهايته إلى النار، فهل أنتم من أهل الجنة أو من أهل النار؟ فيخلق الحافز، وبالطبع يبحث كل واحد منا عن السعادة في الدنيا وفي الآخرة، وكلٌّ منا يريد الوصول إلى النهاية السعيدة، وهذا يجعل الناس تتفاعل مع النبي وتستمع لكلامه، وتطيع أمر الله (سبحانه وتعالى) الذي يأتي من خلاله، لكي يحظوا بالسعادة الأخروية.

إذن مهمة الأنبياء هي البشارة والإنذار، ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، فالذي يعمل بشكل صحيح له البشارة بدخول الجنة، والذي يعصي ويذنب ولا يلتزم له الإنذار من دخول النار، والخيار لك أيها الإنسان؛ كما قال الله تعالى: ﴿إمّا شاكرًا وإمّا كفورا﴾[١١٧]، وقال سبحانه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[١١٨]، فهنيئًا لمن يزكي نفسه ويسير في طريق الهداية والحق.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، هذا هو الركن الأول الذي نحتاج إليه، والجناح الأول الذي نطير به.

أما الجناح الثاني الذي نطير به فهو الكتب السماوية: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾،

١١٧. سورة الإنسان: الآية ٣.

١١٨. سورة الشمس: الآية ٨.

أنزل الكتب السماوية لتكون برنامج عمل متكاملًا لهذه الأمم والشعوب؛ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، عندما جاء النبي ومعه الكتاب والشريعة أصبحت لدينا قوانين ومرشد وهادٍ يرشدنا إلى الطريق الصحيح، وبذلك تُحل الاختلافات الناتجة من التدافع والتداخل بين الناس، فالظلم يوقع الإنسان في الاختلاف والمعصية، وهذه من آثار الظلم.

إذن تبدأ الحياة بسيطة ليس فيها اختلاف، ثم بالتدريج عندما تنشأ المجتمعات تبدأ الطموحات بالتقاطع فينشأ الاختلاف، وهنا تأتي الحاجة إلى النبي ومعه الكتاب، ليفكك هذه الاختلافات ويضع القوانين؛ هذا حرام وهذا واجب وهذا مستحب وهذا مكروه، وهذا لا تنظر إليه وذاك لا تتكلم به وهذا افعله وذاك لا تفعله، وهذه شريعة تنظم إيقاعات السلوك للناس جميعًا.

اختلاف الجهل واختلاف العصيان

﴿مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، هذا هو الشاهد في الآية الكريمة؛ فهناك اختلاف ناتج من الجهل وعدم المعرفة، إذ بعد نشوء المجتمعات ظهرت المشاكل والتقاطعات، فأرسل الله الأنبياء ومعهم الكتب السماوية، فشرحوا ووضحوا وبينوا المطلوب من الناس، وبذلك حُلّت المشكلة، ولكن هناك من لا يريد أن يسمع ويريد أن يعصي، بالرغم من بيان الأنبياء وتوضيحهم للأمور، وهناك فرق كبير بين ألّا يعرف الشخص ما الموقف فيأتي النبي ويبيّن له، وبين شخص يعلم ما الموقف ولكنه يخالف أمر الله (سبحانه وتعالى) والكتب السماوية ويعصي، فهذا الاختلاف الناتج من العصيان غير الاختلاف الناتج من الجهل.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: لقد وقع الاختلاف بعد مجيء الأنبياء، ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، بعد أن قدم الأنبياء الأدلة والحجج والبراهين، وأوضحوا للناس الموقف المطلوب منهم، (بغيًا بينهم)، ظلمًا وتجاوزًا وعدوانًا، إذن فالظلم يوقع الإنسان في الاختلاف والمعصية والتمرد على أمر الله (سبحانه وتعالى)، «بغيًا بينهم»، وهذا من آثار الظلم.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾، يسير المؤمنون على طريق الهداية ويلتزمون بأوامر الله ونواهيه، ويتمسكون بنهج الحق فيعالجون الاختلافات؛ ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، الله يحل مشاكل المؤمنين لأنهم يطيعونه ويلتزمون بأمره، فلا

خلاف بينهم، إذ إن هناك قواعد وضوابط يلتزم بها المؤمنون فيُحل الاختلاف، أما غير المؤمنين فيتعمدون المخالفة ويعصون، وبذلك يتعمق الإشكال والخلاف بين الناس، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، الله (سبحانه وتعالى) بيده الهداية لمن يشاء، فالذي ينصاع إلى أمر الله (سبحانه وتعالى) يقدر له الهداية إلى الصراط المستقيم.

الدين أساس البناء المجتمعي

إن أحد الدروس التي نفهمها من هذه الآية الكريمة أن الدين والمجتمع متلازمان ومتكاملان ومندمجان معًا، فإنّ مجتمعًا بلا دين سيعتمد قوانين وضعية تستطيع أن تنظم الحركة الخارجية للناس، ولكن ليس هناك وازع ديني، وفي اللحظة التي يغمض فيها القائمون على القانون أعينهم ستحصل المخالفة؛ فالقانون لا يسمح لك بالسرعة، وهناك كاميرات مراقبة ورادار، وما دامت الكاميرا موجودة تسير على مهل، ولكن إذا كان الشارع بلا كاميرا وليس هناك شرطي مرور، فهل ستلتزم بالسرعة؟.

إن القانون الوضعي ينظم السلوك بالمقدار الخارجي، ولكن لا يوجد تفاعل وجداني مع الموضوع، ولذلك فإن أكثر المجتمعات انضباطًا والتزامًا بالقانون، التي فيها ديمقراطية مترسخة، تجد الناس فيها تستغل أي ثغرة من ثغرات القانون لتسرق وتعتدي على القانون وتتجاوزه، وينتهي كل شيء، أما قانون السماء فلا ينظم الإيقاعات في الخارج فقط، بل يُوجِد حافزًا ووازعًا داخليا وجدانيًا؛ إذ يقول لا تفعل هذا لأنه حرام، وإذا عملته ستدخل النار، وذاك واجب فافعله لتحصل على السعادة الأخروية، فيلتزم الإنسان سواء كانت هناك كاميرا أو لم تكن، وسواء كان هناك من يراه أو لم يكن، لذلك فالتشريعات الدينية توجد وازعًا نفسيًا ودوافع ذاتية لدى الإنسان، فيولد هذا التفاعل الوجداني، فالإنسان يلتزم تقربًا إلى الله لا ليراه فلان أو خوفا من فلان، بل يصل الأمر إلى أن يقال إذا قمت بالعبادة من أجل فلان فهذا رياء وعملك باطل، فإذا صليت ليراك الآخرون فهذا رياء، أو قلت لهم إنك صائم بالرغم من حرارة الشمس، لأجل إشعارهم بأنك صائم، فإن عبادتك أصبحت من أجلهم وصارت رياء، وبذلك تبطل العبادة، فلا يجوز أن يمارس الإنسان العبادة رياء.

إذن، الوازع الداخلي قوي، حين يعمل الإنسان لله (سبحانه وتعالى) وليس من أجل فلان، بخلاف القانون الوضعي الذي يلتزم به الإنسان ما دامت هناك رقابة؛ فإذا

كان هناك شرطي فهناك انضباط، أما إذا غاب الشرطي فالجميع يسير على هواه، لذلك فإن المجتمع مرتبط بالدين لتنتظم أموره بشكل صحيح، وبلا وازع ديني ووجداني لا يستقيم أمر المجتمع بشكل صحيح، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الدين شريعة تعليمات، والتعليمات في مساحة مهمة منها هي تشريعات اجتماعية، ولذلك فإن أول الأنبياء أولي العزم، في الرواية والرؤية الأقوى عند علمائنا، ليس آدم بل هو نوح (عليهما وعلى نبينا وآله السلام)، والأنبياء أولو العزم أتوا بالشرائع، وقبل آدم لم تكن هناك شريعة، وكذلك من آدم إلى نوح ليس لدينا شريعة وقواعد وأحكام إلهية تنظم حركة المجتمع، وهذا دليل على أن الدين ينظر إلى الحالة الاجتماعية أيضا، والشرائع تنظر إلى المجتمع وتنظم إيقاعاته، فترون أن العلاقة بين الدين والمجتمع علاقة تكاملية؛ فالدين يشرع للمجتمعات وللإنسان في واقعه الاجتماعي، والمجتمعات تحتاج إلى الوازع الديني لكي تستقيم وتنتظم أمورها، وهذا ما يمكن أن نستفيده من الآية الشريفة، إذن فالاختلاف أثر من آثار الظلم.

الأثر الثاني / إنكار اليوم الآخر

إنكار القيامة واليوم الآخر من آثار الظلم أيضًا، فالظالم ينكر الآخرة، والإنكار يكون لفظيا أحيانًا؛ إذ يقول إنما هي دنيا نستمتع بها وليس هناك آخرة، فهناك صلف بهذا المقدار، وهناك من يُقر بوجود جنة ونار ولكنه لا يعطي الأمر أي أهمية بالعمل، فالشخص الأول مثله كمثل الذي تُريه قفصًا في حديقة الحيوانات فيه أسد، وتقول له إن في هذا القفص أسدًا، فيردّ بأن هذا ليس أسدًا بل قطة كبيرة! وينكر هذا.

أما الشخص الثاني فيقول إن هذا أسد، ولكنه يريد الدخول إلى قفص الأسد الجائع غير مبالٍ بخطورة الوضع، ويتعامل بطريقة تتنافى مع الكلام الذي يقوله. إذا كنت تؤمن بأن هذا أسد، فيجب ألاّ تفتح الباب وتدخل بهذا الشكل وتعرض حياتك للخطر، فما دمت تعرض حياتك للخطر بهذه الطريقة، فأنت غير مدرك أن هذا أسد وأنه مفترس، وكذلك الذي يقول إن هناك جنة ونارًا، ومع ذلك يعيش حياته بلا ضوابط، فلا يترك المحرمات ولا يفعل الواجبات ولا يدع موبقة إلاّ وارتكبها، فهذا عمليًا ينكر الآخرة، فلو آمن بها لما ارتكب الموبقات والذنوب والمعاصي. إذن فإن إنكار اليوم الآخر من آثار الظلم والتجاوز والاعتداء.

شواهد قرآنية

في الآية الثامنة عشرة وما بعدها من سورة هود، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: من أكثر ظلمًا ممن يُكذّب الله، ويقول إن الله كذاب والعياذ بالله، استغفر الله ربي وأتوب إليه، ويكذب الله بتكذيب أنبيائه، فقد جاء الأنبياء ومعهم تعاليم فرضها الله سبحانه، وحين تكذب النبي المرسل من قبل الله فهذا تكذيب لله (سبحانه وتعالى)، والذي يكذب الله ليس ظالمًا فقط، بل هو الأظلم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أشد ظلمًا، ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، من أظلم ممن يكذب الله (سبحانه وتعالى)، ممن يكذب رسوله الكريم، فمن يكذّب الرسول فقد كذّب الله (جل وعلا).

﴿أولئك يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: في يوم القيامة يعرضون بأعمالهم في محكمة العدل الإلهي، والله (سبحانه وتعالى) يحاكمهم في اليوم الآخر، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: يجلب الشهود في محكمة العدل الإلهي أيضا، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يشهدون بكذب هؤلاء.

من الشهود يوم القيامة؟ والجواب: الشهود هم الملائكة؛ منكر ونكير، وكذلك الأنبياء، فقد قال الله تعالى في حق نبينا في الآية الحادية والأربعين من سورة النساء: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمة بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا رسول الله، يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، رسولنا الكريم يشهد على المسلمين، وأنبياء الأمم الأخرى يشهدون على أقوامهم، فقد جاء في حق السيد المسيح (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، في الآية السابعة عشرة بعد المئة من سورة المائدة: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، فعيسى سيشهد على أمته بما فعلوه، وكذلك سائر الأنبياء.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: الأنبياء والملائكة ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يشهدون على كل من خالف الله (سبحانه وتعالى) وخالف رسول الله، ويقولون إن هؤلاء كذبوا على الله، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، فتشملهم اللعنة الإلهية، فكل من يخالف ويعصي يكون ملعونًا من قبل الله (سبحانه وتعالى).

آثار الظالمين وسماتهم

من الظالمون؟ وما صفاتهم وسماتهم وآثارهم؟. في هذه الآية الشريفة ثلاثة آثار وثلاث سمات للظالمين:

أولًا/ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يصرفون الناس عن الله (سبحانه وتعالى)، فالناس متوجهة بفطرتها نحو الله، وهؤلاء الظالمون يقومون بإشاعة الشبهات والأكاذيب والتساؤلات السلبية والشبهات الهدّامة، ومن خلال التهديد والوعيد والترغيب والتسهيلات والمزايا، وسفرات إلى جزر الكناري بخصومات كبيرة حيث الانغماس في الشهوات الدنيوية بعيدًا عن الله، وترون أن هناك من يسيّر رحلات بخصم كبير إلى مناطق ملوثة، ويأخذ الشباب إلى تلك المناطق ليقعوا في الحرام، وهذا صدٌّ عن سبيل الله، فهذا شاب، ولو لم تعرضه لمثل هذا التحدي فهل يرتكب هذه المعصية؟ ولو كان في بيئة سليمة ونظيفة فهل يقع في الآثام؟ ولكنه يفتح التلفاز فتأتيه المسلسلات التي تهز أكثر الأشخاص صبرًا، ويذهب إلى أماكن ملوثة معينة ويرى من المظاهر الماجنة ما يدفعه نحو الحرام، ولو كان متحصنًا ولم يقع في هذه الأمور لكان وضعه جيدًا.

نقول بخصوص الصحة: «الوقاية خير من العلاج»، فلا تذهبوا إلى المكان الملوث، فإن المصاب بمرض مُعدٍ، كأنفلونزا الطيور مثلًا، ويمكن أن ينشر الوباء، يأخذونه ويحتفظون به في مكان خاص ولا يسمحون له بأن يحتك بالناس، ولا يسمحون للناس بأن يقتربوا منه، ويقال إن هذا به مرض مُعدٍ وليس من الصحيح التقرب منه، ففي الأمور المادية نعمل بقاعدة الوقاية خير من العلاج، ولكننا لا نعمل هذا الشيء في الأمور الدنيوية؛ إذ نقتحم ونقع في الحرام، ونتواصل مع البيئة الملوثة ثم نقول كيف وقعنا في الحرام وأذنبنا؟ لماذا ذهبت إلى مكان يقع فيه الذنب والمعصية؟ ولو بقيت بعيدًا لما وقعت في الحرام، لذلك ترى الإسلام يأمر بغض البصر عن الحرام، وكذلك صيانة السمع من المحرمات، والابتعاد من مواضع التهم، فالمكان الذي فيه تهمة وأمور غير سليمة لا تذهب إليه، لكي تحصن نفسك، فالوقاية خير من العلاج في الأمور المعنوية، كما أن الوقاية خير من العلاج في الأمور المادية.

ثانيًا/ ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أولئك الذين يريدون أن يصلوا إلى الله بطرق ملتوية، فتراهم يتجنبون الصراط الواضح المستقيم ويسيرون في طريق آخر يجهلون نهايته، وقد يؤدي بهم إلى الضياع، وهذه سمة ذي النفس المريضة؛ يحرف كلام الله، ويصغر الكبير ويكبر الصغير، إذ يعطي أهمية للصغائر ويقتحم الكبائر، فيدخل في معارك بشأن سنة

الرسول في طول الشارب، وصفة اللحية أهي طويلة أم قصيرة؟ والثوب أهو طويل أم قصير؟ وقد شغل نفسه بهذه الأمور، ولكنه يذبح إنسانًا بلحظة ولا تتحرك له مشاعر ولا يشك بشيء، فكل همه في الصغائر، أما أن يذبح إنسانًا ويسلبه الحياة ويسبي امرأة ويعتدي على أطفال ويبطش بأناس ويفجر، فهذه ليست لديه مشكله معها؛ ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يطلبون طريق الله من خلال الوسائل العوجاء، وهذه هي الحالة التكفيرية والتطرف، فهذا يفجر نفسه، وبالتالي ليست له مصلحة مادية، ولكنّ لديه فهمًا أعوج؛ كقولهم: سأتغدى أو أتعشى مع رسول الله! أو أقتل عشرة وأدخل الجنة. لماذا لا تدخل الجنة بالعمل الصالح والعبادة وبخدمة الناس، بدلا من أن تدخل الجنة بذبح الناس، فمن أين أتيت بهذه الفكرة؟. إن الإسلام دين السلام، ودين التسامح، وهذه الآيات القرآنية الشريفة من أول القرآن إلى آخره مليئة بآيات الرحمة والشفقة والحرص واللين والتواضع.

ثالثًا / ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: وهذا هو الشاهد في موضوعنا، فهؤلاء يكفرون بالآخرة، وهذا من الآثار المترتبة على الظلم.

الأثر الثالث / الخوف

إن قلب الظالم مملوء بالخوف والرعب، هذا ما تقوله الآيات القرآنية؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١١٩]، عندما ذهب موسى إلى الوادي يبحث عن جذوة أو شعلة من النار ليستضيء بها، رأى نارا فذهب ليرى ما هناك، فأتاه النداء في ذلك الوادي المقدس: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، هذا الصوت الذي أتاك ليس صوتًا من النار أو من الأشجار، بل هذا الصوت من الله: (أنا الله)، لكي يثق موسى ويؤمن.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: ينتقل الله إلى المرحلة القادمة ليعطيه المعجزات، فالعزيز هو الذي لا يُقهر، والحكيم هو ذو الدراية والمعرفة والحكمة، لذلك فإنّ الله تعالى يقول له: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، لأنَّ المعجزة تحتاج إلى قدرة وحكمة، فالله (سبحانه وتعالى) يقول لنبيه موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام) إن لديّ القدرة والعزة، فأنا العزيز، ولديّ الحكمة أيضًا، فأنا الحكيم، لكي يطمئنه ثم يعطيه المعاجز.

١١٩. سورة النمل: الآية ٩-١١.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: بعد أن اطمأن قلب موسى بأن هذا النداء نداء من الله، حينئذ بدأ الله (سبحانه وتعالى) يعطيه معاجزه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، أول معجزة يا موسى هي هذه العصا التي بيدك فألقها، ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ ما إن رماها حتى بدأت تتحرك، ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، كأنها حية سريعة الحركة، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾، حين رماها على الأرض وصارت حية تسعى، فزع موسى وولّى هاربًا.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ركض ولم ينظر وراءه، فعندما يمر الإنسان بحالة من الخوف من شيء يركض ولا ينظر وراءه، لذلك فإن موسى ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾، هاربًا، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، لم ينظر وراءه، فجاء النداء الإلهي: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾: لماذا أنت مرعوب؟ ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾: الأنبياء لا يخافون، فلا تهرب ولا تخف، فهذه لك وليست عليك. إذن النبي لا يخاف.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾، هذا هو الشاهد، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾، ظلم وارتكب معصية، ثم بدل الحسنة بعد المعصية، وتاب إلى الله (سبحانه وتعالى)، وتراجع عن ذنوبه، ﴿إِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يعني إذا كنت نبيًا فلا تخف، فالخوف أثر للظلم الذي لا يتراجع عنه الإنسان، فحتى الظالم الذي يندم ويتوب ويرجع إلى طريق الطاعة فهو من الذين لا يخافون أيضًا، أما إذا كنت ظالمًا ومصرًا على ظلمك، فإن من آثار هذا الظلم أن تشعر بالخوف. إذن فالخوف أثر للظلم الذي لا يتراجع عنه الإنسان، فأحيانًا يقوم الإنسان بخطوة أو يقول كلمة يجرح بها مشاعر أخيه، من غير أن يقصد أو كان في لحظة غضب، وسرعان ما يتوب ويرجع ويطلب الصفح من هذا الأخ المؤمن، فإذا أخطأ الإنسان وظلم ثم تراجع، فإن الله (سبحانه وتعالى) غفور رحيم، فيغفر له هذا الظلم، ولكن إذا ظلم ولم يتراجع، فإن هذا الظلم من آثاره الخوف والرعب. وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية السادسة بتأريخ٢٠١٥/٦/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منكم صالح الأعمال.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

مازلنا في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ.

آثار الظلم بحسب القرآن الكريم

كان حديثنا عن آثار الظلم، وذكرنا منها:

الأول/ الاختلاف.

الثاني/ إنكار يوم القيامة.

الثالث/ الخوف

قلنا إن الأثر الثالث من آثار الظلم هو الخوف، وقد ذكرنا في الأمسية الماضية شاهدًا قرآنيًا على هذا المطلب، ونكمل اليوم بذكر شاهد قرآني آخر.

قال الله تعالى في الآيتين السادسة والسابعة من سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، الخطاب موجه إلى اليهود، يا معاشر اليهود، إن ادّعاءاتكم كبيرة وحديثكم عالٍ، إذ تدّعون أنكم أحباء الله وأنكم أولياء الله وأفضل الناس وأقربهم إلى الله، فإذا كنتم تزعمون أنكم الأقرب والأحب إلى الله، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإن الحبيب يريد أن يرى محبوبه، فالذي يحب الله يتمنى الموت ليلقى الله سبحانه (معنويًا)، فلقاء الله يتحقق في الدار الآخرة، ولكنكم لستم كذلك لأنكم تخافون من الموت، والكلام ليس موجهًا إلى اليهود وحدهم، فإن كثيرًا من الناس يخشون الموت، وهذا غير منسجم مع حب الله، لأن الله لطيف بعباده، وهذا الخوف من الموت دليل على أن أعمالنا ليست كما نتمنى.

في الآية السادسة والتسعين من سورة البقرة، هناك إشارة لهذه الحقيقة أيضًا بحق اليهود: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾، أشد الناس تمسكًا بالحياة وحرصًا عليها، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، حرصهم على الدنيا أكثر من المشركين أنفسهم، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾)، لو عاش مئات أو آلاف السنين، فإن طول العمر لا يدفع عنه العذاب، فالعذاب لا يرتبط بطول العمر، فإذا كانت أعمالك صالحة فإنك لو مت اليوم فستذهب إلى رب غفور رحيم، ولو عشت مئات السنين وأعمالك غير صالحة فإنك ستذهب إلى العذاب، وربما بإساءة أكبر.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾: ولكنهم لا يحبون الموت، فهم يدعون أنهم أحباب الله وأولياؤه، ولكنهم لا يحبون ولا يتمنون الموت، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، لأن ما فعلوه في هذه الدنيا ليس فيه زاد للآخرة، ولم يكن فيه ما ينفعهم فيها، فهم غير مستعدين لها، وليس لديهم عمل يجعلهم من السعداء في الآخرة، وهنا تحصل هذه المفارقة الكبيرة بين الادّعاء والسلوك، وما أكثر المدّعين وأصحاب الشعارات.

بين الادّعاء والعمل

اليوم في الواقع الذي نعيشه يدّعي الجميع الوقوف ضد إرهاب داعش، والجميع يدين الإرهاب الداعشي ويصدر البيانات في استنكار الجرائم الداعشية، ولكن من الناحية الواقعية العملية، هل وقف الجميع بوجه داعش؟ وهل كان الجميع صادقين في عدائهم لداعش؟ وهل كان الجميع جادين في استنهاض واستنفار الإمكانات لمواجهة

داعش؟ وهل أغلقوا حدودهم ولم يسمحوا للمتشددين والمتطرفين بأن يأتوا من بلدان العالم العريضة إلى مناطق تواجد داعش في العراق وسوريا؟ وهل لاحق الجميع مواطنيه المتشددين حينما أرادوا أن يلتحقوا بالخلافة الإسلامية المزعومة؟ وهل تعبّأ الجهد الاستخباري في المنطقة بشكل صحيح؟ وهل تعاونت المؤسسات الاستخبارية في هذه الدول بينها ونسقت جهودها لقطع الإمدادات عن داعش؟ وهل داعش جنٌّ أو بشر؟.

إن داعش يعيش بتمويل نفسه من بيع النفط في سوريا والعراق، والنفط يحتاج إلى صهاريج بأعداد كبيرة، وهذا العالم الذي يدّعي أنه ضد داعش، كيف لم يستطع رؤية مئات الصهاريج بالرغم من أقماره الصناعية وطائراته وأجهزة التنصت والمراقبة المتطورة التي يملكها؟ فضلًا عن أن هذا النفط يسوّق في الأسواق العالمية، فلا الصهاريج رأوها ولا الدول التي عبر النفط منها رأوها ولا الأسواق العالمية التي يباع النفط فيها رأوها ولا مئات الملايين من الدولارات التي يحصل عليها داعش رأوها، مع أن هذه الأموال تأتي عن طريق حسابات مصرفية، فأين الجدية؟.

حذرنا مرارًا وتكرارًا وقلنا إن داعش لا يمكن أن يُستخدم كبندقية للإيجار، وقلنا إن داعش ليس لديه صديق، وإذا حصل على الفرصة سينقض على أي مكان يمكن أن تمتد يده إليه، وقلنا إذا كان هنا أو هناك من متساهل، فالمتساهلون سيكونون على رأس القائمة في الاستهداف الداعشي، واليوم صرنا نرى تفجيرات في هذا البلد أو ذاك من الدول العربية والإسلامية والعالم، فقد شهدنا تفجيرًا مروعًا في دولة الكويت الشقيقة، وتفجيرًا مروعًا في تونس، وعملية إجرامية داعشية أخرى في فرنسا، وكلها في يوم واحد، مع أنها في ثلاثة أماكن مختلفة، فماذا يعني ذلك؟. إن الذي يحصل اليوم من تفجيرات واعتداءات مؤسفة نستنكرها بأوضح العبارات وندينها بشدة، حذرنا منه مرارًا وتكرارًا على مدار الأشهر الماضية، وإذا لم نشهد تعاونا حقيقيا وتنسيقا بين دول المنطقة في مواجهة داعش، فسوف يستمر نزيف الدم في جميع هذه البلدان، نسأل الله الأمن والأمان لبلادنا ولجميع دول المنطقة، ولكن هذه حقائق، وهذا ليس تهديدا بل هو وصف لواقع الحال، وإذا لم نقف وقفة واحدة ونتعاون وندرك خطورة هذا العدو ونقف بوجهه، فسوف تغرق المنطقة بهذه العمليات الإرهابية، وإذا كان العراق، بشعبه وتأريخه وبحجم المعاناة التي مرت عليه على مدار عقود من الزمن، استطاع أن يستوعب هذه الصدمات ويحتويها ويبقى قويا شامخا، وإذا كانت لدينا مرجعية عليا في العراق تصدر فتوى بالجهاد، فيهب مئات الآلاف من شبابنا العراقي، فهذه الظروف غير موجودة في الدول الأخرى، وإذا غرقت بالإرهاب فسوف تنهار لا سمح الله،

لذلك أشدد على كل من يستمع إلى هذا النداء ويصغي إلى هذا القلق الذي نبينه، بأن علينا التعاون والوقوف وقفة واحدة بوجه الإرهاب الداعشي ومواجهته بجميع الوسائل المتاحة، وألاّ نعتبر داعش ورقة سياسية للتفاوض والضغط على هذه الحكومة أو تلك، فهذا لا ينفع وسيرتد هذا الخطر الكبير على كل من تساهل أو تورط بشكل من الأشكال في دعم الإرهاب الداعشي، وهذه هي الازدواجية بين الشعار والعمل.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: إن ظلمهم جعلهم يخافون من الموت، فقد ظلموا وعصوا وتجاوزوا، ولذلك أصبح الخوف يعشش في قلوبهم ونفوسهم، وهذا يشير إلى حقيقة قرآنية مهمة، هي أن سبب الخوف من الموت هو عدم الاستعداد والتهيؤ أو الجهل أحيانًا، ولكن الذي تكون أعماله صالحة طيبة يأنس بالموت.

بحث روائي في موضوع الموت

نذكر بعض الروايات عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في موضوع الموت:

الرواية الأولى: «لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم. فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت، فقال لهم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: صبرا بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب. إن أبي حدثني، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت»[١٢٠]، لمّا تكاثرت علي الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الرماح والنبال ووصل إلى لحظة الشهادة، لحظة نزع الروح من الجسد، «نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم»، الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بخلاف الآخرين غير مبال بالموت، «لأنهم كانوا إذا اشتد بهم الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم ونشفت جنوبهم»، كان الحسين وبعض من معه سماتهم بالعكس؛ تشرق ألوانهم وتشع بهجة وفرحًا، فكان كذلك مع كل ما ألم به من الجراح

١٢٠. بحار الأنوار ٦: ١٥٤ ح٩.

والألم، لأنه مُقبل على الله تعالى، «وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم»، حالة الفزع والخوف غير موجودة، بل هناك حالة من الاستقرار، «فقال بعضهم لبعض: انظروا إليه لا يبالي بالموت»، جماعة عمر بن سعد قالوا هذا، «فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في تلك الحال: صبرًا بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم من البؤس والظلم إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة»، هذه هي حقيقة الموت لمن أعدّ واستعدّ، «فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وهو لأعدائكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم، إن أبي حدثني بذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء (الآخرين) إلى جحيمهم»، «وهم العصاة المذنبون الكفار الظلمة، فالموت يخرجهم من جناتهم في هذه الدنيا، إلى سجنهم في الآخرة.

الرواية الثانية: سئل الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما الموت؟ قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفك قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب وآنس المنازل، (هذا تعريف الموت للمؤمن)، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنزول عن المنازل الأنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب»[121]، ليس هناك تفسير واحد للموت؛ فهو للمؤمن يعني الراحة والسعة، وللكافر والعاصي يعني العذاب الأليم، فكل يفسر بحسب طبيعة عمله؛ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[122].

الرواية الثالثة: قيل للإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما بالنا نرى كافرًا يسهل عليه النزع فينطفي وهو يتحدث ويضحك ويتكلم؟»، سيدي يا أبا عبد الله، أنتم تقولون إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وتقولون إن الموت هو انتقال الكافر إلى السجن والمؤمن إلى الجنة، ولكننا نرى كافرًا مبتسمًا فرحًا وهو في حالة النزع، ولا يعاني المشقة في لحظات الموت، وفي المقابل نرى مؤمنا في لحظة الموت وهو يأخذه النزع ويعرق ويرتجف قبل أن يسلم الروح إلى بارئها، فكيف يكون هذا؟.

«ما بالنا نرى كافرًا يسهل عليه النزع فينطفي وهو يتحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين من يكون كذلك، (هناك من المؤمنين من يكون كذلك) وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي في لحظات الموت؟. فقال الإمام الصادق: ما كان من راحة هناك

١٢١. بحار الأنوار ٦: ١٥٥ ح٩. معاني الأخبار: ٢٨٩ ح٤.
١٢٢. سورة الجمعة: الآية ٧

للمؤمنين فهو عاجل ثوابه»، مؤمن ينزع الله تعالى روحه ويموت بسكينة ووقار، فالله يعجل له الثواب، وما سوف يراه في الآخرة يعجل له في الدنيا أيضًا، «وما كان من شدة»، حينما يواجه المؤمن شدة الموت، «فهو تمحيصه من ذنوبه ليرد إلى الآخرة نقيًا نظيفًا مستحقًا لثواب الله ليس له مانع دونه»، بهذه الشدائد في نزع الروح يتخلص المؤمن من ذنوبه القليلة، «وما كان من سهولة على الكافرين فليوفى أجر حسناته في الدنيا»، هناك إنسان مذنب ولكنّ عنده أمورًا طيبة وله خدمات في الدنيا، فالله تعالى يوفيه أجر حسناته في الحياة الدنيا، ولكن في الآخرة له عذاب اليم، «ليرد إلى الآخرة وليس له إلاّ ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافرين فهو ابتداء عقاب الله له بعد نفاد حسناته»، ليس له حسنات تذكر في الدنيا، «ذلك بأن الله عدل لا يجور»[١٢٣].

الرواية الرابعة: «مرض رجل من أصحاب الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فعاده، فقال: كيف تجده؟ فقال: لقيت الموت بعدك»، يريد به ما لقيه من شدة المرض، «فقال: كيف لقيته؟ قال: أليمًا شديدًا، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما لقيته إنما لقيت ما ينذرك به»، إنذار يذكرك بالموت، «ويعرفك بعض حاله، إنما الناس رجلان؛ مستريح بالموت (يعني يطلب الراحة بالموت) ومستراح به منه (أو تسحب منه الراحة بالموت)، فجدد الإيمان بالله والنبوة والولاية لنا تكن مستريحًا»[١٢٤].

الرواية الخامسة: «دخل علي بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت بما عليك من الوسخ وأصابك جروح وجرب، وعلمت أن الغسل في الحمام يزيل عنك ذلك كله، أما تريد أن تدخله (الحمام) فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا ابن رسول الله، قال: فذلك الموت هو ذلك الحمام»، الموت للمؤمن هو ذلك الحمام الذي يغسل الأدران، «وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا وردت عليه وجاوزته (الموت) فقد نجوت من كل غمٍّ وهمٍّ وأذى ووصلت إلى كل سرور وفرح، فسكن الرجل ونشط واستسلم وأغمض عين نفسه ومضى إلى سبيله»[١٢٥].

الرواية السادسة: «قال رجل لأبي ذر الغفاري: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من العمّار إلى الخراب، وقيل

١٢٣. عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٨ ح٩.
١٢٤. بحار الأنوار ٦: ١٥٥ ح١١، معاني الأخبار: ٢٨٩ ح٧.
١٢٥. بحار الأنوار ٦: ١٥٦ ح١٣، معاني الأخبار: ٢٩٠ ح٩.

له: كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: فأما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، وقيل له: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله (عز وجل) يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[١٢٦]، قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين»[١٢٧].

نسأل الله تعالى أن يسهل علينا سكرات الموت، وأن نعمل للآخرة حتى يكون الموت والشهادة في سبيل الله مطمحًا لنا. اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، اللهم لا تخرجنا من الدنيا إلاّ وأنت راضٍ عنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢٦. سورة الانفطار: الآية ١٣-١٤

١٢٧. المحجة البيضاء ٨: ٢٥٨. والحديث مروي عن الإمام الحسن المجتبى في معاني الأخبار: ٣٩٠ ح٢٩.

الأمسية الرمضانية السابعة بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منكم صالح الأعمال في هذا الشهر الفضيل.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد (صلوات الله وسلامه عليه)، وانتهينا إلى آثار الظلم في القرآن الكريم، حيث استعرضنا في الليالي الماضية ثلاثة آثار من آثار الظلم، هي الاختلاف وإنكار القيامة والخوف.

الأثر الرابع: تكذيب آيات الله

الأثر الرابع الذي يشير إليه القرآن بوصفه أثرًا من آثار الظلم هو تكذيب آيات الله، فالظالم يكذب بآيات الله ولا يؤمن بأوامر الله ونواهيه، فقد قال الله تعالى في سورة يونس، الآيات (١٥-١٧) وما بعدها: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى

اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾، حينما تتلى وتقرأ عليهم، أي على المشركين عبدة الأوثان، ﴿آياتنَا بَيِّنَاتٍ﴾، آيات ظاهرة بينة فيها أدلة واضحة، لكل من تتحرك مشاعره ويتحرك عقله وفكره على ضوء فطرته، ويجدها واضحة بينة لا غبار عليها؛ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[١٢٨]، الله يقيم الحجة على عباده بشكل صريح وواضح.

﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾: الذين لا يؤمنون بالآخرة وينكرون القيامة، هؤلاء يقولون حينما تعرض عليهم آيات الله: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أو بَدِّلْهُ﴾، إن قرآنك ينال من آلهتنا، ويصف عقائدنا بأنها عقائد منحرفة، فهذا القرآن لا نقبله، فإما أن ترفعه أو تغيره لينسجم مع عقائدنا وتوجهاتنا لكي نسير معك، أي إذا لم تستطع تبديله فاعمل تغييرات داخل القرآن، وارفع الآيات التي تذمّ آلهتنا، أو تلك التي تتكلم بالوعيد والعقاب والنار، وجئنا بآيات أخرى كلها وعد وبشارة وتنزيه لنا ولآلهتنا وعقائدنا، أي جئنا بقرآن على مقاساتنا. لم يفهم هؤلاء معنى الرسالات السماوية، وماذا يعني الوحي من الله (سبحانه وتعالى)، فليس لديهم فهم دقيق للنبوة وفلسفة النبوة، فهؤلاء يريدون دينًا بمقاساتهم، ووفق ما يشتهون ويتمنون.

البحث عن مقاسات خاصة

قد يقول قائل إن في زماننا من يفكر بهذه الطريقة، ولكن بصورة مطورة؛ إذ يتبع البعض المرجع الذي يرى فتاواه سهلة فيقلده، ولا يبحث عن المرجع الأعلم الأعدل الذي تتوفر فيه المعايير الفقهية المطلوبة في مرجع التقليد، فليس له علاقة بذلك بل يبحث عن الأسهل.

يجب أن يبحث الإنسان عن المرجع الذي تتوفر فيه المعايير والشروط الفقهية في التقليد ويقلده ويلتزم بفتاواه، سواء كانت سهلة أو صعبة، أما أن أبحث عن المرجع الذي لديه فتاوى سهلة، فهذا نوع من أنواع البحث عن مقاسات خاصة في الدين، والبعض منا يبحث عن تفسيرات دينية لمواقفه؛ فإن حمل السلاح قال هذا منهج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن صالح قال هذا منهج الحسن، مع أن هناك ظروفًا وشروطًا قاتل الحسين على أساسها، وهادن الحسن في ظروف أخرى، فعليك أن تدرس ظرفك وترى هل ينسجم مع منهج الحسين أو منهج الحسن، ولا يصح أن تتبع مصلحتك، فإن أرسلتك مصلحتك للقتال قلت يا حسين، وإن أرسلتك للمهادنة قلت يا حسن.

١٢٨. سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

البعض منا يحاول أن يُكيّف الدين على ضوء مذاقاته، ويفصله على ضوء مصالحه وأهوائه، والبعض الآخر، وهو الصحيح، يُكيّف نفسه مع الدين والعقيدة الحقة، وشتان بين هذا وذاك، وهؤلاء الذين يتحدث عنهم القرآن في هذه الآية الشريفة يريدون أن يروضوا الدين ويكيفوه مع عقائدهم، لذلك قالوا أعطنا غير هذا القرآن أو بدِّله، فهل الرسول هو الذي كتبه ليكتب غيره أو يجري عليه تعديلات؟.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أجبهم يا رسول الله أن الأمر ليس بيدي ولا أملك هذه الصلاحية أو هذا الاختيار، فهذا كتاب الله (سبحانه وتعالى) جئت به إليكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١٢٩]، فهذا وحي من الله وليس بيدي أن أزيد أو أنقص فيه، بل أتبع ما يوحي إليّ ربي الذي أخشى عذابه ولا أعصيه.

تلاحظون أن المشركين قالوا له إما أن تبدل القرآن كله وتغيره أو تبدل جزءا منه، بحيث يكون على وفق أهوائهم بأن يرفع منه آيات العذاب والقيامة والإساءة إلى آلهتهم اللات والعزى وهبل وغيرها، وقد قال الله تعالى بخصوص هذا الموضوع: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[١٣٠]، لو زاد على القرآن أو أنقص منه ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، يعني نياط قلبه، أي إذا زاد كلمة واحدة أو أنقص نسلبه الحياة، ولا أحد منكم يستطيع أن يمنع عنه العذاب والهلاك، وحاشا لرسول الله أن يفعل ذلك، وهو الذي (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى)، ولا يمكن أن يصدر منه سوى ذلك.

الحجة الواضحة

﴿قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: إذا كنت قد تلوت عليكم شيئًا فبمشيئة الله (سبحانه وتعالى)، ولو كان الله لا يريد ذلك ولم يأمرني بالتلاوة لما تلوته عليكم، فكل ما أتلوه عليكم بمشيئة الله، ﴿وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ﴾، لا يحصل عندكم علم بهذا الوحي، فقد علمتم به لأن الله أراد ذلك من خلالي، فلذلك علمتم بالوحي، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾، عشت بينكم أربعين سنة قبل أن أُبعث نبيًا، فهل سمعتم خلالها مني شيئا من

١٢٩. سورة النجم: الآية ٣ـ٤.

١٣٠. سورة الحاقة: الآية ٤٤ـ٤٦.

هذا القرآن الذي تستمعون إليه، ولو كان هذا من قولي ومن أفكاري لسمعتم هذا الكلام مني خلال هذا العمر الطويل.

وحينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائلا: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجاب أبو سفيان بالنفي، فقال له هرقل: وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمتَ أن لا، فعرفتُ أنه لم يكن ليدعَ الكذبَ على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله، وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة:

بعث الله فينا رسولًا نعرف صدقه ونسبه وأمانته وقد كانت مدة مقامه بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة[١٣١].

لقد علّم الله رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذه الحجة الواضحة عن طريق الوحي، وطلب منه أن يشرح هذا الأمر للناس: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾، عشت معكم أربعين سنة ولم تسمعوا مني هذه المفاهيم، وهذا معناه أنها ليست مني، بل من الله الذي بعثني إليكم، فالله يأمرني ويوحي إليّ، وأنا أتلو عليكم هذا الوحي.

﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾: ألا تفهمون هذه القضية الواضحة البينة وتدرك عقولكم هذا الأمر؟.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾: وهنا الشاهد؛ من أشد ظلمًا ممن يفتري ويكذب على الله، وممن يختلق أمرًا وينسبه إلى الله (سبحانه وتعالى)، أو يُكذّب بآيات الله؟. إذن التكذيب بآيات الله أثر من آثار الظلم؛ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، من أشد ظلمًا ممن يُكذّب بآيات الله؟ وهذا هو الظلم بعينه.

﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُون﴾، لا يفلح المجرم أو ينتصر أو يُوفّق، وهو الذي يَكذِب على الله ويُكذّب بآيات الله ولا يستجيب للحق، ولا يمكن لمثل هذا الإنسان أن يكون مفلحًا ومنتصرًا وناجحًا.

الابتلاء والعودة إلى جادة الصواب

وبنفس الاتجاه جاءت الآيتان الحادية والعشرون والثانية والعشرون من سورة السجدة: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدنى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيات رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، العذاب الأدنى يعني

١٣١. انظر: تفسير ابن كثير ٢: ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

العذاب القريب، أي عذاب الدنيا، فالله سبحانه حرصًا على عباده وحبًا بهم وشفقة عليهم، يعاقب الذي يميل عن جادة الصواب ولا يكون مستقيمًا في سلوكه أو في عقيدته، في الحياة الدنيا؛ لأن عذاب الدنيا بسيط، كالمرض والفقر والفاقة والجفاف والقحط والوباء، وأقيّض لهم أعداء يضغطون عليهم وأجلب لهم (داعش)، وأخلق لهم تحديًا وأعذبهم عذابًا بسيطًا في الدنيا وألفت نظرهم، ليفتحوا أعينهم ويعودوا إلى الطاعة، وما دامت هناك فرصة في الدنيا، فهناك فرصة لتتوب وتراجع مواقفك وتصحح مساراتك، فالله يعرّض عباده للابتلاء شفقة عليهم.

ونجد هذا المضمون نفسه في الآية الخامسة والخمسين بعد المئة من سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ﴾: أسلب منكم الأمان فأبتليكم بالخوف، وكذلك بالفقر والجوع، (وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ)، سعر النفط الذي بلغ (١٢٠) دولارا أحوله إلى (٤٠) دولارًا، وهذا نقص في الأموال، ﴿وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، وأخلق لكم عدوًا يتساقط فيه أبناؤكم شهداء لتهزكم بطولات هؤلاء الأبطال الشجعان وترجعوا لأنفسكم؛ إذا كان هؤلاء الشباب وهم بعمر الورود يقاتلون هكذا ويذبون عن الوطن والعقيدة، فلماذا لا نتحرك ولا نستقيم؟ ولماذا لا نصحح مواقفنا؟ ولماذا لا نعود إلى الله (سبحانه وتعالى) ونتكامل؟.. هذه أسئلة يطرحها الناس على أنفسهم، وكل من يملك ضميرًا تتحرك مشاعره وهو يرى الشباب في الحشد الشعبي والجيش والشرطة ومن يسقط في ساحات القتال بمواجهة داعش، وكل من يملك ذرة ضمير يقول إن أبناءنا يضحون بهذه الطريقة، فأين نحن، وأين مواقفنا، وأين مسؤوليتنا، وأين دورنا؟.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾، أجلب لكم حشرة الدوباس فتقضي على نخيلكم، وأجلب لكم بعض الآفات لتخرب زراعتكم، وانفلونزا وبائية تثير خوفكم، وهذا الابتلاء لكي ألفت نظركم.

معظم ما نواجهه من مصاعب في الحياة، هو رغبة من الله (سبحانه وتعالى) في أن يعيدنا إلى المسار الصحيح؛ افتح عينك يا إنسان واعتبر واستعد للآخرة وصحح مواقفك، فهذه كلها جعلها الله (سبحانه وتعالى) منبهات، فأحيانًا يضعون في الأماكن الخطرة عقبات ومطبات لئلا يغفل أحد ويفتح الجميع عيونهم عند المطب فلا يقعوا في المحذور، وكذلك وضع الله (سبحانه وتعالى) لنا مطبات لنفتح أعيننا ولا نذهب بالاتجاهات الخاطئة، ونراجع الموقف ونصححه.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدنى﴾: نذيقهم من عذاب الدنيا، فانظر إلى التعبير الجميل ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾، من العذاب القريب في الدنيا، ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكبر﴾، قبل أن يصابوا بالعذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة، وقد يقول قائل: إن لفظة الأدنى تستعمل للمسافة، ولفظة الأكبر للحجم، مع أن مقابل (الأدنى) هو (الأبعد)، ومقابل (الأصغر) هو (الأكبر)، ولكن التعبير القرآني هنا يقول: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر)، فالأولى للمسافة والثانية للحجم، ولم يستعمل لفظة (الأبعد) مقابل لفظة (الأدنى)، فلماذا لا نجد انسجامًا بين الأولى والثانية؟ فإما أن يقول لنذيقنهم من العذاب الأصغر دون العذاب الأكبر مثلا، أو يقول لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأبعد.

إن كلًا من هذين العذابين فيه سمتان؛ حجمه وثقله على الإنسان، وزمانه، فالدنيا عذابها قريب لأننا نعيش فيها، ولكن حجم العذاب صغير، فمهما كان العذاب طاحنًا في الدنيا فهو لا شيء قياسًا بعذاب الآخرة، فهناك العذاب الحقيقي، ولو قال الله أريد أن أعذبكم عذابًا صغيرًا لكي ألفت نظركم وتعودوا إلى الطاعة، إذا قال ذلك فلن نخشى، لذلك قال العذاب الأدنى القريب، أما بالنسبة للآخرة فالمهم حجم العذاب ونوعيته وتأثيره، أما المدة فلا تعني شيئًا، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[١٣٢]، يوم واحد من أيام الآخرة يساوي ألف سنة، فلا قيمة للزمان، وقد تلونا على مسامعكم الآية الشريفة: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، يعتقد أنه ينجو من العذاب، ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾[١٣٣]، لكن ألف سنة لا تبعده عن العذاب، لأن العذاب آتٍ بقوة، فحجم العذاب في الآخرة هو المهم، لذلك وصفه بأنه ﴿الْعَذَابِ الْأَكبر﴾، والمدة الزمنية غير مهمة، أما في الدنيا فالمهم العذاب القريب الذي تذوقه الآن، ولو وصفه بأنه عذاب صغير، فسوف يكون ذلك نفيًا للغرض من العذاب، وهو تخويف العباد ليعودوا إلى عبادة الله؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، الله يقول أنا الرؤوف الغفور لا أريد أن أتشفى بكم ولا أريد أن أتلذذ بعذابكم وأذيتكم، بل أذيقكم شيئًا من عذاب الدنيا لتنتبهوا وترجعوا إلى طاعة الله، فحبًا بكم وحرصًا عليكم وشفقة عليكم، أعرضكم إلى بعض الهزات لكي تعودوا إلى الطريق المستقيم وتنتبهوا من جديد، فهو لطف من ألطاف الله (سبحانه وتعالى).

١٣٢. سورة الحج: الآية ٤٧.
١٣٣. سورة البقرة: الآية ٩٦

نفس المضمون تجدونه في الآية الرابعة والتسعين من سورة الأعراف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ البؤس والفقر، (وَالضَّرَّاءِ): الضر والمرض، ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾، هذا الابتلاء من بأساء وضراء وفقر وبؤس ومرض وضر وأذى وألم ومحنة لعلهم يتوبون إلى الله (سبحانه وتعالى) ويتضرعون إليه، فالهدف أن ترجع إلى طاعة الله (سبحانه وتعالى)، هذا هو الهدف الأساسي.

تكذيب آيات الله أشد حالات الظلم

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: هنا الشاهد في الآية، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيات رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، الإعراض عن آيات الله وتكذيب آيات الله أشد حالات الظلم، ومن آثار الظلم الإعراض عن آيات الله وتكذيب آيات الله. هناك من يقول إن المعممين يريدون أن يستأسدوا علينا ويقفوا على رؤوسنا، فهذا مرجع وذاك شيخ وهذا حلال وهذا حرام، فلنترك هذه القصص والمهم هو أن يكون قلبك طاهرًا وهذا كاف، فانظر كيف يدخل الشيطان، فترى بعضهم يقول ليس مشكلة أن تكون الصلاة في أول الوقت أو آخره، والله رحيم ونحن لم نزل شبابًا، وإذا صلينا الآن أو السنة القادمة أو بعد عشر سنوات فلا مشكلة، أو إن الجو حار والصيام صعب، وعندما يكون رمضان في الشتاء بعد عشر سنوات سنصوم، وعندما يأتي الشتاء سنقضي. البعض يقول ذلك في مجتمعنا.

إذن هذه الآية خطاب لنا وليس للمشركين وعبدة الأوثان وحدهم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيات رَبِّهِ﴾: شرحوا له ووضحوا، ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ولكنه أعرض عنها وتركها وكذّبها، ولم يأخذ بها. تقول الآية ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، والحرف ﴿ثُمَّ﴾ باللغة العربية يعني أن يأخذ الأمر وقتًا، ومعناها أن الله سبحانه غير مستعجل، فقد يكون هناك شخص مخطئ وغير ملتفت والصلاة لم يصلها، ولكن العقوبة لا تأتي بعد المخالفة فورًا، كما يقف شرطي المرور بانتظارك، وما إن تعبر والضوء أحمر، حتى يوقفك ويعطيك الغرامة، وكأجهزة الشرطة، فما إن تخالف القانون في أي مكان حتى تأتيك العقوبة، أما الله (سبحانه وتعالى) فهو «يمهل ولا يهمل»، ويعطيك فرصة أولى وثانية وثالثة لعلك ترجع، وينبهك ويضع لك مطبات لعلك تفتح عينك وتعود؛ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٣٤]، يا من صدرت منه معصية وذنب والعياذ بالله، ويا من تنظر إلى حرام وتتكلم بحرام، ويا من ذهب إلى مكان محرم، ويا من قام بفعل محرم، هذه الآية خطاب لهؤلاء وليس

١٣٤. سورة الزمر: الآية ٥٣.

للمؤمنين الصالحين، فيقول للمسرفين ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ لا تيأسوا من رحمة الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، يغفرها الله كلها، ولكن عليك أن تتوب في الوقت الصحيح قبل أن يذهب الوقت وما دامت الفرصة بيدك، تُب وعُد إلى الله، لتصحح مواقفك وتقضي ما فات من عباداتك، حينذاك يكون الطريق مفتوحًا، والله وضع لك كل وسائل النجاح لكي تعود، وفتح وهيأ لك الطريق ووضع لك المطبات لتنتبه، ولكن إذا مضى الوقت والإنسان مصرٌّ على الإعراض وتكذيب آيات الله، فبعد ذلك يصبح الحال شيئًا آخر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[١٣٥]، هذا الذي أعطيناه النعم والصحة والأمان والسلام لم تنفع معه ورأيناه لم ينتبه، فقيّضنا له مرضًا ومشاكل ووضعنا أمامه منغصات فلم يفتح عينيه وبقي مصرًا على تكذيب آيات الله والإعراض عنها، فهذا لا فائدة منه والعذاب الأدنى لم يفده، لذلك سيكون جزاؤه العذاب الأكبر؛ ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

إن الانتقام في اللهجة الدارجة التي نستخدمها مفردة فيها مفهوم التشفي، فإن (أنتقم) يعني أتشفى، ولكن المعنى اللغوي للانتقام لا يوجد فيه معنى التشفي، والله (سبحانه وتعالى) منزه عن التشفي بعباده حتى العصاة منهم، فالله لا يتشفى بعباده، والانتقام هنا بمعنى العقوبة، أي نعاقب المجرمين على جرائمهم نستجير بالله من ذلك. فتضرع إلى الله في هذا الشهر الكريم أن يسدد خطاك ويتوب عليك فأنت في ضيافته.

اغتنام الفرصة

ما دام هناك طريق للعودة، فيجب أن نعود إلى الله ونتوب إليه ونصحح، ولا تبرر موقفك لأحد، فالأمر بينك وبين ربك، فافتح خطًا مباشرًا مع الله سبحانه الآن وقل: إلهي؛ انتهت عشرة أيام من شهر رمضان، وانقضى ثلث هذا الشهر وبقي ثلثان، إلهي؛ أنا الذي أذنبت، أنا الذي أخطأت، إنا الذي أسأت، أنا الذي اعتديت، وجئتك ربي معترفًا لك، ولا تُرق ماء وجهك أمام الناس، وإذا ارتكبت ذنبًا معينًا لا تتكلم للآخرين، بل قله بينك وبين ربك ولا أحد يسمعك، قل يا إلهي لقد فعلت هذا وهذا وعددهن، وجئتك في شهر الصيام، في شهر ضيافتك، ورسولك علمنا كيف نحترم الضيف ونلبي طلباته وأنت الكريم الجواد، وأنت الغفور الرحيم.

جئتك يا إلهي في شهر رمضان، وما دمت في ضيافتك أريد أن أصلح موقفي وأن

١٣٥. سورة السجدة: الآية ٢٢.

أعود إلى طاعتك، فساعدني يا ربي وخذ بيدي وأخرجني وأنقذني، فإني متورط وأصبح لديّ إدمان على النظر إلى الحرام وسماع الحرام والذهاب إلى المكان المحرم، وأسيء إلى الناس وصارت عندي طبائع ذميمة لا أعرف كيف أتخلص منها، كالمدمن على المخدرات حين يذهب إلى مركز التأهيل ويطلب المساعدة، ألا يستطيع الله (سبحانه وتعالى) إعادة تأهيلك؟.. بلى يستطيع ذلك، وعليك أن تخطو خطوة نحو الله، وسيتقدم الله باتجاهك عشر خطوات؛ ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[١٣٦]، فقرر وكن صادقا في قرارك، والرجولة والشيمة أن تقول وتفعل، وهذا ما نقوله في تعاملاتنا بين الناس؛ هذا صادق وهذا عنده مروءة لا يتراجع عن كلامه، ونحن بين يدي الله في هذه الليلة الشريفة، فلنأخذ هذا القرار؛ أن نعود إلى طريق الطاعة، ونلتزم بما أمر الله (سبحانه وتعالى) ونصحح ونغير ونتوب، وسترى كيف يفتح الله الطريق أمامك وينور قلبك ويبعث الأمل في روحك ويجدد النشاط في نفسك ويشعرك بلذة العبادة. وفي الدعاء: (اللهم ارزقني حلاوة ذكرك)[١٣٧]، فمناجاة الله فيها حلاوة، فتذوقها واشعر بها. اليوم يوم التصحيح؛ في شهر رمضان في ضيافة الله (سبحانه وتعالى).

إبعاد الفساد عن المؤسسة التربوية

هذا اليوم هو اليوم الأول لامتحانات أبنائنا من طلاب السادس الإعدادي، وهي أيام صعبة عليهم أعانهم الله، ولكن (من طلب العلا سهر الليالي)، وأنا أوصي العوائل الكريمة بأن يجعلوا أجواء البيوت هادئة، فحيثما كان لديهم أبناء يخوضون امتحانات مصيرية من هذا النوع، يجب أن تكون أجواء البيت هادئة، ويدارى هؤلاء الأبناء والبنات الكرام ليستطيعوا أن يراجعوا دروسهم بإذن الله.

وصيتي لأبنائي وبناتي الطلبة؛ توكلوا على الله وليكن ذكر الله حاضرًا معكم، وابذلوا جهدًا كبيرًا في مراجعة المواد الدراسية قبل الذهاب إلى الامتحانات، ولحسن الحظ جُعلت الفواصل بين الامتحانات يومين وثلاثة وهناك فرصة للمراجعة، وتأكد من أنك مستحضر وملتفت للمواد بشكل كامل وصحيح، وتوكل على الله وجد في المطالعة والدراسة.

وأوصي الأجهزة المختصة في الحكومة، ولا سيّما وزارة الكهرباء، أن تعطي ساعات

١٣٦. سورة الأنعام: الآية ١٦٠.
١٣٧. منهاج البراعة: ١٩/ ٣١٧

إضافية وأن توفر الكهرباء في قاعات الامتحان، ليجلس الطالب ويجيب عن الأسئلة بشكل صحيح، وعليهم الحفاظ على هذه الأسئلة، فكثير من الشباب يتداولون الكثير من الأمور، منها أن الأسئلة تُباع وتُشترى، وإن شاء الله تكون هذه الأخبار غير دقيقة، ولكن تطمين شبابنا شيء مهم، حتى لا يكون هناك شعور بالغبن، من أن يكون هذا لديه مال ليدفع ويأخذ الأسئلة، والآخر لا يملك فلا يأخذها، وإذا أردنا أن نبني تعليمًا محكمًا ورصينًا لشعبنا، فيجب ألاّ يدخل الفساد إلى المؤسسة التربوية والتعليمية، ونحتاج إلى دقة ورصد، وأتمنى على المفتش العام في وزارة التربية أن يدقق في هذه المعلومات التي يتم تداولها عبر وسائل التواصل الاجتماعي ويتابعها، لنتأكد أن العملية سليمة، وأن الشباب والشابات حصلوا على استحقاقهم في النجاح والتفوق في هذه الأسئلة.

إن لأبنائنا الطلبة أجرين؛ أجر الصيام وأجر المطالعة وطلب العلم والتهيؤ لهذه الامتحانات، فهنيئًا لهم ونتمنى لهم النجاح والتوفيق، وللحديث صلة تأتي تباعًا، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية الثامنة بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منكم صالح الأعمال.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكنّا نتحدث في الحق السابع من هذه الحقوق، وهو حق اليد، ، وقلنا إن الظلم من أهم الآثار المترتبة على اليد.

آثار الظلم في القرآن الكريم

ذكرنا أربعة آثار للظلم في القرآن الكريم هي:

أولًا / الاختلاف

ثانيًا / إنكار القيامة

ثالثًا / الخوف

رابعًا / تكذيب آيات الله

ونتحدث اليوم عن الأثر الخامس

خامسًا / التمرد على الله

التمرد على الله تعالى من آثار الظلم، إذ يصبح الإنسان متمردًا على الله عاصيا لأوامر الله تعالى.

لاحظوا الآيتين الحادية والستين والثانية والستين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُم فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، ويراد بها بيت المقدس، فالله تعالى أمر بني إسرائيل بأن يسكنوا بيت المقدس، ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، هذا المكان الواسع المليء بالنخيل والفواكه، المكان العظيم، استفيدوا منه وتزودوا منه وكلوا واشربوا كما تشاؤون، وكل هذه النعم متوفرة لكم وفي خدمتكم، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، ولكن المطلوب منكم شيء واحد، هو أن تقولوا حطة، أي اطلبوا من الله تعالى حط الذنوب، يعني اطلبوا المغفرة من الله تعالى. اسكنوا بيت المقدس واستمتعوا بكل النعم الإلهية، ولكن قولوا حطة واطلبوا من الله غفران الذنوب.

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: ادخلوا الحرم المقدس من بابه، وسميت «باب حطة»، وادخلوا سجّدا أي خاشعين لله تعالى، وفي حالة تعظيم لله تعالى، ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾، جميع ذنوبكم ومعاصيكم وتجاوزكم على الله تعالى وكل إساءاتكم لنبي الله موسى، نغفرها كلها ونفتح صفحة بيضاء لكم، فادخلوا المسجد وقولوا حطة نصفح عن كل شيء، ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، لا نكتفي بأن نغفر لكم خطيئاتكم ولكن نثيبكم، فماذا كان موقفهم امام هذا العرض الإلهي؟.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُم﴾، وهنا الشاهد في الآية؛ إذ لم يكتفوا بالعصيان بل سخروا من أمر الله، فهم لم يقولوا حطة ولم يطيعوا أمر الله، واستهزؤوا بأمر الله بأن حوروا كلمة (حطة) وقالوا (حبة)، سخرية واستهزاء، يستهزئون بإرادة الله ولا يرضخون ولا يستفيدون من هذه العروض السخية من الله تعالى. إذن، فالظلم أثر يترتب عليه أثر مهم هو التمرد على الله.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: رجزًا يعني عذابًا، والرجز في اللغة حالة الاضطراب والاختلال وتطلق على الإبل حين ترتجف أرجلها في حالة المرض ولا تكون حركتها منتظمة، وتستخدم بمعنى العذاب، ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: أنزلنا عليهم العذاب؛ لأنهم لم يستفيدوا من الفرص، ويقال إن العذاب كان الطاعون، وهو يسبب

الاختلال في الحركة والكلام، وورد هذا النص نفسه في سورة البقرة، الآية التاسعة والخمسين، ولكن باختلاف في العبارة الأخيرة؛ ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، الطاعون لم يشمل الجميع بل طال الذين استهزؤوا، أي الظالمين الذين لم يستجيبوا للعرض الإلهي ولم يقولوا حطة، وقال سبحانه في هذه الآية: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، وفي تلك الآية في سورة البقرة: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، المعصية فيها جنبتان؛ جنبة ترتبط بالله تعالى، والفسق هو حالة الخروج عن أمر الله وطاعته، فقوله ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، إشارة إلى أنهم لم يراعوا أمر الله، أما الجنبة الثانية فهي الإنسان حينما يذنب ويسيء إلى نفسه ويظلم نفسه، وفي هذه الآية: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، فالتمرد على أمر الله أثر آخر من آثار الظلم.

سادسًا/ الحسرة

الظالم يصاب دائما بالحسرة، كما يشير إلى هذا الأثر عدد من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١٣٨]: هناك عذاب يأتي إلى الأمم ويهلكهم حينما يأخذون كل فرصتهم، فالله يمهل ولا يهمل، وينعش ذاكرتهم بالابتلاء ببعض المطبات من جوع وخوف ووباء وزلازل ومشاكل دنيوية ومعوقات وإرهاب، فالله يبتلي عباده لكي ينتبهوا ويلتجئوا إليه سبحانه، ولكن هناك من لا يرعوي، بل يزداد تمردًا على الله، وفي تلك اللحظة يأتي العذاب الإلهي: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، في ذلك الوقت هناك من يندم ويطلب الرجوع لكي يصحح موقفه، ولكن بعد أن ينزل العذاب وبعد زوال الفرصة لا يمكن الرجوع إلى الوراء. يطلبون الرجوع ولكن أنى لهم ذلك وهذا لا يكون، وتشير إلى هذه الحقيقة الآية التاسعة والتسعون من سورة المؤمنون: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، بعد كل هذا العمر الطويل وآيات الله تتلى عليك وتقرأ القرآن وتستمع للنصائح والعظات، ولكنك لم تسمع هذا الكلام وتريد ذلك في لحظة الموت، ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١٣٩]، عُد إلى الله من البداية قبل لحظة الوفاة، فحينما ينزل العذاب يفتح البعض عينه على ما فاته، ولكن أنّى له العودة.

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[١٤٠]: حين تفتح هذه

١٣٨. سورة الأنبياء: الآية ٩٥.
١٣٩. سورة المؤمنون: الآية ١٠٠.
١٤٠. سورة الأنبياء: الآية ٩٦.

الثغرة ويدخل يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض، فماذا يراد من يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم؟. هذه الحقيقة وردت في موضعين؛ في هذا الموضع وفي سورة الكهف، وهم أقوام متوحشون دمويون يقتلون ويذبحون ويدمرون ويحرقون ولا يبقون شيئًا أمامهم، ومن الأمارات التي وردت في القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج يبدو أنهم المغول، إذ لا منطق لديهم ولا حديث ولا شفقة ولا معايير ولا ضوابط، بل يفتكون بكل شيء ويحرقون الحرث والنسل، وهناك دولة اليوم تسمى دولة المغول، وهي بين روسيا والصين شمال شرق آسيا، فكانوا يهاجمون الصين عبر سلسلة جبال، وهناك فجوة بين هذه الجبال هي مضيق دانيال، فكانوا يعبرون عبر المضيق ويفتكون بالناس، وهذا المضيق في منطقة القوقاز، وعبر المضيق يعبرون إلى العديد من الدول، وجاؤوا في حملات متعددة وأحرقوا وقتلوا الكثير، وقبل الميلاد بخمسمائة سنة كانت لهم صولة كبيرة، وكان ملك فارس والمدائن آنذاك بولش الكبير، وحصلت معارك في وقتها، وفي القرن الرابع الميلادي هجموا على إيطاليا، حيث الحضارة البيزنطية الرومانية، وأحرقوا ودمروا الكثير، وفي القرن الثاني عشر هاجموا البلاد العربية والإسلامية ومنها العراق وإيران وقتلوا الكثير، وكان يقودهم جنكيز خان، ولم يكن أحد يستطيع أن يقف بوجوههم، وأينما حلوا بطشوا وفتكوا، وفي بغداد حينما دخلوها أوجدوا حالة من الرعب والخوف.

لقد وقف ذو القرنين بوجه يأجوج ومأجوج كما أخبرنا القرآن الكريم، واستطاع أن يبسط حكمه على مساحة واسعة من الأرض، والقرآن لم يذكر اسمه، والبعض من المفسرين يقول إن الإسكندر المقدوني هو ذو القرنين، والبعض يقول إنه كولش الكبير الملك الهاخامنشي، والبعض يقول إن أحد ملوك اليمن هو المقصود بذي القرنين، وهذا يحتاج إلى تحقيق، وما يهمنا هو مواصفات ذي القرنين، فهو شخص قوي شجاع مكنه الله تعالى في هذه الأرض في فترة وجيزة، وأصبح له تأثير وهيمنة في الكرة الأرضية، وكان عادلًا منصفًا يراعي الرعية وكان ملهمًا، فهو شخص مؤمن متواضع مقدام، هذه سماته التي يذكرها القرآن الكريم.

يحدثنا القرآن عن ذي القرنين في ثلاث رحلات أراد الله أن يزيل بها الطغاة من الأرض؛ رحلة إلى الغرب: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، الحمأ هو الطين الأسود، ويبدو أنها في بلاد الغرب وكانت مستنقعات طينية وأرضًا سوداء، ووصل إليها مع غروب الشمس، وفي رؤية العين تبدو الشمس حين تغرب كأنها تدخل في الطين، هذا هو الوصف القرآني: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ

عِندَهَا قَوْمًا﴾[١٤١]، وجد في الغرب قومًا وتعامل معهم برفق وحل مشاكلهم، والرحلة الثانية لذي القرنين هي رحلته إلى الشرق: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[١٤٢]، وصل إلى الشرق فوجد أناسًا فقراء وحالة البؤس لديهم عالية وليس عندهم بعد حضاري، ولا شيء يفصلهم عن الشمس، والمفسرون اختلفوا في معنى لا يفصلهم شيء عن الشمس؛ فقسم قالوا يعني عراة تمامًا، وحتى في زماننا الحاضر يعيش الناس في مجاهيل أفريقيا عراة، وبعض آخر من المفسرين يقول إنهم يلبسون الملابس ولكنهم بلا بيوت، هذه هي الرحلة الثانية لذي القرنين.

الرحلة الثالثة كانت إلى منطقة جبلية بين جبلين شاهقين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[١٤٣]، هم أناس متخلفون لا يعرفون حتى التعبير، وبعض المفسرين قال إنهم لا يعرفون لغة ذي القرنين، وإنما يتحدثون بلغتهم المحلية، وكيفما كانوا فليس لديهم حضارة: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، سبحان الله، إن صفات يأجوج ومأجوج تطابق صفات داعش، فداعش يأجوج ومأجوج هذا الزمان، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[١٤٤]، نجمع لك الأموال، بالرغم من أنهم متخلفون ولكنهم أغنياء وعندهم الأموال، فأرادوا بناء سد يمنع هؤلاء من أن يصلوا إلى مدنهم ويقتلوهم، وذو القرنين رجل عادل فلم يستغلهم ويأخذ منهم الأموال لخدمتهم، فقام بواجبه من دون أن يأخذ منهم شيئًا، وطلب منهم أن يساعدوه في غلق مضيق دانيال، ببناء سد بين الجبلين لغلق الطريق على عبور المجرمين للإساءة إليهم. إن قصة ذي القرنين درس عظيم وعبرة.

الدروس والعبر من قصة ذي القرنين

أولًا / أن الحاكم يحتاج إلى الأسباب الطبيعية، حتى إذا كان عادلًا مسددًا من الله تعالى، لذلك قال القرآن الكريم: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[١٤٥]، عرفناه كيف ينتصر وأعطيناه الوسائل ﴿فأتبع سببًا﴾[١٤٦]، عمل بهذه الطرق والوسائل وانتصر،

١٤١. سورة الكهف: الآية ٨٦.
١٤٢. سورة الكهف: الآية ٩٠.
١٤٣. سورة الكهف: الآية ٩٣.
١٤٤. سورة الكهف: الآية ٩٤.
١٤٥. سورة الكهف: الآية ٨٤.
١٤٦. سورة الكهف: الآية ٨٥.

وهذه سياقات لتحقيق الانتصار؛ إذ يجب التخطيط واختيار التوقيت والمنهج الصحيح والتكتيكات الصحيحة، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١٤٧]، وذو القرنين كان يجيد استخدام وسائل النجاح.

ثانيًا / هناك كلام عن أن الشمس غابت في الطين كما يشير القرآن الكريم، فماذا نفهم من هذا؟ فكيف تغيب شمس عظيمة في الطين؟. ويعني: أيها الإنسان؛ مهما كنت كبيرا ولكنّ موقفا غير موفق وتلكؤا وخطوة غير صحيحة تسقطك من مكانك العالي، فلا تغتر فربما تسقطك كلمة غير موفقة في المجتمع، فلا تأخذك النرجسية وتأكد من الخطوات التي تتبعها.

ثالثًا / ذو القرنين كان يعتمد مبدأ الجزاء والعقاب؛ فالذي يخطئ يعاقَب والذي يحسن يثاب، فمن أمن العقوبة أساء الأدب؛ يسرق ولا أحد يحاسبه ويسيء ولا أحد يسأله؛ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى﴾[١٤٨]. من كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تغييبا لأهل الإحسان عن الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة»[١٤٩]، يصبح تدريبًا للمسيئين.

رابعًا / تجنب التكاليف والأوامر والتعليمات والضوابط المشددة التي لا يتحملها الناس، فالحكم العادل يجب ألاّ يحملهم ما لا يتحملون: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أمرنَا يُسْرًا﴾[١٥٠].

خامسًا / التعاطي مع الناس على اختلاف توجهاتهم؛ فقد ذهب للمشرق والمغرب والشمال، وفي كل منطقة مستوى من الثقافة، ولكنه تواصل معهم ولم يحتكر جهده لجماعة دون أخرى، بل كان لكل المواطنين بكل انتماءاتهم وتوجهاتهم بتعبيرات اليوم، نقول إن هذا هو السلوك الوطني.

سادسًا / الاهتمام بجميع الشرائح حتى الضعفاء منهم، فذو القرنين حينما طلب منه الناس في منطقة بعيدة اهتم بهم. عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إسماع الأصم من غير

١٤٧. سورة الأنفال: الآية ٦٠.
١٤٨. سورة الكهف: الآية ٨٧ ـ ٨٨.
١٤٩. نهج البلاغة: ٣/ ٨٨
١٥٠. سورة الكهف: الآية ٨٨.

تضجر صدقة هنيئة »[١٥١]، أن تُفهمه من غير ضجر أو جفاف أو قسوة وشدة، «صدقة هنيئة»، ثواب عظيم، فالتعامل حتى مع الضعيف ومداراة الناس حتى لو لم يكن هناك مكسب سياسي وراء ذلك، هذا كان منهج ذي القرنين.

سابعًا / الاستقرار الأمني أولوية الناس، فإن يأجوج ومأجوج بحثوا عن ثغرة ليفتكوا بالناس، ووقف ذو القرنين وقفة مشرفة لكي يحقق الأمن والاستقرار لمواطنيه. قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد فراغه من تشييد الكعبة مباشرة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[١٥٢]، أول شيء طلبه هو الأمان.

ثامنًا / إشراك الناس المعنيين في تحقيق الانتصار. أشرك الناس لكي يشعروا بالاهتمام ويندفعوا أكثر ويتمسكوا بالمشروع، فحينما طلبوا من ذي القرنين قال لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لنبني السد معًا وليس أنا فقط. يا أبناء المناطق المغتصبة، يجب أن يكون لكم دور في تحرير مناطقكم وفي بنائها بعد التحرير. أيها المسؤولون المعنيون في الحكومة، أشركوا أبناء المناطق في تحرير مناطقهم ومسك الأرض.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: أجعل لكم حاجزًا يمنع الظالمين عنكم، ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾، قطع الحديد الكبيرة ليبني جدارًا حديديًا، ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾، وضع قطع الحديد الكبيرة واحدة بجانب الأخرى، ﴿قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾، النار تلين الحديد فتحصل حالة الالتحام بين قطع الحديد، فلم تكن هناك مكائن لحام كما هو الحال اليوم، ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، قال آتوني بنحاس ذائب لكي أكسو به الحديد ليتماسك الحديد ولا يصدأ، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، جدار قوي متماسك لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعبروه، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، ولم يستطيعوا أن يثقبوه، وفشلت جميع محاولاتهم وحفظ هؤلاء الناس، فإشراك الناس له دور في تحقيق الانتصارات، وهؤلاء القوم بحسن الإدارة تحولوا إلى ناس منتجين وحققوا إنجازًا حيّر العالم، وإلى اليوم هذا السد موجود وقوي، فأشعروا الناس بأنهم شركاء حقيقيون ولهم دور حقيقي في تحقيق الانتصارات، وحولوهم إلى شعب منتج.

تاسعًا / القناعة من القائد وعدم ابتزاز الناس؛ ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[١٥٣]، عرضوا عليه الأموال ولم يقبل، وهذا

١٥١. بحار الأنوار ٧١: ٣٨٨ ح١، ثواب الأعمال: ١٤٠.
١٥٢. سورة إبراهيم: الآية ٣٥.
١٥٣. سورة الكهف: الآية ٩٣ ـ ٩٤.

شيء مهم، والله تعالى يخاطب رسوله الكريم: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[١٥٤]، هذه لكم، فمحبة أهل البيت مصلحة للمسلمين جميعا.

عاشرًا / الإتقان والإحكام، فقد أتقن عمله وجاء بالحديد ووضع عليه النحاس، وبعد قرون لم يصبه شيء، وهذا اتقان في العمل، فمن يعمل شيئًا يجب عليه الاتقان وبذل الجهد ليحقق النتائج المهمة.

أحد عشر / تجنب الغرور والاعتداد بالذات، فذو القرنين صار امبراطورًا وعمره كما تشير الروايات إحدى وعشرون سنة، وفتح الدنيا خلال اثنتي عشرة سنة، يعني أنه رجل ثلاثيني، والعالم كله تحت إرادته، ولم تحصل عنده نرجسية ولا غرور؛ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾، الله هو الذي وفقني، ومن الجميل أن يعزو الإنسان الانتصارات إلى توفيق الله تعالى، فذو القرنين يقول: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، وأنتم وقفتم معي، فتجنب النرجسية والغرور مهم في تحقيق الانتصارات، ففي سورة هود: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١٥٥]، وفي سورة النساء: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[١٥٦].

ثاني عشر / كل شيء عرضة للزوال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، عند مجيء الساعة التي أرادها الله تعالى، يسوى هذا الإنجاز الكبير بالأرض، ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾، زلازل وكوارث نراها أمامنا وهي عبرة لنا، فكلها تزول فلا تتعلق بالدنيا؛ «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا»[١٥٧] ولكن بدون تعلّق.

نعود إلى الآية: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾، قيام الساعة، ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، شاخصة يعني بارزة لا تغمض، وهنا الشاهد، ﴿وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾، لم نكن نعرف وفتحنا عيوننا بعد فوات الأوان، ﴿بل كنّا ظالمين﴾[١٥٨]، لظلمهم أصيبوا بالحسرة، فتحسروا لأنهم لم يستثمروا الفرص، نسأل الله تعالى أن يبعد عنا الظلم والحسرات، وللحديث صلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

١٥٤. سورة الشورى: الآية ٢٣.
١٥٥. سورة هود: الآية٨٨.
١٥٦. سورة النساء: الآية ٧٩.
١٥٧. مستدرك الوسائل: ١/ ١٤٦
١٥٨. سورة الأنبياء: الآية ٩٧.

الأمسية الرمضانية التاسعة بتأريخ ٢٠١٥/٦/٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكنّا نتحدث في آثار الظلم.

آثار الظلم في القرآن الكريم

استعرضنا في آثار الظلم بحسب القرآن الكريم ستة آثار هي: الاختلاف، وإنكار القيامة، والخوف، وتكذيب آيات الله، والتمرد على الله (سبحانه وتعالى)، والحسرة.

الأثر السابع / عدم الرضوخ إلى الحق

من آثار الظلم أن الإنسان الظالم لا يرضخ إلى الحق ولا يقبل به وينكره، فعينه لا ترى، وقلبه لا ينفتح على الحقيقة بل يكون قلبًا قاسيًا، ولا يتفاعل مع الحق، وهذه مشكلة كبيرة يواجهها الإنسان الظالم. لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة الزخرف، الآية الرابعة والسبعين وما بعدها: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾: المجرمون والعصاة لهم خلود في عذاب الله (سبحانه وتعالى)، ولقرينة الخلود هنا يمكن أن نعرف

أن المجرم لا يقصد ولا يراد به كل مجرم؛ لأن بعض الجرائم والمعاصي والذنوب لها عقوبة ولكنها ليست الخلود في النار، فالخلود للكفار ولمن لا يؤمن بالتوحيد، ولذلك قد تكون الإشارة في هذه الآية الشريفة إلى المجرمين الذين ساروا على طريق الكفر بالله (سبحانه وتعالى)، وهؤلاء لهم خلود في عذاب جهنم، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يُفتّر يعني لا يخفف، فنقول هذا ماء حار وفاتر خفيف الحرارة، والفتور عند الإنسان هو حالة تقابل الشدة والعزيمة، فحالة الكسل يعبر عنها بالفتور، وكذلك الضعف بعد القوة فتور، لذلك فإن الله (سبحانه وتعالى) يقول في قرآنه إن هؤلاء المجرمين الخالدين لا يُفتّر عنهم عذاب الآخرة، بل هو عذاب ممتد طويل الأمد لا ينقطع، وعذاب شديد لا يفتر، أي لا يضعف، إذن من الناحية الزمنية هم خالدون، وليس من أفق ونهاية لهذا العذاب؛ ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾، ومن الناحية النوعية فإن هذا العذاب ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾، أي شديد لا يخفف.

الخلود في العذاب

في أشد حالات التعذيب في زنازين الظلمة يأتي المحقق وينزل بهذا المسكين عذابا شديدا ساعة وساعتين وخمس ساعات أو ليلة ثم يرميه في السجن، معناه هناك نوبات، وتأتي مرحلة التحقيق في اليوم الثاني فيأخذونه ساعتين أو ثلاث ساعات ثم يعودون به، إذن هناك استراحة، ولكن في يوم القيامة (لا يفتر عنهم العذاب): استمرارية مع شدة، نستجير بالله من عذاب الآخرة.

﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: هؤلاء المجرمون في هذا العذاب مبلسون، والإبلاس حالة الحزن الشديد التي تؤدي إلى اليأس، إذ يتألم ولا يرى أي أمل للنجاة حتى تصبح لديه حالة يأس، وسمي إبليس بهذا الاسم من الإبلاس، لأن إبليس يائس من رحمة الله.

ترون أن من يريدون إعدامه يتوسل ويبكي إلى أن يضعوا المشنقة، وحينها تكون عنده حالة هدوء في اللحظة الأخيرة، إذ يدرك أنها قضية منتهية، والإنسان عندما يصل إلى لحظة ينهار فيها؛ لأنه ليس هناك أفق للنجاة، تسيطر عليه حالة يأس تؤدي إلى الصمت والدهشة، فلا يستطيع أن يتكلم ولا تخرج الكلمات على لسانه؛ ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، فما حال هذا العذاب؟.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهم وَلَـكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾: لم نظلمهم وأرسلنا إليهم رسلًا وأنبياء وشرائع، وقلنا هذا يجوز وهذا لا يجوز، وهذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب وهذا لا

تفعله، ومن منا لا يعرف الحكم الشرعي؟ وكلنا نعرف أن هذا حرام وهذا حلال، إذن لا أحد ظلمنا بل نحن ظلمنا أنفسنا، حينما ارتكبنا المعصية واعتدينا على الحرمات وأسأنا إلى أنفسنا بمعصية الله (سبحانه وتعالى)، وهذه على غرار ما ورد في سورة الصف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[١٥٩]، ليس هناك أظلم ممن يكذب الله ويخالفه، ويعتدي ويظلم نفسه بمعصية الله (سبحانه وتعالى)، فالظلم مردود علينا.

الظالمون محجوبون عن الله

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾: مالك كما تعرفون خازن النار، فكانوا وهم في هذا العذاب الشديد يصيحون لخازن النار، الملك المعني بالعذاب، وقد يقول شخص لماذا لم يقولوا يا الله ويوجهوا خطابهم إلى الله (سبحانه وتعالى) ويطلبوا من الله؟ لماذا يطلبون من مالك؟.

بعض المفسرين يقولون إن ذلك كان باعتبار أن خازن النار هو الملك المقرب إلى الله والقريب منهم ويستطيعون أن يتكلموا معه لينقل إلى الله بزعمهم، والبعض الآخر من المفسرين يقولون إن هؤلاء محجوبون عن الله وهم في العذاب، ولا يستطيعون أن يخاطبوا الله كما نفعل نحن، وتدل على ذلك الآية الخامسة عشرة من سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، هناك حجاب وموانع تمنعهم من مخاطبة الله (سبحانه وتعالى)، لذلك يخاطبون مالكًا لينقل حديثهم إلى الله، وبالطبع فإن الله مطلع ولكن الخطاب لمالك، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾: يا خازن النار، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، أطلب من الله أن يقتلنا لننتهي، فما هذا العذاب؟.

أحيانًا تواجه الإنسان مشاكل في الحياة وتغلق الأبواب بوجهه، فيصل إلى لحظة يتمنى فيها الموت، أو مريض في مرض شديد بلا علاج وحل، فيصل إلى لحظة يرفع فيها يده إلى الله ويطلب منه أن يأخذ عمره ويخلصه، فهؤلاء يصلون إلى درجة يرون أنها لا تطاق، فينادون: يا مالك، قل لرب العالمين أن يأخذ حياتنا ويقضي علينا لنرتاح؛ ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، لأن حالهم أصبحت لا تطاق، فيقول لهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، أنتم باقون وليس هناك راحة وليس هناك موت، فهنا خلود ولا راحة بالموت كما في الدنيا، وسيطول بكم المقام والعذاب مستمر ومستدام ولا حل لهذه القضية. في بعض الروايات يقال إن هؤلاء يستغيثون وينادون ﴿يَا مَالِكُ﴾ قل لرب العالمين أن يقضي علينا وننتهي، فلا يأتي جواب، كما في سجين يصيح بالسجان ويدق الباب ولا

١٥٩. سورة الصف: الآية ٧.

يأتي، هذا هو الانتظار، فهؤلاء كانوا ينادون ولا يأتيهم الجواب أربعين سنة كما تقول رواية، وفي رواية أخرى مئة سنة، وفي رواية ألف سنة[١٦٠]، وهذه سَنة الآخرة وليست سنة الدنيا، لأن حسابها يختلف كما تقول الآية الخامسة من سورة السجدة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، اليوم الواحد في الآخرة يعادل ألف سنة في الدنيا، ومالك لا يجيبهم أربعين سنة، واليوم الواحد يعادل ألف سنة في الدنيا، فاحسبوها.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، لا تتكلموا فأنتم خالدون في النار، ولا راحة لكم بالموت، فتصور حال هؤلاء المجرمين يوم القيامة. أيها الإنسان؛ ما دام هناك خط للرجعة أمامك ولديك الفرصة أن تسير على خط الطاعة، فهذه هي اللحظة في شهر رمضان، في شهر ضيافة الله (سبحانه وتعالى)، وعلينا أن نستفيد من هذه الفرصة ونتوب إلى الله.

الظالم يكره الحق

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾: هنا الشاهد، ﴿وَلَكِنَّ أَكثرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، أنتم ظلمتم أنفسكم عندما أصبحتم ظلمة، ومن آثار الظلم أنكم تكرهون الحق ولا تريدونه ولا تسمعون له، فالبعض تسأله لماذا تخطئ، أليس هذا حراما؟ فيقول: نعم، ولكن نفسي تضعف ولا أستطيع مسك نفسي عن الحرام، أليست هذه لقطة محرمة، فلماذا تراها؟ أليس هذا كلامًا محرمًا وكذبًا وغيبة، فلماذا تنطق بها؟ أليس هذا مكانا محرما، فلماذا تذهب إليه؟ فيجيبك ويقول: نعم محرم، وعندما يرتكب المعصية ويندم على ذلك ويبكي على حاله، يعود في اليوم الثاني ليرتكب المعصية مرة أخرى، فما هذا الضعف في الإرادة عندما ترى أنه خطأ ثم تقوم به.

يقول لهم يوم القيامة لقد جئناكم بالحق وأرسلنا أنبياء وأوصياء وأئمة وعلماء وفقهاء وواعظين، وقالوا لكم الحق وكان بين أيديكم، (أَمْ أَبْرَمُوا أمرًا)[١٦١]، يضعون الخطط كيف يقتلون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكيف ينقضون على العقيدة والإسلام، وبيت الله يسمونه بيت الرافضة، ويتقربون إلى الله بقتل الناس، ويفجرون الناس يوم الجمعة والناس متوجهون لله (سبحانه وتعالى)، فما هذه القلوب القاسية، ألا يرون؟ من أين أتى هؤلاء؟ وبأي إسلام وعقيدة يؤمنون؟. قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الناس صنفان إما أخ

١٦٠. انظر: تفسير مجمع البيان ٩: ٩٤ في تفسير الآية ٧٧ من سورة الزخرف.
١٦١. سورة الزخرف: الآية ٧٩.

لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١٦٢]: حتى لو اختلف معك في العقيدة، بوذي أو هندوسي أو ملحد، فهو بشر، وهناك حقوق إنسان لكونه بشرا، وهناك حقوق إيمانية.

سنّة الله التي لا تتغير

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أمرا﴾: خططوا مكائد وأرادوا أن ينقضوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأرادوا أن يسيئوا إلى الإسلام، وأرادوا أن يضعفوا الرسالة الإسلامية وعقيدة الناس وأثاروا الشبهات وتآمروا، كما يحدثنا القرآن الكريم في الآية الثلاثين من سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كادوا لك يا رسول الله وأرادوا أن يقتلوك، وهم مشركو مكة، وتآمروا عليك، ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، ليحبسوك ويوثقوك بالسلاسل، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوك﴾، يعني من مكة، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّه﴾، يعتقدون أنهم وضعوا خططًا محكمة. وكذلك خططت قيادات داعش والذين وراءهم ومن ساعدهم ومن سلحهم وأغمض عينه عنهم وسهّل وصول هذه الوحوش البشرية المفترسة من جميع دول العالم، وهم يعتقدون أنهم خططوا وكل شيء على ما يرام، كلا؛ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّه﴾، وحينما يتقابل مكر الإنسان الضعيف مقابل مكر الله الغني القدير أيهما ينجح في هذه المعركة؟.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: الله يخطط ويدبر الأمور ويرد كيدهم إلى نحورهم، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[١٦٣]، هم لديهم تكنولوجيا وناس مغرر بهم، وعندهم تخطيط عال وتدريب عال ودول مهمة تقف وراءهم، ولكن هذه حسابات مادية، وهناك مكر الله سبحانه الذي لم يدخلوه في الحساب، جاؤوا ووصلوا إلى أسوار بغداد، وكل خططهم أن يدخلوا بغداد في ثلاثة أشهر، وهذا حساب صحيح من الناحية المادية فقط، ولكن أن يكون هناك مرجع أعلى يصدر فتوى فيهب الشباب بمئات الألوف ويحملون السلاح ويغيرون جميع التوازنات، فهذا لم يحسبوا له حسابًا، ولم يدخل في خططهم ولا يعرفون به، وفي كل زمان تتكرر هذه الحالة، فلا هم يتوبون ويعقلون ولا أهل الحق يخسرون وينكسرون ويرضخون؛ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[١٦٤]، نفس القصة تتكرر، والذي له مزاج يقرأ قصة الحضارة لـ ﴿ديورانت﴾ والموسوعة الكاملة لتأريخ البشرية يرى نفس السيناريو، ولكن اللاعبين يختلفون،

١٦٢. نهج البلاغة ٣: ٨٤ رقم الكتاب ٥٣.
١٦٣. سورة فاطر: الآية٤٣.
١٦٤. سورة الأحزاب: الآية ٦٢.

وكذلك المكان والزمان فقط، فهنا الظالم اسمه فرعون وهنا اسمه نمرود وهنا اسمه صدام وهنا اسمه فلان، ظالم ومظلوم، ومن هو على حق ومن هو على باطل، وهذه المعركة هي تعيد نفسها في كل مكان وزمان، والنتائج هي نفسها، فلا أهل الحق يرضخون ولا أهل الباطل يعودون إلى رشدهم، وكل مرة تأتي فرصة يعتقدون أن الأمر انتهى ولكنهم ينكسرون، ويأتي الثاني وهكذا القضية مستمرة.

عالم السر والعلن

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهم﴾: يعتقدون أنا لا نسمع ولا نعرف سرهم ونجواهم، والفرق بين السر والنجوى، أن السر إذا كان الإنسان يحدّث نفسه والفكرة بباله ولا يخبر بها أحدًا، أو يخبر بها أناسًا شديدي القرابة له، والنجوى الهمس بالإذن للقريب والبعيد، إذا همست في إذن أحدهم: أقول لك ولا تقل لأحد، فهذا يعني نجوى، فكان الظالمون يتهامسون ويضعون ساعة الصفر ويعتقدون أن الله لا يعلم بها، ويفكرون ويخططون في الغرف المظلمة ويعتقدون أن الله لا يعلم ذلك.

في سورة غافر الآية التاسعة عشرة: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾، تنظر نظرة محرمة وتظن أنه لا أحد رآك، ولكن الله يعلم بها؛ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: فكرة تأتي ببالك، ومناجاة مع البعض، يعلم الله بها كلها، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهم﴾، يخططون ويعتقدون أنا لا نعلم ذلك، كلا، فنحن نعلم جيدًا كل هذه الأمور، ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، عندنا ملائكة يكتبون كل شيء، كما نرى في زماننا هذه الأجهزة الحديثة من هواتف نقالة وكاميرات تسجل كل شيء صورة وصوتًا، وقد تتجسس على الناس وتنقل صورهم وأصواتهم ورسائلهم ومكالماتهم على بعد آلاف الكيلو مترات، فإذا كان الإنسان بتكنولوجيا بسيطة يستطيع معرفة كل هذه الحقائق عن كل الناس والدنيا، إذن ما هي قدرات الله سبحانه؟ وهل نستطيع تصور ذلك؟. إذن كان الظالمون يتهامسون بينهم ويضعون المخططات ويعتقدون أنها مُحكَمة ولا يعلم بها أحد، ولكن الله يعلم سرهم ونجواهم. إذن هذا هو الأثر السابع، وهو عدم الرضوخ إلى الحق وعدم القبول به.

الأثر الثامن / الخسران

الظالم يشعر بالخسران والهزيمة دائمًا، ونتيجته الخسارة وليس هناك ربح لظالم أبدًا. لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة الأسراء، الآية الثانية والثمانين: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ

القرآن مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ينزل الله ﴿مِنَ القرآن﴾، في كتاب الله، ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: البعض منا ليس له مزاج أن يقرأ القرآن وباله في مكان آخر، وحين يتلى القرآن يتلهى بعمل آخر، ويأتي شهر رمضان، ربيع القرآن، ويخرج من غير أن يكمل ختمة للقرآن، أي في اليوم كله لا يقرأ جزءًا واحدًا، ولكن في جلسة للكلام يبقى أربع ساعات، ولا يعرف كيف دخل الليل وخرج، أما قراءة القرآن مدة ربع ساعة فهي ثقيلة عليه.

﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: يقول الله وهو الصادق إن القرآن شفاء من الأمراض ومن العيوب والنواقص التي قد تشوب الإنسان، فالإنسان يشفى من عيب ومن نقص ومن مرض، فدائمًا يكون الشفاء دليلًا على إزاحة وإزالة شيء سلبي، فمن عنده مرض يشفيه الله، ومن عنده عقد يشفيه الله، وطبعًا من المرض الروحي، وهناك مرض فكري وعقيدة منحرفة، وهناك مرض أخلاقي وسلوك منحرف والعياذ بالله، سلوك خاطئ اعتاد عليه، فعليك أن تلوذ بالقرآن وسيجعل الله فيه الشفاء وتتخلص من هذا المرض، كالمعصية والتجاوز والاعتداء، وهناك من لا يستطيع ترك الكذب، وإذا لم يكذب لا يرتاح، وهذا مرض والحل هو القرآن، لأنه شفاء، ثم بعد ذلك بعد أن أزيحت الأمراض الروحية والأخلاقية تأتي الرحمة: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، إذا تخلقت بأخلاق الله، فسوف تزيل الأمراض والمخالفات، فتأتي الرحمة؛ أي تصعد وتتكامل وتتخلق بأخلاق الله (سبحانه وتعالى)، وفي علم الأخلاق يقال إن المرحلة الأولى التي يقوم بها الإنسان هي (تخلية)، يعني يخلي نفسه من الذنوب والمعاصي والمخالفات، ثم الخطوة الثانية (تحلية)، فهذا القلب النظيف يحليه ويجمله، كالبيت القذر، تنظفه أولًا وتخرج الأوساخ، ثم بعد ذلك تصبغه وتؤثثه وتسكن فيه، إذن تخلية: شفاء، ثم تحلية: رحمة للمؤمنين.

انظر إلى الآية الشريفة ما أجملها؛ فالآية تقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن﴾، البعض قال لا يجوز أن نقول إن (مِنَ) هنا للتبعيض؛ يعني بعض القرآن شفاء ورحمة، وبعض القرآن ليس شفاء، ويجب أن نقول إن (مِنَ) بيانية، أي بيان الذي ننزله ما هو؟.. هو القرآن الذي فيه شفاء ورحمة، والبعض الآخر قال إن (مِنَ) للتبعيض، ولكن الله يقول (نُنَزِّلُ)، وهو فعل مضارع بمعنى الاستمرار، فالقرآن لم ينزل دفعة واحدة، إذ فيه نزول دفعي في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١٦٥]، وهي حقيقة القرآن، ثم كآيات نزلت خلال

١٦٥. سورة القدر: الآية ١.

ثلاث وعشرين سنة نزولا تدريجيا (تنزيلا)، فلذلك يقول القرآن: (وَنُنَزِّلُ)، يعني بشكل مستمر؛ فاليوم نزلت آيتان وبعد أسبوع نزلت ثلاث آيات، وخلال ثلاث وعشرين سنة نزلت الآيات بشكل متدرج، فهذا الذي نزل الآن شفاء ورحمة وهو جزء من القرآن، وعندما تنزل آيات أخرى من القرآن فهي شفاء ورحمة أيضًا، فهو تبعيض ولكن لا يعني أن جزءًا من القرآن ليس شفاء، فكل آيات القرآن هي شفاء ورحمة للمؤمنين.

القرآن يزيد الظالمين انحرافًا

﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: هنا الشاهد، هذا القرآن لا يزيد الظالمين إلاّ خسرانا، فالقرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ليس خسارة فقط للظالمين، بل يزيدهم خسارة فوق خسارتهم، وقد يستغرب البعض ويسأل كيف يقرأ أحد القرآن فيزيده خسرانًا وضلالًا، ففي الأقل يبقى بمكانه، فلماذا يزيده خسارة؟ والسبب واضح وهو أن فطرة الظالم غير نظيفة ويجنح إلى الظلم وإلى النفاق والكفر والانحراف، فهو مريض، والقرآن علاج لمن يؤمن بأنه علاج ويتلقى آيات الله ويستفيد منها، أما الظالم فلا يقرأ القرآن ليستفيد، بل ليُشكل ويجد ثغرة ليسخر ويستهزئ، فيصبح المردود عكسيًا.

أعطي مثالًا بسيطًا لبيان المقصود؛ هو أن أعطي طعامًا لذيذًا مقويًا وجيدًا لعالم من العلماء ليتقوى به، فينتج الطعام فكرًا ونظريات وحلولًا، لأن العالم يستفيد من هذه الطاقة في علمه، فينتج علمًا بالطعام اللذيذ، أو أعطي هذا الطعام لمجاهد في سبيل الله ليتقوى وتتحول قوّته إلى جهاد وصمود ومقاتلة للأعداء وانتصارات في أرض المعارك، وحين أعطيه للمنافق وللمنحرف وللظالم، فإن هذه الوجبة الغذائية ستتحول وتنتج مزيدًا من الظلم والعدوان، ويتقوى لكي يندفع في اتجاهاته الخاطئة، إذن فالمشكلة ليست بالطعام، بل المشكلة في كيفية توظيف هذا الطعام والاستفادة منه، فالعالم يوظفه توظيفًا علميا، والمجاهد يوظفه توظيفًا عسكريًا، والمنافق يوظفه في مزيد من النفاق والشبهات والتشكيكات وإثارة المجتمع، وكلما كان أقوى كان فتكه وإساءته أكثر، والقرآن غذاء روحي، فالمؤمن يتحول عنده إلى شفاء ورحمة، والظالم عندما يتناول هذا الغذاء يبحث عن ثغرات وزلات، فيزداد انحرافًا بهذا القرآن وبتلاوته لكتاب الله، إذن لكي يكون القرآن شفاء ورحمة يجب أن تكون النفوس مهيأة لنستطيع أن نتلقى، فالمشكلة ليست بالقرآن، فهو عطاء ونور، ولكن هل يتنور قلبي بهذا النور أو هو

قلب قاسٍ لا يتلقى النور؟؛ كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١٦٦]، وهذه مثلٌ الذبذبات الصوتية الموجودة في هذا الفضاء، والقاعة التي نجلس فيها مليئة بالذبذبات الصوتية، ولكن لا تسمعون منها شيئا لأن آذانكم لا تستطيع أن تتلقى هذه الذبذبات، وحين تفتح المذياع ستسمع العشرات من الإذاعات المختلفة التي يلتقطها المذياع من الهواء، فهي موجودة في الهواء ولكن آذاننا لا تسمعها وغير قادرة على التقاطها، أما المذياع فيستطيع أن يلتقط هذه الذبذبات ويحولها إلى صوت مسموع.

في الفلسفة يقولون إن المشكلة ليست في فاعلية الفاعل، والقرآن مؤثر ومعطاء كالشمس واضحة وموجودة، ولكن هل لديك شباك في القاعة، فإذا لم تكن تملك شباكًا، فلن ترى غير الظلمة ليل نهار، ولو كنت تملك شباكًا ولكن عليه ستائر في النهار فسوف تراها ظلمة، ليس لأن الشمس غير موجودة، بل لأن قاعتك لا تستطيع أن تستقبل الشمس، فهل تستطيع القلوب أن تأخذ هذا النور الإلهي في القرآن؟. إن الشفاء والرحمة موجودان، ولكن يجب أن أكون مستعدًا ومتهيئًا لتلقي هذا النور، ليتحول إلى رحمة وإلى شفاء.

إذن القرآن كتاب هداية، ولكنه يهدي من يبحث عن الحقيقة، يهدي من يريد أن يكتشف الحقيقة، يهدي من يريد الصلاح والهداية، والذي لا يريد ذلك لا يخدمه القرآن في هذا الأمر، وللحديث صلة إن شاء الله في الليالي القادمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٦٦. سورة الزمر: الآية ٢٢.

الأمسية الرمضانية العاشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منكم صالح الأعمال.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنّا نتحدث في الحق السابع من هذه الحقوق، وهو حق اليد، وتعرضنا إلى عدد من المفاهيم بشأن الظلم وآثار الظلم في القرآن الكريم، واستعرضنا عددًا من هذه الآثار، وانتهينا إلى الأثر الثامن من آثار الظلم وهو الخسران.

آثار الظلم في القرآن الكريم

نكمل الحديث في الأثر الثامن من آثار الظلم وهو (الخسران)، وقد تناولنا الآية الشريفة الثانية والثمانين من سورة الأسراء: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)، وقلنا إن الشفاء يكون من المرض والنقص والعيب، فالشفاء هو إزالة هذا المرض والنقص في الإنسان، والقرآن شفاء للأمراض المعنوية والفكرية والأخلاقية، ويقدم رؤية صحيحة في قبال العقيدة الضالة والمنحرفة ويقدم منهجا متكاملا في السلوك

الإنساني في قبال الانحراف الاخلاقي، أما الرحمة فهي ليست إزاحة للمرض، ولكن بعد أن يشفى المرض الأخلاقي ويصبح الإنسان مستقيمًا في سلوكه وفكره وعقيدته، تأتي الرحمة وهي حالة من تعميق الوازع الأخلاقي والتخلق بأخلاق الله، وحينما تتأصل وتتجذر هذه الأمور في وجود الإنسان، يُقبل على الله ويتكامل نحو الله تعالى، وقلنا يُعبر في علم الأخلاق عن الشفاء بالتخلية، أي يخلي الإنسان وجوده من الذنوب والمعاصي، ويعبر عن الرحمة بالتحلية، أي بعد أن أخرجت الشيطان من وجودك تقوم بتحلية قلبك بنور وذكر وطاعة الله تعالى، وذكرنا أيضًا أن هذا القرآن غذاء معنوي، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، وهذه الآية موضع الاستشهاد؛ فما يحصل عليه الظالم حينما يتلو القرآن الكريم هو المزيد من الخسارة، فالخسارة أثر للظالم.

وقلنا إن هذا الشيء غريب، فلماذا يخسر الظالم حينما يتعاطى مع القرآن؟ وذكرنا ان المشكلة ترتبط بالظالم نفسه وليس بالقرآن، وذكرنا أن طعامًا لذيذًا يأكله العالم فيتقوى به في طاعة الله ويحوله إلى فكر، ويأكله المقاتل المجاهد فيحوله إلى طاقة في مواجهة العدو، ولكن حين يأكله الظالم يتقوى به على ظلمه فيشتد ظلمه، والمشكلة ليست في الطعام، ولكن المشكلة في أسلوب الاستفادة من هذا الطعام والبوصلة في الاستفادة من هذا الطعام، فالظالم لا يقرأ القرآن ليهتدي، وإنما يفتح القرآن ليجد موضعًا للسخرية ويبحث عن ثغرة في القرآن.

إذن فالتهيئة النفسية مهمة جدًا في حصول الشفاء والرحمة من القرآن الكريم، والدوافع يجب أن تكون إلهية، وأن تكون طالب هداية إلى الله تعالى وتأتي إلى القرآن لتهتدي به، فإذا طلبت الهداية والشفاء والرحمة من القرآن، سيتحول القرآن إلى شفاء ورحمة، ولكن إذا جاء شخص وقرأ القرآن لكي يعادي القرآن، أو يريد أن يحصل على ثغرة في القرآن، فهذا الإنسان لا يزيده إلا خسارا، إذن فالخسارة أثر من آثار الظلم، واللافت أن هناك مقاربة كبيرة بين الأمراض البدنية والأمراض الروحية والأخلاقية، والقرآن شفاء للأمراض الأخلاقية والروحية وفي تراثنا الإسلامي وسيرة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هناك استشفاء بالقرآن حتى للأمراض البدنية، فهناك أدعية وآيات قرآنية للاستشفاء من الأمراض البدنية، والقرآن الكريم كتاب هداية للاستشفاء المعنوي والأخلاقي، ولكن هناك مقاربة كبيرة بين المرض البدني والمرض الاخلاقي.

المقاربات بين الأمراض البدنية والأخلاقية

أولًا / كلاهما مضر بحال الإنسان، فقد يصاب الإنسان بالإنفلونزا مثلًا وهو مرض مضر، وكذلك المرض الأخلاقي حين لا يضبط الإنسان نفسه، فيسمع الحلال والحرام ولسانه يتفوه بالحلال والحرام، وينظر للحلال والحرام، فهذا مرض. النظر إلى المصحف عبادة والنظر إلى العالم عبادة والنظر إلى وجه المؤمن عبادة، ولكن النظر إلى المحرمات لا يجوز، وهنا إذا استطاع الإنسان أن ينظم الإيقاع في النظر والسماع؛ هذا حلال وهذا حرام، فهذا شيء جيد، وإذا لم تستطع فأنت مريض مرضًا أخلاقيًا، وكما أن المرض البدني يصل إلى مستوى يهدد حياة الإنسان، وفي لحظة يرفع الطبيب أجهزته ويقول لا علاج لهذا المريض، فكذلك الأمراض الأخلاقية منها ما يضيع حياة وسعادة الإنسان.

ثانيًا / المرض البدني تحتاج فيه إلى مراجعة الطبيب، فإذا كان مرضًا بسيطًا تراجع المستوصف، وإذا كان المرض قويًا فسوف تسأل عن أفضل الأطباء لمعالجته، وكذلك الأمراض الاخلاقية؛ فمنها أمراض بسيطة تحتاج إلى حبة ضد الفايروس الأخلاقي تستمدها من تلاوة القرآن أو قراءة كتب الأخلاق والروايات، وأحيانًا أخرى يكون المرض الأخلاقي شديدًا، إذ يُبتلى الإنسان بمشاكل أخلاقية، وهنا لا تكفيه الموعظة والنصيحة في مجالس عامة أو مجالس الدعاء، وإنما يحتاج إلى مرشد يراقبه ويهديه إلى الطريق.

ثالثًا / في المرض البدني يقال إن الوقاية أفضل من العلاج، فلا تدخل البيئة الموبوءة، أو تستخدم الكمام لكي لا تستنشق الهواء الملوث بالفايروسات، وكذلك في الأمراض الأخلاقية هناك وقاية: (إياك ومواطن التهمة)[١٦٧]، فالمكان الذي فيه شبهة لا تقترب منه، والمجلس الذي فيه منكر لا تزره، وجالس المؤمنين الذين يعرفون الحلال والحرام، وكما أن المرض البدني يحتاج إلى علاج، فكذلك المرض الأخلاقي يحتاج إلى علاج أيضًا، ولا بُدَّ من أن نحرص على مثل هذا العلاج.

رابعًا / المرض البدني فيه أمراض معدية، وعليك الحذر خوفًا من انتقال المرض إلى كافة أفراد العائلة، وكذلك المرض الأخلاقي يكون غالبًا معديًا، ولذلك نرى الاهتمام الكبير في اختيار الصديق والجليس، اختيار الخليل والصاحب، فيجب اختيار

١٦٧. روي عن أمير المؤمنين في وصيته لابنه الإمام الحسن عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: بحار الأنوار ٧٥: ٩٨.

الرفيق والمجلس والناس الذين تحتك بهم وتعرف أوضاعهم لكي لا يأتيك الفايروس الأخلاقي. اليوم مع الأسف كم من أبنائنا أبرياء بفطرة سليمة، فيدخل إلى المدرسة التي يمكن أن تكون موبوءة، فيتداول الطلاب مواضيع ويتفوهون بكلام ويتبادلون صورًا ومعلومات إلى غير ذلك، فينفتح الطالب المسكين على أشياء غريبة عليه، ويبدأ بالتطبع بأخلاق سلبية، وهذا ما يدعو الملاك التدريسي إلى أن يكونوا على أهبة الاستعداد والرقابة، لتتحول المدرسة إلى بيئة تشيع الصلاح والفضيلة، وليست بيئة موبوءة.

خامسًا/ المرض البدني يحتاج إلى تشخيص في البداية، فيعطيك الطبيب مجموعة تحاليل مرضية لكي يعرف نوع المرض، وعلى ضوئها يتم تشخيص العلاج، وأحيانًا تكون المشكلة معقدة فتتشكل لجنة طبية ليدرسوا الملف الصحي للمريض ويقرروا العلاج المناسب، وكذلك المرض الأخلاقي يحتاج إلى تشخيص؛ أين جذوره؟ فهناك أمراض ترتبط بالوراثة، أي مشاكل جينية، وهناك أمراض أخلاقية لأسباب جينية أيضًا، وحينما تريد اختيار زوجة يجب أن تكون دقيقًا في اختيارك، فحين أراد أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اختيار زوجة بعد استشهاد الزهراء فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بحث عن أسرة وعوائل معروفة بالشجاعة والبسالة، لأن الطفل الذي ينمو في رحمها يحمل من صفات أخواله، فاختار أم البنين، فالعباس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يأتي من أي زوجة، وهذا فيه أبعاد جينية، هذا في الاتجاه الإيجابي، وفي البعد السلبي هناك مشاكل، والبيئة التي يتأثر بها الإنسان لها دور، ويجب أن يشخص هذا المرض الأخلاقي بمعرفة سببه.

أحيانًا ينعكس الضغط الأسري على فتى في الطفولة بشكل أخلاقي حينما يكبر، إذ تتولد عنده عقد ويريد أن ينتقم من المجتمع لأنه فاقد للحنان، فيجب أن تُشخص الجذور الأخلاقية كما تُشخص جذور الأمراض البدنية.

سادسًا / كلا المرضين قد يصل إلى مستوى لا توجد معه فرصة لعلاجه، فهناك أمراض بدنية معروفة كالسرطان وغيره لا توجد علاجات لها، وفي المستوى الأخلاقي والروحي أيضًا، يصل الإنسان أحيانًا إلى حد الإسراف في الرذيلة ويكون قلبه أسود، وليس عنده أي تفاعل مع الموقف الصحيح ومع الهداية، والقرآن يستخدم مع هؤلاء عبارة: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[١٦٨]، فلا يتفاعل أبدًا مع موعظة أو نصيحة ولا يعتبر، فهو ممسوخ، وفي الآية الثمانين من سورة التوبة، يعبر القرآن الكريم عن هذه الحالة بقول الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أو لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن

١٦٨. سورة النحل: الآية ١٠٨، سورة محمد: الآية ١٦.

يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، ولفظ سبعين إشارة إلى الكثرة، يعني لو استغفرت لهم ألف مرة يا رسول الله فلن يغفر الله لهم، إذ يصل الإنسان إلى مرحلة من الرذيلة والطغيان لا يتأثر بعدها بكل شيء، فقلبه ﴿كَالْحِجَارَةِ أو أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[١٦٩]، فلاحظوا التعبير القرآني في وصف القلوب القاسية بأنها أشد قسوة من الحجارة، فيقتل مئات من الناس ولا يرجف له جفن، ويصل إلى مستوى يتلذذ معه بتعذيب الناس، وهناك من الطغاة من يتلذذ بصراخ الأبرياء من السجناء، لذلك يقول القرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القرآن مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فكما أن المرض الأخلاقي يمكن أن يقاس بالمرض البدني ويشابهه، فالشفاء من الأمراض الأخلاقية كشفاء الأمراض البدنية.

القرآن علاج كل معضلة

القرآن شفاء من التكبر والغرور والنرجسية والعقد النفسية والنقمة تجاه العباد والبلاد والحقد على الناس، والقرآن علاج لحالات الضعف والانكسار والهزيمة النفسية والتردد والرعب والفزع، والقرآن يعطيك قوة ويزيل عنك الشعور بالضعف أمام الأعداء، ويجعلك كالجبل الأشم وتقف بقوة وبسالة أمام الأعداء. القرآن علاج من حب الدنيا والميل إلى الشهوات، فهناك من هو مستعد للقتل من أجل مبلغ بسيط من المال، وهذا هو حب الدنيا والشهوات والميول، فهناك من يندفع إلى الرذيلة بمستوى لا يقف عند حد ويهتك كل حرمة، وهذا هو الانحطاط الخلقي. القرآن شفاء من حب الدنيا وشهواتها، إذ يجعل لك مطبات ومعوقات في طريق المعصية، والقرآن يعطيك القدرة والحصانة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[١٧٠]، مع أنه نبي ولكن لولا برهان ربه والحجة من الله، ولولا الوقاية من الله، ربما يضعف النبي، ولكنه لم يضعف لأنه رأى الحجة.

القرآن شفاء من الخصومات والعداوات والإساءات والحروب والدمار والقتل، ومن خلال القرآن تكون الرحمة والتعايش والسداد؛ ﴿وَإِنَّا أو إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أو فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١٧١]، أيها المشركون تعالوا نتحاور، فإما نحن على هدى وأنتم على ضلال، أو نحن على ضلال وأنتم على هدى، ومن غير المعقول أن يكون رسول الله على ضلال،

١٦٩. سورة البقرة: الآية ٧٤.
١٧٠. سورة يوسف: الآية ٢٤.
١٧١. سورة سبأ: الآية ٢٤.

ولكنه الأدب والمنهج الانفتاحي والقبول للآخر في الإسلام، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾، لم يقل لهم نحن على هداية وأنتم ضالون وتجب معاقبتكم، بل قال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وهذا المشرك حينما تحترمه وتدعوه للحوار فسوف يأتي إليك، وربما يفتح قلبه حين يراك مستوعبًا له وإن كان مختلفًا معك في العقيدة، ومن شأن ذلك فتح الجسور، ولكن أين هذا المنهج الإسلامي وأين نحن اليوم؟.

اليوم في إطار الدين الواحد تجد كل طرف يتحدث ضد الآخر، فأين المشتركات العظيمة؟ الله ورسوله والكعبة والكتاب والتوحيد والنبوة والمعاد، والكثير من التفصيلات العقيدية، والعبادات من الصلاة والصوم والحج وغيرها، لكننا نتركها كلها ونركز على أمور ثانوية في العبادات، هذا المنهج يجعل الناس تقتل بعضها، فمن المستفيد من مواجهة الأمة الإسلامية بعضها ضد البعض الآخر؟.

هذا العراق وتلك سوريا واليمن، وبدأ الإرهاب ينفذ إلى السعودية والكويت وإلى ليبيا وتونس، وحتى إلى فرنسا وأمريكا وغيرها، وأقول لكم إنكم ستسمعون المزيد إذا لم تكن هناك إرادة جدية في الوقوف ضد الإرهاب، وستكون كل يوم قصة، وفي البداية كان العالم يسمع فقط عن المفخخات أو الأحزمة الناسفة في العراق والإرهاب يحصد بنا، والبعض يقدم نصائح من مكانه، والآن في كل يوم في العديد من البلدان هناك أحزمة ناسفة ومفخخات، وستستمر إذا لم تكن هناك إرادة حقيقية، وقد حذرنا ولكن من يسمع هذه التحذيرات.

القرآن شفاء من كل هذه الخصومات والعداوات، ويجعل الناس تقترب من بعضها، كما قال أمير المؤمنين: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١٧٢]، والإنسان تتحرك مشاعره تجاه نظيره في الخلق، وفي سورة يونس: ﴿جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾، القرآن يغسل الغل والحقد، ليبقى حب السلام والتعامل وتحمل الآخر حتى لو اختلفت معه، والتواصل مع الآخر وإسماعه كلامك، فأنت لديك عقيدة تعتز بها وكذلك الآخر، وهذا لا يفسد في الود قضية، وكلنا مسلمون وعراقيون، وكلنا نستظل بهذا الوطن.

١٧٢. نهج البلاغة ٣: ٨٤ رقم الكتاب ٥٣.

القرآن منهج للحياة

قال الله تعالى، في سورة فصلت: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[١٧٣]، في نهج البلاغة، قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن: «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش»، ينصحك ولا يغشك، «والهادي الذي لا يضل والمحدّث الذي لا يكذب»، كل حديثه صدق، «وما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان؛ زيادة هدى أو نقصان في العمى»، نقصان يعني شفاء وزيادة تعني رحمة، «واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة»، بعد القرآن لا تحتاج إلى شيء آخر، وإنما تحتاج إلى من يوضح لك القرآن نفسه؛ كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهم قالوا لنا: «اعرضوا كلامنا على كتاب الله، فما وافق الكتاب فخذوه وما خالفه فاضربوا به عرض الجدار»[١٧٤]، القرآن آيات والروايات تفصل آيات الله، والروايات التي تتقاطع من نهج القرآن فلا تأخذوا بها.

«واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة» من حاجة، «ولا لأحد قبل القرآن من غنى»، لا غنى قبل القرآن، لأنه منهج للحياة، ومشروع بناء الحياة على أساس الحق والعدل، «فاستشفوه من أدوائكم»، أدواء جمع داء، أي أمراض، اطلبوا الشفاء لأمراضكم من القرآن، «واستعينوا به على لأوائكم»، لأواء تعني شدائد، والقرآن يعينكم ويفتح الطريق لحل مشاكلكم، «فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلالة»، القرآن يشفي هذه الأمراض، فهل هناك أكبر من الكفر والنفاق والظلم؟. «فاسألوا الله به»، لاحظوا دعاء ليلة القدر حينما نرفع المصحف ونقول: «اللهم إنا نسألك بحق هذا القرآن وما أنزلت فيه».

«وتوجهوا إليه بحبه»، اطلبوا من الله تعالى بحب القرآن، وكلما تمسكت بالقرآن فقد تمسكت بالله تعالى أكثر، «ولا تسألوا به خلقه»، اسأل الله واستهدِ بالقرآن، «إنه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله، واعلموا أنه شافع مشفَّع»، القرآن شفيع وشفاعته مقبولة، «وقائل مصدق، وأنه من شَفَع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه ومن محل به القرآن»، فضحه القرآن، «يوم القيامة صُدّق عليه»، يقول هؤلاء هجروني وجعلوا مني ديكورًا؛ مصاحف مذهبة ولا أحد يقرأ فيها، مصاحف تبقى من رمضان إلى رمضان ولا أحد يقرأ فيها!.

---

١٧٣. سورة فصلت: الآية ٤٤.

١٧٤. انظر: وسائل الشيعة ٢٠: ٤٦٤ ح٣ و ٤.

«فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله»، في حلاله حساب وفي حرامه عقاب، حرثت وزرعت فمن أين لك هذا السماد والزرع والأرض؟. «غير حرَثَة القرآن»، حرث القرآن هو التدبر في آياته، «فكونوا من حرَثته وأتباعه»، كونوا ممن يتدبر في آيات القرآن ومن أتباع منهج وفكر وسلوك القرآن، «واستدلوه على ربكم»، اطلبوا من القرآن أن يدلكم على الله، «واستنصحوه على أنفسكم»، دققوا في الآيات، «واتهموا عليه آراءكم»، لا تخطّئوا القرآن بل خطّئوا أنفسكم، فالبعض يريد أن يكون القرآن على مقاسه، بدل أن يكون هو على مقاس القرآن، «واستغشوا فيه أهواءكم»[١٧٥]، اعتبروا رغباتكم مغشوشة إذا كانت تخالف مضمون القرآن. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يأنسون بالقرآن الكريم، وأن نأخذ به ونتزود منه، فإنه شفاء ورحمة، ولا يزيد الظالمين إلاّ خسارا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٧٥. نهج البلاغة ٢: ٩١ الخطبة ١٧٦.

الأمسية الرمضانية الحادية عشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وألاّ نكون من المحرومين.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد (صلوات الله وسلامه عليه)، وكنّا نتحدث في الحق السابع من هذه الحقوق، وذكرنا أن من أهم الآثار المترتبة على اليد هو الظلم، وقد تناول القرآن الكريم وأحاديث رسول الله وأهل بيته الكرام الشيء الكثير من هذا المفهوم، وتعرضنا إلى عدد من المفاهيم بشأن الظلم وآثار الظلم في القرآن الكريم، واستعرضنا عددًا من هذه الآثار، وانتهينا إلى الأثر الثامن من آثار الظلم وهو الخسران. واليوم نستعرض أثرًا آخر من آثار الظلم هو خيانة الأمانة.

الأثر التاسع/ خيانة الأمانة

هناك العديد من الآيات القرآنية التي دلت على ذلك، نستشهد بواحدة منها وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية الثانية والسبعين وما بعدها:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾: أول سؤال يتبادر إلى ذهن الإنسان هو ما هذه الأمانة التي عُرضت على السماء والأرض والجبال، وما حقيقتها لكي ترفض السماء والأرض والجبال أن تتحمل هذه الأمانة ويحملها الإنسان؟.

قيل إنها الولاية الإلهية، وتعني تجسيد العبودية الخالصة الكاملة لله (سبحانه وتعالى) من خلال العلم والعمل الصالح، وقيل إنها الاختيار والإرادة الحرة، وقيل إن العقل هو الأمانة، والعقل ملاك التكليف وهو المناط في المثوبة والعقوبة، فالمجنون لا يتوجه إليه حكم شرعي ولا يجب عليه شيء ولا يحرم عليه شيء، والعاقل تتوجه نحوه التكاليف فيثاب أو يعاقب، وقيل إنها أعضاء الإنسان؛ عينك أمانة كيف تحافظ عليها وتبعدها عن معصية الله، ويدك أمانة ورجلك أمانة وجوارحك كلها أمانة، فالأعضاء هي الأمانة، وقيل هي الأمانات التي يستودعها الناس عند بعضهم، بأن تؤمّن حاجة عند أحد، وهناك أقوال أخرى في تفسير هذه الأمانة.

معنى الأمانة الإلهية

ولكي نعرف ما هذه الأمانة التي عُرضت، وقد تكون عنوانًا يشمل جميع هذه المصاديق، علينا أن نلتفت إلى حقيقة الإنسان، هذا الكائن المميز الذي أودع الله (سبحانه وتعالى) فيه مواهب عظيمة وقدرات كبيرة، ووصل إلى حد أن يجعله خليفة في الأرض، ووصل إلى مستوى أن يأمر الله (سبحانه وتعالى) الملائكة بالسجود له، وهذا شيء عظيم أن يكون الإنسان خليفة الله، وأن يكون الإنسان الكامل من العظمة بحيث يستحق أن تسجد له الملائكة احتراما وتعظيما وتقديرا، كما أشارت إلى ذلك الآيات الشريفة من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾: قررت أن أجعل من الإنسان خليفة لي على الأرض، وما إن رأى الملائكة شكل الإنسان وتركيبته وطريقته وطموحاته حتى عرفوا أن هذا الإنسان سيرتكب الكثير من الأخطاء، فاستفسروا من الله (سبحانه وتعالى): ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾، هذا الذي نراه سيختلف أبناؤه بينهم وسيفسدون وسيسفكون الدماء، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نحن ملائكة لا يصدر منا ذنب، هكذا خلقتنا يا الله، فنحن لسنا مخيرين بل نحن مجبرون، فلا يصدر منا ذنب ولا معصية، فلماذا تجعل خليفة يفسد ويسفك الدماء ونحن موجودون، فاستخلفنا نحن على الأرض، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١٧٦].

١٧٦. سورة البقرة: الآية ٣٠.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾، الملائكة لا يعرفون، فوجه الله الخطاب لآدم: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾، هنا عرف الملائكة أن هذا الكائن يمتلك قدرات ومؤهلات غير ما كانوا يعلمون به، فوجه الله (سبحانه وتعالى) الخطاب للملائكة: ﴿قَالَ أَلَمْ أقل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[١٧٧].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، إذن هذا الإنسان بهذه المؤهلات وبهذه القدرات وبهذا الموقع الجليل ليكون خليفة الله على الأرض، ولتسجد له الملائكة وتطأطئ له الرؤوس تعظيما وأجلالا وإكبارا، هذا الموجود ماذا يناسبه من أمانة؟ وما هذه الأمانة التي يمكن أن يتحملها على أكتافه؟.

تحمل المسؤولية.. أمانة الاستخلاف

على ما يبدو هي الالتزام وتحمل المسؤولية، فهذا الإنسان خُلق بمؤهلات ليكون قادرا على تحمل المسؤولية، وعلى أن ينهض بالمشروع الرسالي، وعلى أن يكون أداة الهداية الإلهية. يتحمل مسؤولية في هذه الحياة، ولديه استعداد وقدرة في أن يتكامل ويرقى دون حدود، فإذا كان جبرائيل يصل إلى مستوى يقول فيه: «يا محمد لو دنوت أنملة لاحترقت»[١٧٨]، هذا مقامي الذي لا أستطيع تجاوزه، ولكنّ محمدا الإنسان، رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، تجاوز هذه الحدود، وهكذا كل إنسان، ولكن رسولنا بلغ هذا المستوى العالي: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[١٧٩]، وصل إلى هذا المستوى، إذن هذا الكائن يمكن أن يتكامل بلا حدود، وهو ليس مجبرا على هذا الكمال بل هو كمال اختياري، كمال بإرادته الحرة، كمال مع توفر فرص الانزلاق، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١٨٠]، فهو الذي اختار فكان مصداقا للإنسان الكامل الذي يجسد العبودية الخالصة لله (سبحانه وتعالى)، ويقبل بالولاية الإلهية ويكون امتدادا لها، إذن هذه الأمانة هي المسؤولية، وحينذاك كل ما ذكر هي مصاديق لتحمل المسؤولية في هذه الاتجاهات المختلفة.

---

١٧٧. سورة البقرة: الآية ٣١ ـ ٣٤.
١٧٨. بحار الأنوار ١٨: ٢٨٢ ح٨٦.
١٧٩. سورة النجم: الآية ٩.
١٨٠. سورة الشمس: الآية ٨ ـ ١٠.

قد يقال إن كل شيء في هذا الكون هو أمانة، ولكن الله (سبحانه وتعالى) خص هذه الحقيقة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض وَالْجِبَالِ﴾، لماذا؟. إن كل شيء أمانة وهذا حق، وكل شيء في هذا الوجود ملك لله، وحين نستخدم ملك الله (سبحانه وتعالى) فهذه أمانة يجب أن نتعاطى معها بهذا الشكل، وحين يضع شخص جزءًا من ممتلكاته عندك فيجب أن تحافظ عليها لأنها أمانة، وكل ما في الوجود ملك لله وهو أمانة بأيدينا، ولكن هذه هي ميزة الإنسان الكبرى التي تميزه عن سائر الكائنات والمخلوقات؛ عن الجبال والسماء والأرض وعن الكائنات الأخرى، لذلك خُصت بهذا العنوان واعتبرت هذه هي الأمانة الكبرى التي تُعرض على الإنسان ويتقبلها، وهي تحمل المسؤولية؛ أن يكون الإنسان على قدر المسؤولية، وأن يفي بواجباته الرسالية، لأن أي تخلف سيؤدي إلى مضاعفات خطيرة، وتجدون عالمنا اليوم مليئا بالظلامات والمحن والويلات والعذابات.

اليوم في صحراء سيناء تابعتم الأخبار كيف هاجم الإرهاب الداعشي وقتل عددا كبيرا من المواطنين المصريين، واختلفت وسائل الإعلام في تحديد عدد الشهداء والضحايا في هذه العملية الإرهابية، ولكنه عدد كبير لعله بالعشرات، وبالأمس في الكويت، وقبلها في المملكة العربية السعودية، وفي العراق نعيش هذه المحنة في كل يوم، وكنا قد حذرنا مرارا وتكرارا وقلنا لا تعتقدوا أن الإرهاب الداعشي بندقية تستخدم للضغط على طائفة ونظام سياسي أو على جماعة من الناس، فالإرهاب لا دين له وليس له بوصلة، وإذا كانت من أولوياته أن يستهدف أتباع أهل البيت (سلام الله عليهم)، ففي أي لحظة تصبح له أولويات أخرى، وسيسعى ليوطد حضوره حيثما يتواجد، فكل من يختلف معه في الراي في مناطق تواجده وحواضنه سيفتك بهم ويبطش بهم وهذا الذي حصل. ليس هناك صراع بين الشيعة والسنة في مصر، لكن داعش هناك، وفي تونس لا صراع بين السنة والشيعة لكن داعش هناك.

ويحصل ما يحصل في ليبيا، والصراع هناك ليس صراع طوائف، ومع ذلك نجد أن داعش يتمدد، وكذلك في دول الخليج ومواقع أخرى، حتى التي ليست في وارد الاختلاف والصدام مع أحد، ومع ذلك نجد الفتك والبطش الداعشي، إذن هذه التحذيرات يجب أن تؤخذ بجدية، وكل يوم نتأخر في اتخاذ موقف واضح، وفي تشكيل الجبهة العريضة لمواجهة الإرهاب التي دعونا إليها مرارًا، وقلنا نحن بحاجة إلى جبهة إقليمية عريضة تقف بوجه الإرهاب الداعشي، وبدون ذلك سنجد في كل يوم مفاجأة، وهناك دولة أخرى تغرق في الإرهاب ولن يقف الإرهاب في المنطقة، ولن يقف عند

الدول الإسلامية أو العربية، بل سيمتد إلى الدول الأوربية والغربية، ورأينا ما حدث في فرنسا ودول أخرى وسنرى المزيد والمزيد، إذن هذا خطر كبير وعظيم يجب أن نتصدى لمواجهته، وتبدأ المواجهة من الفكر المتطرف الذي يسعى هؤلاء لتسويقه بين الناس، وهناك آلاف من المعاهد الإسلامية التي تروج لهذا الفكر المتطرف، وهناك عشرات الآلاف من المنابر يُحرَّض فيها ويُشحن فيها الناس بشكل طائفي ليحملوا الكراهية تجاه بعضهم البعض، وإن لم نعالج هذا الفكر المتطرف، وما لم نقف ونشكل جبهة إقليمية عريضة وواضحة وجادة في مواجهة الإرهاب، وما لم نقمع الإرهاب وننهيه في مصادره وفي حواضنه الأساسية في العراق وسوريا، سيمتد إلى أماكن أخرى، وأقولها بصراحة، إن الدول الأخرى غير محصنة وغير مهيأة لمواجهة داعش بالأساليب التي عرفناها في العراق، ونحن أيضًا في العراق كدنا أن نخسر نظامنا السياسي وواقعنا نتيجة التكتيكات التي يمارسها الإرهاب الداعشي، ولولا فتوى المرجعية العليا، ولولا أن هبّ عشرات الآلاف من شبابنا العقائدي المؤمن المخلص، ولولا الاستشارات الجدية التي قدمتها الجمهورية الإسلامية، وهي العارفة بطبيعة هذه التكتيكات، ودول العالم التي وقفت ورفعت شعار مواجهة داعش، لولا كل هذه الاعتبارات لذهب العراق اليوم إلى المجهول، وهذه المقومات قد لا تتوفر في كل البلدان، ونحن نجزم في الوقت الراهن بأن المنظومات الأمنية والاستخبارية لدول المنطقة غير مهيأة للتعاطي مع هذا الخطر، ولا سيّما مع وجود تعاطف شعبي كبير في داخل هذه البلدان مع التطرف ومع الإرهاب الداعشي، لذلك بكل حرص نجدد تحذيرنا من الإرهاب الداعشي ومن تمدده المستمر، وندعو إلى تشكيل هذه الجبهة العريضة، وإلى أن نكون يدًا واحدة في مواجهة الإرهاب.

حقيقة عرض الأمانة

إذن الآية الشريفة تقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض وَالْجِبَالِ﴾، ولسائل أن يسأل: كيف تم عرض الأمانة على الجبال والسماوات والأرض؟ وهذه ليست كائنات حية وليس لها عقل لكي يوجه الخطاب إليها، فكيف عرض الله (سبحانه وتعالى) عليها الأمانة لكي يكون لها موقف؟ كيف عُرضت الأمانة عليها، وكيف كان ردها حينما أبت: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، كيف عُرضت عليها، وكيف أعطت موقفا؟.

الجواب: لعل عرض الأمانة عليها إنما هو عرض على أساس المقايسة والمقارنة مع استعداداتها الذاتية ومع مؤهلاتها، والله (سبحانه وتعالى) حينما قدر لهذه الموجودات في هذه الظواهر الكونية، جبال وأرض وسماوات، قدر لها الوجود، جعل لها

استعدادات معينة، وشخّص لها واقعا معينا، والجبل لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية، وغير مكلف بدور يمكنه من تحمل المسؤولية والسماوات كذلك، فهنا بالمقارنة مع استعدادها الذاتي تبين أنها غير قادرة على تحمل المسؤولية، وحينما يقال إن الإباء بحكم استعداداتها، يعني ليس بتلفظ، إذ أبت بلسان الحال، لكون استعدادها الذاتي لا يتحمل أن تتصدى لمثل هذه المهمة، ونفس الكلام يأتي بخصوص عرض الأمانة على الإنسان؛ فقد يقول قائل لم يسألني أحد، فالإنسان عندما تقبّل هذه الأمانة كيف تقبلها؟. صحيح لم يسألك أحد، و لم يوجَّه إليك سؤال مباشر، ولكن الإنسان بما يمتلك من استعداد ومؤهلاتٍ عرضت عليه مقارنة باستعداده، فكان الموجود والكائن الذي يتحمل المسؤولية، فأنيطت به هذه المسؤولية وأصبح مسؤولا، وعليه أن يفي ويلتزم بهذه المسؤولية.

هذه بالضبط مثل ما هو في «عالم الذر» والحوار الذي جرى مع الإنسان وتخبرنا به الآيات القرآنية، ولم يجر الحوار مع شخوص وإنما حوار في مقام الاستعداد والفطرة الإنسانية.

لاحظوا الآية الشريفة الثانية والسبعين بعد المئة من سورة الأعراف، حينما أخذ الله (سبحانه وتعالى) العهد والميثاق من الإنسان في عالم الذر: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ﴾، يعني كي لا تقولوا، ﴿يَوْمَ القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، هذه الشهادة في عالم الذر، وتعرفون أن الإنسان يمر بعوالم، فهناك «عالم الذر» قبل عالم الدنيا وعالم المادة، حينما تلاقحت الأرواح.

جاء شخص وسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: يا رسول الله، نسير في الشارع في مكان عام ونرى شخصًا لم نره من قبل، ولكن القلب يسر وينفتح نحوه ونرتاح له، لم يخدمنا بشيء ولم يقدم لنا شيئًا، ولا قرابة ولا معرفة ولا نسب لنا معه، وهناك آخر نراه في مكان عام أول مرة أيضًا، ولكننا لا نرتاح له وننكمش منه، مع عدم وجود أي خلفية مسبقة، فمرة قد يكون آذاك فتكرهه، أو خدمك فترتاح له، أما شخص ليس لديك أي موقف معه، وفجأة ترى حالة انشراح وارتياح، أو حالة انقباض وانكماش تجاهه، فما تفسيرها يا رسول الله؟. لقد أرجع رسول الله ذلك إلى «عالم الذر»، وقال إن الأرواح تتلاقى في عالم الذر، فعندما ترتاح له فمعنى ذلك أن هناك سنخية بينك

وبينه، ومن لا ترتاح له بدون سبب ومبرر معين معناه العكس[١٨١]، هذا تلاق في «عالم الذر»، فقد تكون منجذبا إليه وقد تكون منكمشا منه، فهذا عالم الذر. ثم يأتي «عالم المادة»، ثم ننتقل إلى «عالم البرزخ» ثم إلى «يوم القيامة»، وتلك النشأة التي يكون فيها الخلود، ونسأل الله أن يجعل خلودنا في الجنان.

بين التمرد والخوف

إذن العرض والقبول لم يكن بروتوكوليًا ولم يكن لفظيًا، فأحيانًا تتفاهم مع أحد وتكتب وتوقع وهذه إجراءات شكلية، وواقع الأمر هو أن العرض كان على خلفية وأساس الجانب التكويني كما ذكرنا في عالم الاستعداد والفطرة: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾، السماوات والأرض والجبال أبين وقلن لا نستطيع، أي شأنهن واستعدادهن غير مهيأ لتقبل هذه المسؤولية، ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: الشفقة: حالة الخوف، ولكن الخوف المقرون بالخضوع، فهناك من يرفض ويتمرد مثل الشيطان: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾[١٨٢]، قال أنا لا أسجد اعتراضًا واستكبارًا وأبى واستكبر، وهذا تمرد على الله، وتارة يكون الإباء ليس استنكارًا، وإنما يكون خوفًا من العمل وعدم القدرة على تحقيقه؛ لا أستطيع ولكن بودي أن أتحمل، ولكن العمل أكبر من قابليتي ولا أستطيع، ولم تودع فيَّ يا الله استعدادًا وقدرة لتحمل المسؤولية، فهذا ليس إباء التمرد، وإنما لذلك الخوف المقرون بالخضوع لله (سبحانه وتعالى)، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسان﴾، أما الإنسان فقد تقبل هذا الأمر؛ لأن استعداده كان ينسجم مع تقبل هذه المسؤولية.

المشكلة ليست في التكليف

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾: الإنسان ظلوم وجهول، وهذا هو الشاهد، فالإنسان الذي تحمل المسؤولية والأمانة حين عُرضت عليه، خان الأمانة ولم يكترث ولم يبال، إذن خيانة الأمانة جاءت كأثر لظلمه وجهله، فالظلم من آثاره خيانة الأمانة، وقد يسأل سائل: هل تقبل الأمانة جعله ظلومًا وجهولًا؟ لأنه قبل الأمانة؟ والجواب كلا، فهذه الأمانة نعمة عظيمة ومقام إلهي رفيع وميزة عظمى خُص بها الإنسان دون غيره من الكائنات، وكل الكائنات الأخرى لم تكن تمتلك الاستعداد الذاتي لتقبل هذه الأمانة، ولكن

١٨١. انظر: بحار الأنوار ٥٨: ٦٣ ح٥٠.
١٨٢. سورة البقرة: الآية ٣٤.

الإنسان تقبلها وتحملها وحملها فهذه نعمة عظيمة، والمشكلة هي أنه حينما أُنيطت به الأمانة وحمل المسؤولية تجاه المشروع الرسالي، أبدى كثير من الناس عدم مبالاتهم واكتراثهم، فليس لديهم تقيد واهتمام. لماذا تخطئ، أتعلم أنه خطأ أم لا؟ فيجيب نعم أعلم، لماذا تخطئ إذن؟ فيقول إن السبب في نفسي وهواي وشهواتي ورغبتي، فتضعف إرادتي، إذن هناك خلل ليس في تقبل المسؤولية، فهو قادر، بل هناك خلل في الوفاء بالمسؤولية التي أُنيطت به.

نضرب مثلًا بموظف يعمل بشكل جيد وينجز معاملات الناس ويأتي في وقته ويخرج متأخرًا ولا يبقي أي معاملة وينجز العمل بسرعة، وموظف ثان بنفس الغرفة أو بنفس المهمة يتكلم ولا يعمل، ويأتي متأخرًا ويخرج مبكرًا ويتعب المواطنين، فهل المشكلة في أنه أصبح موظفًا، أو لأن الموظف لا يؤدي واجبه بالشكل الصحيح وهذه خيانة، وهذا موظف خائن يتسلم راتبًا من الدولة ومن أموال الشعب ليخدم الشعب ولكنه لا يخدمهم ولا يقوم بواجبه، وذاك موظف أمين وهذا موظف خائن؛ لأنه لا يفي بواجبه. تصوروا هذه الحالة بالمعنى الأوسع، فالإنسان حمّلته السماء المسؤولية تجاه نفسه؛ الواجبات والمحرمات، وهذا يجوز وذاك لا يجوز وهذا حلال وذاك حرام، وتجاه المجتمع والعلاقات الاجتماعية، وفي علاقته مع الله (سبحانه وتعالى)، منظومة متكاملة: (وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون)[١٨٣]، أين دورك في مشروع السماء؟ أين مكانك؟. المشكلة ليست بالتكليف، بل المشكلة بي وبك، فإذا لم نؤدِّ الواجب بالشكل الصحيح فقد خنّا الأمانة والعياذ بالله، إذن (ظلومًا جهولًا)، ليس لأنه قبل الأمانة وحملها على أكتافه، وإنما لأنه عندما حملها لم يؤد هذه الأمانة كما ينبغي وتعامل بطريقة اللامبالاة مع هذا الأمر.

الأثر العاشر/ رد الأعذار

الظالم لا يُقبل له عذر بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، فالله يرد عذره ولا يقبل منه تبريرا، وتعلم أن الإنسان له قدرة كبيرة على التبرير، إلا الإنسان الذي عمل على إصلاح نفسه فهو مستعد للاعتراف بالخطأ، ولذلك قالوا إن الاعتراف بالخطأ فضيلة، والإنسان يكابر وتأخذه العزة بالإثم ومهما كان العمل خاطئًا يقدم مبررات وأعذارًا، حتى المجرم الذي قتل آلافًا من الناس، يقدم لك مئات المبررات لقتله الناس ويريد أن يثبت أنه

١٨٣. سورة الذاريات: الآية ٥٦.

هو الجيد وهم غير الجيدين، فطبيعة الإنسان أنه يلقي العذر، والظالم لا يقبل له الله (سبحانه وتعالى) أعذارًا ويردها عليه.

نصر المؤمنين وذل الظالمين

في الآية الشريفة من سورة غافر: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾، على أعدائهم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ليس الرسل فقط بل ننصر المؤمنين أيضًا، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[184]، عهد معهود ووعد قطعه الله (سبحانه وتعالى) على نفسه أن يتكفل بنصر الأنبياء والمؤمنين والصالحين في الدنيا وفي الآخرة، فهنيئًا لهم هذا الوعد من الله (سبحانه وتعالى)؛ النصرة والإسناد والدعم والرعاية من الله لأنبيائه وللمؤمنين وللصالحين، باستعمال ﴿إِنَّا﴾ التي تأتي للتأكيد، وكذلك ﴿لَنَنصُرُ﴾، فاللام هنا للتأكيد، فالآية فيها تأكيد كبير ووعد قاطع من الله (سبحانه وتعالى)، والنصر مطلق فلم يقل ننصر في الحالة الفلانية، بل بشكل مطلق ننصر الأنبياء والمؤمنين، ففي منطقهم وحجتهم وبيانهم منصورون وحجتهم بالغة، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[185]، والإنسان الذي على حق لديه حجة وبرهان ويقنع الآخرين، حتى أن خصوم أهل الحق يقولون إن هؤلاء سحرة يسحرونكم فلا تسمعوا لهم، والنبي يعتبرونه ساحرًا لأن منطقه قوي ويؤثر بالناس فيقولون إنه ساحر يؤثر بكم، فالحق له حجة وله منطق يُنصر به، ويُنصر في الحروب والخصومات والفتن، ويُنصر في المدد والتسديد الإلهي، والله يسدد أنبياءه ويسدد المؤمنين، وهذا نصر مطلق في الحياة الدنيا، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[186]، في يوم القيامة أيضًا، ويعبر عن يوم القيامة بيوم يقوم فيه الشهود، الذين هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، فهو يوم الأشهاد ويوم الشهادة، وتصوروا أن أحدًا يريدون تكريمه، فماذا يفعلون؟ يقيمون حفلًا ويأتون به ويعطونه الهدية أمام الناس تكريما له، وحين يريدون أن يفضحوا أحدًا ويذلوه بشكل كبير، يخرجونه على شاشة التلفاز ليعترف بجرمه، وقد يأتون به في مكان عام ويضعون له المشنقة ويشنقونه، فكم لها من تأثير نفسي ويفتضح أمره، والله (سبحانه وتعالى) يقول إنا ننصر رسلنا والمؤمنين في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، أي يذكر الحيثية فيقول في الآخرة، في يوم القيامة، أمام الخلائق، نحن نؤيدهم وننصرهم، والمخلوقات كلها ترى العظمة والعزة والكرامة للأنبياء وللمؤمنين، وترى الفضيحة الشديدة للظالمين أمام الناس.

---

١٨٤. سورة غافر: الآية ٥١.

١٨٥. سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

١٨٦. سورة غافر: الآية ٥١.

الابتلاء ليس نقضًا للوعد الإلهي

قد يقول قائل إن الله أخذ على نفسه أن ينصر رسله والمؤمنين، ولكن عندما نرى تأريخ البشرية، نجد أن حياة مئة وأربعة عشر ألف نبي مليئة بالقتل والسجون والحروب والانتكاسات، وأئمتنا (سلام الله عليهم) قالوا: «ما منّا إلا قتيل أو مسموم»[١٨٧]، والمصلحون والخيرون في تأريخ البشرية قُتلوا وسُبوا واتهموا، فماذا يعني ﴿لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وما معنى التأريخ المليء بالحرمان والمشاكل والسجون والقتل والذبح للمؤمنين؟ فأين النصرة في الدنيا؟.

الجواب: البعض منا يقرأ النصرة والعون والمدد الإلهي، يقرؤه بشكل سطحي جدا وبنظرة ضيقة، ويريد من الأنبياء والمؤمنين أن يكونوا على شاكلة أبطال الأفلام الهندية، وهذا فيه نقض لقانون السببية في هذا العالم، وفيه نقض للاختبار والابتلاء الإلهي في هذا العالم، والبعض الآخر ينظر إلى النصر الإلهي ليس على مستوى جولة أو خطوة، وإنما على مستوى مشروع الأنبياء، وهذا النبي في مشروعه وأهدافه ومساراته على مدار آلاف السنين، هل هناك خط بياني نازل أو كله صاعد وتراكم تأريخي لصالح الحق؟.

في يوم وفاة رسول الله ارتد الناس إلا أربعة أو خمسة أو سبعة أو ثلاثين، والارتداد عن ولاية أمير المؤمنين، هذا هو المقصود وليس المقصود الارتداد عن الإسلام، واليوم أتباع أهل البيت (٣٠٠) مليون، والمسلمون يوم وفاة رسول الله كم عددهم واليوم كم عددهم؟. الحق يتسع والمشروع الرسالي يتراكم والمؤمنون ينتصرون ويحققون إنجازات كبيرة، وأحيانًا تعطي هذه الشهادة وهذه المظلومية للنبي وللمؤمن وللإمام من الرمزية ما لا يمكن أن يحصل عليه في حياته ووضعه الطبيعي، فإن قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذت كل هذا البعد المركزي في حياتنا بسبب هذه الشهادة والمظلومية وعبد الله الرضيع والنساء وسبي النساء وقتل الأطفال وتعطيشهم، إذ يطلبون قطرة من الماء فلا يُسقون، ولولا كل هذه الظروف في واقعة الطف فهل كان الحسين في أنظارنا بهذا الشموخ الذي نراه اليوم؟ وبهذا الوضوح وبهذه المسيرة التي تصل إلى عشرين مليونا في زيارة الأربعين، والعالم كله يفتح عينه ويقول ليس هناك مثيل لهذا في الدنيا، إذن هذه المعاناة وهذه الضغوط وهذه الآلام هي جزء من عملية صقل المشروع الرسالي ليأخذ مدياته في الأمة، ثم تتكشف الحقائق بالتدريج وتلتحق الناس بهذا المشروع وترتبط به، بهذا المعيار وبهذا المقياس، وليس النظرة الجزئية المرحلية الخاطفة بل النظرة العامة،

١٨٧. بحار الأنوار ٢٧: ٢١٦ـ٢١٧ ح١٨.

وسنرى أن الله (سبحانه وتعالى) لم يتخلَّ عن أنبيائه وأوصيائه وأوليائه والمؤمنين، بل كان دائمًا معهم وتحققت الانتصارات الكبرى على أيديهم، فلذلك يجب أن ننظر إلى الأمور من هذه الزاوية.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: هنا يأتي الشاهد؛ فلا ينفع الظالمين يوم القيامة معذرتهم وعذرهم مرفوض، فبسبب ظلمهم لا يُقبل لهم عذر، ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾، الله (سبحانه وتعالى) يطردهم من رحمته، وهذا هو العذاب الروحي، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[188]، يعذبون في النار، إذ تكون عاقبتهم سيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم التي يحترقون فيها، إذن تتحدث هذه الآية أن الظالم لظلمه لا يُقبل له عذر ولا يُستجاب له موقف.

إشكال وجواب

قد يقول البعض إن في آيات أخرى من الذكر الحكيم أنهم لا يؤذن لهم بالاعتذار، كما في الآية السادسة والثلاثين من سورة المرسلات، تقول: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[189]، لا يُسمح لهم بأن يفتحوا أفواههم ويعتذروا، وهنا يقول يعتذرون ولا يُقبل عذرهم، فكيف نجمع بينهما؟.

بعض المفسرين يقولون ليس هناك تنافٍ بين الآيتين الشريفتين، فالعذر الذي لا يقبل كأنه لم يطلق، فلا نقبل لهم عذرًا يعني سواء قالوا أو لم يقولوا فالأمر واحد، فلن يُقبل لهم عذر وتبرير، وبعض المفسرين قالوا إنه في بعض المقامات والمواقف، وفي الدار الآخرة هناك مواقف عديدة، في بعض المواقف يسمح بالحديث فيعتذر الإنسان، وفي مواقف أخرى لا يسمح باللسان، فتكمم أفواههم وتتحدث أعضاؤهم.

في الآية الشريفة الخامسة والستين من سورة ياسين: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾، لا نسمح لهم بأن يتكلموا، ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، اللسان لا يستطيع الكذب لأن اليد تتكلم وتقول هذا ما فعلته، سواء كان فعلًا صالحًا أو غير ذلك، والرجل تتكلم والبطن وكل عضو من أعضائنا، واللسان لا يُسمح له بأن ينطق.

وفي سورة غافر، الآية التاسعة والأربعين، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾، إذن لسانهم يتكلم، ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾، لا يقولون

---

١٨٨. سورة غافر: الآية ٥٢.

١٨٩. سورة المرسلات: الآية ٣٦.

أخرجونا لأنهم يئسوا من ذلك، بل أرادوا يوم استراحة وإجازة؛ خففوا عنا هذا العذاب يومًا واحدًا لنلتقط أنفاسنا، ولم يُعطَ لهم هذا اليوم الواحد بل العذاب مستمر، وكيفما كان، لا تُقبل للظالم معذرة فتُرد معذرتهم بسبب ظلمهم. وللحديث صلة تأتي في الليالي القادمة بإذن الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية الثالثة عشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منا جميعًا صالح الأعمال في هذا الشهر الفضيل، وأن يوفقنا لليالي القدر المقبلين عليها.

كان حديثنا في رسالة الحقوق لإمامنا زين العابدين الإمام علي بن الحسين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكنا نتحدث عن آثار الظلم، وانتهينا في هذا الحديث إلى الأثر الحادي عشر.

الأثر الحادي عشر: صدور العمل السيئ

العمل القبيح من الآثار المترتبة على الظلم، فالظالم يصدر منه القبيح دائمًا، في سلوكه ومواقفه وتعاملاته، إذ يدفعه ظلمه باتجاه الفعل الخاطئ وإلى مزيد من الانحراف، وتشير الآيات الشريفة إلى هذه الحقيقة ثلاث مرات:

في سورة الزمر، الآية السابعة والأربعين وما بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾، لو كان الظالم يمتلك الدنيا وما فيها، ومعها بمقدارها، أي ضعف الدنيا كلها، فهو على استعداد للتضحية بها جميعها للخلاص من عذاب الآخرة.

العواقب المترتبة على الظالم

أولًا/ ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ القيامة﴾، لشدة عذاب يوم القيامة لا يستطيع أن يتحمل، ولو كان يملك الدنيا وما فيها ومعها بمقدارها لأعطاها فدية مقابل خروجه سالمًا، إذن لماذا ظلمت واعتديت؟.. لماذا انحرفت ومددت يدك إلى المال العام وكنت مصداقًا للفساد المالي والإداري في الموقع الذي أنت فيه؟. إن الظالم هنا لا ينحصر في المشرك، بل يشمل كل أنواع الظلم والتعدي.

ثانيًا/ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: رأوا أشياء لم يكونوا يتصورونها وفوجئوا بها، وكانوا يعتقدون أن الله رحيم بهم وغفور: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[١٩٠]، الله يمهل في الدنيا ويعطيك وقتا وفرصة، وأحيانًا هناك مذنب والعياذ بالله تصدر منه أخطاء، والله (سبحانه وتعالى) يتسامح معنا ويعطينا فرصة للتوبة، وهذا الظالم يُستغل ويُسيء فهم حتى لطف الله (سبحانه وتعالى).

الأمثال تُضرب ولا تقاس؛ هناك من يسيء إليك فتكبر على الإساءة ولا ترد عليه، ولكنه لا يكتفي بعدم شكرك، بل يعتقد أنك ضعيف ويبدأ بظلمك أكثر ويعتدي عليك أكثر، فيستغل حتى لطفك وتقديرك له وترفّعك عن الرد عليه ويسيء فهم ذلك بشكل معين، وكذلك هذا الظالم عنده تصور أن الله غفور رحيم، والمهم أن قلبي نظيف، وإذا لم أصلِّ ولم أعبد فهذه أمور هيّنة، فيعمل بهذا المنطق حتى تأتي لحظة الحقيقة، والإنسان لا يدري متى يموت، فقد يكون شابا وفجأة يسقط ميتًا في ظروف حياتية تصيب الإنسان كحوادث السيارات، أو يجدونه صباحًا ميتًا، فلا أحد يعلم ما يقدّر الله لنا، ولكن الظالم يعيش بهذه الأوهام ويؤخر التوبة، وفجأة تنتهي قضيته، وهناك يُفاجأ إذ يرى تعاطيا مختلفا غير الذي يراه في الدنيا، ويرى ملائكة غلاظًا شدادًا لا يجاملون أحدًا وتعاملهم شديد وقاس، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، لم يخطر على بالهم أن يروا مثل هذا البلاء، وظهرت لهم أمور وتعاملات لم يتوقعوها، فالإنسان قد تقوده قضية بسيطة إلى مركز الشرطة، وإذا بهم يتعاملون معه كأنه متهم ويضعونه في السجن، فتكون صدمة لا يستطيع أن يتفهمها، فكيف بالآخرة وما حال الإنسان مع ذلك العذاب الشديد الذي يواجهه.

---

١٩٠. سورة الزمر: الآية ٥٣.

مفاجأة الظالم.. ومفاجأة المؤمن

المشكلة أن البعض منا يعتقد بأن بعض الأفعال حسنة، ثم يظهر أنها ليس كما يعتقد، بل فيها ظلم عظيم وآثام عظيمة، وهذا ما يحذر منه القرآن الكريم، كما في الآية الثالثة بعد المئة من سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، أتريد أن أخبرك من الأخسر وليس الخاسر؟. إن أخسر الناس هم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، يعتقدون أنهم أحسنوا الأفعال، والحقيقة هو ذنب عظيم، ويوم القيامة يُفاجأ ويقول أنا عملت كذا وكذا، ويظهر أن ما فعله من ضمن ما يستحق العذاب الشديد.

هذه المفاجأة للظالم عندما يرى من العذاب ما لم يكن يتوقع، في مقابلها مفاجأة للمؤمنين تشير إليها الآية السابعة عشرة من سورة السجدة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، فالمؤمن يُفاجأ أيضًا، إذ إن كل ما يتصوره من جنة وثواب ورحمة، يرى ما هو أكبر منه، مما يقر العين ويدخل السرور والفرح والبهجة من الثواب والأجر، كما لو وصفوا لك مكانًا سياحيًا بأنه جميل، وحين ذهبت إليه وجدته أكثر جمالًا بكثير مما وصفوا لك، وأين هذا من الجنة ونعيمها، فيفاجأ المؤمنون بحجم النعيم الذي يقر العين ويفرح القلب ويثلج الصدور، كما يُفاجأ الظالمون بحجم العذاب وقسوته. يقال إن أحد المؤمنين الصالحين جاءته سكرات الموت، فكان يبكي بكاء شديدًا، فقيل له ما بك؟ فقال إني أخاف من الآية: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، فإذا كانت هناك مظلمة معينة آذيت بها أحدًا فسوف يفاجئني الله بها، ولا أعرف ما ينتظرني من مفاجآت، فقد أكون ظلمت أحدًا أو ارتكبت خطيئة أو سببت أذى لأحد، هكذا هي المفاجأة للظالمين في النشأة الأخرى. إذن هذا الأمر الثاني للظالم؛ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

ثالثًا/ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: ظهر لهم جزاء أعمالهم القبيحة التي صدرت منهم لظلمهم، فيواجه الظالمون سيئات ما كسبوا، أي نتائج العمل الذي اقترفوه. إذن الظالم يقوم بأعمال سيئة وخاطئة وقبيحة يستحق عليها العذاب، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، أحاط بهم، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، العذاب الذي كانوا يسخرون منه في الدنيا، إذ تسمع بعضهم يقول إن هذا كلام (معممين) يريدون أن يأكلوا (خبزة) والناس تسير خلفهم، ويقول إن هذه دكاكين، ما هي الآخرة وما هي النار وأين العذاب، من أين أتيتم بهذا

الكلام؟ ويشكك وينفي وينكر ويعتبر هذا كله هباء، والبعض يرى أن المهم هو أن قلبك طاهر والقرآن أمامك، فما الحاجة إلى التقليد وسيد فلان؟.

يأتي يوم القيامة، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، هذا العذاب الذي كان الظالم يستهزئ به يحيط به، وما كان يستهزئ به ويسخر منه يراه أمامه بلاء قد حل به، ولا يعرف كيف ينقذ نفسه من هذا البلاء.

الظالم ناكر لنعمة الله

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسان ضُرٌّ دَعَانَا﴾: يأتيه مرض ويرقده في الفراش، فأين العنتريات السابقة. قبل أيام قرأت في صحيفة أن ملياردير خلال أربعين دقيقة خسر مليارات من الدولارات، هذا كم ظلم؟ وكم اعتدى؟ وكم أخطأ؟ وكم تحايل، وحصل على المليارات بهذا الشكل؟، وخلال أربعين دقيقة خسر كذا مليار دولار في البورصة، وهو ما يعادل ميزانيات دول. مرض وفقدان مال وفقدان عزيز، ومشكلة قضائية، ومشكلة عشائرية، ومشكلة عائلية، وغير ذلك من المشاكل التي تواجه الإنسان، فأين يذهب؟. حينها حتى الملحد أو المشرك لا يرى ساعة الضيق غير رب العالمين؛ (دعانا)، يا الله أريد حلًا، ويذهب كل الكلام السابق، وكل الإلحاد يُنسى ويلتفت إلى أنه ليس هناك غير الله رب العالمين، وعلى غرار هذه الآية الشريفة نجد الآية الثانية عشرة من سورة يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا﴾، عندما يرى الضر والضغوط يرفع يده إلى رب العالمين، ﴿لِجَنبِهِ أو قَاعِدًا أو قَآئِمًا﴾، في كل حالاته، سواء كان مضطجعًا أو قاعدا أو قائما، يقول يا إلهي أدركني، أريد حلًا يا الله، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾، طلبت من الله وأعطاك؛ ذهبت أموالك وتغيرت أحوالك وستعود إليك الأموال، فهل حُلّت القضية؟.

﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾: وكأننا لم نفعل له شيئا، كمن تنقذه من البحر، وعندما يصل إلى الساحل يلتفت جانبًا ويمضي من غير كلمة شكر، فبعض البشر مهما أعطيته وفعلت له لا ينفع معه، كما قال الشاعر:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتْه وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا

في سورة النحل الآية الثالثة والخمسين وسورة الروم الآية الثالثة والثلاثين وسورة الإسراء الآية السابعة والستين، تأكيد على هذه القضية، فالإنسان الظالم مصلحي انتهازي وينسى المعروف ولا يملك وفاء، وفي الضيق يطلب وعندما يعطيه الله يدير وجهه ويذهب.

الإنسان والمعاني السلبية

إن الحديث في هذه الآية عن الإنسان: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسان﴾، وهذه المفردة استُخدمت في القرآن الكريم في مواقع عديدة، واستُخدمت مكانها أحيانًا مفردة بشر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[١٩١]، وأحيانًا استخدمت ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾[١٩٢]، ولكن مفردة (إنسان) استخدمت كثيرًا، وفي أغلبها كان الاستخدام سلبيًا، وفي الأغلب عندما تستخدم مفردة (إنسان) يشار إلى ضعفه، وإلى نكثه وإلى تخلفه عن الوعود، ولاحظوا مثلًا في هذه الآية التي هي مورد البحث: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسان ضُرٌّ دَعَانَا﴾، وعندما تحل مشكلته لا يشكر الله على النعمة، وهذه حالة سلبية، وفي سورة يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أو قَاعِدًا أو قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾، وفي الآية الثامنة والعشرين من سورة النساء: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسان ضَعِيفًا﴾، مع كل العنتريات والكلام والادّعاءات هو ضعيف، وأبسط مخلوقات الله قد تطيح به، فضرس من أضراسه إذا بدأ يؤلمه تنقلب حاله، وفي الآية المئة من سورة الإسراء: ﴿وَكَانَ الْإِنسان قَتُورًا﴾، شديد البخل لا يعطي، وفي الآية الرابعة والعشرين من سورة إبراهيم: ﴿إِنَّ الْإِنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، شديد الظلم وكفار، فليس كافرا فقط، بل كفّار أي شديد الكفر للنعمة، وفي الآية الحادية عشرة من سورة الإسراء: ﴿وَكَانَ الْإِنسان عَجُولًا﴾، ما إن يدخل في العمل حتى يقول أين الرزق، ويريد كل شيء بسرعة، ولكن الأشياء في الدنيا يجب أن تنضج.

في سورة الإسراء الآية السابعة والستين: ﴿وَكَانَ الْإِنسان كَفُورًا﴾، وفي سورة الكهف، الآية الرابعة والخمسين: ﴿وَكَانَ الْإِنسان أكثر شَيْءٍ جَدَلًا﴾، الإنسان مصاب بمرض الجدل؛ لماذا وما الداعي وكيف..؟ حتى في أوضح الواضحات، وفي كل قضية تطرحها يخرج لك ما يحيرك ويجادل كثيرًا في كل شيء، فهذا طبع من طباع البشر، وفي سورة الانفطار: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[١٩٣]، ما الذي أعطاك هذا الغرور وجرأك على عصيان الله (سبحانه وتعالى)؟ فالإنسان مغرور ومتكبر وهذه سماته، وفي سورة العلق الآية السادسة: ﴿إِنَّ الْإِنسان لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾، يصبح عنده شعور بالغرور عند الشعور بالغنى والتملك، وتتضخم عنده حالة التبختر والطغيان، وفي سورة المعارج الآية التاسعة عشرة: ﴿إِنَّ الْإِنسان خُلِقَ هَلُوعًا﴾، شديد

١٩١. سورة الكهف: الآية ١١٠.
١٩٢. سورة الأعراف: الآية ٢٦ و٢٧ و٣١ و٣٥.
١٩٣. سورة الانفطار: الآية ٦.

الحرص والهلع، شديد الضجر، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾، إذا أصابته مشكلة يهلع ويسأل شاكيًا لماذا أصابته ولم تصب غيره، ولماذا ولماذا؟.. مع أنه ليس وحده المريض أو الفقير أو الذي وقع ضحية الإرهاب، ولكن هذه طريقته؛ يتضجر ولا يتحمل، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، ممسك ويمتنع عن الإعطاء.

هذه الآيات تشير إلى الإنسان الذي لم يتربَّ على المنهج الرسالي ولم يهتم بحركة الأنبياء والأوصياء والمصلحين، هذا الإنسان تأخذه أهواؤه وشهواته وميوله ويندفع اندفاعات من هذا النوع، وتجد فيه شتى الصفات السلبية؛ فهناك من شخصيته ركيكة وضعيفة، شخصية مطلبية وأنانية، أو بخيل وعجول وحريص، أو مهزوز ومنكسر داخليًا، أو مغرور، ولكن: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾[١٩٤]، ينهار كل شيء في دقيقة، وهذا الإنسان غير مرتبط بالرسالات وغير مرتبط بالأنبياء وغير مرتبط بمنهج رسالي، فليس له مربٍّ، ولذلك فإن نعمة التقليد نعمة عظيمة؛ إذ نرتبط بالفقيه الجامع للشرائط، وهو نائب للإمام المعصوم، الذي هو امتداد لحركة الرسالة، فيرتكز الإنسان على ركن وثيق ويسلم قيادته لمن يخاف الله ويعطيه حكم الدين، وعندما لا يكون هذا ولا يكون مرتبطًا بمشروع رسالي، فستأخذك موجة وتعيدك أخرى، فنحن يجب أن نقلد ونصون أنفسنا من الوقوع في الحرام.

البعض من هؤلاء ليس فقط لا يستثمر إمكاناته في طريق الكمال والعبودية لله، بل يوظفها في اتجاهات سلبية، فيقال هذا عبقري لأنه صنع قنبلة نووية وأسقطها على رؤوس الناس في ناكازاكي وهيروشيما. لقد أعطاك الله العقل لتقتل الناس أم لتعينهم، أي عبقري هذا الذي يصنع السلاح الفتاك والقنبلة الانشطارية التي إذا انفجرت بمكان لا تبقي ولا تذر؟. يُستخدم العلم في مساحة مهمة، في طريق الإساءة للناس على خلاف ما أراده الله سبحانه، ويتفننون في ما هو ظلم واعتداء وتجاوز، وفي ما هو إبعاد للناس عن الله (سبحانه وتعالى)، فهذه الفضائيات التي تغطي في بثها آلاف الكيلومترات بشكل مباشر نعمة عظيمة لو كانت تُستخدم للعلم المفيد ولمصلحة الإنسان، ويمكن أن تبني أممًا، ولكن هذه الفضائيات تحولت في مساحة مهمة إلى أفلام خليعة ومسلسلات هابطة وتحلل خلقي، وقيم بعيدة عن أخلاقنا وقيمنا الإسلامية، وحتى قيمنا الشرق أوسطية العربية، ونحن نعيش في هذا العالم الذي فيه أعراف وسنن، وهناك قيم تحكمنا، والفضائيات تضرب بالصميم وتقدم مسلسلات وأفلامًا تضرب القيم الأسرية والأعراف

١٩٤. سورة العنكبوت: الآية ٤١.

وغيرها، وتعرض علاقات مشبوهة، واتصالات يُلهون الشباب بها ويعلمونهم الحرام، وهكذا تُستخدم التكنولوجيا والعلم في اتجاه معاكس.

الإنسان ومراتب الكمال

هناك الإنسان المعتز بإنسانيته والمرتبط برسالة السماء، الذي يسير في طريق الكمال، ففي سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١٩٥]، الله (سبحانه وتعالى) خلق كل شمائلك وسماتك في أحسن تقويم، ونحن نرى التشوه في خلق بعض الناس إما من الولادة أو بحادث، ونرى شكل البشر كيف يكون، فالله وضع كل شيء في أفضل ما يمكن، ولا تجد مكانا للعين أفضل من مكانها الطبيعي وكذلك الأنف والإذن وكل شيء، وتصميمه تصميم رائع ومميز.

وجاء في سورة الرحمن: ﴿خَلَقَ الْإِنسان. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[١٩٦]، الله أعطاك قدرة البيان والنطق والتعبير، وهذه نعمة عظيمة لم يعطها لغيرنا من المخلوقات. وفي سورة الانشقاق: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[١٩٧]، أنت تبذل جهدك وتكد وتكدح من أجل الوصول إلى الله (سبحانه وتعالى)، والله لا يضيع تعبك، (فملاقيه)، وكما قال سبحانه: (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا.

في الآية السبعين من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، أعطاهم الكرامة والعزة والرفعة، ﴿وَحَمَلْنَاهم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، الآن نستخدم السيارات، وقبل ذلك كانت الدواب تحمل الإنسان من مكان لآخر، (والبحر) السفن، وفرقاطات وبوارج وأشياء متطورة وناقلات ضخمة لنقل الناس والبضائع في البحار والمحيطات، ﴿وَرَزَقْنَاهم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، ورزقناهم من نعم الله (سبحانه وتعالى)، ﴿وَفَضَّلْنَاهم عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، هذه هي القيمة الكبيرة، إذن فالإنسان المنحط والإنسان الراقي بحسب ارتباطه بالسماء والمشروع الرسالي، فهذا ما يميزه، فمن يمتلك المليارات وأفضل الملابس وأفخر أنواع الطعام وآلاف الخدم، ولكنه ليس مع المشروع الرسالي فإن السمات الأولى تنطبق عليه، والفقير البسيط المتواضع الذي لا يمتلك الكثير من المال والجاه، ولكنه مرتبط بمشروع السماء، فهو مصداق لسمات الكمال والرقي: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وهذه للمخلصين وللمهديين الذين هداهم الله (سبحانه وتعالى).

١٩٥. سورة التين: الآية ٤.
١٩٦. سورة الرحمن: الآية ٣ـ ٤.
١٩٧. سورة الانشقاق: الآية ٦.

الظالم جاحد لنعم الله

نعود إلى الآية: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسان ضُرٌّ دَعَانَا﴾، تمسّك بنا، ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾، إذا أعطيناه وفتحنا له طريقا وأغنيناه وحللنا له المشاكل، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، بهذا العلم الذي عندي وفهمي استطعت الخروج من الأزمة الاقتصادية بسلام، وأنا انتصرت وعرفت وشخصت، وكل ذلك مني وبعلمي وبخبرتي، أنا فعلتها ولم يفعلها لي أحد، فلا يشكر الله (سبحانه وتعالى)، وليس هذا فقط، بل يحسبها لنفسه ويعتبر نفسه هو صاحب القدرات الذي يفهم ويعرف كيف يفكر ويشخص المصالح، وهو العبقري وأحسن الناس، ما هذه النرجسية وحب الذات، نسيت أين كنت ومن أوصلك، ومن أعطاك؟.

ونجد في سورة القصص الآية الثامنة والسبعين على لسان قارون المنطق نفسه، وهو منهج الظالمين والطغاة: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾، أنا عندي علم مكنني من أكون ملياردير‌ًا وبفهمي وعقلي وشطارتي جلبت المليارات، وربما يوجد مؤمن صالح في جبهات القتال يجاهد في سبيل الله ويطرد داعش، ولكنه عندما يتكلم يقول خططنا وذهبنا وانتصرنا، فأين الله في هذه القصة؟. في الانتصارات كلٌ يقول هذا أنا، وفي الإخفاقات كل طرف يرميها على الآخر، وكلنا نقع في هذه الأخطاء؛ فقد سقطت الموصل فمن المسؤول؟.. انتظروا داعش ليقول هذا الضابط وهذا المسؤول، وتضيع الحقيقة مع دماء المقتولين، ولكن إذا كان هناك إنجاز فالجميع يقول أنا وراءه.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾: بقدرتي وبعلمي وبفهمي، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾، هذا الإنسان، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾، من الأمم السابقة، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكثر جَمْعًا﴾، أناسٍ من الأمم السابقة أكثر منك يا قارون في قوتهم، وعندهم أموال أكثر من أموالك، أهلكوا وجاءهم العذاب، ألم تعلم بهم فتعتبر؟. تقول على علم عندي، فمن أعطاك هذه المواهب والعلم والقدرة؟ أليس الله (سبحانه وتعالى) هو الذي أعطاك إياها؟ فلا تذهب بعيدًا ولا تتوهم.

سنكمل هذه الآية الشريفة ونشرحها في ليلة قادمة بإذن الله. نكتفي بهذا المقدار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمسية الرمضانية الرابعة عشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منكم صالح الأعمال في آناء الليل وأطراف النهار.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد (صلوات الله وسلامه عليه)، وكان الحديث في اليد بمعناها المجازي، أي الآثار المترتبة على اليد من فعلٍ حَسَنٍ أو قبيح، وقلنا إن الظلم يمثل واحدًا من أهم وأوضح المصاديق لهذه الآثار، وتناولنا عددا من المواضيع المتعلقة بالظلم، وانتهينا للحديث عن آثار الظلم في القرآن الكريم، وكان حديثنا في الأثر الحادي عشر وهو الفعل السيئ والقبيح.

الأثر الحادي عشر

يبتلى الظالم بالفعل القبيح والسيئ، وكنا نستشهد بالآيات الشريفة من سورة الزمر على هذا الأثر من آثار الظلم؛ الآية السابعة والأربعين وما بعدها:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: لو كان الظالمون يمتلكون الأرض وما

فيها، ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: لا يمتلكون الدنيا بكل ما فيها من متاع وإمكانات فقط، بل يمتلكون ضعفها، مثلها وبقدرها أيضًا، أي بقدر الدنيا مرتين، فهذا الظالم تترتب عليه أربع نتائج في هذه الآية:

أربع نتائج بانتظار الظالم

١- ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ القيامة﴾: يصل بهم العذاب من الشدة بحيث لو كانوا يملكون بقدر الدنيا مرتين، لقالوا خذوا هذا كله وأخرجونا من العذاب، فشدة العذاب تجعل الإنسان مستعدًا لأن يعطي جميع ممتلكاته فدية، حتى لو كانت بقدر الدنيا مرتين، مقابل خلاصِهِ من العذاب.

٢-﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: رأوا من العذاب ما لم يكونوا يتصورونه وتفاجؤوا، فقد سمعوا بالعذاب الإلهي الشديد، ولكن لم يتوقعوا حجم هذا العذاب، فالقول إن النار محرقة شيء، وأن تكون يدك في النار شيء آخر، فلا أحد يستطيع أن يصف حرارة النار إلا من تلوع بها، فنسمع عن عذاب الله العظيم، ولكن أن نسمع شيء وهؤلاء الذين يرونها شيء آخر، فيستغربون ويتعجبون ويدهشون.

٣- وهو الشاهد في هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، تتضح وتبدو لهم أعمالهم السيئة، إذن الظالم أعماله سيئة وقبيحة.

٤- ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾: كل تلك الأشياء التي كانوا يسمعونها ويقرؤونها يطلعون عليها في الآخرة، من عذاب بالنار ومقامات ومنازل، وقد كانوا يستهزئون بها ويسخرون منها، ويقولون إن هذه أساطير، فمن أين أتيتم بها؟ وهذا كلام رجال دين يريدون السيطرة علينا فيخوفوننا بهذه القصص، ولكن كل هذه الأشياء التي استهزؤوا بها في يوم من الأيام يرونها بأم أعينهم، وتحيط بهم وتحتوشهم ويقعون فيها.

فتنة الخير والشر

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسان ضُرٌّ دَعَانَا﴾: عندما يقع الإنسان في مشكلة من مرض أو فقر أو حاجة أو غيرها، ﴿دَعَانَا﴾: يا ربي اقضِ حاجتي أو اشفني أو حل مشكلتي، أو تجزع وتيأس وتقول إلهي لماذا حدث هذا لَي أنا فقط؟ وكأنك أنت المبتلى فقط في الدنيا والجميع بخير ويعيشون في الجنة، كلا، انظر حولك، فإذا كنت مريضًا فادخل إلى المستشفى وستترحم ألف مرة على مرضك، وإذا كنت فقيرًا فانظر إلى بيوت التجاوز

وإلى الناس في البيوت الطينية كيف هو حالهم، وستترحم مئة مرة على حالك، وإذا كانت عندك مشكلة فانظر إلى مشاكل الناس، ولكنك ترى الأسوأ والأصعب عندك دائمًا.

إن الله يبتلي عبده ليختبره، وعندما يحل مشكلته ويعطيه ويغنيه ويشفيه، فهو يختبره أيضًا، ليرى إذا جاءته النعمة هل يبقى مرتبطًا بالله (سبحانه وتعالى)؟ وهل يبقى مذعنا ومؤمنا بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الله هو الشافي وأن الله هو حلال المشاكل؟. في كل الأحوال هو يختبرك؛ يعطيك الصحة ويختبرك بالصحة ويمرضك ويختبرك بالمرض، فالفقير مبتلى بفقره، والغني مبتلى بغناه، ولا تتصور أن أحدًا لا يكون له اختبار، فالجميع يبتليهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١٩٨]، نبتليكم بالشر، ونبتليكم بالخير أيضًا فتنة، فالمشكلة فتنة واختبار، وحلها فتنة واختبار أيضًا.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكثرهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: مع الأسف أكثرهم يسقطون في الاختبار؛ امتحانات صعبة ونسبة النجاح قليلة فيها، واختبار الحياة صعب وكثيرون يفشلون في هذا الاختبار مع الأسف الشديد، هكذا يقول الله، فالكثير تصيبه الغفلة والسهو، وحين تواجهه مشكلة يصاب بالإحباط وكأنه لا وجود لله لحل المشكلة، ويفكر بكل شيء إلا الله، لندق باب أبي فلان ونتوسط عند فلان. . . ولكن أن يرفع يده إلى الله ويقول إلهي منك أريدها، وإذا حصل على ما، يريد فأول ما يفعله أن يرفع يده ويقول الحمد لله، إلهي أنت فعلتها، ويرى أن الله (سبحانه وتعالى) هو الفاعل، وهذه القاعدة الفلسفية المهمة، «لا مؤثر في الوجود إلاّ الله»، صحيح أن الطبيب أعطاني الوصفة، ولكن من الذي أعطى الطبيب العقل وهداه إلى نوع المرض وحجمه ليعطي العلاج الصحيح، ومن الذي جعل هذا العلاج مؤثرًا في المعالجة وشفاني؟. . الله (سبحانه وتعالى)، هو المؤثر في الوجود والبقية أسباب طبيعية، فالطبيب يؤثر بأسبابه، ولكن الله هو المؤثر، فعلينا ألاّ ننسى رب الأسباب وننشغل بالأسباب فقط، هذه قاعدة يجب أن نعرفها دائمًا، والإنسان بشكل طبيعي فطرته سليمة؛ «كل مولود يولد على الفطرة»[١٩٩]، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢٠٠]، والخامة طيبة عند الجميع، ولكننا نحن الذين نلوث هذه الفطرة السليمة بأعراف خاطئة وبسلوكيات منحرفة، وبعقيدة

١٩٨. سورة الأنبياء: الآية ٣٥.
١٩٩. بحار الأنوار ٣: ٢٧٩ ح١١.
٢٠٠. سورة الروم: الآية ٣٠.

ضالة، وبتطرف وتشدد وأفكار منغلقة، كما لو أعطيت صفحة بيضاء نقية لطفل وأعطيته قلم ألوان وقلت له تفضل، فبعد عشر دقائق سيملؤها رسومًا مشوهة وكتابات عشوائية ويسوّدها، فلا ينفع معها شيء ويجب أن ترميها، ونحن أيضًا نلوث فطرتنا السليمة النقية البيضاء بأفكار ضالة ومنحرفة وبسلوك منحرف، وبعادات غير سليمة، فتتلوث مع الأسف ويصبح تأثرها تجاه المنبهات الإلهية قليلا، إذ تأتي هذه المصدات والهزات لكي تنبهنا وتفتح أعيننا، وتلفت نظرنا، لننتبه ونخرج من الغفلة، وهذا من فضل الله (سبحانه وتعالى) علينا، فترون كيف أن المصيبة تتحول إلى رافد، وإلى عنصر التفات وانتباه وصحوة في المواقف بالنسبة لنا، وهذه نعمة عظيمة، لذلك بهذا الابتلاء ينعش الله (سبحانه وتعالى) الذاكرة ويعيدنا إلى فطرتنا، وينبهنا لتكون عندنا صحوة ضمير من الغفلة التي نحن فيها.

تلوث الفطرة السليمة بالفكر المنحرف

لاحظوا هذه الرواية الجميلة عن إمامنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الشأن، في بحار الأنوار الجزء الثالث الصفحة الحادية والأربعين، قال رجل للصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو»، ما هو الله، دلني عليه فقد تهت وضعت؟ انظر كيف تصل الأمور بالإنسان، لا يعرف الله، جاء متحيرا، «دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني»، أتى أهل الجدل والباطل بأدلة وتكلموا وحيروني وضيعوني، وهؤلاء هم المرجفون، والمرجف هو الإنسان الذي يثير الشبهات، والذي يهدم الفكرة لديك، فهناك إرهابي بيده (TNT) أو متفجرات ويضعها في مكان ويفجر ويهدّ بناية أو يذبح الناس، وهناك شخص إرهابي مفخخ ولكن بتفخيخ فكري وليس تفخيخ (TNT)، فيأتي ويجلس معك ويبدأ يتكلم ويربط هذا الشيء بذاك وهذه بتلك ويثير لك إشكاليات ويجعلك تشك بكل معتقداتك، ويتكلم بطريقة لطيفة: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[٢٠١]، في وصف المنافقين، فعندما يتكلمون تنبهر بهم وتعجب من هذا الكلام والتنسيق اللطيف، ويسوق أفكارًا تبدو كلها منطقية ومقنعة ويشكك بدينك وعقيدتك.

في هذه الأيام هناك فكر عند بعض شبابنا النخبوي؛ لنذهب ونقرأ الكتب الحداثوية، ومن منّا ضد العصرية والحداثة؟ ولكن الحداثة تعني ماذا، والتجديد يعني ماذا؟ إذا كانت الحداثة تعني أن تنسف كل العقائد وتخرج من الكتاب الذي تقرؤه أو الفكرة الحداثوية شاكًا حتى بربك ولا تعلم من هو الله، فلا نريد مثل هذه الحداثة، والحداثة التي تؤصل

٢٠١. سورة المنافقون: الآية ٤.

وتجذر وترسخ معتقداتنا ومتبنياتنا، والحداثة التي تأخذ هذه الأصالة وتقدمها بحلة عصرية جديدة، فهذه نضعها على رؤوسنا، لذلك ترون في الحكم الفقهي يقول إن كتب الضلال، أي الكتب التي تثير مثل هذه الشبهات حرام على من يقرؤها من الناس، ولا تقل لي هذه حرية الفكر، كلا، أنت حر في فكرك، ولكن الفكر المضلل الذي يريد أن يحولك إلى عبد ويقيد أفكارك ويجعلك تذهب إلى الهاوية، هذا الفكر فايروس خطير، فهل هناك شخص يقول أريد أن أجرب فيروس الإيدز لأعرف ما هو، مع أنه يقتل من يصاب به؟ وهل سيسمحون له بذلك؟. فإذا كان لا يجوز أن أجرب فيروسا للبدن، وكل عقلاء الدنيا يقولون لي إن هذا ممنوع حفاظًا عليك، فهذه صحتك ولا يحق لك أن تخاطر بها، وهذا المنع ليس خلاف الحرية، إذن لماذا يكون الفيروس الفكري حلالًا بحجة حرية الفكر؟ وما هذه المفارقة؟ وذاك الفيروس أقصاه يمرضني ويقتلني في عمر ستين أو سبعين أو ثمانين سنة، أما الفيروس الفكري فقد يذهب بي إلى شقاء أبدي؛ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾[٢٠٢]، فلماذا لا يجوز منع هذا أيضًا؟.

إذن كتب الضلال تحرم قراءتها، والناس المنحرفون الضالون يحرم أن تسمع لهم، ويقول الاستثناء الفقهي إنك إذا كنت غير محصن تحرم عليك قراءتها إلاّ للرد، وإذا كنت عالمًا تحل لك قراءتها لترى من أين يخربون عقول الشباب لترد عليها، ولكي تنتصر للسلامة الفكرية للمجتمع اقرأها وليس هناك مانع، أما إذا كنت غير عالم في هذه الجوانب ولا تملك حصانة، فعندما تقرؤها ستشوش دينك وعقيدتك ويهتز إيمانك، وهذا حرام فلا تقرب هذا الفيروس الخطير الهدام الذي يضيع عليك آخرتك ويشكك بأفكارك وبعقيدتك.

إطفاء النار أولًا

نعود للرواية؛ هذا المسكين كان قد ابتلي بهذا النوع فأصبح حائرًا، وجاء للإمام الصادق وقال له سيدي قل لي من هو الله فقد حيرني المجادلون، عبثوا بعقلي وعملوا لي غسيل دماغ، والإنسان العادي والشاب مثلنا في المجتمع، يأخذونه ويسمعونه فهمهم المنحرف لقول الله ورسوله ويؤثرون به بطريقتهم المعوجة، فيتحول إلى وحش بشري متحرك، قنبلة متحركة، ويبحث عن عدد من الناس يصلون مجتمعين ليفجر نفسه ويتقرب إلى الله بدمائهم، وهذه آفة خطيرة، فالذي يغذي هذا الإنسان بالفكر المنحرف

٢٠٢. سورة البقرة: الآية ١٦٢.

هو أخطر من الإرهابي الذي يفجر نفسه هنا وهناك، لأن الإرهابي واحد أما ذاك المُنظّر فيصنع إرهابيين.

لقد لاحظتم أن توجيهات المرجعية الدينية في هذه الجمعة كانت تركز على هذا الجانب، فنحن تركنا النار المستعرة، نار التطرف والفكر المتطرف، وانشغلنا بمعالجة المصابين، وما دامت النار مستعرة فكل ساعة سيسقط واحد فيها، وستظل العمر كله تعالج الناس ولا تصل إلى نهاية، فأطفئوا النار لكيلا يكون هناك مصابون، والفكر المتطرف يُدّرس في الجامعات وفي المعاهد في مساحات واسعة في العالم الإسلامي، ونقول لنقتل هذا لأنه أصبح إرهابيًا، فكم نقتل من البشر؟ وكم سنواجه من مثل هؤلاء؟ فمهما قتلت منهم صنعوا لك آخرين، فإن قتلت ألفًا جاؤوك بألفين، وكم ستعطي من الضحايا والشهداء لتقتلهم؟.. وهذا عمل لا ينتهي.

ما دامت النار مستعرة فالمشكلة قائمة، مهما عالجنا من المصابين، فإما أن تطفئ النار وتعالج أو تبقى النار مستعرة وتبقى تعالج العمر كله ولا تنتهي، فالحكمة تقول أطفئ النار وعالج المصاب؛ أوقف التطرف والإساءة للإنسان.

«فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني»، الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى أن هذا رجل بسيط، وعندما يتكلم بأدلة فلسفية وعقلية على الله فقد يصاب أكثر ولا يستوعب، فأراد أن يحاكي فطرته وينعشها، أراد أن يبيض فطرته السوداء، فانظر كيف تعامل الإمام وأثبت له وجود الله من غير أدلة فلسفية؛ قال له: «يا هذا هل ركبت سفينة قط؟»، هل صادف أن ركبت سفينة، «قال: نعم ركبت سفينة وذهبت إلى البحر»، وطبعا الجزيرة العربية محاطة بالبحار، «قال: فهل كُسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟»، هل صادف أن ركبت سفينة وكُسرت بك ولا سفينة لتنقذك ولا الشاطئ قريب لتذهب سباحة وتنقذ نفسك، هل صادفت هذا الموقف؟ ونفس هذا السؤال دليل على أن الله (سبحانه وتعالى) أرى الإمام الصادق (سلام الله عليه) حقيقة في هذا الرجل وقضية قديمة حدثت له، وليس سؤالًا فرضيًا خرج هكذا، كلا، فالإمام بعلمه وبفضل الله عليه انكشف له أن هذا ممن حصلت له هذه المشكلة، فأراد أن يوظف الحادث لإثبات وجود الله، «قال: نعم»، بالفعل كنت مسافرًا وانكسرت السفينة بنصف البحر وليس هناك سفينة قريبة ولا نستطيع أن نسبح، فبقينا في حيرة من أمرنا، «قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر أن يخلصك من ورطتك؟»، وأنت في البحر وليس هناك سفينة ولا تستطيع أن تسبح وحائر بنفسك، بتلك اللحظة هل جاء ببالك شيء يستطيع أن ينجيك ويخلصك من هذه الورطة؟ «قال: نعم»، بتلك اللحظة ذهب

ذهني وفكري إلى وجود يستطيع أن يخلصني من هذه الورطة، شيء ما وشخص ما يأتي وينقذني، «قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: فذلك الشيء»، الذي فكرت به، الذي يأتي وينقذك من ورطتك، مهما كان تصورك عنه، ذاك الذي تصورته وأنت في قلب البحر ولا سفينة قريبة ولا تستطيع أن تسبح لتصل وتنقذ نفسك، لكنك معتقد بأن هناك شيئًا يستطيع إنقاذك، هذا الشيء هو الله، «فذلك الشيء هو الله، القادر على الإنجاء حيث لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»[٢٠٣]، في المكان الذي يعجز فيه الجميع، ولا منجي ولا مغيث غير الله.

حين يقول الطبيب إننا لا نستطيع بالطب أن نقدم لهذا المريض شيئًا، ولم يبق إلاّ رحمة الله، في هذه اللحظة، لا حل إلاّ الله، فالله يمكن أن ينقذه، وهناك الكثير من القصص عن أناس لم يكن لهم حل بالأسباب الطبيعية، لكن الله (سبحانه وتعالى) حلها بطريقته، الله وحده.

جميع الأسباب بيد الله ولا قوة إلاّ به

نعود لاستكمال الآية: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٠٤]، يغفلون ويفشلون في الامتحان ولا يتوجهون إلى الله، وفي الشدائد تصيبهم حالة الإحباط واليأس، وحين تقبل عليهم النعم يعتقدون أنهم بلغوا ذلك بعلمهم وتدبيرهم، ولا يقولون إنها من الله ويشكرونه، ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢٠٥]: لا تعتقد أن قول أهل هذا الزمان نحن عملنا ونحن نجحنا وغير ذلك، يختلف عن قول الأمم السابقة؛ فقد كان هناك أناس أعطاهم الله فما شكروا، ونسوا فضل الله ونسبوا ذلك لأنفسهم، مثل عاد وثمود وقوم صالح وقوم سبأ وقارون، والقرآن مليء بقصص الأمم السابقة التي كانت من هذا النوع، إذ جاءتهم النعم فقالوا نحن عملنا ذلك بقوتنا.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: الأمم السابقة، ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، لكن في لحظة الحقيقة كل هؤلاء اكتشفوا أنهم لا يملكون شيئًا، ولا يستطيعون أن يقفوا أمام العواصف التي تأتي. شخص بنى ناطحة سحاب من سبعين طابقًا، وعندما تكون في الطابق السبعين تكون الغيوم تحتك، فيقول أنجزت هذا بعلمي وخبرتي، فقد درست الهندسة الفلانية، فتأتي تسونامي وخلال ثوانٍ تكنس كل ذلك، وتكنس

٢٠٣. بحار الأنوار ٣: ٤١ ح١٦.
٢٠٤. سورة الزمر: الآية ٤٩.
٢٠٥. سورة الزمر: الآية ٥٠.

السيارات والبشر والحجر وكل شيء، فأين أنت وأين أصبحت؟ فحين يأتي أمر الله يتغير كل شيء.

لاحظوا هذه الآية في سورة القصص بشأن قارون، الآية الحادية والثمانين، وكان قارون كثير التبختر ولديه نرجسية، ففي ذلك الزمان الذي يسود فيه الفقر، كان قارون يملك في بيته مخازن كاملة من الذهب والفضة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرض﴾، جاء الزلزال وفتحت الأرض وأخذته هو وداره وذهبه وكل شيء وابتلعته الأرض، ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ﴾، من جماعة وأنصار وجنود وخدم وحشم، ومن كل هذه الجيوش من الناس الذين كانوا يتملقون له، ما كان له من أحد استطاع عمل شيء، وفتحت الأرض وابتلعته هو وبيته وهم ينظرون إليه، ورأينا في زماننا صدام وحزب البعث بكل تلك السطوة وسنوات الحكم، كيف انتهى كل شيء بطرقة واحدة، وأخرجوه من تلك الحفرة، ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾، لم يستطع إنقاذ نفسه ولا أحد استطاع أن ينقذه، حين جاءه عذاب الله (سبحانه وتعالى).

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: الأمم السابقة، الذين تبختروا أيضًا وقالوا نحن فعلنا ونجحنا بعلمنا وتدبيرنا، أصابهم جزاء ما كسبوا من الأفعال السيئة.

في الآية شاهد آخر على الفعل السيئ والعمل القبيح للظالم: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾: ذاك في الأمم السابقة، والذين يظلمون من هذه الأمم، من مشركي مكة ومن يظلم في كل زمان، وتمتد إلى زماننا، فهذا خطاب لكل ظالم وكل من يعتدي وكل من يسيء للآخرين أو يظلم نفسه بالمعصية والذنوب، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)، سيرون نتائج أعمالهم القبيحة والسيئة.

وفي الآية شاهد ثالث: ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم، وسيأتيهم العذاب ويذوقون نتيجة أعمالهم السيئة والقبيحة، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[٢٠٦]، هؤلاء الذين يقولون نحن بعلمنا عملنا وحققنا أجابهم الله؛ فالجواب الأول الشواهد التأريخية؛ انظروا إلى الأمم السابقة وقارون ماذا فعلنا بهم لكي لا يفكر أحد منكم بهذا، والجواب الثاني دليل عقلي في هذا المقطع من الآية، لا تعتمد على نفسك، ولا تقل أنا فعلت، نعم يجب أن تكافح وتجاهد وتبذل جهدا، ولكن لا تتصور أن النصر منك، بل النصر من الله، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، ألا تعلمون أن الله يوسع الرزق ويضيق الرزق لمن يشاء وكما يريد.

---

٢٠٦. سورة الزمر: الآية ٥٢.

اليوم في مجتمعنا ترى عقولًا علمية كبيرة، وأصحاب اختصاصات مرموقة، مثلًا، ترى بروفيسورًا بالاقتصاد، ولكنه فقير يكدح ليحصل على الكفاف، وفي المقابل، تجد شخصًا لم يدرس ولا يعرف كيف يكتب اسمه، ومع ذلك لديه ممتلكات لا يستطيع أن يحسبها، وهو لم يدرس الاقتصاد وليس لديه علم يذكر، وقد كنت أقرأ تقريرًا قبل فترة يقول إن ثمانية عشر من أكبر ملياردیرات العالم أميون، لا يقرؤون ولا يكتبون، فكيف تفسر هذا؟ هل بعلمك عملت؟ لماذا هناك عالم لا يملك وجاهل يملك كل شيء؟. إن الله (سبحانه وتعالى) يجعل أناسًا كهؤلاء ليكونوا عبرة لغيرهم من البشر؛ أن اذهب واعمل واتعب ولا تجلس في بيتك داعيًا اللهم ارزقني، بل يجب أن تعمل وتبذل جهدا، ولكن عندما تعمل وتأتيك النعمة قل هذا من فضل ربي، وإذا لم تأتك ولم يعطك الله فقل إلهي لا بُدَّ من أن هناك حكمة، وأنا سأظل أعمل وأنت تقدر المصلحة.

هناك من يملك العلم والخبرة ولكن رزقه قليل، وآخر ليس لديه علم ولا فهم، ولكنه واسع الرزق وأينما يتوجه تنفتح في وجهه أبواب الرزق، فالله (سبحانه وتعالى) يقدر له ليكون عبرة لنا جميعًا، فالرزق بيد الله. هناك شخص عنده احترازات صحية؛ هذا غير معقم وذاك غير نظيف وغير ذلك، ولكنه يذهب إلى المختبر وإذا به خمسون علة، وكل شيء فيه غير منتظم، إذن أين الوضع الصحي والدقة الفلانية، وتجد شخصًا آخر لا يفكر بشيء من الاحترازات الصحية، فيأكل ويشرب ولا يفكر بهذه القصص، وحين يذهب إلى المختبر تأتي النتيجة أنه سالم من كل مرض، وهذا عبرة لنا، وأعود وأقول ليس معنى هذا ألاّ نهتم، فمراعاة الأسباب الطبيعية شيء مهم، ولكن أن تقول هذه الأسباب ولا أحتاج غيرها؛ أراعي الأسباب الطبية فلا أمرض وأجعل عمري مئة وعشرين سنة، فهذا غير صحيح، فليس العمر بيدي ولا بيدك، وهناك من خطط وجلس في الظل وإذا به يواجه قصة لا على البال ولا على الخاطر، وهناك من هو في قلب الجبهات والقنابل عن يمينه ويساره، وهو يقول يا إلهي ارزقني الشهادة، ولكنه يذهب ويعود ولا يستشهد، ولم تبق جبهة لم يذهب إليها، والله أعطاه حياة ثانية، وكيفما تكون يخرج سالما منها، والله يريد أن يضع كل هذه الأمثلة عبرة، ويقول يا إنسان لا تغتر ولا تتصور أن الأمور بيدك، فكل شيء بيدي، هكذا يقول لنا الله (سبحانه وتعالى).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيات﴾: إنذار وإشارة، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، المؤمن يستفيد من هذه العبر، فإن جاءته النعمة شكر الله، وإذا لم تأت سأل الله ورضي بقدره، تكون هذه القدرة للمؤمنين. قال أمير المؤمنين: «عرفت الله بفسخ العزائم»: عرفت الله حين رأيت نفسي أقرر شيئا ثم يتبعثر كل شيء، ولا أعلم كيف.

هناك من ظهر اسمه بقرعة الحج وانتهى من توظيب أشيائه كلها، وسجل في القافلة وغدا السفر، وودع عائلته ليذهب فعثر وكُسرت رجله وقعد، وشخص آخر لم يكن على باله ولم يخطط ولم يدفع أموالا، وإذا بشخص يدق بابه ويقول له أتذهب للحج؟ كيف حدثت لا نعلم، فالله رتبها، «عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود»[٢٠٧]، قد يتم الاتفاق على قضية وينتهي كل شيء، وإذا بها تتبعثر وتذهب، وعمل آخر ليس في البال يتم على أكمل وأفضل وجه، وكل هذا من تدبير الله. أقرر شيئًا وأهم بشيء ولا يحدث، فالله لا يريد ذلك ولم يقرره، وإذا بفرصة تترتب وتحدث، وكل هذه العناوين ليست فرضيات، فكل واحد منكم حين يعود لحياته الشخصية وعلاقاته الخاصة، والذي رآه بعينه، سيجد مصاديق لهذه الأمور، فلله الحجة البالغة التي يقيمها على عباده، فنرى الأشياء أمام العين فيعتبر المؤمن: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: المؤمن يعتبر ويستفيد، ويعود إلى الله (سبحانه وتعالى) دائمًا، وغير المؤمن يرى كل هذه الأشياء ولكنه في غفلة ولا يلتفت إليها ولا يصحو ضميره، فيظل في اتجاهاته الخاطئة ويرى أنه الذي عمل بقدراته الشخصية.

نسأل الله أن يبعدنا عن الأنانية والنرجسية، وأن نعمل ونعتقد بأن ما يتحقق هو بفضل من الله (سبحانه وتعالى)، وللحديث صلة تأتي تباعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٠٧. نهج البلاغة ٤: ٥٤ الحكمة ٢٥٠.

الأمسية الرمضانية الخامسة عشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وألاّ نكون من المحرومين.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين السجاد (صلوات الله وسلامه عليه)، وكنّا نتحدث في الحق السابع من هذه الحقوق، وهو حق اليد، وذكرنا أن من أهم الآثار المترتبة على اليد هو الظلم، واستعرضنا أحد عشر أثرًا من آثار الظلم.

الأثر الثاني عشر / زوال النعمة

الله تعالى يأخذ من الظالم النعمة؛ في سورة القلم، الآية السابعة عشرة وما بعدها: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهم﴾، الحديث عن أهل مكة، بلوناهم بالجوع والفقر والقحط الذي أصابهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، الجنة في اللغة تعني البستان، وهنا يقول سبحانه إن ابتلاءنا لأهل مكة كما أُبتلي اصحاب البستان، وهذا يعني أنها كانت قصة شائعة ومعروفة لأهل مكة، وهذا البلاء يشبه بلاء أهل البستان، إذ يقال كان هناك بستان كبير عامر بأنواع الثمار، وعلى أوضح الروايات والعبارات كان في اليمن في ضواحي صنعاء، وهناك

من المفسرين من ذكر أنه في مواقع أخرى، وكان هذا البستان مملوكا لشيخ كبير في السن وكان رجلًا صالحًا مؤمنًا، فكان يأخذ من ثمار هذا البستان بمقدار ما يحتاج إلى عائلته وأولاده والباقي يوزعه بين الفقراء والمحتاجين والمساكين، وكان هناك فقراء في المنطقة يعيشون على بستان هذا الرجل الصالح، وحينما يحين موسم قطاف الثمار يأتي هؤلاء ويأخذون من ثمار البستان بدعوة من هذا الرجل الصالح، واستمرت هذه القضية سنين عديدة، إلى أن توفي هذا الرجل الغني الصالح المؤمن، ولكن أولاده لم يكونوا مثله، فأخذوا يحدثون أنفسهم بعدم إعطاء شيء من الثمار للفقراء والمساكين وأرادوها لأنفسهم فقط.

لا يحق للأغنياء احتكار النعمة

تارة لا يعطي الإنسان من أمواله أو خيراته لحاجته وحاجة عائلته لأنها لا تكفي، وهذا أمر مقبول، إذ يجب تحقيق الحد الأدنى من الاكتفاء للعائلة والباقي للآخرين، ولكن أجواء الآيات تشير إلى أن هذه الثمار تفيض عن حاجتهم، ولكن لمرض في نفوس هؤلاء قالوا إنهم لن يعطوا الفقراء منها، وهذه نفسية معينة مريضة، فأحيانًا ترى فقيرًا إمكاناته محدودة ولكنه يقتطع من خيراته ويعطيها للفقراء، وأحيانًا ترى غنيًا ولكن عينه على الفقير، ولا يُخرج من ماله إلاّ بشق الأنفس، وهذه حالة مرضية نفسية، وهؤلاء من هذا النوع بخلاف أبيهم الذي كان جوادًا كريمًا يرى أن الدنيا لا تستحق الحرص الشديد، ويشارك الفقراء قوته وخيره، ولكن الأولاد أيديهم مقبوضة ولا يريدون أن يعطوا الفقراء وبطريقة عدوانية.

﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: نبلوكم يا أهل مكة مثل بلائنا لأصحاب البستان، يعني بعد وفاة أبيهم، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾، أي يقطفونها، ﴿مُصْبِحِينَ﴾، نقتطف الثمار منذ الصباح الباكر، ﴿ولا يستثنون﴾، والله لن نسمح لفقير بأن يشم رائحة الفاكهة ولن نعطيه شيئا، لقد أقسموا ألاّ يعطوا شيئا من الثمار للفقير، وهذا القسم يعني أنها ليست قضية حاجة بل حالة نفسية روحية، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، صباحا نقتطف الثمار ولا نعطي شيئا للفقراء، والله تعالى عرف أن هؤلاء أنانيون واحتكاريون، يريدون نعمة الله لأنفسهم فقط، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، ناموا بعد أن خططوا كيف يخرجون ويأخذون حاجتهم من الثمار ويبيعون الباقي ويأخذون الأموال، وإذا بصاعقة تأتي وتحرق البستان من أوله لآخره، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، صاعقة نار من رب العالمين، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾، لون البستان

أصبح أسود كالليل المظلم، وترون المزارعين حينما يحرثون لزراعة الحنطة يحرقون الأرض فتصبح سوداء تمامًا، وفي هذا البستان احترقت الفواكه والنخيل والأشجار وأصبحت كالليل المظلم.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: منذ الصباح هبوا ينادي أحدهم الآخر، ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾، إذا كنتم تريدون قطف الثمار فهبوا وقوموا نذهب للبستان، ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾، يهمس بعضهم بإذن بعض خوفا من أن يسمع الفقراء ويلحقوا بهم، وكان الأب يصيح عاليًا حتى يسمع الفقراء ويلحقوا به من أجل الحصول على ثمار البستان، أما أولاده فهم يتهامسون بينهم بصوت خافت لكي لا يسمعهم الفقراء ويلحقوا بهم!. ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾، احذروا أن يدخل مسكين واحد، فكلها لنا ولن نعطي منها شيئًا للفقراء، ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾، ذهبوا لكي يقطفوا ولكن على حرد، أي على غضب وشدة على أي مسكين، وهذا شاهد آخر على أنها قضية غير بريئة، فهم لا يريدون أن يعطوا فقيرًا، وهذه قضية مفهومة، فلماذا المنع بشدة وغضب؟ لماذا تحارب المسكين وتغضب عليه وتنتقم منه؟. البعض لا يكتفي بعدم إعطاء الفقير، وإنما يذله ويسيء إليه، فلا يعطي ولا يحترم، فلماذا تقريع الفقير وسبه وشتمه؟. فحرد منع بغضب وشدة وإساءة وإذلال، هكذا تعامل هؤلاء مع الفقير.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾: حين وصلوا إلى البستان لم يعرفوه، وقالوا إن هذا ليس بستاننا، فأين نخيلنا وأشجارنا، أين الجنة؟.. لم يبق شيء منها، ولكن أخيرًا تيقنوا أن هذا هو بستانهم، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، هنا فتحوا أعينهم؛ أردنا أن نحرم الفقراء والمساكين ولكننا أصبحنا محرومين، والله تعالى أخذ النعمة منا، هذا عذاب رب العالمين، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أرجحهم عقلا، ﴿أَلَمْ أقل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، ألم أقل لا تتصرفوا بهذه الطريقة، وخافوا رب العالمين واذكروا الله تعالى؟ والعمل الصالح جذوره بذكر الله وتسبيحه، إذن كان من هؤلاء الإخوة ولد صالح لم يقبل بتصرفات إخوته وتكلم معهم، ولكنهم لم يسمعوا كلامه وحينما وقع الفأس بالرأس ذكّرهم بنصائحه، وهذه هي النتيجة، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، لقد ظلمنا أنفسنا حينما منعنا الفقراء والمساكين من فائض حاجتنا.

أداء الحقوق ينمي النعمة

هناك من لا يخمّس ولا يزكّي، وهذا أمر غير صحيح، فالفائض يجب أن يخمّسه وإلا يصبح مالًا حرامًا ويختلط مع ماله الحلال، فيجمع المال الحلال والحرام، ولكن الله في لحظة واحدة يذهب ما جمعه خلال سنين، والله يجعل البركة والنمو في الصدقة، فيزيد المال ولا ينقص، فادفع الحق الشرعي وسوف يزيد المال، إما زيادة مادية أو يدفع عنك البلاء، فالله يجعل البركة في المال الحلال.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾: وهذا حال الدنيا دائمًا؛ فحينما يكون هناك إنجاز، فكل واحد يعزوه لنفسه، وفي الإخفاق كل واحد يرميه على الآخر ويلوم بعضهم بعضا، والفعل الخاطىء نتاج شخص يطرح فكرة، وآخر يخطط لها، وثالث ينفذها، وآخر يرضى وآخر يسكت، والنتيجة أنهم كلهم شركاء، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾، لسنا ظالمين فقط، وإنما نحن طاغون، والطغيان أكبر من الظلم، فالظالم يقبل أن تكون هناك ضوابط وأسس ولكنه يتجاوزها، أما الطاغية فلا يقبل بالقانون والضوابط أصلًا ويتجاهل الشعب والأمة والثوابت، وهؤلاء اعترفوا بظلمهم وأصبحت لديهم صحوة ضمير، ﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾، قاموا بالاعتذار لرب العالمين، ووعدوا بعدم تكرار منع الفقراء والمساكين، إذ حدثت لديهم صحوة ضمير، وما أجمل هذه الصحوة، وأن ينتبه الإنسان مهما توغل في الرذيلة والذنب والمعصية، حينما ينتبه في أي لحظة وتكون عنده شجاعة للطاعة ويغير مساره ويصحح مواقفه ويرجع عن ذنبه. هذه هي لحظة يقظة الضمير والعودة إلى الله تعالى، وأن نكون عبادًا مخلصين لله تعالى، وهي لحظة تأريخية.

صحوة الضمير والعودة إلى الله

ورد في بحار الأنوار: عن أبي حمزة الثمالي – وفي شهر رمضان نأنس بدعاء أبي حمزة الثمالي، وهو دعاء عالي المضامين – عن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن رجلا ركب البحر بأهله فكُسر بهم، فلم ينجُ ممن ركب السفينة إلا أمرأته فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجئت إلى جزيرة من جزر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلاّ انتهكها، فلم يعلم إلاّ والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسية أم جنية؟ فقالت: إنسية، فلم يكلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما أن همّ بها اضطربت، فقال لها: ما لك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا، وأومأت بيدها إلى السماء، قال: فصنعت من هذا شيئًا؟ قالت:

لا وعزته، قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئًا، وإنما استكرهتك استكراها، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف»، وهذا الذي تشير إليه سورة الحديد، الآية السادسة عشرة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، أرجع إلى طاعة الله وأتخلى عن المعصية والذنوب، فمهما كان الإنسان في بؤرة الرذيلة لا يقل لا ينفع الندم، فهذه من وساوس الشيطان، لأن باب التوبة مفتوح دائمًا.

إن هذا الرجل مع كل تأريخه الأسود، حينما رأى هذه المرأة الطاهرة الشريفة وكيفية خوفها من الله، قال أنا أحق بالخوف والوجل من الله، «قال: فقام ولم يحدث شيئا ورجع إلى أهله وليس له همة إلاّ التوبة والمراجعة»، إلهي أريد أن أرجع إلى طريق الطاعة وأصلح أمري، وأن أكون عبدًا من عبادك الصالحين، وأتخلى عن المعاصي والذنوب، «فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب ادعُ الله يظلنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب ما أعلم أن لي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئًا»، ليس عندي حسنة واحدة في هذه الدنيا أو عمل صالح، فبأيّ وجه أطلب من الله شيئًا، «قال: فأدعو أنا وتؤمن أنت؟ قال: نعم، فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها مليًا من النهار ثم تفرقت الجادة جادتين»، وصلا إلى مفترق طرق، ويجب على كل واحد منهما أن يمشي في طريق.

«فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فإذا السحابة مع الشاب»، وهذا يعني أن الله تعالى استجاب دعاء الشاب ولم يستجب دعاء الراهب، «فقال الراهب: أنت خير مني، لك استجيب ولم يُستجب لي»، قرر الشاب التوبة فقط ولم يعمل عملاً صالحًا، ولكن الله تعالى استجاب دعوته وأصبح أفضل من الراهب، «فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة»، إذ أمسك نفسه في أجواء المعصية وهذه كبيرة عند الله تعالى، «فقال: غفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف»، في اللحظة التي استشعرت فيها مخافة الله ورجعت للطاعة، في تلك اللحظة مسح الله ذنوبك، «فانظر كيف تكون في ما تستقبل »[٢٠٨]، أنت الآن طاهر ونقي، فانظر كيف تتعامل وتتصرف في الأيام القادمة. إن لحظة يقظة الضمير والعودة إلى الله تعالى، ولحظة القرار في أن نكون عبادا مخلصين لله تعالى لحظة تأريخية.

٢٠٨. بحار الأنوار ٦٧: ٣٦١ ح٦.

انتقام الله الشديد

﴿ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾، إذا قدرت لنا بستانًا آخر وثروة فسنأخذ حاجتنا والباقي نوزعه بين الفقراء والمساكين، ﴿ إِنَّا إِلى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، إلهي إنا راغبون إليك مقبلون عليك في هذه الليالي الشريفة، فتقبل منا وارحمنا وتب علينا، ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾، هكذا كان عذاب الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أكبر لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، إذا كان هذا هو حال من ظلم فقيرًا، فكيف سيكون حال الذي يظلم أمة من الناس ويظلم شعبًا ويساعد الإرهابي على أن يفخخ نفسه ويفجر الناس في كل مكان، وهذه الدول التي تصنع أسلحة دمار شامل، أولئك الذين يتسببون بقتل الآلاف من الناس، بماذا سيجيبون ربهم وكيف سترتد عليهم؟ وإذا كان عقاب حرمان المساكين من فاكهة بستان أن أحرق البستان، فكيف بمن يحمل نوايا الإساءة لشعب والتضييق على أمم ودعم الإرهاب؟ ومن استغل النفوذ والسلطة لمصالح خاصة؟ كيف هو حجم العذاب في الدنيا؟.

هل يُضيع الله دماء الشهداء، الكبار والصغار، وهل تعبر هذه المظلومية بدون عقاب؟ حاشا لله ألاّ ينتقم لكل قطرة دم بريء أريقت على هذه الأرض، فانتظروا وترقبوا عذاب الله لكل من تورط بدماء شعبنا، وكل من سرق فلسًا من أموال هذا الشعب وغادر، سوف ينتقم منه الله تعالى، وداعش الإرهاب وداعش الفساد، سينتقم الله تعالى منهما ويعيد لهذا الشعب كرامته وعزته، فهنيئا لكم يا شعب العراق هذه الدماء عزة وكرامة وشموخًا، وهذه الدماء حضور وتأثير ومبادرة، وهذا ما تجدونه يومًا بعد يوم، فالعراق وشعبه يصبحان أقوى والإرهاب يضعف، وفي هذه الأيام بدأت عمليات مهمة، نسأل الله تعالى أن يكللها بالتوفيق والنجاح، وأن يعيد كيد أعدائنا إلى نحورهم، ونسأل الله أن ينصر إخواننا المجاهدين الأبطال من أبناء الحشد الشعبي والجيش والشرطة والعشائر والبيشمركة وكل من يقاتل اليوم دفاعًا عن العقيدة والوطن.

ونذكر رواية في العلاقة بين المعصية وقطع الرزق؛ كيف يحرم الذنب الإنسان من الرزق، عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الرجل ليذنب الذنب فيُدرأ (يُقطع) عنه الرزق وتلا هذه الآية: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾»[٢٠٩]. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ويبعدنا عن معصيته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٠٩. الكافي ٢: ٢٧٠ ح٨.

الأمسية الرمضانية السادسة عشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وألاّ نكون من المحرومين.

أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه. نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعل هذه الليالي الشريفة، الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان، ليالي رحمة ومغفرة ونصر وظفر لشعبنا وأبناء أمتنا.

يوم القدس العالمي

اعتدنا أن نخصص ليلة آخر جمعة من شهر رمضان المبارك للاحتفاء بيوم القدس، هذه السُنّة الحسنة والكريمة التي دعا إليها الإمام الخميني (قده)، حينما اعتبر الجمعة الأخيرة من شهر رمضان يومًا عالميًا للاحتفاء بالقدس، وما أجمل هذه الالتفاتة، فقضية القدس وفلسطين، هي القضية المركزية للمسلمين مهما انشغلنا في ساحاتنا بتحديات وأعداء وخصوم وإشكالات، ولكن علينا ألاّ ننسى فلسطين ولا نغفل عن القدس، لأن المعركة في فلسطين معركة على الهوية، فالهوية الإسلامية مستهدفة، والقدس هويتنا، والقدس ترمز إلى إسلامنا، واُستهدفت لهذه الهوية، فعلينا أن نحافظ عليها وأن نهتم بإحياء يومها على الدوام.

إن إحياء يوم عالمي للقدس لكي نكرس ونرسخ هذه المركزية، ولكي لا ننسى فلسطين، فقضية فلسطين ليست قضية فلسطينية، وإنما هي قضية إسلامية، تعمنا جميعا وعلينا أن نهتم بها ونرعاها. وهناك من جاء وأراد أن يصور أن فلسطين أرض بلا شعب، وهو شعب بلا أرض، فمن حقه أن يسكن هذه الأرض وأن يحتكرها لنفسه، هكذا أرادوا أن يصوروا، ونعرف أن هناك منذ أكثر من نصف قرن عملية ممنهجة تُنفق فيها إنفاقات هائلة وتغطى بغطاءات دولية كبيرة، من أجل تغيير الواقع من حال إلى حال، وأصبح الشعب الفلسطيني شعبًا مشردًا في كل صوب وحدب، وهناك من جاء واحتل هذه الأرض وغصبها ويدّعي الشرعية لنفسه في هذه الخطوات، ويوم القدس العالمي من أجل أن نتضامن ومن أجل أن نواسي ومن أجل أن نرفع صوتنا بالاعتراض والتنديد والاستنكار، لغصب أرض من أراضي المسلمين بهذه الطريقة وعلى مرأى ومسمع من العالم.

إن يوم القدس العالمي يرمز لمواجهة كل مستكبر ومعتد، وكل غاصب ومتجاوز على حرمات المسلمين، إنه يوم نجدد فيه موقفنا الواضح تجاه جميع المتجاوزين، إنه يوم المظلوم في مقابل الظالم، إنه يوم نرفع فيه شعار العدالة أمام كل من يعتدي ويتجاوز على حرماتنا وشعوبنا وأمتنا وأراضينا، إن يوم القدس العالمي صرخة بوجه كل من يعمل على تطبيع العلاقة مع الكيان الصهيوني من دول ومنظمات وجماعات، والغريب أن الكثير من هذه العناوين تقيم هذه العلاقة في السر، مما يعني أنها تدرك أنها خلاف مصالح المسلمين، وتشعرها بالإحراج أمام الرأي العام الإسلامي، فتقيمها في السر، وهذا دليل على صدقية ما نقول؛ إن هذا التطبيع وهذه المصالح وهذه العلاقات من دول ومنظمات وجماعات هي التي تُطمع الكيان الصهيوني في الإسفاف والتمدد والتجاوز، حتى أصبح اليوم يتحدث عن تهويد كامل القدس، فحتى القدس الشرقية يريد أن يهودها ويضع اليد عليها، ويستغل بشكل بشع الظروف الاستثنائية التي تمر بها المنطقة.

بين الكيان الصهيوني والإرهاب

هل بإمكاننا أن نميز ونفصل بين الكيان الصهيوني وداعش وهذه المجموعات الإرهابية في العلم الجنائي؟. حينما تحصل جريمة فإن أول سؤال يسأله المحقق هو من المستفيد، وهذا المجني عليه هل لديه عدو وخصم؟ وفي مصلحة مَنْ صبت هذه الخطوة والجريمة ومن المستفيد منها؟ فأصابع الاتهام تتوجه نحو المستفيد بالدرجة الأساسية.

إن السؤال الذي نطرحه اليوم هو مَن المستفيد من هذا التفكك والفتن الطائفية والذبح والقتل على الهوية والصراعات والخصومات، وهذا الاستنزاف الكبير لدول عربية وإسلامية بالشكل الذي نراه في العراق وسوريا واليمن والبحرين وليبيا ومصر وتونس؟.. من المستفيد من كل هذا التفكك والصراعات؟ وهل تجدون في المنطقة أحدًا يستفيد بقدر ما يستفيد الكيان الصهيوني؟ وهذا مؤشر إلى أن الكيان الصهيوني متورط بشكل مباشر كما تشير إليه بعض التقارير أو بوسائط في إذكاء هذا الصراع أو في تغذيته، وإلّا ماذا يعني ما بثته القناة الثانية الإسرائيلية من أن الكيان الصهيوني يعالج مجانًا الآلاف من المعارضة السورية في مستشفياته؟. إن هذه المعارضة طالما جاهرت بالعداء لإسرائيل، فما الذي يجعلها تذهب وتعالج جرحاها في مستشفيات إسرائيلية، وما الذي حول إسرائيل إلى منظمة خيرية تقدم هذه المساعدات المجانية في معالجة هؤلاء الجرحى، ليتم تطبيبهم وإعادتهم إلى ساحة المعركة؟. القضية مفضوحة وواضحة.

إن يوم القدس العالمي هو يوم نقف فيه ونستذكر كل هذه المؤامرات التي تحاك بالضد من أمتنا العربية والإسلامية، لنتخذ المواقف الصحيحة منها. إنه يوم نستذكر فيه دور الأمم المتحدة والمنظمات الإسلامية والعربية، في تحمل مسؤولياتها الكاملة تجاه الحقوق العادلة للشعب الفلسطيني. يوم يمثل وقفة مع هذا الشعب المظلوم، فهناك قرارات أممية وقرارات في مجلس الأمن تُجرد من مضمونها ولا يُعمل بها من قبل إسرائيل ولا أحد يتحدث، والعملية الممنهجة لوضع اليد على كل شيء يرتبط بفلسطين تتم في ظل صمت عالمي مطبق، فأي ظلم أكثر من ذلك؟ وأي حقوق إنسان يرفع شعارها ويجري الحديث عنها هنا أو هناك؟. هناك علاقة بين الكيان الصهيوني وداعش، والذي يريد أن يواجه الكيان الصهيوني عليه أن يواجه الدواعش، لأنهم الأدوات التي بها يطبق المشروع الصهيوني في المنطقة، ويجب أن نكون صارمين وحازمين وواضحين في هذه القضية.

موقف مراجعنا من قضية فلسطين

يوم القدس العالمي يوم يرمز لوحدة الأمة الإسلامية ولحمتها، نتوحد ضد عدونا المشترك ونتوحد في مظلوميتنا المشتركة، نتوحد في جرحنا النازف، نتوحد في قضايانا الأساسية، يوم للوحدة والتفاهم وليس يومًا للاختلاف، ولذلك تجدون أن قضية فلسطين ومظلومية الشعب الفلسطيني والانتصار لفلسطين أخذت حيزًا كبيرًا لدى فقهائنا ومراجعنا طوال هذه الفترة؛ منذ الاحتلال الصهيوني لفلسطين وإلى يومنا الحاضر.

وهذا استعراض سريع لمواقف مراجعنا:

أولًا/ المرجع الكبير الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، شارك بنفسه في أول مؤتمر عقد بشأن القدس وفلسطين ومظلومية الشعب الفلسطيني، وليس مألوفا للمراجع أن يشاركوا في المؤتمرات، ولكنه ذهب بنفسه وشارك في هذا المؤتمر.

ثانيًا/ الإمام السيد محسن الحكيم أوفد وفدًا كبيرًا ومهمًا إلى العديد من الدول الإسلامية كتركيا وإيران وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة في عام (١٩٦٧)، وقد أرسل هذا الوفد للتشاور مع هذه البلدان الإسلامية وتشجيعها على اتخاذ مواقف واضحة تجاه فلسطين، وكان أول مرجع يفتي بجواز العمل الفدائي الاستشهادي والعسكري ضد الكيان الصهيوني نصرة للشعب الفلسطيني. وكان أول مرجع يفتي بجواز دفع الزكوات من الحقوق الشرعية لدعم ونصرة الشعب الفلسطيني في معركته العادلة ضد الكيان الصهيوني، وكان يوجه الخطابات والنداءات والرسائل المستمرة للرؤساء والزعماء والشخصيات الأممية، كالرسالة التي أطلقها للأمم المتحدة عام (١٩٤٨)، والإدانة الصريحة والواضحة للنظام الشاهنشاهي في إيران حينما اعترف بالكيان الصهيوني ورفع علم إسرائيل على الأراضي الإيرانية في طهران، وقد استدعى الإمام الحكيم السفير الإيراني في بغداد آنذاك وحمّله إدانة رسمية وواضحة للنظام الشاهنشاهي بسبب تطبيعه للعلاقة مع إسرائيل، وكان يرسل البيانات والرسائل إلى المؤتمرات الدولية والإسلامية التي تُعقد بشأن فلسطين، وكان يتبنى إقامة الاحتفالات في الانتصار للشعب الفلسطيني وتأبين شهداء فلسطين، سواء في جامع براثا في بغداد، أو في جامع الهندي في النجف الأشرف، واستقبل العديد من القيادات الفلسطينية وفي مقدمتهم الرئيس (ياسر عرفات) في النجف الأشرف.

ثالثًا/ الإمام الخوئي أفتى بجواز دفع الحقوق الشرعية لنصرة الشعب الفلسطيني، وأفتى بجواز العمل الاستشهادي للانتصار لفلسطين ولشعب فلسطين ومقارعة العدو الصهيوني، وبارك التطوع والانضمام إلى الحركات العسكرية الفلسطينية المسلحة لمواجهة الكيان الصهيوني.

رابعًا/ الإمام الخميني ومن بعده الإمام الخامنئي (دام ظله)، كانا المبادرين في رفع شعار فلسطين، وتكريس إمكانات دولة كاملة بحجم الجمهورية الإسلامية لإسناد ودعم القضية الفلسطينية، وتحملت إيران الكثير من التبعات والضغوطات الدولية جراء هذا الموقف المبدئي، ولكنها بقيت مصرة وجادة في تبنيه.

خامسًا/ الإمام الشهيد الصدر (قدس سره) أصدر العديد من البيانات والفتاوى في

وجوب نصرة أبناء الشعب الفلسطيني، وكذلك نجد فلسطين حاضرة في أدبيات الامام الشهيد الصدر في خطاباته ومحاضراته وبياناته، إذ كان يذكر فلسطين دوما ويدافع عنها، وأصدر بيانا استنكر فيه تهويد القدس الشريف حينما بدأت عملية تهويد القدس الغربية في حياته الشريفة.

سادسًا/ الإمام السيستاني (دام ظله الوارف) أفتى بتحريم بيع العقارات للصهاينة في العراق، وأصدر العديد من البيانات التي أدانت الاعتداءات الصهيونية، إن كان على مخيم جنين أو في العديد من الموارد الأخرى، وصولًا إلى الهجوم والاعتداء السافر على غزة الذي قام به الكيان الصهيوني، وكانت له إدانة لاستهداف أحمد ياسين، وأدان الاعتداء على الفلسطينيين في العراق.

وهكذا نجد قضية فلسطين في أدبيات مراجعنا العظام بشكل واضح، على مستوى الموقف الفقهي وليس موقفًا سياسيًا فقط، فالفتاوى خاضعة لاعتبارات تختلف عن الاعتبارات السياسية، هكذا تم التعامل مع فلسطين ومع القضية الفلسطينية في مجمل مواقف فقهائنا على مدار الستين عامًا المنصرمة.

القدس وبنو إسرائيل.. بحث قرآني

في هذه الليلة الشريفة، لكي نجمع بين أجواء رمضان، هذا الشهر الفضيل العظيم ولا سيما في هذه الليالي الكريمة، وهو شهر القرآن وربيع القرآن، وبين واقعة القدس وما جرى على الشعب الفلسطيني المسلم، لنقف عند مقطع قرآني يختص ببني إسرائيل والقدس، وننظر كيف يقيم القرآن الكريم بني إسرائيل وكيف يقيّم موقفهم من بيت المقدس، لاحظوا هذه الآيات الشريفة من سورة المائدة، الآية العشرين وما بعدها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ﴾: يذكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه بني إسرائيل بنعمة الله عليهم، إذ أراد أن يوقض ضميرهم ويصوّب مسيرهم ويشجعهم على تصحيح أخطائهم، فدعاهم إلى أن يذكروا نعم الله (سبحانه وتعالى) والمواهب العظيمة التي منحها لهم، وبالطبع فإن نعمة الله عنوان مطلق يشمل كل النعم الإلهية، ولكن الآيات التالية تشير إلى ثلاث نعم لبني إسرائيل بشكل خاص.

النعمة الأولى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء﴾.

دعاهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أن يتذكروا هذه النعمة من الله (سبحانه وتعالى)، فقد أرسل لهم الكثير من الأنبياء، وتذكر بعض النصوص التأريخية أنه في زمن نبي الله

موسى فقط كان هناك سبعون نبيًا من بني إسرائيل تزامنوا معه[٢١٠]، وكل هؤلاء الأنبياء جاؤوا ليحذروا بني إسرائيل ويخرجوهم من عبادة الأوثان ومن الشرك الذي وقعوا فيه ومن عبادة العجل الذي ابتُلوا به، ومن الخرافات والأوهام التي دبت في نفوسهم، ومن الظواهر السلبية والمواقف الشاذة التي كانت تمثل ملامح سلوكهم، وهذه هي النعمة المعنوية الكبرى، أي إرسال الأنبياء، وهي نعمة عظيمة، والنبي موسى يقول لقومه انتبهوا واخرجوا من غفلتكم ولاحظوا هذه النعمة الإلهية العظيمة التي منحها لكم، وهي الحجة الشرعية حينما تكون الأمة قادرة على أن تكتشف موقف السماء في كل قضية، وأن تتعرف على مصالحها من المصلحين الهداة المهديين، أنبياء وأوصياء وأئمة. نظرية الإمامة الإلهية التي نؤمن بها قائمة على أساس اللطف، ونظرية النيابة عن الإمام المعصوم في زمن الغيبة، سواء كانت (نيابة خاصة: النواب الأربعة) أو من بعدهم (النيابة العامة: المراجع)، وهؤلاء امتداد وبهم الملاذ للوصول إلى الحجة الشرعية واكتشاف الموقف المطلوب في القضايا المختلفة، هذا لطف من الله، والآية تقول: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾، فتعتبر ذلك مكسبًا ومغنمًا ومصداقًا واضحًا للنعمة الإلهية التي يتحدث عنها موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام).

النعمة الثانية: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾.

لفظ الملك فيه معنيان؛ المعنى الأول الذي يتبادر إلى أذهاننا يعني الحاكم، ولكن ليسوا كلهم حكامًا، فهناك حاكم أو اثنان أو عشرة أو عشرون، ولكن الآية لا تقول جعل فيكم ملوكًا، بل (وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا)، فكلكم يا بني إسرائيل جعلكم ملوكا، وهذا يعني أن لفظ (ملوكًا) لا يعني حكامًا، فلم يكن كل بني إسرائيل حكامًا. أما المعنى الثاني فيعني أصحاب اختيار في شأن أنفسكم وأموالكم وحياتكم، أي بعد الاستعباد الفرعوني، وبعد أن كنتم أسرى بيد الفراعنة وأتباعهم، وتعاملوا معكم بتلك الطريقة السيئة التي يتحدث عنها القرآن بالتفصيل، ولا أريد أن أفصل، بعد ذلك جعلكم الله (سبحانه وتعالى) ملوكًا، أي حرركم من الارتهان ومن الأسر ومن العبودية الفرعونية، فصرتم أحرارًا وقراركم بأيديكم وليس بأيدي الفراعنة والطغاة والظلمة، ببركة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد سنين من الاستعباد انتقلتم اليوم إلى مرحلة الحرية والكرامة، مرحلة الاعتماد على الذات، وهذه هي النعمة المادية الكبرى التي منحهم إياها؛ فالعبودية أسوأ

٢١٠. الكافي ٤: ٢١٣ ح٣، ٤: ٢١٤ ح٨.

حالة يعيشها الإنسان، حين يكون فاقد الإرادة، وفاقد السيادة، وفاقد الموقف وذليلًا، فيعيش الذل والتبعية للآخرين، فكيف إذا كان الآخر ظالمًا وطاغية كفرعون؟.

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن بني إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كُتُب ملكًا[٢١١]، أي يقال عنه إنه ملك، أي مستقل لديه قدرة وزوجة ودابة وبيت وخادم، إذن هو لا يحتاج لأحد ولا يقع تحت استعباد الفراعنة، هكذا تعبر الآية الشريفة.

النعمة الثالثة: ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ﴾: أعطاكم أشياء لم يعطها لغيركم، حينما أعانكم وساعدكم على فك الأغلال والنجاة من فرعون وأعوانه بأن فلق لكم البحر فاستطعتم أن تهربوا من فرعون وجلاوزته، وأغرق فرعون وآل فرعون، وهذه نعمة عظيمة أعطاكم إياها الله، وكذلك النعم في الطعام والشراب والمأكل، إذ أعطاكم نعمًا عظيمة تشير إليها الآية السابعة والخمسون من سورة البقرة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾، جلبنا لكم الغيوم تظلل عليكم من الحر كي لا تحرقكم الشمس، فالغيم جعلناه بخدمتكم يا بني إسرائيل، وأعطيناكم كل هذه النعم والفرص ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾، وهي مادة صمغية حلوة كالعسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾، هو طير لذيذ، وكان هذا الطير غير موجود إلا في بني إسرائيل يأكلونه ويلتذون به، فالشجرة جعلناها تخرج لكم ﴿الْمَنَّ﴾ الذي هو (مَنّ السما)، السائل الصمغي الحلو كالعسل، والطيور اللذيذة وفرناها لكم لتأكلوا منها؛ ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، ولكنهم لم يشكروا الله على هذه النعم. إذن هذه هي النعم الثلاث لبني إسرائيل، ثم يأتي الشاهد هنا:

إضاعة الفرصة التأريخية

بعد أن ذكّرهم موسى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، واستعرض النعم الإلهية، وصل إلى الموقف المطلوب منهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرض المُقَدَّسَةَ﴾، ادخلوا بيت المقدس، الأرض المقدسة التي كانت مهبط الأنبياء على مر التأريخ: ﴿ادْخُلُوا الأرض المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾، الله (سبحانه وتعالى) كتب لكم الراحة والسعادة والأمن والأمان والازدهار في هذه الأرض يا بني إسرائيل، إذا امتثلتم لأمر الله (سبحانه وتعالى) ودخلتم هذه الأرض، ولم تشركوا بالله ولم تظلموا أحدًا ولم تسيئوا لأحد ولم تتجاوزوا على أحد، وأخذتم بتعليمات السماء والأنبياء، فإذا فعلتم ذلك تتحول لكم إلى دار

٢١١. الدر المنثور ٢: ٢٦٩ في تفسير آية ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾.

سلام وأمان وإعمار وازدهار ونجاح، فالدنيا نعطيكم إياها في بيت المقدس، في هذه الأرض، بشرط أن تدخلوها؛ قاتلوا وحرروها ممن اغتصبها وأقيموا عليها حدود الله (سبحانه وتعالى)، ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾، لا تجبنوا ولا تكثروا المشاكل في مواجهة الأعداء، وقفوا بقوة وبسالة أمام العدو وحرروا بيت المقدس، وعندها سترون كيف ستعم الراحة والدعة والإعمار والبناء وكل شيء في بيت المقدس، أما إذا صار عندكم ارتداد وتراجعتم وقصّرتم ولم تواجهوا، وهذا خطاب ليس لبني إسرائيل فقط بل هذه قاعدة إنسانية وسُنّة إلهية في كل زمان، إذا تراجعتم فالنتيجة هي كما قال سبحانه: ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسرِينَ﴾، يريكم الله الذل والهوان في الدنيا والآخرة، فالأمة الخاضعة الخانعة لا تعطى أمنًا ولا استقرارًا، ولا تعطى راحة ولا دعة، فهذه الأمور تؤخذ غلابًا ولا تعطى إلاّ ببذل الجهد وبالتضحية والعطاء والدماء والشهادة، والأمة التي تدافع عن نفسها وعن كرامتها يعطيها الله عز الدنيا والآخرة.

انظروا إلى المنهج القرآني؛ فهؤلاء لم ينفذوا هذا الشرط، ولم يقبلوا بهذا الأمر فضيعوا على أنفسهم فرصة عظيمة، واليوم بعد آلاف السنين جاؤوا زاعمين أن هذه الأرض الموعودة لهم حق تأريخي فيها، والحقيقة أن الله أعطاهم الفرصة بدخول هذه الأرض فلم يعرفوا قيمتها ولم يأخذوها في وقتها فذهبت منهم، كالذي تعرض عليه بيتًا جميلًا واسعًا بنصف السعر وفيه كل شيء، ولكنه يتردد ويضيّع هذه الفرصة فيأتي شخص آخر ويشتريها، فلا يحق للأول أن يأتي بعد خمس سنوات ويقول هذه لي، فقد جاءته الفرصة ولم يستغلها وذهبت، وكذلك بنو إسرائيل لو اغتنموا الفرصة لكانت حقهم وأخذوها، ولكنهم ارتدوا وذهبوا فلم تعد هذه الأرض لهم، وجاء الشعب الفلسطيني، واليوم إذا أعادوها بحجة الحق التأريخي فهذا غصب وتجاوز على أمة تحملت التبعات وحررت هذه الأرض وسكنت فيها، والله (سبحانه وتعالى) يقول: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾، فإذا تحملتم مسؤولياتكم وتعاملتم بشكل صحيح وواجهتم الأعداء العابثين في هذه الأرض وأخرجتموهم منها فهي لكم، ولكم فيها الراحة والأمان، ولكن بشرط الالتزام بالمعايير الإلهية وعدم الاعتداء على الناس، وإذا لم تفعلوا ذلك ستذهب منكم، ولا يفيدكم سلاح ولا قنبلة نووية ولا قبة حديدية، فأنت غاصب ومعتدٍ وليس لك حق تأريخي في هذه الأرض، هكذا يقول القرآن الكريم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: كيف تريدنا أن ندخل إلى بيت المقدس والأرض المقدسة وفيها قوم جبارون، وهم العمالقة، وينقل أن العمالقة كانوا أناسًا بنيتهم البدنية قوية ولديهم بسطة في الجسم، والبعض يبالغ في وصفهم، ولكنهم ذوو

بنية قوية وأهل قتال شرسون شديدون، ويسمونهم العمالقة، وبنو إسرائيل بعد هروبهم من فرعون، لم يزل الخوف معششًا فيهم وما زالوا مرعوبين، فقالوا كيف ندخل الأرض المقدسة ونقاتل هؤلاء العمالقة، وأين نحن من هؤلاء؟ فاختر لنا شيئًا آخر يا موسى؛ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، العمالقة عندهم بأس وشدة، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾، نحن نريد أن نرتاح في الظل وأن يخرجوا منها بإرادتهم أو يحررها لنا أحدهم، فهم يريدون هذه الأرض من غير أن يواجهوا عدوا ولا مشكلة ولا حربًا، وهذا لا يكون، وقولهم: ﴿لَن نَّدْخُلَهَا﴾ للتأبيد، فإن (لن) تفيد التأبيد، أي لا تفكر يا موسى أبدًا أن نأتي ونعطي دماء ونضحي ونقف أمام هؤلاء العمالقة والقوم الجبارين، فلن نفعل ذلك أبدًا، ﴿فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾، جاءتهم فرصة تأريخية وضيعوها وذهبت، وهكذا تضيع الفرص، والأمة الخانعة ليس لها إلاّ الذل والهوان، هذه هي الرسالة القرآنية لبني إسرائيل، والأمة التي تقف وتدافع عن كرامتها وعزتها وسيادتها، يكتب الله لها الاستقرار والرفاه والأمان والإعمار والازدهار ويعطيها كل شيء.

آثار التصدي والمواجهة

يا شعب العراق؛ من أي نوع أنتم؟ الحمد لله الذي لم يجعل شعبنا بسمات بني إسرائيل ولم يجعلهم أمة خانعة، بل جعلهم أمة تستقبل الرماح بصدورها وتتلقى السهام بفتوى مراجعها، هؤلاء الشباب بعمر الورود يتساقطون في جبهات القتال ويذهبون إلى ربهم، ولكن يورثوننا عزة وكرامة وأمجادا، ولا تعتقدوا أن هذه الدماء تذهب سدى، فكل قطرة دم بريئة لها قيمتها عند رب العالمين، وكل قطرة تسقي هذه الأرض الطيبة ستتحول إلى مصدر عزة وكرامة لهذا الشعب.

انتظروا قليلًا وليس كثيرًا، فلا أقول انتظروا عقودا بل انتظروا قليلًا، وانظروا آثار هذه الوقفة عند الله (سبحانه وتعالى) في الدنيا، وسترون كيف يأتي الأمن والاستقرار والإعمار والازدهار والرفاه والرخاء للشعب العراقي، بهذا المنطق القرآني، وليس بكلام (عمّار)، بل الله يقول ذلك، إلا إذا كنت تريد أن تكذب القرآن وحاشا لله أن يكذب هذا المنهج.

﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: رجلان مؤمنان صالحان ممن يخافون الله، ﴿أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا﴾، لأنهما ممن يخافون الله أنعم الله عليهما وأعطاهما، ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾، يقول لكم موسى لا تترددوا وادخلوا إلى بيت المقدس، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾، نحن نضمن لكم النصر، فقفوا واثبتوا فقط، وسوف ينتهي كل شيء، ونحن

نضمن لكم النجاح، وفي الروايات أن الرجلين هما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وهو زوج أخت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مريم، وكلاهما من نقباء بني إسرائيل الاثني عشر[٢١٢]، وفي ليال سابقة تحدثنا عن المقاربة التي قام بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين نقباء بني إسرائيل الاثني عشر والأئمة من أهل بيته الاثني عشر، وهذا العدد، (الاثنا عشر)، له مدلول في حركة التأريخ، وقد ربط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية التي تلوتها على مسامعكم قبل ليال، بين عدد نقباء بني إسرائيل وأئمة الهدى من أهل بيته.

منشأ الثقة بالنصر والفلاح

لقد أتت هذه الثقة بالنصر والظفر والغلبة لهؤلاء، من عدة أسباب:

أولًا/ سبب عقائدي: لقد قال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الله وعدكم بالنصر، ووعد الله سبحانه هو الحق، فالله لا يخلف الميعاد.

ثانيًا/ سبب عسكري: عند مباغتة العدو في عقر داره فسوف يسيطر على أوضاعه الإرباك والفوضى، ولا سيّما هؤلاء الذين أعطاهم الله بسطة في الجسم، ففي الصحراء والفضاءات العامة يتحركون بقوة ويبطشون ويفتكون، أما داخل المدينة وفي الأزقة فالأمر مختلف، فهذه أسباب عسكرية في هذا الاتجاه إضافة إلى السبب العقيدي.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: «فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا»[٢١٣]، الذل والهوان لأناس يدخل عليهم العدو في عقر دارهم، ولذلك علينا أن نقاتل الأعداء في عقر دارهم ولا نسمح لهم بأن يقتربوا من حصوننا الحصينة.

﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: كونوا مؤمنين يا بني إسرائيل، فالقضية محسومة لصالحكم، ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾، لا تفكر بهذه القضية فنحن لن نضحي، ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ نحن قاعدون هنا، فاذهب أنت وربك وقاتلا الجبابرة لكي ندخل معززين مكرمين، وهنا بعد أن بذل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الجهد ولم يُفد معهم، فهم أمة خانعة منكسرة، يئس منهم وتوجه نحو ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾، إلهي إن القوم لا يريدون القتال، فلا تأخذنا بجريرتهم، ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، فاحكم بيننا وبين الفاسقين الذي عصوا أمرك، فنحن نريد أن نجاهد ونأتمر بأمرك يا الله، ولكن هؤلاء أمة خانعة وناكرة لنعمك عليها،

---

٢١٢. بحار الأنوار ١٣: ١٧٧ ح٦، تفسير الرازي ١١: ١٩٧ في تفسير آية «ياقوم ادخلوا الباب».
٢١٣. نهج البلاغة ١: ٦٨ الخطبة ٢٧.

فاستجاب الله (سبحانه وتعالى) دعاء نبيه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أربعينَ سَنَةً﴾، لأنهم عصوا واستهزؤوا بأمر الله وقالوا يا موسى اذهب أنت وربك وقاتلا، فإن هذه الأرض محرمة عليهم أربعين سنة، ﴿يَتِيهُونَ فِي الأرض﴾، يتيهون في البراري ولا يجدون بيت المقدس، لكي يتعلموا ويتوبوا.

وعندما فرض الله هذه العقوبة رق قلب موسى، فهم قومه بالرغم مما فيهم من سوء، وأربعون سنة في البراري مدة طويلة، فجاء الأمر لموسى: ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، لا يرق قلبك عليهم فيجب أن يأخذوا جزاءهم، والله (سبحانه وتعالى) حاشاه أن ينتقم من أحد، فهذا العذاب ليس انتقاما بل لإعدادهم وتربيتهم، فالخوف معشش فيهم وإذا لم يبقوا أربعين سنة في الصحراء لن يستطيعوا أن يتجاوزوا عقدة الخوف والرعب من الطغاة، ويقال في زماننا إن الجيل هو ثلاثون سنة، وهذا يعني أن أربعين سنة جيل ونصف الجيل، فيخرج جيل شبابي ليس عنده عقد الماضي، ولا يسيطر عليه الخوف من الظلمة والطغاة، وقادر على أن يتخذ قرارات بلا خلفيات أحقاد وخوف وجبن وتأريخ مليء بسلبيات معينة، ولديه القدرة على أن يتحرر، فالله (سبحانه وتعالى) رفقًا بهم حكم عليهم بالتيه أربعين سنة في الصحراء، فبنوا أنفسهم وأصبحوا أمة مختلفة، فحتى عذاب الله كان شفقة عليهم ورحمة بهم، ولكن هذه هي سمات بني إسرائيل، وهذه السمات تتجدد في كل زمان، ففيهم الغدر والإساءة، وهذا المنهج الصهيوني الذي نراه اليوم هو نموذج للناس الذين اُبتلي بهم موسى، في القهر والقوة والضغط والجبروت، إذ يريدون أن يفرضوا أرادتهم، ولكنهم الخاسرون كما وعدنا القرآن، ولهم الخزي في الدنيا والآخرة، هذا هو نصيبهم، عهد معهود من الله (سبحانه وتعالى). نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منا وأن يوفقنا في أداء واجباتنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية السابعة عشرة بتأريخ ٢٠١٥/٧/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ صدق الله العلي العظيم.

سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم، أخواتي الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) بحق هذه الليلة الشريفة أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وألاّ نكون من المحرومين.

الشقيّ من حُرم بركات ليلة القدر

أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه. ليلة عظيمة، ليلة مغفرة وإنابة وتوبة وعودة إلى الله تعالى، في هذه الليلة تقدر الأمور ويكتب للإنسان ما ستؤول إليه أموره من خير أو شر، من عطاءات ولطف وعناية إلهية، لذلك علينا في هذه الليلة أن نجدّ فيها حتى لا يطلع الفجر إلاّ برحمة من الله تعالى ومغفرة ورضوان منه سبحانه.

هناك روايات، ومنها الخطبة المعروفة لرسول الله في آخر جمعة من شهر شعبان، تذكر أن الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر (رمضان)[٢١٤]، بأن يدخل شهر رمضان

٢١٤. بحار الأنوار ٩٣: ٣٥٩ ح٢٥، عيون أخبار الرضا ١: ٢٦٥ ح٥٣.

ويخرج ولم يغفر الله له، ولكن في روايات أخرى ورد أن الشقي من حُرم غفران الذنوب في ليلة القدر[٢١٥]، لذلك نحتاج إلى انتباه ووقفة وانكسار القلب وإلى توجه نحو الله تعالى، وإذا أردنا مقاربة بسيطة بين الضيافة الإلهية والضيافة البشرية، نضرب مثلا بمسؤول كبير وشخصية محترمة يوجه دعوة للناس إلى وليمة، فماذا سيكون رد الناس إزاء مثل هذه الدعوة؟. يمكن تصنيف ردود أفعال الناس إلى ثلاثة أصناف؛ صنف يرى أن هذه الشخصية مهمة ومعروفة، وحينما يدعونا فسنرى أنواعًا من الطعام غير موجودة في الولائم الأخرى، يعني أن هناك أناسا تأتي لترى أنواع الطعام الفاخر الموجود على مائدة هذا المسؤول الكبير أو الشخصية المهمة، وهناك صنف لا يرى في نوعية الطعام أولوية في قبول الدعوة بقدر الوجاهة والاحترام والمكانة الاجتماعية، وهناك صنف ثالث لا يهتم بالأمور السابقة بقدر حبه لهذا المسؤول، فالمهم عنده أن يرى هذا المسؤول، فهو يحبه ويتمنى لقاءه، وهذه الدعوة المفتوحة فرصة لهذا اللقاء، وفي تعاطينا مع الضيافة الإلهية، هناك ثلاثة أصناف من المؤمنين الذين يحيون ليلة القدر.

الصنف الأول / هناك من الناس من يأتي في ليلة القدر وعنده حوائج، مثل ذاك الذي يأتي لتناول الطعام، فيسأل الله أن يرزقه بيتًا أو زوجة صالحة أو الشفاء لمريض أو الأمان والخير والرزق.. وهذا ليس عيبًا. هذا صنف من الناس عنده مطالب ومشاكل.

الصنف الثاني / هناك من تكون مطالبه أخروية؛ إلهي أسألك العتق من النار في ليلة القدر، إلهي أسألك الجنة في ليلة القدر، إلهي أسألك السعادة الأخروية والحور العين والمقامات العالية، فهمه في المطالب الأخروية.

الصنف الثالث / هناك من يريد في ليلة القدر أن يعيش حالة لقاء الله تعالى، حينما يعرف أن الله له توجه وعناية خاصة في ليلة القدر، فلا يركز هذا الصنف في هذه الليلة على الحاجات الدنيوية والأخروية، وقد يطلبها ولكن عنده أفق أوسع فيطلب رضوان الله، وهذه الكلمات المعروفة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إلهي ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك وإنما وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك»[٢١٦]، أنت الله تعالى ويجب أن تُعبد، سواء كانت هناك نار أو جنة أو لم تكن، فأنت بيدك كل شيء، ومن هو بسماتك فيجب أن يُعبد ويطاع، هذا هو العشق لله والارتباط بالله (سبحانه وتعالى).

٢١٥. انظر: كنز العمال ٨: ٤٦٧ ح ٢٣٦٩٠.
٢١٦. بحار الأنوار ٦٧: ١٨٦.

ثقافة مناجاة الله

في مناجاة المحبين: «إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلًا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولًا»، تأتي لحظة توجه وإقبال للقلب؛ فحين تكون عندك حاجة معينة ويكون قلبك منكسرًا، وفي مكان مقدس، تقف للصلاة فتدمع عيناك وتتفاعل أكثر من الصلوات السابقة، «وما أعذب شرب قربك»[٢١٧].

في مناجاة المريدين: «وفي مناجاتك روحي وراحتي»، روحي يعني نشاطي، حينما نمسك كتاب الله نشعر بفرح وتفاؤل، «وعندك دواء علتي»[٢١٨]، علاجي عندك يا رب العالمين من كل الأمراض والكآبة والضعف، فالقوة عندك.

في مناجاة العارفين: «إلهي فاجعلنا من الذين قد كشف الغطاء عن أبصارهم»[٢١٩]، كثير من مشاكلنا وذنوبنا ومعاصينا لأن هناك ستارًا على أبصارنا فلا نرى الحقيقة، فنمد أيدينا إلى المال الحرام ونشتري أطيب الأطعمة، ولكن حينما نرى الحقيقة نرى أننا نأكل نارًا، ولكن المشكلة أننا لا نرى حقيقة ذنوبنا، فالذنوب والمعاصي مثل امرأة جميلة المنظر، إذا رآها أحد فإنما يراها بصورتها الظاهرية، ولكنه إذا نظر لصورة هذه المعصية الباطنية فسيراها في صورتها التي ستظهر يوم القيامة، إذ تظهر فيه الصور على حقيقتها، فإنا سنرى العجب لو كنا ننظر إلى الصورة البرزخية، وهذا مثل الذي سمع قول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»[٢٢٠]، وهو يرى الناس كلها تحرم وتلبي، فاستغرب وتعجب، حينها فتح الإمام الصادق أصبعيه وقال للرجل انظر ماذا ترى؟ فإذا هو يرى قليلًا من الناس العاديين الذين يحجون، والأغلبية يراهم بصور حيوانات؛ كلاب وخنازير وحمير وحيوانات مفترسة!. فالذين حجهم حقيقي قليلون، ونسأل الله أن يجعلنا من أولئك الحجاج الحقيقيين. اللهم احشرنا في هيئة إنسان يوم تحشرنا يوم القيامة. الإنسان يُحشر يوم القيامة حسب أعماله، ويوم القيامة تُكشف الأعمال للجميع وكل شيء ينكشف ويُفضح، وكلٌ حسب عمله وسلوكه.

---

٢١٧. الصحيفة السجادية: مناجاة المحبين، بحار الأنوار ٩١: ١٤٧.
٢١٨. الصحيفة السجادية: مناجاة المريدين، بحار الأنوار ٩١: ١٤٨.
٢١٩. الصحيفة السجادية: مناجاة العارفين، بحار الأنوار ٩١: ١٥٠.
٢٢٠. بحار الأنوار ٤٦: ٢٦١ ح٦، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٣١٨.

القرآن وليلة القدر

روي عن الفضيل وزرارة ومحمد بن مسلم، ثلاثة من الأخيار، عن حمران بن أعين، وهو من أجلاء الأصحاب، أنه سأل الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، سورة الدخان، «قال: نعم ليلة القدر، وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلاّ في ليلة القدر»[٢٢١]، ما هي العلاقة بين القرآن وليلة القدر؟ وما هي العلاقة بين التقدير وضمان المستقبل وبين القرآن ومضامينه؟.

إذا كنت تريد ضمان مستقبلك فإن مدخله مضامين القرآن، فلا تتخذ القرآن مهجورًا، ونلاحظ أن القرآن لم يصف الإعراض عنه بأنه (ترك) للقرآن وإنما هجران، فالترك يكون حينما تترك بضاعة معينة إذا أتتك بضاعة أحسن منها، ولكن الهجران يعني أنه مع علمك وحاجتك تتخلى عنه، فالهجران فيه تعمّد، أما الترك فهناك فرص أفضل تذهب إليها، والقرآن غريب في وسطنا.

إذا أردت تقديرًا صالحًا لأعمالك فعليك أن تتمسك بالقرآن، ولا نحتاج إلى القرآن لآخرتنا وحياتنا المعنوية فقط، وإنما لحياتنا الدنيوية أيضًا، إذ نحتاج لعلاجات القرآن الكريم، فالقرآن ليس كتابًا للآخرة فقط، وإنما هو برنامج شامل للحياة في الدنيا، وإذا كنت تريد أمنًا واستقرارًا وعلاقات اجتماعية وثيقة ونزاهة ومكافحة للفساد، تجدها كلها في القرآن الكريم، ولكن مشكلتنا أننا لا نقف عند حقائق القرآن ولا نستفيد من القرآن ولا نرجع إلى القرآن، لذلك يبتلينا الله تعالى بالكثير من الابتلاءات.

نعود للرواية: «فلم ينزل القرآن إلاّ في ليلة القدر، قال الله عز وجل: (فيها يفرق كل أمر حكيم)[٢٢٢]، يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق، فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم ولله عز وجل فيه المشيئة، قلت: (ليلة القدر خير من ألف شهر)[٢٢٣] أي شيء عنى بذلك؟ فقال: العمل الصالح من الصلاة والزكاة وأنواع الخير خيرٌ من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر»، الله تعالى جعل أجر العمل في هذه الليلة أفضل من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فالله تعالى يضاعف الحسنات في هذه الليلة، وقيمة العمل تكون أعظم وأكبر.

---

٢٢١. الكافي ٤: ١٥٧ ح ٦.
٢٢٢. سورة الدخان: الآية ٤
٢٢٣. سورة القدر: الآية ٣

رسالة لم يفهمها بنو أمية

وفي رواية أخرى، ورد مضمونها في روايات عدة، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في منامه»، وفي بعض الروايات «ألهم»، ومهما كان فهذه الرواية تتحدث عن شأن ليلة القدر، «رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في منامه بني أمية يصعدون على منبره ويضلون الناس عن الصراط القهقرى»[٢٢٤]، وقد تألم رسول الله كثيرًا وحزن من هذه الحالة، فتفسير صعودهم على منبره أنهم يخلفونه، يعني أن بني أمية سيحكمون الدولة الإسلامية.

البعض قال إن هناك صراعًا تأريخيًا بين بني هاشم وبني أمية، والنبي حينما رأى أن الحكم سيذهب لبني أمية حزن وتألم، وهذا التفسير منحرف ومنحاز وغير واقعي، وحاشى لرسول الله أن يكون عنده تعصب قبلي أو مناطقي أو أسري، بأن يتعنصر لبني هاشم ضد بني أمية، فرسول الله ليس عنده قرابة مع شخوص؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢٢٥]، فالتقوى هي الأساس، واللطيف أن في القرآن الكريم تهجمًا بشكل صريح على بني هاشم وليس هناك مثله على بني أمية، وهو قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٢٢٦]، وأبو لهب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم، فجاء تقريع أبي لهب بالاسم ولم يأت التقريع لبني أمية بهذه الطريقة، وحاشى لرسول الله أن يتعنصر لبني هاشم، ولكن المشكلة أن بني أمية لم يقبلوا الإسلام على أنه رسالة سماوية ومشروع سماوي، وتعاملوا معه دائمًا على أساس أنه حكم، ونظرتهم لرسول الله أنه شخص يستغل الدين لمآرب سياسية ويريد الحكم، فهذا أبو سفيان الذي صار مسلمًا في فتح مكة، يستعرض الأعداد الغفيرة التي دخلت الإسلام، فيلتفت إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ويقول له: «إن ملك ابن أخيك لعظيم»[٢٢٧]، فهو بنظره ملك وليس رسالة سماوية أو قيمًا أو مبادئ، بل هو سلطة، وقالها يزيد بوضوح:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[٢٢٨]

بنو هاشم يريدون الحكم تحت غطاء الدين واستغلال مشاعر الناس، هذه هي نظرتهم.

في فترة حكم بني أمية ذهب أبو سفيان إلى المدينة ووقف على قبر حمزة، ذلك

٢٢٤. الكافي ٤: ١٥٩ ح ١٠.
٢٢٥. سورة الإسراء: الآية ٧٠.
٢٢٦. سورة المسد: الآية ١.
٢٢٧. بحار الأنوار ٢١: ١٠٤ن تأريخ الطبري ٢: ٣٣٢.
٢٢٨. الاحتجاج ٢: ١٤، تأريخ الطبري ٨: ١٨٨.

البطل المغوار والرجل العظيم وقال: «يا حمزة؛ ما قاتلتنا عليه أصبح لعبة بين يدي صبياننا»[٢٢٩]، يشمت به وهو في قبره، فهم لم يستطيعوا أن يفهموا الرسالة إلاّ من زاوية وإطار البعد القبلي والعشائري، أي هي سلطة ونفوذ، ولذلك لاحظتم ماذا صنعوا حينما تسلموا السلطة من استهانة بكل المقدسات والقيم إلى انتهاك الأعراض والكرامات، كما حدث في واقعة الحرة حينما أباحوا المدينة ثلاثة أيام للجيش يفعلون ما يشاؤون بنسائها وأعراضها، فجهاد النكاح منذ ذلك اليوم، وفعلوا ما فعلوا في تلك الواقعة، وبيت مال المسلمين كان أمانة، وأول من سنّ أنه ملك للحاكم هم بنو أمية، والحاكم يعطي مكرمة لهذا وذاك، وفي البطش والتعذيب هم أول من أسس التعذيب وكذلك النفي والتهجير، فأول من نفى بنو أمية، فانظروا إلى كل هذه البدع من قبل بني أمية، ويطول المقام لو استعرضنا ماذا جرى في حكمهم.

لقد اغتم رسول الله وحزن حينما رأى هؤلاء على منبره، وقال إن الإسلام سيضيع إذا تسلم بنو أمية حكم المسلمين، فلا قيم ولا ثوابت، فجاءت هذه الآيات لتطمئن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بأن الإسلام سيُحفظ بليلة القدر؛ بما يقدر في ليلة القدر من حفظ هذه الرسالة، فيأتي بنو أمية ويخرجون والإسلام ثابت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، وهي تشير إلى مدة حكم بني أمية، وفعلا حكموا ألف شهر، ثمانين سنة، كما تشير إليه هذه الرواية وغيرها من الروايات: «رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في منامه بني أمية يصعدون على منبره ويضلون الناس عن الصراط القهقرى فأصبح كئيبا حزينا...»، إلى أن قال: «وأنزل عليه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ....﴾، جعل الله عز وجل ليلة القدر لنبيه خيرًا من ألف شهر، وهي ثمانون عاما التي حكم فيها بنو أمية».

أبواب السماء تُفتح في رمضان

في رواية أخرى عن أبي حمزة الثمالي قال: «كنت عند أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له أبو بصير: جُعلت فداك، الليلة التي يرجى فيها ما يرجى، فقال: في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قال: فإن لم أقوَ على كلتيهما؟ فقال: عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أيسر ليلتين في ما تطلب، قلت: فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا خلاف ذلك من أرض أخرى، فقال: ما أيسر أربع ليال تطلبها فيها، قلت: جعلت فداك، ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني».

٢٢٩. بحار الأنوار ٣٣: ٨٩ ح٤٠١.

وقصة الجهني[٢٣٠] أنه كان صاحب ماشية في الصحراء، وجاء إلى رسول الله وسأله عن ليلة القدر، فأجابه الرسول بأنها ليلة تسع عشرة أو إحدى وعشرون أو ثلاث وعشرون، فقال له: يا رسول الله لا أستطيع المجيء إلى المسجد ثلاث ليال، فقال له رسول الله: هي بين إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فقال الرجل: لا أستطيع المجيء وأنا صاحب ماشية ونساء، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اُدنُ مني حتى أسرك بالأمر، فأخذ المسلمون يراقبون الجهني، فرأوا أنه يأتي ليلة ثلاث وعشرين ليحيي ليلة القدر، فعرفوا أن أعظم هذه الليالي هي ليلة ثلاث وعشرين، وهي ليلة القدر الكبرى.

«فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن ذلك ليقال، قلت: جعلت فداك، إن سليمان بن خالد روى في تسع عشرة يُكتب وفد الحاج، فقال لي: يا أبا محمد، وفد الحاج يُكتب في ليلة القدر والبلايا والمنايا والأرزاق وما يكون إلى مثلها من قابل، فاطلبها في ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين وصلِّ في كل واحدة منهما مئة ركعة، وأحيهما ما استطعت إلى النور واغتسل فيهما، قلت: فإن لم أقدر على ذلك وأنا قائم؟ قال: فصلِّ وأنت جالس، قلت: فإن لم أستطع؟ قال: فعلى فراشك، قلت: فإن لم أستطع؟ قال: لا عليك أن تكتحل أول الليل بشيء من النوم». السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت ترش الماء على وجوه أبنائها ليبقوا جالسين، والطفل حتى لو لم يقرأ فإن جلوسه فيه بركة، «إن أبواب السماء تفتح في رمضان وتصفد الشياطين وتقبل أعمال المؤمنين، نِعْمَ الشهر رمضان، كان يُسمى على عهد رسول الله بالمرزوق»[٢٣١].

نقرأ رواية أخيرة عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير»، صحيح أن ليلة القدر واحدة ولكن في كل هذه الليالي لها دور، فإذا أردنا في زماننا إنجاز ملف فإن اللجنة المختصة يجب أن تعطي رأيًا أولًا، وفي ليلة تسع عشرة تعطي اللجنة المختصة الرأي، «وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء»، أي تذهب التوصيات للجهة العليا فتصدر التوصيات، «وفي ليلة ثلاث وعشرين إبرام ما يكون سنة إلى مثلها»، التصديق على القرار؛ القرار الأولي ثم القرار القضائي ثم قرار التمييز، إذا أردنا أن نصور الحالة؛ فليلة تسع عشرة تقدير وليلة إحدى وعشرين قضاء وقرار وليلة ثلاث وعشرين يكون الإبرام والمصادقة النهائية. «لله جل ثناؤه يفعل ما يشاء في خلقه»[٢٣٢].

---

٢٣٠. انظر: بحار الأنوار ٧٨: ١٧ ح٢٣.
٢٣١. الكافي ٤: ١٥٦ ح٢.
٢٣٢. الكافي ٤: ١٦٠ ح١٢.

نسأل الله تعالى ببركة هذه الليلة الشريفة العظيمة أن يجعلنا من المرحومين في هذه الليلة، ربنا وإلهنا انصرنا على أعدائنا وعلى الدواعش، انصر إخواننا المجاهدين في ساحات القتال وكلل جهودهم وجهادهم بنصر عزيز، تكون فيه فرحة يزفونها إلى أبناء شعبنا في أيام العيد الشريف، نسأل الله تعالى أن يحقق النصر والظفر على أيديهم، وأن يبارك لنا في أعمالنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دواوين بغداد

لقاءات السيد عمّار الحكيم مع النخب العشائرية والسياسية والمهنية والمجتمعية

ديوان بغداد السياسي[٢٣٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

بداية أرحب بكم جميعًا سادتي الأفاضل، السيدات الكريمات، وأشكر لكم تلبيتكم لهذه الدعوة والحضور إلى ديوانكم ومجلسكم.

بالفعل تساءلنا وسألنا أنفسنا كثيرًا قبل أن نعقد هذا اللقاء؛ ماذا نريد؟.. ما هي الدوافع؟ وكيف هي الطريقة المثلى لهذا اللقاء؟ وأردنا له أن يكون لقاء لكم؛ منكم وإليكم، وتلاحظون أننا لم نضع حتى عنوان هذا اللقاء في لافتة لهذه الجلسة، لكي نكرر العنوان والمعنون معًا.

لكن تقديرنا كان الحديث عن ديوان بغداد؛ لأن اللقاء يتم في هذه المدينة الكريمة، وبغداد هي القلب النابض للعراق كله، للعراق الواحد الموحد، فحينما نقول بغداد فكأننا نقول العراق.

إذا كان الأعزاء الذين لديهم وجهة نظر أخرى مصرين على رؤيتهم فما زلنا في البداية، ومن الممكن أن نحول الاسم من (ديوان بغداد) إلى (ديوان العراق)، ولكن أعتقد أن ديوان بغداد هو ديوان العراق أيضًا، ما دمنا نؤمن بعراق موحد.

خيار الحضور

كنّا أمام خيارين في الحضور؛ إما أن تكون الحصة الأوفر للسيدات والسادة المستهلكين في العمل السياسي اليومي في البرلمان والوزارات والمسؤولين الفعليين

٢٣٣. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٤/ ٢/ ٢٠١٥

المباشرين في مهام جسيمة، فيأخذ اللقاء طابعًا حكوميًا برلمانيًا، ولاحظنا أن هذه المساحات تعبر عن آرائها في عدد من الأروقة بشكل طبيعي.

والخيار الآخر أن نعطي المساحة الأكبر لشخصيات ونخب سياسية قادرة على أن تعطي إضافات نوعية، ولكنها غير مستهلكة في العمل اليومي، فهي إمّا أن تمتلك شيئا من التفرغ الآن، بعد أن كانت لها مهمات كبيرة في ظروف سابقة، أو تتسلم في الوقت الراهن ملفات في العمل اليومي السياسي أو ما شابه ذلك، فنعطي المساحة الأكبر لهؤلاء الأعزاء، لتكون هذه الجلسة منبرًا ومحطة ومنطلقًا للاطلاع على آرائهم، وهذا العصف الفكري بحد ذاته يمكن أن ينضج الكثير، ثم تتبلور الأفكار وتصل إلى مسامع أصحاب القرار في كل قضية من القضايا التي تطرح.

خيار المعنون

وفي المعنون أيضًا كنا أمام خيارين:

الخيار الأول أن تبقى هذه غرفة فكر، فيها عصف فكري يعبر فيها هؤلاء النخب الكرام المتمثلون بحضراتكم، عن هواجسهم وتطلعاتهم ووصفهم للواقع واستشرافهم للمستقبل، وعن تحديدهم لطبيعة التحولات التي يعيشها العراق والمنطقة، والموقف المطلوب إلى غير ذلك، فتبقى هناك حالة ومستوى من الحرية في طرح الموضوعات، ولا تتحول إلى حالة جامدة بحثية أو ما شابه ذلك، لوجود بعض المجالس والأندية والمنتديات البغدادية الكريمة التي تركز على محاور محددة، ولم نُرِد أن نكون استنساخًا للحالات المشابهة، مع كل الاعتزاز بها، ونحن من الداعمين لتلكَ الجهود.

أردناها أن تكون عصفًا فكريًا بحرية، بنوع من السعة في طرح الموضوعات، فيمكن أن يُطرح أكثر من موضوع في هذا الحضور، مع تحمل بعضنا لبعض، وبطرح شفاف بعيدًا عن لاقطات الإعلام، وعن المزايدات، ولم ندعُ شخصًا بالإمكان أن يأخذ كلمة ويذهب ليحرج إخوانه في مكان آخر، وإنما نتحدث بعيدًا عن أضواء الإعلام، في ما يدور في هواجسنا، وفي نظرتنا للأمور، وهذه النظرة لا تعبر عن شخوصنا، وإنما تعبر عن البيئة التي نعيشها، والناس الذين نحتك بهم، والتنوع الموجود في هذا اللقاء هو تنوع يشمل العراق كله، وبالتالي هو تعبير عن إرادة أبناء شعبنا بجميع توجهاتهم.

أنا لست بعيدًا عن الأجواء ومتابع لها باهتمام، ولكني استفدت مما قيل وكوّنت انطباعات جديدة، وليس بالضرورة أن نتفق كليًا مع كل ما يقال أو نتقاطع أو نختلف

معه، ولكن المهم هو هذه الانطباعات التي تتكون لدينا عندما نسمع لبعضنا؛ كيف ينظر الآخر الشريك في هذا الوطن لمختلف الأمور، هذه الانطباعات عندما تتكرر في جلسات متعددة، يمكن بالتدريج أن تحقق نوعا من القاسم المشترك والإطار الجامع لنا.

والمسار الآخر أن يكون هناك محور محدد يُعرف قبل أيام من اللقاء، ويستعد له الأعزاء، ونأتي لمناقشة محور محدد، وهذا أنفع كما ذكر عدد من الأفاضل، إذ حين يكون هناك موضوع محدد نركز عليه فسنخرج بحصيلة معينة، ويمكن أن نُضيّف أصحاب القرار في ذلك الشأن؛ ففي الشأن الأمني نُضيّف وزير الداخلية أو الدفاع أو المسؤولين الأمنيين، وفي الشأن الاقتصادي نُضيّف المعنيين في الحكومة أو البرلمان، إلى غير ذلك، وهذا أنفع وأكثر فائدة وأكثر تركيزًا، وسيخرج بحصيلة محددة، ولكن من ناحية أخرى سيكون فيه تقييد وحالة من الجدية تخرجه عن كونه ديوانًا تجلس فيه نخب، وتطرح فيه الكثير من الموضوعات، ويبقى القرار لكم، وسننظر في الأوراق الموضوعة.

إذا كنا قد غفلنا عن استضافة بعض الأسماء الكريمة أو الشخصيات التي تجدونها مفيدة ومثرية لهذا اللقاء، فأتمنى أيضًا أن توضع على الورق الموجود أمامكم لنستفيد من اقتراحاتكم وندرسها ونطور من هذا اللقاء، وليس هناك نية لإبعاد أحد، وليس هناك غاية محددة في إحضار أحد أو استضافته، بل المسألة هي أن تكون هذه غرفة عصف فكري، وليس من ورائها أي أجندة محددة.

ملاحظات في الشأن العام

في ما يخص وضعنا العام وما قيل، اسمحوا لي بعدد من الملاحظات السريعة:

الملاحظة الأولى: تحديد الرؤية

مجمل هذا المشروع يحتاج بالفعل إلى رؤية؛ كيف نبني العراق الذي نجتمع فيه ونتعايش، ونشعر بتحقق مطالبنا وحقوقنا بالمستوى المقبول، وكل منا له طموح بما يمثله من مكون، من فئة، من التزام، من منطقة، من عشيرة إلى غير ذلك، وسلفًا لا بُدَّ من أن نعرف أن هذه الطموحات بسقفها العالي لا يمكن أن تتحقق للجميع، لأن تحقق هذا السقف لكل منا سيعني أن تغيب مثل هذه الفرصة عن الشريك الآخر، فإذا أردنا أن

نتعايش جميعًا فيجب أن نتقاسم هذه الكعكة، وإذا تقاسمنا لن نحصل على كل ما نريد، فنأخذ جزءًا ونترك الجزء الآخر للشريك وهكذا.

نحتاج إلى إجراءات مؤلمة وموجعة ومُرّة تخص الجميع، وهذه قضية أساسية، فلا يمكن أن ننظر إلى المصالحة على أنها وسيلة لحصول البعض على كل ما يريد، وفقدان وخسارة البعض الآخر لكل ما يطمح إليه ويريده، وأقولها بأسف؛ عندما أقيّم أشعر دائمًا عندما نقول مصالحة، كأن هذه الحكومة هي حكومة لمكون محدد وليست حكومة الجميع، وعلى هذا المكون أن يعطي للآخرين ما يريدون؛ فعليه أن يعطي للإخوة الكرد رغباتهم وطموحاتهم، وللمكون السُني الكريم رغباته وطموحاته، لكي تكون هناك مصالحة، وهذا أمر خاطئ كما أعتقد.

المكون الذي هو محور الإدارة ليس هو الحاكم، وإنما هو الشريك الأكبر، وفي أوساط هذا المكون هناك الكثير ممن يعتقد أن هذا المكون لم يحصل على حقوقه الطبيعية في مجالات مختلفة، ولذلك يجب على أي مصالحة جدية وحقيقية أن تنظر بجد لجميع هذه المكونات، وما هي طموحاتها ورغباتها؛ المكونات القومية، المكونات المذهبية، المكونات الدينية، كل منها ماذا تريد؟ وإلى ماذا تطمح؟ ونضعها على الطاولة ثم ننظر ما هو الإطار الجامع، وما هي التنازلات التي يجب أن يقدمها كل شريك، ويجب أن نشترك في التنازلات، ونشترك في القرارات الجريئة.

اليوم تلاحظون حينما يراد تحويل النص الدستوري إلى قانون، مثل حظر حزب البعث، إذ هناك من يقول إن هذا يحرجنا أمام جمهورنا، فأنجزوا قضية المساءلة والعدالة ثم نتفاهم، وهذا محرج لك، ولكن إبقاءه مقلق لشريكك، وهناك من يرفض أي تدارس أو نقاش حتى إذا كانت الإجراءات ضمن سياقات الدستور، ويقول إن هذا محرج لنا، فلنتركه إلى وقت آخر، إذن بقدر ما هو محرج لك، فهو يمثل أيضًا هاجسًا لشريكك، فإذا كان كل منا يفكر بما هو المحرج له ولا يريد أن يتقدم، وما هو المناسب له ليصر عليه، فلن نستطيع بالتالي أن نصنع مصالحة.

نحتاج إلى رؤية وإلى قرارات جريئة وإلى تحمل التبعات، إذ كنا نخبة سياسية تريد أن تقود وتتحمل المسؤولية، ولا يوجد مصلح في الحركات الإصلاحية في تأريخ الإنسانية كانت كل خطواته الإصلاحية مقبولة ومتفهَّمة في اللحظة، ويحدثنا القرآن الكريم عن الأنبياء كم تعرضوا إلى السباب والشتيمة والاتهام والتخوين، وبعد ذلك تبينت الأمور وبانت الحقيقة، وعُرف أن هذا هو المسار الصحيح.

البعض من النخب السياسية عينه على الجمهور في هذه اللحظة؛ ماذا سيقول؟ وقد لا يتفهم، وقد ينتقد، إذن هو لا يريد أن يقود، بل يريد أن يستثمر، أو بعبارة أكثر وضوحًا يستغل مشاعر الناس ليحصل على صوت ليبقى من دون أن يساهم ويتحمل مسؤوليته في هذه المسألة.

هذه المسألة يجب أن نلتفت إليها؛ فالمصالحة تحتاج إلى تنازلات حقيقية من الجميع، وأعتقد بأننا حينما نأتي إلى طاولة الحوار يجب أن يهيئ كل منا ماذا سيقدم لشريكه قبل أن يهيئ ما يريد من شريكه، إذن يجب أن نقلب المعادلة؛ بأن أسأل ماذا تريد مني قبل أن أقول لك ماذا أريد منك، وهذا المنطق يمكن أن يوصلنا إلى الالتقاء في المنتصف وإلى حلول وسط، وهذا الشيء مهم جدًا.

الملاحظة الثانية: موضوع التعدديات

العراق بلد التعدديات، ونحن الآن لم نحسم قرارنا؛ هل نحن مع مبدأ إلغاء الخصوصيات؟ أي لا نتحدث بشيعي وسني، ولا عربي وكردي، لأن هذا معيب لنا نحن كعراقيين، وكأن البعض يرى الوطنية بتجاهل الخصوصية كليًا، وهذه القضية غير واقعية، فقد كنّا وما زلنا وسنبقى عربًا ونعتز بعروبتنا، والإخوة التركمان عليهم أن يعتزوا بقوميتهم، وكذلك الكردي عليه أن يعتز بقوميته، وكذلك المسيحي والمسلم والصابئي، والشيعي والسني، كلٌ يعتز بدينه ومذهبه، ونحن لا نريد أن نزيل هذه الأمور، فهي ليست قضايا معيبة، بل هذه هويتنا، ولكن الجامع هو العراق، فالمبدأ الآخر هو احترام الخصوصية، فهل نضع تعريفا للوطنية ضمن إطار احترام الخصوصيات والقبول بهذا التنوع؟ أو نتنكر للوقائع أو الحقائق ونقول يجب أن نلغي هذه الأمور مع أنها لا تلغى؟ وبذلك نتحدث عن وطنية لا يمكن أن نصل إليها ولا يمكن أن نحققها.

وفي موضوع المناهج الدراسية، هناك من يقول لماذا يقرأ الطفل المسيحي تأريخ المسلمين وثقافتهم؟ ليقرأ تأريخه وثقافته، وهذا من حقه، ونحن نعترف له بهذا الشيء، وكذلك المسلم السُني أو المسلم الشيعي، لما لا يقرأ ثقافته في المدرسة؟.. قالوا إن هذه طائفية ولا تتكلموا بها، أين الطائفية هنا؟ فمن يسكن في البصرة والناصرية والنجف وكربلاء لا توجد ضرورة إلى أن يدرس مباني ورؤى حول مدرسة الخلفاء، بل يدرس مباني تخص المدرسة الفكرية التي ينتمي لها، وابن الأنبار والموصل وصلاح الدين ليس لها معنى أن نفرض عليه دراسة أفكار أهل البيت الاثني عشر، وهو لديه ثقافته الخاصة ومن حقه أن يعتز بها.

مثل هذه الأمور وأمثالها ما إن يفتح أحد فمه بها ويتحدث حتى تندفع الكثير من الأصوات والألسنة وتتهمه بالطائفية، لأنه يريد أن يحافظ على خصوصيات الناس، ونحن نريد أن نربي أطفالنا على عقيدتهم وانتمائهم.

هذا كله مترتب على تعريف الوطنية؛ هل هي بإلغاء الخصوصيات أو احترام الخصوصيات؟ وهذه قضية حد فاصل على ما أعتقد، وتمثل مجمل الرؤية التصالحية التي نريدها، وكيفية القبول بهذه التعدديات كحقيقة.

الملاحظة الثالثة: مرحلة ما بعد داعش:

ما زلنا في صلب المعركة مع داعش، وهذه المعركة وحّدتنا إلى حد كبير، ولكن ماذا بعد داعش؟ هذا الشرخ والجرح العميق الذي وجد، ونحن نعرف أن داعش يتمثل بجسد تنظيمي عراقي على الأعم الأغلب، على خلاف القاعدة الذي كان جسدا تنظيميا من غير العراقيين، والأقلية فيه عراقيون، وبالتالي هناك أبناء عشائر في مناطق مختلفة، هي مناطق الصراع، تورطوا وكانوا واضحين في هذا التورط في لحظة نشوة وشعور بالانتصار، ورفعوا شعارات وأعلام داعش، وأساؤوا لجيرانهم ومن عايشهم في مناطقهم من المسلمين والإيزيديين والمسيحيين، والقوميات والمذاهب، إلى آخره، فكيف نعالج هذا؟ فغدًا ستتحرر هذه المناطق ويعود الناس ويتواجهون بينهم بعد الإساءات التي حصلت، وهذه قضية معقدة وعميقة وتحتاج إلى معالجة.

عندما زار السيد (نيجرفان بارزاني) بغداد طرح في أثناء اللقاء قصة حدثت له تأثرت بها كثيرًا، قال: رأيت في أربيل أحد الإخوة الكرام، وهو من أبناء الموصل وعربي من المذهب السُني الكريم، فبشكل طبيعي جاملته وقلت له: إن شاء الله سيخرج داعش وتعود إلى ديارك، فدمعت عينه وقال: أين أرجع؟ قلت له: تعود إلى منزلك، فأين المشكلة؟ قال: أنا لديّ جار من نفس المذهب ومن نفس القومية، ونحن جيران منذ خمس وثلاثين سنة، وأطفالنا تربوا عندهم وأطفالهم تربوا عندنا، وبيننا تداخل عائلي وكنا كالإخوة إلى أن دخل داعش، فأصبح جاري من داعش ودخل إلى بيتي بقوة السلاح، وأخذ أموالي واعتدى على زوجتي وأخرجنا من بيتنا بالقوة بعد خمس وثلاثين سنة من الجيرة والأخوّة، فإذا عدتُ هل سأراه أمامي؟ وهل أتحمل وجوده والعيش معه؟ وأضاف نجيرفان أن قصة هذا الرجل هي قصة من آلاف القصص، فكيف إذا دخل عليها طابع قومي أو مذهبي أو ديني أو ما شابه ذلك التي تأخذ تعقيدات إضافية؟.

هذا جرح عميق وقضايا في النفوس لهؤلاء النازحين الذين جرى الحديث عنهم، والحقيقة أن معاناتهم لا توصف، ويلمسها من يذهب ويحتك بهم ويزورهم في المخيمات أو في أماكنهم، وهذه المعاناة كلها يرونها بصورة من تسبب بهذه المحنة لهم، فهذه العوارض والجروح النفسية والمشاعرية والعواطف كيف نعالجها، وكيف نربط الناس بعضهم ببعض؟.

نحتاج من الآن إلى أن نفكر، فإذا عاد النازحون إلى المناطق المحررة وبدأت المشاكل بينهم وتعمقت أكثر، بينما نحن قد تركنا المسألة ولم نناقشها وليس لدينا حلول حقيقية لها، فحينها سنكون أمام مواقف محرجة جدًا.

الملاحظة الرابعة: الواقع السياسي والحكومي

ما يخص الواقع السياسي والحكومي توجد نواقص لا أحد ينكرها، ولكن لدينا النصف الممتلئ من الكأس والنصف الآخر الخالي، وهذه تحتاج إلى أن نحدد الرؤية؛ هل نبدأ من النصف الممتلئ ونرى ما لدينا وننتقل لمعالجة ما نفتقد؟ أو نبدأ باستعراض الإشكاليات فنضيع فيها وننسى أن لدينا إيجابيات.

إن ما ذُكر من ملاحظات قد اختلف في النبرة والقسوة، فمنها ما يرى أن هناك فشلا ذريعا، ولا أجد أنا شخصيًا في تقييمي المتواضع ووجهة نظري التي أضعها بين أيديكم، لا أجد أن هناك فشلًا ذريعًا وانهيارًا، بل أجد تراكمًا إيجابيًا وخطوات مهمة، ونحن من الجهات التي تحفظت على المرحلة السابقة، ولكن للإنصاف نجد فيها الكثير من النقاط الإيجابية التي إن أردنا أن نكون منصفين ننظر إليها، والإنصاف السياسي شيء مهم، وعلى الإنسان في لحظة إبداء الملاحظات ألاّ يتجاهل الإيجابيات وعناصر القوة الموجودة، وفي لحظة ونشوة الانتصار ألاّ يتجاهل السلبيات ومكامن الضعف الموجودة في تجربتنا، لكي نستطيع تطويرها.

أنا أعتقد بأننا يجب أن نقيس أنفسنا بتجارب مشابهة، وليس بتجارب بعيدة عن جميع هذه المنعطفات، فلو أن عشرة بالمائة من الذي يحصل لدينا حصل في دول الغرب، لكانت هناك انهيارات ومسيرات مليونية يشارك فيها خمسون رئيس دولة، كما حصل ذلك سابقًا عند قتل إرهابي عددًا من الناس في إحدى الدول الغربية، فكم من هذه الجرائم تحصل عندنا في اليوم الواحد؟ فهل الدم العراقي رخيص؟ أو نحن أصبحنا

لا نبالي؟ أو زادت مناعتنا وقدرتنا على التحمل؟ وهذا عنصر قوة في العراق، فالعراق يُظلم حتى في تحديه وصموده وثباته، فإن لدينا أشياء كبيرة نعتز بها.

التقي بالسلك الدبلوماسي من الأجانب، وأجد نظرة الانبهار في عيون هؤلاء اتجاه العراق وشعبه وقدرته الفائقة على الصمود، وهذه قوة ومناعة، وما كان لشعبنا أن يحصل على هذه الطاقة أو القدرة لولا دخوله هذه المخاضات العسيرة، وهذا الأمر مثل جندي من القوات الخاصة، الذي يدخل في تدريبات عنيفة متعبة، ولكنه يخرج بلياقات غير متوافرة عند غيره، وشعبنا اليوم في معترك كبير بجميع مكوناته واتجاهاته، وأصبح متمرّسًا وقادرًا على المواجهة أكثر من ذي قبل، وهذه نقطة قوة حقيقية، وأعتقد بأن مقتضى الإنصاف أن لا نتنكر لها، وكذلك الحكومة؛ إذ يوجد وئام بمستوى عالٍ، واليوم نجد الرؤساء ونوابهم، الذين يمثلون الخارطة السياسية العراقية، يجلسون ويتشاورون ويتحاورون، وهذا اللقاء من غير الممكن أن نعقده قبل أربع أو خمس سنوات، فلا توجد شكوك الآن بالشريك الآخر، والاجتماعات تكون بكافتيريا البرلمان كما يخبرونني، فمن يصنف على التشدد ومختلف الأطراف يجلسون ويتسامرون ويتبادلون المزاح، وكذلك في المواقف السياسية، فكل شخص لديه رأي وموقف، ويوجد تطور كبير يتراكم سياسيًا ومجتمعيًا وأمنيًا، وهناك تحديات لا نريد أن نقلل من قيمتها، ولكننا جزء من تحولات كبرى في المنطقة والعالم، والأزمة الطائفية اليوم أزمة خانقة، فلنقارن أنفسنا باليمن، فهو بلد نفطي وعشائري مثلنا، وانظروا إلى أين ينحدر، فواقعنا متقدم جدًا على تجارب من هذا النوع، وإن شاء الله إذا استطعنا أن نضع هذه الرؤية التصالحية الحقيقية، والإطار الجامع لنا والمطمئن للجميع، وأن نضع يدًا بيد ويثق بعضنا ببعض، فسنشهد قفزة نوعية كبيرة.

الملاحظة الخامسة: الوضع الاقتصادي

أعتقد بأن حتى هذه الظروف هي ظروف خير وبركة؛ كيف نحول هذا التحدي إلى فرصة ما دامت الأموال موجودة والإمكانات كبيرة، فلم يكن أحد يفكر بإنعاش الاستثمار أو الزراعة أو الصناعة، وقد دفعنا إلى الآن رواتب تصل إلى ثمانية عشر مليار دولار في السنوات الماضية للتمويل الذاتي للشركات الحكومية، أو عشرة مليارات بحسب كلام الدكتور الجلبي، ومع هذا نجد المصانع متوقفة، ولو كنا قد تنبأنا بذلك قبل عشرة أعوام لكنّا قد منحنا نصف الأرض لهم، وقلنا أجلبوا في النصف الآخر شريكًا أو مستثمرًا لكي تكون له دوافع حقيقية في الإنتاج والعمل، مع السياسات الصحيحة للمنتوج الوطني،

وكان يمكن أن يشهد العراق تطورًا جيدًا، ففي الخمسينيات والستينيات كان العراق من البلدان الصناعية المهمة في المنطقة، والآن نعيش هذا التراجع الحاد والشديد، بحيث وصل بنا الحال إلى استيراد قناني الماء من دول ليست لديها أنهر، بل تقوم بتحلية مياه البحر، ونحن بلاد الرافدين! إذ توجد اتكالية كبيرة، فكيف نخرج منها؟.

إذا لم نرد أن نكون في الزاوية الحرجة، وإن شاء الله لن نصل إلى الخيارات السيئة التي سأل بعض الإخوة عنها، يجب أن ندرس جميع خياراتنا، ولكن خيارات كهذه تجعلنا نضطر إلى أن نفكر ببدائل، وهذا الجو الذي نراه اليوم في دعم الاستثمار ودعم القطاع الخاص والمؤتمرات والأفكار التي تُطرح وجدية البرلمان والحكومة، لم نشهده في أي وقت مضى، إذ توجد أموال ومع ذلك هناك ركود، ونعتقد بأن المدخل هو إعطاء صلاحيات وأدوار للمناطق كما أقرها الدستور في إطار اللامركزية والنظام الاتحادي الذي نتحدث عنه، مع حرصنا على وحدة العراق.

بخصوص هذه اللامركزية ومنح الصلاحيات جاء تعديل قانون المحافظات ولكنه لم يُنفذ، ثم جاء تعديل وتجمدت الأمور بشكل أكبر، وما دام الوزير لديه المال والصلاحية والسطوة فلن يعطي فرصة للآخرين، ونحن في لحظة تأريخية، بأن تمنح هذه الوزارات الثمان كما يقال صلاحياتها وتحيلها إلى المحافظات، والحكومات المحلية لديها فرص أكبر، وهذه كلها تعزز وحدتنا ولحمتنا وتبعدنا عن الشعور بالغبن، وتعمق الشعور بالإنصاف في أوضاعنا.

المرجعية الدينية بعد أن قيمت الأوضاع السياسية العامة، أشارت إلى ضرورة التغيير، أما كيف نغير فهذه مسؤوليتنا، فهذه الحكومة الكريمة التي تمتلك الكثير من التوفيق، ونحن داعمون بقوة لها، إن نجحت فبتوجيه المرجعية بالتغيير، وخطواتنا وإسهامنا مع جميع القوى التي شاركت في تشكيل هذه الحكومة، وإن أخفقت فنحن مسؤولون عن قرارنا ونتحمل المسؤولية التضامنية عن مشروع دخلنا فيه مجتمعين، والمرجعية لها الفضل في أنها أشارت إلى مخرج يجمعنا من جديد، وهذا ما حصل وطنيًا وإقليميًا ودوليًا، وقد استعاد العراق المبادرة نتيجة تغيير الوجوه الكريمة إلى آخره، ففي الرئاسات الثلاث اليوم لدينا ثلاثة وجوه كريمة جديدة، وعلى كل الأحوال لا نحمّل المرجعية أكثر مما تتحمل، وغدًا إذا أخفقنا لا سمح الله، فيجب ألاّ نقول إن المرجعية فعلت، فالمرجعية قالت غيروا حالكم إلى أحسن حال، ولم تذكر أكثر من ذلك.

نحتاج إلى رؤية شاملة وإلى أن نضع مخافة الله وحب وطننا وشعبنا أمام أعيننا، ونأخذ القرارات الجريئة ونتحمل تبعاتها.

مشكلة الإرهاب وداعش وغيرها والقاعدة قبلها ليست مشكلة أمنية بحتة، ولا يمكن معالجتها معالجة أمنية بحتة، فهذه مشكلة أعمق، وكنا صادقين مع ربنا وشعبنا يوم أن طرحنا مبادرة (أنبارنا الصامدة) ووضعنا عشر فقرات وقدمنا سلة من الحلول المترابطة التي يكمل بعضها بعضًا، وتنتج فرصًا حقيقية لوئام مجتمعي، وأعتقد بأن هذه الرؤية يمكن أن تكون في الموصل وصلاح الدين وديالى وفي أي مكان آخر، وفي الجنوب أيضًا هناك شعور بالحرمان، فالمعالجات المجتمعية، والمعالجات الخدمية، والمعالجات الاقتصادية، هذه هي السلة المتكاملة من الحلول التي نحتاج إليها بكل مكان وفي كل محطة من محطاتنا العراقية.

الملاحظة الأخيرة: موقف رئيس الجمهورية

أُنتقد الرئيس ولو كان حاضرًا لدافع عن نفسه، وأنا أنقل لكم وجهة نظر الرئيس التي سمعتها منه؛ إذ لديه معطيات ناتجة من شهادات وتقارير أن بعض هؤلاء الذين حُكم عليهم بالإعدام جاء الحكم عليهم نتيجة اعترافات أُخذت بالقوة، فهو ليس بالضد من مبدأ الإعدام، ومستعد أن يوقع على جميع أحكام الإعدام، وحتى الرئيس (الطالباني) شفاه الله، فهو كشخص لديه التزام بالاشتراكية الدولية، ولكنه لم يقطع الطريق، بل كان يهيئ الملفات ويسافر ويفوض الأمر لنائبه، والنائب يوقع وتسير الأمور، فلم تعطل أحكام الإعدام في عهد الرئيس (الطالباني) مع أنه شخصيًا لم يوقع عليها نتيجة التزام معين، والرئيس اليوم (فؤاد معصوم)، وهو أيضًا يقول أنا مستعد للتوقيع، وطلب من القضاء التحري عن دقة هذه المعلومات، وهي قد لا تكون للجميع، بل للبعض من هذه الأسماء التي يقال إن اعترافاتهم أُخذت بالقوة والإكراه إلى آخره، فإذا تم التحري من قبل القضاء عن طريق لجنة مستقلة معينة بالشكل الذي يضمن التأكد من الموقف، فهو يبدي استعداده للتوقيع، وسواء كان هذا الموقف صحيحًا أو ليس كذلك، وهل سيتخذ أي أحد مكانه هذا الإجراء أو يوقع ويمضي؟ فهذا بحث آخر، لكن الرجل ليس ضد مبدأ التوقيع، وإنما يريد أن يجري تحريًا إضافيًا للتأكد من أنه لا يعدم شخصًا قد لا يكون مستحقًا للإعدام، هذا هو المنطق الذي يفكر به سيادته.

أنا لست خبيرًا بالقانون الدستوري، ولكن القانون حينما يشترط توقيع الرئيس فهل يعتبر عدم التوقيع والتريث في التوقيع مخالفة دستورية أو لا؟ هذه مسألة يجب أن يحددها خبراء القانون، فهمي الأول بشأن شخص لديه صلاحية التوقيع، إذا كان هذا التوقيع وجوده وعدمه سيّان، فلماذا إذن يكلف بمهمة التوقيع؟ فحين كُلِّف فمعنى ذلك

أن من حقه أن ينظر في الموضوع ويبدي رأيه في هذه القضية، وحينما لا يوقع ويتعطل التنفيذ فمعناه أن له أسبابه، فتريثه قد لا يكون مخالفة دستورية إذا كان لأسباب منطقية وضمن أسقف زمنية محددة.

نسأل الله لكم التوفيق، وأكرر شكري وتقديري واعتزازي بكم جميعًا، وأتمنى أن نشهد حضوركم في اللقاءات القادمة بإذن الله.

شكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد لقادة وزعماء العشائر[٢٣٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

مكانكم ومضيفكم، مضيف الإمام محسن الحكيم (قدس الله سره)، كنت سعيدا للغاية بما سمعته منكم، واسمحوا لي في البداية بدوري أيضًا أن أعتذر كل الاعتذار إن كانت المقاعد لم تتهيأ بالشكل الذي يعطي لكل ذي حق حقه، ولم يحصل البعض من الأمراء والشيوخ على الموقع الذي يليق بمقامهم الكبير، ولكن القلوب إن شاء الله تسعهم جميعًا، وشرف المكان بالمكين، فحيثما جلسوا فهم صدر المجلس، ونحن فخورون بوجودهم.

تفاصيل اللقاء

ما يخص هذا اللقاء، فقد أسميناه (ديوان بغداد لقادة وزعماء العشائر)، واقتراحنا الأول أن تكون هناك فرصة للقاء شهري، ولكن هذا اللقاء منكم وإليكم، ولنا الشرف أن نكون حلقة وصل في هذا اللقاء، ولكن الحديث والمضمون والرسالة هي رسالة بين الأمراء والشيوخ، فإن وجدتم أن اللقاء الشهري مفيدا يمكن أن نستمر فيه، وإن وجدتم شيئًا آخر فأدرجوه وضمنوه في الوريقات الصغيرة الموضوعة أمامكم، والتي ستدرس وعلى ضوئها نقرر تفاصيل هذا اللقاء.

٢٣٤. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد لزعماء العشائر والقبائل العراقية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢١/ ٢/ ٢٠١٥

هذا ليس لقاءً إعلاميًا، وحتى ما كان مصورًا فهو للأرشيف، وحديث الشيوخ الكرام لا يخرج إلى وسائل الإعلام، باستثناء صور تطمئن شارعنا أن الشيوخ من كل العراق يجلسون ويتداولون مع بعضهم، ولكن الرأي أن يكون هذا اللقاء لقاءً خاصًا خلف الأضواء، لكي تكون نسبة الصراحة فيه عالية.

كل الشكر والتقدير لأولئك الشيوخ الأفاضل الذين قدموا لنا مداخلات بصراحة أكبر، ومن الطبيعي، في أول لقاء من هذا النوع، أن يكون من الصعب أن نتصارح كثيرًا، ولكن نتمنى بمرور الزمن أن تكون هناك فرصة لنقول ما يجول في خواطرنا وما نسمعه في دواويننا ومضايفنا.

هدف اللقاء

الهدف من هذا اللقاء ليس مجاملات، وليس صرف الحضور، على أن لقاء حضراتكم شرف عظيمٌ لنا، ولكن الهدف الأساسي هو ما أعتقد به وما شرع به بعض الأمراء الأكارم، أن هذا البلد في نسيجه المجتمعي نسيج عشائري، والركائز الأساسية التي تحفظ هذا البلد هي هذه العشائر والقبائل، وكل منكم له ديوانه وله مضيفه، والناس من الصباح إلى المساء يأتون ويجلسون في هذه المضايف العامرة وينطلقون بالحديث، من جميع الأنساق والانتماءات والمستويات المجتمعية، فهذه المضايف محطات مهمة لتداول المشاكل والحلول والمعالجات والأفكار والملاحظات، ولكنها تبقى في كل مضيف من هذه المضايف، أو أحيانًا بتشاور بين زعيم هذه القبيلة وتلك القبيلة، مع ما يمتلكون من صلات وعلاقات، ولكن لو كانت هذه المعطيات، هذه الملاحظات، تُجمع وتُطرح في مكانٍ تتواجد فيه قبائل العراق وشيوخها وأمراؤها، ليتدارسوا قضية مهمة، وتنبثق لجنة معينة من عدد من الشيوخ المعنيين بموضوع ما، أو المتفرغين لقضية ما، ليخرجوا بحصيلة ونتيجة، ثم نأخذ هذه المعطيات والنتائج إلى السياسيين، إلى الرؤساء، إلى البرلمان، إلى مجلس الوزراء، إلى وزارات الدولة، كل حسب طبيعة الظرف الموجود، وحينما يُعرف أن هذا اقتراح قدمه زعماء القبائل والعشائر، فلا شك أنه سيحظى بتأثير أكبر، وسيُصغى إليه، ونحول الأفكار الطيبة والمهمة والعميقة التي قد نجدها في ذهن كل فرد من الأفاضل إلى باكورة عمل.

كما ذكر بعضكم؛ لا يكفي أن نصف المشكلة، بل يجب أن نصف الحل، والآليات العملية للحل؛ فقد يكون لدي وصف للمشكلة ولكن ليست لدي حلول لها، أو لدي وصف للحل ولكن ليست لدي آليات التنفيذ، إذن لم تُحل المشكلة! فيجب أن نصف

المشكلة، ونصف الحل، وتكون لدينا آليات في متابعة هذه الحلول حتى تُنجز، وبالفعل لا يوجد غير هذه العشائر والقبائل التي تمثل عمق المجتمع، يمكن أن تنهض بهذه المهمة.

العراق قد يُمزق لا قدر الله ويُفكك إذا ما تراخينا، ويعود إلى وحدته وقوته وتماسكه إذا ما تماسكنا، هذه الوجوه الكريمة التي تُمثل جميع الطيف العراقي، وجميع قبائل العراق، إذا تبانت على أن تكون يدا واحدة للدفاع عن عراقٍ واحد، فسيبقى العراق موحدا بإذن الله تعالى، وإذا تساهلنا فقد نذهب إلى خيارات صعبة.

داعش خطر عالمي

لعل الظرف الذي نمر به في هذه الأيام من أصعب الظروف التي مرت على العراق، ولدينا فرص هائلة وإمكانات كبيرة، ولكن أمامنا تحديات ضخمة.

هذه مشكلة لا تخص العراقيين فقط، فاليوم أصبحت مشكلة إقليمية؛ لاحظوا المشاكل في سوريا، ولبنان، ومصر، وليبيا، وتونس، والبحرين، واليمن، والأردن أيضًا لم تعد بعيدة تمامًا عن هذه المشاكل.

تحليلي للأمور أن الأردن والمملكة العربية السعودية هما أيضًا من الدول التي تمتد إليها شرارة هذه النار لا قدر الله، وأتمنى أن أكون مخطئا في هذا التحليل، ولكن هكذا نقرأ الأمور، وهكذا تتسع هذه النار لتصل شرارتها إلى جميع هذه المواقع، وأطلقت نداء في الملتقى الأخير يوم الأربعاء، وقلت: هذا نداء أطلقه لأبرئ ذمتي أمام الله (سبحانه وتعالى)؛ أن القضية قد تخرج عن السيطرة، ولا يعتقد أحد بأن داعش يمكن أن تكون بندقية للإيجار، يوظفها كيفما يُريد، فهذه بندقية خرجت عن السيطرة وأصبحت ترمي بكل اتجاه، ولا تميز بين أحدٍ وآخر.

فالخطر عميم والمشكلة كبيرة، والعراق قدره نتيجة لحضارته وتأريخه وعمقه وتأثيره وتنوعه وثقله الإقليمي والدولي، قدره أن يكون في قلب هذه العاصفة، والانتصار مرهون بصلاح أمر العراق.

استعادة المغرر بهم

هؤلاء الشباب الذين انتموا إلى داعش، هل ستنتهي المشكلة بأن نقتلهم جميعا أو نحكمهم بالإعدام؟.. هؤلاء الشباب الكثير منهم أبناؤنا، أبناء العشيرة الفلانية والعشيرة

الفلانية، وهذا ما نص عليه البيان الأخير للإمام السيستاني دام ظله، فالمغرر بهم يجب أن نفتح لهم نافذة، يجب أن نفتح بوابة، لنستعيد شبابنا وعشائرنا، والمجرم صاحب الأجندة نأخذ موقفا تجاهه، ولكن شعبنا يجب أن نستعيده، شارعنا يجب أن نستعيده، ولا سيّما اليوم وقد تكشفت الحقائق التي كانت خافية قبل ستة أشهر.

الجيش وقتال داعش

اليوم إذا ما استنفرنا طاقتنا نستطيع أن نقف أمام هذا الوحش الكاسر الذي قَدِم لاحتلال أراضينا، منذ سنة (٢٠٠٣) وحتى الآن لم يسمحوا لجيشنا بأن يتكامل، ولعل الأطراف الأجنبية لم تُرد أن تصنع جيشًا، ولم يسلحوه تسليحا صحيحا، والجيش يحتاج إلى عقيدة وطنية حقيقية، ويحتاج إلى تدريب عال، ويحتاج إلى قادة مخلصين لا تؤثر فيهم الأجندة.

هذه أشياء لا تزال غير متكاملة في وضعنا الحالي، فالجيش ينهار ثم يعود ليتماسك ويعاد تركيبه من جديد، ونحتاج إلى وقت وجهد، المعركة التي نخوضها اليوم ليست معركة جيوش، بل القتال مع داعش قتال أشباح.

يستخدم داعش ثلاث وسائل: العبوات، آلاف العبوات يزرعونها في فترات زمنية قصيرة، ويتفننون في زراعتها، وحتى حين يخرج داعش من هذه المنطقة أو المدينة، نحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل لتفكيك هذه العبوات وتطهير المنطقة منها، والوسيلة الثانية الهاونات، فلديهم قاعدة كبيرة في استخدام الهاون وإصاباتهم دقيقة، والوسيلة الثالثة القناصات، فهم يجيدون القنص بشكل مؤثر، لذلك فالقتال مع داعش قتال أشباح.

المصالحة والعشائر

هناك مناطق مختلطة من جميع القوميات والطوائف، فكيف نعيد الوئام بين الناس؟ إن الحلول لمثل هذه المشاكل العويصة بأيديكم يا شيوخ العشائر ويا أمراء، ونحتاج إلى حلول شاملة، فالحل الأمني لا يكفي، وكما تحدثنا عن أنبارنا الصامدة قدمنا في حينها عشر نقاط، تمثل حلًا أمنيًا، وحلًا سياسيًا، وحلًا مجتمعيًا، وحلًا عشائريًا، وحلًا خدميًا، كل هذه مجتمعة حتى تستطيع أن تحقق لنا أمنًا حقيقيًا.

نتحدث عن المصالحة، فمَن يتصالح مع مَن؟ هل هي المصالحة بيننا، بين العشائر؟ مع مسلحين؟ بين السياسيين؟ ثم ماذا تعني المصالحة؟ هل هي طرف يُعطي لطرف، أو جميع الأطراف تُعطي لبعضها؟.

أعتقد بأن المصالحة تحتاج لأن نلتقي في المنتصف، وأنتم شيوخ وأمراء، والناس تعود إليكم في النزاعات والمشاكل، إذ يقدم كل طرف تنازلات وتسهيلات للطرف الآخر، لذلك يجب أن ندعم العشائر ونبني مجلسا للعشائر، ولكن على ألاّ نتدخل فيه، فهم من يقررون ويجتمعون ويشخصون مشاكل البلد.

المطلوب من شيوخ عشائر وقبائل البلد أن يدعموا الدولة، وأن يدعموا العملية السياسية، وينبغي على زعماء العشائر أن يجلسوا ويتداولوا ويعطونا مقترحات وتوصيات.

التكاملية بين الرموز الدينية والرموز العشائرية، هي التي حفظت العراق في تأريخه الطويل، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، واليوم شعرت المرجعية بأن العراق في خطر، فأطلقت فتواها الشهيرة بالجهاد الكفائي، ورأينا مئات الآلاف من شباب العشائر هبوا لنصرة البلد.

تحدث أحد الأفاضل عن ضرورة تكييف الأعراف العشائرية مع الموازين الشرعية، ونحن نعتز ونفخر بالانتماء إلى الإسلام، وبالتالي فإن أعرافنا وتقاليدنا ورسائلنا العشائرية يجب أن تكون ضمن الإسلام والشرع، وهي في الأعم الأغلب كذلك، ولكن هناك بعض النتوءات أو بعض القبلية، وهذه أيضًا تحتاج إلى وقفة من زعماء العشائر لعلاجها.

من منا يملك القدرة على أن يحمل هذا المشروع على أكتافه غير زعماء وأمراء القبائل والعشائر؟ فكلي أمل أن تكون هناك لجنة مصغرة من شخصيات متفرغة نوعًا ما، ونضع هذه بين أيديكم لكي نخرج بمشروع وطني شامل واضح، يضمن حقوق الجميع، ويُطمئن الجميع.

ديوان بغداد المهني [٢٣٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتلبيتكم هذه الدعوة إلى مكانكم ومضيفكم، مضيف الإمام محسن الحكيم، الذي أسميناه بديوان بغداد، والذي يعبر عن تلاقي جميع العراقيين، فإن بغداد القلب النابض للعراق كله، والمحطة الأساسية التي تجمعنا جميعًا.

شكري وتقديري أيضًا لكل ما أتحفتمونا به من ملاحظات قيمة وعميقة ودقيقة، ونتمنى أن نجد العراق دولة عادلة في المستقبل القريب بإذن الله تعالى لخدمة العراقيين جميعًا.

اسمحوا لي في البداية أن أعتذر لأحبتي من الإخوة والأخوات الكرام الذين لم يجدوا متسعًا في الصف الأول، فاضطررنا إلى أن نحتضنهم في الصف الخلفي، وإذا كانت المقاعد تضيق فالصدور رحبة ومكانهم في القلب جميعًا.

هدف الديوان وإدارته

بالإشارة إلى أن الهدف من هذا الديوان هو أن نجلس وأن نلتقي ونتحدث ونتشاور ونعبر عن آرائنا، وهكذا تنضج بعض الأفكار وتنتج مشاريع قابلة لأن تُتابع تشريعيًا أو تنفيذيًا أو في مواقع الدولة المختلفة، وهناك الكثير مما يُمكن أن يتم خارج مؤسسات

٢٣٥. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب المهنية الذي عقد بحضور عدد من النخب والقيادات المهنية والنقابية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠١٥

الدولة والمؤسسات الحكومية، فالمجتمع يجب أن يأخذ دوره، ومع الأسف، حتى الآن لم يكن دور المجتمع كما نتمنى.

لذلك اجتهدنا في دعوتكم، ولكن بكل تأكيد هناك الكثير من الشخصيات التي يُفترض أن تكون حاضرة أيضًا لمزيد من الإثراء والتطوير لهذا اللقاء، ولذلك أملنا ورهاننا على الوريقات الصغيرة التي وضعت أمامكم أن تتحفونا بالطريقة التي تجدونها مناسبة لتطوير هذا الديوان، بدءًا من الأسماء الكريمة التي تجدونها غائبة ومن المناسب إشراكها.

وكذلك في ما يخص إدارة هذا الديوان والموضوعات التي تُطرح فيه، فهو منكم وإليكم، والإعلام قد يُعطي صورة لتحفيز الرأي العام بشأن أهمية مثل هذه اللقاءات والمنتديات، ولكن لا يغطي مضمون الحديث، فمضمون الحديث سيبقى خلف هذه الأبواب، لكي تكون هناك فرصة لسقف عال من الصراحة والمداولة والحديث بما نشعر بأهمية طرحه وتداوله بيننا.

دور النخب المهنية

أود أن أشدد على أن النخب الثقافية المهنية المتمثلة بحضراتكم في كل المجتمعات الحرة المنفتحة الديمقراطية، تلعب دورًا كبيرًا يتقدم على أدوار المؤسسات الحكومية أو البرلمانية أحيانًا، إذ تتأثر تلك المؤسسات كثيرًا بالرأي العام، وفي العالم يمكن لنقابة معينة تدعو إلى اعتصام أن تشل البلد كله، فالنقابات والاتحادات والجمعيات ومنظمات المجتمع المدني والنخب لها دور حيوي وكبير ومؤثر جدًا ويُحسب لها ألف حساب.

مع الأسف في العراق على مدار الاثنتي عشرة سنة الماضية، لم نحصل على فرصة من هذا النوع، والفرص يجب أن تُنتزع، فالفرص لا تُمنح، فهذه الشريحة المؤثرة الكبيرة صاحبة الفكر والرؤية، عليها أن تأخذ دورها بشكل صحيح، وهذا اللقاء وأمثاله من اللقاءات، توفر بيئة ومناخًا للوصول إلى أفكار قادرة على أن تُعيد التأثير للشريحة النخبوية في هذا البلد الكريم.

ملاحظات مهمة

قبل أن أُعقب على بعض ما تكرمتم بالإشارة إليه، اسمحوا لي أن أقف عند ثلاث أو أربع ملاحظات، ثم أُعقب على ما تفضلتم به:

الملاحظة الأولى: وحدة العراق والخيارات الصعبة

نحن أمام خيارات صعبة، فقد تراكمت الأمور، واشتبكت بعضها مع بعض حتى وصلنا إلى اللحظة المركبة والمعقدة التي نعيشها، سياسيًا وأمنيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، واليوم نحن وصلنا إلى مفترق طرق ولحظة قرار وعلينا أن نختار؛ إما أن نذهب لتغليب الهويات الخاصة فيجد أحبتنا الكرد وجودهم وهويتهم في دولة كردية مستقلة ويذهبوا إلى الاستقلال، ولعل المناطق العربية في العراق أيضًا تجد التعايش غير ميسور وغير ممكن ويذهب كل إلى سبيله وباتجاه الاستقلالية، وبدأت مناشدات صريحة من أطراف واضحة تتحدث بأقاليم، ولكن واضح أن الإقليم الذي يُرسم هو ذلك الإقليم الذي يكون مقدمة لدولة مستقلة تحت يافطة الإقليم، لترويض الرأي العام والشارع.

شخصيًا أعتقد بأن هذا ليس خيارًا للعراقيين، ويأخذنا إلى المجهول، ويُربك إلى حدٍ كبير مصالح هذه المكونات نفسها، والوفد الكردي الكريم الذي شرفنا كان يُمثل كلَ تحالف القوى الكردستانية، وقد أوضحت لهم أن أول المتضررين من مشروع دولة كردية مستقلة هم الإخوة الكرد أنفسهم، فاليوم هم تحت يافطة وخيمة العراق، والعراق بلد عربي في غالبية مواطنيه، وهناك توازنات في المنطقة تحفظ الحالة الكردية، بل لعل البعض يعتقد بأن فتح المجال ومد الجسور مع كردستان بطريقة مبالغ بها قد يؤدي إلى المزيد من الضغوط على الحكومة الاتحادية في بغداد، وفي اللحظة التي تستقلون فيها لا تتصوروا أن الحظوة والمحبة والأحضان والاحتواء التي تجدونها اليوم من بعض دول المنطقة ستستمر بهذه الطريقة.

هناك دول عربية مهمة وأنتم محاطون في بحر عربي، وسوف لا يكون إيجابيا تمامًا مع دولة كردية، وهناك دول كبيرة كإيران وتركيا ترى أن وجود دولة كردية سيحفز الكرد في بلدانهم، وهم مكونات كبيرة، سيحفزهم على الاستقلال، وهناك نزاعات وقوى تحمل السلاح وتعارض هذه البلدان، لذلك فإن هذه الدول أيضًا لن تكون إيجابية في علاقتها معكم، وحتى هذا الأنبوب النفطي اليوم الذي يصل إلى جيهان ويُصدر النفط ليس بالضرورة أن يستمر إذا ما شعر الإخوة في تركيا بخطر من استقلالية كردستان.

والعراق أيضًا حينما تُطلّقونه، فالعلاقة بين المطلّقين عادة لا تكون علاقة إيجابية كثيرًا إلّا نادرًا، فهذه أيضًا سترتبك، لذلك ستكونون محاصرين من كل الأطراف بأجواء غير صديقة أو غير محببة لمثل هذه الخطوة، وهذه تُمثل ضغوطا هائلة وكبيرة يُمكن أن تعصف بالأمن والاستقرار الموجود اليوم في إقليم كردستان، وبالفرص الواعدة بالبناء والإعمّار، فهذا الإعمّار وهذا البناء وهذا الاستقرار جاء وليد معادلة، وهذه المعادلة معادلة عراقية وليست معادلة كردستانية بحتة، مع تقديرنا العالي للجهود التي تُبذل بحسن الإدارة في ملف كردستان إلى غير ذلك، ولكن هذه واقعيات.

إخواننا في المناطق الغربية أيضًا إذا أردنا أن نُحلل وضعهم، فإنهم حينما ينفصلون عن المناطق العربية الأخرى، لن يجدوا مقومات الدولة الكاملة، وسوف تُذكى وتُنعش الكثير من الصراعات الداخلية، واليوم الخط والتيار المتطرف مهيمن ومتمكن من هذه المناطق بشكل كبير، وبالتالي فإن جميع المعتدلين والسياسيين حتى المعترض منهم لا يستطيع الذهاب إلى منطقته وعشيرته.

هذه القضية ستكون أصعب بكثير؛ فهل نكون أمام دولة خلافة إسلامية مزعومة، وأبو بكر البغدادي يحكم هذه الدولة؟ وهذه ليست قضية مُرضية لأحد من أبناء هذا المكون الكريم، والمسألة لا تختلف كثيرًا عن هذا الأمر في المناطق العربية الأخرى في الجنوب وما شابه، حيث التنوع الكبير، والطموحات الواسعة، والظروف الصعبة، والجوار العربي غير المُرحِّب بمثل هذه الدولة الشيعية المستقلة في العالم العربي، إلى غير ذلك، وهذه كلها ستكون عقبات حقيقية.

إن ما نبذله من جهدٍ في إطار عراق موحد، أقل بكثير مما يتحتم علينا بذله في حال تشظي العراق إلى دويلات صغيرة، وفي عراق موحد لدينا مشكلة كبيرة اسمها المناطق المتنازع عليها، والأضواء مسلطة على المناطق المتنازع عليها بين إقليم كردستان والمناطق العربية، ولكن هذا التنازع يمتد إلى كل العراق بين الكثير من المحافظات، فهناك أجزاء كبيرة اقتطعت من محافظات وأُضيفت إلى أخرى في ظل الدكتاتورية، فمن سيقبل إذا ما تحدثنا عن دول بتقسيمات أوجدها دكتاتور، وستعود الأمور إلى جذورها التأريخية، ومن حصل على قطعة من الأرض لن يتساهل في منحها من جديد ليقتطعها من دولته المزعومة، ومن فقدها لن يسمح بأن تُشكل دولته بدونها.. وهكذا.

لذلك فإن تشظي العراق سيعني حروبا دامية، ومشكلات عويصة وكبيرة، وحمامات من الدم، وضغوطا هائلة على جميع هذه الدويلات لاحقًا، والعراق ليس جزيرة في

محيط، فالتشظي في العراق سيؤدي إلى تشظيات في المنطقة كلها، وسنذهب إلى تقسيم واسع النطاق في المنطقة برمتها، لذلك فهذا ليس خيارًا، وليس لنا إلاّ أن نكون في عراق موحد، يتحمل بعضنا بعضًا ونتعايش ونبتكر وسائل للوصول إلى ما يُطمئن الجميع.

الملاحظة الثانية: دعم خط الاعتدال

من الذي يستطيع أن يوحد العراق في هذه الظروف الصعبة؟ نحتاج إلى معتدلين في جميع الساحات، هؤلاء هم الأقدر على أن يضعوا يدًا بيد، ويبتكروا الصيغة والمعادلة السياسية القادرة على أن تحفظ وحدة العراقيين جميعًا، فما دام صوت الخط المتشدد هو المرتفع، والناس تذهب، شيعة أو سنة أو كردًا، لتصوت لمن يهتف بصوت أعلى بمطالبهم الخاصة، أو يظهر بمظهر المدافع عن مطالبهم، ويصف الآخرين بالانبطاحيين وبمن يُفرط بحقوق الطائفة وحقوق القومية، ما دام ذلك الصوت هو الأقوى إذن من الصعب الذهاب إلى تسويات تأريخية، والوصول إلى معادلة مطمئنة لكي تستقر الأوضاع.

من الذي يُساعد خط الاعتدال في أن يبرز ويأخذ مساحته ودوره؟ هنا يأتي الكلام عما أسلفت، أن تأخذ النخب أدوارها، تنتزع أدوارها، لأن الأدوار لا تُمنح بل تُنتزع، هذا هو دور النخب، ولا أقول أدعموا فلانًا في هذه الساحة أو فلانًا في الساحة الأخرى، بل ادعموا الاعتدال، فكل من كان معتدلًا يجد خطابكم وحديثكم ومقالاتكم وتأثيركم وفنونكم وآدابكم ونقاباتكم، لتكون إلى صف الصوت المعتدل.

اليوم نحن نتحدث بصوت منخفض، ولكن هناك سماعات هي التي توصل الصوت في هذه القاعة إلى جميع الحاضرين، ودوركم هو إيصال صوت الاعتدال والدفاع عنه وتفسيره وتبريره، وبيان أنه ليس ضعفًا أو انكسارًا أو خنوعًا حينما يكون الإنسان معتدلًا، وحينما يبحث عن جسور يمدها مع الشريك الآخر ضمن العراق الواحد.

النخب كما أزعم بإمكانها أن تأخذ المزيد من الفرص والأدوار المجتمعية حينما يكون لها مشروع، واليوم إذا كانت نخبنا لم تأخذ دورها ـ واسمحوا لي أن أكون صريحًا ـ فإن جزءًا من السبب هو أن النخب العراقية ليس لديها مشروع واضح، وكل يأخذ جانبا، وهناك تعبير دقيق في القوانين؛ إذ يقال قوانين ترقيعية، واليوم نحن في رؤيتنا النخبوية إلى الواقع العراقي لدينا رؤية ترقيعية؛ فكل منا يأخذ جانبًا ويتحدث فيه، ولكن

هذا لا يُولد رؤية شاملة، لا يُولد مشروعًا متكاملًا، ولا نستطيع أن نحافظ على وحدة العراق ولحمة العراقيين إلا بمشروع متكامل نتبناه جميعًا ونتحدث به.

القول بأن كلًّا من زاويته يناصر هذا المشروع كلامٌ عامٌ يصطدم بصخرة الحقيقة؛ فهذا شيعي أحد أحبته مقتول، وكذلك ذاك السُني، والكُردي اليوم لديه مشاكل، والتركماني لديه مشاكل في ساحته ويتعرض إلى ضغوط وإلى إشكاليات، فنحتاج إلى مشروع متكامل يشعر فيه الشيعي والسُني والكُردي والتركماني والمسلم والمسيحي والصابئي والإيزيدي، يشعرون أن حقوقهم ومكانتهم محفوظة ضمن عراق موحد، نحن بحاجة إلى إنتاج مشروع عراقي متكامل مطمئن للجميع تتبنّاه النخب ويدعمه خط الاعتدال.

الملاحظة الثالثة: المصالحة

العراق الموحد يحتاج إلى التعايش ويحتاج إلى مصالحة، فماذا نعني بالمصالحة؟ مَن يتصالح مع مَن؟ من هو طرفنا في المصالحة؟ ما هي أدوات المصالحة؟ ما هو إطار المصالحة؟ من يُقدم لمن في هذه المصالحة؟ ما هي الضمانات لنجاح هذه المصالحة؟.

هذه كلها أسئلة حيوية ومهمة، فالجميع يتحدث عن المصالحة، حتى المتشددون منهم، ولكن حين نأتي إلى لحظة الحقيقة نجد أن هناك عقبات، كما أشرنا في كلمتنا الصباحية، والالتقاء في المنتصف هو الحل، فكل طرف عليه أن يُقدم إلى شريكه، واليوم هناك شركاء، وفي أغلب الحالات والساحات يتحدث كلٌ بمطالبه ولا يفكر ماذا يُقدم للآخر، وهذا لا يؤدي إلى مصالحة، واليوم في مجال رجال الأعمال والاقتصاديين، نجد أن الاقتصاد قوامه أخذ وعطاء، ولا يمكن لأحد أن يأخذ ولا يعطي، فهذه معادلة وصفقة خاسرة، فلا تتحقق مصالحة حين يخرج طرف منتصرًا، ويخرج الطرف الآخر منكسرًا مطئطأ الرأس، فأيُّ مصالحة هذه؟ والجميع يمتلك أوراقًا وأدوات للضغط على الشركاء الآخرين، والجميع لديه خيارات، فإذا أردنا مصالحة حقيقية فعلينا أن نضع على الورق رؤية عما يتنازل به كل طرف من الأطراف.

لا يمكن أن نحقق مصالحة بطمأنة أطراف وإثارة أطراف أخرى، فبذلك نكون قد عدنا إلى المربع الأول، بل نحتاج إلى مصالحة تطمئن الجميع، وهذا ما علينا أن نُفكر فيه؛ يُفكر الشيعي ماذا يُقدم للسُني، والسُني يُفكر ماذا يُقدم للشيعي، والعربي يفكر ماذا يُقدم للكردي والتركماني والعكس صحيح، وإلى اليوم لا توجد رؤية جادة متكاملة في

ما علينا أن نُعطيه وما نأخذه، أو في ما تُصاغ على ضوئه المصالحة، فحتى المعتدل مع غياب الرؤية لا يستطيع أن يُحقق شيئا؛ فمن يستطيع أن يمضي بمفرده من دون رؤية وطنية، وضمانات كافية، وغطاءات لحمايته؟.. لا أحد يستطيع.

لذلك يجب ألاّ نكون عاطفيين في قضية المصالحة، ونحتاج إلى رؤية واضحة نتبناها جميعًا، لكي نمضي والجميع مطمئن أنه رابح؛ نظرية الربح للجميع، لنخرج جميعًا منتصرين ورابحين، وربحنا جميعًا سيعني بالضرورة خسارتنا جميعًا لبعض ما نطمح ونتطلع إليه، فإذا كان الجميع غير راضين فذلك مؤشر طيب، فمعناه أن الجميع متنازل، أما إذا كان هناك من يصفق والآخر غير راض، فمعنى ذلك أن هناك خللا في التوازن والمعادلة المطلوبة.

الملاحظة الرابعة: ماذا بعد داعش؟

أنتم عقول العراق ونخبه، نخب مهمة ومؤثرة ومن العقول العراقية الفذة، واليوم تتجه جميع الأنظار إلى كيفية طرد داعش، وهو كلام حق في لحظة معركة، وداعش يُطرد يوما بعد آخر، ودائمًا كل شيء بخلاف الطبيعة لا يمكن أن يستمر طويلًا، وهذه الأخطاء التي تُرتكب تُوسع جبهة المعارضة لداعش ومواجهته؛ فيوم أحرق الطيار الأردني دخل واقع ومكون جديد في التوازنات الإقليمية والدولية لصالح جبهة المواجهة ضد داعش، ويوم قتل المصريين في ليبيا دخلت أوراق جديدة إلى هذه الجبهة، وحينما يستهدف داعش متحفا في نينوى بهذه الطريقة الهمجية، ويدمر تُراثًا إنسانيًا يمتد لآلاف السنين بهذه الطريقة بناء على آراء معوجة وغريبة، فلا شكَّ أن هذه الجبهة ستتسع بهذه الأخطاء، والقتل العشوائي والهمجي الذي يحدث، فاليوم شعارهم نقتل الروافض، وربما يتصور الآخرون أن القضية لا تشملهم، وقد قالها البعض في الداخل والخارج: داعش بندقية للإيجار، وهدفهم الآن يساعد على تحقيق توازنات جديدة في هذا البلد، فلماذا نستعجل؟ دعوهم قليلًا يُعيدون التوازن ويضغطون على الطرف الشيعي، ثم بعد ذلك نحتضنهم، ولكنهم خرجوا عن السيطرة، ونموا بشكل سريع، فاستهدفوا الشيعي والسني والمسيحي والكردي والصابئي والتركماني، بدوافع مختلفة في منطقهم المعوج، فيستهدفون الشيعي لأنه شيعي، ويستهدفون الآخرين لاعتبارات سياسية أو نفوذ أو سلطة أو لأن أحدهم وقف في وجوههم، إلى غير ذلك.

وبالتالي من حيث النتيجة فالجميع مستهدف، وأبناء محافظاتنا الغربية الكريمة يعيشون أوضاعا صعبة يتقطع قلب من يطلع عليها، فهناك عدد كبير من النازحين

ومن هو بقي في مدينته أصبح تحت سطوة هؤلاء الأوباش، فبين من هو تحت الهيمنة يُستعبد، ومن هو نازح، ومن يعيش خارج العراق، فاليوم أحبتنا السنة منكوبون حقيقةً ويحتاجون إلى وقفة ونصرة ومؤازرة في هذا الظرف الحساس والحرج، ولكن كل هذا الذي نتحدث به هو في لحظة المعركة، وداعش سوف يزول بإذن الله تعالى، وستكون هناك انتصارات قريبة في الأسابيع القادمة، ولكن ماذا بعد داعش؟.

هذا الشرخ المجتمعي العميق كيف نعالجه؟ وكيف نوحد الصفوف من جديد؟ فهناك من أبناء العشائر من حمل السلاح وقتل الناس تحت يافطة داعش، وكلهم معروفون بأسمائهم، فماذا نفعل الآن وكيف نعيد اللحمة؟.

هناك من قتلوا، وفي لحظة انتصار وهمي تبجحوا مهلّلين بأنهم حققوا النصر العظيم حينما قتلوا شبابًا بهذه الطريقة، فكيف نعيد اللحمة؟.. كيف نطوي هذه الصفحة؟.. كيف نبدأ بداية جديدة؟.. كيف نُعمق اللحمة بين العراقيين في مناطق مختلطة عاشوا فيها معًا زمنًا طويلًا؟ ونينوى واحد من الأمثلة الواضحة والصارخة لهذا التعايش التأريخي، نحتاج إلى أفكار حقيقية من نخبنا ومن عقولنا، ونتمنى أن نتعاون جميعًا في هذا الأمر.

ملف الاقتصاد

نحتاج إلى سياسة اقتصادية جديدة، واليوم حيث أسعار النفط منخفضة والضغوط كبيرة، هو الوقت الصحيح لاتخاذ قرارات جريئة في إنعاش الاقتصاد والزراعة والتجارة والقطاع الخاص وما إلى ذلك.

قبل أيام كان نائب الرئيس الإيراني في زيارة إلى بغداد، وقال كلمة استوقفتني كثيرًا، إذ دار حديث عن دور النفط في الموازنة الإيرانية، فسألته عن ذلك فقال: إن (٢٥٪) من موازنتنا من النفط، ولدينا خطة شاملة لتصفيره، هذا بالضبط هو مشروع صندوق الإعمّار الذي كان لدينا في الخمسينيات كما أشير، وكانت أموال النفط تذهب إلى ذلك الصندوق لمشاريع استثمارية وكادخار للمستقبل وما إلى ذلك، ولا تستخدم في الموازنة وفي إنفاقاتنا اليومية.

لو سألنا دولة بحجم إيران وفيها تسعون مليون نسمة؛ كيف استطاعوا أن يُصفروا حاجتهم للنفط بالتدريج، وهم كانوا مثلنا يعولون على إيرادات النفط بنسبة (٩٥٪)؟. نرى أن الحصار والعقوبات الدولية كلما ضغطت عليهم دفعتهم إلى البدائل، فخلال

عقدين من الزمن تمكنوا من أن يوصلوا أنفسهم إلى هذا المستوى، ونحن أيضًا من الصعب أن نتحرك بلا ضغوط، وهذه الضغوط اليوم فرصة ونعمة علينا استثمارها لنندفع إلى الاتجاهات الأخرى.

تدمير التراث

لا شكَّ أن ما حصل في متحف الموصل كارثة بالفعل، وطعنة ليس للثقافة العراقية فقط بل للثقافة الإنسانية وللتأريخ الإنساني، والشهيد السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) كانت لديه رؤية بشأن الأمور التي لا تخص الشعب أو الجماعة بمفردها، كالآثار التي تُطمس في المملكة العربية السعودية بناءً على رؤيتهم ومذهبهم، إذ كان يقول إن هذا تراث إسلامي لا يحق لمذهب ما أن يعبث به.

منظمات المجتمع المدني

بشأن قانون منظمات المجتمع المدني، تعرفون أنه حين تنتهي دورة برلمانية، فالبرلمان يُرجع جميع القوانين المعطلة إلى الحكومة الجديدة، فتُناقش في مجلس الوزراء الجديد، وإذا لم توجد إضافات تعود مرة أخرى، فلذلك اليوم أغلب هذه القوانين أُعيدت إلى مجلس الوزراء، ومجلس الوزراء يعيدها من جديد بشكل منتظم بين فترة وأخرى بحسب الأولوية إلى مجلس النواب.

اعتماد القانون أساسًا في إدارة المجتمع هو الشيء الصحيح، فإذا كنا نريد دولة عصرية عادلة، يجب أن يكون هناك قانون يشمل الجميع ويتساوى أمامه الجميع، فإمامنا أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقبل للقاضي أن يُميز بينه وهو خليفة المسلمين آنذاك، وبين يهودي اختلف معه على سيف، وكان القاضي يُكثر النظر لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ ويُحدثه، فاعترض الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال يجب أن تساوي بيننا حتى بالنظر، وكسب ذلك اليهودي الدعوى على خلاف الحق، وبعدما كسب الدعوى وخرجوا اعترف للإمام بالحقيقة وأعاد إليه السيف، وهذه صورة أسطورية، فكم يلزمنا من الوقت لإشعار المواطن بالكرامة والعدل؟.

موازنة الدولة

موازنة الدولة العراقية أصبحت مجموعة جداول تُملأ، وكل وزارة تُقدم أشياء ومطالب أكثر من حاجتها، وأصبحت الكلف التشغيلية تصل إلى السبعين أو الثمانين بالمئة، والمشاريع الاستثمارية تأخذ حيزًا محدودًا جدًا من الموازنة.

لذلك نحتاج إلى واقع جديد، وإلى رؤية جديدة وبناءات جديدة في الموازنة، وفي النظر إلى واقعنا المستقبلي، فالنفط لا يمكن التعويل عليه بشكل طويل الأمد، ويجب أن نُفكر بالوسائل الأخرى.

السياسة والجامعات

بشأن إبعاد التجاذبات السياسية عن الجامعات، تحدث الكثير عن هذا الأمر وبهذه العبارة، والبعض يتحدث بشيء ويفعل شيئًا آخر، إذ يقول بإبعاد التجاذبات ولكن سلوكه يوحي بإبعاد السياسة عن الجامعات، وهذا شيء غريب جدًا.

من هم قادة المستقبل، أليسوا هم طلاب الجامعات؟ من هم المشاريع الإصلاحية في جميع المجتمعات الإنسانية؟ أليسوا هم الشريحة النخبوية؟. اليوم أغلب من يقوم بالمسيرات والتظاهرات هم طلاب الجامعات، فكيف نحرم هذا الطالب المنفتح النخبوي اليافع، الذي ينبغي أن يكون جزءًا من هذا الواقع ويساهم في فهمه وإصلاحه؟.

لذلك فإن رؤيتنا هي نعم للثقافة السياسية، للرؤية السياسية، وكلا للتسييس والتجاذبات السياسية داخل الجامعات.

بناء مسرح

هذه بغداد العامرة التي تحوي أكثر من سبعة ملايين نسمة، بتأريخها وحضارتها، تحتاج لعشرة مسارح، ويجب أن يكون لدينا تفكير في مثل هذه الأمور؛ مراكز شبابية، قاعات وساحات ومسارح.. إلى آخره.

نلاحظ أن الكثير من شبابنا يقضون وقت فراغهم في المقاهي، وهذا سلوكيًا لا يؤدي إلى تربية صحيحة، وهؤلاء يجب أن نوفر لهم البديل، ولا يجب أن ننتقد ظواهر معينة فقط، من غير أن نوفر البديل الصحيح الذي يملؤون به وقت فراغهم.

بموضوع التنافس العادل، هناك جامعة ودروس وامتحانات، طلبة وطلاب، وترون أن نسبة التفوق والنجاح دائمًا لدى الطالبات أكثر، فأين المشكلة في أن نعطيهن الفرص والأدوار؟ ولكن مجتمعنا مجتمع ذكوري، أو مجتمع فحولي، كما يرى البعض التسمية اللغوية الصحيحة.

توصيات الديوان

بشأن الخروج بتوصيات محددة في هذا اللقاء، لا نرفع من سقف هذا اللقاء، فهذا ليس مجلس قيادة الثورة، ولا مجلس الوزراء، ولا مجلس النواب العراقي، بل هذا ديوان بغداد، نجتمع، نتذاكر، نستمع لبعضنا، وخادمكم عمّار يعد بالمتابعة ولا يعد بالتنفيذ، وأنتم كلٌ من موقعه يمكنه أن يطرح فكرة صحيحة، أو رؤية صحيحة، ويمكن أن يدافع عنه في مكان، ويمكن أن يكون هو في موقع له تأثير معين، لكي نبني مناخًا جديدًا، وإذا وضعنا أكثر من هذا السقف نكون قد ظلمنا أنفسنا وظلمنا هذه الفكرة المسماة بديوان بغداد.

القوانين السابقة

لقد أصدر مجلس قيادة الثورة عشرات الآلاف من القرارات خلال عقود من الزمن، كلها على خلفيات بغيضة على وفق النظرية الدكتاتورية، واليوم لدينا دستور، ولكنه في وادٍ والضوابط والقوانين والإجراءات المرعية في البلد في عالم آخر، والذي يحكم ليس الدستور بل هذه الضوابط، والمشكلة أنه في بعض المجالات أصبحت لدينا عدة قوانين، وكل قانون جديد عندما يُستحدث لا يلغي سابقه، فيبقى بيد الموظف خمسة أو ستة قوانين، وإذا رشاه أحد يذهب ليختار بين خمسة قوانين أيّها ينفعه، فكلها نافذة، أيّها فيه ثغرة، فيخرج القانون رقم كذا، المادة رقم كذا، وينجزها لك، وإذا أراد أن يصعبها يذهب ليرى أصعب الحلول بين جميع هذه القوانين، لذلك نجد أنه في حالة واحدة يراجع المواطنون دائرة واحدة وموظفا واحدا في يوم واحد، ومع ذلك يمكن أن تخرج النتيجة مغايرة! وهذا استنادًا للقانون وذاك استنادًا للقانون، وهذه مشكلة كبيرة جدًا وتساعد على الفساد إلى حد بعيد.

الممرضون

يتحمل الممرضون أعباء كبيرة جدًا في ظل ظروف البلاد وضحايا الإرهاب، ويدفعون ضريبة أخطاء أو قصور أو ضعف في جوانب أخرى، وبالتالي فالناس لا ترى غير الممرض أو الممرضة، فهذه الممرضة المسكينة التي لا يوفرون لها الأدوات، تبقى هي في وجه المريض، والضغط يكون دائمًا على الممرضين من دون أن تُقدم لهم الرعاية الكافية والمطلوبة.

إن فكرة عقد مؤتمر لدراسة مشاكل الممرضين، هذه الفكرة استهوتني، وسنحاول التفكير بعقد مثل هذا المؤتمر، ولكن نحتاج إلى عدد من المعنيين بهذا الشأن لكي يساعدونا ويعرفونا على أنفسهم، من أجل أن نشكل لجنة تحضيرية تدرس الأمور بشكل صحيح، ليخرج هذا المؤتمر بنتائج.

ترقيع

لدينا مشكلة في القوانين التي نشرعها؛ فهي غير متواءمة وترقيعية، فقد أتينا إلى كل مجموعة لديها مشكلة وشرعنا لها قانونا، ولكن هذه القوانين غير متواءمة مع بعضها ويجب أن تنتظم، وبالفعل، يوجد قانون للعدالة الاجتماعية يشمل الشرائح كافة وينصف الجميع، إذ يجب أن ننصف الجميع، لا أن ننصف البعض ونؤثر في حقوق البعض الآخر.

كركوك

العرب والتركمان والكرد في كركوك مكونات أساسية في هذه المحافظة المتآخية، ولكي يكون للجميع الثقل المناسب الذي ينسجم مع ثقلهم السكاني، يتحتم عليهم أن يكونوا موحدين، وإذا اختلفنا عربًا وكردًا وتركمانًا وصُنّفنا إلى قوائم، فمن الممكن أن تذهب هذه القائمة، وتلك تذهب أيضًا، ثم لا يلُم المرء إلا نفسه، فأعتقد بأن هذه التجارب وإن كانت لفترةٍ ما قد تولد توازنًا غير منسجم مع الواقع، ولكنها دروس للجميع أنه علينا أن نتعاون ونتعايش مع بعضنا، قائمة عربية، قائمة تركمانية، والإخوة الكُرد بارعون في هذه التفاهمات بالرغم من وجود بعض المشاكل، ولكن يجب إنصاف المكونات الأخرى لكي يتحقق التنفيذ الصحيح، وهذا هو الذي يحفظ توازنات كركوك إن شاء الله.

برلمان ثقافي

بشأن إنشاء برلمان ثقافي، من ينشئ هذا البرلمان؟ هل يكون ذلك بانتخابات عامة؟ وعندها ستأتي نفس الأحزاب التي تفوز في البرلمان، نحن وأمثالنا، لتستحوذ على هذا البرلمان، فنحن أكثر منكم جميعًا، وسيكون البرلمان الثقافي نسخة طبق الأصل من البرلمان الآخر.

ما فائدة البرلمان الثقافي؟ أن تكون هناك انتخابات بين النخب المثقفة، ومن المثقف؟

الذي تكون لديه بطاقة مثلًا من نقابات واتحادات محددة، وما سوى ذلك سيصبح في عالم آخر، ننتظر تشريعه في مجلس النواب، وبعد ذلك كل طرف سياسي يريد أن يضع قيودًا وشروطًا ومحددات لكي يضمن دوره، فقد سيّسناه سلفًا وفقدنا فرصته، وأنا أعتقد بأن هذا يجب أن يبدأ بمبادرات، مثل هذا المجلس، فيجلس مثقفون ويتداولون ويتفقون على أمور يتبنونها في ما بينهم، وبالتدريج سينتُج شيء كأمر واقع، قادر على أن يعبر عن رؤية معينة.

يجب أن يتفق نخب العراق بتنوعهم الكبير على قضايا محددة، ويتبنوها جميعًا، وهذه قضايا لا تخص مذهبًا أو طائفة أو قومية، وهذا يرجعنا إلى ما تحدثنا به، وهو هل لدى نخب العراق ومفكريه ومثقفيه مشروع؟ وما هو هذا المشروع؟ وما هي ملامحه؟ ليتفقوا على هذا ويتبنوه. لدينا في بغداد فقط ستة وأربعون ملتقىً ثقافيًا، وهذا أكبر من هذا البرلمان إذا أردنا أن نفعّله، وفي المحافظات الأخرى أمثال ذلك.

ديوان بغداد الإعلامي ٢٠١٥ [٢٣٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتشريفكم لمكانكم، وهو ما أسميناه (ديوان بغداد) الذي عُقد مرة ثانية لهذه الشريحة الإعلامية الكريمة، والذي بدأ بداية أضيق، واليوم يتسع بحضراتكم جميعًا، وأنتم تمثلون العراق بجميع أطيافه ومكوناته وتوجهاته، ليكون رسالة لنا أننا لسنا متناقضين مع بعضنا.

أهمية إدارة الاختلاف

تحدث الكثير من الأفاضل الأعزاء، الإخوة والأخوات، وسمعنا الحرص على الوطن في المساحة الأساسية الكبيرة، وهذا الوطن يتطلب منا أيضًا أن نكون مختلفين أحيانًا في تقدير الأمور، فالرأي الواحد، والنظرة الواحدة، والقراءة الواحدة، والحزب الواحد، والقائد الضرورة، هي المفاهيم التي كانت مدانة بالأمس، ويجب أن تدان اليوم؛ أن نختزل جميع العراقيين بتنوعهم وإرثهم الحضاري الكبير وعمقهم في حالة واحدة ومسار واحد.

في اليوم الذي نكون متفقين فيه مئة بالمائة بأن نكون نسخة طبق الأصل، يجب أن نشك بأنفسنا ما دمنا بشرًا، وما دمنا نمتلك عقولًا، وما دمنا من مناشئ وفرديات

٢٣٦. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب الإعلامية الذي عقد بحضور النخب والكفاءات الإعلامية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٧/ ٣/ ٢٠١٥

ومناخات وبيئات مختلفة، إذن من الطبيعي أن نكون مختلفين، والإسلام لم يتخذ موقفًا من الاختلاف، فليس معيبًا أن نختلف، بل المعيب أن نعجز عن إدارة اختلافاتنا.

إن كل ما سمعته واستفدته من حديثكم كان في الإطار العام؛ إطار الهموم والهواجس والحرص الكبير على العراق، ونحن لم نوجه دعوة لداعش وليس في هذه القاعة داعشي، وجميع الموجودين هم عراقيون، عهدناهم هكذا ودعوناهم لنتعاطى معًا كعراقيين، وأنا لا أجد حتى (الشرقية) داعشية، وقد أكون مخطئًا مضللًا ولكني شخصيًا لا أجدها كذلك، ويجب أن يتحمل بعضنا بعضا، وأن تتسع صدورنا لشركائنا ممن نختلف معهم في رأي، أو تفسير، أو قراءة للأحداث، فقدرنا أن نكون معًا، قدرنا أن نتعايش، قدرنا أن يتحمل بعضنا بعضًا، هذا ما أعتقد به، فمهما اختلفنا يبقى هذا الاختلاف ضمن البيت الواحد، وضمن الإطار الواحد، لذلك شكري وتقديري لكم جميعًا أيها الأحبة على تشريفكم وعلى مداخلاتكم المسؤولة، وأتمنى أن نصل بالتدريج وبتكرر هذه اللقاءات إلى رؤى متقاربة أكثر أو متفهمة لبعضها، هذا ما نتمناه بإذن الله، وهذا هو الغرض من الاجتماع واللقاء، فلا نريد أن نحقق مكسبًا محددًا، ولا نريد أن نفرض شيئًا على أحد، وأنتم قادة وإعلاميون وأصحاب رأي، وكل ما أردناه هو أن يكون العراق حاضرًا، والسلطة الرابعة حاضرة مع بعضها، وهو كما ذكر أخي العزيز الأستاذ (أحمد سالم) ليس مؤتمرًا صحفيًا، وليس المطلوب منه أن توجه أسئلة ليكون هناك شخص واحد يجيب عن هذه التساؤلات، وليس الغرض من هذا اللقاء أن نصل إلى إطارات ونتائج محققة، بل الغرض هو هذا العصف الفكري، وهذا التواصل مع بعضنا، واطلاع بعضنا على هواجس البعض الآخر إذا تكاملت مع بعضها في هذا الإطار، ونبقى مختلفين في أمور ومتفقين في أخرى، ولكن الاختلاف لا يفسد في الود قضية كما يقال.

محاور مفتوحة

أنا شخصيًا أميل إلى إبقاء هذا الاجتماع مفتوحًا على محاور متعددة، وأن لا نحوله إلى ورشة علمية جامعية ونضع له محورا وخطة عمل، فبعض الإخوة والأخوات عند ذلك قد لا توجد عندهم دوافع كافية للمشاركة، فما أكثر الندوات وما أكثر الورشات العلمية التي تعقد هنا وهناك، فما يُراد لهذا الديوان كما هو اسمه أن يتحدث وتكون فيه سعة، وفي حلقاته القادمة إن شاء الله يمكن للبعض إذا أراد أن ينقل طرفة معينة أو خبرًا مفيدًا أو ما شابه ذلك، وكل ما يمكن أن يسهم في إدراك معطياتنا وأدائنا، والمهم هو

رسالة تكريم للسلطة الرابعة، وتعزيز اللحمة بين العراقيين في إحدى أهم منصات التأثير الاجتماعي المتمثلة بوسائل الإعلام.

لعلّ البعض غاب عن بالنا أن نوجه له دعوة، وهناك وريقات صغيرة أمامكم، ولكم الفضل في أن تلفتوا نظرنا إلى الأسماء التي تجدون أنها ستثري هذا اللقاء، ومن المفيد أن توجه لها الدعوة، وكذلك أي فكرة وأي أسلوب لإدارة اللقاء، فليس هناك شيء محدد أو مسبق، وإنما اللقاء منكم وإليكم وأنتم تقررون كيف يدار، وكيف ننجز أو نحقق هذا التواصل بين القادة الإعلاميين في هذا الاجتماع.

أصناف الإعلام

لدينا إعلام دولة، وإعلام حكومة، ولدينا إعلام أحزاب وقوى سياسية، وهذه حقيقة ووصف للواقع، ولدينا إعلام مهتم بالشأن العراقي تكون القنوات فيه مرتبطة بدول أخرى إقليمية ودولية، ولها فروع ومكاتب في العراق، هذه هي الأصناف الأربعة، ولكن يسعدني أن أغلب العاملين في الصنف الرابع من العراقيين، وبالتالي يمكن أن تكون الوطنية العراقية حاضرة، والنفس العراقي حاضرا، حتى في قناة روسية أو فرنسية أو بريطانية أو غيرها من دول بعيدة أو دول المنطقة الكريمة.

نحن كعراقيين كيف نستطيع أن نوظف هذه المنصات وهذه الوسائل الإعلامية في اتجاه واحد، ففي الأزمات أو الحروب تكون هناك محددات ومقيدات كبيرة لأي معلومة في أكثر الدول الديمقراطية كالولايات المتحدة الأمريكية التي تدعي لنفسها الكثير، وكذلك الاتحاد الأوروبي الذي يدعي الديمقراطية العالية، وإذا طلب مثلاً أي تصريح يتقاطع مع أولويات الحرب أو ظروفها توجه أشد الملامة والعقوبة بحق من يخترق هذه الأوضاع، فهذه تخص الأمن القومي أو الأمن الوطني إلى غير ذلك، وضمن هذا الإطار تكون الأمور مقننة تمامًا.

ضوابط الإعلام ودوره في الأزمات

نحن الآن في حالة حرب ولدينا مشاكل أمنية، ولدينا مشاكل كبيرة في واقعنا العراقي، ويجب أن تقنن الأمور وتسير في اتجاه وإطار صحيحين، لذلك نحتاج إلى حالة من التضامن والتكاتف، وتسليط الأضواء على جوانب معينة، وتخفيف الأضواء على جوانب أخرى، ومما يؤسف له أن الإعلام يبحث بشكل طبيعي عن الإثارة، والإثارة فيها دائمًا سلبيات، فالشيء الإيجابي لا توجد فيه إثارة، فخطاب

النعرات المذهبية والقومية هو الخطاب الذي يحرك الدماء في العروق ويدفع الجميع للاصطفافات وما شابه ذلك، فمشروع الدولة ومشروع بناء التعايش والسلام ليست مداخل جذابة، فالصوت الآخر يريد أن يحرك طائفيًا أو قوميًا أو سياسيًا أو مناطقيًا أو عشائريًا أو غير ذلك، ليجد متسعًا أكبر من الفرص، ويتداول الجميع هذا الموضوع لغرابته وإثارته لكي يحقق أجواء بين نعم وكلا.

يجب أن نتجاوز هذه الإشكاليات ونكون بمستوى المسؤولية والحدث، فالإعلام اليوم تترتب عليه دماء، وإزهاق للأرواح، والمخاطرة بالعملية السياسية، فنحتاج إلى أن نكون نحن الطرف الأساسي لتعميق هذه اللحمة، فالإعلام بالفعل سيف ذو حدين.

هناك الكثير من المواقف والتصريحات للقادة السياسيين ناتجة من مانشيت إعلامي، إذ يرى المانشيت أو الخبر أو (السبتايتل) فيتخذ موقفا ويرد، بعدها يتبين أن المانشيت ليس هو الصحيح، ولكنه أراد أن يجعل فيه إثارة فوضع كلمة بين هلالين لا توجد في هذا الكلام الموجود في المانشيت، إذن وسائل الإعلام لديها دور كبير جدًا تجاه الجميع؛ من قيادات الصف الأول في هذا البلد إلى المواطن البسيط، فلا أحد يتفحص ويرى ماذا قيل بالصوت والصورة وبين الهلالين، بل الجميع يأخذ ما ينسب للأشخاص، هذا الذي نراه في ساحتنا الإعلامية، فهي مليئة بالتصريحات التي تصحح وتغيير المقاصد إلى غير ذلك.

نحن في ظرف صعب وأزمة أمنية، وأزمة اقتصادية، وأزمة سياسية، وأزمة اجتماعية، ونحتاج إلى تعامل شديد، وقد وضعتم اليد على الجرح وشخصتم المشاكل بشكل صحيح، فنحن نتعامل مع حالة مرضية، فالمريض يصرخ والمطلوب من الممرض في المستشفى أن يأتي ويقابل الصراخ بجرعة عاطفية واحترام واحتواء واحتضان وتهدئة وتفهم لأنه مريض، ونفس هذا الصراخ في الشارع قد يواجه برد فعل شديد، ونحن نعيش ظرفا استثنائيا ويجب أن نتعامل مع العراق على هذا الأساس، وهذا ما يجعلكم جميعًا أمام مسؤولية تأريخية ووطنية للوصول إلى خطاب منهجي يقدم المصلحة العامة ويهدئ النفوس ويطيب الخواطر، إذ كيف نسير في إطار مصالحة إذا كان بعض وسائلنا الإعلامية المؤثرة، غير متماش مع هذا المنطق؟ وهنا يأتي دوركم كقادة لمؤسسات إعلامية كبرى مؤثرة وأساسية في هذا البلد، فالجالسون اليوم في هذه القاعة إذا قرروا أن يعبروا عن جبهة وطنية إعلامية للدفاع عن الوطن، شعارها مصالح العراق أولًا.. لحمة العراقيين أولًا.. التعايش بين الناس أولًا..

الدفاع عن الجندي وعن الحشد الشعبي، وعن ابن العشيرة الكريم وعن ابن البيشمركة العزيز الذي يقاتل اليوم في ساحات الجهاد والدفاع عن الوطن.

فرز السياسي عن العسكري

لقد لاحظتم الآخر الذي لديه المصالح؛ الأمريكي الديمقراطي والعقل الكبير، فهناك صراع بينهم على المستوى السياسي، ولكن هذا الصراع السياسي الشديد بينهم لا ينسحب إلى التشكيك في الجندي الذي يقاتل خارج أراضي الولايات المتحدة، بل الجميع يقفون خلفه ويغطون ويحمون مرتّبه وإمكاناته ووضعه ويختلفون سياسيًا، فهناك ضرورة للفرز بين المشروع السياسي، والمهمة الأمنية والعسكرية، وأن تسير في إطارها الصحيح، كما ذكر سماحة السيد الحسيني، وهذا هو المبدأ الصحيح، ففي اليوم الذي تدخل فيه السياسة إلى الوضع العسكري ستكون هناك اصطفافات سياسية داخل المؤسسة العسكرية، وكل منا يمسك سلاحًا ويعبر عن الصراع السياسي بالقوات المسلحة، وهذه هي المهلكة الكبيرة لبلادنا، فيجب أن يبقى العامل العسكري عاملًا وطنيًا عامًا لكي يحظى بحماية الجميع ولا تتولد الحساسيات.

وقد كانت المرجعية الدينية العليا متنبهة ومهتمة جدًا بأن لا تكون في الحشد الشعبي أسماء وتفاصيل، وإنما يكون هو الحشد الشعبي العراقي الذي تذوب فيه الأسماء الأخرى لكي يكون للجميع.

وسماحة السيد (الحسيني) تفضل بأن ذكر أننا لا تنقصنا الكلمات، ولكن لا نجهر بوجود سرايا عاشوراء وسرايا العقيدة، بل نقاتل بصمت ونتحدث في وسائلنا الإعلامية عن الحشد الشعبي ودوره، وكل هؤلاء أبناؤنا، ويقومون بواجبهم ضمن إطار الحشد الشعبي العام، ولعلّ الكثير من الناس لا يعرفون أننا حاضرون في هذه القضية بكل فخر واعتزاز، ولكننا لا ننقل ذلك التزامًا بهذا المبدأ؛ في أن العامل العسكري يجب أن يكون في الإطار الصحيح، والعامل السياسي يبقى يرعى هذا العمل العسكري بكل تفاصيله.

صور بطولية مشرفة

كنت أمس في زيارة لجرحى الحشد الشعبي، والبعض منهم كان من جرحى عمليات منطقة الكرمة، والبعض الآخر من عمليات تكريت، وألقيت التحية عليهم فردًا فردًا، وأمام ما رأيت في مستشفى الكاظمية أمس كدت أن أجهش بالبكاء عدة مرات ولكني تماسكت؛ أمام هذه المعنويات، وهذه النظرة، وهذا الشباب اليافع الذي لديه رؤية

وطنية واضحة اتجاه هذا البلد، واتجاه هذا المشروع، والبعض منهم كان يرتدي لباسه العسكري وهو على سرير المستشفى، فظننت أن المستشفى لم تهيئ الملابس فسألته: ألم يعطوك ملابس؟! فقال: لقد أعطوني ملابس، ولكن قلبي هناك، فأرتديها لأذكر نفسي عندما أشفى أعود.

أم واقفة على رأس ابنها، وهو شاب بعمر الورد مقطع، قالت: لديّ ولدان وهذا أحدهما، وقد ربيتهما ليدافعا عن الوطن، وابني الثاني في ساحة أخرى من ساحات القتال، وعندما علم بجرح أخيه اتصل وأراد المجيء لرؤيته، فقلت له لا تأت، فهو سيشفى ويعود، وأنت ابق في مكانك، فالآن ليس وقت الزيارات بل وقت الوقفة للوطن.

أحدهم كان يتنفس صناعيًا، ولكن لديه الوعي بالإشارة، فألقيت التحية عليه وقبلته وكلمته، وكان يريد أن يعبر لي ولكنه لا يستطيع الكلام، فطلب هاتف المرافقة التي بجانبه، فكتب به وهو بحالة يرثى لها، فقرأت ما كتبه فكانت كلماته: لبيك يا حسين، رأيت هذه الحالة المبدئية والانشداد إلى القيم وإلى العقيدة وإلى الوطن، ولم ألمس ضعفًا وهم أناس مقطعون أشلاء وفي هذا الوضع الصعب.

أحدهم يقول وهو أخو المصاب الآخر: انفجر عليه بيت ملغم من قبل داعش فسحبناه من الأنقاض، وحين أردنا أن نركبه في الإسعاف عاد لوعيه، وأول كلمة قالها: توجد مفخخة أسرعوا إليها، فلم يفكر بنفسه وهو بهذه الحالة، وعلى وشك أن يغادر الحياة.

هذه الحالة الملحمية التي نراها اليوم تحتاج إلى اهتمام، والعراق بخير ما دام هؤلاء الشباب موجودين، وهم يحملون هذا الهم والحرص، ونحن مسؤولون اتجاه هؤلاء وحمايتهم.

الدفاع عن الحشد الشعبي

ذكر الكثير منكم الوصف الظالم الذي يلصقه البعض بالحشد الشعبي بأنه مليشيات طائفية مجرمة، فإذا كان هناك خطأ تم ارتكابه في مكان ما، فنحن نسأل:

أولًا: هل تأكدنا أن هذا الخطأ قد ارتكبه هؤلاء؟.

ثانيًا: إذا تأكد أن أحد الأطباء قد ارتكب خطأ، فلماذا لا ندين الأطباء؟ أو أن إعلاميًا أساء، فلماذا لا ندين الإعلاميين؟ ألا يوجد أحد يرتدي العمامة ثم لا يكون على قدر المسؤولية؟ لماذا لا ندين العلماء؟.

السيد اوستن ورفاقه كانوا في زيارة إلى بغداد قبل أيام وقلت له: يا جنرال أنتم في الولايات المتحدة تدّون رعاية حقوق الإنسان، ألم تحصل معكم في ركاب الجيش مشاكل وأخطاء جسيمة واعتبرناها أمرًا طبيعيًا؟. لقد أفتت المرجعية بخروج الحشد الشعبي فخرجوا، ثم أعطت لائحة انضباطية هي وثيقة تأريخية، وثيقة إنسانية مهمة تمثل رؤية الإسلام، ومن يعمل خلاف ذلك فهو من يتحمل مسؤوليته وليس الحشد الشعبي، فهو لا يتحمل مسؤولية الأخطاء، وكذلك القوات المسلحة الكريمة الأخرى بجميع أسمائها وعناوينها الكريمة، من العشائر العربية الكريمة والبيشمركة الأعزاء والجيش والشرطة، ألا يحدث في عملها خطأ؟.

الأخطاء تحصل في كل مكان، وهي مدانة من الجميع، ونحن نعلم ونتابع وتصلنا التقارير، والجميع يسعى لمعالجة الخطأ، ويجب أن نكون أوفياء إزاء أبنائنا الذين يضحون ويقاتلون، وبخصوص هذا التحريض أو الإساءة في الداخل بمستوى معين، وفي الخارج بمستوى أكبر، فحين يشعر الآخرون في الخارج أن العراقيين بجميع طوائفهم وقومياتهم صف واحد في الدفاع عمن يقاتل دفاعا عنهم، فلا أحد يجرؤ على أن يسيء لأحد منا، فهذا يرجع لنا كيف نحمي ويلفتنا إذا كانت هناك أخطاء، ومرجعيتنا تنبه على الدوام وتذكر بضرورة الانضباط الكامل في هذه المعركة بجميع تفاصيلها.

لقد تحدثت مرات في هذا الموضوع في ساحات العمليات، إذ ذهبت هناك وأطلقت رسائل واضحة في هذه المسألة، فلا أحد يقبل بالخطأ، ولكن عندما يكون هناك جو كهذا ندعمهم ونسندهم.

إن هذا الظلم للمضحين أمر غير مقبول ومدان، أي يجب أن يكون مدانا منا جميعًا ضمن هذه الجبهة الوطنية الإعلامية للدفاع عن الوطن في هذا الظرف العصيب، ويجب أن نضع معايير ونصل إلى ميثاق شرف بيننا ونلتزم به، وإذا التزمنا نحن الجالسين في هذه القاعة فلا أحد يجرؤ على أن يسيء لعراقي يقدم ويبذل الدماء من أجل هذا الوطن.

موضوعية التعاطي

الموضوعية في التعاطي من المسائل الأساسية، فالإعلام يجب أن يكسب ثقة الشارع ولا يوجد شيء يخفى، فيجب توخي الحذر والدقة في ما ننسب وفي ما نقول في هذا الظرف الحرج، وهناك تطور كبير في الإعلام الحربي العراقي، وفي البداية ربما لم يكن مراسلونا العراقيون من جميع القنوات يعلمون الطريقة وأنهم في ساحة معركة،

ولكننا اليوم نفتخر حين ننظر إلى هذه القنوات العديدة، ونرى المراسلين المتمكنين والقادرين على إيصال الرسالة.

اسمحوا لي أن أتحفظ شخصيًا، وأنا شخص غير خبير في الإعلام ولكني مراقب؛ فلا أعتقد بأن داعش تقدمت علينا إعلاميًا في هذه المعركة أبدًا، إذا كان لديها ستة وأربعون حسابًا في تويتر، فانظروا إلى المناصرين للعملية السياسية ومواجهة داعش، ولا تضعوا لها نقطة ولا نقطتين، فهي مجموعة متمردة، ونحن الأساس، نحن الحياة، نحن العراق.

عندما يدخل أحد إلى صفحة الحوادث ويجد أن شخصًا طعن آخر فأصبح الخبر عنوانًا رئيسيًا لكل الصحف، ولكن المجتمع أكبر من هذا الواحد، وهذه عصابة متمردة، فشيء طبيعي أنه من هؤلاء المليون يدخل البعض لكي يعلم بماذا يفكر هؤلاء، فهذه عصابة ترتكب جرائم بشعة في وضح النهار، وتستهدف الحياة في أوضح أبجدياتها، وجزء من هذه الوسائل تغطية، فهي وسائل إعلامية لأطراف مستفيدة من وجود داعش، ولعلها أرادت أن تستخدم هذه القوى كبندقية للإيجار، لتوظيفها توظيفات معينة من أجل تحقيق مآرب معينة إلى غير ذلك.

الدعم الإيراني

هناك دولة واحدة اليوم وضعت تسعة مليارات دولار في موازنة ألفين وستة عشر لمحاربة داعش، ويجب أن نرى النصف الممتلئ من الكأس، وهناك ستون دولة تقول إننا ضد داعش، ولكن ما هي خلفياتها ونواياها؟ هم أعرف بها، وفيها دول المنطقة التي كانت لديها ملاحظات وحساسيات تجاه وضعنا العراقي، واليوم أصبحت كلها في هذا الحلف، وهناك دول مهمة أخرى خارج هذا الحلف تقدم خدماتها الأساسية، في مقدمتها الجمهورية الإسلامية.

أنا شخصيًا أشعر أن الجمهورية الإسلامية توطنت لهذا الموضوع، فحين وصلت داعش إلى أبواب بغداد، لم يفعل المجتمع الدولي شيئا، وخادمكم ممن جلس مع قادة دوليين كبار في تلك المرحلة، وكنا نقول لهم إن داعش أصبحت على الأبواب، ولكن كان الجواب أن لديهم تحفظًا على العملية السياسية.

أما الجمهورية الإسلامية فما إن طُلب منها حتى جاءت مسرعة، ليس فقط للدفاع عن بغداد والمناطق الشيعية كما زعموا، فالإخوة الكرد أيضًا تفاجؤوا بهذا الهجوم في

البداية، وأجروا اتصالات مع الأطراف الدولية ووجدوا ملاحظات وتحفظات، فطلبوا المساعدة من الجمهورية الإسلامية، وسمعنا من القيادة الكردية حتى في وسائل الإعلام أن الجمهورية الإسلامية دخلت بسويعات وفتحت خطًا ساخنًا، وبدأت طائرات محملة بالعتاد والسلاح بعلم الحكومة المركزية تصل إلى أربيل لإنقاذ الموقف.

الحشد ذراع الدولة

الجيش يحتاج إلى وقت لكي يعاد بناؤه، ويجب أن نعطي للجيش هذه الفرصة، وأن ندعمه ونقدره ونسانده، وهو بحاجة إلى هذه القوى الشعبية من الحشد والعشائر الكريمة إلى غير ذلك.

إن الحشد الشعبي مشروعه بناء دولة وليس مجموعات قتال داخلي، ولو لم يكن مشروعه بناء دولة فالأفضل له اليوم أن يقف، ومبررات التوقف موجودة، فالمناطق المطلة على مناطق التواجد الشيعي قد أمّنّاها، وأبناء السنة الكرام هم من يقومون بهذا العمل ونحن لا نستطيع أن نتجاوز عليهم، وهناك من يقول هذا الكلام في الإعلام، ويمكن أن يبرر أو يسوق على أنه حالة وطنية؛ جيش في ثلاث سنين قابلة إلى أن تكون أربع سنين، ليبقى البلد هكذا وهم يثبتون وضعهم، يمكن لهذا الشيء أن يحصل لو كان مشروع الحشد الشعبي مشروع فوضى، ومشاريع سياسية ضيقة، فأفضل شيء له هو هذه الحالة، فالمناطق التي تهمهم وتعنيهم كمجتمع وكصوت ناخب إلى آخره جميعها آمنة، فهل يريد أن يبقى هناك؟ والواقع أنه لا يوجد شيعي في تكريت يبحث عن أصوات، فهذا في الحقيقة مدخل لوطنية هؤلاء، ويجب أن نغطيه على هذا الأساس، ويجب أن نهتم بالموضوع من هذه الزاوية.

لذلك أشدد على وسائل الإعلام في هذا الظرف الحساس بأنه ليس مسؤوليتها نقل الحدث، وإنما مسؤوليتها صناعة الحدث، هذا الجو من الوئام والاندفاع، وهذه العمليات الأخيرة، ربما يخطط عراقيون أو ينفذون على الأرض، والطرف الدولي بستين دولة يقولون لم يُطلب منا المساعدة فلا نقدم شيئًا، وهذا في الحقيقة هو استعادة للكرامة العراقية، وهذا البعد الإيجابي، ويجب أن ينظر إلى هذا العمل الكبير، فمساحة العمليات تبلغ ستة آلاف كيلو متر مربع، وطولها مائة وعشرون كيلو مترًا، من جبال حمرين إلى بيجي نزولًا إلى شمال سامراء، كل هذه المنطقة الشاسعة التي كانت عقر دار هؤلاء الإرهابيين على مدار اثنتي عشرة سنة، وقد قتلوا العراقيين بجميع أطيافهم، وأمس أخبرني أحد القادة أن اثنين وأربعين انتحاريًا اشتركوا في ساحات العمليات أما

بهمر أو بمدرعة، فكم هي مصيرية هذه العملية ليقدم الإرهاب في يوم واحد اثنين وأربعين انتحاريًا، ومع ذلك اطلعت على بعض المقالات التي تحاول التقليل من قيمة هذا الحدث.

الجهد المساند للعمل العسكري

ما نقوله إن ما يحصل عمل كبير، فالعراقيون قادرون ويجب أن نعتز بهذه القدرات العراقية، ولكن اختزال المعركة كلها في الجانب العسكري على أهميته أمر خاطئ، والجانب العسكري مهم جدًا وهو أولوية أساسية، ولولا العمل العسكري لذهب كل شيء، ولكنه غير كافٍ، إذ نحتاج إلى عمل سياسي ومصالحة وتعايش، وليس لدينا خيار آخر، لا خيار إلاّ المصالحة، هذا ما أقره الإمام السيستاني لممثل الأمين العام للأمم المتحدة وهو يودعه.

نحتاج إلى معالجة سياسية، وإلى معالجة خدمية كما أشرتم، وإلى معالجات مجتمعية، وهذا الشرخ الكبير الذي حصل يجب أن يُعالج، فهناك أبناء منطقة واحدة من توجهات مذهبية وقومية مختلفة، ودائمًا ما أشير إلى هذا الأمر؛ فهناك فارق جوهري بين داعش والقاعدة، فأعضاء القاعدة أجانب بنسبة تسعين بالمائة، وعشرة بالمائة من العراقيين، أما أعضاء داعش فهم عراقيون بنسبة تسعين بالمائة، وعشرة بالمائة أجانب، مما يعني أن الكثير من هذه المجازر حصلت على يد شباب عراقيين، اعتنقوا هذه العقيدة الفاسدة وقتلوا الناس، وفي لحظة انتصار وشماتة وتبجح أظهروا أسماءهم وأشكالهم وأصبحت معروفة للناس المجاورين لهم في المناطق، وقد سمعت من الإيزيديين ومن الإخوة الكرد ومن الإخوة الشبك ومن المسيحيين، وكلهم يتهمون فلانا وفلانا بأسمائهم، فقد كانوا معروفين في مناطقهم، وهذا شرخ كبير ويحتاج إلى معالجات حقيقية، ولذلك كنّا على بيّنة يوم أطلقنا مبادرة (أنبارنا الصامدة)، فقد كنا مدركين لعمق المشكلة وطبيعة الحلول الشاملة المطلوبة، إذ نحتاج إلى سلة متكاملة من الحلول، وما زلنا نحمل هذه القناعة، وما هو حل في أنبارنا الصامدة هو حل في محافظات أخرى في العراق.

العراق خيارنا الوحيد

البعض يقول إن لدينا خيارين؛ إمّا أن نذهب إلى التقسيم أو نبقى هكذا، ونحن نقول: لا يوجد لدينا خياران، بل لدينا خيار واحد هو الحفاظ على وحدة العراق، والخيارات الأخرى ليست خيارات بل تذكر كفرضية، ولا يمكن أن توفر استقرارا لأحد، ولا يمكن أن توفر مصلحة لأحد، فهي خيار الفوضى والفوضى ليست خيارًا يعيشه أحد، ولو كان

الوقت يتسع لشرحت لكم بالتفصيل كيف أنها ليست خيارًا لا للشيعة ولا للسُنة ولا للكُرد ولا للمكونات الكريمة الأخرى.

خيارنا الوحيد هو الحفاظ على وحدة العراق، وهذا يتطلب أن نتعايش وأن يتحمل بعضنا بعضًا ويقنع بعضنا بعضًا، وفي هذه العملية لننظر ما الذي نحصل عليه بكل خطوة، ونلتفت أيضًا لما سنخسره لو لم نقم بهذه الخطوة، فأحيانًا لا تربح ربحًا مباشرًا، ولكن إن لم تقم بهذه الخطوة ستخسر خسارة كبرى، فحين ينهار السوق مثلًا، هناك تجار ينكسرون، وهناك من يحافظ على نفسه، فهو لم يربح ولكنه لم يخسر، بل حافظ على مستواه، وبعض الخطوات التي نتخذها فيها ربح مباشر نقدًا، والبعض لا يوجد فيها ربح نقدي، ولكن فيها دفعا للخسارة الأكبر وتمهيدًا للأرباح القادمة.

أنا شخصيًا مستعد أن أجلس هنا ساعة لأحدثكم عن الفوائد الكبيرة في الاتفاق مع إقليم كردستان، مع كل علم وملاحظة تذكر وتسجل وتكون خطوة بالاتجاه الصحيح بمبادرات موضوعية، ولكن طال المقال ولا أريد أن أطيل عليكم كثيرًا.

إذا كان مشروعنا بناء دولة فيجب أن ننظر بعين بناء الدولة، ومشروع الاستقلال الكردستاني ليس مشروع اليوم ولا البارحة ولا بعد عشر سنوات، فهذا مشروع تأريخي منذ زمن طويل، ويمكن أن يرحل أو يتضاءل أو يختفي على مدى عقود أو قرون من الزمن.

تعمل الدول جاهدة لكي تتكتل مع بعضها لتكون قوية، والعراق بلا سلاح كردستان أضعف من العراق مع كردستان، وهذه القوة لها ثمن ويجب أن نفكر، ولا يتصور أحد أن (شيعستان وسنستان) ستكون مريحة لأحد، فالعراق هو خيارنا الوحيد، وكل خيار من هذه الخيارات سيفتح أمامنا خيارات وتحديات من نوع جديد مختلف، ولكنه كبير جدًا، ويبقى العراق غارقًا بحمامات الدم، هذا من قراءتي الشخصية، وأتمنى أن تكون مورد اهتمامكم في دراستها.

علاقات صداقة

بشأن تهمة المليشيات التي تتحرك ضمن مشروع إيراني، أنا لا أعتقد بذلك، أما حضور إيران ودعمها للشعب العراقي فهذه حقيقة سياسية، وإيران تستفيد كما يستفيد الآخرون، ولكنها مصلحة سياسية، ولا ننسى أننا كنا في خطر وكيف سارت الأمور، فنحن كنا بحاجة وما زلنا بحاجة إلى هذه المشورة الجدية وهذا الدعم الإسناد الصحيح،

والعلاقات العالمية كلها مبنية على الفوائد المتبادلة، وعلاقة إيران مع أصدقائها ليست علاقة عملاء بل علاقة أصدقاء، وبالفعل هي لا تفرض بل تناقش وتتشاور وتقترح وتأخذ وتعطي، هذه هي العلاقة بين إيران والعراق.

لم نجد الجمهورية الإسلامية، وأنا مطلع على الكثير من التفاصيل، في موقع القيمومية والوصاية والفرض، فهذا الحدث غير متوفر، وأمريكا أيضًا استفادت في هذه القضية وآخرون استفادوا، ولا يصح اتهام كل قضية فيها فائدة للطرف الآخر، فالسياسة مبنية على أساس المصالح المتبادلة، وطبعًا من جهة الجمهورية الإسلامية يوجد هناك مبدأ وقيمة وعتبات مقدسة وبعد شعائري وديني وثقافي، وهذه معروفة وواضحة، ويجب أن لا نخجل من أن نبينها، فالعلاقة مع إيران ليست مثلبة، فهي دولة يربطنا معها ألف وخمسمائة كيلو متر، دولة كبيرة لديها ما لديها من الإمكانات والفرص، ونحن كعراقيين ليس من المفروض أن نخجل من ذلك، وليس على أي قيادي عراقي أن يخجل من ركوب طائرته والذهاب إلى طهران أو اسطنبول أو الكويت.

لا يجب أن نخجل من أن نبني علاقة مع دول المنطقة، وليس من المفروض أن نخجل من أن نجهر بتقديرنا لمن يدعمنا، فهذا هو مقتضى الوفاء، وإيران دعمتنا بما لم يفعله الآخرون، فأين المشكلة في أن نقول إن هذا الموقف نبيل ونشكرهم، وإذا قامت تركيا أو دولة عربية كريمة بدور إيجابي فإن الشيعة يشكرونها قبل السنة، وهكذا لكي يطمئن بعضنا بعضًا ونتكامل مع بعضنا، ونغلب مصلحتنا على أي اعتبار، وهذه في الحقيقة مبادئ مهمة.

الحراك السياسي لا يوازي الحراك العسكري، فالعملية العسكرية فيها عدو واضح، وفيها تقاليد ومعادلة واضحة في القتال، أما القضية السياسية فهي قضية ملتبسة وفيها مصالح وأهواء وقراءات مختلفة، فنحتاج إلى جهد حقيقي في هذا الإطار.

وزير الدفاع

بخصوص القول إن السيد وزير الدفاع لم يأخذ مساحته الكافية، فأنا اعتقد بأن الرجل يبذل جهدًا كبيرًا، وبحسب المعطيات التي توفرت، فإن جزءًا من الحملة اتجاهه والاستهداف والتشهير في غير محله، يعني ما اطلعت عليه من وثائق وما يقال وما يتهم به الرجل ليس بهذا الشكل، ولكن تركيبة الجيش وتوزيع الأدوار في المعركة وقيادات العمليات والصلاحيات إلى غير ذلك، تفرض توزيعًا للمهام في الجانب العسكري، أما

أن يكون هذا صحيحًا أو غير صحيح فهم عسكريون خبراء وهم الذين يقدرون ذلك، لكن هذا السياق من الحالة السابقة، وقد يحتاج لتعديل إلى آخره، وأنا شخصيًا في علاقتي مع الأخ الدكتور (العبادي) أشعر منه باحترام وتقدير ودعم للسيد وزير الدفاع.

دور السلطة الرابعة

يوجد خلل في دور السلطة الرابعة ولم تُعط الدور الكافي، والأدوار لا تُمنح، فلا أحد يعطيكم دورًا، بل الأدوار تُنتزع، واليوم كلام المؤسسة الإعلامية مؤثر في الشارع، لذلك يحرص السياسيون والمسؤولون على التواصل معها، لكي يوصلوا كلمتهم من خلالها لأنها مؤثرة، وشبكة الإعلام العراقي مؤسسة دولة، ولديها مساحة متابعة كبيرة، لذلك فالأطراف كلها حريصة على أن تستثمر هذه المساحة لتوصل رسائلها إلى الشعب العراقي، وهذا شيء طبيعي.

كونوا أقوياء وتوحدوا وأطلقوا رسالة واضحة، لتشعر الحكومة أنها كما تدعم المقاتلين في ساحة القتال وواجبها الوقوف بوجه داعش، عليها أيضًا أن تدعم هذه الوسائل الإعلامية، ولكننا نحتاج أيضًا إلى غطاءات قانونية في دعم هذه الوسائل.

أنا شخصيًا قلت لبعض الوزراء: يمكن أن توفر دعمًا لبعض القنوات العراقية ضمن اللوائح والضوابط الموجودة، بما ينفع هذه الوزارات والدولة، فكم مليار دولار ننفق على الطاقة الكهربائية، وجزء من المشكلة ناتج من عدم ترشيد الإنفاق، وعدم استخدام الكهرباء بشكل صحيح، والبعض منهم تعامل بإيجابية.

لم نشهد محاسبة أي وزير أو وزارة بعد ستة أشهر ليأخذوا فرصتهم، والحمد لله فالدكتور (العبادي) اليوم طالبهم بعرض ما قدموه خلال الستة أشهر، وإن شاء الله سندعمه ونشجعه، والوزارات المتلكئة تُحاسَب وتُعرف في وسائل الإعلام.

شؤون متفرقة

كتلة المواطن تدين تجريم المدافعين عن العراق ووصفهم بالمليشيات، فأصل تسمية هؤلاء بالمليشيات خاطئ، فهؤلاء مجموعات لبوا نداء الوطن، ويقاتلون تحت غطاء القائد العام للقوات المسلحة والأجهزة العسكرية، وفي كل البلدان التي تتعرض إلى محن وأزمات عندما يبادر الناس لا يوصفون بأنهم مليشيات بل مجموعات، لذلك حرصنا على إقرار قانون الحرس الوطني وتقنين الأمور وإعطاء الغطاء القانوني، وحتى في هذه اللحظة قبل أن يتوفر الغطاء، هم ليسوا مليشيات كما يصفهم البعض.

أضم صوتي لمن رفع اقتراح مشروع خطاب إعلامي موحد، وبالنسبة لقانون

الاتحادات والنقابات، فإن أغلب هذه الاتحادات والنقابات التي اجتمعت معها لديها مشكلة كبيرة في انتخاباتها وممتلكاتها وفي مسائل تحتاج إلى تقنين.

منظمات المجتمع المدني تمثل السلطة الخامسة، وهي سلطة مهمة جدًا أيضًا، ويجب أن تأخذ دورها.

الخدمات جانب مهم، ومن الطبيعي أن تؤثر الحرب لأنها عدو قاهر، ولكن الخدمات قضية يجب أن تحصل، ومشروعنا في مواجهة الإرهاب مشروع السلة الكاملة، وليس مشروعًا عسكريًا فقط.

يجب أن نهتم بالخارج، فإعلامنا مهتم بجراحه الداخلية أكثر، فإن إخواننا في قطر لديهم الجزيرة، وإخواننا في السعودية لديهم العربية، وإخواننا في الإمارات لديهم سكاي نيوز، وكل دولة صغيرة أو كبيرة لديها فضائية للخارج، ولكننا كعراقيين لا نستطيع أن نقول إن هذه الفضائية معبرة عن السياسات العراقية ولكن تتحدث بلغة أخرى، فيوجد إخوة في الداخل إلى حد التكرار أحيانًا، ولكن يوجد شحٌ في الخارج، وفي الإعلام المناسب في المناسبات وأمثالها، نعم، يكتسب الإعلام احترافًا مطردًا، وإعلامنا اليوم غير إعلامنا الذي كان قبل سنوات، وإن شاء الله بعد سنتين أو ثلاث يصبح أكثر مما هو عليه، فالعملية تتطور ويُبنى جيش من الإعلاميين، وهؤلاء رأس مال كبير للبلد كما أعتقد.

بشأن أهمية تعميق علاقة التحالف الوطني مع الشارع السني، نحن حريصون جدًا على هذا الأمر، والتحالف عمومًا مع هذا الإطار، واعتقد ليس من الممكن أن يحصل غير هذا، وقد سمعتم خطاب المرجعية من كربلاء، إذ تم التأكيد على أن المناطق التي نتحرك فيها يجب أن يكون لأبنائها دور حقيقي في هذه العملية، وفي كل شبر وكل خطوة نتقدم بها ونحرر مناطق من داعش، وكل ما توفرت فرصة أفضل لاصطفاف شعبي أكبر في مواجهة داعش، يجب أن نستثمر هذه الأجواء بالشكل الصحيح لصالح العراق واللحمة العراقية، ووجود مشروع سياسي مطمئن للعراقيين مع هذه الانتصارات الأمنية العراقية الكبرى سيلفت الأنظار، ويرفع مستوى الأمل في التجربة العراقية، وهذه مسؤولية مشتركة نتحملها جميعًا.

بشأن مكافحة الفساد في المؤسسة السياسية، فهذا هو الجهاد الأكبر، فالمعارك في ساحات القتال هي الجهاد الأصغر، كما عبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والجهاد

الأكبر يتطلب جهدًا أكبر، وبالفعل فإن تطهير المؤسسة السياسية والمدنية من ظواهر الفساد يحتاج إلى عمل كثير.

من يقف بالضد من المصالحة الوطنية هو ذاك الذي يعتاش على خلافاتنا، ومن يستفيد من هذه الخلافات، وكل من يريد مشروعًا عراقيًا ويقوى بقوة العراق، فمن المؤكد أنه سيتمسك بالمشروع، والتشكي في الحقيقة من أدوات العاجزين ونحن لسنا عاجزين والحمد لله، فلنجعل من العملية السياسية مصلحة الجميع لتكون مغنمًا وليست مغرمًا.

بشأن تشريع قانون يجرم إثارة النعرات الطائفية والعنصرية، نعم، نحن نحتاج بالفعل إلى مثل هذا التشريع.

أزمة النازحين أكبر مما منحناها من الوقت والجهد والتغطية الإعلامية والدعم المالي، فهي قضية كبيرة جدًا، وعلى أحدنا أن يدخل في عمق هؤلاء الأحبة، وقد كان لنا شرف زيارة العديد منهم في الشمال والجنوب وفي أماكن مختلفة، وواقعًا فإن القضية تُدرَك ولا تُوصَف بسبب حجم المعاناة، وأتمنى عليكم أن تنظروا لهذه الأزمة دائمًا، وأن تشجعوا شعبنا على أن يتعاطف ويتضامن.

ديوان بغداد السياسي[٢٣٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتلبيتكم هذه الدعوة إلى مكانكم ومضيفكم.

ديوان العراق

قلنا إنه ديوان يراد له أن يحتضن ويستوعب جميع الطاقات والآراء والقراءات، وهذا الطرح المسؤول الذي وجدناه اليوم، مع وجود اختلاف أحيانًا يتسع ويضيق بحسب وجهات نظر المشاركين الأعزاء، ولكن بمسؤولية عالية، وكلٌ منا بيّن وجهة نظره وعبر عن رأيه.

هذا هو العراق بجميع تنوعاته، وهذا التنوع والتعدد الذي يجب أن نتعايش معه ويتقبل بعضنا بعضًا، وليس معيبًا أن نختلف، ولكن من المعيب أن نعجز عن إدارة الاختلاف، وأن نجمع هذه القراءات والآراء المتعددة، ونصل بها إلى رؤية مشتركة قادرة على أن تجمعنا وتحقق مصالحنا بشكل عام.

ذكرنا أن هذا الديوان يُدعى إليه بشكل أكبر الشخصيات التي كان لها دور مؤثر وبارز في ظروف سابقة، أو تمتلك خزينًا ورؤية ولكن لم تتوفر لها فرص التعبير عن هذه الآراء، للاستفادة من آرائها بشكل ملائم.

في عدد من الدول هناك كيانات ومنظمات ومؤسسات تستثمر هذه العقول والطاقات

٢٣٧. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٤/ ٣/ ٢٠١٥.

لصالح بلدانهم، ومما نأسف له في العراق أن الشخص ما دام وزيرًا أو مسؤولًا نافذًا في حزبه، وأحيانًا حتى في نفس الكيان إذا كان نافذا أيضًا، لا يؤخذ برأيه بالشكل المناسب، فنفقد فرصة الاستفادة من عقول وطاقات كبيرة في إثرائها وإسهامها في حل الكثير من المشاكل، وشخصيًا أعتقد بأن الوزير ما دام وزيرًا والنائب ما دام في الواجهة، فهو محكوم بمعادلة داخل منظومته قد لا تتيح له الفرصة في أن ينظر إلى الأمور بحيادية وتجرد، ولكن هذا الوزير نفسه عندما يكون خارج إطار ضغوط الوزارة، فقد اكتسبنا خبرته من دون أن نفقد استقلالية ومهنية تجربته، فبعيدًا عن تلك المؤثرات الجانبية يمكن أن يقدم مشورة بمستوى أعلى وأرفع.

هذه هي السمة العامة في هذا اللقاء، ولا أعرف إن كنا موفقين بما يكفي في استضافة مثل هذا النمط من الشخصيات التي نشعر أننا بحاجة إلى أفكارها وإثرائها ورؤاها، وفي كل لقاء يتعمق لدي شخصيًا هذا الشعور، وقد دونت الكثير من الملاحظات وأعتقد بأنها مفيدة جدًا لنا ولجميع أصحاب القرار في هذا البلد، والوريقات الموضوعة أماكم هي طلب بتواضع من حضراتكم أن تساهموا في إثراء هذا اللقاء، سواء في ترشيح أسماء تجدونها مناسبة وملائمة لاستضافتها أيضًا، أو طرح موضوعات ومقترحات وأفكار تخص أي شيء تجدونه مناسبا لإثراء هذا اللقاء، فهو منكم وإليكم.

استعراض مختصر للانتهاكات

باختصار شديد، إذا أردنا أن نراجع سنة (٢٠١٤) مراجعة سريعة بشأن حجم الانتهاكات التي حصلت بحسب المفوضية العليا لحقوق الإنسان والأرقام المتوفرة، فنحن أمام ما يقرب من أربعة ملايين انتهاك مسجل ومدون، ونعرف جيدًا في بلد كالعراق أن الكثير من الانتهاكات لا تدون.

نحن أمام سبعة وعشرين ألفًا وخمسمائة وستة وعشرين شهيدًا عراقيًا من القوات المسلحة ومن المدنيين، وخمسة آلاف وخمسمائة وثلاثة وعشرين انتهاكا للأقليات، ومن الانتهاكات المسجلة أيضًا خمسة وستون ألف استهداف لدور العبادة من حسينيات ومساجد وكنائس وما إلى ذلك، وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وخمسون انتهاكًا لسيدات، وواحد وأربعون ألفًا وتسعمائة وستة وثمانون انتهاكا للأطفال بحسب الأرقام المدونة، وأربعون بالمائة من الأراضي الصالحة للزراعة في العراق بيد الإرهاب الداعشي في (٢٠١٤)، ولو أردنا أن ننظر نظرة خاطفة وسريعة لهذه الأرقام المهولة، فيمكن أن نعرف حجم المشكلة والأزمة التي نعيشها اليوم نتيجة الإرهاب الداعشي.

إذا أردنا أن ننظر إلى القوى المتطرفة والإرهابية؛ بدءًا من القاعدة وما كانت تسمي نفسها بكتائب التوحيد والجهاد التي أسسها الزرقاوي في (٢٠٠٣)، مرورًا بتنظيم الدولة الإسلامية الذي أسسه أبو عمر البغدادي، وصولًا إلى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي أعلنه أبو بكر البغدادي، ثلاثة تنظيمات على مدار اثنتي عشرة سنة، كل منها مثلت نقلة نوعية في الفتك والبطش والإساءة؛ القاعدة ثم الدولة الإسلامية ثم العراق والشام، في كل مرحلة كانت تشتد دموية، فهل يمكن أن نستنتج من ذلك ما وراء داعش؟ ماذا سيحصل بعد داعش، وما هي النسخة الجديدة؟ أو هناك إمكانية للقضاء على التنظيم الإرهابي؟.

الحلول الشاملة

كل ذلك يؤكد أن المسألة ليست مسألة أمنية بحتة، ولا يمكن أن تعالج معالجات أمنية صرفة، بل نحتاج إلى السلة الشاملة والمعالجة المتكاملة، فالمعالجة الأمنية أولًا ضرورة لا بُدَّ منها، ولكن مع معالجة سياسية، ومعالجة اقتصادية، ومعالجة اجتماعية، ومعالجة إعلامية، ومعالجة نفسية. . وهكذا مما تفضلتم بالإشارة إليه، فاليوم نحتاج إلى سلة من الحلول والمعالجات للسيطرة على هذه الظاهرة.

لعلنا في مبادرة (أنبارنا الصامدة) حاولنا أن نلقي الضوء على هذه السلة الشاملة بالفقرات العشر التي أطلقناها، وكانت للأنبار لأن الأنبار كانت تعاني من مشكلة في حينها، ولكنها نفسها يمكن أن تكون لجميع المحافظات المغتصبة.

يجب أن لا نُغرّ بالانتصارات العسكرية ونعتبر المسألة قد حسمت، هذا ما أعتقد به شخصيًا، ونحن لسنا بعيدين عما يحصل من انتصارات على الأرض، فرجالنا يقاتلون ونحن لنا شرف الحضور والرصد بالتفصيل الدقيق، ولكن كلما حققنا انتصارًا عسكريًا أكبر علينا أن نستذكر الحلول الشاملة، لأن الظرف الذي نعيشه اليوم هو فرصة تأريخية لتسوية تأريخية، ولحل شامل ورؤية واضحة للمعالجة.

المعالجة الثقافية

علينا أن ننتهج المعالجة الثقافية؛ كيف نواجه الفكر المتطرف؟ فما دامت المعاهد والمناهج المتطرفة والمتشددة تُدرّس في العراق والمنطقة والعالم الإسلامي، فنحن أمام جيل متطرف يتقرب إلى الله بقتل الأبرياء تحت مسميات طائفية، ويبحث عن سبب لاستهداف كل منا.

وثقافيًا أيضًا، نحتاج إلى تمكين قوى الاعتدال، فما لم يرتفع صوت الاعتدال سنبقى نعيش بدوامة التشدد.

المعالجة الأمنية

أمنيًا نحتاج إلى جبهة وطنية لمكافحة الإرهاب، وهذا الإصرار المرجعي على أن المناطق المغتصبة يجب أن تُعطى الأولوية لأبنائها في القتال، والآخرون في خدمتهم، إصرار في كل جمعة وتفكير بهذا الموضوع، فإن ابن صلاح الدين يجب أن يقاتل في صلاح الدين، ونحن مع القول: يجب أن يشعر أبناء كل منطقة بأنهم انتصروا على الإرهاب، وهذا هو الضمان، وهذا كلام عميق وصحيح، وهذا ما يُعمل به اليوم.

في الأسبوع الماضي قمت بزيارتين للمعركة، يومي الأحد والخميس، فيوم الأحد ذهبنا من جبال حمرين إلى العلم والـدور، ويوم الخميس ذهبنا على طريق سامراء إلى جنوب وغرب تكريت، وفي كلا الجبهتين وصلنا إلى ضواحي تكريت في لحظة عمليات، وكنا قريبين من ساحة العمليات، ولاحظنا الأمور على طبيعتها بلا رتوش في هذه الجبهة وفي تلك، ورأينا مستوى الانضباط والحرص من القادة في غرف العمليات، ومن المقاتلين في ساحات المعارك، مستوى الحرص على أن لا تكون هناك إساءة لمدني أو شخص بريء، وقالوا لي ورأيت في الخرائط الموضوعة في غرف العمليات: أي عشيرة أو أي جماعة تقول نحن لسنا مع داعش، فبناء على كلامهم فقط بدون تحقيق يوضع خط أحمر على تلك المنطقة ويبعد عنها إطلاق النار، فلا تستهدف أي طلقة نارية هذه الحلقات الحمراء التي يقول مواطنون فيها فقط نحن لسنا مع داعش، وبعضهم يقول نحن مع القوي، وحتى هذه المناطق وضعوها في الدائرة الحمراء لكي لا يقتربوا منها، وقابلت الناس هناك لأرى على الطبيعة ماذا يقولون، وهل يوجد من قام بإيذائهم؟ هل يوجد أحد اعتدى عليهم؟ فلم أجد في أي مكان في هاتين الجبهتين، الجبهة الشرقية وصولًا إلى شمال شرق تكريت، والجبهة الجنوبية والغربية، في كلا الجبهتين لم أجد أحدًا من المواطنين ممن التقيتهم في الطريق يشكو من ضغط أو إساءة، والتقيت المقاتلين من أبناء صلاح الدين، وقسم منهم من أبناء الحويجة أيضًا، ولاحظت المعنويات ولاحظت اللحمة الوطنية، وفي غرفة العمليات أيضًا لاحظت بعض شيوخ العشائر المهمين في صلاح الدين، جالسين مع القادة العسكريين يديرون المعركة، وهذه صورة إيجابية لا نسمعها في الإعلام، ويجب أن نلقي عليها الضوء، فهذا تطور مهم.

المتضرر من أبناء صلاح الدين وأبناء نينوى يقول أريد هؤلاء أن يأتوا لمساعدتي، ويمكن أن نجد شخصا بوضع سياسي معين، وهو جالس في بغداد أساسًا وإن كان من أبناء مناطق أخرى، يطلق تصريحات ويقول لا نريد هؤلاء، وهم كذا وكذا، أما مقولات البعض في أن هناك قوة جاهزة للقتال، وأن هناك خمسة آلاف من أبنائنا في المحافظات أو ثلاثة آلاف أو ألفين، فلماذا لم يتم تسليحهم؟ لماذا لم يتم تدريبهم؟ ولماذا لم يستقطبوهم؟.. وأنا شخصيًا شاهد على هذا الأمر، وأتابع هذه القضية بنفسي، أين هي الخمسة آلاف؟ لا توجد خمسة آلاف ولا حتى خمسمائة، والآن بدأت الصورة تتغير في هذه الأسابيع الأخيرة، وهذا ما كنا نتصوره، فكلما تقدمنا وأكثر انكسر داعش أكثر، تجرأ الناس أكثر، فداعش يفتك ويبطش، ويكفي أن يكون شخص واحد من عشيرة في سلك المجاهدين، أن يبيدوا عشيرته كلها، والناس عشائر تحت قبضة هؤلاء،

الإنصاف شيء مهم، وتقدير الموقف الصحيح شيء مهم، ونحتاج إلى معالجة أمنية في توسيع جبهة مكافحة الإرهاب وداعش، لتشمل جميع الأطياف والألوان الكريمة، واليوم لدينا إيزيديون ومسيحيون يحملون السلاح، وعرب شيعة وسنة يحملون السلاح، وإخواننا البيشمركة يحملون السلاح، وأصبح داعش عدوا للجميع، والتركمان كذلك يحملون السلاح، فهناك لواء كامل في الحشد الشعبي، ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون مقاتلًا، من التركمان في كركوك الآن يحملون السلاح، إلى غير ذلك، فجميع المكونات اليوم نجدها حاضرة، وهذا شيء مهم جدًا.

الانضباط والالتزام مهمان جدا في المعالجة الأمنية، وهذا بيان المرجعية، فإن كان هؤلاء ذهبوا تلبية لنداء المرجعية فمعيارهم هو توجيه المرجعية، وبيانها وثيقة إنسانية، وثيقة إسلامية تشير إلى رؤية الإسلام في التعاطي مع العدو في المعارك، وكيف التمييز بين العدو المباشر، وبين حتى ذويه والمتعاطفين معه بغير القتال والسلاح، في النصوص الواضحة الموجودة في هذا البيان، وهذه مسألة مهمة، وكذلك الدعم والإسناد لمن هو جاد في هذه المعركة، ومع شحة السلاح والعتاد للمقاتل، ولكن مع ذلك، كل من يكون جديا في القتال وينخرط ويكون حاضرا وليس فقط بالكلام، هناك إرادة اليوم بتسليحه.

لا تخفى الحالة غير المنتظمة التي تم بها سابقًا تسليح عشائر في الأنبار، وحجم السلاح الذي قدم لهم؛ سلاح بكميات هائلة، فهل ذهبت للأشخاص الخطأ؟ هؤلاء شيوخ عشائر كبيرة، وكانوا في الواجهة وحرضوا وطالبوا وتحدثوا إلى آخره، فمع من نتعامل؟ هذا سؤال، ولكنها قدمت، وفي بعض المناطق التي اغتصبها داعش لاحقًا

اكتشفت مخازن كبرى للسلاح ذهبت كلها بيد داعش، العتاد والسلاح من الحكومة العراقية الذي سلم لشيوخ العشائر الكرام، لبعضهم ولا نعمم، ولكن هذا هو الواقع، أما اليوم فهناك إرادة بالتعامل مع من هو جدي.

المعالجة السياسية

سياسيًا نحتاج إلى مصالحة حقيقية، وكما ذُكر، فإن المصالحات الشكلية والمؤتمرات والندوات والشعارات والفعاليات والتقاط الصور مفيدة كلها في تخفيف الاحتقان، وفي هذه القاعة شهدنا اجتماعًا أسميناه بالاجتماع الرمزي للقيادات العراقية، والبعض قال: لماذا نقول رمزي؟ وأجبنا: قلنا إنه رمزي لأنه لن يحل مشاكل العراق، ولكنه سيخفف الاحتقان؛ إذ يجلسون مع بعضهم وتلتقط الصور، والناس يرون جميع القادة بجميع ألوانهم جالسين يشربون الشاي ويخرجون، ولن تحل مشاكل العراق ولكنها ستخفف، وكثير من الفعاليات أسهمت في التخفيف عن طريق التقاء الوجوه، واليوم، نحن الجالسين في هذه القاعة، الطيف العراقي بجميع ألوانه، منا من تحدث ومنا من استمع، ومنا من اقتنع ومنا من لم يقتنع، ولكن هل يستطيع أحد منا أن يقول دخلت وسأخرج وليس لدي أي انطباع أو مشاعر إنسانية جديدة؟ أشك في ذلك، فبالتالي نحن بشر من دم ولحم وعقل وفكر ومنطق، ونأخذ ونعطي، ونقتنع ولا نقتنع، ولكن نستمع إلى أفكار بعضنا ونتحمل بعضنا، وهذا شيء مهم يتحقق، ولكننا بحاجة إلى مصالحة حقيقية، والمصالحة الحقيقية تحتاج إلى مبادئ هي:

أولًا: الالتزام بسقف الدستور

ما هو السقف؟ الدستور والعملية السياسية القائمة في البلد، وضمن آليات التعديل الدستوري القائمة، فنشكل لجنة ضمن سياقات الدستور إذا كانت هناك قناعة، فيجب أن يكون السقف هو الدستور والعملية السياسية، هذا الواقع الذي نمشي بموجبه؛ فالتطوير والتعديل ضمن السياقات الدستورية مقبول، وأي شيء فوق الدستور، أو دستور وشيء آخر، لا نقبل به، فالدستور هو الأساس، وضمن سقف الدستور نحن منفتحون تمامًا، والدستور وضع السياقات الكافية للحل.

ثانيًا : الرؤية الشاملة

نحتاج إلى رؤية شاملة، فحين يريد شخص أن يبني ناطحة سحاب يبدأ بوضع التصميم، وعلى أساسه يبدأ التنفيذ، وهو مطمئن لأنه يعلم نتيجة عمله، والأساس الذي بنى عليه، ونحن اليوم، أي خطوة نخطوها ستواجه مشكلة، لأن أي خطوة فيها مكسب ومغنم لطرف، وفيها مغرم ومشكلة للطرف الآخر، فأنا عندما أعطي شيئًا، مقابل ماذا؟ وأنت تريد أن تعطي، ولكن مقابل ماذا؟ فحين نفعل المساءلة والعدالة سيرى البعض نفسه متضررًا من هذه الإجراءات، ولكن عندما نضع التصميم الكامل، فكل واحد منا يعلم على ماذا سيحصل؛ فلو فقد شيئًا في الخطوة الأولى وأعطى حصة الآخر، فهو يعلم أنه في الخطوة التالية سيحصل على شيء، في رؤية شاملة متفق عليها.

نحن حتى الآن لم نصل إلى رؤية إستراتيجية شاملة لكيفية توزيع الأدوار، وكيفية تطمين الجميع، فكل شخص لديه مطلبه الخاص، واليوم توجد ورقة سنية وورقة شيعية وورقة كردية، وإخواننا التركمان زاروني وشكوا وضعهم، وقلت لهم: ليست لديكم ورقة تركمانية، وأنتم بحاجة إلى ورقة تركمانية؛ أنتم كتركمان ماذا تريدون؟ وكذلك المكونات الأخرى، ولا أقول أقليات، فالإنسان لا يُقيم بالعدد، المكونات الدينية والقومية الأخرى أيضًا ماذا يريدون وما هي رؤيتهم؟ ونضع جميع هذه الأوراق ونخرج بورقة واحدة برؤية شاملة ضامنة لحقوق الجميع، ضمن سقف الدستور الذي تكلمنا عنه، وما لم نصل إلى هذه الرؤية الشاملة سنبقى نشكك بكل خطوة، وسيبقى المجال مفتوحًا للتخوين والاتهام، وبالتالي نتوقف، فما دمنا لا نملك رؤية يمكن أن تنفجر الأوضاع لأشياء تافهة، واليوم يُرفض قانون المساءلة والعادلة بشدة وبعبارات نابية من أطراف من المكون السُني الكريم، ولا أعتقد أن هناك شيعيًا معتدلًا سيدخل هذا المدخل والآخر لا يقبل، لا أحد يقدم على خطوة من هذا النوع، وقد تكلمت مع بعض القيادات الكريمة من المكون السُني الكريم وسألتهم: أين المشكلة؟.. كذا فقرة، أو إثراء فاحش، يوجد أو لا يوجد، هذا قانون كامل نرفضه الآن، فلماذا لا ننظر بقضية هذا الإثراء الفاحش وبماذا سيؤثر بكل هذه التحولات، أحيانًا يحدث انطباع للإنسان وكأن هناك مزايدات في كل ساحة ولا أحد يمتلك رؤية شاملة بما يريد، فنحتاج إلى رؤية شاملة.

ثالثًا : أطراف المصالحة

نحتاج إلى تحديد أطراف المصالحة؛ نتصالح مع من؟ مع العشائر؟ أي العشائر تتصالح بينها مصالحة مجتمعية؟ مصالحة سياسية بين السياسيين والناس لا تتدخل؟ مصالحة حكومة مع عشائر ومجتمع؟ ما هي طبيعة هذه المصالحة ومع من نتصالح؟ هذا سؤال مهم، صحيح أنه يوجد وضوح في بعض العناوين العامة؛ لا نتصالح مع من تلطخت أيديهم بدماء العراقيين، ولا نتصالح مع داعش، ولكن مع من نتصالح؟ هذا غير محسوب.

رابعًا: من الضامن؟

إذا جلسنا واتفقنا ومضينا، وأعطى طرف للآخر ولكن الآخر لم يلتزم فما هو الحل؟ يجب أن نتصالح مع من يمسك الساحة، وحين يقول تلتزم ساحته بقوله، ولكن حين يقول (نعم) ويأخذ الامتياز ولكن ساحته لا تلتزم فهذه مشكلة أيضًا، وهنا يجب أن نلاحظ دور العشائر، دور المجموعات المسلحة، دور القوى السياسية، دور منظمات المجتمع المدني والقوى المجتمعية، هذه كلها كيف تلتئم بعضها مع بعض وتكون منظومة قادرة على التغيير.

نريد أن نتصالح مع من يستطيع أن يهدئ ساحته، مع من يستطيع أن يضمن لنا عملية سياسية ناجحة، مع من يوقف لنا التطرف والإرهاب في ساحته إلى غير ذلك، هذه أسئلة واقعية إذا لم تعالج بالفعل كما تفضل بعضكم، فالمصالحة ستكون حديثًا إعلاميًا، وشعارات، وكلامًا ليس له واقع على الأرض.

المعالجة الإعلامية

في الجانب الإعلامي نحتاج إلى تسويق لمشروعنا الوطني، فحجم التحريض عليه أكبر منا، واليوم هناك دول صغيرة لديها قنوات كالجزيرة والعربية وسكاي نيوز، وكل دولة لديها قناة غير قناتها المحلية، قناة تخاطب بها العالم وتؤثر فيه، ونحن ليست لدينا أي قناة، وكل قنواتنا للخطاب والاستهلاك المحلي، وفرة كبيرة من عمل مكرر وإمكانات هائلة، ولكن الآخرين لا يسمعونها، فهذا كلام داخلي لا يسمعه الآخر فما هو الحل؟.

هناك دائمًا تشويش وتشويه، وكلام شيخ الأزهر تعبير عن حجم الاستهداف الذي نتعرض له، واليوم كان لي اجتماع مع مسؤولين أمريكان وقبلهم جاء آخرون، ودومًا أسألهم هذا السؤال: لماذا يردد إعلامكم وصف المليشيات الشيعية الطائفية المجرمة؟ ولا تعبرون عن القوى الكردية بالمليشيا؟ وخيرًا تفعلون، ولا تقولون مليشيا العشائر العربية؟ لماذا الشيعة هم المليشيا فقط، ونحن لسنا طائفيين ولكن هذه حقيقة، هذا حشد وطني فلماذا مليشيا طائفية؟ وكان جوابهم: يوجد عمل كبير ضدكم، فأمريكا مفتوحة؛ منظمات ومؤسسات وكونغرس، وهناك من يدفع ويبرز أخبارًا معينة، فتتركب هناك صورة أخرى، وشخصيًا أتابع المقالات التي تكتب في الولايات المتحدة؛ عشرات من المقالات في أهم الصحف الآن تنظر لواقعنا العراقي نظرة مغلوطة، نظرة شيخ الأزهر، لماذا؟ لأننا لا نستطيع أن نوصل كلمتنا بالشكل الصحيح، وهذا ما نحن بحاجة إليه، وللوضع الداخلي نحتاج إلى خطاب وئام، خطاب تصالح، خطاب يهدئ النفوس ويطيب الخواطر، هذه مع الأسف لدينا مشكلة فيها أيضًا.

المعالجة الاقتصادية

اقتصاديًا نحتاج إلى مواجهة الدولة الريعية، فما دام هذا الاقتصاد الأحادي هو الذي يمسك عصب الحياة في اقتصاد البلد، لن نصل إلى نتيجة، فاللامركزية ودعم الاستثمار، ودعم القطاع الخاص، وكل ما أشرتم اليه هو الحل، وهذه مسائل مهمة، وفي البعد الاقتصادي لحل الأزمة كذلك نحن بحاجة إلى صندوق لإعادة إعمّار المناطق المحررة بإذن الله، بعضها تحرر والبعض الآخر يتحرر، فإعادة إعمّارها شيء مهم جدًا نحن بحاجة إليه.

المعالجة الاجتماعية

اجتماعيًا يجب الحد من محاولات التغيير الديموغرافي، وقد قيل إن هناك قوميات من الصعب أن يعودوا وهذا كلام جدًا خطير، فالشبكي والتركماني والمسيحي والإيزيدي كلهم يجب أن يعودوا إلى أماكنهم، وإذا قال أحد بخصوص هؤلاء لا يمكن أن يعودوا فسيكون لذلك ارتدادات خطيرة جدًا في مزيجنا المجتمعي وفي واقعنا، فهؤلاء عاشوا آلاف السنين، فكيف نقول: أنتم تركمان أو شبك أو شيعة أو أيزيديون أو مسيحيون، وليس لكم حق في أن تعيشوا في نينوى، هذا كلام لا يقوله أهل نينوى بكل تأكيد، وهذا كلام خطير ويجب أن نحرص على ألاّ يكون في المناطق الأخرى أيضًا، فأبناء المنطقة

يعودون ويسكنون في مناطقهم، وهذا التغيير الديموغرافي يمكن أن يمثل خطرًا فادحًا وكبيرًا وخطيئة إذا ما أراد البعض منا أن نفكر بهذه الطريقة ونقننها.

يجب إعادة النازحين ولكن ضمن إطار مقبول ومعقول؛ ضمن شروط معينة، فداعش لم تأت من المريخ، فهم أناس مستقطبون من داخل عشائرنا الكريمة، ومن يقرأ تسلسل هذه المنظمات الإرهابية، من الجهاد والقاعدة الذين كان أغلبهم من غير العراقيين، إلى مرحلة (أبو عمر البغدادي) التي أصبح خلالها نصف المنتمين إليهم من العراقيين، إلى مرحلة (أبو بكر البغدادي) التي أصبحت نسبة العراقيين خلالها تسعين بالمائة، وهذا تطور سريع، إذن يوجد عدد مهم من أبناء العشائر أصبحوا وقودًا في هذه المعركة، وهم مقتنعون بوجود داعش، وعندما نقول لنُعِد النازحين فجأة بلا ضوابط ومعايير، فهذا يعني أن كل هذا الجهد وهذه الدماء وهذه التضحيات وهذه الانتصارات ذهبت هدرًا، وسنرى داعش مرة أخرى في كل مكان، لذلك يجب أن ندقق، فبقدر ما نكون حريصين على إعادة النازحين، وهي ضرورة، يجب أن نضع المعايير والضوابط اللازمة لكي لا يعود داعش من جديد، وفجأة نرى جميع المناطق بيد داعش من جديد، ولنستعن بكبار المنطقة والناس المعروفين والتزكيات والضمانات المعينة.

دور العشائر في اللحمة الوطنية وفي تخفيف حدة الصراع المذهبي والطائفي إلى غير ذلك، هذا شيء مهم وصحيح وضروري، فضلًا عن معالجة التبعات النفسية الناتجة من هذه الظروف، فهناك نساء ترملت وأطفال يتّمت، ونساء رأين أزواجهن يُحرقون أمامهن ويتفحمون، وهذه لها تأثيرات خطيرة في المجتمع ويجب أن تعالج معالجات صحيحة. هذه مجمل الرؤية في الخطوات المطلوب تحقيقها للمصالحة المتزامنة مع الحل الأمني، ومع الحلول الأخرى كما أسلفت.

تعقيبات وردود مختصرة

لديّ تعقيبات سريعة على بعض ما تفضلتم به:

إصلاح إداري

بشأن الإصلاح السياسي والهيكلة الإدارية للدولة، نادينا في ظروف سابقة بثورة إدارية أكثر من إصلاحات، وهنا تأتي مسألة الحكومة الإلكترونية، وتأتي مسألة توحيد ودمج القوانين النافذة، فاليوم في قضية واحدة لدينا أربعة أو خمسة قوانين نافذة، والموظف بيده جميع هذه القوانين، والذي يدفع ينتقي له الموظف من بين هذه القوانين أيّها أسهل،

وينسب إلى القانون رقم كذا من سنة كذا، ويمرر له القضية، وفي نفس الحالة يأتي مواطن آخر لا يعجبه، فيبحث له عن أصعب القوانين، فنرى هذا الاختلاف في حالة واحدة من موظف في يوم واحد وفي مكان واحد، وهذا عبث، فنحتاج إلى توحيد هذه النظم الإدارية والتخفيف منها، فاليوم نرى قوانين مجلس قيادة الثورة هي التي تحكم البلد، فالدستور لا يتحول إلى إجراءات وقرارات يومية، والمسؤول التنفيذي لا يستطيع أن يعمل بمادة دستورية ويتجاهل القوانين النافذة، وهذه نحتاج إلى ثورة إدارية حقيقية، لنعالج الكثير من المشاكل في هذا الموضوع.

من يتصدر؟

البعض يقول ليتصدر عمّار هذه المصالحة.. عمّار لا ينفع أن يكون في واجهة هذا المشروع، فإذا أصبح منافسًا للآخرين يفقد قدرته في التقريب بين الآخرين، فغطاء رئاسة الجمهورية، وغطاء البرلمان، ومؤسسات الدولة، يجب أن تكون هي الواجهة، وكلنا نسعى ونساعد وندعم ونقرب وجهات النظر لتحقيق مصالحة حقيقية ضمن المبادئ التي أشرنا إليها.

بداية الإصلاح

من أين نبدأ الإصلاح؟ من القاعدة صعودًا، أم من القيادة نزولًا؟ أنا أعتقد بأننا نحتاج إلى أن نبدأ الإصلاح من الجانبين ليلتقيا في المنتصف؛ إذ توجد مشكلة مجتمعية يجب أن تعالج، وتوجد مشكلة في النخبة السياسية يجب أن تعالج، ولا يمكن أن نستغني عن أسلوب ونضع بيضاتنا كلها في سلة واحدة وفي أسلوب واحد.

مراكز دراسات

بخصوص إنشاء مراكز دراسات استشارية لمعالجة الإشكالات الاجتماعية لما بعد داعش، بالفعل، هذه الدراسات وهذه المراكز مهمة، والبعض قال تعجلنا، وأنا أقول على العكس، إذ يجب أن تكون لدينا رؤية للشيء قبل حدوثه، فإذا حدث نكون متهيئين له، فاليوم يجب أن نتهيأ لما بعد داعش، ويجب أن نسمع هذه المخاوف والهواجس من الآن لنعرف كيف نخفف النتائج، وقد حُمّلت الطبقة السياسية كامل المسؤولية، ولا شك في أنها تتحمل جزءا مهما من المسؤولية بحكم المواقع والتأثير، ولكن أعتقد بأن المسألة أكثر تعقيدًا من أن تُحمّل على طرف واحد، في ظل الأمور المركبة والمعقدة التي نشهدها.

الدعم العربي

الدور المرجو من الدول العربية في دعم العراق دور كبير، ولكن الحساسيات المذهبية أحيانًا تعيق، فاليوم هناك من هو خارج العملية السياسية أو داخلها لا يؤمن كثيرًا بها، وعنده قدرة تأثير كبيرة في هذه الأروقة وكلام مسموع أكثر من الدولة العراقية ورجالها، وبالتالي نرى الإقليم دائمًا معبأ وعنده دوافع كافية للتعبئة، يضاف إلى ذلك المشاغلات والمشاغبات والكلمات، فضلًا عن رؤية الصورة من بعيد، فاليوم ينظر إلى إيران أنها لاعب أساسي في مكافحة الإرهاب ومواجهة داعش وتقدم جهودا استشارية مهمة، وهذا يخيف ويرهب المنطقة، فيقولون إنها تتدخل، إذن فالتحالف الدولي، اثنتان وستون دولة، منظمات خيرية تقدم مساعدات مجانية؟ ومن يتهم إيران بالتدخل هو حاضر ضمن التحالف الدولي ويمارس دوره على اختلاف المستويات، فلماذا هناك باء تجر وباء لا تجر؟.. بالتالي نحن بحاجة إلى مساعدة كل من يمكن أن يقدم لنا المساعدة في هذه الحرب، والبعض برهن على جدية أكبر، والبعض كان مترددا وعنده ملاحظات سياسية وحسابات معينة بشأن تقديم الدعم، هذه هي الواقعيات التي نلمسها اليوم.

الخطط الإقليمية

بشأن رسم خارطة شرق أوسط جديد، يمكن للآخرين أن يخططوا لمصالحهم ويسعوا لكل شيء، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده الذي يقول: (كن فيكون)، وما سوى الله يقول (كن)، ولكن يكون أحيانًا وأحيانًا لا يكون، وهذا لا يلغي دورنا، فوجود تخطيط ومشاريع للآخرين لا يسلب أرادتنا، فما أريد للعراق في (٢٠٠٣) شيء وما تحقق اليوم شيء آخر، وقدرتنا على التأثير عالية وكبيرة، ومن الخطأ أن نبقى ننظر إلى ما يخطط له الآخرون ونتلافى مسؤولياتنا، والصحيح أن نلتفت إلى ما يخطط له ويريده الآخرون، وكيف نحيده، وكيف نروضه، وكيف نكيفه مع مصالحنا ومشروعنا كعراقيين.

الفساد

المفسدون والمتشددون، هاتان فئتان تتحملان مسؤولية كبيرة، وبالفعل فالفساد المالي والإداري أخطر من الإرهاب وهو يغذي الإرهاب، وجزء من هذه الأموال التي تسرق من الدولة العراقية تصبح في متناول أيدي الإرهابيين.

مواجهة التقسيم

بشأن إيجاد جبهة وطنية واسعة للتصدي لمشروع تقسيم العراق، بالفعل، لا خيار لنا إلاّ وحدة العراق، فنحن لسنا أمام خيارات، ويخطئ من يتصور أنه يستفيد حينما يستقل، عربًا كانوا، أم كردًا، أم تركمانًا، شيعة، أم سنة، وأستطيع أن أقدم الأدلة والبراهين الكافية على أن لا أحد يستفيد من التقسيم، بل الجميع يستفيد من عراق موحد، ويضمن مصالحه في عراق موحد أكثر بكثير مما يتحقق له في دويلات متعددة.

دور تأريخي

بخصوص جبهة واسعة من إيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين، أعتقد بأنه كلما كان العراق منفتحًا ويتجنب الدخول في المحاور الإقليمية، استطاع أن يستثمر جميع الجهود لصالح مشروعه العراقي ولصالح التعايش، لنكن جسرًا أفضل من أن نكون طرفًا في قبال طرف، فأن نكون جسرا يعني أننا نجمع بين الأطراف، وهذه تخدم العراق، والعراق يمكن أن يلعب هذا الدور، فقد لعبه تأريخيًا واليوم يستطيع أن يلعبه، فموقعه الإستراتيجي والتنوع الكبير الذي فيه وثرواته الهائلة والكثافة السكانية مقارنة بالدول الأخرى في الوطن العربي إلى غير ذلك، هذه كلها فرص حقيقية لتجعل منا جسرًا، وأن لا نكون طرفًا في تخندقات ومحوريات من هذا النوع، نعم لدينا مع كل دولة مصالح، فلا نترك مصالحنا مع إيران لكي لا تأخذ الدول العربية منا موقفًا، ولا نترك مصالحنا مع الدول العربية لكي لا تتحسس أمريكا، فيجب أن نقيس الأمور بما هو في مصلحة العراق، ونمضي ونبني علاقات مع الجميع على هذا لأساس.

المرحوم الوالد كانت عنده كلمة يقولها للإيرانيين وللأمريكان؛ كان يقول: ابتلانا الله بالشيطان الأكبر ومحور الشر، في مزحة باعتبار الإيرانيين يطلقون على أمريكا الشيطان الأكبر، والأمريكان يطلقون على الإيرانيين محور الشر، فيجب أن نجمع على كل حال بين الأمرين.

عوائل الشهداء

يجب الاهتمام بعوائل الشهداء وجرحى الحشد، وحقيقة أتمنى لأيّ أحد أن تكون له فرصة لزيارة المستشفيات ورؤية أولئك الجرحى، ولم أدخل مرة لزيارتهم إلاّ خنقتني العبرة؛ فما هذا الصمود؟ ما هذا الثبات؟ ما هذا الإصرار؟ ما هذه الروحية التي يمتلكها

هؤلاء الشباب؟ إنه شيء مذهل، ويطول المقام إذا أردت أن أذكر لكم بعض الأشياء التي تأثرت بها كثيرًا، وهؤلاء يستحقون منا الكثير.

ملف المفقودين

بشأن إنشاء مركز لتسجيل المفقودين، أعتقد بأننا لا نحتاج إلى شيء جديد، فلدينا مفوضية حقوق الإنسان، ووزارة حقوق الإنسان، ومنظمات كثيرة يجب أن تستحدث أقساما في اختصاصها وتقوم بمثل هذه الأدوار.

طلب تشريع قانون البصمة الوراثية كلام حق، وضرورة التعرف على عقلية الشركاء أمر صحيح جدًا، وبشأن الخيارات في ما بعد داعش، فإن أمامنا خيارات عديدة، ونحن نحدد الخيارات؛ فيمكن أن نسير في طريق الخيارات الجيدة، ويمكن أن نذهب إلى الخيارات السيئة لا قدر الله.

قادة النظام السابق

إطلاق سراح عدد من قادة النظام السابق هل سيحل المشكلة؟ لا، لن يحل المشكلة، بل سيثير مشكلة أكبر، فعندما تكون هناك عين ضعيفة وأخرى جيدة مثلًا، لا نعمي الثانية بل نصلح الضعيفة، فحل مشكلة في مكان وخلق مشكلة أكبر في مكان آخر، لا يحل شيئًا، ومن قال حتى في الساحة السنية الكبيرة اليوم إن فلانا وفلانا من أزلام النظام السابق الذين هم اليوم في السجن، إذا خرجوا فالمشكلة ستنتهي؟.. لن تنتهي، فالواقع أعمق بكثير من هذا الأمر، ويجب أن نكون أكثر واقعية.

باقة مكونات

بشأن التطهير العرقي للتركمان، لا أعرف من يفكر ومن ينوي ذلك، ولكن علينا أن نحافظ على هذا المكون وسائر المكونات الأخرى، فهؤلاء إضافات نوعية، والعراق بحاجة لهم ويقوى بهم، والعراق ليس لونًا واحدًا بل فيه الشيعي، والسُني، والتركماني، والكردي، والشبكي، والمسيحي، والصابئي، إلى آخره.

الحشد الشعبي إلى أين؟

الحشد الشعبي إلى مزيد من التنظيم، وإذابة العناوين الخاصة والاندماج في قوة عسكرية منظمة، تابعة للقيادة العامة للقوات المسلحة رديفة للجيش، وواقع الأمر كما أعتقد، أن مهمة هؤلاء لا تنتهي بانتهاء داعش، فالجيش حتى يعاد بناؤه يحتاج إلى وقت؛ فهناك الحالة النفسية، الحالة النوعية، الإمكانات المطلوبة، البناء الصحيح،

تجنب الصراعات السياسية، والحساسيات المذهبية إلى غير ذلك، ورأينا كيف انهار الجيش في أول تحد جدي وحقيقي، وأذكر قبل سنتين، أن رئيس هيئة الأركان السيد (بابكر زيباري)، قال لي: إن أحد الضباط الأمريكيين حينما انتهت مهمته، وكان على علاقة معنا بحكم موقعه فجاء لتوديعي فقلت له: أنت الآن ستذهب، وسيكون كلامك معي غير رسمي فقد انتهت مهمتك، هل تستطيع أن تقول تقييمك للجيش العراقي؟ قال: بشكل غير رسمي أقول: إن هذا الجيش لطيف وجميل؛ همرات ودبابات وملابس لطيفة، وهذا للاستعراضات والمناورات، ولكني أقترح ألاّ تدخلوا في معركة تطول مدتها ثلاثة أيام لأنه لن يصمد، فقلت له: ما هذه المبالغة؟ نحن أنفقنا عليه عشرات المليارات من الـدولارات، فقال: أنا ذاهب وهذا يعود لكم، ولكن بحسب فهمي وخبرتي العسكرية أقول لك لا تستطيع أن تقاتل به أكثر من ثلاثة أيام، فالجيش إلى أن يبنى نحتاج إلى وقت.

علينا استثمار الأزمة لتحقيق منجز، هذا هو الصحيح، فالتحدي يولد فرصًا دائمًا، وكلما كان التحدي أعقد كانت الفرص أكبر، ففي لحظة التحدي علينا أن نقوم بتسوية.

هل الوظائف ومكافحة الفساد اليوم مقدمة في اهتمام المواطن العراقي على المصالحة والأمن؟.. إن المواطن يريد أن يعيش، وبالتالي فالمواطن في الأماكن الساخنة هاجسه الأمني أكبر، وكذلك النازح، أما في الأماكن التي يشعر فيها بالأمان، فإن ذاك الهاجس يكون أكبر.

نشأة داعش

بخصوص القول بأن داعش نتاج للنظام الطائفي، أختلف مع هذا الرأي قليلًا، فالطائفية أو هذه الأمور قد تكون أسهمت بشيء ما، ولكن كيف تفسر لي بوكو حرام في الصومال وغيرها ولا يوجد عندهم طائفية؟ واليوم داعش في ليبيا وليس فيها طائفية، وفي مصر لا توجد طائفية وكلهم من لون مذهبي واحد، وفي باكستان وأفغانستان، فالمسألة أعمق من خلاف مذهبي معين، ويجب أن ننظر بشيء من الموضوعية والشمولية لهذا الموضوع.

بناء دولة المواطنة

إيجاد نظام سياسي على أسس المواطنة كلام صحيح وجميل، ولكن كيف نحققه؟ اليوم جميع الأطراف قلقة، فضع حكومة تقل فيها حصة السنة أو الشيعة أو الكرد وزيرا واحدًا، وسوف نقول، نحن الجالسين هنا، سواء كنا شيعة أو سنة أو كردًا، إن هذا لم

يطمئنا ولم يعطنا الفرصة الكافية، ويوجد تهميش، أليس كذلك؟ فإذا أردت أن تعطي للشيعي وللسني وللكردي، وهذه اسمها محاصصة أو كما تسميها، فهل يستطيع أحد أن ينظر للبعد الإيجابي ويقول هذا تمثيل المكونات وتطمينها؟ أو يقرأها سلبيًا ويقول هذه محاصصات؟.. بالتالي ستذهب هذه الأصوات إلى الطيف الواسع من القوائم.

في أمريكا مئتان وخمسون مليون نسمة، وهي قارة، يتنافس فيها شخصان، هذا جمهوري وهذا ديمقراطي، ونحن في العراق لدينا خمسمائة كيان في الانتخابات، وكل طرف يجر من جهة، فشيء طبيعي في ظل هذه الظروف، أن يكون من الصعب البحث عن دولة مواطنة بالطريقة النموذجية التي نتكلم بها.

يمكن تحقيق ذلك بالتدريج كلما تقدمنا أكثر، فالآن هذه التحالفات وهذه الأوضاع، إذا استطعنا أن نكسر فيها الحواجز المذهبية والقومية ونذهب إلى تحالفات أوسع، فهذه خطوة للأمام، أما الآن فالتجربة تقول إن أي قوة مهما كانت وطنية في خطابها أو سلوكها، لا تستطيع أن تستقطب ناخبين بشكل جدي من الآخرين، وكلنا جربنا وحاولنا فلم نتمكن، فما زال المواطن غير مهيأ أن يعطي صوته لغير مكونه، بل حتى لشخص من مكونه إن كان في قائمة أخرى، ونحن ائتلاف المواطن أشركنا من إخواننا السنة الكرام شخصيات مهمة ومحبوبة، ولكن لم نستطع أن نجلب صوتًا، فمكونها لا يثق بها بمقدار كافٍ، هذا هو الواقع ولا نستطيع أن ننتفض على الواقع ما دمنا نؤمن بالديمقراطية.

الأوقاف الدينية

إبعاد الأوقاف الدينية عن الخلفيات السياسية شيء جيد، ولكن كيف تبعد؟ الآن ديوان الوقف السني في نظامه الداخلي يقول إن مركزه الفقهي هو من يرشح، والمركز الفقهي هو الذي يرشح، وأعضاؤه الكرام قد يكونون قريبين من أطراف سياسية معينة، فيرشحون ناسًا ويبعدون آخرين، وهناك آخرون من خارج المجمع الفقهي يأتون ويعترضون جدًا على مرشحي المجمع الفقهي، فماذا نفعل؟ فحين نأخذ بالقانون ونلتزم بمرشحي المجمع الفقهي يغضب الطيف الآخر، أما نحن فتوجد لدينا مرجعية عليا، وكلنا نؤيد قولها، وقد رأيتم كيف حصل هذا التغيير بما وصفته بأنه خبر صغير في الصفحة الثانية والثالثة وانتهى، فالمرجعية عندما ترشح كلنا نؤيد ولا توجد لدينا مشاكل، ولا أعرف كم بالفعل نجعل هذه الأوقاف بعيدة عن هذه التأثيرات.

دعم الحشد

القول بأن الدعم للحشد الشعبي أكثر بكثير من القوى الأخرى ليس صحيحا، وأنا أعرفها بالأرقام، والانتصارات الكبرى تتحقق بأبخس الأثمان، فالانتصارات التي تحققت ليس لوجود وفرة في المال أو في السلاح، بل لوجود عقيدة حقيقية، والعقيدة هي التي تحقق الإنجاز والنصر.

دوائر انتخابية

بشأن إيجاد دوائر انتخابية في المحافظة الواحدة، من حيث المبدأ أعتقد أنه سياسيًا ليس خطوة موفقة، فنحن نظامنا برلماني، والنظم البرلمانية في العالم مبنية على قوى سياسية وكيانات وأحزاب، وكلما أعطينا المزيد من فرص التشظي في ما بيننا نكون قد عمقنا المحاصصة.

الحرس الوطني

تشريع قانون الحرس الوطني يجب أن يتم بطريقة صحيحة، بأن لا نخلق قوى عسكرية في كل منطقة، وكل منطقة تابعة لكذا، ومن ثم يختلفون بينهم ويوظفونها للاستغلال السياسي، فيجب أن يكون ضمن الإطار الوطني، وتوفير مقومات الحفاظ على وحدة العراق، وحينها تكون قضية إيجابية، ونحن بالتأكيد مع هذا المنحى.

وبشأن إدارة الكوارث والأزمات، اعتُبرت من مهام الإدارة الميدانية للحرس الوطني إدارة الزلازل والسيول وجميع هذه الكوارث الطبيعية.

ما يحصل في منطقة ربيعة مؤلم، ونحن بذلنا جهودًا حثيثة ونتمنى أن نرى قريبًا حلا لهذا الموضوع.

معالجة داعش

معالجة داعش بديمقراطية حقيقية، والابتعاد عن المحسوبيات والمنسوبيات، وإعطاء الدور للطبقة الوسطى، والحالة الوطنية، والنظام التربوي، والبعد المدني، كل هذا كلام حق وصحيح، ولكن نحتاج إلى وقت لتفكيك هذه الأمور، ونحن في مشروع أمة، في مشروع وطن، وهذه المسائل تحتاج أحيانًا لعقود من الزمن. لا نستطيع أن ننجز حكومة مدنية ذات قرار سياسي، فمن أين تجيء هذه الحكومة المدنية؟ من يأتي

بها طالما كانت هناك ديمقراطية وصوت انتخابي؟ والصوت الانتخابي موزع بين هذه القوى السياسية المعروفة.

ليست جميع القيادات السياسية خائفة، ففيهم الشجاع، والشجاعة تتطلب الحكمة والانفتاح على الجميع.

إعادة تأهيل النازحين والمقاتلين كلام حق، فلولا الحشد الشعبي والبيشمركة لانهار العراق، وإذا انسحب الحشد الشعبي والبيشمركة من مواقعهم فسينهار العراق، وأقول هذا الكلام عن دراية ومعرفة وتجوال ومتابعة ميدانية.

أعتذر عن الإطالة في الحديث، وشكرًا لسعة صدوركم وحضوركم، والحمد لله رب العالمين.

ديوان بغداد لشيوخ العشائر[٢٣٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

الاختلاف أمر طبيعي

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتلبيتكم هذه الدعوة وتشريفكم لهذا اللقاء، وأتمنى أن يكون لقاء وطنيًا نافعًا، تلتقي فيه الوجوه والقلوب، لنتكامل مع بعضنا ونتعرف على ما نقرأ، وما نحلل، ونظرتنا إلى الأمور، وكما أقولها دائمًا؛ ليس معيبًا أن نختلف في بعض التفاصيل، ولكن المعيب أن نعجز عن حل الاختلاف، أو عن إدارة الاختلاف بيننا.

شعب بحجم الشعب العراقي بحضارته، وتنوعه، وشخصيته القوية، من الطبيعي أن يكون فيه دائمًا أكثر من رأي، وأكثر من قراءة للأمور، وحينما نجلس ونتحدث ونستمع إلى بعضنا، تصبح لدينا تدريجًا قدرة على أن نتعايش مع بعضنا، ونتفاهم على ما هو مصلحة البلاد والعباد.

هذا الديوان كما أشرت في لقائنا السابق، يراد منه أن يكون محطة نجتمع فيها ونتداول، وليس هناك شيء ما وراء ذلك، فهذا التداول بحد ذاته يعطينا فرصة لكي نستفيد من أفكاركم، ومن رؤيتكم العميقة للأمور، وأنتم شيوخ وسادة هذا البلد، والناس تجتمع في مضايفكم ودواوينكم، يتحدثون ويتناقشون، فدائمًا تجتمع عند شيخ القبيلة والعشيرة مجمل الأفكار والآراء، وتلتقي عنده الأفكار المختلفة، ومن أراد

٢٣٨. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد لزعماء العشائر والقبائل العراقية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢١/ ٣/ ٢٠١٥.

أن يعرف ماذا يحدث في المجتمع وبماذا يفكر الناس، فعليه أن يجلس على مائدتكم ويستفيد، وهذه الأفكار التي ندونها تكون في لقاءاتنا المستمرة مع الرؤساء والقادة والمسؤولين والكتل السياسية، تكون موضوعا للبحث المستمر مع هؤلاء الأعزاء، لكي نولد رؤية موحدة ونتخذ قرارات تخدم البلد بشكل عام.

في ما يخص تطوير هذا الديوان، فهذه القصاصات الموجودة أمامكم هي في الحقيقة طلب ورجاء منا، إذا كان هناك اسم معين تشعرون بأنه من المفيد أن يضاف إلى هذا اللقاء، أو فكرة معينة، أو اقتراح معين بخصوص كيفية إدارة هذا الاجتماع، وما هي السياقات، وهو منكم وإليكم وأنتم أصحاب القرار فيه، وهناك لجنة مختصة تراجع هذه الأوراق وتدقق فيها وتستفيد مما ورد فيها، وكلكم لطف في الحضور، وفي صبركم، ومشاركتكم وإثرائكم لهذا الاجتماع بالمداخلات الملاحظات.

انتصارات مستمرة

نحن نتقدم بفضل الله في الجانب العسكري، واليوم بقي مركز مدينة تكريت، ليس عجزا عن تحريرها، وإنما الهدف أن يكون هذا التحرير بأقل الخسائر البشرية، والمجموعات الإرهابية المتواجد هنا أغلبهم من غير العراقيين، وهم انتحاريون أتوا ليقاتلوا حتى الموت، وكذلك هناك قناصون وما إلى ذلك، فتحتاج إلى طريقة حرب شوارع تختلف عن الطريقة التي تدار بها المعارك في مساحات أخرى، ويتم التهيؤ والاستعداد لها، وستصل بشرى التحرير بإذن الله قريبا حينما تحسم هذه المعركة، فالتأخير ليس عجزا، وإنما هو ناتج عن رغبة ملحة في تقليل الخسائر البشرية، وكذلك الحفاظ على المنشآت العامة، والبنى التحتية، ولا نريد تدميرها كما حصل عندما أراد الأمريكان أن يخرجوا القاعدة من الفلوجة، إذ هدموا الفلوجة على أهلها، وعادوا وأسهموا في بنائها وأنفقوا، والدولة العراقية أنفقت وبنت الفلوجة من جديد، فإذا كنا ندمر كل مدينة نحررها من داعش ثم نعيد بناءها، فهذه ستكون مكلفة جدًا.

إذن فالحل العسكري يتقدم، وهناك مناطق شاسعة اليوم خرجت من هيمنتهم، وأصبحوا مقطعين إلى أشلاء، وأمامنا الأنبار ونينوى، وهناك تقدم وحضور لعشائر كريمة من أبناء هذه المناطق في عدة أقضية ومدن أساسية، فالمسألة لم تعد لغزا وقضية نعجز عنها كعراقيين، ولكن أولًا يجب ألاّ يشعر مقاتلنا وقائدنا الذي يقاتل في هذه المعركة بأنه متهم، مدان وهو يقدم النفس، ويقدم الدم من أجل حرية هذا البلد، ومن أجل كرامة العراقيين، وحقيقة يأسف الإنسان لهذه الكلمات، وأنا شخصيًا لي الشرف

في الزيارات المتكررة والمتواصلة، وأجتمع، وأجلس، وأسمع، وأنزل إلى الميدان، وأرى المقاتلين، وأرى الناس العاديين الذين يكونون في ساحات معارك، وأسمع منهم مباشرة، وهذا الكلام والضجيج الذي نسمعه في وسائل الإعلام لا نراه في الميدان، فالمقاتلون التقيتهم ورأيتهم، وكذلك أبناء المناطق ومعهم الحشد، وكلهم شيء واحد ويد واحدة لمقاتلة داعش، ورأيت بعض الشيوخ الأكارم في غرف العمليات، يراقبون ويطلعون ويعطون رأيًا وملاحظات في العملية العسكرية خطوة بخطوة.

أكاذيب المشككين

إن ابن العمّارة والناصرية والبصرة الذي تطوع في الحشد، وترك منطقته وهي آمنة، غير مضطر ولم يجبره أحد، فهم متطوعون بإرادتهم، وقد جلبتهم النخوة العراقية، جلبهم الحس الوطني، جلبتهم شيمتهم في أن يقفوا مع أهلهم ويدافعوا عن الأرض والعرض، إذن عندما يأتي الإنسان من منطقة إلى أخرى ويضحي ويقدم الروح بسخاء، يتوقع أن يرى ظهره مسنودا من أهله، وهذه الكلمات، وهذا التشكيك، ووصفهم بالمليشيات الطائفية المجرمة، هذه تحز في نفوسهم كثيرًا.

اليوم نحن نعاتب شيخ الأزهر، ولكن وأنتم أكابر القوم، هل شيخ الأزهر تكلم وحده؟ أو هناك عراقي همس بإذنه وحرضه وأعطاه صورة خاطئة مفبركة كاذبة، وأخبركم شيوخنا الأفاضل أني رأيت في غرف العمليات دوائر حمراء على الخارطة فسألتهم عنها، فقالوا: في أي منطقة ترسل عشائرها أو أهلها لنا خبرا أنهم ليسوا مع داعش، نضع عليها دائرة حمراء فورًا لتتجنبهم النيران، والشيء الذي استغربته أن بعض أهالي هذه المناطق المؤشرة يقولون: نحن لسنا معكم، ولكننا أيضًا لسنا مع داعش، فنحن مع القوي ونريد أن نعيش، فلا نعرفكم ولا نعرف داعش.

سمعت أحد القادة في غرفة العمليات يعطي إيعازا لأحد الأشخاص، يقول له: اذهب إلى المنطقة الفلانية، فقد أتى تقرير بأنهم يخرجون، فقم بإعادتهم وطمئنهم بأنه لا يوجد شيء، فعين على المعركة وعين على الناس لكي لا يتأثر منهم أحد، حقيقة حالة مثالية، وأي حرب لا توجد فيها أخطاء؟. زارني القائد الأمريكي للشرق الأوسط أوستن، فقلت له: أنتم في الجيش الأمريكي، وكل حديثكم عن الديمقراطية، ألم يكن لديكم أبو غريب وغيرها من الفضائح والمشاكل والأخطاء؟ لماذا هي مقبولة منكم، ومن غيركم غير مقبولة؟.

يجب أن نُشعر المقاتل أن ظهره مسنود، وأن العراقيين جميعًا واقفون معه، والجميع يجب أن يدافع عن كل من يحمل السلاح ضد عدونا، لأن عدونا واحد هو (داعش).

الاستعانة بأبناء المناطق

منطقنا أن أبناء المناطق هم من يحررون، وهم من يتقدمون ونحن بخدمتهم، نقف معهم على مقدار حاجتهم، ولكن هناك حقيقة نعرفها جميعًا؛ نعرف أن داعش لا ذمة له ولا ضمير، وحين يرون أحد أبناء العشائر متعاونًا مع الأجهزة الأمنية للدفاع عن منطقته ينتقمون منه انتقاما فظيعًا، وربما يفجرون بيته، أو يقتلون عائلته، فاليوم من الطبيعي أن نرى أبناء بعض المناطق لا يندفعون اندفاعا قويا لتحرير مدنهم، ليس جبنًا أو قلة همة، وإنما خوفهم على عوائلهم وعشيرتهم يدفعهم إلى ذلك، فنلاحظ أنه كلما تقدمنا وحررنا أراضي أوسع نرى جبهة المقاومة من أبناء تلك العشائر تتوسع أكثر.

تسجيل الانتصار يجب أن يكون لأبناء المنطقة، ويجب أن يُسجل الانتصار باسمهم، أبناء العلم يجب أن يحرروا منطقة العلم، وأبناء تكريت يجب أن يحرروا تكريت، وهكذا في نينوى وكل مدن العراق إن شاء الله، وهذا ليس انتصارا شيعيا أو سنيا، وإنما هو انتصار العراق، انتصار العراقيين على داعش، ولكن الحل العسكري وحده لا يكفي، إذ نحتاج إلى جانبه ثلاثة حلول أخرى إضافية ومهمة، لكي تكون سلة الحلول متكاملة.

سلة الحلول المتكاملة

نحن لا نقاتل للقتال، وإنما نُقاتل للحياة، نُقاتل لكي نعيش ونتعايش، نُقاتل لكي نتسامح بعضنا مع البعض الآخر، فالقتال ليس هدفًا وإنما وسيلة لإخراج العدو، وهدفنا الأساسي هو التعايش والمحبة والسلام والوئام والبناء، لذلك فالحل السياسي يكون مطمئنًا أكثر؛ يُطمئن الجميع، وهذا الحل نُعبر عنه بالمصالحة أو الإصلاحات السياسية، وهذا أمر مهم يجب ألاّ نغفل عنه.

الحل الخدمي والتنموي مهم أيضًا، فالمنطقة التي تُحرر إذا عاد إليها الماء والكهرباء والخدمات والمدارس والحياة، فحينئذٍ يشعر الناس ماذا يعني النزوح من الوطن، وعند عودتهم إلى ديارهم يتمسكون بالأرض ولا يسمحون لداعش بأن يعود من جديد ويتسلط على رقابهم.

والجانب الرابع هو الجانب الاجتماعي، إذ يجب أن نحاسب المسيئين للوطن فقط،

نحاسب من حمل السلاح بوجه الدولة ولا نحاسب عشيرته بأكملها، وبخلاف ذلك ستكون هنك مشكلة كبيرة لا مخرج منها، إذ سنتقاتل بيننا لا سمح الله.

الحل المجتمعي وإعادة الوئام والتعايش بين الناس أنتم أبطاله ورموزه وقادة هذا الجانب، أما الحل السياسي فالسياسيون هم أبناؤكم، وهم اليوم في مواقع الدولة المختلفة، والحل الخدمي والتنموي كذلك، فبالتالي هم أبناء هذه العشائر، (ما حك جلدك مثر ظفرك)، فمن هو القائممقام، ومن هو مدير الدائرة الفلانية؟ إنهم بالطبع أبناء المنطقة والعشيرة نفسها، فيجب أن نبني مدننا بسواعدنا ونمضي.

بخصوص الحل الأمني، فإن أبناء القوات الأمنية من الجيش والشرطة والحشد والبيشمركة والعشائر هم أبناؤكم أيضًا، لذلك نلاحظ أن محور الحل بجميع اتجاهاته بيد العشيرة أو القبيلة.

ملف المصالحة

اليوم حين نتحدث عن المصالحة، فهذا شيء صحيح وينبغي علينا أن نتصالح، ولكن السؤال هو مع من نتصالح؟ هل نتصالح مع أناس نمنحهم امتيازات وهم بعيدون عن مناطقهم ولا يستطيعون أن يصلوا إلى منازلهم، فيبقى الخراب والدمار، أو نبحث عن القوي القادرة على تغيير الواقع على الأرض، وتستطيع أن تجلب لشعبنا الاستقرار؟.

نحتاج اليوم إلى مصالحات داخل البيت الواحد، لأن البيت الواحد فيه تشققات ومشاكل، ونحتاج إلى مصالحات في ما بيننا مجتمعيًا وسياسيًا، ولكن شراكة الأقوياء هي التي تحقق الأهداف.

ضمن أي دستور نتصالح؟ يجب أن تكون المصالحة ضمن سقف الدستور والقانون، فنحن لا نستطيع أن نتجاوز القانون ونتصالح وكأنما لم يُكتب الدستور أو أُريقت دماء، فلا أحد يقبل بذلك، ونحن لا نستطيع أن نبدأ من الصفر، ولكن نبدأ من حيث انتهينا، ونعود لنتلاحم كوطن وشعب، ونتقدم إلى الأمام ونبني تجربتنا ونقدمها للعالم، هذه في الحقيقة تساؤلات يجب أن نجيب عنها، لكي نستطيع أن نمضي بإذن الله تعالى.

بين الطائفة والطائفية

هناك مسألة مهمة أشار إليها بعضكم؛ هي قضية الطائفية والطائفة. إن تعدد الطوائف نعمة وقراءة وثقافة؛ هذا شيعي وهذا سني وهذا صابئي إلى آخره، ثقافات وقراءات وكل

طرف وقناعته، فالطائفة نعمة، ولكن الطائفية نقمة، فالطائفية هي الاعتداء على الآخر، والاعتقاد بأنهم كلهم سيئون وأنا الجيد، وحالة العدوان الإساءة للآخرين هذه هي النقمة التي يجب أن نقف بوجهها، أما هذا البلد بهذا التنوع الكبير فهذه قوتنا، فالصورة العراقية صورة ملونة، ونحن باقة ورد منوعة في روائحها الطيبة، وفي منظرها الجميل، ويجب أن نعتز ونتمسك بهذا التعدد وهذا التنوع.

حين أسمع أن إخوة مسيحيين يغادرون العراق أتأثر، فهؤلاء ليسوا إضافة عددية إلى الشعب العراقي فينقص العدد بهجرتهم، بل هؤلاء إضافة نوعية، فالعراق الذي فيه مسلمون ومسيحيون وصابئة وإيزيديون، هذا العراق أقوى من عراق بلون واحد، لذلك يجب أن نتمسك بهذه التعددية وأن نتعايش معها ونقبلها ونمضي فيها، وتأريخ العراق هكذا كان، أما الطائفية فيجب أن ننتقدها، فهي إذا عمّت فأول المتضررين هي العشيرة، إذ لا توجد لدينا عشيرة من لون واحد، بل كلها متعددة، وإذا حصلت طائفية فشيخ العشيرة لا يستطيع أن يجمع عشيرته في أي خلاف يحصل، لذلك فمصلحتنا أن نشيع حالة الوطنية، ويجب أن نقضي على جميع المزايدات ما دامت هناك حساسيات طائفية، وبدونكم شيوخنا الأكارم، وأنا ابنكم الصغير ومنكم أستفيد، من دونكم لا يحصل هذا الأمر، فمنكم يبدأ، أنتم أكابر القوم والشيوخ، فيجب أن لا تسمحوا لأحد بأن يفرق الناس على خلفيات مذهبية وطائفية.

الخلافات العشائرية

الخلافات العشائرية شيء مؤلم ومؤسف حقيقة، فنحن نقاتل داعش ونقدم تلك الأرواح الطيبة في ساحات المعارك، ويحدث الآن قتال بين عشيرتين على أشياء تافهة وبسيطة في البصرة والعمّارة وفي مناطق أخرى، وهذا شيء مؤسف، ودوركم أيضًا تأريخي، والأدوار تُنتزع؛ فشيخ عشيرة من هنا وشيخ عشيرة من هناك، إذا ذهبوا إليهم وأخذوا عطوة وجمعوهم وحلوا القضية، وهذا دوركم وأنتم بارعون فيه، فلا تسمحوا لهذه الخلافات بأن تمتد، والمرجعية معكم ونحن جميعًا في خدمتكم، ولكن بادروا إلى هذه الأمور ولا تسمحوا لهذه النزاعات بأن تُصدع البنية وتكون عبئًا على الأوضاع التي نعيشها.

عنوان واحد

يجب أن نوحد الرايات، فهذه معركة العراقيين جميعا، وقد كنت سعيدًا عندما سمعت البعض منكم ذكر اسم عدد من القوى، ولم يذكر اسمنا، فقلت إن هذا دليل على أننا ملتزمون وحتى الشيوخ لا يعلمون بحضورنا هناك، والحال أننا من فضل الله نمثل بحضورنا القوة الثانية من حيث المقاتلون بعد بدر، ولكن بصمت، نقاتل لنعمل بواجبنا في نصرة هذا الشعب والدفاع عنه، وما نقوله أنه يجب أن يكون هناك علم واحد هو العلم العراقي، وعنوان واحد هو عنوان القوات المسلحة والحشد الشعبي وغيرهما.

نتعامل مع الإيجابيين

الشيخ حارث رحل إلى ربه، وكان لفتاواه دور في إبعاد الناس عن الدخول والمشاركة في الانتخابات واختلال التوازنات، وكان له أثر كبير في المشاكل التي تعرض لها المكون الكريم، ثم إن هذه النبرة التحريضية سببت قتالًا وإراقة لدماء كثيرة، فمع احترامي لما تفضل به الشيخ، ولكني لم أصدر بيانًا ولم أقم بتعزية أحد في هذه القضية.

ليس من شيمتنا أن نتحدث عن شخص غادر إلى ربه، وهو الذي سيحاسبه، ولكن التكريم لمن يستحقه، ومواقفه لم تكن مواقف تتطلب أن نصدر بيانا في هذه القضية، وهذه أتت في إطار التشهير، وإذا لم يصدر مثل هذا البيان فنحن رواد المصالحة، وننفتح ولكن على من يؤمن بالعملية السياسية، وعلى من يكون له دور إيجابي في حفظ الدماء، وعلى من يريد أن نتعايش كعراقيين مع بعضنا، وفي هيئة علماء المسلمين، ولا أتحدث عن الشيخ حارث وحده بل الهيئة عمومًا، إلى اليوم لم يتحركوا ضمن هذه المعايير، ولا نجد فيهم شريكا يمكن أن نعتمد عليه ونضع يدنا بيده، وكل من يؤمن بالعملية السياسية ونلمس منه جدية وإرادة صحيحة نتعامل معه، فنحن نتعامل مع من يتعامل بإيجابية.

بحسب الدستور، المادة الثالثة والأربعين، فإن هناك تقديرا لدور العشائر، هذه حقيقة، ولكن يجب أن نكافح لنحول هذه المادة الدستورية إلى إجراءات وقوانين نافذة في البلد، لكي تستطيع العشيرة أن تفي بأدوارها.

المجلس الوطني للعشائر

الـذي تفضل به الشيخ سعدون حق، فشيخ العشيرة لا ينتظر قانونا لكي يقوم بالممارسة، بل عليه أن يأخذ المبادرة، واليوم حل النزاعات التي تعجز الحكومة عن

حلها، عندما يقوم الشيوخ بحلها، فهذه رسالة كبيرة أن هذا رأس مال وكنز كبير أنتم لم تستثمروه بشكل صحيح، وتعبير عن قوة وقدرة شيوخ العشائر في هذه الأمور.

إن شيخ العشيرة اليوم يجلب شباب عشيرته ويوقفهم لمواجهة داعش في صلاح الدين والأنبار ونينوى وفي أي مكان آخر، وهذه رسالة كبيرة للدولة بأن يعتمدوا على الشيوخ، وسترون كيف ستتحقق لكم النتائج الكبيرة، ولكن وجود مجلس وطني للعشائر شيء مفيد أيضًا، إذ يوفر الإطار والخيمة لهذا العمل، وهذا المجلس لا يكون تحت رعاية خادمكم عمّار الحكيم، فهذا المجلس والعشيرة أكبر من عمّار الحكيم، وأكبر من المجلس الأعلى، وأكبر من هذه الأسماء، ويجب أن يكون للجميع لكي يحفظ المكانة، وبالتالي نحن لدينا من يحبنا، ومن يتنافس معنا، ومن يتحسس منا، ويمكن أن تمتد إليكم أيضًا، يجب أن نكون واقعيين، فالعشيرة يجب أن يكون لديها إطارها المستقل، ونحن كلنا في خدمة العشائر الكريمة، وفي خدمة الإطار الذي يتحركون فيه.

هناك مجلس وطني للقبائل والعشائر العراقية بهذا العنوان يقر في مجلس النواب، وكتلتنا هي التي فتحت هذا الموضوع مع الكتل الأخرى، وأطلب منكم أن تتحركوا، ونحن سنتحرك ونتكلم ونضغط لنمرر هذا القانون في هذه الدورة بإذن الله، وإذا مُرر سيصبح للعشيرة غطاء قانوني ودعم حكومي من الدولة العراقية غير مسيس وغير مشروط بشروط معينة، ونحن لا نريد دعما مشروطًا بتأييد الحاكم أيًا كان، فاليوم أتى فلان وأمس فلان وغدا سيأتي فلان، وهذه هي الدولة، فكل يوم يصعد أحد، وكل من يصعد يريد أن يحتكر العشائر له، ونحن نريد أن نتخلص من هذه الحالة، فالعشائر قائمة، وهي التي تقرر من تدعم وكيف تسير وكيف تتحرك، والدولة تدعمها، وهذا حقها، من ثروات العراق وليس من أي مسؤول، فمؤسسة عشائرية تابعة لمجلس النواب أو لها استقلالية كاملة وبعيدة عن التحزب، هذا ما نفكر فيه ونعمل عليه.

وجود هذا المجلس سيساعد في تنسيق المواقف بين العشائر، فالشيوخ يتوافقون مع بعضهم بشأن القضايا الوطنية، واليوم لم يكن حديثكم حديثًا خاصًا، بل كان كله حديث خير وبركة فيه مصلحة للعراق، وتحدثتم بحرص وبينتم وأعطيتم أفكارًا وملاحظات، وهذا هو المرجو، وبهذا النمط من الاجتماعات واللقاءات والتداول تنضج الأفكار وتُقدم الحلول للمجتمع وللدولة وما شابه ذلك، ولا نريد أن نضغط عليكم ونجتمع كل

شهر، فنحن لا يوجد لدينا غرض آخر غير أن نلتقي ونحصل على حلول ومعالجات، ونسمع أفكاركم العميقة في مختلف المجالات، وإذا تشكل المجلس الوطني للعشائر فيمكن أن تكون له فروع في كل محافظة، ويُمثل شيوخ المحافظة في ذلك المجلس الوطني.

موضوع المصالحة

المصالحة مع مثيري الفتن والمتوغلة أيديهم بالدماء، ومع من كان السبب في نكبة الناس وكل هذه المحنة العظيمة، المصالحة مع هؤلاء غير مقبولة، ولكن إذا تابوا وعادوا إلى رشدهم فأبوابنا مفتوحة لنحتضن الجميع، ولكن ضمن معيار وسقف، هذا ما بيناه في الدستور وقانون المصالحة، فاليوم إذا جاءكم متخاصمون وكل واحد لديه معياره الخاص، فكيف تجمعون وتفصلون بينهم؟ والفصل يكون إذا قبلوا كلهم بمعيار واحد، بقاعدة واحدة، أما إذا لم يكن هناك معيار فلا تستطيع أن تفصل بين الناس مهما قلت، فالمستفيد يقبل وغير المستفيد سيرفض.

هناك من تغيظه وحدة العراقيين، ومن يعتاش على الخلافات، وإذا لم تحصل خلافات فسيضيع ولا يستطيع العيش، لأنه لا يملك مشروع دولة، ولا مشروع حماية وطن، بل مشروعه التحريض، فإذا فقد التحريض وتفاهمت الناس بينها فسوف يضيع، فيجب أن نميز هؤلاء ونضع عليهم إشارة، فقد جاؤوا مدة من الزمن وغزوا الشاشات، وبعد فترة نُسيت حتى أسماؤهم، فإذا انتصرت الفتنة وأوقع بين الناس فهذا بطل، وإذا انتهت الفتنة ذهب وضاع بين الناس.

أنتم شيوخ سواء وُجدت مشكلة أو لم توجد، في حالة وئام أو في حالة حرب، والناس تلجأ إلى دواوينكم تطلب منكم النجدة، وهناك من يجيد دوره في كل الظروف، وهناك من يقتصر دوره فقط على الأزمات، ويريد دائمًا أن تطول الأزمة لكي يبقى في منصبه مستفيدًا، وهناك مقولة معروفة للعلامة المطهري، هذا المفكر الإسلامي الكبير يقول: البعض منا يبحث عن إسلام يكون هو حجة الإسلام فيه، فهو لا يبحث عن إسلام بل يبحث عن نفسه.

الاستعانة بالمستقلين

الاستعانة بالشخصيات المستقلة من العشائر والشيوخ والمرتكزات المجتمعية للنهوض بالمجتمع، هذا كلام حق، ولكن اقبلوا مني الصراحة، وإن كنتم صريحين

مع بعضكم، وأنا شاكر لهذه الصراحة، ونحن الآن لسنا مجتمعين لكي نجامل بعضنا، بل نحن مجتمعون خلف أبواب مغلقة لكي نتكلم بما في القلب بصراحة وأخوّة ومحبة واحترام، كما هو دأبكم، فاسمحوا لي أن أكون أيضًا صريحًا؛ المستقل القوي من هو؟ يجب أن يبرهن على أنه قوي في الميدان لكي يطلق رسائله لقادة البلد ويقول أنا قوي، فمن بين الشيوخ يمكن أن يخرج شيخ ويقول هذا الكلام، ويخرج شيخ آخر ويقول الكلام نفسه، ولكن الميدان هو الذي سيبرهن.

نحن في لحظة تأريخية، واللحظات التأريخية والتحديات الكبرى فرصة لبروز القادة التأريخيين، فمن هو قادر على الفعل اليوم فهذا وقته ولحظته، ففي لحظة الأزمة ووجود داعش قفوا وبرهنوا وأطلقوا رسائل في الميدان أنكم العماد الأساسي الذي يجب أن يُعتمد عليه.

موضوع الفساد

الفساد والإرهاب وجهان لعملة واحدة، وكما نبحث في محاربة الإرهاب عن رأس البغدادي أولًا، وبعد ذلك نبحث عن ما هو دونه، لكي نستطيع أن نسيطر عليهم، ففي محاربة الفساد أيضًا يجب أن نبحث عن الرؤوس؛ عمن هو أبو بكر البغدادي في الفساد، فهذا أيضًا إرهاب، فكيف تكون اليوم خزينة العراق بلد الثروات خالية ورواتب الموظفين يدفعها بصعوبة؟ أين ذهبت مئات المليارات؟ يجب أن نشخص رؤوس الفساد ونقطع هذه الرؤوس، لكي يعود البلد وتنتظم أموره بشكل صحيح.

نجد، مع الأسف، أن أي مسؤول كان متهمًا بالفساد احتُويت قضيته، وبعدها لا نعرف أين أصبحت، وهذه في الحقيقة لا توحي بالعدالة، وهذه من النقاط التي يجب أن نكون حريصين عليها، ويجب أن نبحث عن الرؤوس ونقطع رأس الأفعى، أيًا كان من يقف وراء الفاسد.

قضايا متفرقة

ناحية البغدادي من المناطق التي أثبتت بطولة، ووقفة، وتضحية، وثباتًا، ويجب أن نقف معهم، ولدي لقاء قريب مع الدكتور (حيدر العبادي)، وتحدثنا عن هذا الموضوع وتواصلنا هاتفيًا قبل يومين في ما يخص الأنبار، وأتمنى إن شاء الله أن تكون الإجراءات مقنعة في الأيام القادمة.

إقرار قانون الأحزاب مهم، هذا القانون الذي أتوا به إلى مجلس النواب، ينظر إلى الحزب كمركز شرطة، ويريد أن يحول الأحزاب إلى مراكز شرطة، فقسم في الداخلية يجمع الأحزاب جميعها، فأي حزب محترم في هذا البلد يعطي أسراره وأسماء أعضائه والمنتمين له وأرقامهم وعناوينهم؟ نحن مع قانون الأحزاب، ولكن بشرط أن يحافظ على الخصوصية.

مجلس الاتحاد كلام حق، ودائمًا في البرلمانات تحدث انفعالات ومشاجرات ويؤخذ قرار معين، وإذا لم يُحقق المطلوب فمجلس النواب يناقشه من جديد، وسابقًا كان مجلس الرئاسة في (٢٠٠٥)، يأخذ دور مجلس الاتحاد، ويستطيع أن يوقف القانون ويعيده، وبعد انتهاء تلك الدورة أصبح لدينا رئيس ونواب، والنواب ليسوا جزءًا في مجلس النواب، بل هذه الصلاحية فقط، على أنه كان من المفترض أن يشكل مجلس الاتحاد، ولكن مع الأسف لم يشكل.

نسمع اليوم أن بعض السياسيين يرفضون وجود الحشد الشعبي في نينوى، ونحن نعرف أنه لا أحد غير الحشد الشعبي يمتلك التكتيكات التي تستطيع إنهاء داعش، فلذلك يفسر هذا الموقف بأحد أمرين؛ إما يريد بقاء داعش، أو هو منضم إلى داعش، وهؤلاء الذين يصرخون هذه الصرخات نحن نعرف أنهم لا يريدون قتال داعش، واليوم نسمع من شيوخ الموصل قولهم: نريد مساعدة إخواننا في الحشد الشعبي، وسنضع أيدينا بأيديهم ونحرر، وما قلناه في تكريت هو الكلام في مدينة الموصل، فكل منطقة لأهلها ولا أحد يريد أن يغير من هذا الواقع شيئًا.

لذلك سنكون إن شاء الله يدًا واحدة، نتعاون على البر والتقوى وحل هذه المشاكل، وأنا أقولها لكم: العراق ماض إلى خير، وأنا متفائل جدًا، والعراق أقوى من هذه الأمور، وتجاوز الكثير من المشاكل، وما تبقى سيتجاوزه أيضًا، والسنة القرآنية تقول: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرض﴾[٢٣٩]، وإن شاء الله سيمضي العراق إلى خير، ونحن معكم ونتعاون على ذلك.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٣٩. سورة الرعد: الآية ١٧

ديوان بغداد السياسي[٢٤٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتلبيتكم هذه الدعوة، وهذه المداخلات العميقة الطيبة التي أثريتم بها هذا اللقاء.

عراق التنوع

كما ذكرنا في الاجتماعات واللقاءات السابقة، فإن الهدف من هذا اللقاء هو أن نجتمع، وأن يتحول هذا اللقاء إلى عصف فكري، فيتعرف بعضنا على آراء بعضنا الآخر مع وجود هذا التنوع الذي يمثل الفسيفساء الآخر بكل تلاوينه، ويمكن أن يتمخض عن رؤية مشتركة، إطار مشترك، والاختلاف لا يفسد في الود قضية، وفي اليوم الذي نتحدث جميعًا بنبرة واحدة وكلمة واحدة، فعلينا أن نشكك بأنفسنا وقدراتنا وطاقتنا، وما دام العراق بهذا التنوع الكبير والروافد الفكرية الكبيرة، فلا بُدَّ من أن نكون مهتمين في قراءتنا للأمور، وهذا أمر طبيعي، وليس معيبًا أن نختلف، ولكن من المعيب أن نعجز عن إدارة الاختلاف، وهذا ما حصل، فالجميع عبر عن رأيه بكل احترام وتقدير في الفكرة ولمن يختلف معه فيها.

لا بد لي في البداية من أن أبارك لكم ولادة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ويوم المرأة العراقية، وأبارك الانتصارات الكبيرة التي يحققها أبناء القوات المسلحة من الجيش

٢٤٠. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١١/ ٤/ ٢٠١٥.

والشرطة الاتحادية والحشد الشعبي والمقاتلين من أبناء العشائر والبيشمركة، وجميع العناوين الطيبة التي تقف وتذب عن الوطن.

منهج الحوار

إن الآية الشريفة التي تلاها أحدكم: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٤١]، تعبر عن المنهج الإسلامي في الحوار، وفي التواصل مع الآخرين، بالحكمة والموعظة الحسنة، بالمشتركات، بالمصالح، بما نتقاسمه بيننا، بالكلمة الطيبة، بذلك يمكن أن نحقق الإنجازات الكبيرة وننتصر لأهدافنا، فما دامت هذه الأهداف أهدافًا حقة، فبالإمكان أن نذكي ونحرك فطرة الناس ونجعل في الحق الذي نتمسك به مصلحة للآخرين، ونلتحم مع بعضنا في هذا الإطار.

لا شكَّ في أن رغبتكم في الاجتماعات السابقة في أن يكون هناك محور للحديث، هي التي دفعت الإخوة في اللجنة التحضيرية إلى أن يحددوا محورًا في كل اجتماع، وهذا لا يمنع من كانت له وجهة نظر خارج إطار هذا المحور أن يطرح ذلك، وهذا لا يمنع أيضًا من أن تكون هناك ملاحظة في تحديد الأولويات التي تقررها هذه اللجنة، والتي تستند إلى معطياتكم ومقترحاتكم عبر الوريقات التي توضع أمام حضراتكم، ونتمنى عليكم أن تتفضلوا بإدراج ما تجدونه مناسبًا، وستدرس هذه الأوراق بعناية ودقة، ومنها يتم وضع خارطة الطريق في هذا الاجتماع وجدول أعماله.

بين التجربة الإيرانية والإنجاز العراقي

يمثل موضوع الملف النووي الإيراني أحد الأحداث المهمة والأساسية في هذه المرحلة، ويعد نجاحًا للدبلوماسية الإيرانية، ونحن نجهل حتى هذه اللحظة هل ستفضي الأشهر الثلاثة القادمة إلى الاتفاق الشامل والنهائي، أو أن الشيطان يكمن في التفاصيل، وحينما يصل الأمر إلى تحويل هذا الإطار العام إلى تفاصيل سيُختلف في بعضها ولا يتحقق الهدف المنشود، ولكن ما تحقق إلى اليوم هو شيء يستحق الدراسة بجدارة.

أضم صوتي إلى من ذكر أننا يجب أن لا نقلل من قيمة إنجازنا، والعمل الكبير الذي حققناه ونحققه في الظروف الصعبة التي نمر بها، ولا نستطيع في هذه اللحظة أن نقارن

٢٤١. سورة النحل: الآية ١٢٥

أنفسنا بتجارب أخرى مرت عليها عقود من الزمن، ولا نستطيع أن نتجاهل حجم التنوع والإسقاطات في الساحة السياسية العراقية، مع حالة المركزية واللون المنسجم والإدارة المنسجمة التي نجدها في تجارب أخرى.

التجربة الإيرانية فيها كثير من النقاط الوضاءة، وفيها أيضًا إخفاقات وإشكاليات وكبوات، ويكفي لمن يتابع ويراقب الإعلام الإيراني وما يكتب من الباحثين والكتاب في الصحف اليومية وفي المجلات ومراكز البحوث والدراسات، حجم الانتقادات التي يبديها المؤيدون للنظام وأبناء الثورة، الملاحظات التي يبدونها على أنفسهم، ونحن من بعيد ننظر إلى أشياء إيجابية وهي حقة، ولكنهم في داخل أوضاعهم ينظرون إلى جوانب أخرى نحن لا نطلع عليها من بعيد، واليوم في العالم هناك الكثير من الإشادة بتجربتنا العراقية، لأنهم ينظرون إلى البعد الإيجابي، إلى النصف الممتلئ من الكأس، ولكننا حينما نعيش داخل البيت نتعرف على بعض التقاطعات والإشكاليات، ونلوم أنفسنا أو نحرص على تطوير وضعنا، وهذه خصوصية جيدة في العراقيين؛ أنهم طموحون وراغبون في حل مشاكلهم، وأن يكونوا في القمة، وأن يكونوا قدوة للآخرين في جميع الأمور، وهذا شيء جيد، ولكن يجب أن لا يتحول إلى جلد للذات والشعور بالإحباط، وإلى انطباع بأننا لم نواكب ولم نحقق إيجابيات مهمة في أدائنا وفي عملنا.

إذا أردنا أن نوجز بعض العناوين المهمة التي التقطتموها عن تجربة التفاوض الإيرانية، وطبعًا من زاوية إسقاطاتها على الواقع العراقي، فأصل الموضوع تجربة في مكان ما، ونحن في ديوان بغداد وهذه النخبة السياسية الناظرة إلى الملاحظات، يمكن أن نستفيد من ذلك في تجربتنا العراقية، ويمكن أن نلخص بعض ما تفضلتم به بصراحة لنخرج بحصيلة.

الملاحظة الأولى:

نلاحظ أن لديهم رؤية واضحة ومركزية خطاب وقرار؛ رؤية واضحة ماذا يريدون، وضمن ما يريدون كيف يساعدهم القانون الدولي والقرارات المرعية وغيرها في العالم، كيف يمكن استنفارها واستنهاضها لصالح ما يريدون والدفاع عن مطلبهم، وهذا ما نجده في المفاوض الإيراني؛ فدائمًا يستحضرون الحق الذي وُضع في امتلاك الطاقة النووية السلمية وقرارات المنظمات الدولية في هذا الشأن، ويستنفرونها لصالح ما يريدون، وكذلك تعاملوا بمساحة واسعة من المرونة، وخطوط حمراء واضحة، وهذه اللاءات وما سواها هي فرصة للتفاوض والحركة، وهذه الرؤية الواضحة الإستراتيجية

عما يريدون وعن خارطة الطريق، تساعد المفاوض إلى حد كبير على الوصول إلى نتائج، ونحن ماذا نريد في الملف الداخلي وعلاقاتنا الوطنية؟ وفي علاقاتنا الإقليمية ماذا نريد؟ وما هي خطوطنا الحمراء؟ ما هي مساحات المرونة في اتصالاتنا وعلاقاتنا وحركتنا؟ فهذه حينما تتضح ستساعد إلى حد كبير في المعالجة.

الملاحظة الثانية:

وجود الفريق الكفوء المنسجم المختص، وبالفعل هذا الشيء مهم، فالاختصاص يعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وحين كان نائب وزير الخارجة الإيراني في زيارة إلى العراق قبل أيام زارني وزار آخرين، وكان يقول: إن وفدنا التفاوضي من أحد عشر شخصًا، ووفد دول (٥+١) كان ثلاثمئة خبير في مختلف المجالات، يمثلون هذه الدول الست، ويقدمون الأفكار لهؤلاء الستة الجالسين على الطاولة، والوفد الإيراني كله أحد عشر مفاوضًا، فكان ستة أو سبعة جالسين، وثلاثة أو أربعة خلف الأضواء يقدمون الاستشارات، وكان فريقًا منسجمًا، قويًا، واضحًا، قادرًا على أن ينجز، أن يتفاوض، وعنده الأدوات، ويعرف عقلية من يفاوضه، وبالفعل كانوا كلهم متخرجين من الدول الغربية ويفهمون العقل الغربي، فاستطاعوا أن يدخلوا المداخل المفهومة للآخر، وليس مهمًا أن يكون لك حق تتكلم به، بل المهم هو كيف يأخذ الآخر انطباعًا عن هذا الحق، وكيف يتأثر بهذا الحق ويقبل به ويغير موقفه أو يتعامل معك، ومشكلتنا أننا أحيانًا نقول ما نحن نريد أن نقوله، ولكن لا نكيفه بالطريقة التي يحب أن يسمعها الآخر.

الملاحظة الثالثة:

الأمر الثالث هو الواقعية، فوضع أسقف عالية غير منطقية والتشديد على أمور، هذا لا يمكن أن يوصل إلى نتيجة، فالحالة الواقعية هي ماذا نريد؟ وما يمكن أن نقدم للآخر؟ فإذا أردت أن أخرج منتصرًا وأدق طبول النصر، والدول الست الكبرى في العالم تخرج مطأطئة رؤوسها، ففي ظل هذا السقف لن أنجح، فهل أخرج وأنا منكسر أمام شعبي وأمام العالم؟ هنا سأفقد كل الرصيد، فاتفاق سيئ أسوأ من عدم الاتفاق، هذا ما يقوله الطرفان كقاعدة أساسية للتفاوض، وهذه تكشف عن الواقعية في النظرة.

الملاحظة الرابعة :

الأمر الرابع هو عنصر الوقت؛ فهذا التفاوض استمر عشرين سنة، ولكن الملف النووي لم يتوقف، وتقدم وخطا خطوات وفاجأ العالم بأمور، وعادوا ليتفاوضوا من جديد، وانتقلوا من عدم تخصيب اليورانيوم إلى السماح بالتخصيب في دولة أخرى بشراكة إيرانية، إلى أن يسمح بتخصيب اليورانيوم على الأراضي الإيرانية بشراكة دول أخرى، على أن يؤخذ اليورانيوم المخصب ويُحفظ في دولة أخرى، إن كانت تركيا أو روسيا، إلى أن تخصب إيران وحدها وتحافظ على اليورانيوم على الأراضي الإيرانية تحت رقابة دولية، فانظروا إلى سلسلة الخطوات التي اتخذت؛ فإيران تفاوض ويوجد فريق آخر لا ينتظر، بل هو مستمر في التقدم ما دام الآن غير مكبل بقرار، ليوصل الأمور إلى مستوى يمكنهم من الحصول على امتياز أكبر، وهذا الذي نجح اليوم، فلا يقبلون الآن الكلام عن (٣,٧)، بل إلى ثمانية عشر، في التخصيب، وهو يكفي تمامًا للأغراض السلمية الصناعية والدوائية وما شابه ذلك، إذن إيران حققت ما تريد، وأوصلت التخصيب إلى العشرين لكي تضمن الخمسة، التي تمثل حاجتها للأغراض الصناعية والطبية وما شابه، وهذا منهج مهم لاستثمار عنصر الوقت والظروف لتقوية أوراق التفاوض.

الملاحظة الخامسة :

تنوير الرأي العام، وقد اطلعت على التقرير الذي نشر في وسائل الإعلام الأمريكية، وهو عبارة عن استبيان، أجرته المؤسسات الأمريكية للإيرانيين في أمريكا، و(٩٠٪) أو أكثر كانوا من المعارضين للنظام في إيران، وبين أولئك المعارضين من كان مع الحكومة الإيرانية في الملف النووي، فقضية امتلاك إيران طاقة نووية سلمية، هذا شيء حضاري وقوة للأمة الإيرانية، ونحن جزء من هذه الأمة وإن اختلفنا مع الحكومة أو النظام السياسي، فانظروا لحجم العمل الإعلامي التسويقي والمصارحات، ولعل الكثير منكم تابع خطاب سماحة السيد الخامنئي مؤخرًا مع شعبه، فما يقال في أضيق الدوائر خلف الأبواب المحصنة والمغلقة جاء سماحته وتحدث به على الملأ وعلى الهواء للشعب الإيراني، لذلك كان هذا الوعي الشعبي والدفاع عن هذا الموضوع بأنه مصلحة وطنية قومية أساسية، ويجب أن نمضي فيه حتى النهاية، فهذه أيضًا فيها خبرة ودرس لنا داخليًا.

الملاحظة السادسة :

التلويح بالخيارات البديلة السيئة، فإيران اليوم ليست الدولة الضعيفة المحاصرة كما تبدو في نظر الغرب التي تتوسل وتستجدي حلًا، بل إيران اليوم بعد القبول بالمبادئ

العامة والإطار العام ترفع من سقفها أكثر، بأن يكون التفاوض على أساس إلغاء كامل العقوبات في يوم واحد وإلاّ لن نقبل، وهذا الموقف الرسمي الذي أعلنه السيد الخامنئي ليس موقفًا سياسيًا تفاوضيًا، فالموقع الأول في الحكومة الإيرانية يقول هذا الكلام.

هذا التلويح بأن تذهب إيران إلى ما لا حدود له، إلى ما يمكن أن تستجمع فيه جميع مقومات قنبلة نووية وإن لم تصنع، فهل المهم صناعة القنبلة، أو القدرة على صناعة القنبلة؟ إيران لا تصنع قنبلة ولا تريد ولكنها ستستمر، وأجهزة الطرد المركزية التي حصلت عليها كانت أجهزة بدائية، واليوم أصبحت تنتج أجهزة طرد مركزية لا توجد عن الروس، وقدرة التخصيب عند الروس ثمانية، وهم الآن وصلوا إلى ستة عشر، أي ضعف الموجود في التكنولوجيا الروسية، نعم التكنولوجيا الأمريكية أكثر تطورًا، ولكن من عرف الآلية يستطيع التطوير، وواحد من الأشياء التي لم يقبلوا أن يتساهلوا فيها من هذا الاتفاق كما سمعتم وسمعنا جميعًا، أن مركز الأبحاث والدراسات يجب أن يستمر، وليس لأي أحد حق في أن يمنعنا، فهذا التلويح بالخيارات البديلة أجبر الغرب على التفكير بصعوبة الحرب على إيران، فمن يحارب؟ وكيف يحارب جيشا عقائديا بالملاين وقارة من الأرض؟ فحين يحاربهم وليس هناك اتفاق، فهذا يعني أنهم ذاهبون إلى أن يصنعوا جميع الأدوات التي بتجميعها ينتجون قنبلة نووية، وحتى لو لم ينتجوها فسيتحقق غرضهم بالتلويح بشيء في خلق توازن جديد في المنطقة مثلًا، إذن أفضل الخيارات السيئة للغرب أن يتفاهموا مع إيران ويوقعوا معها الاتفاق، لكي يوقفوها عند هذا الحد.

الملاحظة السابعة:

الخطوات المتبادلة، فلا يوجد ما تعطيه إيران مجانًا، وكل خطوة مهما كانت بسيطة ترى الإيراني في مقابلها عنده مطلب معين، فعنده سلة كبيرة وواسعة من المطالب يضعها أمام كل شيء يريدونه منه، ونحن نعطي أحيانًا بسخاء للآخرين في لحظة معينة لكي نطلق رسائل حسن نية بلا مقابل، وهذا على ما أعتقد من الأشياء التي يجب أن نستفيد فيها من خبرة الآخرين.

الملاحظة الثامنة:

ابتكار الحلول، فقد وصلت المفاوضات كذا مرة إلى طريق مسدود، فابتكروا حلولًا، وأنا أخبركم بما اطلعت عليه؛ إذ وصلت المفاوضات إلى لحظة حرجة، والوفد التفاوضي

وفد سياسي وعنده خطوط حمراء معينة، وتقاطعت مع الخطوط للطرف الدولي، وكادت عملية التفاوض تنهار، فجاءت إيران بابتكار أن نجلب وزير الطاقة النووية في إيران مع وزير الطاقة النووية في أمريكا، وهناك احتمال أن يصلا لحل لهذه القضية فتطمئنكم ولا تقلل من حقوقنا، فقالوا: إن وزيركم ليست له علاقة، فهو وزير فقط، أما نحن في أمريكا فوزير الطاقة هو وزير الكهرباء ووزير النفط، فهو وزير سيادي في أمريكا وليس مثلكم، وعندما تقابل الرجلان تبين أنهما درسا في نفس الجامعة، ولكن الوزير الأمريكي متقدم على نظيره الإيراني كذا سنة، وقد درسا منهجًا واحدًا ونظرتهما الفنية نظرة واحدة، وخلال ساعتين استطاعا أن يخرجا بحصيلة تضمن لإيران ما كانت تريده من استمرار وضعها، وتعطي التطمينات المطلوبة لأولئك، فانظروا كيف غيّر هذا الابتكار البسيط الأمور، والبعض منا يرى جبلًا ويريد أن يحفره ويعبر.. لماذا تحفره وأنت تستطيع الالتفاف حوله؟ فعندما تصلون إلى مكان فيه مصد استديروا وامضوا، ابحثوا عن وسائل أخرى تحقق النتائج، وهذا درس من الدبلوماسية الإيرانية.

الملاحظة التاسعة:

حملة علاقات عامة واسعة في ذروة التفاوض، فإيران لم تنظر إلى مجموعة (٥+١) على أنهم طرف واحد، بل تفاوض كل واحد من هؤلاء الستة على حدة، وتحاول أن تفكك المواقف، وأن ترى التناقضات بينهم، وتحاول أن توجد لها صدى وصوتًا لدى البعض، فهناك مشكلة بين أمريكا وروسيا بسبب أوكرانيا، فكيف تستطيع أن تغري الروس وتقربهم؟ وهذا واحد من أهم العناصر التي قوّت الموقف الإيراني في رفع جميع العقوبات، وإخراج إيران من الفصل السابع الذي دخلت تحت طائلته بستة قرارات، وهي أول دولة في تأريخ الأمم المتحدة تدخل تحت طائلة الفصل السابع بستة قرارات وتخرج بلا حرب، فكل الدول التي دخلت تحت طائلة الفصل السابع خرجت منه بحروب، والعراق من هذه الدول، وإيران ستكون الدولة الأولى التي تخرج بدون حرب بل بالتفاوض، وروسيا الآن تحت الضغط الأمريكي بسبب قضية أوكرانيا بقرارات دولية ضمن الفصل السابع، وقد استطاعت إيران أن تستثمر وتوظف هذه القضية لتحقيق مصالحها، فابتكار الحلول الدبلوماسية النشيطة والتواصل مع جميع الأطراف مسألة مهمة.

الملاحظة العاشرة:

استثمار الملف الاقتصادي، فالبناء الاقتصادي الداخلي يحيد قدرة الغرب على العقوبات، ومن ناحية أخرى هناك التلويح بفرص اقتصادية لهذه الدول؛ فهذه مصانع

ونحن سنكون أحرارًا في أن نعطيها، وإيران تبيع النفط لسنين ولا يسمح لأموالها أن تعود إلى إيران، فأصبحت لديها وفرة مالية كبيرة في الخارج، ستعود ما إن تُرفع العقوبات، وبحسب الاتفاق فإن أول خطوة في هذه البنود رفع العقوبات المالية، وفجأة ستصبح لدى إيران وفرة مالية كبيرة، وستستثمر ذلك وتتعاقد مع دول، أي توظف هذا الجانب، ونحن ننفق أموالًا كثيرة، ولدينا شركاء اقتصاديون كبار ومهمون في المنطقة والعالم، فكم نوظف هذه العلاقة الاقتصادية في الجانب السياسي لصالحنا؟ فالسعودية حين اختلفت مع السويد بسبب تصريح لوزير الخارجية، سحبت سفيرها وأوقفت التعامل مع جميع الشركات السويدية، ومنعت البضائع السويدية مدة اثني عشر يوما، فعقد ملك السويد بنفسه اجتماعا طارئا لتقديم اعتذار رسمي للسعودية، ونحن تربطنا مصالح كبيرة مع دول، وعلينا أن نستثمر أيضًا هذه الأمور بالشكل الصحيح.

الملاحظة الحادية عشرة:

الحالة المؤسسية والتراكمية، فإنه على مدى أكثر من عشرين سنة أتت حكومات وذهبت حكومات، بأنماط وتوجهات مختلفة، من (رفسنجاني)، إلى (خاتمي)، إلى (أحمد نجاد)، إلى (روحاني)، ومع ذلك نجد الملف الإيراني يتراكم ويمضي بشكل جيد، ووحدة القرار طبعًا تساعد إلى حد كبير.

الملاحظة الثانية عشرة:

تعدد الوسائل؛ صقور وحمائم، فالمتشدد يمضي ويخلق أمرًا واقعًا وعنوانًا واضحًا، ويأتي لإصلاحها مرة أخرى، فهناك تعدد وسائل، ولكن السياسة كانت واحدة، واستثمرت حتى التناقضات الداخلية لصالح الموقف الوطني والمصلحة الوطنية، وهذه قمة الاستثمار.

الملاحظة الثالثة عشرة:

تفاوض من موقع القوة والاقتدار بتطوير السلاح، وقد كنت مرة في ألمانيا، وسألني أحد قادة ألمانيا، قال: باعتبارك قريبا من إيران وتعرف العقلية الإيرانية أكثر منا، ماذا تفعل إيران بالصواريخ العابرة للقارات؟ فقلت له: يجب أن تسألهم هم عن هذا، ولكنهم لا بُدَّ من أن يقولوا إذا كانت أمريكا تمتلك صاروخًا عابرًا للقارات وتلوح به وتهدد إيران باستمرار، فيجب أن يكون في إيران صاروخ يصل حتى إلى أمريكا،

وأنتم في الاتحاد الأوربي تجهرون بالعداء أيضًا، فهي أيضًا تسلح نفسها، فهذا التطور المستمر والسريع في القدرات التسليحية الإيرانية هو رسالة مفادها أنهم أقوياء، وكذلك التطور النووي الذي تكلمنا عنه، وأنا أجد في كل هذه الملاحظات التي تفضلتم بها فرصا مهمة للاعتبار والاستفادة.

ملف السياسة الخارجية

السياسة الخارجية العراقية تقر في مجلس الوزراء، وتقوم وزارة الخارجية بتنفيذها، ومجلس الوزراء فيه جميع التلاوين والأطراف، وهناك يجب أن تقر، والآن كم من اجتماعات مجلس الوزراء توظف بالفعل لهذا الشأن، وكم حيز الدراسة لقضايا السياسة الخارجية، فأنا أعرف أن اجتماع الرئاسات الثلاث ونوابهم مؤخرًا ناقش الأزمة اليمنية بشيء من التفصيل، واستطاع أن يخرج برؤية موحدة بالرغم من وجود أكثر من رأي في داخل هذا المجلس وأعضائه، وهذه خطوة جيدة، إذن نحن يجب أن نوظف هذه الفرص، وكلما نشطت وزارة الخارجية أكثر، كانت قادرة على أن تقدم رؤية مقنعة وجامعة إلى مجلس الوزراء، لكي يصل إلى قراره.

لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب التي فيها هذا التنوع، يمكن أن تكون رافدا آخر وتساهم في صناعة الرؤية السياسية للعراق، وكذلك اجتماع الرئاسات الثلاث مع مجلس الوزراء، كل هذه روافد يمكن أن نفّعلها أكثر، ولكن كم هو اهتمامنا بهذه الأروقة؟ أنا أسأل سؤالا ليس استنكاريًا بل استفهامي؛ أقول: مؤخرًا عقد سفراء العراق في الخارج مؤتمرًا على مدى عدة أيام في بغداد، وشخصيًا أجهل حتى هذه اللحظة إن كان للجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب دور أساسي في هذا المؤتمر، وحضور السياسات في بلورة الأفكار، أم كان دورهم هامشيا، أنا لا أعرف ذلك، فإذا كان أساسيًا فهذه خطوة في البناء المؤسسي الصحيح، وإذا كان هامشيًا فمعناه أنهم غافلون، وقد شرفنا السفراء في هذه القاعة، وأنا شخصيًا دعيت لجنة العلاقات الخارجية، ومن نبرة كلام رئيس اللجنة ونائب الرئيس شعرت وكأنهم يلتقون بهم أول مرة، وكان جدولي مزدحمًا فوضعته آخر يوم من أيام المؤتمر قبل أن ينتهوا، فكان اجتماعهم معي مساء، وكانت نبرة الكلام توحي وكأن الأخوة بعيدون، وعلى جميع الأحوال، فهذه بأيدينا، فإذا فعّلنا أدواتنا ونشطناها فسنصل إلى نتائج أفضل.

المصلحة الوطنية أولًا

بشأن التنوع المذهبي والقومي وتقاطع المصالح في العراق، فلبنان حالة قد تكون شبيهة بالعراق من بعض النواحي، وترون أيضًا أنه في جميع الأزمات يتخذ موقف النأي بالنفس، وفي داخل لبنان هناك من هو مصطف مع هذا المحور الإقليمي أو ذاك المحور، فلا يمكن الوصول إلى موقف لبناني موحد في قضية ما، أما العراق فليس بهذه الشدة، فقد استطاع أن يأخذ مواقف في قضايا حساسة، ويجب أن نطور هذه المسألة، بأن تكون لدينا سياسة الفعل وليس الانفعال، فنتخذ هذا الموقف على أساس مصلحتنا الوطنية قبل أن نلتفت إلى ماذا قال فلان.

اليوم في هذه الحرب المستعرة ضد اليمن، لا يأبى البعض من المشاركين في هذه الحرب حتى التعاون علنيًا ورسميًا مع إسرائيل، والتحالف مع إسرائيل في قضية اليمن، فإذا كانت هناك دولة عربية إسلامية تسوغ لنفسها أن تتعامل مع إسرائيل انتصارًا لمصلحتها، وترى هذا مبررًا كافيًا، فنحن في العراق لماذا لا ننتصر لمصالحنا في ما نراه مصلحة وطنية في قضية ما؟.

يجب أن نكون موحدين بشأن مصالحنا، فمذهبيًا نحن مختلفون، وقوميًا متعددون، ودينيًا متنوعون، والذي يوحدنا الوطن والمصلحة الوطنية، فإذا عرفنا هذه المصلحة واجتمعنا فيها، وكنا أقوياء فيها، ودافعنا عنها، حين ذاك ستلاحظون كيف ستنفتح الأبواب بشكل أكبر.

القضية اليمنية

نصرة اليمن من المصاديق الواضحة التي نحتاج إلى أن نستفيد من هذه الإنجازات لصالحها، فماذا تريد المملكة العربية السعودية وحلفاؤها في هذه الحرب؟ هل هي لحل مشكلة داخلية؟ ليس لها علاقة، فلولا اليمن لرأوا مكانا آخر، فهل هي لتجاوز أزمة حكم في السعودية، وهذا الفريق الجديد غير مقبول، فيراد خلق حرب وإعطاؤها صبغة مذهبية معينة لكي يتوحد الداخل السعودي؟ هذا سؤال، وإذا كان هذا هو السبب نذهب لمساعدتهم لحل مشكلتهم داخليًا لكي يتجنبوا ويجنبوا المنطقة نتائج هذه الحرب، أو إن الأمر ليس كذلك، بل هذه القضية بالفعل لها مبرراتها على مستوى الساحة اليمنية، والشعور أن هذه الساحة هي تحت السطوة أو النفوذ التقليدي للسعودية، واليوم باتت غير محسومة بهذا الشكل، فهل الحرب هي الحل؟ هل إسرائيل استطاعت في قرية

اسمها غزة أن تحسم الصراع وتنهي المسألة حينما دخلت بجيوشها الجرارة وقصفت؟ وأمام لبنان، هذه الدولة الصغيرة، هل استطاعت إسرائيل وماكنتها الضخمة والغطاء الأمريكي الكامل والمطلق، هل استطاعت أن تحسم؟.

أمريكا نفسها مع التحالف الدولي الكبير الذي شكلته، هل استطاعت أن تحسم المعركة في أفغانستان؟ واليوم تفاوض أمريكا طالبان رسميًا في أفغانستان ويتعاملون معهم كشريك أساسي في مكان أتوا إليه لإبادتهم، أو هل استطاعت حسم أهدافها التي حددتها في العراق كليًا؟ فإذا كانت أمريكا وإسرائيل لم تستطيعا حسم معركة في مناطق صغيرة ومختلفة، فهل يا ترى تستطيع السعودية اليوم؟ وهل التركيبة الديموغرافية اليمنية بغالبية ساحقة تتجاوز (٩٠٪) من أبناء الشعب اليمني بين زيدي وشافعي، هل هذا الواقع الديموغرافي والتوجهات المذهبية والتحسس من المذهبين تجاه الوهابية، هل هذه ستسمح بتأثير ونفوذ عسكري؟.

لقد بلغني من بعض المطلعين في الشأن الأمني قبل أيام أن جميع الضحايا من الحوثيين نائب أمر فوج مجروح، واحد فقط، ولم يتمكنوا من تدمير مخزنٍ واحد من مخازن عتادهم وسلاحهم ولم يقتربوا من رجالهم، وهذا القصف الأمريكي لولا الحشد الشعبي والجيش ودخولنا إلى المدن، هل كان يستطيع إخراج داعش من مكان؟ الواقع أنها لا تنتهي بهذه الطريقة، إذن فهذه حرب واضحة النتائج؛ والنتيجة هي انكسار كامل، فهل من مصلحة أحد أن يُكسر؟ وما هي تداعيات هذا الموضوع في هذه البلدان التي شاركت؟ فلا حل إلاّ الحوار والعودة إلى طاولة الحوار والتفاهم.

الهدف المعلن في المملكة العربية السعودية هو تقويض سلطة الحوثيين وتجريدهم من سلاحهم، وتثبيت الحكومة الشرعية، وقبل أن تبدأ الحرب كان الرئيس الشرعي على حد قلوهم جالسًا في عدن، اليوم هو جالس في الرياض، وعدن كانت بيدهم واليوم أصبحت بيد الحوثيين، واليوم يخرج الناطق الرسمي وينفي تقدم الحوثيين، مع أنهم سيطروا على باب المندب وعدن، بل اليمن كلها في يدهم، أي تقدموا أثناء الحرب، وجميع الأهداف التي ذكرتها السعودية لم تتحقق إلى الآن، وليس كذلك فقط، بل تعزز دور الحوثيين أكثر، فمن الذي يمكن أن يطلق نداء العقل والحكمة في إيقاف هذا الأمر؟.

لقد قرر برلمان باكستان أن تكون محايدة في قضية اليمن، وسارعت الحكومة فورًا إلى الإعلان أنها تلتزم بقرار البرلمان الباكستاني وتنحّت، و(أردوغان) أطلق في طهران

أنه مع الحل السلمي في اليمن، وبذلك تحيدت تركيا أيضًا، ومصر تراوح في مكانها، تقدم قدمًا وتؤخر أخرى، والجو العام في مصر ضد هذه القضية جدًا، ويستذكرون كلام (جمال عبد الناصر): أرسلنا خمسة وسبعين ألف جندي إلى اليمن، فعادوا خمسة آلاف فقط، و سبعون ألف جندي بلعتهم اليمن، فلا نريد أن تتكرر هذه المجازر من جديد ويُقتل الجندي المصري في اليمن، فإذا انسحبت هذه الدول الثلاث فمن سيقاتل؟ أعتقد بأن مجمل هذه التطورات تشير إلى أنه لا خيار إلاّ الحوار على المستوى اليمني.

تعقيبات مختصرة بشأن بعض الموضوعات

هذه تعقيبات سريعة بشأن بعض ما تفضلتم به:

القول بأن هناك مخططًا صهيونيًا لإشغال المسلمين بعضهم ببعض، كلام عميق وصحيح جدًا، فالمستفيد اليوم في جميع هذه التوترات والصراعات هو الكيان الصهيوني، ودول المنطقة تنفق المليارات، والقاتل والمقتول منها، وهذه كلها ثروات المسلمين، فثروات هذه البلدان تتبدد مع الأسف الشديد.

بشأن الاعتزاز بالهوية الوطنية والثقة بالقدرات الذاتية، فنحن قادرون بالفعل، وهذه قضية أساسية، ويجب أن نعتمد على قدراتنا وطاقاتنا، وهذا أمر مهم.

بشأن الاستفادة من التجربة العمانية، فإن هذه التجربة مهمة، ولكن عمان بلد في الظل، وأصبح دوره التقريب بين الرأسين، وقد لا تكون التجربة العمانية مناسبة للاستفادة منها، فالعراق بموقعه الإستراتيجي وثقله السكاني في قلب العالم، فبلد بهذه الثروات والإمكانات والسعة والدور التأريخي إقليميًا ودوليًا لا يمكن أن يقاس بسلطنة عمان في هذا الأمر.

بخصوص وجود مركز دراسات لإنضاج رؤى سياسية، نحن نحتاج إلى مراكز دراسات وبحوث، وفكر، وعصف فكري، والغرب ينفق المليارات لذلك، فهناك جهات تفكر وتخطط، وتعطي أفكارها لصاحب القرار، فصاحب القرار مدعوم بخلفية وقاعدة عريضة، ونحن نذهب لصاحب القرار مباشرة، فمثلًا اجتمع رئيس الوزراء مع (أوباما) ساعة من الوقت، فمقابل هذه الساعة يوجد ألف ساعة من العمل، وتأتي مقننة في البريد اليومي على شكل أفكار ودراسات ورأي عام، وإعلام.

الآخرون الذين لديهم لوبيات يعملون، ونحن بالفعل بحاجة إلى لوبي حقيقي؛ إقليمي ودولي، أوربي وأمريكي، لكي نسوق مشروعنا الديمقراطي في جميع هذه الأروقة وندافع عنه.

تغليب المصالح الوطنية على المصالح الخاصة، مدخل مهم يجب أن نعتمده.

هل سيعود المسيحيون إلى قرقوش؟ سيعودون بإذن الله إلى أماكنهم قريبًا.

هل سيؤدي العراق دور التقريب بين إيران والسعودية؟ أعتقد بأن هذا دوره الطبيعي الذي يجب أن يؤديه؟ والمرحوم الوالد كان أول من دعا إلى حوار أمريكي إيراني في الشأن العراقي، وكان يمازح قيادة الطرفين ويقول: ابتلانا الله بالشيطان الأكبر ومحور الشر، باعتبار الإيرانيين يصفون أمريكا بأنها الشيطان الأكبر، والأمريكان يصفون إيران بأنها محور الشر، هذا قدرنا، وهكذا قيل لهم، قيل: اذهبوا إلى المحيط الهادئ وتشاجروا هناك، أما العراق فهو ساحة تهدئة وتسوية ومصالح مشتركة لكي ينهض العراق، وكم أسيء فهم هذه المناشدات في حينها، ولكننا اليوم نعرف قيمة هذا النداء، واليوم من يرفع شعار حوار إيراني سعودي لتجنيب المنطقة التبعات الكبيرة سيواجه الكثير من السهام، ولكن لا يصح إلى الصحيح وسيتبين لاحقًا أن هذه هي الخطوة الصحيحة المطلوبة.

التجربة الماليزية من التجارب الناجحة، ونسبة المسلمين (٥٥٪) و(٤٥٪) من المسيحيين، وهذا الـ (٥٪) ليست رقمًا كبيرًا، ولكن المسيحيين شعروا بالإنصاف والعدل، وتخلوا عن طموحهم في رئاسة هذه الدولة وسلموها للمسلمين، فمتى نصل كعراقيين بجميع تلاوينا إلى هذا المستوى، ونسلم بعضنا للبعض الآخر في توزيع هذه الأدوار وتقاسم الفرص في خدمة البلد.

بالرغم من الصعوبة، ولكن يمكن الوصول إلى سياسة خارجية واحدة في القضايا الإستراتيجية والكبيرة، وتبقى تفاصيل يمكن أن تكون مورد اختلاف، ولكن في هذه الأروقة كلما قويت المصلحة الوطنية الداخلية، وكلما انتظمت المعادلة السياسية الداخلية في العراق، سنجد إمكانية الوصول إلى حلول بشكل أكثر انسيابية.

الدبلوماسية تسويق لما هو ممكن، أو لما هو وراء الممكن، فالممكن من المستطاع إنجازه، أما تسويق ما وراء الممكن فيعني إظهار ما هو مستحيل على أنه ممكن، وهذه هي الدبلوماسية؛ تقريب القضية وتفكيك الأمور، وبالفعل وصف جميل.

تحديد المساحات

بشأن احترام المساحات، فإن إيران لها مساحات، والمملكة العربية السعودية لها مساحات، وتركيا لها مساحات، والعراق يجب أن يلعب أدواره ويأخذ مساحاته، وهذه المساحات بعضها مساحات خاصة، وهذه لا توجد فيها مشكلة، وبعضها مساحات مشتركة، وفي المساحات المشتركة أشرت اليوم في كلمتي إلى التجربة الأوربية؛ ففي التجربة الأوربية هناك بلدان متجاورة ومساحاتها متداخلة، واستطاعت أن تتفق وتتفاهم على توزيع الأدوار في هذه المساحات، وانتظمت الأمور وأُنشئ اتحاد أوربي.

إذا لم نصل في المنطقة إلى تعريف صحيح للخطوط الحمراء لكل من الأطراف، وأين هي المساحات المشتركة، وكيف نوزع الأدوار في هذه المساحات، فلن تستقر المنطقة، وسيبقى الجانب المذهبي والطائفي يُستحضر كواجهة لهذه المعركة السياسية، فالمعركة اليوم وإن أخذت أبعادًا طائفية، لكنها ليست معركة بين طوائف، بل هي معركة سياسية بامتياز تأخذ لبوسًا قوميا، ولبوسًا طائفيا، ولبوس الانتصار لشعوب وأمم، وكثيرًا من الواجهات والعناوين، ولكنها تبقى في جوهرها قضية سياسية، فإذا لم نذهب ونحل المشكلة في العمق؛ بتحديد المساحات، وكيف تتفكك، وكيف نتكامل ونتقاسم الأدوار، فسوف تستمر هذه المشكلة، وهذا الكلام ينطبق على الداخل والخارطة العراقية.

فرصة التسوية

قلتها في الشهر الماضي في لقائنا معكم واليوم أكررها؛ لأننا في لحظة انتصارات، ولأن داعش تهزم، ولأننا متوحدون في مواجهة داعش، فهذه هي لحظة التسوية التأريخية، أقولها وأكررها؛ هذه هي لحظة التسوية التأريخية، وإذا لم نذهب هذه اللحظة لتسوية حقيقية وتوزيع للأدوار، فغدًا سترتبك هذه التوازنات ولا أحد يستطيع أن يغيّب الآخر.

قدرنا أن نعيش معًا، فصدام حسين كتب على دباباته لا شيعة بعد اليوم، والشيعة اليوم قدر هذا البلد، ومن أراد أن يتعامل بغير هذا المنطق فلن يستطيع، فلا أحد يستطيع أن يبعد سُنيًا ولا شيعيًا ولا كرديًا ولا مسيحيًا ولا صابئيًا، فكلنا شركاء في هذا الوطن ولا أحد يستطيع أن يبعد الآخر، فلنتقاسم الأدوار بشكل صحيح وننظم ساحتنا، ونضع يدًا بيد ونمضي على بركة الله، ونحن اليوم في موقع القوة الداخلية في ما بيننا كعراقيين،

فهناك عدو واحد وحّدنا، ومصير واحد نعيشه معًا، وجمهورنا نازح بأعداد تبلغ مليونين ونصف المليون أو أكثر، ومناطقنا بعضها منكوبة، وحينما يسقط الدم الشيعي دفاعًا عن مدينة تكريت السنية، فهذه لحظة الوحدة والتسوية التأريخية، وحينما يصطف ابن الجنوب مع ابن الأنبار ونينوى ويحررون هاتين المحافظتين فهذه لحظة التسوية الداخلية، وإذا لم نستثمرها فسنبقى عمرًا طويلا نعض على الأصابع، لذلك علينا أن نستثمر هذه الفرصة داخليًا.

سياسة الابتسامة والمرونة لا تعني الضعف والانكسار، الابتسامة من موقع القوة، المرونة من مواقع القدرة والمَكَنة، هذا هو الأمر الصحيح الذي تكلمنا به اليوم؛ عن السياسة الإيرانية، وتطوير قدراتها العسكرية، والنووية، والصناعية، إلى آخره، ثم تأتي وتتواضع وتتعامل بمرونة شديدة وتتحاور مع الآخرين، فكلما قوينا أكثر توجب علينا أن نكون أكثر تواضعًا ومرونة في حل المسائل، بالابتسامة، ومسك العصا من الوسط ولكن بقوة، بمرونة ونعومة ولكن بقوة، القوة الناعمة كما أشار بعضكم.

التوازن المطلوب

بشأن التوازن في الدبلوماسية العراقية تجاه المحاور الإقليمية والدولية، فهذا ما نقوله؛ توازن يحصل في تجنب المحاور، أن لا نكون طرفًا في محور ضد محور آخر، بل نكون مع العراق، ومعية العراق تحتم علينا أن نكون مع الجميع بقدر ما يخدم العراق، وهذه هي المعادلة الدقيقة التي تحفظ لنا موازناتنا؛ أن نكون عراقيين نغلب المصالح الوطنية العراقية، ونقترب من الآخرين بقدر ما يقتربون من مصالحنا كعراقيين، ونبتعد عنهم بقدر ما يبتعدون عن مصالحنا.

هذا هو الشرط الذي نجتمع عليه ونتفق عليه جميعًا، وأي عنوان آخر وأي تفسير آخر للتوازن سيفقدنا الوحدة، وحدة الموقف الوطني الداخلي، فيجب أن نوازن بين العروبة والإسلام، وبين دول المنطقة ومحاورها، وبين دول العالم ومحاورها، وفي علاقتنا الداخلية الوطنية كعراقيين.

انتصار عراقي

بشأن القول إن المفاوض العراقي استطاع أن يخرج القوات الأجنبية بالحوار، نعم، أنا مع هذه الفكرة، وهذا إنجاز، صحيح أن (أوباما) رفع شعار خروج قواته من العراق، ولكن أوباما شخص، وحين يصبح رئيس أمريكا سيكون محكوما بمؤسسة يجب أن يعمل ضمنها، وهذه المؤسسة لم تكن راغبة بالخروج؛ فالبنتاغون لم تكن

راغبة بالخروج، ونحن نستقبل القيادات الأمريكية ونجلس معها ونعرف ماذا يريدون، ونعلم أنهم خرجوا بمرارة وألم من العراق، وشعروا بأنهم انكسروا نتيجة خروجهم من العراق، وهذه تسجل لصالح العراق؛ أنه استطاع أن يكون الدولة الوحيدة بين ثمانين دولة دخلها الأمريكان ولم يخرجوا من أي منها إلاّ العراق.

قبل ستة أشهر من سقوط حسني مبارك وجه لي دعوة، وفي حينها لم يكن هناك ربيع ولا شيء آخر، فذهبت إلى مصر واستقبلني في القصر وحده، وكان معي اثنان أو ثلاثة، ولكنه طلب أن أكون وحدي فقط، وبعد مماطلات سمحوا لهم بأن يبقوا في الغرفة الثانية ولم يدخلوا معي، وعندما دخلت رأيته وحده فقال لي: سيد عمّار، أنا اليوم ليس لدي برنامج، بل أتيت من منزلي إلى المكتب من أجل لقائك، فأنا مهتم بهذا اللقاء، وخلال اللقاء الذي استغرق ساعة ونصف الساعة، تكلم هو مدة ساعة وثلث الساعة، وتكلمت أنا عشر دقائق فقط، والشيء الوحيد الذي لم يطرح هو العراق إلاّ نادرًا، وأنا أجهل إلى هذه اللحظة لماذا دعاني، ولكن اللقاء تضمن ذكر أسرار قالها، منها أنه قال لي: سيد عمّار، جيد جدًا ما فعلتم بإخراج الأمريكان، فهؤلاء مصيبة ومشكلة، وأنا أنظر هل يريد أن يسرق لساني، أو هو لديه وجهة نظر؟ ما القضية لا أعلم، قال: هؤلاء أتوا بحجة الصومال والقراصنة الذين فيها، وتعلمون أن مصر هي الضفة الأخرى، فأتوا وقالوا: نريد مستشفى صحراوي، وفي البداية أرادوا قاعدة عسكرية فرفضت، فطلبوا مستشفى صحراويًا هنا على الضفة، لذلك فإن خروج هذه القوات مكسب عراقي كبير، ويجب ألاّ نقلل من قيمته، وجميعًا بذلنا جهودًا مضنية وكبيرة، وكانت هناك اجتماعات تعقد في ما يسمى بالمجلس الاستشاري القومي، فالحكومة كانت تقول للقوى السياسية إما أن نذهب معًا أو نقف معًا، ولها الحق في ما كانت تقول، فوقفنا جميعًا وحققنا هذا الإنجاز الوطني الكبير الذي يجتمع فيه جميع العراقيين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد للنخب الشبابية [٢٤٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

العراقيون يتحدون الموت

الإخوة الأعزاء، الأخوات الفاضلات بدايةً أرحب بكم، وأشكر لكم حضوركم، وأشكركم على ما تفضلتم به من ملاحظات، فلم أسمع فيها مطالب شخصية بقدر ما هو الهم العام والدفاع عن حقوق شعبنا، ويفتخر الإنسان حينما يجد أن شبابنا يفكرون ضمن هذا الأفق ويتحملون مسؤولياتهم، وما دمنا نراكم من مستوانا الثقافي والمعرفي ونحمل هم أمة ونفكر بعقلية دولة وبناء و طن لا شكَّ أن العراق إلى خير، صحيح أننا سنتعب ونواجه تحديات ونواجه إخفاقات ونواجه تشويهًا وتشويشًا وقراءة خاطئة للواقع العراق وتحريضًا على العراقيين، ولكن هذه كلها لا تغير من الحقيقة شيئًا، النصف الممتلئ من الكأس في العراق فيه الكثير من الإيجابيات، وقد وجدتكم بمستوى المسؤولية وتلاحظون هذه الإيجابيات وتؤشرون على نقاط الضعف، وهذا التوازن مطلوب، فنحن كعراقيين لا نعرف قيمة الإنجاز الذي نحققه، ونقسو على أنفسنا، ونجلد الذات، تجربتنا جديرة بالاحترام، لاحظوا التجربة المصرية، ومِصر كالعراق لديها سبعة آلاف سنة من الحضارة وكثافة سكانية عالية وشعب متقدم وثقافة النيل المعروفة، قاموا بثورة، وأنتجوا حكومة لكنها ذهبت بسرعة وجاءت حكومة أخرى ثم قُنن

٢٤٢. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب والقيادات الشبابية الذي عقد في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٨/ ٤/ ٢٠١٥.

الوضع الجديد بانتخابات، لا أريد أن أتكلم عن هوية الحكومة التي ذهبت وهوية الحكومة التي أتت، لكني أتكلم عن النظام وكيف انهار بسرعة، أما نحن في العراق فمنذ اثنتي عشرة سنة مرت بنا ظروف صعبة، انفجرت في اليوم الواحد أكثر من عشرين مفخخة، ومع ذلك الأزمة الأولى في بغداد هي أزمة السير والاختناقات المرورية، ماذا نفهم من ذلك؟ نفهم أن هناك بلدًا ينبض بالحياة وشعبًا لا يخضع ولا يخاف الإرهاب، والنفس هي أعز شيء، فالمخاطرة بها تعني وجود همة عالية أوسع وأعمق وأعز من أعز الأشياء و هي النفس، ماذا نريد من العراقيين؟ وكيف يثبت العراقي أنه وطني؟ إذا كان مستعدًا أن يتحدى الموت من أجل هذا الوطن، دخل داعش إلى بلدان فانهارت، وكان يُراد للعراق أن ينهار، أخبرني أحد القادة العسكريين بأنه تم اعتقال أحد أمراء داعش في ديالى، وفي أثناء التحقيق شرح لهم خطة داعش بالتفصيل، فكانت خطتهم أن يصلوا إلى بغداد في ثلاثة أشهر، ويقلبوا النظام، وتنتقل عاصمة الخلافة الإسلامية المزعومة من الموصل إلى بغداد، ويفرضون ثقافتهم الظلامية على الجميع، ولكن بإشارة من المرجعية تحمّل الشباب مسؤوليتهم، حتى أصبحنا نشكو من عدم القدرة على استيعابهم، وهكذا تدافع الشباب الواعد على التضحية والموت حتى أصبحنا نجد أشياء لا يمكن أن تصورها الشاشات، تُدرك ولا تُوصف، فكل التعبيرات هي أقل من الواقع، وهكذا وقفوا أمام داعش وانتصروا، إذن نحن أمام سلسلة من الإنجازات الكبيرة التي تسجل لشعبنا وفي مقدمتهم الشباب، هذا النصف الممتلئ يجب أن نراه لكي نعتز بشعبنا ونفتخر بإنجازنا ونطور ونزيد على الكأس حتى نملأه، يُروى عن نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه مر مع مجموعة من الحواريين على حمار ميت، فقال لهم صفوا الحالة، فقال أحدهم رائحته نتنة، وقال الثاني والثالث والرابع، وحينما انتهوا قال أسنانه بيضاء، فحتى في هذه السلبيات توجد إيجابية يمكن أن ينظر إليها الإنسان، والجميع صادقون لكن كل واحد منهم رأى جانبًا من الحقيقة، ومهما كان واقعنا صعبًا فهناك ومضات وإنجازات ومكتسبات يجب أن نراها ونبرزها لكي لا نشعر بالإحباط.

ازدواجية المواقف

حينما أتى الطرف الدولي ودخل إلى العراق هل استأذن أحدًا من العراقيين؟ هو من اتخذ القرار ودخل وأسقط نظام صدام بقرار أمريكي، ثم ذهب ليُشرعن هذا الاحتلال

من مجلس الأمن، وحينما حصل على قرار دولي بالاحتلال جاء بدول أخرى ليصطفوا معه، وعلى الرغم من أنه لم يستأذن أحدًا فإنكم تسمعون من يقول الحكومة غير شرعية، حكومة من جاؤوا على الدبابات الأمريكية، وبعد بضع سنوات نفس أولئك الذين اتهمونا بأن حكومتنا غير شرعية ارتفعت أصواتهم لمطالبة الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولي بأن يأتوا ويسقطوا نظام (بشار الأسد)، و(صدام حسين) من حزب البعث و(بشار الأسد) من حزب البعث أيضًا، ولاموا الولايات المتحدة بحجة أنها متباطئة ولم تقم بدورها لإسقاط نظام الأسد، ما عدا مما بدا؟ وما الفرق بين الدبابة الأمريكية في العراق والدبابة الأمريكية في سوريا؟ ولماذا الجندي الأمريكي في العراق لا ينسجم معهم وفي سوريا ينسجم معهم؟ وهذه الحرب في اليمن عنوانها (الدفاع عن الشرعية) ونفس هذه الأطراف في سوريا تقاتل الشرعية، ففي اليمن تقاتل لحماية الشرعية، وفي سوريا تقاتل لإزاحة الشرعية، والحقيقة أنهم مع مصالحهم، فحينما تكون مصلحتهم مع الشرعية يقاتلون لحمايتها، وحينما تكون مصلحتهم خلاف الشرعية يقاتلون لإسقاط الشرعية، وهذه هي ازدواجية المعايير والنظرة غير المنصفة، وقد رأيتم كيف أعطوا للصراع السياسي لبوسًا طائفيًا للمزيد من الضغط على العراقيين، فالشيعة والسُنة في العراق متحابون، وعاشوا تأريخًا طويلًا في هذا البلد.

أزمة سياسية بلبوس طائفي

أذكر في عام (٢٠٠٧) بعد التحول الدراماتيكي الذي حصل في الأنبار حيث برزت الصحوات واستقر الأمن بشكل مفاجئ، قمت بزيارة إلى الرمادي، واجتمع شيوخ عشائر الأنبار وشخصياتها ونخبها في ديوان عامر وبحضور صحفيين عراقيين وأجانب، حينما رأوا الترحيب والأهازيج وحسن الضيافة أحد الصحفيين قال أنا صحفي أمريكي وأنا مندهش، هذه الرمادي تستقبل السيّد عمّار الحكيم بعمامته بهذا الاستقبال؟ إذن أين الذبح والقتل ومثلث الموت؟ أين الحرب الطائفية بين الشيعة والسُنة؟ نحن لا نفهم هذا المشهد أتمنى أن توضحه لنا، فقلت له أنا لست مستغربًا، فهذه هي الحالة الطبيعية لشعبنا، وما رأيتموه قبل أشهر حالة مصطنعة بأجندة سياسية ولمصالح، ويظهر السياسي كأنه ينتصر للتشيع والآخر للتسنُن والآخر للعروبة وهكذا، فاختلاف الانتماءات والمذاهب والطقوس الدينية لا يُفسد في الود قضية، وفي الهند ألف ديانة تتعايش فيما بينها، هذا هو شعبنا، ليس فيه أزمة طائفية، وإنما لدينا أزمة سياسية بلبوس طائفي.

قتل طاقات الشباب

بخصوص الأزمة الاقتصادية أقول إن اقتصادنا مبني على النفط فقط، وحينما تهبط أسعار النفط يصعب على الحكومة حتى توفير الرواتب، فمتى نبني ومتى نعمّر؟ هل هذا الوضع الاقتصادي منطقي؟ فهل التوظيف في دوائر الدولة بهذا الشكل هو الحل؟ زيادة عدد الموظفين أصبح عبئًا وليس حلًا، يأتي الشاب المتخرج وهو كتلة من الطاقة يريد أن يحقق ذاته فتقتل مواهبه في دوائر الدولة، وحينما تبدو وتبرز طاقاته يحاربه الآخرون فيُعاقب أو يُنقل، وهكذا نحول الشاب من طاقة متوهجة إلى إنسان آلي يحسب ساعات الدوام وساعات الخروج، وهكذا نُضخم المؤسسة الإدارية ونقتل الطاقات ونُزيد من معاناة المواطن ونستنزف ميزانية الدولة، العالم يتجه صوب الحوكمة والتخلي عن الموظفين ونحن نُضخم من أعداد الموظفين، أحد الإخوة من تيارنا التقى برجل أعمال معروف في السليمانية فسأله عن عدد الموظفين الذين يعملون في شركاته فقال ثلاثون ألفًا، وهؤلاء مدربون ومؤهلون وهم طاقة محترفة عندهم فرص للتنافس، رجل أعمال ناجح واحد جمع عنده كل هذا العدد من الطاقات المؤهلة، لو كان لدينا مئة رجل أعمال ناجح من هؤلاء لوفرنا ثلاثة ملايين فرصة عمل.

شيوع ثقافة التعيين عند الدولة والقبول براتب قليل في الوظيفة الحكومية وتفضيله على الراتب العالي في الوظيفة الأهلية ثقافة خاطئة، ويجب أن يعمل الجميع على تغييرها في المجتمع، من يعمل في العراق يجد فرصًا كبيرة وأموالًا طائلة، وما دامت الدولة محتكرة لكل شيء ومقدرات البلد بيدها لا نستطيع أن نخلق الثورة المطلوبة، فالمجتمع لا يأخذ مساحته إلا حينما ينتزع الفرص؛ لأن الحقوق تُنتزع ولا تُعطى، ولا يتم هذا الانتزاع إلا حينما يبدأ المجتمع بمشاريع ويأخذ المبادرة، ولا توجد فرصة أفضل من اليوم؛ لأن أسعار النفط منخفضة والحكومة محتارة برواتب الموظفين وغير قادرة على تنفيذ المشاريع، لذلك من الممكن أن تدعم القطاع الخاص، فإذا رجعت الوفرة المالية وأصبح المسؤول يمتلك الأموال والصلاحيات فلن يعطي فرصة لأحد.

وقود المحارق الانتخابية

يجب أن تشيع بيننا ثقافة المبادرة فلا ننتظر من يعطينا الفرصة، بل نحن نبادر، فلا تتوقعوا أن تقدم لكم الوزارات المحتارة برواتب موظفيها أموالًا وفرصًا، فالدولة مشغولة بمشاكل كبيرة وغير مهيأة، يجب أن تعتمدوا على أنفسكم وستجدون فرصًا هائلة ونحن في خدمتكم لخلق ثقافة وواقع جديد، يجب أن يكون لكم تأثير حقيقي

في المجتمع لكي يسمعوا لكم، كونوا أقوياء وسترون الساسة يركضون خلفكم، فكل شخص منكم كان ناشطًا مدنيًا يعمل بمفرده وليس له تأثير كبير، ولكن حينما انتظمتم في منظمة زاد تأثيركم، وكذا الأمر في العمل السياسي، وهناك ظاهرة شائعة هي التحسس من الانتماء والعمل السياسي، صحيح أنه ليس الانتماء إلى حزب هو الحل لكنه المدخل إلى الحل؛ لأنه يوجِد فريق عمل منظمًا، انظروا إلى برامج الكيانات ومشاريعها، وميزوا من صاحب المشروع الأقرب إلى طموحاتكم، وكونوا جزءًا من هذا الوجود وهذا العمل، فنظامنا نظام برلماني، وهو قائم على أساس الأحزاب والكيانات، فكيف تتبرأ من الأحزاب وتبقى مستقلًا في بلد نظامه برلماني وتريد أن يكون لك تأثير؟ فالشاب إما أن ينتمي إلى مشروع أو يكون مثقفًا سياسيًا قادرًا على أن يميز بين المشاريع، ويؤسفني أن أقول إن مساحة كبيرة من شبابنا بعيدون عن الهم السياسي، فتأخذهم موجة وترجعهم أخرى؛ لأنهم ليس لديهم قدرة فرز، فيكونون وقودا للمحارق الانتخابية، تغره الشعارات الانتخابية البراقة فيصوت، ثم بعد أيام قليلة يشعر بالندم، ثم تأتي الانتخابات فتبدأ الشعارات والهبات فيقع في الفخ مرة ثانية، فتذهب منه أربع سنوات أخرى، فكم من السنوات تضيع حتى يصل الشاب العراقي إلى مرحلة من النضج بحيث لا تغره الشعارات؟، متى نصل إلى مرحلة ـن المواطن يقرأ البرامج الانتخابية قبل أن يصوت؟ صحيح أن تجربتنا فتية ونحتاج إلى وقت أطول فنحن اليوم بعد اثنتي عشرة سنة من التجربة وصلنا إلى مرحلة المراهقة ونحتاج إلى عقود قبل أن نصل إلى مرحلة النضج الكامل، كنت يومًا في لقاء مع السفير الألماني وكان قلقًا من الأوضاع في العراق فسألته حينما سقطت النازية في ألمانيا كم احتجتم من الوقت لبناء الديمقراطية في بلادكم؟ فقال من اثنتي عشرة سنة إلى خمس عشرة سنة، فقلت له احتجتم هذا الوقت رغم أن كل الدول المحيطة بكم كانت متضررة من النازية، وكل الشعب الألماني من لون واحد، فكيف بنا ونحن بهذا التنوع وكل دولة من جيراننا لها رأيها الخاص في أوضاعنا.

امتلاك المبادرة

إيها الأحبة دوركم مهم شريطة أن تأخذوا المبادرة، يجب أن يكون لكم دور ثقافي ودور سياسي، الوقوف بوجه الغزو الثقافي الغربي، في ملبسنا وسلوكنا وأعرافنا، وأن تكون لنا هويتنا، يجب أن نشيع هذه الأمور في المجتمع، هل نشيعها من خلال جهود حكومية أم تحتاج إلى حركة واسعة من المجتمع؟، يجب أن نهتم بهذه المهمة وترسيخها، قابلت يومًا أحد المراجع، فقال شاهدت اليوم تقريرًا في التلفزيون هزني

كثيرًا، شاهدت عددًا من الأطفال خرجوا من المدرسة وقاموا بتنظيف أحد الشوارع، انظروا إلى هذا المرجع الكبير كيف فرح بهذا السلوك؛ لأنه يحمل رسالة من رسائل الحياة، وأنتم حينما قمتم بحملة لتزيين الجدران والرسم عليها أخذت حملتكم صدًى واسعًا، اليوم لدينا عدد من المدن المحررة الهادئة المستقرة، كمدينة العلم، لم تنفض غبار الحرب بعد، يمكن أن يذهب عدد من الشباب إلى المدينة ويرسموا لوحات عن التعايش وسترون حجم تأثير هذه الأعمال، وهكذا يمكن لكل واحد منكم أن يفكر بمشروع يطلق رسائل للحياة، وهناك الكثير من الشباب يبحثون عن فرصة لإظهار قدراتهم، فكروا وأبدعوا واخرجوا عن الأنماط التقليدية، وأنتم قادرون على ذلك، هكذا تأخذون المبادرة في البُعد الثقافي، وإذا انتقلنا إلى الدور الأمني لدينا شباب في الجيش والشرطة والحشد يقاتلون وأنتم داعمون لهم، وهناك شيء اسمه الثقافة الأمنية، فكل منا مسؤول عن حفظ الأمن والإخبار عن كل تحرك مشبوه، نحن نحتاج إلى ثقافة المتابعة والرصد والمساهمة في الملف الأمني، فالإرهابيون لا يأتون إلى البلد من دون أن تكون لهم مقرات وحركة واستطلاع، فلو كانت هناك ثقافة المراقبة من الجميع لما استطاعوا أن يتحرك بسهولة.

وإذا تحدثنا عن الطاقة الكهربائية مثلًا، فمقدار استهلاك الطاقة الكهربائية في العراق أكثر من دول الجوار، لكننا ليس لدينا ثقافة ترشيد استهلاك الطاقة حتى أن أحد مبررات الحكومة الآن لرفع أسعار الطاقة الكهربائية هو لحمل المواطن على ترشيد الاستهلاك، يجب أن نشيع ثقافة ترشيد الاستهلاك في الماء والكهرباء والبنية التحتية، والمواطن العراقي إلى اليوم لا يشعر أن سيارة النقل العام هي ملك له، ولذلك لا يسعى للحفاظ عليها.

تحدثتم عن مراكز البحوث، أقول مراكز البحوث في العراق والبحوث التي تنشر في المجلات العلمية يغلب عليها الطابع التنظيري، ولا تتجه بحوثنا ورسائل الماجستير والدكتوراه إلى القضايا العملية والواقع الميداني.

فراق الوطن

تحدثتم عن الهجرة، أقول لكم قلما وجدت عراقيًا مهاجرًا مرتاحًا، وهكذا في كل مرحلة من مراحل الحياة توجد تحديات، فتبقى هذه التحديات تلاحق الإنسان وتواجهه، فالهجرة ليست حلًا، فقد تنقذك من مشاكل معينة لكنها تفتح أمامك قائمة من المشاكل الأخرى، وأولى هذه المشاكل هي المشكلة المعنوية، فراق الوطن، فأنا

بعيد عن أرض الوطن ثلاثًا وعشرين سنة، وأعرف محنة الفراق، وبقي القلب يحن إلى الوطن فضلًا عن معاناة الغربة.

مشروع المصالحة

بخصوص المصالحة الوطنية، هناك من يقول إننا في حالة حرب وحررنا الكثير من المناطق في جرف النصر وديالى وصلاح الدين، وسنحرر الأنبار والموصل إن شاء الله، وليس الوقت وقت مصالحة وطنية، وهذا خطأ كبير، فنحن لا نقاتل للقتال، وإنما نقاتل للحياة، فنحن نطرد داعش لكي نتعايش، والتعايش يحتاج إلى مشروع، والمشروع سقفه الدستور ومطمئن للجميع، يجب أن يشعر جميع العراقيين أن هذا المشروع يحميهم، فنحن الآن بأمَّس الحاجة إلى المصالحة؛ لأن المشاريع الإصلاحية الكبرى انبثقت في ظروف التحدي، الحرب العالمية أنتجت الاتحاد الأوربي، الحرب الداخلية في الولايات المتحدة التي وصل فيها الأمر إلى أكل الناس لحوم بعضهم أنتجت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى في العالم، نحن في العراق في هذه اللحظة بأمَّس الحاجة إلى مشروع سياسي جامع، وفي اليوم الذي نكون فيه يدًا واحدة ويتكلم مسؤولنا في الخارج بكلمة واحدة مهما كان انتماؤه، في ذلك اليوم سيكون العراق قويًا، في لقائي مع أحد الملوك سألني بعد أن أكملت حديثي فقال لماذا لم تتكلم عن أحد؟ فقلت له نحن لا نشغلكم ببعض خلافاتنا الداخلية، نحن نتكلم عن المشروع الوطني في العراق، فقال غيرك يأتون ويتحدثون عن هذه الخلافات، عندما يجدنا الآخر مختلفين يجد فرصة للنفوذ، وكلٌ منهم يكون مع فريق، ونتحول من شعب قوي بحضارة تعود إلى سبعة آلاف سنة إلى أدوات من حيث نريد أو لا نريد، وهذا ليس شأن العراقيين أن يكونوا أدوات ويتقاتلوا بالنيابة، بل يجب أن نتمسك جميعًا بما هو مصلحة للعراق.

الحريات والمحددات

تحدثتم عن الفضاء الإلكتروني والتواصل الاجتماعي، هذا أمر مهم المحددات مهمة والحريات مهمة ونحتاج إلى موازنة بين الحريات والمحددات، نحتاج إلى بناء الثقافة العراقية لتكون لدينا محصنات داخلية، يجب أن يثق العراقي بنفسه ويعتز بهويته وهو يقرر ألا يستدرج، فإذا أغلقنا الفيس بوك فهل نستطيع إغلاق الفضائيات؟ وإذا أغلقنا الفضائيات هل نستطيع إغلاق الهواتف النقالة؟ الحديث عن منع التكنولوجيا أصبح مثارًا للسخرية، وليس الحل هو المنع وإنما بناء شخصية

واثقة بنفسها معتزة بهويتها، يمكن أن تكون هناك محددات بسيطة على مواقع سيئة أو غير ذلك، لكن المبدأ العالم أن الفكر لا يُعالج بالمنع، بل يُعالج بفكر وثقافة صحيحة نحصن بها أبناءنا وهو يشبه اللقاح المضاد للأمراض.

أزمـة إدارة

تحدثتم عن البطالة، نحن ليس لدينا أزمة بطالة، لدينا أزمة إدارة للواقع العراقي، فإذا أدرنا الأمور بشكل صحيح ستنتهي البطالة وسنحتاج إلى جلب أيدي عاملة من الدول الأخرى، فعدد سكان العراق ليس كبيرًا قياسًا بثرواته الهائلة، يجب أن نضع العراقي في موقعه اللائق ونوفر له الفرص.

ديوان بغداد

منكم من سأل، هل من ديوان شبابي للمحافظات؟ ديوان بغداد وطني، وتسميته ببغداد لأنه يعقد في بغداد ولكنه لا يخص البغداديين وحدهم.

مسودة إستراتيجيات

تحدثتم عن لقاء وطني يجمع شبابا نخبويا عراقيا لدراسة إستراتيجية للشباب، هذا مهم، ولكن هذا الأمر لا يحسم بلقاء واحد، نحتاج إلى مسودة إستراتيجيات، وننفذ ورشات عمل في كل المحافظات، ونجمع الأفكار، ثم تتوج بمؤتمر وطني هو حصيلة كل هذه الورشات الواسعة.

تفعيل برلمان الشباب، هناك تحضيرات لأن يكون بحُلة جديدة، ويكون أكثر تمثيلًا للواقع الشبابي العراقي، وأن تكون فيه شفافية في الاختيار، ولا يبدو أنه احتكار للعناوين، نحتاج إلى برلمان حقيقي معبر عن هموم وتطلعات شباب العراق.

كوتا الشباب

تفعيل كوتا للشباب على غرار النساء حينما وضعنا كوتا للنساء قيل لأن مجتمعنا ذكوري لا يصوت للمرأة، وقد بلغني إن أكثر من خمس عشرة نائبة صعدت بأصواتها من دون كوتا؛ لأن الكوتا ساعدت النساء على الحضور فوفرت فرصة لهنَّ للصعود، بل لدينا من النساء من ساهمت في صعود الرجال بالعدد الكبير من الأصوات التي حصدتها، أما بالنسبة للشباب فأنا أختلف مع هذه الفكرة، فالشاب الذي لا يصعد إلا

بالكوتا لا يستحق الصعود؛ لأننا بحاجة إلى شاب مبدع يتحرك بالميدان، فهذه الطريقة تؤدي إلى الاتكالية.

العولمة سيف ذو حدين

فلماذا ننظر إلى الجانب السلبي ونخشى الوقوع تحت التأثيرات، علينا أن نُحصن أنفسنا لكي لا نتأثر وتساعدني العولمة في التأثير على الآخر، أنا لديّ ملايين المتابعين على صفحتي في الفيس بوك، وعدد المعجبين من مدينة القاهرة بقدر عدد المعجبين من بغداد، وكذلك من دول أخرى، لم تكن لدينا هذه الفرص سابقًا، هذه المنصة وغيرها من الفضائيات ووسائل التواصل الأخرى فرصة كبيرة لإيصال الرسائل، فإذا حصنا أنفسنا تكون العولمة لصالحنا، وإذا كنا ضعفاء فالتشكي لغة العاجزين.

الأمل في الجيل الجديد

أشاطر كثيرًا من تحدث عن ضرورة الاهتمام بالطفولة، فهذا الجيل الذي عاش الديكتاتورية والإرهاب والمحن والأزمات يحتاج إلى جهد كبير لكي يتخلص من التبعات، والأمل في الجيل الجديد الذي فتح عينيه على أجواء الديمقراطية والتعددية ووجود عشرات الفضائيات، لذلك يجب أن نعمل على الطفولة، ونهتم بها، وأن تكون لدينا إستراتيجية معينة، كان لدينا في مهرجان الطفولة السنوي مبادرة لإنشاء صندوق خاص بالطفولة يُرصد له (١٪) من موازنة العراق، فهذه هي البناءات الحقيقية للمستقبل.

رعاية المرضى

بخصوص مرضى السرطان، أقول لدينا مستشفى متخصص في أربيل وستفتح ثانية في البصرة وثالثة في كربلاء ورابعة في بغداد، ومع ذلك فهذا العدد يُعد قليلًا قياسًا بمساحة انتشار المرض، وأنا أقوم بين فترة وأخرى بزيارة مرضى السرطان في المستشفيات، أدخل وأسلم عليهم وأقبلهم وأقدم لهم الورود، وهذه الأمور لها تأثير كبير، ذات يوم كنا في مشهد وكان لي لقاء مع مسؤول الأوقاف هناك، وبدأ يتحدث لي عن الأوقاف الغريبة، فقال إن أحد الأشخاص أوقف مزرعته الكبيرة لاستئجار أشخاص يقومون بزيارة المرضى في المستشفيات ورفع معنوياتهم، وهذا الوقف مستمر لحد الآن، فقلت هنيئًا له على هذا العمل الكبير، أوصيكم برعاية المرضى وزيارتهم ولا سيّما الأقارب والجيران، فهذه الأعمال تُذهب البلاء وتُوفق الإنسان إلى مرضاة الله (سبحانه وتعالى).

المتنبي ثقافة كبيرة

بخصوص إنشاء مدينة ثقافية، كلمنا السيدة أمينة بغداد لتطوير مشروع المتنبي وأن تجعل منه منطقة ثقافية كبيرة، ونحن نحتاج إلى مدن ثقافية عديدة، وسيوضع هذا الموضوع ضمن سُلَّم الأولويات.

ظواهر مُدانة

ذكرتم ظاهرة التحرش، هذه الظواهر تحتاج إلى ثقافة لمعالجتها، ولا تُحل بالتنظير، بدايةً يجب أن تكون هذه الظواهر مدانة، ففي بلدان منفتحة تُرفض مثل هذه الظواهر، ومن يقوم بها يجد المجتمع ينتفض ضده، يجب أن نخلق بيئة مجتمعية رافضة ومتصدية لهذه الظاهرة.

الزهد بطاقاتنا

بخصوص رعاية المواهب لدينا ظاهرة الزهد بطاقاتنا في حين يحتضنهم الآخرون ويستفيدون منهم، فالعقول العراقية في دول الخليج وفي أوربا وفي كثير من بلدان العالم، ففي مدينة لندن فقط يوجد أربعة آلاف طبيب عراقي من خيرة الأطباء هناك، استعادة هذه العقول المهاجرة تحتاج إلى سياسات معينة ومعالجات جذرية لاستقطابهم وإعادتهم إلى البلد.

أطلت عليكم كثيرًا، وأنا سعيد جدًا بلقائكم، شكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد لشيوخ العشائر[٢٤٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، الشيوخ والأمراء الأكارم، تيجان هذا الشعب الكريم وقياداته المجتمعية، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتلبيتكم هذه الدعوة، وتجشمكم عناء السفر والحضور إلى مضيفكم ومكانكم، وشرفتمونا بهذا اللقاء.

لا بُدَّ لي في البداية من أن أبارك لكم جميعًا ذكرى ولادة سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، هذه الشخصية الكريمة الكبيرة المؤثرة في تأريخ الإسلام والإنسانية جمعاء، وفي هذا اليوم، الثالث عشر من شهر رجب الأصب، نعيش ذكرى ولادته (صلوات الله وسلامه عليه).

ولا بُدَّ لي من أن أهنئكم أيضًا بذكرى شهر رجب الأصب، وهذه الأيام الكريمة الشريفة، التي نتقرب فيها إلى الله (سبحانه وتعالى)، فرجب أطلق عليه رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ صفة الأصب، أي تصب الرحمة فيه صبًا، رجب الرحمة، رجب العطاء الإلهي، نسأل الله أن نكون ممن يشمل بهذه الرحمة الإلهية.

الديوان منكم وإليكم

ديوان بغداد، كما ذكرنا في حلقاته ونسخه السابقة، واجتماعاتنا التي كان لنا فيها الفخر والشرف باللقاء معكم أيها الأحبة، ذكرنا أنه منكم وإليكم، وقد تحدد بعض

٢٤٣. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد لزعماء العشائر والقبائل العراقية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢/ ٥/ ٢٠١٥.

المحاور المهمة والساخنة، ولكن يبقى الحديث مفتوحا لما تجدونه مناسبًا أن يطرح ويناقش ويتم التداول فيه، والهدف من هذا الديوان هو أن يجتمع هذا العدد من قادة المجتمع، ومن أمراء وشيوخ العشائر، ويتداولوا في هموم هذا المجتمع ويوحدوا رؤيتهم تجاه هذا الأمر.

من المعروف أن لكل منكم تأثيرًا كبيرًا في مساحته، عشيرته، وقبيلته، بل في مساحات خارج إطار العشيرة، بحكم الوجاهة والتأثير والمضايف الموجودة، فإذا كانت لنا رؤية في تشخيص ظروفنا وواقعنا، أو في معالجة المشاكل والتحديات التي تواجهنا، فسنكون قادرين على أن نطرح هذه الأمور ونعبئ المجتمع بالاتجاه الصحيح، لكي لا نبقى نعيش حالة التخبط الاجتماعي، فواحدة من أهم مشاكل مجتمعنا هي غياب الرؤية، فأحيانًا لا نعرف ماذا يجري، وما هو الموقف مما يجري، لذا يجب أن نجلس ونتشاور ونتحدث ونستمع لبعضنا.

كنا حريصين في ديوان بغداد أن يكون العراق حاضرًا بجميع تلاوينه، ومكوناته، وهذا قدرنا نحن كعراقيين أن نجتمع فنتفق في أمور، ونختلف في أمور، والاختلاف لا يفسد في الود قضية، ما دام هذا الاختلاف مبنيًا على أساس المصلحة العامة، وكل منا يقدّر مصلحة البلد باتجاه ما، ولكن عندما نجتمع ونتحدث ونتذاكر، وكل منا يبين وجهة نظره، فقد نصل إلى حصيلة تكون مقنعة لنا جميعًا، لذلك أشكركم على حضوركم واهتمامكم، ونأمل إبداء ملاحظاتكم عن طريق هذه القصاصات الصغيرة الموضوعة أمامكم، لإثراء هذا الاجتماع ليكون بالحلة الأنسب التي تحقق الغرض بعد الجهد الكبير الذي تبذلونه للحضور والمشاركة في هذا اللقاء.

وحدتنا هي الحل

المواضيع التي تفضلتم بطرحها مواضيع مهمة، وكما ذكر بعض الشيوخ، أعتقد جازمًا بأن الحل يبدأ منا، وإذا بقيت عيوننا على الدول الأخرى؛ ماذا يقولون، وماذا يريدون، وماذا يخططون؟ فهذه دول وليست منظمات خيرية، فهي تفكر بمصالح شعوبها ومصالحها كأوطان ودول، وهذا الشيء موجود في كل مكان، فالمشكلة ليست في الآخر حين يفكر بمصلحته، بل المشكلة فينا؛ هل قدّرنا ما هي مصالحنا؟ وهل توحدنا على هذه المصالح؟ إن كنّا موحدين فلا أحد من هؤلاء يستطيع أن يفسد وحدتنا وصفو العلاقة بيننا، وإن كنّا مبعثرين ومشتتين، لا قدر الله، فنحن من يطلق رسائل للآخرين تحثهم على أن يطمعوا فينا، ويعبثوا في وحدتنا، ويتدخلوا في شؤوننا،

وأن ينحازوا لهذا المكون أو ذاك من أبناء شعبنا؛ الشيعي والسني، العربي والكردي والتركماني، المسلم والمسيحي والإيزيدي والصابئي.

ليس لنا إلاّ بعضنا، نحن أبناء هذا الوطن، وقد عشنا آلاف السنين، وراجعوا تأريخ الإسلام قبل ألف وأربعمائة سنة، يوم دخل الإسلام إلى العراق، وستجدون أن نفس أسماء هذه العشائر الكريمة التي تحملون وسامها وعنوان تمثيلها اليوم، هي ذاتها التي كانت في ذاك الوقت، فنحن نمتلك هذه الأصالة، هذه الجذور، هذا العمق، إذن علينا أن نشخص مصالحنا الوطنية، ونتوحد على هذه المصالح، ونكون صفًا واحدًا.

إن سياسيينا ونخبنا ومفكرينا ومثقفينا ومواطنينا، حين يخرجون إلى أي بلد ويتكلمون باسم طائفتهم أو قوميتهم أو انتمائهم أو ديانتهم، ولا يتكلمون باسم العراق، بل ويتكلمون بالضد من شركائهم الآخرين، فنحن بأيدينا نزرع هذا الدافع لدى الآخر بأن يطمع فينا ويعبث بوحدتنا، وقبل فترة كنت في لقاء مع شخصية كبيرة في المنطقة، وبعد أن تحدثنا عن الهم العراقي وما جرى في العراق ورؤيتنا للحل وإلى آخره، فاجأني وصعقني بسؤال، قال: سيد عمّار، لماذا لا تتكلم بالضد من أحد؟ ولا أخفيكم أني استصغرت نفسي، فالزعيم يتوقع أن أتكلم بالضد من شركائي، فبينت له أني لا أتكلم بسوء تجاه أحد، لأننا كعراقيين في داخل البيت العراقي نختلف أو نتفق، كما في بيوتنا الشخصية، فقد يحدث اختلاف داخل العائلة، ولكن هذه شؤون الدار، ولا تتسرب مشاكلهم إلى الآخرين، ونحن كعراقيين حالنا كحال بقية الشعوب؛ نختلف ونتفق، ونجلس ونتحدث ونعالج مشاكلنا بيننا، وأنا جئتك اليوم أمثل العراق ولا أمثل طائفة أو جماعة لكي أذكر الآخرين بسوء في محضرك، فقال: لكن غيرك من العراقيين يأتي ويُسمعنا كلاما مختلفا، والعهدة عليه إن كان البعض يتعامل بهذه الطريقة، ولكن وحدتنا هي الأساس، وسبق أن بينت في لقاء سابق، وأنتم الآباء، وأنتم الأعمام، والأخوال، وأتشرف بوجودكم وأنا أقلكم عمرًا ومكانًا وشأنًا، ولكن هذه هي سنن التأريخ وحقائقه.

مشاكل التقسيم أكبر من مشاكل الوحدة

التشظي والتقسيم ليس حلًا، فلو مضى كلٌ في سبيله، فهل ستنتهي المشكلة؟ من يعتقد بأن المشكلة ستنتهي فهو وأهم ومخطئ؛ فأول مشكلة هي حدود هذه الدويلات، فهل نرجع إلى حدودها التأريخية؟ أو نتعامل مع حدود الدكتاتورية التي وضعتها لهذه المناطق؟ واليوم في ما يخص إقليم كردستان، لأنه له خصوصية في الدستور، يوجد

شيء اسمه مناطق متنازع عليها، ففي يوم ما كانت بيد العرب، والإخوة يقولون لنذهب إلى الحلول الدستورية لنعالجها، واليوم أصبحت بيد الإخوة الكرد، وما زال المنطق أن هذه المناطق لا يُفرض عليها أمر واقع، وإنما يجب أن نذهب إلى الحلول الدستورية في حسم هوية هذه المناطق، فنحن ضمن عراق واحد ولكننا مختلفون؛ هل هذه المنطقة كردية أو عربية؟ فكيف إذا حدث التشظي وأصبحت دولتين؟.

أقول بشكل صريح وواضح؛ لا توجد محافظتان متجاورتان، شيعيتان أو سنيتان، في الشمال أو الغرب أو الجنوب، لا توجد بينهما مشكلة نزاع حدودي، ففي جميع المحافظات لدينا نزاعات على الحدود، فحدود هذه الدول ستكون أولى المشاكل، وستقدم الدماء الطاهرة لأبناء شعبنا من أجل تحديد هذه الحدود في كل دولة من هذه الدول المزعومة، وإذا انتهت مشكلة الحدود بعد أن نكون قد دفعنا عشرات الألوف من أبنائنا ضحايا، وفرحنا بأن هذا أصبحت لديه دولة، وذاك لديه دولة، فهل ستنتهي المشكلة؟ كلا لن تنتهي، بل ستبدأ مشكلة داخلية؛ هي الحساسيات في مناطقنا ومحافظاتنا، ففي الساحة الشيعية توجد حساسيات، وفي الساحة السنية توجد حساسيات، وفي الساحة الكردية توجد حساسيات؛ حساسيات مناطقية، وحساسيات سياسية، وحساسيات بين أحزاب؛ من يحكم ومن يدير؟ وسنعطي ما نعطي من الدماء التي تبدأ ولا تنتهي لكل عنوان من هذه العناوين.

لن تنتهي المشاكل عند هذا الحد؛ فهناك الإقليم والمنطقة، والمصالح الإقليمية والدولية المتشابكة، فإخواننا الكرد في بحر عربي، فارسي، تركي، مختلف معهم، ولو كان الشعب الكردي في العراق فقط لكانت القضية سهلة، ولكن يوجد كرد في إيران وتركيا وسوريا، وعددهم كبير، وأي دولة كردية في العراق ستنعش الرغبات والطموحات الكردية في هذه الدول، وستخاطر بالأمن القومي التركي، والأمن القومي الإيراني، والأمن القومي السوري، وإذا كانت سوريا اليوم جريحة وغارقة في مشاكلها، فإن إيران وتركيا دولتان كبيرتان، ودولة كردية في قلب البحر العربي من الجانب الآخر، لن تكون مرحبًا بها أيضًا من العرب، وهذه حقيقة، واليوم إذا كانت المشكلة المذهبية هي التي تطفح، والإخوة الكرد من المذهب السني الكريم، وهذه القضية في جانبهم قليلًا، فما إن يستقلوا حتى يصبح هناك واقع جديد، وتُنسى هذه القضية ويأتي دور القضية القومية.

سيشعر الإخوة الكرد، وأقولها للتأريخ، وأنا صديق لكردستان وللكرد كما تعرفون، سيشعرون في أي لحظة يتخذون فيها قرار الاستقلال أن هناك سدًا كبيرًا وجبلًا عظيمًا

كان يحفظهم، وقد أزيح هذا الجبل وأصبحوا مكشوفين أمام تسونامي يعصف بهم، ويمكن أن يودي بهم إلى ما لا تحمد عقباه لا قدر الله، والكلام هو الكلام في دولة شيعية، وفي دولة سُنية، فلا نتوقع أنها ستنتهي ما دامت المشكلة في ظاهرها مذهبية، فالسُنة مصطفون مع السُنة، والشيعة مصطفون مع الشيعة إلى غير ذلك، فحين تصبح هناك دول، ستكون هناك دولة شيعية منافسة للدولة الشيعية الأخرى، والدولة السنية ستدخل في منافسة مع الدول السنية الأخرى، وهكذا سنجد أنفسنا أمام قائمة طويلة من التحديات ومن المشاكل، فنبدأ بالترحم على هذه الأيام، لذلك فالتقسيم ليس حلًا، فالتقسيم إلى ثلاث دول سيؤدي إلى انشطارات وستتساقط قطع الدومينو، فغدًا كل محافظة في العراق تريد أن تصبح دولة، ولا يقف الأمر عند حد حتى في المحافظة الواحدة، فمن المستفيد؟ ومن الذي يمتلك كامل مقومات الدولة في أي محافظة وفي أي منطقة من مناطقنا؟.

لقد قدر الله (سبحانه وتعالى) أن تكون الثروة النفطية في مكان، وثروات البادية في مكان، والزراعة في مكان، والصناعة في مكان، لكي يحتاج بعضنا إلى بعض، وقوة العراق حينما يكون عراقًا واحدًا، ولكن إذا صرنا دولتين أو ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا أو عشرًا، فسيبدأ الضعف والوهن فينا، فهل سنستفيد كعراقيين؟ أبدًا، ستستفيد إسرائيل، والإمبريالية والدول العظمى التي بنت قواعدها على مدار عقود من الزمن على أساس فرّق تسُد، هذه هي التي ستستفيد.

بقاء العراق ضمانتنا الوحيدة

إن عراقًا كبيرًا وموحدًا ومنوعًا، هو السد المنيع في وجه الدول الكبيرة في المنطقة التي تريد أن تبلعنا، ولكن دويلات بهويات متعددة سوف تُبلع، لذلك فالحل منا، والحل فينا، وهذه اللحظة التي نحن فيها هي لحظة الحل؛ (اشتدي تنفرجي)، وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٢٤٤]، فعلى ركام الحرب العالمية الثانية تشكل الاتحاد الأوربي، وعلى ركام الحروب الداخلية الطاحنة تشكلت الولايات المتحدة الأمريكية.

اليوم كان لدينا مؤتمر، وقلت في كلمتي: إن الأمريكان يريدون أن يقسموا العراق، وأذكّرهم بأمريكا نفسها؛ يوم كنتم تتقاتلون ويشرب بعضكم دم البعض الآخر، كان

٢٤٤. سورة الشرح: الآية ٥

هناك عقلاء فيكم قالوا: إن الحل في وحدتنا، فتوحدتم وأصبحتم دولة عظمى، وأنتم اليوم الدولة الأولى في إمكاناتها في العالم، ولكنكم تريدون أن تقسمونا، مع أن حلكم كان في وحدتكم وقوتكم، لذلك أيها الأحبة فإن الحل فينا، وفي هذه اللحظة التأريخية، حيث المناطق السنية تعيش وضعًا يبكي من يراه دمًا عليها، والشعب نازح والمناطق مستباحة، والحالة السياسية فيها الكثير من التبعثر كما يشاهد أي مراقب، والساحة الشيعية أيضًا فيها الكثير من التفاصيل والتحديات، صحيح أنها آمنة، وتعيش حالة استقرار أمني ووئام إلى حد ما بين القوى السياسية والمجتمعية فيها، ولكنها عرضة للكثير من الإشكالات والتحديات، والمنطقة الكردية أيضًا اتضح أنها ليست بمأمن، ورأينا هجوم داعش وما حصل من ارتباك أمني في هذه المنطقة، والوضع الاقتصادي اليوم لا يخص المناطق العربية والتركمانية وحدها، وإنما يشمل العراق كله، فالتحدي الاقتصادي يشمل كردستان أيضًا، وكذلك في الجانب السياسي تجدون أن موضوع رئاسة الإقليم وقضايا أخرى مثار نقاش حاد في داخل الإقليم.

إذن هذه المشاكل لدى جميع الأطراف تدفعها لتقترب من بعضها، فالإنسان يحتاج إلى إخوته ليكونوا حزام ظهره في الشدة، واليوم الشدة موجودة عند جميع العراقيين، وهي اللحظة التي يحتاج فيها بعضنا إلى بعض، هذه لحظة تسوية تأريخية، هذه لحظة انبثاق مشروع يضمن للعراقيين جميعًا مصالحهم تحت سقف الدستور، والذي يطلب منا أن نشطب على هذا الدستور ونعود اثنتي عشرة سنة إلى الوراء ونبدأ من الصفر، وننسى كل هذه الدماء والمعاناة والتضحيات، نقول له: إن الحياة لا تعود إلى الوراء، والوراء اسمه البارحة، ونحن أبناء اليوم والغد، والذي يقول اشطبوا على الماضي، نقول له: لا نستطيع أن نشطب، ومن يقول: لنراجع الماضي ونطوره، نقول له: على رؤوسنا، فالدستور هو الذي وضع فقرات لإعادة النظر به وتعديله إذا ما تطلب الأمر، إذن لنعدل ونطور، ولكننا لن نعود إلى المربع الأول، فنحن أبناء اليوم والغد، وعيوننا ترنو إلى المستقبل.

قبل سنة ونصف السنة من الآن، وفي أعتاب انتخابات، ولكننا رأينا الوضع خطيرًا لا يتحمل التأجيل، فخرجنا وطرحنا مبادرة أنبارنا الصامدة، وقلنا ادفعوا مليار دولار لأربع سنوات للأنبار لكي نحتضن شعبنا، ونحل مشاكلهم، ونسحب فتيل الأزمة والبساط من تحت أقدام داعش، ولا تكون أجواء السخط الشعبي آنذاك سببًا في أن تتمكن داعش من هذه المحافظة، فأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، ووصلوا إلى اتهام عمّار بأنه نسي طائفته، ونسي أبناء الجنوب، ولماذا نعطي مليار دولار للأنبار؟ وكل هذا الكلام الذي

سمعتموه، واستخدمت هذه كورقة قوية لضربنا في الانتخابات، فأي مشروع إصلاحي قد يُتهم، ويُساء فهمه، ويُشكك فيه، ولكننا لسنا ممن يتراجع عما نعتقد بأنه مصلحة العراق، والعراق مصلحته بوحدته، ووحدته لا تكون إلاّ بالتعايش بين مكوناته، ومن دون هذا لا يبقى العراق، بل سيحدث التشظي وما تكلمنا به كثيرًا.

شيوخ العشائر

بشأن دور الشيوخ في العملية السياسية، تكلمنا بهذا الموضوع في لقاء سابق، وقلنا إن الأدوار تُنتزع ولا تُمنح، فهل يمكن أن يبقى شيوخ وأكابر العراق جالسين، والوزير الفلاني والنائب الفلاني يتصدق عليهم بأدوار؟ لا والله، شيوخ العراق هم الذين يأخذون أدوارهم بمبادراتهم ومواقفهم وحضورهم.

كونوا أقوياء على الأرض، وأنتم أقوياء بإذن الله، والسياسي هو الذي سيتبعكم، وأنتم أكبر من أي حزب ومن أي جماعة، ولنا الشرف نحن أيضًا أن نكون منكم، ولنا هذه الجذور وهذه الأصالة، لذلك فالأدوار لا تُستجدى من أحد، ونحن نعمل على تشريع قانون المجلس الوطني لأعيان وزعماء وشيوخ العراق، هذا ما نعمل عليه الآن في البرلمان، وهو يخطو خطوات مهمة إلى الأمام، على أن يكون هذا المجلس مستقلًا، ويُمنح صلاحيات وإمكانات، من دون أن تعبث به الحكومات، فالعشيرة أكبر من الحكومة، لذلك يجب أن تبقى العشيرة مستقلة ولها كيانها المستقل ويبقى لها الدعم، وتتحرك بدون تدخلات أو تسييس حكومي.

ضعف الخدمات

بخصوص ضعف الخدمات في المناطق الجنوبية، هناك قلة خبرة، ومشاكل بين القوى، وبالرغم من وجود الأمن لم نستطع أن نقدم الخدمة لأبنائنا في الجنوب، واليوم في ظل الأزمة الاقتصادية والتحدي الموجود يجب أن نذهب إلى الاستثمار، ويجب أن نفتح الطريق، ورب ضارة نافعة؛ فما دامت هناك وفرة مالية في العراق والمليارات تحت يد المسؤول، فلماذا يعطي فرصة للمستثمر أو لآخرين؟ وسيبقى محتكرًا للأمور بيده، ولكن حين لا تكون عنده هذه الأموال، سوف يضطر لإعطاء فرصة دور لغيره.

العراق بلد ثري ولديه إمكانات هائلة، ولكن يجب أن نقنن في هذه اللحظة؛ بتخفيف الاحتكار الحكومي، وإعطاء دور للقطاع الخاص، وفتح الباب لمن يريد أن يضع مصالحه مع العراقيين من كل هذا العالم، وسيكون هذا إنجازًا عظيمًا للعراق والعراقيين.

إدارة الإنتاج النفطي

إن القول بضرورة رفع مستوى إنتاج النفط كلام صحيح، كما سمعتم ليس منا، بل من الرئيس (أوباما) في مؤتمر صحفي مع الأخ (العبادي)؛ إذ قال: الآن ارتفعت مناسيب النفط في العراق بشكل غير مسبوق خلال الثلاثين سنة الماضية، واليوم نحن ننتج ثلاثة ملايين ومائتي ألف برميل في اليوم، وبإذن الله سيرتفع حجم الإنتاج إلى أربعة ملايين ويتجاوزها لاحقًا، وهذه غير مسبوقة.

بصمت وبغير ادّعاء، قام أخوكم السيد (عادل عبد المهدي) خلال ثمانية أشهر بعمل جبار، بعيدًا عن الشعارات والضوضاء والصراخ والعجيج؛ فقد ذهب إلى معالجة مشاكل عويصة وكبيرة، وأنا شخصيًا أتابع معه بشكل شبه يومي ما يجري في هذا الأمر، إذ كانت لدينا مشاكل مع الشركات، ونفطنا تستخرجه هذه الشركات، وبسبب هذه المشاكل قد يقف هذا النفط بلحظة واحدة، ومن غير هذا النفط لا يوجد لدينا شيء وسينهار العراق، فقام بإقناعهم وإعادة جدولة العقود وترتيب الأمور، وقصص لا تنتهي، والبنية الداخلية للوزارة فيها مشاكل، وشركة سومو وشركات النفط الوطنية التي لدينا أيضًا قضية كبيرة وعويصة، وكذلك نحن ننتج نفطًا وليست لدينا المخازن الكافية لحفظه، وفي الأيام التي تشهد موجة من الغبار لا تستطيع البواخر أن تقترب، ويقف نفط العراق ويقف الغاز أيضًا، لأن الغاز يخرج مع النفط، وتتوقف الكهرباء أيضًا لأن الكهرباء تعتمد على النفط، ونخسر مليارات الدولارات نتيجة هذه العملية، فنحن لم ننشئ منظومة متكاملة؛ فقد جلبنا الشركات وتعاقدنا معها على استخراج النفط، ولكننا أهملنا الأنابيب والموانئ والخزانات، وكل هذه مسائل عويصة وكبيرة.

لا أحد في هذا البلد يقول إن مصفى بيجي فقط كان يوفر نصف حاجة العراق، ونحن حاجتنا ستمائة ألف برميل يوميًا، ثلاثمائة ألف من بيجي، وثلاثمائة ألف من جميع المصافي الأخرى، إذن هذا النصف متوقف، ولا توجد لدينا أموال لنشتري النفط المكرر من الخارج، والحمد الله، فالعراق كله يمشي كالساعة بدون مشكلة، ولم تحصل أي أزمة وقود للسيارات أو للحاجة في العراق كله، ونصف تكرير النفط متوقف ولا توجد أموال لكي نشتري، فكيف حدث هذا ومن يديره؟ لا أحد يفكر طالما لا توجد مشكلة، ولكن عندما تحدث مشكلة وتقف السيارات طوابير طولها أربعة كيلو مترات ويقف المواطن يوما ونصف اليوم لكي يحصل على الوقود، وقتها سيعرف قيمة ما عنده، فإدارة بهذا الشكل كانت تجري بصمت، ولولا السؤال لما تكلمت، لأننا نقول:

يجب أن نفعل، وفعلنا هو الذي يقول، وهذه ثمانية أشهر مضت منذ أن تسلمها حتى الآن، وهذه هي النتائج، وفي النقل تابعوا وراقبوا النتائج، وكذلك أينما نضع رجالنا، وأرجو منكم أن تقيموا بموضوعية.

اختيار الأكفاء لمواقع المسؤولية بالنسبة لنا أصل، ونحن من القوى القليلة التي عندها لجان خاصة تختبر الأشخاص قبل أن ترشحهم إلى أي موقع، ويجب أن يكون كفوءًا وجديرًا بالموقع الذي هو فيه، ونحن من القوى القليلة التي لديها مؤسسة خاصة اسمها (تجمع شؤون الدولة) عملها مراقبة رجالنا في الدولة وإعادة تقييمهم بين فترة وأخرى، والتأكد هل يخدمون بشكل صحيح؟ ونقدم لهم الأفكار والخطط، وهناك لجان تعمل لكي يكون أداؤهم مميزا ويخدموا الناس بشكل صحيح في المواقع التي هم فيها.

تعليقات مختصرة

بشأن مدينة حديثة الصامدة، أنا شخصيًا مذهول لصبر وصمود حديثة، فقد سطر أبناؤها الشرفاء الكرام ملاحم وقدموا ملمحًا من ملامح الوطنية، فهنيئًا لنا بهم وهنيئًا لهم بهذه التضحيات، ونعمل جاهدين على توفير السلاح، وقد كلمت الأخ العبادي بخصوص حديثة والمناطق الأخرى الكريمة.

بخصوص عقد مؤتمر لشيوخ العشائر، فهذا المؤتمر منعقد، واليوم يخرج بهذه النتائج، وإذا تطلب الأمر سنعقد المؤتمر الثاني والثالث والرابع، ونبقى نصرخ وندافع عن حقوق بلدنا.

بشأن معاناة (سليمان بيك) والحويجة، فالفرج قريب، وسوف يُحل جزء من معاناة هذه المناطق، وأنا مطلع على أنشطة بهذا الاتجاه، وسيعود أبناؤها سالمين غانمين إلى مناطقهم بإذن الله تعالى.

بشأن بناء وطن قوي وعزيز ومنسجم ومزدهر، فإن توزيع الأدوار، وتقاسم المواقع والخدمة بين المتصدين، وتطمين جميع الأطراف، تمثل المدخل الصحيح لتحقيق ذلك، ونسأل الله أن يعيننا.

شكرًا لتشريفكم، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد السياسي [٢٤٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم حضوركم وتلبيتكم هذه الدعوة إلى مكانكم ومضيفكم.

ولادة الرسالة الخاتمة

لا بُدَّ لي من أن أبارك لكم ذكرى المبعث النبوي الشريف، التي تتزامن مع ذكرى الإسراء والمعراج، هذا اليوم الكريم وما يحمله من رسائل مهمة وقيمة، وهو يتزامن أيضًا مع اليوم الوطني للمقابر الجماعية، في السادس عشر من هذا الشهر، ونترحم على شهدائنا الذين غُيبوا في تلك المقابر الجماعية، ونتمنى أن نكون ممن يسير على نهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

حينما يجري الحديث عن البعثة النبوية في القرآن الكريم، فواحدة من الآيات التي تشير إلى هذا الأمر، هي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[٢٤٦]، فالمشروع الإصلاحي العظيم والكبير الذي أرسله الله (سبحانه وتعالى)، أرسله على يد واحد من البشر، فيه سمات البشر، وقد وردت سمات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في آيات الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[٢٤٧]، وقوله: ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ

٢٤٥. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٦/ ٥/ ٢٠١٥

٢٤٦. سورة الجمعة: الآية ٢

٢٤٧. سورة الكهف: الآية ١١٠

وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[٢٤٨]، فهيئته هيأة بشر، وسلوكه سلوك بشر، ومتطلباته الإنسانية متطلبات بشرية، ولكن هذا الإنسان قادر على أن يبلغ هذا المستوى من الشموخ، ليحمل رسالة السماء ويكون مصلحًا عالميًا، ويكون سيد الأنبياء والمرسلين إلى غير ذلك.

وإشارة أخرى ونحن في المبعث النبوي الشريف؛ لدينا ولادة الرسول، ولدينا ولادة الرسالة المتمثلة بالبعثة النبوية، وما نلاحظه أن مبدأ تأريخ المسلمين ليس أيًا من الولادتين، فالتأريخ لدى أحبتنا المسيحيين يحسب بولادة الرسول، إذ يبدأ من ولادة السيد المسيح، ولكن التأريخ الإسلامي يبدأ من الهجرة النبوية الشريفة، وكانت بعد ثلاثة عشر عامًا من البعثة، وبعد خمسة وخمسين عامًا من ولادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحينما نعرف أن الإمام عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي اقترح اعتبار الهجرة مبدأ لتأريخ المسلمين، فعلينا أن نقف طويلًا لنرى ما الدوافع والأسباب والخلفيات التي جعلت مبدأ التأريخ الإسلامي هو الهجرة؟.

نجد أن الهجرة هي المنطلق لبناء الدولة التي أنشأها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مدينة يثرب، إذن فبناء الدولة، الكيان الجامع، له مثل هذه التأثيرات العظيمة والكبيرة في حركة المجتمع، حتى اعتُبر مبدأ لتأريخ المسلمين في حياتهم.

ديوان بلون العراق

كما ذكرتم، فإن هذا الديوان ليس مركزًا من مراكز القرار في البلد، فنحن لا نتخذ قرارات في هذا الديوان، بل يجتمع الطيف العراقي بجميع ألوانه الكريمة والطيبة؛ نجتمع بقومياتنا، بمذاهبنا، بدياناتنا، بتوجهاتنا السياسية المختلفة، ونطرح المحاور الساخنة في الساحة، ونقوم بهذا العصف الفكري الذي نطرح فيه الأفكار، لكي تكون لكل منا فرصة أن يبدي رأيه، وتكون له فرصة أن يستمع إلى آراء الآخرين.

كيف نفكر؟ كيف ننظر إلى الأمور؟ ما هي الزاوية؟ وأشك في أن أحدًا منا سيخرج من هذه القاعة ويقول: أنا لم أستفد شيئًا جديدًا، فهذا التنوع هو طرح وقراءة للحوادث والأمور والظواهر بتفسيرات متعددة؛ فأحيانًا تكون الظاهرة واحدة، وكلٌ من زاويته يتكامل مع الآخرين، وبالتدريج يساعدنا على أن نخرج برؤية وطنية، وأنا أشاطر من

٢٤٨. سورة الفرقان: الآية ٧

قال إننا بحاجة إلى أن نكوّن رؤية، فمع غياب الرؤية نكتفي بوصف المشاكل والتشكي منها ونندب أحوالنا، وهذا لا يمكن أن يعالج التحديات الكبيرة التي نواجهها.

نحتاج إلى وصف دقيق للمشكلة، وتحديد رؤية إستراتيجية لمصالحنا الوطنية، ومصالحنا كمكونات ضمن المصلحة الوطنية، وأن نبني هذه الرؤية وننطلق منها للمعالجة، أما ماذا قال الكونغرس، والدولة الفلانية ماذا تقول، فإن قرار العراق بيد العراقيين أنفسهم، وليس بيد الآخرين، فالآخر يقرر لنا ما ينسجم مع مصالحه، فالدول ليست جمعيات خيرية، بل كل دولة تحدد تقديراتها على ضوء مصالحها؛ ما هي المصلحة الأمريكية؟ وما هي المصلحة السعودية؟ وما هي المصلحة التركية؟ وما هي المصلحة الإيرانية؟ فهل نبقى نرهن تأريخنا ومشروعنا ومصالحنا بالمصالح الأخرى؟ أو نحن كعراقيين نقدر مصلحتنا ونتفق عليها، ونعمل جاهدين لنبحث عن مساحات الالتقاء بين مصالحنا ومصالح الآخرين، فنختلف معهم في أمور، ونتفق في أمور، ونوسع مساحة المشتركات، ولكن علينا أولًا أن نقدر كعراقيين ما هي مصالحنا.

الوحدة خيارنا الطبيعي

أعتقد بأن الوحدة طوعية، فلا أحد يستطيع أن يجبر الآخرين على الشراكة، وكلنا قرر مصيره في ظروف سابقة بأن نكون معا في مركب واحد اسمه العراق، هذا قرارنا مجتمعين، ولا يتغير هذا القرار إلا نتيجة تعقيدات وإشكاليات، واليوم حين نسأل الإخوان في كردستان لماذا تقررون أو ترغبون أو تفكرون بالاستقلال، أيًا كانت الخطوات المتخذة باتجاه استقلال كردستان، فسوف يعرضون معاناة معينة تجاه هذا الواقع، واليوم من يحمل شعار الأقاليم أو التقسيم، سنةً أو شيعة أو أي جهة أخرى، حين نقول له: لماذا؟ فسيبدأ فورًا بسرد مجموعة من المشاكل، وهذا يعني أن الحالة الطبيعية أن نبقى موحدين باختيارنا، وما يعيق هذا الأمر وجود تعقيدات وإشكالات، فبدلًا من أن نستسلم لهذه الإشكالات ونذهب إلى خيارات التقسيم لنعُد وننظر ما هي هذه الإشكالات؟ وأيها حقة؟ وأيها ليست حقة؟ وأيها بسقف عال؟ وأيها بسقف معقول وينسجم مع مصالح الآخرين؟ ثم ننطلق لحل هذه الإشكالات فتذوب هذه الطموحات.

الطموح الكردي في الاستقلال كما ذكر إخواننا اليوم منذ سنة (١٩٤٦)، ونحن اليوم في سنة (٢٠١٥)، أي عمر هذا الطموح سبعون سنة ولم يُنفذ، إما لأن الظروف لم تسمح، أو وجدوا فرصة للتفاهم، فإذا تأخر هذا الحلم الكردي سبعين سنة، فلا يضر أن يتأخر سبعين سنة أخرى إذا ما وفرنا المناخات الصحيحة التي تجعلهم مندفعين ضمن

عراق واحد، فيجب أن نجعل المصلحة الكردية في العراق الموحد، والمصلحة السنية في العراق الموحد، والمصلحة الشيعية في العراق الموحد، والمصلحة المسيحية والصابئية والإيزيدية في العراق الموحد، ولكي تكون هناك مصلحة للجميع، يجب أن نأتي ونقدر أين هي العقبات والإشكالات، وكيف نعالجها.

إذا أردنا أن نناقش قضية الوحدة أو التقسيم، فعلينا أن نناقش أسباب الفرقة والخلاف، أو أسباب الوحدة بيننا، تلك يجب أن نبحثها، لأن التقسيم أو البقاء موحدين نتاج للفرقة أو لحل المشاكل الداخلية بيننا.

مشاكل التقسيم أكبر

سياسة الاستعمّار تأريخيًا هي (فرّق تسُد)، فهل نستجيب لهذا الأمر؟ أو نستحدث سياسة جديدة ومبدأ جديدًا ونقول: (اجمع تقُد)، فإذا أردنا أن نقود وطنًا واحدًا ومشروعًا واحدًا فعلينا أن نجمع ولا نفرق؛ نجمع الأطراف ونتحمل المنغصات لأننا شركاء، وفي داخل البيت الواحد توجد شراكة بين الزوج والزوجة، وبين الزوجين وأبنائهم، هذه مشاركة عائلية، وأحيانًا توجد مشاكل بين الزوج والزوجة، ولكن يتحمل بعضهم بعضًا، إذ تضحي الزوجة أو يضحي الزوج، صحيح أن الحياة أصبحت فيها مرارة نتيجة عدم الانسجام، ولكن المرارة أشد بتفكك هذه الأسرة، فيتحمل المرّ ليتخلص مما هو أمر منه، فإذا كان بين الأولاد مثلًا ابن سيئ الخلق والسلوك، فماذا أفعل؟ هل أرميه في الشارع؟ هذا غير ممكن لأنه ابني، فأعلمه، أنصحه، أشجعه، أحفزه، استخدم جميع الوسائل، وأبقى أتحمله مع كل ما فيه من معاناة لأنه ابني، فكما نستخدم هذا المبدأ في إطار الشراكة العائلية، أي مبدأ تحمل الشريك، ففي إطار العائلة الأكبر، الوطن، علينا أيضًا أن يتحمل بعضنا البعض الآخر، ولا نزهد بشريك لوجود مشكلة، لأن هذه الشراكة بقدر ما فيها من مشاكل وإزعاجات، فإن فض الشراكة فيه مشاكل أكبر.

لماذا عندما نصل إلى الوطن وإلى شراكتنا ووحدتنا سرعان ما نزهد بهذه الأمور ونغفل عنها أحيانًا؟ فإذا أردنا وحدة فإننا نحتاج إلى رؤية موحدة لمصالحنا، لمشتركاتنا، لثوابتنا، لإطار جامع بيننا، وإذا استطعنا أن نحقق هذه الرؤية المحددة وانبثق منها موقف موحد؛ وحدة رؤية ووحدة موقف، فسوف تتحقق الوحدة ونبقى مرتبطين بعضنا ببعض، على العكس مما لو ذهبنا إلى ردود أفعال وانفعالات، واتخاذ مواقف سريعة لوجود أخطاء هنا وهناك، والأخطاء موجودة لدى الجميع، ولدى جميع المكونات رؤى معينة وهناك من يتحدث بلغة غير مرضية لسائر الشركاء، وهناك مشاكل ومعاناة،

لا أحد ينكر ذلك، ولكن علينا أن ننظر ما هي المعاناة الحاصلة في الخيار الآخر، لكي لا نذهب إلى الأسوأ لا قدر الله.

الجبهة الداخلية أولًا

منشأ الفرقة قد يكون خارجيًا أو داخليًا، والفرقة الخارجية غالبًا ما تعتمد على القوى الداخلية، فإذا حققنا تماسكًا داخليًا فوتنا الفرصة حتى على الأجندة الأجنبية أن تعبث فينا، فالأجنبي يبحث عن فريق وأدوات، وهم أناس يغريهم بأموال أو وعود أو بقضايا معينة، فيصبحون أداة لذلك الأجنبي ومشروعه وأجندته الخاصة.

إذن يجب أن نركز على الجبهة الداخلية، فحتى التهديد الخارجي منشؤه في أغلب الأحيان منشأ داخلي، أي يتخذ أدوات داخلية، فكيف نعالج أوضاعنا الداخلية؟ وكيف نعالج مناشئ الفرقة الداخلية؟.

يوجد اختلاف سياسي، وأنا أشاطر الأعزاء الذين أشاروا لهذا الأمر، وأعتقد بأن جوهر المشكلة خلاف سياسي، ويوجد خلاف مذهبي ديني، ولكن كما أعتقد فإن المشكلة في العمق ليست مشكلة مذهبية ولا مشكلة دينية في العراق، فالمسلمون والمسيحيون عاشوا في هذا البلد تأريخًا طويلًا، وكذلك الشيعة والسنة، ولكن الصراع السياسي يأخذ لبوسًا مذهبيًا ودينيًا أحيانًا، وقد يكون منشأ الاختلاف أحيانًا قوميًا، والقضية القومية أكثر وضوحًا، ولكن المشكلة السياسية حين تطغى يتجه كلٌ إلى قوميته، فهي في الواقع مشكلة سياسية، والدليل أنها تزداد أو تقل بحسب مستوى الوئام السياسي، أو المشاكل والأزمات السياسية في البلاد.

إذن فالمشكلة في جوهرها سياسية، ويجب ألاّ نجمع، بل نحدد ونضع النقاط على الحروف ونقول مشكلتنا سياسية، وكما ذُكر، فإن النسيج المجتمعي العراقي نسيج عشائر وقبائل وتواصل ومصالح، وزيجات عابرة للمذاهب والقوميات بنسبة (٣٠٪)، أي ثلث الزيجات في العراق بين لون ولونٍ آخر، فإذن يوجد امتزاج كبير في المجتمع العراقي، ومن الصعب تفكيكه، فماذا نصنع؟ وكيف نتعاطى مع هذه الأمور؟.

معالجة مناشئ الفرقة الداخلية

إذا أردنا أن نواجه الفرقة فنحتاج إلى:

الأمر الأول: أن نغلب عنوان المواطنة على العناوين الأخرى، لأن مذهبًا معينًا

لا يستطيع أن يجمع المذاهب المتعددة، وقومية معينة لا تستطيع أن تجمع القوميات المتعددة، ولكن الوطن عنوان جامع للمذاهب والقوميات والأديان، والتوجهات السياسية، والتنوع العشائري والقبلي والمناطقي، إلى غير ذلك، وهذا ليس شعارًا، فعلينا أن نضع خطة وإجراءات كيف نقوي حس المواطنة، وكيف نغلب ونقدم المواطنة على الاعتبارات الأخرى.

الأمر الثاني: الموضوعية، النظر بموضوعية للخيارات، أي دراسة الخيارات وتبعاتها؛ فالتعاطي مع هذه المشاكل فيه هذه التبعات، والذهاب إلى خيارات التقسيم والانفصال فيه هذه التبعات، فندرسها بشكل موضوعي وعلمي وليس بطريقة عاطفية ومشاعرية وانفعالية، واليوم شارعنا يتحرك هنا وهناك لاعتبارات انفعالية أحيانًا، وليس دائمًا بدراسة واعية لعمق المشكلة، وعمق الحلول المرجوة والمطلوبة.

الأمر الثالث: الاعتدال، في الفعل، وفي القول، وفي السلوك، وفي التعاطي مع الآخرين، ونحن شعب شرق أوسطي، وشعوبنا تتأثر بالحالة المشاعرية، وأنتم نخب وبعضكم قال: إن الكلمة الفلانية التي قالها قائد في فضائية استفزت مشاعرنا، فالإنسان لحم ودم وتتحرك مشاعره، وأخطر ما نخشاه على أنفسنا هو موقف المتشددين من جميع الاتجاهات؛ أن ندفع بعضنا لأن يفكر بخيارات لم تكن مرجوة، ونحن لدينا الكرامة أهم من أي اعتبار، وأي منا في لحظة ما إذا شعر أن كرامته تُمس في وحدة العراق وبالتصاقه بشركائه، فلن يقبل، وندخل بمعارك نتيجة غياب صوت العقل والاعتدال، إذن نحن بحاجة لنضع حدا لهذا الموضوع.

الأمر الرابع: تعريف الثوابت والمشتركات الوطنية، المصالح الوطنية، المخاطر الوطنية، العدو المشترك، ما هي الروابط الحقيقية؟ أين هي مشتركاتنا؟ وما هي المخاطر التي ستحصل أمامنا إذا تفرقنا وتقسمنا وكل ذهب إلى شأنه؟.

الأمر الخامس: أن نعي أن حقوق بعضنا هي التزامات البعض الآخر، والتزاماتنا هي حقوق الآخر علينا، فكما أطالب بحقوقي عليّ أن أؤدي التزاماتي تجاه الآخرين، ومن هذه الالتزامات حقوق الآخرين.

ماذا تعني المصالحة؟

يمكن أن يقول بعض الإخوان في المكون السُني الكريم إن المصالحة هي إطلاق سراح المعتقلين، العفو العام، اجتثاث البعث والمساءلة والعدالة، وهذه كلها بقدر ما

تطمئنك تقلق الآخرين، وكذلك بما يخص الكرد، فالقضايا التي يطرحونها بقدر ما هي تطمئنهم، ستقلق العرب شيعة وسنة، وعندما تأتي للعرب وتسألهم عن مشاكلهم سيضعون أمامك مجموعة من القضايا، ولكنها بقدر ما تطمئنهم تثير قلق الآخرين.

نحتاج إلى رؤية جديدة نضع فيها حقوق الجميع وواجباتهم، فالمصالحة ليست تلبية احتياجات السُنة ولا الكرد ولا الشيعة، بل المصالحة تلبية احتياجات الجميع، وتلبية احتياجات الجميع تعني أن الجميع عليه أن يدفع فاتورة المصالحة، والجميع من حقه أن يفرح وينتفع بفوائد المصالحة، فإن المصالحة التي يخرج فيها طرف منتصرًا ويقول: لقد حققت ما أريده، وتخرج أطراف مطأطئة رؤوسها لشارعها وخجلة ومتهمة باتهامات مختلفة، هذه ليست مصالحة، فالمصالحة الحقيقية هي التي يخرج فيها الجميع مرفوعي الرؤوس إلى شارعهم، ولا تقولوا ماذا أعطينا، بل قولوا على ماذا حصلنا، وكل طرف بيده شيء يعطيه لجمهوره، وحلاوة المكتسبات تغطي على مرارة ما نعطيه وما نقدمه للآخرين.

لدينا مشروع يتضمن مطالب الجميع، وأنا أسميه التسوية التأريخية، والمشروع الجامع المطمئن للجميع؛ ما هي المطالب التي تريدونها؟ ما هو الذي ينسجم مع الدستور؟ واليوم صباحًا اكتملت طباعته بعدة صفحات، ونريد أن نبدأ بعملية هادئة نعطيها للناس، وهذه بداية أولية، وكلٌ سيجد مطالبه موجودة، ولكن سيجد مطالب الآخرين أيضًا موجودة، وبعض الأوراق التي قُدمت من مكونات مختلفة صياغتها ليست أنيقة، وعندما أرادوا أن يغيروا الصيغة، قلنا لهم: لا، فما هو مطلب للآخرين اتركوه بصيغته حتى لو كانت فيه أخطاء إملائية، إذ يجب أن يرى ما كتبه موجودًا في الورقة، وعندما يتفق لا يرى في تغيير الصياغات هدفًا معينًا أو تغييرًا في شيء، ونحن مشكلتنا ليست مشكلة لغة أو نحو، بل مشكلتنا مشكلة سياسية، ونحاول ونسعى إلى أن نقدمه، وإن شاء الله من يطلع عليه منكم يضيف أيضًا، وهذه ورقتكم، ورقة العراقيين، وإن أردتم التبرؤ منها فنحن مستعدون أيضًا، فالمهم أن تمضي وليس المهم مَن صورها، والمهم أن تكون رؤية جامعة للعراقيين.

مشاكل التقسيم

باختصار شديد إخواني الأفاضل وأخواتي الفاضلات، إن قول البعض إن الجو العام كأنه قابل وراضخ للمشاكل تحت وطأة الضغوط، وكل يمشي بدربه، آلمني وأقلقني شيئًا ما، فأنا شخصيًا متفائل جدًا بإمكانية التغلب على المشاكل، وإمكانية الحفاظ على

الوحدة العراقية طوعًا وليس إكراهًا، وكلما جلست مع إخواني وقلبنا الأمور المترتبة على ذهابنا للتقسيم وماذا سيحصل، وكلما دققنا أكثر، وجدنا أهوالًا ومصائب ومشاكل ستعم الجميع من دون استثناء.

المشكلة الأولى:

أول مشكلة كما لمّح بعضكم هي مشكلة الحدود، فنحن ضمن عراق واحد لدينا معركة منذ اثنتي عشرة سنة، تخص المناطق المتنازع عليها، والمادة مئة وأربعين، وبين المحافظات الغربية الكريمة توجد مشاكل، وبين المحافظات الجنوبية توجد مشاكل، وبين المحافظات الشمالية في كردستان توجد مشاكل، وبين محافظات عدة؛ الغرب مع الجنوب والشمال مع الغرب، فنحن ضمن عراق واحد ومتحسسون من هذا وذاك، إذن لو أصبحنا دولا فمن سيحل هذه المشاكل؟ هذه مشكلة كبيرة، ومشكلة إخواننا الكُرد في هذه النقطة مع إخواننا السُنة أكبر منا، لأن ثمانين بالمائة من المناطق المتنازع عليها مناطق مع إخواننا وعشائرنا السُنية العربية الكريمة، وأحيانًا مع مناطق تركمانية، في الأعم الأغلب هكذا، ولو كان هناك طائفيون لقلنا اذهبوا ولتكن مشكلة بين السُنة والكُرد بدل السُنة والشيعة، ولكن هذا ليس منطقا وطنيا، ولا نقبل بهذا، ونفس الكلام بالنسبة للمناطق الأخرى، وأنا لا أعتقد بأننا ذاهبون إلى التقسيم، وإذا ذهبنا لا سمح الله فستكون هناك حمامات دم تجعلنا نترحم على يومنا هذا، هذه هي المشكلة الأولى بين الدول الثلاث أو الأربع، أو مهما كان عدد هذه الدول.

المشكلة الثانية:

توجد مشكلة ثانية كبيرة داخل هذه الدول، إذ هناك تنوع كبير في الساحة السياسية؛ ففي الساحة السنية تنوع كبير، وفي الساحة العشائرية هناك من لا يرحب بالسياسيين، وتوجد ساحة مسلحين لا تستلطف السياسيين ولا العشائر، فيوجد تنوع كبير، وحين تتكون دولة سنية، سيأتي يوم تترحم فيه النخبة السياسية السنية الكريمة على وضعنا الراهن، وتقول: كنا نعيش في عراق موحد على الأقل، وكنا نمثل هذا المكون، فالمستفيد الوحيد من الدولة السنية هو داعش والمتشددون؛ إما أن تبايع أو يُقطع رأسك، فلا الجمهور السني سيستفيد من الإعمّار والبناء، ولا النخبة السياسية السنية، ولا العشائر تأخذ دورا أبدًا في هذه النقطة.

كرديًا: ليتحملني إخواني في كردستان، فلا بُدَّ من أن أبين وجهة نظري؛ أعتقد

بأن الخارطة السياسية الكردستانية فيها الكثير من التنوع أيضًا، ونرى اليوم المشاكل في قضية رئاسة الإقليم وفي القضايا السياسية المختلفة، وقد يتوحدون أحيانًا في موقف تجاه بغداد أو قضية فيها حقوق للكرد على الدولة العراقية، ولكن في قضاياهم الداخلية في إقليم كردستان هناك جدل ساخن أكثر مما هو في الإعلام، وهناك قضايا أخرى لا نعرفها، وأنا أسمع التشكي من القيادات الكردية من حجم الخلافات السياسية في الساحة الكردية، فإذا كنتم إقليمًا ولديكم كل هذه المشاكل، فكيف إذا أصبحتم دولة؟.

شيعيًا: لدينا تنوع كبير أيضًا؛ كيف ستدار الأمور في هذه الدولة الشيعية؟ ومن يقود؟ وكيف يقود؟ فستبرز الكثير من التحديات والطموحات والرغبات وإلى آخره، من المجموعات التي تحمل السلاح اليوم وتقاتل، ومن المجموعات السياسية.

المشكلة الثالثة:

هناك تحديات في تعامل هذه الدول مع الخارج؛ فكل من هذه الدول الثلاث لها تحدياتها الخاصة بها، فدولة شيعية في بحر سني محيط بها لا يوجد عندها غير إيران التي قد تتفهم ولديها حدود، وما سواها كلها بحر سني، ودولة عربية شيعية وسط هذا العالم العربي لن تكون موضع ترحيب ولن يتفهموا هذا الشيعي بهذه الطريقة، ولديها ثروات ونفط وإمكانات، وستستغل الصراعات المذكورة في النقطة السابقة، فهذه الدولة ستكون مع هذه الجهة، والدولة الثانية ستكون مع تلك الجهة، وستبقى حالة غريبة ضمن بيئة عربية متحسسة مذهبيًا إلى حد كبير، وهذه حقيقة، وجزء من مشاكل العراق جرّاء هذا التحسس الإقليمي من دولة محورها الشيعة والكرد كما يقال في وضعهم وبروزهم، فكيف إذا أصبحت هناك دولة شيعية.

توجد مشكلة مع الدول التي لديها مكونات كردية كما أشرتم في مداخلاتكم؛ فإيران لديها كرد سيسعون إلى قيام دولة على غرار الكرد العراقيين، وكذلك في تركيا؟ وإذا كانت ظروف سوريا الآن صعبة وليست لديها فرصة، فإن دولتين كبيرتين هما إيران وتركيا لديهما مكون كردي كبير، ولن تقبلا ولن تنسجما مع هذا الموضوع، بل ستدخلان في حروب مع كردستان، ومصالح كردستان مرتبطة بإيران وتركيا اقتصاديًا وغير ذلك، فمن أين ستصدر كردستان النفط إذا لم يكن لديها أنبوب إلى جيهان؟.

إذن، فضلًا عن المشاكل داخل الإقليم، ستكون هناك مشاكل مع هذه الدول، وكذلك ستكون هناك مشاكل مع البحر العربي، ومنه العراق المتبقي، وبذلك تكون محاطة بدول غير متفهمة وغير راضية عن وجود دولة كردية.

وإخواننا الكرام في المنطقة الغربية كذلك، فإن قيام الدولة السنية الكريمة سيواجه أيضًا على المستوى الإقليمي مشاكل كبيرة واضحة بالنسبة إليهم من جميع الأطراف.

المشكلة الرابعة:

العراق ليس الصومال أو جيبوتي، وقد رأيتم ما حصل في السودان والحروب الطاحنة بين الشمال والجنوب، الحروب بين الشعب السوداني على القليل من النفط، وانحياز دول المنطقة لهذه الجهة أو تلك، وحين زارت قيادات سودانية العراق مروا بي، وكانوا نادمين جدًا على تقسيم بلدهم، وقد قالوا: كيف أخطأنا هذا الخطأ التأريخي؟ لقد زادت مشاكلنا مئة مرة عما كانت عليه عندما كنّا متوحدين.

فلا تتصوروا أحبتي أن التقسيم يمثل خيارًا، فالمشاكل ستصبح أضعافًا مضاعفة، وكذلك الخسائر والتضحيات، واليوم نحن في إطار العراق يحتمي الجميع بالجميع، وكل طرف يقوى بالآخر، فنحن أمام واقع فيه مصالحنا جميعًا، بالرغم من الإشكالات التي نسجلها على أنفسنا.

تقسيم العراق مصلحة إسرائيلية، فأي تشظٍ في الدول العربية والإسلامية في المنطقة لصالح إسرائيل، وهذه لا تحتاج إلى نقاش، فإسرائيل هي المستفيدة أولًا من كل ما سمي بالربيع العربي أو الخريف العربي.

داعش عدو الجميع

السُنّة اليوم تحمل تبعات داعش، وهم المتضررون أيضًا، ومن آواهم، ومن احتضنهم، ومن رضي بهم، ومن رضخ لهم، في لحظة غضب تجاه إساءات وإشكالات أو نتيجة تحريض إلى آخره، احتمل أن تكون هذه فرصة للتغلب على مشكلة أكبر، فتبين له العكس، واليوم يوجد ندم عام، وتحفظ شديد من كثير من الأطراف، ويجب أن نعترف بأنه ما زالت بنية داعش في مساحة كبيرة منها يقودها العراقيون، وهذه حقيقة يجب أن نقبلها وأن نعمل على معالجتها، ولكن هؤلاء هم عدو لجميع العراقيين.

بخصوص كون الشيعة أكثر المتضررين، نعم، فداعش يستهدف الشيعة بعنوانهم

ويقولها دائمًا، وقد خيّر إخواننا المسيحيين في الموصل بين أن يدخلوا في الإسلام ويصبحوا مسلمين، أو أن يدفعوا الجزية، أو أن يغادروا، وإلاّ فمصيرهم القتل، أربعة خيارات، وإخواننا السنة من الجيش والشرطة والموظفين الحكوميين يأتون للتوبة ويبايعون الخليفة، إلاّ الشيعي؛ فلا يوجد عنده خيار إلاّ الموت، فالرافضي خياره الوحيد هو القتل، ومن استهداف الشهيد الحكيم في (٢٠٠٣)، والبيانات التي أصدرها الزرقاوي، وجميع الذين جاؤوا بعده، جميع بياناتهم طائفية لقتل المشركين والكفار والروافض، فنحن مع المشركين والكفار، هذا هو منطقهم، والكردي مرتد، والسني مرتد، والمرتد يستتاب فيعود إلى الحكم الشرعي الفقهي، إلاّ الشيعة، وكل استهداف واسع بعنوان الشيعة، فالسُني والكُردي يُستهدفون لأنهم مختلفون معهم سياسيًا، وهذا ليس كلامًا طائفيًا، بل وصف للحقيقة، وتحملنا الكثير من التضحيات، ولكن اليوم نحن جميعًا في جبهة واحدة وفي خندق واحد.

تعقيبات مختصرة

بناء العراق يجب أن يحظى بأولوية: بالفعل، فإن الذي يشد الناس بعضهم لبعض هو وطنٌ يعطي كرامة، يعطي حياة، يعطي إعمارًا وازدهارًا وخدمة وإلى آخره، فهذا ما يجب أن نعمل عليه، ونتجنب الأمور الأخرى.

الدستور لم يعد كافيًا لضمان وحدة العراق: مشكلتنا ليست الدستور، ولا المبادئ العامة، بل مشكلتنا أزمة الثقة، والنبرة المتشددة التي تحرك المشاعر بطريقة معينة، والاختلاف في التفاصيل.

الفيدرالية: نعم، في بلد تعددي عندما تشعر الأطراف بأن لها فرصة في كل محافظة أو يزيد، وبالطبع ليس بالضرورة أن يكون ذلك في كل محافظة، حتى يصبح لدينا ثمانية عشر إقليمًا، بل يمكن أن تتفق أكثر من محافظة مع بعضها، ولكن من الخطأ أن يكون الإقليم على أساس مذهبي أو طائفي، أو أن تكون هذه الأقاليم نتيجة الخصام، يجب أن نذهب إلى الأقاليم بحالة رخاء وانفتاح، وتكون الفيدرالية سببًا لمزيد من الوحدة، والأقاليم تأخذ صلاحيات بما هو حقها، وتعطي صلاحية المركز بما هو حق المركز، فوجود أطراف قوية وقلب ضعيف يقتل الإنسان، ونحن نريد أطرافًا قوية وقلبًا قويًا، هذه هي نظرية المجلس الأعلى التي طرحها في (٢٠٠٥) و(٢٠٠٦)، حكومة اتحادية قوية في بغداد وأطراف قوية، هذا هو المطلوب، وهذا يحصل في حالة الاحترام المتبادل، وأعتقد بأن دستورنا فرز الصلاحيات بشكل صحيح، ويجب أن تتم بهذه الطريقة.

الوحدة: يجب أن نحول الوحدة إلى خطط وتصورات ورؤية ومشروع واضح، سياسي أمني اقتصادي، وخطوات محددة وخارطة طريق، ونمضي بشكل واضح لكي نتغلب على مشاريع التقسيم والأجندة التي تقف وراءها.

خطر التقسيم على دول الجوار: بالفعل، يمكن امتداد التقسيم لو حصل لا قدر الله إلى دول المنطقة، وهذا يجعل لدول المنطقة مصلحة مع العراق في إيقاف مد التقسيم، ولكن المشكلة أن البعض من هذه الدول يجلس الآن مرتخيًا، إلى أن يشعر ويقول: (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)، فكيف نقنعهم، وكيف نشعرهم بأن تقسيم العراق سيؤدي إلى تقسيم بلدانهم أيضًا؟.

قوة البلد بقوة مكوناته الاجتماعية: إن مكونات ضعيفة، منقسمة، لديها معاناة، لن تستطيع إنجاز تسوية تأريخية أو اتخاذ قرار لوحدة طوعية حقيقية، فنحتاج إلى أن نكون أقوياء جميعًا.

توازن القوى لا يسمح بالتقسيم: لا ينظر الجميع بهذا العمق والمنطق، نعم من الناحية الواقعية ما يقوله الأخ الكريم هو كلام حق، ولكن لا يوجد التفات لهذا الأمر، وحين يتقسم العراق سيمتد بشكل تلقائي، لأنه يوجد واقع جغرافي وديموغرافي وتنوع مجتمعي، وهو سيفرض نفسه ويعبر الحدود.

دور المرجعية الدينية في مسارات الوحدة: إن دور المرجعية هو صمام أمان، بموقفها ونصرتها للجميع ودفاعها عن القضايا الحقة للجميع.

دور الاقتصاد والمال في وحدة العراق: لا نزهد بهذا الأمر، فوجود المال أسهم إلى حد كبير بالحفاظ على وحدة العراق على مدار السنوات العشر الماضية، واليوم للشحة المالية تأثيرات غير إيجابية في وحدة العراق.

المزيج المجتمعي لا يساعد على التقسيم: كلام حق. النصر بات قريبًا بقليل من الثبات، حكمة جميلة، وبالفعل؛ نثبت ونصمد أمام هذه العاصفة، ننحني أمامها ونبحث عن حلول ونخرج بحصيلة، ونكون أقوى مما كنّا.

الفساد الإداري والمالي ودوره بتفكيك وإحباط المجتمع: هذا كلام حق، ويجب علينا مكافحته ومعالجته.

العراق يجب أن يخرج من بوتقته: الأدوار تُؤخذ ولا تُمنح، فقد حدثت الأزمة السورية، فأين نحن منها؟ إصدار بيان؟ يجب أن نكوّن فريق عمل ووفودا تتحرك إلى جميع الأوساط العربية والإسلامية والدولية، ونسوّق ونروج لرؤيتنا في حل الأزمة السورية، وهناك المشكلة اليمنية، ويجب أن نكوّن وفودا تتحرك من أقصى الأرض إلى أقصاها، وندافع ونبشر برؤية عراقية لحل الأزمة اليمنية، وأين نحن في الوطن العربي؟ صوت العراق خافت، هذا العراق البلد المؤسس في جامعة الدول العربية، وأين نحن في المنظومة الإسلامية؟ فالعراق بكثافته السكانية وحضارته وتأريخه وديمقراطيته وتنوعه وثرواته، يجب أن يترك أثرا، فنحتاج إلى دور متزايد.

شكرًا لكم وأعتذر عن الإطالة، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد الإعلامي [٢٤٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، الإخوة الكرام، الأخوات الفاضلات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة، والحضور لهذا اللقاء الوطني بآفاقه، والمتنوع بمشاركاته وحضوره، كما أبارك لكم هذه الأيام الشريفة من شهر شعبان المعظم، شهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والانتصارات التي يحققها أبناؤنا الأبطال في قواتنا المسلحة بجميع عناوينها، وإننا بفضل الله (سبحانه وتعالى) نجد مستوى من الانتصار والتقدم في الساحات المختلفة أسرع مما كان قد خُطط له من قبل قادتنا المختصين والمعنيين بهذا الأمر، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعل الخير والبركة في مثل هذه الأنشطة وهذه الجهود، وهذه التضحيات، والدماء الغالية والعزيزة على قلوبنا التي يقدمها اليوم خيرة أبنائنا وشبابنا في ساحات المعارك في مواجهة داعش.

الإرهاب خطر عالمي

إن الإرهاب ليس خطرًا على العراقيين وحدهم، بل هو خطر على الجميع في المنطقة والعالم، ويومًا بعد يوم تتضح الرؤية اتجاه ما كنا نقوله منذ فترات طويلة؛ من أن الإرهاب لا يمكن أن يكون بندقية للإيجار، فالإرهاب أو التطرف لا يمكن أن يخدم أحدًا حتى لو كانت أهداف الإرهابيين في مقطع زمني معين تنسجم وتتسق مع أهداف هذا البلد أو ذاك، ولكن هؤلاء لا بوصلة لهم في المحصلة، ولا تقدير لهم ولا منطق، ولاحظنا التفجيرات التي تشهدها المنطقة اليوم.

---

٢٤٩. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب الإعلامية الذي عقد بحضور النخب والكفاءات الإعلامية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٥.

إن كان العنوان الذي رفعه الإرهاب هو مواجهة الروافض والشيعة وما إلى ذلك، فإن دولًا سنية كريمة اليوم تتعرض إلى استهداف، والعبث بواقعها الداخلي، ويُستهدف حكامها ونظمها السياسية، ويومًا بعد يوم يمكن أن تشتد هذه القضية إذا لم نعالج الموضوع، فالتضحية في العراق هي تضحية إنسانية، تضحية عربية، تضحية إسلامية، فالجميع سيستفيد من إضعاف العراق للإرهاب، ما دام قد جعل العراق وسوريا محطات أساسية في عملية المواجهة.

الحفاظ على الانتصار

في الحقيقة، كلما كانت الانتصارات الأمنية أكبر كان قلقي أكثر، فعندما يوجد إخفاق نستنفر طاقاتنا وقوانا، ونمتلك من مكامن القوى الشيء الكثير بهذا البلد، وعندما نستنفر قوانا نتغلب على الأخطار مهما كانت، ولكن القلق حينما نكون في لحظات انتصار وانهيار الأعداء وإنجازات كبيرة؛ فالشعور بالنرجسية والارتخاء، والشعور بالرضا وأننا قادرون، هذا الشعور يؤدي إلى نوع من الاسترخاء وإلى مواقف وتفكك ويخاطر بنا.

نحن في انتصارات مستمرة، وعندما تحررت تكريت أصبح لدينا انطباع؛ فهذه سبعة آلاف كيلو متر مربع من العظيم إلى جبال حمرين إلى تكريت كل هذه المناطق تحررت فجأةً، إذن نحن مسيطرون وداعش انتهى، وفي تلك اللحظة عاد داعش ليأخذ مصفى بيجي بما يمثل من رمزية معينة ومصلحة اقتصادية نوعية، وعاد لينقض علينا في الرمادي وفي مواقع أخرى هنا أو هناك، فكلما تحقق انتصار يجب أن نتواضع أكثر، ويجب أن نبقى نقدر الخطر لكي نواجهه.

المشروع السياسي الجامع

كما ذكر البعض منكم، فأنا أضم صوتي لمن قال إن المشكلة ليست مشكلة صوتية بحتة، ومواجهة داعش ليست مواجهة أمنية بحتة، قلناها من أنبارنا الصامدة، وذكرنا سلة من الحلول، وقبل أنبارنا الصامدة منذ سنين نتحدث أن الإرهاب ظاهرة مركبة، ويحتاج إلى معالجة مركبة، فإذا قتلنا القيادات الداعشية فسيأتي بديل، ولن تنتهي هذه المعركة ما دامت في بعدها الأمني، وما دام فيها كسر، إذن بقدر ما نتقدم خطوة في المشروع الأمني والمعالجة الأمنية، يجب أن نتقدم خطوة أخرى في المشروع السياسي؛ المشروع السياسي الجامع المطمئن للجميع.

إذا استطعنا أن نحتضن أبناء شعبنا ونشعرهم بالعمق بأن الخطر عليهم من داعش

وليس من شركائهم في الوطن، ففي تلك اللحظة ستُعزل داعش وسرعان ما يمكن أن تضرب وتضعف بشكل كبير، وفي اللحظة التي نعطي فيها ذرائع لداعش أن يقول: مهما كنت أنا سيئًا فالآخر أسوأ؛ الشريك أسوأ ويمكن أن يضيع عليكم حقوقكم، وأنا الضامن لحقوقكم والحافظ لمصالحكم، فما دام لهذا الكلام صدى ووقع في نفوس أبناء شعبنا، سيبقى موضوع داعش موضوعًا فاعلًا ويستمر.

جميع مواقفهم يحاولون أن يكيفوها مع موقف إسلامي معين، بنظرة معوجة وخاطئة وظلامية، ولكنها تنطلي على الكثير من الناس، ولاحظنا أن بعض أدعياء العلم والمشايخ يقومون بالتنظير لهم، إذ توجد مؤسسة دينية ضخمة، ومؤسسة إعلامية ضخمة، تضخان لصالح هذا الفكر، لذلك علينا أن لا نزهد بالمشروع السياسي، وأن لا نعتبره قضية ثانوية، فالإنسان لا يستطيع أن يمشي إلاّ على رجلين، وكذلك نحن في العراق؛ يجب أن تتزامن الخطوة الأمنية مع خطوة سياسية، بجهد متواضع نبذله خلال شهرين تقريبًا في إنضاج المشروع السياسي، بمبادرة معينة، لا تحمل اسم المجلس الأعلى، ولا تكون عليها بصمة طرف سياسي، وإنما تأخذ الهوية الوطنية والبعد الوطني، وتنظر إلى الأمور نظرة مختلفة عن الجهود السابقة، فالجهود السابقة لو كان يمكن أن تثمر لأثمرت، وعندما لم تُوصلْنا إلى نتائج حاسمة فمعنى ذلك أن هناك مشكلة، ومن جرب المجرب حلت به الندامة.

التجارب السابقة تشير إلى أن المطلبيات لا توصلنا إلى لحمة كاملة وإلى مشروع بناء دولة؛ فطريقة أنا شيعي، وأنا سُني، وأنا كُردي، ولكي نشكل حكومة، فهذه الورقة السُنية، والورقة الكُردية، والورقة الشيعية، هذه مطالبنا، ونضعها في برنامج حكومي، وبعدها نجد أنه من غير الممكن أن تنفذ، وحكومة بعد حكومة بعد حكومة حتى تنتج أزمة ثقة، وتصبح ذريعة لكل طرف، وندخل في جدليات؛ ما هي الثوابت الدستورية؟ وما هي الاتفاقات؟ والاتفاق إذا كان خلاف الدستور كيف أصبح اتفاقًا؟ كيف نوقع على التزام خارج سياق الدستور؟ فهذا بحد ذاته سؤال؛ هل نلتزم بالاتفاقات أو نلتزم بالدستور؟ إذن لماذا نتفق على ما هو خلاف الدستور؟ هذه مشكلة.

المطلبيات غير كافية، إذ تعطي شحنات بسيطة وتنتهي وتبقى المشكلة، ومنطق أعطوني وطمئنوني أيضًا أثبت أنه لا يكفي، لأن كل واحد عندما يريد أن يأخذ لا يوجد سقف للعطاء، والسؤال من أين يعطينا الوطن؟ أنا الشيعي، وأنا السُني، وأنا الكُردي، من أين يعطينا الوطن؟ الوطن يعطيني من كيس شركائي، فما هو عطاء للشيعة نأخذه من السُنة والكُرد، وما هو عطاء للسُنة أو الكُرد نأخذه من الشيعة، وهكذا، يأخذ من

بعضنا ويعطي للآخر، وهنا إذا استطعنا أن نقلب المعادلة؛ فبدلًا من أن نقول للمكونات ماذا تريدون، فتنفتح شهيتنا جميعًا، لنطرح سؤالًا مختلفًا؛ بأن نقول للمكونات ماذا تعطون؟ فيا شيعة ماذا تعطون لكي نصل إلى دولة عراقية عصرية عادلة؟ ويا سُنة ماذا تعطون؟ وأيها الكُرد ماذا تعطون؟ وبالتالي ما هو عطاء هو أخذ من الآخر.

رؤية بناء الدولة والسلم الأهلي

لا توجد تسوية تأريخية بأن نعطي للمكونات، فإقناع مكون لا يحل المشكلة، بل إقناع العراق بجميع مكوناته هو الذي يحل المشكلة، ولكي نحقق ذلك نحتاج إلى:

أولًا: مشروع يحدد ماذا على الجميع أن يقدموا، قبل أن يحدد على ماذا يحصلون.

ثانيًا: مشروع يجمع مطالب الجميع، فورقة سنية، وورقة كردية، وورقة شيعية لا تبني دولة، بل نحتاج إلى ورقة عراقية، وفي المفردات سنرى بالتالي من أين تأتي الورقة العراقية؟ فهي مطلب الشيعي، والسني، والكردي، فهي التي تصنع الورقة العراقية، ولكن بجمعها والتوفيق بينها ضمن إطار الدستور.

مشروعنا هو بناء دولة عصرية، مدنية، عادلة، منصفة للعراقيين، ووضع المطالب المختلفة للمكونات داخل هذه الورقة بشكل صحيح، نحن نؤمن بهذا المشروع، هذه الوثيقة التي هي من تسع صفحات، فيها مشروع بناء دولة لا تحمل اسم الشيعة أو السُنة، إذ كيف تُبنى الدولة إذا لم توفر طموحات وتطلعات ومطالب مكوناتها؟ فهي محاولة لجمع الأوراق والجهود السابقة، ولا تأتي بجديد، ولكنها تسعى إلى أن تنظّر لهذه المطالب بطريقة مختلفة، وبواقع جديد، وتنظم وتهيكل هذه المطلبيات ضمن إطار بناء دولة، وهذا الجهد اكتمل والحمد لله، وبدأنا منذ أيام بشكل هادئ بتوزيع هذه الوثيقة بين مختلف الأطراف، وقلنا: هذه مسودة السلم الأهلي وبناء الدولة، خطوة أولى، فيا أيتها المكونات والقوى السياسية، ويا شخصيات ويا مجتمع ويا نخب؛ ماذا لديكم لتضيفوا عليها أو تنقصوا منها أو تحذفوا؟.

الفكرة الآن أن نوزعها على أوسع مساحة ممكنة، لكي تدرس في جميع الأروقة، كمبادرة لبناء دولة، فبالسر والكتمان وخلف الأبواب المغلقة لن تبنى دولة، ويجب أن تكون مكشوفة وواضحة، فكلما أشركنا العراقيين أكثر وصلنا إلى نتائج أفضل، أو نبدأ بالقوى السياسية، وإذا أتت ملاحظات جدية نرجع لنضيفها على الوثيقة ثم نطرحها إلى الرأي العام، ونقول هذه مسودة، فمن لديه رأي؟ وهذا للشعب العراقي، وكذلك

نريد عرضها على الأطراف الدولية، والأطراف الإقليمية، نعرضها للجميع؛ أصدقاء، شركاء، حلفاء، معنيين بالشأن العراقي، ونقول: إن كانت لديكم اقتراحات فأعطونا إياها ونحن سندرس اقتراحاتكم، والشيء الذي ينسجم مع مصالحنا وواقعنا ودستورنا وتفاهماتنا الداخلية سنأخذه منكم، ونشرك الجميع في أخذ الملاحظات وإنضاج الورقة، وبعد ذلك ستتحول من مسودة إلى وثيقة للسلم الأهلي وبناء الدولة، وبذلك نكون أمام رؤية واضحة ومشروع واضح.

رؤية متكاملة، ووضـوح كامل، والجميع يستفيد، والجميع مشترك، وهكذا سنجعل مصلحة الجميع في دعم هذا المشروع، هذه هي الرؤية للتسوية الداخلية وللمشروع الذي نطرحه اليوم بدون أن نضع اسمنا عليه، وإنما هو جمع لجهود جميع العراقيين التي بذلت خلال السنوات العشر الماضية، نضعها بين أيدي العراقيين بتبويب وآليات وخارطة طريق جديدة، هذا ما حصل وما هو حاصل في هذه اللحظة، وأردت أن أضعكم في الصورة.

خطاب المرجعية

خطاب المرجعية في الدعوة إلى الاستعداد والتهيؤ، يحتاج إلى رؤية ووقفة؛ كيف نستعد؟ وكيف نتهيأ؟ وهذه هي المرة الأولى التي تتحدث فيها المرجعية بصراحة وتربط واقعنا العراقي بالوضع الإقليمي، أن المشاكل العراقية إذا استمرت فسوف تصدر إلى جميع البلدان.

أول تفجير في المملكة العربية السعودية في القطيف الجمعة السابقة، وفي هذه الجمعة تفجير ثان، ولا قدر الله إذا حدث الجمعة القادمة تفجير ثالث، فستبدأ العيون تتفتح على ظاهرة جديدة في المملكة، بدأت في القطيف، والمرة الثانية في الدمام، والجمعة الثالثة أين؟ وهؤلاء لا يعادون أتباع أهل البيت والشيعة وحدهم، صحيح أنهم يريدون أن يوحدوا المجتمع السني، ولكني تابعت اليوم رسالة صوتية لداعش تتحدث عن هذه التفجيرات، وتقسم الشيعة، فقد بدؤوا بتصنيف الشيعة أيضًا؛ الشيعة الشيخية، والشيعة الإخبارية، والشيعة العقلية، وهؤلاء أكثر شركًا من أولئك، وأولئك أكثر شركًا من هؤلاء، والآن نريد أن نبيد شيعة الخليج، وشيعة السعودية وحدها ثلاثة ملايين مواطن.

واهمة جميع البلدان إذا ظنت أن الضعف في العراق إذا وجد انتحاري ولم نستطيع أن نمسك به، فهذا الإرهابي لا يريد أن يفجر نفسه اليوم في الدولة الفلانية، وهو يصنع العبوات من مواد موجودة في الأسواق العامة في جميع البلدان، يعني أرواحهم زهيدة، وعقيدة هؤلاء منحرفة إلى هذا المستوى.

العراق بلد الحضارة والتأريخ، والعراقيون بالرغم من المحن التي مرت بهم لديهم صلابة وثبات، ولكن هل تتحمل الدول الأخرى أيضًا؟ لذلك أدعو للوقوف عند خطاب المرجعية طويلًا، ما كان يخص وضعنا العراقي والاستعداد والتهيؤ المطلوب، أو ما كان يخص الوضع الإقليمي العام.

تعقيبات مختصرة

أين يُنضج الخطاب الوطني؟. يجب أن ينضج في الأروقة النخبوية العابرة للمذاهب والقوميات والمشارب السياسية، فحينما يتداولون ويتشاورون ستبدأ قناعات بالتشكل تدريجيًا في قضايا، وسنبقى مختلفين في قضايا، وهذا أمر طبيعي في بلد بحجم العراق.

المراسلون الحربيون: حقيقة نحن اليوم أمام شباب أبطال، حققوا إنجازًا كبيرًا في تغطية هذه الانتصارات في أماكن حرجة جدًا وفي ساحات القتال الخطرة، واستشهد وجرح بعضهم، ونحن فخورون بهذا الجيل الشبابي من المراسلين الحربيين، ويجب أن نهتم بهم.

خرق أمني: أرجو ألاّ نصاب بالهلع، فأحيانًا توجد ثغرة فيستهدف فندق، ولكن بغداد لم تسقط وليست آيلة للسقوط، وبعد هذه العمليات لا أحد سيفكر بأن يقترب من بغداد، وإن شاء الله إذا استمرت هذه الانتصارات فسيتغير الحديث، أما حصول ثغرة سواء في القطيف أو الدمام أو في أي مكان من العالم العربي أو الإسلامي أو الدولي، ففي أي دولة يمكن أن يحدث تفجير، يعني عندما يحدث في بغداد فهذا ليس غريبًا مع هذا الوضع العام، لذلك أرجو أن نأخذ الأمور بمقدارها ولا نعطيها حجمًا أكبر من مساحتها، ونكون سببا في إثارة الرعب لدى الناس.

تعدد الفصائل: الحل الطبيعي هو أن يصبح لدينا قانون، والجيش اليوم فيه سنة وشيعة أيضًا، فلماذا لا توجد فيه هذه الحساسيات؟ لأن فيه الفرقة الأولى، والفرقة الثانية.. وهكذا، أي أرقام، وغدًا إذا أقر قانون الحرس الوطني بإذن الله، سيكون لدينا أيضًا اللواء الأول واللواء الثاني.. وهكذا، ولن يتكلم أحد بالأسماء بل ستكون

أرقامًا وألوية، فهذا مدخل، ولكن في هذه اللحظة توجد غرفة عمليات، ويوجد توزيع للأدوار بين القواطع، وتكلف كل جهة بمهام معينة، وغرفة العمليات تحدد لهم ساعة الصفر، وتحدد لهم مساحة في الحركة وتنسق بينهم، إذن توجد وحدة قيادة وعمل مشترك في ما بينهم.

موقف كتلة المواطن من الحكومة: كتلة المواطن شريكة في هذه الحكومة، ولم نألف أن نلعب دورين، فحين نختلف نفعل ذلك بشرف ووضوح، وكذلك حين نتفق، ونحن متفقون مع هذه الحكومة وداعمون لها، ما دامت ملتزمة ببرنامجها الحكومي وبالسياسات والاتفاقات التي تشكلت على أساسها، والتي صوت عليها مجلس النواب، فما دامت تسير ضمن هذا البرنامج ستجد كل الدعم منا، ولكن الدعم للحكومة لا يعني أن لا نختلف في جزئية أو خطوة أو تفصيل ما.

نحن داعمون للحكومة بقوة ومساندون لها، ولكننا نبدي ملاحظات حرصًا عليها عندما يحدث ما هو خلاف الاتفاق أو ثغرة في مكان ما، وبعض الملاحظات سرية خلف الأبواب المغلقة، وبعضها ضمن أروقة الدولة، فكتلتنا النيابية في البرلمان تعترض على بعض الأمور، وكتلتنا الوزارية في مجلس الوزراء تعترض أيضًا، وبعضها نرى تأثيراتها أصبحت عامة، وتحتاج إلى أن نبين وجهة نظرنا للرأي العام، لكي يعلم الرأي العام أننا غير مؤيدين للمسار الحكومي في هذه القضية.

الملف الاقتصادي: إن انخفاض أسعار النفط وخطره الفادح، بقدر ما هو ملف ضاغط علينا اليوم ولكنه فرصة، وبعضكم أبدع في ما قال؛ فاقتصاد دولة معتمد على الدولة لا يصح، وبالفعل يجب أن يتحول النفط بالتدريج إلى صندوق للمستقبل، للبنية التحتية، كما كانت الدولة العراقية في الخمسينيات عندما بدأ استخراج النفط، إذ يوجد صندوق خاص لا يدخل في الموازنة، يوضع لمشاريع إستراتيجية بنيوية، والمجتمع هو من يدير أموره.

لدينا مصدر اقتصادي آخر هو السياحة الدينية والآثارية، فلدينا أئمة أهل البيت، والإمام أبو حنيفة، والإمام عبد القادر، وجميع الصوفية في العالم الإسلامي عيونهم على الشيخ عبد القادر، وجميع أحناف العالم عيونهم على أبي حنيفة، وجميع الزيدية في العالم عيونهم على زيد بن علي، والحمد لله، فإن قادة المسلمين الذين يهتم بهم العالم الإسلامي كلهم موجودون عندنا، ولدينا ما يهم الديانات الأخرى؛ فنصف أنبياء بني إسرائيل دُفنوا في العراق، ولدينا آثار تخص نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويمكن أن

يحج إليه المسيحيون في العالم كله، بأن يتركوا الفاتيكان ويأتوا للحج في الناصرية، فالسياحة الدينية موجودة، وهناك السياحة الآثارية، إذ لدينا سومر وبابل وغيرهما، فكل شيء في العراق إذا أصبح في مساره الصحيح سيتحول إلى ذهب، وهذه فرصتنا ما دام لدينا مال وميزانية قدرها مئة وأربعون مليار دولار، ونحن حائرون كيف نصرفها، واليوم يجب أن نأخذ القرارات الصحيحة ونذهب بهذا الاتجاه.

نحن اليوم لدينا غرفة عمليات عسكرية، ولكن لا يوجد لدينا غرفة عمليات اقتصادية، ولا غرفة عمليات سياسية، مع أن الأزمة في ثلاثة مستويات، ونحتاج إلى ثلاث غرف عمليات.

أهمية تقدير الموقف: يجب أن نحترم تقدير الموقف عسكريا لأنه حكمة، والقائد العسكري الشجاع يقدّر في لحظة معينة أن ينسحب، ويعيد الانتشار ويهجم من جديد حتى ينتصر، ولا يصر على البقاء حتى نباد كلنا، فهذه ليست شجاعة بل تهور، وكما نحتاج إلى تقدير موقف في الشأن العسكري، في خطوة إلى الوراء وترتيب الأوراق، وإعادة الانتشار والهجوم من جديد، فالموقف السياسي بحاجة إلى تقدير موقف أيضًا، واليوم (ألف صديق ولا عدو واحد)، ويجب أن نفتح صفحة مع كل من يريد أن يفتح معنا صفحة جديدة، مهما كانت جراح الماضي، فالآن ليس لحظة حساب، بل لحظة استنفار لكل الطاقات، ودفعها في اتجاه دعم المشروع العراقي.

نحن في لحظة استنفار، وكل من يلقي التحية علينا نردها بأحسن منها، حتى نوسع من دائرتنا، ونكسر الحصار الذي أريد أن يُفرض علينا عربيًا، وإسلاميًا، ودوليًا، فأي بلد في المنطقة؛ تركيا أو السعودية أو غيرهما، دول في وضع مستقر في هذه اللحظة، ولديها مليارات وامتدادات وعلاقات، فهل الأفضل أن توظف كل هذه ضدنا، فوق كل جراحاتنا، أو تُوظف كلها لصالحنا؟ نحن بحاجة اليوم إلى مثل هذا الأمر، ليس لأنا ضعفاء، بل لأننا في لحظة إعادة بناء، ووضعنا يحتاج إلى تضميد الجراح مع الأطراف، ويجب أن نساعد إعلامنا الوطني، بأن يبرز الإيجابيات في مثل هذه اللقاءات.

العلاقة مع إسرائيل: هذه العلاقة مدانة ومحظورة دستوريًا وقانونيًا، فإن ثبت أنه توجد علاقة رسمية في مكان ما يجب أن تكون مرفوضة.

لماذا لا نجعل دينًا على أهل الأنبار؟. نحن نقدم الدماء رخيصة من أجل العقيدة، ومن أجل العراق بسخاء وبدون منة على أحد، وأهل الأنبار الكرماء بعروبتهم وأصالتهم لا ينسون من يقف معهم من أبناء جلدتهم وأبناء وطنهم ومن يدافع عنهم ويقاتل معهم،

ويمتزج الدم الشيعي والسني اليوم على أرض الأنبار، وهذه قوة للعراقيين جميعًا، ومهما يقال في هذه اللحظة؛ أجندة، شعارات، حديث طائفية، ولكن لا يصح إلا الصحيح، وأعتقد بأن كل هذه الدماء التي تراق في صلاح الدين والأنبار، وغدًا في نينوى، سيكون لها أثر كبير على الأمد الإستراتيجي في العلاقة بين أبناء الشعب العراقي وستزيدهم لحمة.

توسيع قانون شبكة الإعلام: هذا شيء جيد، وقد اطلعت على بعض فقراته ومفرداته، ويوجد خلاف جدي، وبالكسر مهما تحقق من إنجاز وقتي معين لكنه لا يدوم، وشبكة إعلام عراقية كبيرة واجبها أن تغطي شؤون البلاد، والحكومة تمثل القلب النابض في هذا البلد، فيجب أن نكون واقعيين، رغم حالات الكسر هذه والذهاب إلى المغالاة في بعض المسائل، ولكن الإنسان يجب أن يتجرد ويقول الحقيقة ويضع الأساس الصحيح حتى لو كان هو المتضرر.

العطلة التشريعية: جميع البرلمانات في العالم لديها عطل، وحياة المجتمع لا تقف على البرلمان، وجزء من هذه التشريعات لم توقفها العطلة، بل أوقفها الاتفاق السياسي. نظامنا برلماني، ومجلس النواب هو المؤسسة الأم، ولأنه تحت المجهر وبوجه المدافع وعلى الشاشات، تكون سهامنا كلها موجهة إليه، وهذا خطأ؛ فنحن نضعف المؤسسة الأم، وبالتالي نضعف نظامنا السياسي، والخروقات التي تُسجل على السادة النواب اضربوها في عشرة أو عشرين وأحيانًا في مئة، لكي تصل إلى حجم الخروقات لدى الوزراء، ولكن الوزير بعيد عن الأضواء فلا يُعرف ما هي القضية.

القلق من تفكك الدولة وسلطتها لصالح المجاميع المسلحة وما شابه: في لحظة الحرب يكون القائد العسكري سيد الميدان، وفي لحظة انتهاء الحرب لديك مشروع سياسي، فيكون السياسي سيد الميدان، وحين تكون لديك أزمة اقتصادية فالمسؤول الاقتصادي سيد الميدان، أو أزمة نفط فيكون المسؤول النفطي على الشاشات، وهذا البروز للقيادات المسلحة اليوم في شاشاتنا لا يعني أن الدولة تغيرت، وإذا كان البعض منهم طامحًا لدور سياسي نتيجة الإقبال الشعبي، فليسلك المسلك السياسي، وعلى مثل ذلك فليتنافس المتنافسون، ولا أحد يمنع أحدًا من التنافس في الجانب السياسي.

توظيف النجاحات العسكرية والتضحيات لمكتسبات سياسية: ليسوا ملائكة، وكل من يقدم إنجازا في أي مجال يقول للشعب أنا فعلت، ويستثمرها ليكون جزءا في المعادلة والصراع السياسي في العراق، لذلك لنكن واقعيين، أنا لا أجد شيئًا أكثر من

الطبيعي، صحيح أن الحالة العسكرية بارزة اليوم لسبب بسيط يرتبط بأولويات اللحظة، ولكن إذا انتهت هذه الأولويات فهل يبقى هذا الوهج؟ أنا شخصيًا لا أعتقد بأن هذا الواقع سيؤسس لظاهرة سياسية جديدة، وقوى تُطرد، وقوى تدخل، ثم إن هذه القوى السياسية الفاعلة اليوم في الساحة كلها تمتلك قوى حقيقية تخدم وتقاتل في الميدان، ولا تقل عن الآخرين، ولا أحد يزايد عليها، فأشعر قليلًا بأن القضية مبالغ بها، نعم في هذه اللحظة يوجد بروز أكثر من المتوقع.

ترتيب الأوراق وتخفيف الضغط

كلما قويت الدولة صغرت النتوءات والظواهر السلبية، وكلما ضعفت الدولة تفاقمت مثل هذه الإشكالات، فعلينا أن نركز كيف نبني دولة، بمشروع سياسي صحيح، وتقدم أمني صحيح، ووضع اقتصادي صحيح، وشعور المواطن بالكرامة، وحين نرتب السياق سترون كيف تتدحرج كرة الثلج وتتعاظم الإيجابيات، وأنا شخصيًا متفائل جدًا إزاء واقع العراق، وأعتقد بأن فكرة التقسيم والتشظي وهمٌ وهواء في شبك، وفي فترة قصيرة ستتغير جميع الأجواء والصور، والعراق سيبقى موحدًا وسيقوى، وقوته ستكون سريعة.

ولكن يكفي أن ننظم أوراقنا؛ مشروع سياسي واضح ضمن خطة معينة، وتقدم أمني واضح، وإذا حدثت انهيارات في أماكن أخرى، لا سمح الله، ولا نتمناها لهم، فسينشغل الآخرون عنا بجراحهم، أو يقتنعون بضرورة القضاء على هذا الإرهاب وأنه أصعب خطر عليهم، فلا يمكن أن تستمر العملية بهذا الشكل، وقد استنفد الإرهابيون ما يمكن أن يأخذوه من العراق وسوريا، والعراق يقاوم بشدة، فهم ذاهبون إلى المساحات الأوسع، والجهات الأخرى إما أن تقف مع العراق لكي يقضوا عليهم هنا، وسنخرج من عنق الزجاجة، أو لا تلتفت هذه الجهات وتكابر، وتصل شرارة النار إلى مناطقهم، لا سمح الله، وحينها سيكون ذلك نوعًا من أنواع تخفيف الضغط عن الساحة العراقية، فعلى كل الأحوال نحن مقبلون على تخفيف الضغط الأمني في العراق، هذه قراءتي.

إذا وجد مشروع سياسي ناجز وواضح وعادل ومنصف، مع هذا الوضع الأمني، والتفكير بالقضية الاقتصادية، فلدينا نقاط القوة المطلوبة، ولكن النقاط غير منظمة، ولدينا كل شيء في العراق، ويكفي أن ننظم أوراقنا بشكل صحيح، ننظمها فقط وسيظهر شيء خلاف المتوقع، وهذا ما سيحصل بإذن الله.

الأزمة الطائفية: الطائفية خسارة للجميع، ولو تنبهنا لهذا الأمر في (٢٠٠٥) لقطعنا الطريق من البداية، ولكننا لم نتنبه أو كابرنا أو أراد البعض استثمار المشاعر الطائفية ليأخذ صوتًا، أما اليوم فقد أصبحت القضية أوضح، ولكن ما زال هناك من يمنّي النفس باستغلال النبرة الطائفية لمصالح سياسية، وفتوّة التجربة هذه علينا تجاوزها، وعلى الشعب أن ينضج، ولكن نحتاج إلى أن نصمد ونصبر، وأتمنى منكم بجميع مشاربكم أن تتحملوا، وأن تشجعوا نبرة الاعتدال، ولديّ عتاب أخوي مع قنوات وطنية، وأعرف قادتها ومسؤوليها، ولكنها أحيانًا من أجل الترويج والتسويق تجلب من هنا وهناك أطرافًا متشددة توقع الناس بعضهم ببعض، وقد يرتفع عدد المشاهدين ولكن العراق سيخسر، وأنتم جميعًا عراقيون، لذلك أنتم تخسرون أكثر مما تربحون، فكروا في الإستراتيجية وليس في التكتيك؛ اخسر عشرة مشاهدين على الأمد القصير واربح العراق والمشروع الوطني العراقي، هذا أيضًا أطرحه بتواضع أمامكم.

الانسحاب من الموصل والأنبار وترك السلاح: بالله عليكم، كم سمعنا جميعا، وكم غطيتم من شعارات ونداءات، أن الأنبار لا يوجد فيها سلاح وعتاد؟ فكيف لا يوجد فيها وأكداس العتاد على مد البصر تملأ بنايات بأكملها، وإذا لم يكن لدينا فمن أين أتت هذه؟ وإذا كان لدينا فلماذا ننادي بعكس ذلك؟ لماذا ضعّفنا المعنويات؟ لماذا تكلمنا بخلاف الواقع؟ على كل حال، جيشنا ضعيف، ولديه مشاكل بنيوية، وفي واقع الأمر أعتقد شخصيًا بأن هذا الضعف ليس اليوم، بل هو ضعيف من أول يوم، ولكن لم يخض حربًا فيظهر على حقيقته، وحين أصبح أمام تحدٍّ ظهرت الصورة الحقيقية، ولكننا من أول يوم لدينا مشاكل بنيوية، ويجب أن نبنيه ولا نزهد به، والحشد الشعبي إذا أسميناه الحرس الوطني، فهو أيضًا ضمن المنظومة العراقية، لذلك هذا لا يعتبر خلاف البناء العسكري أو الدفاعي للعراق.

جسر بزيبز وأزمة النازحين: أنا أعتقد بأن هذا يومنا، وهؤلاء الناس الأعزاء الأكارم أبناء نعمة، وكانوا جالسين في بيوتهم ثم جاء هذا الظرف، وإذا رأوا منا العطف والحنان والاحترام والتقدير اليوم، فسوف يصبحون هم رسل القوم، وأفضل طريقة لتعميق اللحمة الوطنية هي الخدمة التي نقدمها اليوم، وفي الأربعاء السابق في كلمتي قلت: يجب علينا جميعًا أن نشترك، حتى طفلنا يحمل لعبة من ألعابه ويعطيها لطفل ترك لعبته تحت أحذية داعش، لكي نوجد هذه اللحمة.

دفع النازحين الشباب إلى ساحة المعركة: أنا أعتقد بأن الطريقة التي نعمل بها خاطئة، فلا تدار المعارك بهذه الطريقة، فأرجو النظر لهذه الأمور بشيء من العمق أكثر من هذه القرارات السريعة والارتجالية.

الحاجة إلى خطة إعلامية في المواجهة: هذا صحيح، وهذه قد تحفزكم، ورب ضارة نافعة، وبخصوص الإعلام المستقل ومعاناته، يجب أن تتحمل الحكومة مسؤوليتها، وأنا أضغط على الوزراء لكي يبذلوا جهدا لحل بعض مشاكلكم، ولكن أقول نأمل أن يكون هذا سببًا لكي تقووا القطاع الخاص؛ الشركات الأهلية، المقاولين، المستثمرين، وتربحوا منهم، وهذا شيء مهم نحن نحتاج إليه في هذه المرحلة.

الحاجة لإعلام عراقي بلغة كردية: إخواننا في كردستان كانوا سباقين في العديد من الصحف والقنوات الناطقة باللغة العربية، ويقتربون من قلوب العرب في العراق ويسوقون وجهة نظرهم وقضاياهم، أما الحكومة الاتحادية فهي مقصرة، فلا توجد لدينا صحيفة كردية قوية مملوكة للحكومة أو قناة عراقية، وحتى قناة العراقية الكردية لا أسمع لها صدى قويًا في كردستان، فنحتاج إلى قناة قوية لكي نخاطب أهلنا في كردستان.

بشأن الجريمة الإلكترونية، وتقنيات حديثة لملاحقة الإرهابيين في الفضاء الإلكتروني، هذا كلام صحيح.

الاتفاق مع كردستان وهمٌ والإقليم لا يفي بوعوده: من الصعب إطلاق قرارات ناجزة كهذه، لقد بدأ الإقليم بتقديم مئة وسبعين ألف برميل للحكومة الاتحادية، وبسرعة تصاعدت الكمية آخر الشهر الماضي، فقدم لنا ما يزيد على خمسمائة ألف برميل.

حماية الإعلاميين العراقيين: بالفعل نحتاج إلى تشريعات تحمي الإعلاميين، وإلى تشريعات تقنن لكي لا يسيء الإعلامي ويفتك ويبطش، وأنتم حاشاكم أن تقوموا بهذه الأشياء، ولكن هناك من يعمل ذلك، فمن ناحية قانون يحدد الأداء، ومن ناحية أخرى يحمي الإعلامي حينما يتحرك ضمن إطاره الصحيح والمساحة الصحيحة له.

اختلاف في التفسير: تحتاج المصالح الوطنية إلى تعريف موحد؛ ما هي المصالح الوطنية؟ وهذه مسألة مهمة، وفي الفقه لا يمكن أن يكون ذلك؛ فالفقه يؤخذ من مصادره، والقرآن لا أستطيع أن أغيره، وكذلك السنة النبوية الشريفة، لكن السؤال: هل دولتنا هذه ونظامنا السياسي حكومة إسلامية؟ لكي أطبق الفقه الإسلامي على الحكومة؟ نقول: لا، نظامنا السياسي حكومة مدنية تحترم ثوابت الإسلام، والإسلاميون كانوا الأغلبية الساحقة شيعة وسنة في المعادلة التي كتبت الدستور، والإخوة الكرد فقط كانوا قوى مدنية، فالإسلاميون كتبوا دستور دولة مدنية تحترم ثوابت الإسلام، وبالتالي فالفقه له استحقاقاته في ظروف الدولة الإسلامية، ونحن لا توجد لدينا دولة إسلامية في العراق، وأعتقد بأن الإسلام أعطى من الكرامة والعزة والاحترام والتقدير والحقوق للأقليات الدينية الشيء الكثير لو تم تطبيقه، وإذا وُجدت مشكلة فالتطبيق خاطئ، فحين يُطبق الإسلام بشكل

صحيح ستعيش جميع الديانات بكرامة في دولة الإسلام، ولكن اليوم لا توجد لدينا حكومة إسلامية، والبعض أحيانًا لا يطبق أحكام الإسلام بشكل صحيح.

الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة يدعمان وحدة العراق والحشد الشعبي: هذا كلام صحيح، وكانوا يتصورون أن الحشد حالة طائفية، فأن يُقبل كطرف أساسي في المنظومة الأمنية، ويُنظر له على أنه ركيزة مهمة، يساند القوى الأخرى ويقوى بهم، فهذا شيء مهم.

المياه والأزمة القادمة: يكفي أن تروا في الخارطة انتشار داعش في العراق وفي سوريا، وستجدون كل انتشاره على المياه، وهذا سؤال كبير يُطرح: لماذا دائمًا حيثما وُجد الماء، فالأراضي يأخذها داعش؟ فتأمل.

بشأن عدم انسجام التحالف الوطني، وعدم وجود رؤية موحدة، الأمر الذي يؤثر في المسار السياسي والتشريعي.. إلى آخره، أنا أشاطركم بأن التحالف الوطني باعتباره الكتلة الأكبر، يتحمل في النجاح والإخفاق بحجمه، وطبعًا نحن نتحمل المسؤولية، ونعمل جاهدين على أن نوحد رؤية التحالف، ورؤية الساحة الوطنية في جميع الاتجاهات والقضايا الحساسة والأساسية، ولكن نقبل منكم أن التحالف الوطني الشريك الأكبر في أي إنجاز، ويتحمل العبء الأكبر في أي خسارة بحجمه.

التنازل عن الدور النخبوي والتأثر بالرأي العام: إذا كان العقل الجمعي هو الذي يقودنا، إذن لماذا نسمي أنفسنا نخبًا، فالنخب يجب أن تكون متقدمة خطوة إلى الأمام وتجر الشارع خلفها، وتنبه الشارع على الشيء غير الصحيح وتتحمل بعض التبعات، وأعتقد بالفعل بأن النخبة في العراق، سياسية وغير سياسية، يجب أن تتحمل مسؤوليتها أكبر مما هي عليه اليوم.

هل تقود الدولة الحشد، أو الحشد يقود الدولة؟. الدولة هي التي تقود الحشد، وإن كان للحشد بعض الاجتهادات في تفاصيل وتكتيكات ميدانية، وقد يكون بعضها مبررًا، وبعضها يمكن أن يقنن عبر قانون الحرس الوطني في وقت لاحق.

هل نحن مع منطق الطائفة أو الدولة؟. نحن مع منطق الدولة التي تحترم خصوصيات الطوائف والقوميات، هذه هي المعادلة والصورة والسمة التي تحفظ العراق.

شكرًا لكم أحبتي، وأعتذر عن الإطالة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد للعشائر[٢٥٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، الإخوة الأعزاء، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة، والحضور إلى مكانكم ومضيفكم وديوانكم، ديوان بغداد، كما أثمن عاليًا الملاحظات العميقة والدقيقة والرؤية الوطنية التي استمعنا إليها، ولسنا مستغربين منها، فهكذا كان الأمراء وشيوخ العشائر في تأريخهم الطويل، وهكذا سيبقون إن شاء الله في هذا البلد، مصدر عزة وكرامة ورفعة ووحدة لشعبنا.

الأعراف العشائرية والمبادئ الشرعية

لا شكَّ في أن الأعراف العشائرية في الأعم الأغلب منسجمة مع مبادئنا الشرعية، وهي منبثقة من ثقافتنا الإسلامية، ولذلك فالبعد الشرعي يتعمق بالعرف العشائري؛ الأخوّة، والنخوة، والمحبة، واحترام الآخر وعدم الاعتداء، وعدم التجاوز على الآخرين، إلى غير ذلك، وهذه الأعراف هي التي تضبط إيقاع المجتمع، وبدون هذه الأعراف ينفلت المجتمع ويخرج عن السيطرة، ولكن الأعراف العشائرية المنسجمة مع الرؤية الشرعية الإسلامية هي التي حفظت العراق في تأريخه الطويل.

إذا كانت هناك نتوءات أو سياقات خاطئة، فاليوم أطلقتم نداء قويًا في استنكار ورفض مثل هذه النتوءات، فعلينا أن نقف طويلًا وننظر من يدفع عشائرنا إلى مواقف تعطي صورة سلبية لمن ينظر إلى العراق من بعيد، تسيء إلى واقع هذه العشائر، وبالفعل

٢٥٠. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد لزعماء العشائر والقبائل العراقية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٦/ ٦/ ٢٠١٥.

كما أُشير، بعد الاستهجان الدولي الكبير للاعتداءات والسبي على يد داعش، تأتي هذه الخطوة؛ من قال؟ ومن شجع؟ ومن جعل هؤلاء يقولون شيئًا من هذا النوع؟ وتضخيم العدد؛ فقيل إن العدد خمسون ثم قيل عشرة، وكل ذلك الصدى الإعلامي الكبير، والتحضيرات التي حصلت بهذا الحدث، تجعلني شخصيًا أتساءل: هل هذه القضية طبيعية، أو جاءت بشكل مقصود لتخلط الأوراق وتضيع الحقيقة؟ إذ يقال إن كان داعش يسبي فالعشائر تسبي النساء أيضًا، ليضيعوا تلك السيئة الكبيرة لداعش.

بحسب مواقفنا الفقهية، فالبنت هي التي تختار، ويجب أن ترضى حتى لو كان أبوها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فرسولنا الكريم لم يرضَ لنفسه أن يقرر نيابة عن ابنته فاطمة، حتى لو كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الخاطب، فالأب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والزوج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومع كون الأمر بهذا الوضوح، فالبنت هي من تختار ويجب أن ترضى، وتزويج البنت بدون رضاها لشخص ما، حتى لو كان كفئًا، لا يجوز شرعًا، فهي التي تختار، ويجب أن ترضى أن تعيش مع هذا الرجل حياتها كاملة، فكيف تُعطى لتكون ذليلة وتعيش حالة مزرية عمرًا كاملًا، لكي نحل مشكلة بين عشيرتين في قضية ما أو خلل ما؟ الخلل يعالج في مساحاته، والمرأة تحفظ، والرجل يحفظ، هذا ما تكلمتم به جميعًا، وأنا شاكر لكم.

لعلنا لم نركز كثيرًا في المداخلات على مسألة الصراعات العشائرية؛ فحين تحدث مشكلة سرعان ما تُعطى عطوة، ليجلسوا ويتداولوا، وقد تُمدد العطوة للوصول إلى حل، أما أن تذهب أيادينا إلى السلاح مع وجود إرهاب داعشي يحتل مساحات من أرضنا، لنوجه فوهات السلاح إلى صدور بعضنا، ثم يتحول من سلاح خفيف إلى متوسط، وإلى أحاديات، إلى راجمات وغيرها، ويسقط العشرات من الضحايا في هذه العشيرة وتلك العشيرة، كما حصل في العديد من محافظاتنا الكريمة، فهذه أيضًا يصعب عليّ شخصيًا افتراض أنها عفوية وطبيعية، ويمكن افتراض أن هناك من يفعّل، ومن يحرض، ومن ينفخ في المشاكل ويوجد هذه الفجوة، لنجد مقاتلين يتركون قتال داعش وينسحبون مع أسلحتهم، لكي يلتحقوا بعشائرهم ويقاتلوا أبناء جلدتهم وأبناء وطنهم من عشائر أخرى، وهذه القضية تحتاج إلى موقف حاسم أيضًا، وما زالت هناك مشاكل تتفاعل في العديد من المحافظات، ولا سيّما في البصرة وميسان، وهذه أيضًا حالة غير مسبوقة؛ أن تتدخل المرجعية، ويتدخل علماء وشخصيات كريمة، ومع ذلك تبقى القضية متفاعلة بشكل أو آخر، وهذا لم نعهده في تأريخ طويل في هذا البلد.

المبادرة في أيديكم

مسألة العطاءات الكبيرة والمطالبات الضخمة، بمئات الملايين وبأرقام غير مسبوقة وغير معهودة، في وقت شحة مالية ووضع اقتصادي صعب، وضغوط كبيرة تتحملها عشائرنا ومواطنونا، هذه ظواهر توجد فجوات وتعمق الإشكاليّة والجروح داخل المجتمع، وتحتاج إلى مبادرة، ودومًا نقول: أين القانون الذي يحمي العشائر، ويعطي الدور لشيوخ وأمراء القبائل والعشائر؟ ودومًا نقول: إن القانون يجب أن ينجز، ولكن الأمراء والشيوخ يجب أن يأخذوا المبادرة ولا ينتظروا قانونًا، فهذه القصاصة التي تخرج من مجلس النواب لن تغير من الواقع، لأن الواقع بأيديكم، فأنتم عِلية القوم، أنتم الشيوخ والأمراء، ولو بدأ كل واحد منكم من قبيلته وعشيرته فسوف تمتد، وتصبح الحالة عكسية.

يقال أحيانًا إن بعض الأدعياء ليسوا شيوخًا، ولكن هؤلاء الأدعياء يسنون سننًا خاطئة فتمضي حتى على الآخرين، فكيف بالشيوخ المؤثرين والأمراء وعِلية القوم، حين يجلسون ويضعون الأمور في نصابها الصحيح، فمن يجرؤ على مخالفتهم في هذا الأمر؟ صحيح أن الغطاء القانوني مهم، ولكن الأمر يحتاج إلى مبادرة منكم، وكلي أمل في أن نطلق صرخة واضحة، وشيخ العشيرة قبل أن يرى نفسه إذا ما خالف هذه السياقات لا قدر الله أمام المساءلة القانونية، يرى نفسه أمام الامتعاض والاستنكار من أقرانه أمراء وشيوخ القبائل والعشائر، ويجب أن نطوق كل مشكلة ما دامت في مساحتها الأولى، فإن ترك الأمور يجعلها تتسع وتنمو وتصبح خارج السيطرة، وتؤدي إلى مضاعفات خطيرة وكبيرة، فكلي أمل أن نجدكم كما عهدناكم في تأريخ طويل في هذا البلد الكريم، فالعراق حُفظ بهذه العشائر، وتوحد بهذه العشائر، وسيبقى موحدا بهذه العشائر، وبقيمه الدينية، وبوجود المرجعية الدينية، والعلماء، والاحترام المتبادل بين أبناء هذا الشعب الكريم.

العشائر ضمانة العراق

هذا ما كان يؤكد عليه شهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) دائمًا؛ فقد كان يقول: إن العراق والإسلام في هذا البلد تم حفظهما بثلاث: المرجعية الدينية، والعشائر العراقية، والشعائر الحسينية، وهذه الشعائر أيضًا هي التعبير عن الولاء لأهل البيت، مع أن البعض يحاول أن يعطيها مداليل مذهبية وطائفية لكي يفرق الناس، بما أنها قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطبخ الطعام للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ،

والحضور في مجالس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذهاب تحت قبة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتحت قبة أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتعاهد بين الأفراد، فهذه السنن التي لا يوجد فيها شيعة وسنة، وإنما العراقيون كلهم يقومون بهذا الأمر، وإذا ذهب شخص إلى حرم أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعطى وعدًا، فهو يعتبره أهم من أي وثيقة أخرى.

هذه ثقافتنا، وهذه أعرافنا، وهكذا تربينا في هذا البلد الكريم قرونًا من الزمن، ولا مبرر لأي تغيير في هذه المسارات، ما دامت صحيحة وضمن منظومتنا القيمية والأخلاقية، لذلك أدعو شيوخ القبائل والعشائر الكريمة، إلى أن يأخذوا المبادرة ويرفعوا الأصوات، وحينما يتجه شيخ معين اتجاهات خاطئة ويرى الصدود من شيوخ العشائر والاعتراض منهم، فسوف يتراجع عن ذلك، والجميع يقوى بهذه المنظومة العشائرية الكريمة.

تعرفون أحبتي وأعزائي الأفاضل، أن هناك نبرة يريد البعض أن يشيعها في هذا البلد؛ هي أن العشائر والمنظومات العشائرية كلها رجعية وسنن خاطئة، ويجب أن نتجاوزها إذا أردنا مجتمعًا عصريًا ومدنيًا، هذه النبرة موجودة، وعندما تحدث خروقات من هذا النوع، تقوي منطق أولئك، وسرعان ما يظهرون على الشاشات ويتحدثون ويؤكدون منطقهم، ويأخذ صدى في بعض المجتمعات وفي بعض الأوساط، ولكننا نعتقد جازمين بأن العصرية لا تعني التنكر للأعراف والآداب والقيم، فالعصرية هي توفير خدمة مناسبة، وبناء علاقات إنسانية وثيقة، وانطلاق المجتمع بما يحقق له الرفاه والسعادة، ووجود قيم من هذا النوع عنصر أساسي في تحقيق السعادة والرفاه لأبناء المجتمع، فهذه المنظومة العشائرية إذا سارت بشكل صحيح، فسوف تكون واحدًا من مقومات بناء دولة عصرية متماسكة وقوية، لذلك فإن منظومة عشائرية متماسكة، هي التي تحقق الدولة العصرية الحقيقية المتماسكة التي نطمح إليها في هذا البلد، وكلنا فخورون ومعتزون بوجودكم.

وشكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد الشبابي [٢٥١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

الإخوة الكرام، الأخوات الفاضلات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة، وهذه الكلمات العميقة والمداخلات المؤثرة، وحقيقةً كلما اجتمعنا وسمعنا منكم، نشعر بالمزيد من الاعتزاز، فحينما يكون شبابنا بهذا المستوى من الوعي والإدراك والحكمة والتشخيص الدقيق للكثير من تحدياتنا، فنحن بخير وإلى خير بإذن الله.

طموحاتنا كبيرة رغم التحديات

المسألة دائمًا هي التوازن بين النصف الممتلئ والنصف الفارغ من الكأس، فلا توجد حالة مثالية، وأتمنى على من يحسن الإنكليزية منكم أن يتابع القنوات الأمريكية هذه الأيام، وقد بدأت التهيئة للانتخابات الأمريكية، لكي تسمعوا الشباب في الولايات المتحدة بماذا يناقشون المرشحين، فبالرغم من أن أمريكا الدولة العظمى والأولى في العالم، ذات الميزانية التي تصل إلى سبعة آلاف مليار دولار سنويًا، وهو رقم مهول، وذات الإمكانات الهائلة، والتطور التكنولوجي الضخم، ولكن هل الشاب في أمريكا راضٍ؟ هل يحقق طموحه؟ هل هو راضٍ عن السياسيين؟ هل هو مقتنع بالمؤسسة الحكومية وليست لديه شكوى فساد؟ ولا شكوى تمييز؟ اسمعوا هذه الأيام ماذا يقول وبماذا يحتج شباب الولايات المتحدة الأمريكية وهم يناقشون المرشحين للرئاسة.

---

٢٥١. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب والقيادات الشبابية الذي عقد في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٥

هذه إيران الجارة القريبة منا، واليوم نحن ننظر باعتزاز كبير وبدهشة للجهد الذي بذلوه ووقوفهم أمام العالم كله؛ فإن (٥+١) تمثل مجلس الأمن وألمانيا، أي العالم، ومراكز القوة والثقل العالمي، واستطاعوا تحقيق الاتفاق النووي، في عملية ماراثونية وحوار طويل وشاق، استخدمت فيه جميع الوسائل والتقنيات المتوفرة في عالمنا اليوم.

الذي يزور إيران يرى التطور التكنولوجي، ويرى الإمكانات، ويرى الخدمات، ولكنهم أيضًا مقبلون على انتخابات في نهاية هذا العام، وأتمنى عليكم متابعة المواقع العربية في إيران، لتروا ما هي هواجس الشباب الإيراني إزاء القوى السياسية، إزاء الأحزاب، إزاء المتصدين، هل يشعرون بالرضا؟ وهكذا التجارب التي ننظر لها باحترام في العالم العربي، فاسمعوا أيضًا الهواجس في مصر، ماذا يقول الشاب المصري؟ هل هناك رضا؟ هل هناك قبول؟ وسترون أيضًا أن الحالة فيها الكثير من الملاحظات والعتاب والتوقعات.. إلى آخره.

لماذا أستعرض هذه التجارب التي قد تكون في نظرنا تجارب متقدمة؟ وهي بالفعل في ظرف أفضل من الظرف الذي يمر به العراق في هذه المرحلة، ولكن الطموح يكبر مع نمو المشروع، إذن، فإن وجود مشاكل يجب أن لا يدفعنا للإحباط، ووجود خلل يجب أن لا يدعونا إلى اليأس، فالحالة المثالية لن نجدها في هذه الدنيا مهما تطورنا، ومهما تقدمنا، فلو استطعنا أن نصنع حالة مثالية فلن نحتاج إلى المنقذ الذي تؤمن به جميع الشرائع، إذن نحن أمام واقع فيه الكثير من التناقضات، فهذه دار ابتلاء، دار اختبار، ولن نبلغ الحالة المثالية مهما تطورنا، ولكن واجبنا هو كيف ندفع الأمور خطوة وخطوتين إلى الأمام لكي نخلق لأنفسنا طموحات جديدة، وعندما نقارن تجربتنا بالتجارب الأخرى، وأقولها بعمق، لا نجد اليوم أي تجربة يمكن أن نقول إنها تشبه تجربتنا، فأيّ بلد منذ اثنتي عشرة سنة تنهش المفخخات شبابه بهذه الطريقة؟ والناس من جميع أنحاء العالم، من مئة دولة، تتقرب إلى الله في أن تأتي وتفجر أجسادها بيننا، لكي تقتل أكبر عدد من العراقيين؟ أين توجد تجربة كهذه؟ فلا توجد تجربة في العالم العربي أو العالم كله نستطيع أن نقول إن تجربتنا مثلها، فلم تواجه دولة ولو عشرة بالمائة مما واجهناه.

انظروا إلى نصف الكأس الممتلئ بموضوعية، بلا مبالغة، بلا مغالاة، لكي تشعروا بالفخر والاعتزاز بما نعيشه في العراق، ونبقى نكافح لكي نملأ النصف الثاني، لكي نعالج ونصحح ونطور، هذا هو الكلام مطلوب.

رؤية بناء الدولة

أشرت إلى مكامن كثيرة من الخلل، وأمثل الوضع العراقي بجريح ذهب ليشرب عصيرًا فانفجرت مفخخة بوجهه، فحملوه إلى المستشفى، وجمجمته مكسورة، وعظامه مهشمة، ولحمه مقطع، فماذا يفعل الطبيب؟ إما أن يقول انتظروا حتى يموت وادفنوه، أو يبدأ بمعالجته، وأول شيء سيبدأ به الرأس والقلب ليعالجهما، والكسور الباقية تُعالج في ما بعد، فيضع أسبقيات وأولويات، وهكذا في عملية علاجية تطول أحيانًا أشهرًا، إلى أن يعود إلى وعيه ويمشي على قدميه ويعود كما كان، والحالة العراقية كذلك، فهي مليئة بالمشاكل؛ فلا يوجد لدينا ماء، ولا كهرباء، وهناك فساد إداري، ومؤسسات لا تعمل، والكفوء غير موجود في مكانه، فيُصدم من يرى كل هذا الخراب، فمن أين يبدأ؟ ومن أين يعالج؟ وماذا يفعل؟ نعم هذه المشاكل كلها موجودة، ولكن كيف نعيد فهرستها ونضع لها أسبقيات؟ من أين نبدأ، وإلى أين ننتهي؟ هذه مسائل حيوية وأساسية، وإلاّ سنضيع إذا لم نضع أولويات.

أعتقد بأن المبادرة المتواضعة التي قدمناها للسلم الأهلي وبناء الدولة، حاولت أن تجمع جميع هذه الملاحظات وتقننها في رؤية لبناء دولة؛ من أين نبدأ في بناء دولة؟ وما هي أولوياتنا؟ وما الخطوات المطلوبة؟ نفهرسها، ونحن فعلنا هذا الشيء، وأتمنى عليكم كقادة شباب أن تأخذوا هذه المبادرة وتدرسوها وتعطونا ملاحظاتكم، وهي ما زالت مسودة، ولكنها جهد كبير من أجل أن نضع خارطة طريق بلا بوصلة، فمهما كانت النوايا طيبة لا تستطيع أن تبني دولة، وبناء دولة ليس شعارًا، بل يحتاج إلى سلوك، وأداء، وخطوات محسوبة ومدروسة، ونزعم أنا نبذل جهدًا كبيرًا من أجل إنضاج مثل هذه الرؤية، واليوم أصبحنا نمتلك رؤية في بناء دولة عصرية عادلة، نريدها مدنية، متطورة، تحترم الطوائف والقوميات، ولكن تعمل على أساس حقوق المواطنة، ونريدها عادلة تنصف الناس جميعًا.

الدوائر المتعددة

بشأن الاختيار بين الدائرة الواحدة والدوائر المتعددة، فإن ميزة الدائرة الواحدة أنها تعزز المواطنة؛ فأي مواطن من أي مكان عراقي يستطيع أن يصوت لك، ونحن من المستفيدين من هذا، إذ يوجد تعاطف معنا من مكونات ومحافظات أخرى قد تصوت لنا، ولكن السؤال: هل توجد فرص متكافئة الآن لجميع المواطنين للمشاركة في الانتخابات؟ وماذا سيحصل؟ ستحصل مشاركة شيعية وكردية كثيفة، وضمور سني،

وهذا سيؤدي إلى أن عدد ممثلي السنة في البرلمان سيكون ضئيلًا جدًا، وعدد الشيعة والكرد سيكون أكبر بكثير من واقعهم الديموغرافي، فهل ستعطي هذه رسائل عدالة واستقرار، وتشد الناس بعضها ببعض، أو ستخلق مشكلة جديدة في هذا الوقت؟.

إذن، نحن حافظنا على التركيبة الديموغرافية والتمثيل الديموغرافي للشعب في هذا الظرف، حتى يأذن الله بشيء، لذلك فالدوائر المتعددة كانت مورد إصرار المرجعية الدينية، وكثير من القوى السياسية.

تعزيز روح المواطنة شيء مهم، ونحن طوائف وقوميات، ولكن العراق يجمعنا، فكيف نصل إلى المواطنة؟ حين يعطينا الوطن حقوقنا كمواطنين، ويتعامل معنا على أساس المواطنة، وحين لا أكون فيه ملاحقا واُستهدف لأني شيعي، وحين لا نُستهدف بسبب خصوصياتنا، وهذه تحتاج إلى وقت ونحن في حالة صخب، صخب طائفي، ليس في العراق بل في المنطقة كلها، ونحن جزء من هذه المنطقة.

تعليقات مختصرة

النظام البرلماني يعني أحزابًا، ومشكلتنا ليست العمل الحزبي، بل المشكلة هي العمل الحزبي غير المنظم.

الثقة بالنفس مسألة مهمة جدًا، وهذا مهرجان الألوان الذي يجري الحديث عنه الآن، سواء كان خطوة صحيحة أو غير صحيحة نتكلم بذلك لاحقًا، لقد طرحت هذه القضية وكبرت في الفيس بوك والفضائيات والبيانات، وهذا يقول نعم وذاك يقول لا، وعندما يبادر الإنسان لأي خطوة فسوف يستقطب الاهتمام، وقد استوقفني أحد الأشخاص العراقيين، يقول: اتصل بي دبلوماسي أجنبي، وكان مبتهجًا لأنه كتب مقالًا حاز على ألف وخمسمائة تعليق، فراجعت التعليقات فرأيت أنها كلها سب وشتم، وهذا يعني أن فكرة المقال غير مرضية شعبيًا، فقلت له: أنت سعيد بألف وخمسمائة تعليق، ألم تقرأ ما كتب بهذه التعليقات؟ قال: لا يهم ماذا يقولون، بل المهم أني أصبحت رقمًا والناس تتكلم عني، وهذا بحد ذاته معناه أن الفكرة أخذت مداها الإعلامي، وهذا الشيء مهم بالنسبة له، إذ لديه الترويج أهم من المضمون، وهذه أحبتي هي المساحة التي يجب أن تدخلوها؛ تبادرون وتتحملون المسؤولية وتصبحون رقمًا، وسترون كيف تلتئم الناس حولكم وتبحث عن وجودها من خلالكم.

المال ليس عنصرًا حاسمًا، فهو عنصر مهم ولكنه ليس حاسمًا، وما يحتاج إليه

الشباب هو فكرة تبعث الروح فيهم، تبعث العزيمة فيهم، تكون شيئًا قابلًا للتطبيق ومعقولًا، وتستقطب التعاطف معها وتبدأ بالتحرك، والمصلحون على مر التأريخ هكذا كان عملهم، وعلى هذا الأساس انطلقوا.

الازدواجية بين الشعار والتطبيق، كانت وستبقى دائمًا قائمة، منذ أيام هابيل وقابيل يوجد شعار من دون عمل، وسيبقى إلى قيام الساعة، والقول لنبدأ من أنفسنا، نحن المائتين، فهل الكلمة التي نقولها نستطيع أن نعمل بها؟ والذي لا نستطيع أن نعمل به نقوله؟ والشيء الصحيح نطرحه ونحن جادون في تنفيذه؟ وإذا تكلمنا بمكافحة الفساد نحن نريد مكافحة الفساد واقعًا؟ لنبدأ من أنفسنا.

بشأن الفرص العادلة أمام الكفاءات، فالشيء العملي الذي أراه بدأت بالحديث عنه، والكفاءات اليوم هي من عليها أن تبادر وتصبح جزءًا من هذه الحالة الموجودة.

كيف نحد من هجرة الشباب؟. جميع البلدان التي مرت بظروف كهذه تعاني هذه المشكلة، فهذا شاب لديه شهادة وطموح ويريد أن يعمل، ولا يجد الفرص الكافية أمامه، ويرى منفذا ليذهب إلى الخليج، وفورًا يحصل على سيارة وبيت وراتب جيد، ثم تقول له: تعال لتكافح ولا تذهب، فلا تستطيع أن تقول له ذلك إذا أتته الفرصة، ولكن حين تتحسن أوضاع العراق قليلًا ويستقر أمنيًا وينتعش اقتصاديًا وتتوفر الفرص، فالعراقي قلبه هنا، وجزء من المشكلة سيعالجه الواقع وتطوره الإيجابي، وجزء منها نحن من نعالجه بتوفير الفرص جهد الإمكان.

متى تنتهي معاناة الشباب وفرص التعيين؟. تعداد العراق (٣٤) مليونًا، وهو مجتمع شبابي والتوالد فيه سريع، فليس الحل في التعيينات الحكومية، فهذا لم يكن حلًا ولن يكون حلًا في يوم من الأيام، بل يجب أن نفتح المجال لمشاريع حقيقية في القطاع الخاص، لتحصل الناس على فرصها في المجتمع، كما هو الحال في جميع البلدان المتطورة بلا استثناء.

النظرة السلبية واستهداف الجهات السياسية عامة: هذه الحالة اعتبرها مَرَضية، نعم هناك خلل ونقص ومشاكل وثغرات في الأداء، ولكن بهذه الطريقة لا تبقى حرمة لأحد، ولا أريد أن أتكلم بلغة التآمر، ولكن السؤال الذي أتمنى على كل واحد منكم أن يطرحه أمامه: إذا أسقطنا جميع هذه الرؤوس، فهل نجلب ملكًا من السماء ليحكمنا؟ أو يوجد نبي يُبعث بعد خاتم الأنبياء؟ وإذا لم نرض عن كل هؤلاء فهل سنتبع النبي الذي يأتينا؟ وقد أثنيت كثيرًا على بعضكم عندما قال: لا أعمم، ولكن البعض، فمن المهم كثيرًا

أن تكون لدينا هذه الثقافة، ويجب حفظ الحرمات، فنختلف أو نتفق، ولكن حفظ الحرمات واحترام عِلية القوم مع وجود ثغرات فيهم، مدخل صحيح ومهم لعملية سياسية صحيحة ومعالجات صحيحة.

غياب مؤسسات تنمية شبابية: هذه ليست جامعة فأُنشئ مؤسسة وأدرسه التنمية الشبابية، فالشاب ينمو في الجامعات نظريًا، وينمو في الواقع المجتمعي عمليًا، ونحن نحتاج إلى خلق فضاءات وفرص مجتمعية لنهوض الشباب أكثر، واعتماد مراكز بحوث ودراسات تصل إلى نتائج عملية وليست انطباعات، فنحتاج بالفعل إلى مؤسسات علمية تبحث وتدرس وتختار الخيارات الصحيحة.

البعثات الدراسية وغياب الفرص العادلة للمتفوقين: في الحقيقة توجد بعض الفرص المعقولة، وقد تفاجأت بها، فعندما حصلت مشكلة الابتعاث وجاؤوا لزيارتنا، قال الكثير من المبتعثين: نحن غير مرتبطين بحزب، بل شهاداتنا ودرجاتنا هي التي جعلتنا نأخذ هذه الفرصة، وقد سجلنا وأُدرجت أسماؤنا، وأول شيء قلته لهم: إن العراق بخير طالما كان هذا عددكم؛ فهؤلاء نخبة من العقول العراقية حصلت على فرصة الابتعاث من دون أن تكون مرتبطة بحزب، وهذا شيء أشكر الله عليه.

رسائل المحبة والابتسامة: هذا شيء مهم بالفعل، فلا يجوز أن نكون بكآبة وحزن وموت وداعش ومفخخات دائمًا، بل نحتاج إلى إطلاق رسائل ودية، رسائل حياة في مجتمعنا، وهذا مهم أن يحصل.

ما هي إستراتيجية مكافحة الفساد؟. أن نبدأ بالرؤوس الكبيرة، ؛ فقد قال لي وزير المالية في لقاء: أتدري يا سيّد عمّار بقصة المصارف؟ فحين بدأنا نتابع وجدنا شخصًا واحدًا في العراق قد حول إلى الخارج أربعة مليارات ومائتي مليون دولار، فقلت له: يا معالي الوزير، ماذا تنتظر إذا كنت قد وضعت يدك عليه؟ هنا تُعالج الأمور، وحين جاء رئيس جديد لهيئة النزاهة قام بزيارتي، فأخرجت الموجودين وأغلقت الباب وقلت له: انظر يا سيادة رئيس الهيئة، إذا لم تعمل على الرؤوس الكبيرة لن تُحل المشكلة، وابدأ بالمنسوبين لنا، وإذا كان هناك شيء أرني لأقتنع، وأنا سأحمل سيفي عليه، فإذا لم نوقف الرؤوس الكبيرة المتورطة فلن نستطيع معالجة القضايا الصغيرة، ويجب أن تكون الإجراءات شفافة وواضحة لكي لا تكون فيها خلفية، لأن ملف الفساد استُغل مع الأسف استغلالًا سيئًا، فيجب أن يكون التعامل حقيقيًا ونزيهًا وواضحًا، لكي يتفق الجميع على هذا الموضوع.

لا توجد أماكن عائلية مناسبة: بالفعل، ومن يزور طهران حيث يعيش ثمانية ملايين نسمة، وينظر يمينًا ويسارًا في هذه المدينة، يرى الخضرة، والمنتجعات، والمساحات، والمتنزهات، أما نحن فمن يريد الذهاب إلى مكان ترفيهي يذهب إلى الزوراء أو أربعة أماكن في محافظة بغداد، وهي غير مناسبة وغير مهيأة، فضلًا عن الحضور الكثيف، فالعوائل بالفعل تعاني حين تحضر إلى هذه الأماكن، لذلك نحتاج إلى أن نفكر بهذه الأمور ونوفر أماكن مناسبة لشعبنا.

ديوان بغداد السياسي [٢٥٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، الإخوة الكرام، الأخوات الفاضلات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تشريفكم وحضوركم إلى ديوانكم ومكانكم، ديوان بغداد، كما أثمن عاليًا المداخلات المسؤولة والقيمة التي تفضلتم ببيانها.

التظاهرات سمة الديمقراطية

الحضور يمثلون العراق بجميع مكوناته وأطيافه ومشاربه السياسية والفكرية، وحينما نجتمع تحت سقف واحد ونناقش القضايا الجدلية في بلادنا، قد نختلف ولكننا ندير هذا الاختلاف بشكل صحيح، وما وجدناه أن الجميع يتحدث عن الدستور والإطار الذي يجمعنا، ونلمس أيضًا الحرص الوطني من الجميع؛ ما هي الخطوة وما هو الإجراء الذي يعزز من وحدتنا وتماسكنا وقوة بلدنا، وكذلك الإنصاف المطلوب لمواطنينا، وتوزيع الأدوار بين أبناء شعبنا.

الوقفة التي كانت في شهر رمضان المبارك، أدت إلى أن نفتقد هذا الحضور الكريم في ذلك الشهر الفضيل، وأتمنى أن نُوفق في المواظبة على هذا الديوان بنسخته السياسية، والذي هو ديوان شهري، وفي الأسابيع الأخرى يكون عادة لشرائح مجتمعية أخرى، ونرحب بأي خطوة لأبناء شعبنا في التعبير عن رؤيتهم ومطالبهم المشروعة، وهذا حق طبيعي، بالتظاهر في أي مكان في بلادنا وفي أي محافظة، فحينما يخرج

٢٥٢. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١/ ٨/ ٢٠١٥.

مواطنون ضمن سياق الدستور في تظاهرات مصرح بها ويعبرون عن آرائهم، فهذه هي سمة الديمقراطية.

قد نختلف، أو نتفق، أو نقلق، أو نحذر من إشكاليّات هامشية جانبية، ولكن يبقى الإجراء إجراءً شعبيًا صحيحًا، ومن حق أبناء شعبنا أن يخرجوا ويعبروا عن آرائهم، وحينما تصل معطيات ومعلومات أن هناك من يريد أن يندس ويستغل المشاعر البريئة للمواطنين باتجاهات أخرى بعيدة عن طموحاتهم ومطالبهم ونواياهم، فهذه التحذيرات للمواطنين لا تعني بأي شكل من الأشكال إلغاء الحق الدستوري في التظاهر أو السماح لهم به، وتوفير المناخات الملائمة للتعبير عن آرائهم.

لا شكّ في أن إنزال الناس إلى الشارع في ظرف نواجه فيه تحديات أمنية، وتحديات سياسية، وتحديات مجتمعية، يجب أن يُحسب حسابه جيدًا، ليوفر الحرية للناس في التعبير عن رأيهم من دون الوقوع في المطبات والإشكالات الجانبية التي قد تحصل، وقد حصلت مسيرات في العديد من محافظاتنا الجنوبية وفي بغداد، ويجب أن نرعاها ونحميها، ونعطي الفرصة لأبناء شعبنا في التظاهر والتعبير عن الرأي، ونبقى حذرين من المندسين ومحاولات جر هذه المسيرات باتجاهات أخرى.

يكفي أن نجري مسحًا لطبيعة الوسائل الإعلامية الوطنية، أو الإقليمية، أو الدولية، وكيفية تعاطيها مع هذه الأمور، والنبرة التي تتحدث بها، وسوف يتبين من يريد أن يغطي حدثًا، ومن يريد أن يجعل منها قضية لإثارة الفتنة وتحريض المواطنين إلى غير ذلك، ونتمنى أن يكون أبناء شعبنا كما عهدناهم دائمًا بمستوى المسؤولية في هذه الأمور.

خطيئة التعميم

هناك نزعة لتخطئة الجميع، والتعميم دائمًا فيه إشكالية، فالرأي الإيجابي بالمطلق، أو الرأي السلبي بالمطلق، كلاهما غير ناضجين وغير صحيحين، فلسنا جميعًا ملائكة، ولسنا جميعا سارقين، وما أكثر المخلصين في العملية السياسية ومن يتصدى ويقدم، وهذه النزعة التي لا تستثني أحدًا، وتجعل الجميع أمام أفواه المدافع الإعلامية والاتهام والتشكيك، قد نجد لها مبررات في الإخفاقات التي نواجهها في واقعنا اليومي، ولكنها قد تكون موجهة من أطراف معينة لضرب جميع الرؤوس والكيانات، والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان جميع هؤلاء غير ملائمين، فمن هو البديل؟ وما هي الخيارات؟ ومن هو الذي يستطيع أن يأتي ويحمل الراية ويدير البلد؟ وأوضاعنا بكل ما فيها من

إخفاقات، أفضل مئة مرة من الظروف التي مرت على العراقيين في مراحل سابقة.

إن طرح مثل هذه الأفكار بشكل هادئ، وإشعار شعبنا بأن مثل هذه التعميمات مضرة، أعتقد بأن هذا شيء مهم، ولكن إزاء هذه الانطباعات والملامة والعتاب بسبب الإخفاق والتلكؤ في العديد من المجالات، ندعو أيضًا لتحسين أدائنا السياسي، فالطبقة السياسية مدعوة اليوم لتقدم صورة مختلفة، وقد لاحظتم بعض الأمور الرمزية، فمجلس الوزراء يتخذ قرارا بتخفيض الامتيازات وما إلى ذلك، أو في شمول بيوت المسؤولين بالقطع المجدول للكهرباء وما شابه، والسادة النواب في البرلمان أيضًا بدؤوا يناغمون هذه النبرة، ويتخذون إجراءات وخطوات.

إذا أردنا أن ننظر إلى القضية من زاوية رقمية، ونقول كم تبلغ ميزانية العراق؟ ثمانين مليارًا؟ فما قيمة هذه الرواتب كلها مجتمعةً أمام ثمانين مليارًا؟ ليس رقما كبيرا، ولكن عندما ننظر للحالة الرمزية؛ حالة المواساة وتقليل التمييز الطبقي واقتراب المسؤول من الناس، نجد أن الآثار النفسية والمعنوية أعظم بكثير من الحسابات المادية، فكلف الدولة في إعطاء الكهرباء أقل بكثير من الإجراءات، ولكن يبقى لهذه الحالة الرمزية وهذا النوع من المواساة أبعاد معنوية ونفسية، ويجب أن لا نزهد بها، فهذه الفجوة بين الطبقة السياسية وعموم المواطنين تحتاج إلى معالجة.

الواقع الدستوري

كما ذكرتم، فنحن اليوم لسنا في وارد النقاش في جدوى النظام الاتحادي أو النظام المركزي، فهذه القضية حسمت دستوريًا، ونحن اليوم أمام واقع دستوري، وأعتقد بأن الشرط الذي وضعناه في دستورنا لتمرير الدستور وتعديله، وهو أن اعتراض ثلاث محافظات يعطل أي تعديل، هذا يجعل من فكرة تغيير النظام الاتحادي قضية غير ممكنة، فإذن نحن أمام واقع دستوري قائم، وكذلك على الأمد المستقبلي يفترض أنه سيبقى ويثبت ومن الصعب تغييره، لذلك فهذه مسألة محسومة بإيجابياتها وسلبياتها، والعالم المادي أساسًا مبني على النظام الأحسن وليس الأكمل، ففيه إشكاليات وثغرات، والديمقراطية هي أفضل الخيارات السيئة كما يقولون، إلى غير ذلك، ولكن هذا هو الواقع، وحجم السلبيات في هذا الأمر أقل من غيره.

كانت الفكرة يوم كُتب الدستور أنه من المهم أن نوجد توازنا إداريا في البلد؛ فإما أن

تدار جميع المحافظات بطريقة لا مركزية، أو أن يكون النظام مركزيا وشاملا للجميع، وكنا أمام واقع إقليم قائم منذ سنين، وقد نظم أموره على هذا الأساس، وهناك إصرار على إبقائه، فكان الخيار في الدستور أن تُعطى المحافظات الصلاحيات، واللامركزية التي مُنحت للإخوة في إقليم كردستان، لكي نوجد حالة من التوازن والعدالة في الصلاحيات والإمكانات والميزانيات والفرص إلى غير ذلك، ولا نكون أمام مواطنين من درجتين؛ مواطن كردي من الدرجة الأولى، ومواطن عربي من الدرجة الثانية، بحجم الإمكانات والتخصيصات إلى غير ذلك.

اللامركزية والعدالة

نعتقد بأن العدالة هي المفتاح، والبعض يقول: لنؤجل تطبيق اللامركزية إلى أن تستقر الأوضاع، كيف تهدأ الأوضاع وتستقر إذا لم نشعر الجميع بالعدالة؟ وكيف نكرس العدالة إذا لم يشعر الجميع أن الثروة توزع بشكل عادل، ولهم فرصة وصلاحيات بإدارة أمورهم وشؤونهم، فأصبحت اللامركزية مدخلا من المداخل التي تعزز العدالة والاستقرار، وتهدئ النفوس وتطيّب الخواطر، وتمنع من الاندفاع باتجاهات أكبر حساسية في هذا الظرف.

اليوم إذا أرادت أي محافظة أو أكثر أن تشكل إقليمًا وسلكت السبل الدستورية، فهل يحق لأحد منا أو لمؤسسة في الدولة العراقية أن تمنع حقًا دستوريًا لمواطنين؟ الجواب: كلا، لا نستطيع، ولكن تشكيل أقاليم الآن في هذه اللحظة نتيجة غضب أو عدم انسجام مع الحكومة الاتحادية وغيرها، سيجعلها أقاليم خصام وليست أقاليم إدارية، لعدم تكامل الأدوار بين المركز والمحافظات، وسيقال إن ما هو لإقليم كردستان يجب أن يكون لبقية الأقاليم، ولكن ما هو لإقليم كردستان ليس بحسب الصلاحيات الدستورية الموضوعة، بل بحسب الواقع الذي يفوق ويتجاوز الإطار الدستوري له، وهذا يعني أننا ذاهبون إلى حالة من التفكك مع مركز ضعيف في ظروف صعبة، فكلٌ يشكل إقليما، فيتبعثر العراق في هذا الظرف، فالنظام الاتحادي وتشكيل فيدراليات حقوق دستورية مضمونة ومكفولة، ولكن كلما قدمنا بدائل لتجاوز الظرف الراهن كان أفضل، وأعتقد بأن الفرصة الأفضل هي منح الصلاحيات للمحافظات.

المحافظات ليست كلها سواسية؛ فاليوم لدينا محافظات تقع مساحات منها تحت

وطأة داعش، فهي غير قادرة على استنفار هذه الصلاحيات بالكامل في هذه اللحظة، ولدينا محافظات تتمتع بمستوى مقبول من الأمن، وهناك محافظات فيها قدرات إدارية أكبر، وهناك محافظات قدراتها أقل، ولكن القانون يضع مسارًا وخططًا وخارطة طريق، ثم يجب على هذه التجربة أن تكمل وتطور من نفسها، ووجود خلل آنيّ لا يعني أن نكف عن الذهاب لهذه الخيارات، بل علينا أن نطور التجربة.

قال عدد من الأعزاء إن تجربة المحافظات ليست مثالية وهناك خلل، وبالطبع فإن جزءًا من هذا الخلل ناتج أيضًا من عدم تطبيق اللامركزية.

ديوان بغداد للعشائر[٢٥٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة إلى مكانكم وديوانكم، إلى مضيف ينسب إلى الإمام السيد محسن الحكيم (قدس سره)، وهو بيت العراقيين جميعًا، وكنت فخورًا للغاية بالملاحظات والمداخلات العميقة التي تفضلتم بها، وإذا كان أكابر العراق وشيوخه يحملون هذه الرؤية وهذا الفهم العميق لمجريات الأمور، والناس على دين ملوكهم كما يقال، وأنتم ملوك هذا البلد وسادته ووجهاؤه وشيوخه، فالعراق ذاهب إلى خير بإذن الله تعالى.

تحديات كبيرة

نقول في المثل الدارج: الطعنة التي لا تقتلك تقويك، وهذا ما لاحظناه خلال الاثنتي عشرة سنة الماضية؛ فما أكثر التحديات، وما أكثر الإشكالات، وما أكثر المنزلقات، التي مر بها العراق وخرج منها أقوى مما كان، وإن شاء الله سنتجاوز هذا الظرف الذي نعيشه اليوم بكل ما فيه من تحديات ضاغطة؛ الإرهاب من ناحية، وتوقعات المواطنين الحقة وضرورة الإيفاء بها من ناحية أخرى، والمنظومات الإدارية والتشريعية والسياقات المعمول بها في الدولة التي تشجع أحيانًا على الفساد من ناحية ثالثة، واختلاط الغث بالسمين والحابل بالنابل والأخضر باليابس في المسار السياسي، مما يصعب على الناس عملية التمييز والفرز أحيانًا من ناحية رابعة، مع تحديات المنطقة المحيطة بنا، وحجم المشاكل والخلافات الطائفية والقومية والعرقية والسياسية، وانعكاس هذه

٢٥٣. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد لزعماء العشائر والقبائل العراقية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢٢/ ٨/ ٢٠١٥.

الخلافات على ساحتنا العراقية، هذه كلها تحديات جسيمة وخطيرة، والعراق في لحظة تأريخية من لحظاته، ومحطة مهمة من محطاته، وأنا واثق بالله (سبحانه وتعالى) وبهذا الوعي الكبير وبأكابر هذا البلد وبشعبنا الطيب، في أن نخرج من عنق الزجاجة ونعبر هذا المنعطف، كما تجاوزنا المنعطفات السابقة، ويقوى العراق.

الانتصار الحقيقي أننا استعدنا شعبنا

استمعنا جميعًا إلى حديث بعض الأفاضل، وكان حديثا دقيقا؛ اليوم جميع المؤشرات تشير إلى انخفاض عدد العراقيين في تنظيم داعش الإرهابي، وارتفاع عدد غير العراقيين، وهذا يدلل على أن من كان مغررًا به من شعبنا العراقي، واندفع في لحظة معينة، وظن أن هذه المجموعات تدافع عنه وعن مناطقه، وفي لحظة تصور أن الحكومة تضغط وأدوات الحكومة من جيش وشرطة تسيء، وهؤلاء أرحم من الحكومة، ولكن عندما احتك بالحقيقة ورأى الواقع كما هو، وحجم الانتهاكات والخراب والدمار، بدأ يعلم من هو عدوه الحقيقي.

يأتي إليّ شيوخ وشخصيات وحتى سياسيون من الأنبار وصلاح الدين والموصل، وأعلم منهم حجم الخراب والدمار؛ فلم يبقَ مضيف ولا احترام لشيخ عشيرة في جميع هذه الأماكن، والجمهور تبعثر، وثروات وإمكانات الناس التي حصلوا عليها خلال عشرات السنين كلها ضاعت، والأعراض انتُهكت، فالذي حصل شيء لا يصدق، واليوم نحن نستعيد شعبنا ولحمتنا بشكل عام، في وقت يرتفع فيه مؤشر التجاوب والتعاطف مع داعش في دول بالمنطقة، والإحصاءات التي تقوم بها المؤسسات والدراسات والاستبانات واستطلاعات الرأي الغربية تشير إلى أن المنسوب يرتفع في دول في المنطقة، ولكن شعبنا في العراق فتح عينه وعرف من هو العدو، وأصبح يتوحد ضد داعش.

اسمحوا لي أن أقول إن هذا هو الانتصار الحقيقي، فهذا أهم من الانتصار على داعش، وأهم من طرد داعش من جميع الأراضي العراقية، وهو ما سيحصل لأن هذا هو الأساس، فإذا كان شعبنا متماسكًا وملتحمًا ومشخصًا لعدوه، حين ذاك يمكن أن ينقض عليه وينهي وجوده في هذا البلد.

القرآن الكريم يعرفنا أعداءنا دائمًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ

عَدُوًّا﴾[٢٥٤]، يعرفنا أعداءنا لأننا إذا لم نعرف العدو واختلفنا فيه فلن نتوحد ضده، ونحن كنا قبل داعش مختلفين حتى بالعدو؛ فهناك من يسميه الإرهاب، وهناك من يسميه المقاومة، وهناك من يسميه الثوار، فلم نكن متفقين على العدو، أما اليوم فنحن نكاد نتفق كعراقيين على أن داعش هو العدو، وهذا هو الانتصار، والعراق سيخرج بإذن الله من هذه الأزمة، وسيتمكن من طرد داعش، وينهي وجوده في العراق، ويؤسفني أن أقول إن المؤشرات تشير إلى أن دولا أخرى في المنطقة ستغرق، من الدول التي ساعدت داعش وغضت الطرف عنه ودعمته، وتوهمت أن داعش بندقية للإيجار وورقة تستخدمها للضغط، ولكنها ستغرق، هكذا تشير المؤشرات، وإن شاء الله أكون مخطئًا في تحليلي، ولكن العراق سيخرج من عنق الزجاجة قويًا منتصرًا بإذن الله.

العراق القوي

نحن أقوياء، وقدرتنا كبيرة بفضل من الله (سبحانه وتعالى)، فالعراق قوي بشعبه وحضارته وإمكاناته وثرواته، صحيح أننا في لحظة لا توجد لدينا فيها أموال، ولكن هناك فرق بين ملياردير لا توجد لديه سيولة نقدية في لحظة، وشخص مفلس يلعن إفلاسه، والعراق غير مفلس، بل لديه ثروات هائلة من النفط والزراعة والصناعة والعقود والإمكانات والفرص الهائلة، قد تكون لديه شحة مالية في لحظة؛ فسعر برميل النفط هبط من مائة وعشرين دولارًا إلى أربعين، واعتمادنا بدرجة كبيرة على النفط، وفجأةً انخفضت ميزانيتنا إلى الثلث، فلدينا مشكلة في هذه اللحظة من التأريخ قد تستمر سنة أو سنتين، ولكن العراق غير مفلس، بل هو بلد ثري وقوي.

العراق ثري بإمكاناته المالية، وثري بإمكاناته البشرية، قد يتعب ولكنه لا يُهزم ولا ينكسر ولا يسقط، وإذا كانت لديه إدارة صحيحة سوف يقل تعبه والفترة تُختصر. العراق، هذا الكيان الكبير، ينزف منذ أكثر من عشر سنوات، وهو يستصرخ أبناءه، وأنتم أبناؤه ورجاله الشرفاء الوطنيون، ويجب أن نقف جميعًا لمواجهة هذه التحديات.

الأمن أولويتنا

هناك دائمًا أولويات، ففي العسكر لديهم أسبقيات، وفي فقه الحياة هناك أسبقيات، وفي الحياة الشخصية لدى كل واحد منا اليوم في بيته قائمة من الاحتياجات، ولكنه يضع

٢٥٤. سورة فاطر: الآية٦

أسبقيات، واليوم أولويتنا الأولى الأمن، وعندما نقول إن الأولوية الأولى داعش لا يعني أننا لا نهتم بالماء والكهرباء والخدمات، أو مكافحة الفساد أو حل مشاكل الناس، لا يُفهم مني هذا الكلام، ولكن يجب دائمًا أن نركز على حل المشكلة الأمنية؛ لأنها مفتاح جميع الأمور الأخرى، فالأمن أولًا، مواجهة داعش أولًا، دعم قواتنا معنويًا وماديًا أولًا.

الآن أخبركم بمعلومة استخبارية سرية؛ هناك إرادة لجر الفوضى إلى المناطق الآمنة، من بغداد إلى البصرة، إرادة وخطة مدروسة، وأربعة وتسعون بالمائة من نفط العراق من البصرة، وسواء كان من البصرة أو من الناصرية أو من العمّارة أو من الكوت، فهو يصدّر أيضًا من أنبوب البصرة.

إذا كانت الدولة مفلسة لا تستطيع أن توفر رواتب موظفيها، ولا تستطيع أن تحل مشاكل الناس، فماذا تفعل؟ سيحصل انهيار، وهذا ما يريده الإرهاب، والآن توجد مؤامرة، وقد وصلت معلومات بشأنها قبل عدة أيام، إذ يجري التخطيط لجرّ المسيرات القادمة إلى العنف، وسنجد فجأة أبواب جهنم قد فُتحت على العراق كله، وسنذهب إلى المجهول، لذلك فالتظاهرات حق، والحقوق المشروعة على رؤوسنا، والمواطنون الذين جاؤوا لمطلب حق، وهم الأغلب، على رؤوسنا، ولكن حذارِ يا شيوخ ويا أكابر ممن يستغل هذه التظاهرات لمآرب أخرى، وأتمنى منكم أن تلفتوا نظر الناس في مضايفكم العامرة عندما يجتمعون إلى هذا الكلام، لكي نوقف النزيف ونمنع جرّ الفوضى والإرباك الأمني إلى المناطق الآمنة لا سمح الله.

الإصلاحات يجب أن تكون حقيقية وليست شكلية، والحزمة الأولى كانت مهمة ومفيدة، فهي تقلل النفقات وترشق الحكومة وتلفت نظر المسؤولين، ولكن لا نقف عندها، بل يجب أن تكون لدينا إصلاحات حقيقية.

وحدة العراق

الدستور العمود الأساسي الذي يقف عليه مشروعنا، فكيف نستطيع أن نلغي الدستور؟ هل ترون أنه أتى مجانًا؟ إنه كُتب بدمائنا وتضحياتنا، والمرجعية وقفت بوجه أمريكا لأنها أرادت أن تجلب مجموعة من المستشارين هي تختارهم من المحافظات ليكتبوا الدستور، ولكن المرجعية أصرت على الانتخابات ليكتب الشعب دستوره، وأنتم جميعًا نزلتم إلى الميدان حتى حصلنا على هذا الدستور، وقد صوت للدستور

ملايين المواطنين، ولا نستطيع أن نتجاهل هذا الكم الهائل وننزل عند رغبة بضعة آلاف خرجوا لإلغاء الدستور، واليوم نحن نحتكم للدستور من أجل وحدة العراق.

نتحدث دائمًا في هذا المجلس، وتحدثنا طويلًا بمحضركم الكريم في لقاءات سابقة عن وحدة العراق، وقلنا إنه لا راحة إلاّ بأن نبقى مجتمعين، ومن أراد أن يقسم البلد ستنفتح أمامه أبواب جهنم، وتعترض طريقه مئة مشكلة، ولا أحد منا سيستفيد من تقسيم وتجزئة العراق، لا السُني ولا الشيعي ولا الكُردي، لذلك يجب على الجميع أن يحافظوا على وحدة هذا البلد جهد الإمكان.

تعليقات مختصرة

المطالب: يجب أن نطالب بحقوقنا، ويجب أن نضغط، ولكن يجب أن نتحمل الظرف، لأن الضغط إذا زاد عن حدوده سينهار البلد، ونحن في حالة حرب وصراع مع داعش، لذلك فإن جميع المطالب على الرأس ونعمل جاهدين ونضغط على السادة المسؤولين من أجل الاستجابة لها، وقبل ليلتين كنا في اجتماع مطول مع رئيس الوزراء وبقية أعضاء التحالف الوطني، وكنّا نتحدث عن جميع هذه الأمور، ونحث الحكومة على أن تعمل بواجباتها في خدمة الناس.

السرقات المعلنة عبر وسائل الإعلام: يوجد فساد كثير، ولكن ليس بتلك المبالغة، فهناك أكاذيب كثيرة، ويوجد كلام غير دقيق، إذ يخرج بعض النواب وبعض الساسة ويستغلون الحرية الإعلامية والسياسية في هذا البلد، يخرجون على الشاشات ويصفون أرقامًا، والشعب يصدق أحيانًا أن هذه الأرقام كلها صحيحة، ويجب أن نكون حذرين من مثل هذه الادّعاءات الكبيرة، فقد لا تكون الحقيقة كذلك.

مجلس الشيوخ والأعيان: هذا أمر مهم جدًا، وهو نقطة ضعف في نظامنا، فهو موجود في الدستور ويجب أن نذهب لتنفيذه وإقراره.

استغلال الحشد الشعبي في صراع سياسي أو عشائري: أنا أقول قاعدة: إن فوهة سلاح الحشد الشعبي وقواتنا المسلحة ما دامت موجهة نحو داعش فهي مقدسة، وهذه الفوهة إذا تغيرت لمكان آخر فلا قداسة فيها، هذا هو الأصل العام، وهذا ما نصت عليه المرجعية في بيانها التأريخي الذي وضعت فيه عشرين مادة، لذلك من أراد أن يستغل الحشد فهو يسيء للحشد قبل أن يسيء إلى من يوجه فوهة سلاحه إليه.

مأسسة الحشد: يجب أن نذهب إلى تشريع قانون الحرس الوطني، وننظم إيقاع

الحشد ليكون ضمن إطار صحيح، كما للجيش قانون وللشرطة قانون، فالحشد أيضًا يجب أن يكون لديه قانون ينظمه ويوفر حقوقه، ويحميه من بعض المسيئين الذين قد يحاولون أن يستغلوا اسمه هنا أو هناك.

المحافظون: بعض المحافظين لا يتمتعون بالكفاءة، ويجب أن تكون هذه الإجراءات قانونية، فيكون هناك استجواب ويوجد سياق، وقد تغيّر بعض المحافظين وسيتغير البعض الآخر، ولكن ضمن السياق الصحيح، وليس بإجراءات غير صحيحة.

متى يكون لدينا تظاهر مسؤول ومعارضة وطنية مسؤولة؟. في اليوم الذي تكون لدينا فيه مؤسسات قوية، بحيث لا يستطيع الشخص أن يكبر على المؤسسة، بل المؤسسة تكون أكبر منه، وكلما تجذرت ديمقراطيتنا أكثر، كبر دور المؤسسة، وحين يكبر دور المؤسسة، يقل دور الشخوص، وحين يضعف دور المؤسسة، يكبر دور الشخوص، هذه هي القاعدة، ففي الدكتاتوريات مؤسسات ضعيفة، وفي الديمقراطيات مؤسسات قوية، ومؤسساتنا ضعيفة ويجب أن نقويها.

متى ننتهي من لغة السجالات؟. ما دامت هذه الدنيا مستمرة فسيبقى هذا هو حال البشر؛ كما في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٢٥٥]، ولا نتصور أن هذه الخلافات ستنتهي، نعم تتراجع النخبة السياسية والعشائرية والمجتمعية عندما ترى هذه الخلافات، نتراجع في اللحظة التي نعرف فيها أننا حين نسيء للآخر نسيء إلى أنفسنا، وجزء من أزمة الثقة اليوم في الشارع العراقي مع المسؤولين، ويجب أن نكون حذرين من مثل هذا المنطق.

أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٥٥. سورة هود: الآية١١٨

ديوان بغداد المهني[٢٥٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، الإخوة الكرام، الأخوات الفاضلات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة وحضوركم إلى ديوانكم، ديوان بغداد، وأثمن عاليًا المداخلات القيمة والعميقة التي تفضلتم بها، وهذا الحرص الوطني الكبير الذي نلمسه فيكم، هذه النخبة الكريمة الطيبة من المتصدين والعاملين في قطاعات حيوية ومهمة في بلادنا.

معركة الوجود يجب أن تأخذ حقها

لا شكَّ في أن العراق يمر بظرف استثنائي في هذه الأيام، كما وصفت المرجعية العليا بعمق ودقة، فهناك معركتان؛ معركة وجود، ومعركة إصلاح، وعلينا أن نسير في هاتين المعركتين وننتصر على العدو فيهما، وكل معركة لها ظروفها والتزاماتها وتحدياتها، فحينما نقف بوجه داعش وتكتيكاته ومن يقف وراءه ويموله، نحتاج إلى خطط وإلى أن نخطو خطوات جادة في مواجهة الإرهاب الداعشي، بدءًا من الإستراتيجيات الأمنية التي تجعلنا مبادرين وفاعلين، ولسنا منفعلين يجرنا داعش إلى حيث يريد.

يجب أن نقف بوجه داعش ونفتح النار عليه حيثما نحن نريد، وليس حيثما هو يريد، وأعتقد بأنه في مساحة مهمة من المعارك السابقة استطاع داعش أن يتحكّم ويفعّل ساحات معينة؛ فتسقط الرمادي ونضطر إلى أن نتخلى عن خططنا ونسرع لنعالج هذه المشكلة،

٢٥٦. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب المهنية الذي عقد بحضور عدد من النخب والقيادات المهنية والنقابية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢٨/ ٨/ ٢٠١٥.

وبالتالي استطاع أن يتحكّم ويجرنا ويفتح علينا النار حيثما يريد، فنحتاج إلى إستراتيجية أمنية واضحة، وإلى تنسيق بين قواتنا الأمنية من الجيش والشرطة والحشد وأبناء العشائر والبيشمركة، وجميع القوات الشعبية والحكومية المشاركة في هذه المعركة، وكذلك نمنحها الغطاءات المعنوية.

الانتصار في الحرب انتصار معنوي قبل أن يكون انتصارًا ماديًا، وداعش هو مثال في الاتجاه السلبي، فعدد قليل من أشخاص يحملون عقيدة منحرفة استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم مكتسبات كثيرة في فترة زمنية قصيرة بالبعد المعنوي؛ بأن يستقطبوا أناسًا من ثمانين إلى تسعين دولة، وبعضها دول مرفهة ومتطورة، فما الذي يجعل شخصًا يسكن في الولايات المتحدة أو في دول أوربا ويحظى بحياة مريحة، يترك هذه الحياة ويأتي إلى حيث الصعوبات والموت؟ ما هذه الثقافة التي جعلته يندفع بهذه الطريقة؟ وبالتالي نحتاج إلى دراسة حقيقية، فالعنصر المعنوي حتى لو استُغل استغلالًا بشعًا وسلبيًا، مع ذلك، يعطي نتائج كهذه، فكيف إذا كنّا على حق ومعركتنا معركة حقة؟ إذا استطعنا استثمار البعد المعنوي بشكل صحيح فالانتصار سيتسارع، وهذا ما لاحظتموه في الأشهر الأولى؛ حينما كان التركيز على داعش والفتوى المقدسة واندفاع الشباب بهذا الاتجاه، كيف استطاعت هذه الحشود بتدريبات قليلة وبسيطة جدًا، ولكن بمستوى معنوي عالٍ، أن ترهب العدو وتتقدم وتكسر شوكته في الكثير من الجبهات.

من المخاوف التي نحملها دائمًا، أن نرى الجو العام لم يعد جو الوقوف والإسناد المعنوي لأبنائنا الذين يقاتلون على السواتر، وأن نرى النشرة الإخبارية والبرامج التلفازية الوطنية بجميع قنواتنا، ولا نجد حصة معركة الوجود، كما عبرت عنها المرجعية، فمعركة الوجود يجب أن نعطيها حقها، ومعركة الإصلاح يجب أن نعطيها الأهمية بحجمها، وهذا مع الأسف تراجع إلى حد كبير، ولذلك ترون أنه منذ أن تغير المناخ المعنوي من دعم المجاهدين إلى أجواء أخرى، بدأت بعض الارتدادات، ولا بُدَّ من أنكم تلاحظون أنه مضى شهر وأكثر، وداعش تهجم ونحن نصد الهجوم، فيما كنا طوال سنة كاملة نهجم وداعش تهرب وتنكسر وتتراجع وتتقهقر من جرف الصخر إلى آمرلي، والآن في كل يوم تسمعون أن داعش هجمت على بيجي وتم صد هذه الهجمات، وفي منطقة العلم، وهي منطقة صغيرة بحجم بيجي، ترسل داعش خمسين انتحاريًا في مفخخات مصفحة، غير مئات القتلى الذين تقدمهم هناك بهجوم تلو هجوم، وكذلك في الفلوجة، وفي الرمادي، وآخرها كان استشهاد عدد من القادة العسكريين والجنود الأبطال بالأمس، وهذه كلها مؤشر على أهمية البعد المعنوي، وكم يؤثر لصالحنا أو

لصالح العدو في هذه اللحظة الحرجة، ويجب أن نعطي هذا الموضوع أهميته الكافية، فنحن نخوض معركة وجود، ويجب أن نتعاطى معه على أن وجودنا مرتبط به، ونعتقد بأن معركة الوجود يجب أن تأخذ حيزها الكافي من الاهتمام.

نخاف استغلال التظاهرات

التظاهرات حق دستوري، وكل حق دستوري يجب أن ندافع عنه، وهي مظهر من مظاهر الديمقراطية والحرية، ولكنّ أعداءنا في المنطقة وخصومنا ومنافسينا يستغلونها استغلالًا سيئًا، صحيح أنه في هذه اللحظة هناك اعتداء أو ظلم يحصل، ورؤية معينة وإساءات، أو تضيع البوصلة في لحظة، ولكن هذا يوسع من الوعاء العراقي؛ الشعور بالحرية وهذه الثقة التي يكسبها المواطن بأن يقف ويصرخ، وأحيانًا يتجاوز شيئًا ما، ولكن هذا مظهر مهم وجيد، وخوفنا ليس من الناس ولا من هذه الكلمات حتى السيئ منها، والقرآن الكريم يعبر عن هذه الحقيقة: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[٢٥٧]، والرموز والقوى الأساسية الحقيقية باقية، فهي لحظة صخب، وإذا حمل خمسة أو عشرة أو ثلاثون لافتة، أو لسبب من الأسباب شتموا هذا وسبوا ذاك، فهل انتهت القضية؟.

ما أقوله هو أن خوفنا ليس من الناس، فهذا حقهم وخطوة جيدة، وبعض الساسة تشبعوا بمصالح وتمسكوا بأمور تحولت إلى مافيات، حتى أصبح من غير الممكن قلع جذورهم إلاّ بضغوط شعبية من هذا النوع، ولكن كل خوفنا من الأمور الجانبية؛ من الاستغلال السياسي والاستغلال الأمني، والاستغلال الأمني أخطر، ولا سيما مع توفر معطيات ومعلومات استخبارية دقيقة، لذلك يجب أن نراقب وأن نكون حذرين من أي سلوك أو اختراقات أو أجندة تدخل على هذه التظاهرات، خارج سياق المواطن البسيط صاحب المطلب، سواء كان مطلبًا حقًا أو شيئًا آخر، إذن فالتظاهر كمبدأ صحيح، وكنتائج ومعطيات تعطي ثمارًا مهمة، ولكن هذه المخاطر هي التي تجعلنا دائمًا ننبه شعبنا.

عملية الإصلاح

الإصلاح عملية مهمة، ولا نريد أن نزايد على أحد، ولكننا رفعناه شعارًا، وقدمنا له برنامجًا، وخطونا خطوات وبدأنا من أنفسنا منذ خمس سنوات، وكنا نراجع ولا

٢٥٧. سورة الرعد: الآية ١٧

نتراجع، ونبدأ من أنفسنا ونغيّر، وقمنا بتغييرات وتحويرات داخل أوضاعنا، كمجلس أعلى وتيار شهيد المحراب، لم تقم بها أطراف أخرى في ساحتنا السياسية، وجلبنا الشباب وفتحنا الأبواب وأوجدنا تغيرات كبيرة في الخطاب وفي السلوك وفي السياسات وفي الانفتاح وإلى آخره.

لقد جددنا أوضاعنا وأصلحناها، وكنا نراقب رجالنا دومًا بدقة ضمن معطياتنا وإمكاناتنا المتاحة، ولسنا ممن يستخدم وسائل التعنيف والكسر والهتك، ولكن ممن يتخذ إجراءات صارمة بحق من يثبت أنه خرج عن السياق الصحيح، مع حفظ الأعراض والكرامات، ولكن نتخذ موقفا ضمن ما نعرف.

هذا الاستهداف لجميع المتصدين خطير جدًا، وهو زرع أزمة ثقة بكل شيء اسمه مسؤول، وإسقاط هيبة المسؤول في هذه الدولة، وتُستغل الأخطاء الموجودة.

تعليقات مختصرة

العقول العراقية: البحث والدراسة شيء مهم، فنحن بالأبحاث نستطيع أن نعالج الكثير من مشاكلنا ونوفر إيرادات كبيرة، بالاعتماد على العقول العراقية، فإن طغاة في هذا البلد جلبوا عقولًا عراقية في التصنيع العسكري وغيرها، وعبروا ظروف الحصار واستطاعوا أن يحققوا نتائج مبهرة، ونحن اليوم في ظل نظام ديمقراطي نزهد بعقولنا، فيجب أن نستفيد من عقولنا العراقية ونعالج مشاكلنا.

زيارة للبصرة: البصرة في عيوننا وفي قلوبنا، ونحن متعايشون معها في الساعات، فإذا لم نزرها فليس معناه أننا بعيدون عنها، ولكن زيارة للبصرة يجب أن تكون في أجواء هادئة، وأن يوجد من يَسمع ويُسمع، أما الآن فهناك حديث واتهامات وفيس بوك، لذلك نترقب من فترة أن تهدأ الأوضاع لكي نأتي، ولكننا قريبون جدًا من البصرة بشكل يومي ونتابع مشاكلها وأمورها.

التعرفة الجمركية لحماية المنتوج الوطني: هذه تفيد حين نستطيع أن ننفذها في الحدود العراقية كلها، أما في المناطق العربية تعرفة، وفي المناطق الكردية لا توجد تعرفة، فنحن بذلك لا نحمي المنتوج الوطني، بل فرضنا على البضاعة أن تذهب إلى كردستان بدلًا من أن تأتينا مباشرة، ومن هناك تأتينا بأسعار أعلى، وكردستان تستفيد والمنتوج العراقي يبقى كما هو، فما لم تكن لنا القدرة على حماية المنتوج الوطني في كامل الأراضي العراقية، وكامل الحدود العراقية، فما فائدة تنفيذ هذه التعرفة؟.

الطاقة النووية وأهميتها: هذا صحيح، ولكن هذه غير مرتبطة بوزارة النفط بحسب فهمي، وسأناقش هذا الموضوع إن شاء الله مع السيد وزير النفط إذا كانت من ضمن اختصاصه.

خطط المجلس في الإصلاح والنزول عند رغبة الشعب: نحن لدينا رؤية وورقة شاملة وخطة متكاملة لإصلاحات حقيقية بعيدًا عن الادّعاء والشعار، وبينت لكم بعض مفرداتها، ونحن نضعها تحت تصرف السيد رئيس الوزراء والإخوة المسؤولين، ونبقى نكافح من أجل إقناعهم بتنفيذ هذه الأمور لما فيها من مصلحة للشعب ورفعة لهم.

نحتاج إلى إستراتيجية عملية في القطاع التربوي: هذا كلام حق.

المواطن يريد التغيير: هذا حقه، ولكن المواطن في لحظة الصخب يريد تغيير كل شيء، وتغيير كل شيء في لحظة غير ممكن، وأوحي للمواطن أيضًا أن الجميع فاسدون، والحقيقة ليسوا جميعًا فاسدين، إذ توجد عقول مخلصة تعمل لصالح هذا البلد.

توجد مجموعة مسائل تخص وزارات، وسوف أتابعها مع السادة الوزراء إن شاء الله.

ديوان بغداد السياسي [٢٥٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة، والأفكار العميقة التي تفضلتم بإثراء اللقاء بها، وأعزيكم بذكرى استشهاد الإمام محمد الجواد (صلوات الله وسلامه عليه)، تاسع أئمة أهل البيت، ونحن في جواره ورحابه في مدينة بغداد العامرة.

سبب قوتنا

أعبر عن تقديري لجميع هذه الملاحظات العميقة وهذا التنوع الكبير، ولصبرنا بعضنا على البعض الآخر.

يتميز العراق بتنوعه وتعدد قراءاته، وهذه نقطة قوتنا، وهي نقطة ضعفنا أيضا، فإذا أحسّنا إدارة الاختلاف والتعدد في الأفكار والآراء، فسوف نحول هذه التعددية وهذا التنوع إلى قوة، وإذا أخفقنا لا سمح الله في ذلك، واستعدينا بعضنا لأنا نختلف في بعض التفاصيل، فسوف تتحول إلى فوضى وإلى جماعات متناحرة مع بعضها، وأنتم تمثلون نخبة متقدمة مؤثرة في الواقع السياسي العراقي، فنحن قادرون على أن نجلس ونتحدث ونتصارح، نختلف أو نتفق، ولكن نتعرف على آراء بعضنا ونحسن الظن ببعضنا، وهذه خطوة مهمة للغاية.

إن ما يدور في هذا اللقاء لا يبث إلى وسائل الإعلام، ووسائل الإعلام تلتقط صورة فقط وتبثها من دون الحديث عن المضمون، وقد أبعدناه عن وسائل الإعلام لكي لا يكون

٢٥٨. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٢/ ٩/ ٢٠١٥.

الحديث إعلاميًا، وإنما نتحدث بحرية كاملة بما يرى كل من الحضور أن من المناسب أن يُطلع إخوانه بوجهة نظره فيه.

أولوية الأمن وسمات الإصلاح

أعتقد بأن الأولوية الأمنية يجب أن تبقى ماثلة وحاضرة، فنحن في حالة حرب وداعش على الأبواب، ومهما حققنا من إنجازات وانتصارات خلال السنة الماضية، فداعش ما زال يقبع في مناطق حيوية وحساسة؛ فهذه الفلوجة تبعد عن بغداد خمسة وثلاثين كيلو مترًا فقط، وتلك الرمادي، والمعارك في بيجي، وظروفنا في نينوى، إلى غير ذلك من المحافظات والمناطق التي ما زال الإرهاب الداعشي يسيطر عليها، لذلك فنحن في حالة حرب، ويجب أن تبقي الأولوية الأمنية ماثلة.

وما أجمل ما عبرت به المرجعية الدينية؛ إذ قالت إننا نخوض معركتين: معركة وجود ومعركة إصلاحات، ومعركة الوجود تُقدم على معركة الإصلاحات على أهميتها، لأن المثل يقول: (ثبّت العرش ثم انقش)، والإصلاحات الحقيقية كما نعتقد يجب أن تتوفر فيها خمس سمات وأوصاف:

السمة الأولى: أن تكون إصلاحات جدية، وليست إصلاحات عابرة أو تسويفية، أن نكون جادين في إجراء الإصلاح.

السمة الثانية: أن تكون إصلاحات جذرية حقيقية وليست شكلية فقط، بأن نذهب إلى إصلاحات بنيوية كما أسلفتم في مختلف مرافق الدولة والحياة.

السمة الثالثة: يجب أن تكون إصلاحات شاملة، فأن نصلح جانبا ونترك ونهمل جوانب أخرى، فهذا لا يؤدي إلى تحقيق الإصلاح، لأن الأمور متداخلة مع بعضها، والدولة هي مجموعة مؤسسات ومفاصل يؤثر بعضها في بعض، فإصلاح البعض دون الآخر كإنسان تكون بعض أعضائه سوية والأخرى فيها مشاكل، وهذا يسمى معاقًا، لأنه غير قادر على أن يمارس عملية النمو الطبيعي في جميع أبعاده.

السمة الرابعة: أن تكون إصلاحات متوازنة؛ أي تراعي التوازنات، ولا تبدو أنها ثأرية أو تستهدف قوى معينة أو حالات معينة دون أخرى، إلى غير ذلك، والتوازن عنصر نجاح في الحياة؛ وقد قال الله تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٢٥٩]، فالوسطية والتوازن مطلوبان في جميع الأمور والشؤون.

٢٥٩. سورة البقرة: الآية ١٤٣

السمة الخامسة: أن تكون هذه الإصلاحات دستورية، فإذا ما تقاطعت مع قانون فعلينا أن نشرع قانونًا بديلًا، لكي تكون متوائمة مع القانون، أما الدستور فيجب أن يكون أساسًا.

السمة السادسة، يُفترض أن تكون هذه الإصلاحات جماعية، لأن البعض منا حينما ينهض بإصلاحات معينة من دون أن يتشاور مع إخوانه، ويتركهم خلفه في عملية الإصلاح، حينذاك لن تحصل حالة الاندفاع والحماسة لدعم الإصلاحات من الجميع.

المحافظة على المؤسسات

أنا معكم في أن هناك ظواهر سلبية، ولكن المؤسسة الأم في نظامنا البرلماني هي البرلمان، ومنها تتفرع المؤسسات الأخرى، ولا يمكن أن نضرب البرلمان ونفترض أنه هو المشكلة، مع أنه هو الحل ومدخل الحل، في ظل هذا النظام الذي هو أفضل الخيارات السيئة كما عبرنا، أو نترك هذا البرلمان والعملية كلها ونجري استفتاء، ولكن ما هي معاييرنا في هذا الاستفتاء؟ ومن يقول إن هذا الاستفتاء لن تؤثر فيه أجندة إعلامية معينة وتدفعه باتجاهات قد لا تكون في مصلحة الشعب؟ وبالتالي إذا كنّا نؤمن بالدولة والمؤسسات، فيجب أن نقبل بإفرازات هذه المؤسسات، أما القول إن هؤلاء صعدوا بالتزوير، فنحن من الجهات المعترضة على نتائج الانتخابات وقدمنا طعونًا، ولكننا أيضًا كنّا من أولى الجهات التي قبلت بالنتائج، لأنه لا يوجد حل.

إن جزءًا من هذا الفساد هو أموال تضخ بأجندة سياسية معينة، ويجب أن يكون هناك نظام يراقب ويتابع الأحزاب أو غيرها، وهناك جزء من هذا الفساد ناتج من الضغط على الناس وتحديد خياراتهم، ومن كان خارج هذه الخيارات يُضرب ويُقتل في بعض المناطق، فيحرم البعض من أن يشارك، وأن تكون له فرص متكافئة مع الآخرين، وهذه يجب أن نوفر لها الأمن ونعالجها، وجزء منه ناتج من سياقات وإجراءات الانتخابات وحساب الأصوات وما شابه، أي يكون هناك تلاعب، فيجب أن نعمل على مأسسة وتقنين الإجراءات الكفيلة بالمعالجة.

السياسات والإجراءات الإصلاحية

لقد بدأنا ببذل جهد هادئ بعيدًا عن الأضواء والادّعاء، وهذا لا نريد قوله في الإعلام، بل نقوله لكم خلف الأبواب المغلقة؛ فقد جلبنا عددا من الخبراء في مختلف المجالات، وراجعنا ظروف البلد المختلفة، وانتهينا إلى مسودة؛ ورقة من

ثمان صفحات أسميناها (السياسات الإصلاحية)، وورقة أخرى من خمس صفحات أسميناها (الإجراءات الإصلاحية)، فالإصلاح بحاجة إلى سياسات وإجراءات في مختلف القطاعات، فأصبحت المسودة ثلاث عشرة صفحة.

هذه المسودة لا نريدها باسم المجلس الأعلى، وإنما نوزعها بين القوى السياسية المختلفة ونقول: ادرسوها وأضيفوا عليها وأنقصوا منها كقوى سياسية مجتمعة، ثم تقدم الطبقة السياسية هذه الحلول الإصلاحية وتعمل بها، فعندما تكون هي مقتنعة بهذه الخطوات، فسوف تضحي من أجلها، وهذه الخطوات لم تُرد أن تستهدف شخوصا أو قوى، بقدر ما استهدفت إجراءات وخطوات إصلاحية حقيقية جدية في مختلف القطاعات.

تعليقات مختصرة

مسألة السلف: مسألة السلف البالغة خمسة تريليونات التي جرى الحديث عنها، خطوة جيدة ومهمة إذا وصلت إلى المستحقين؛ إلى من عنده مشروع زراعي أو صناعي أو سكني حقيقي، أما إذا التفت عليها المافيات، فسوف تذهب بلا نتيجة، وأنا شخصيًا قلقٌ بهذا الشأن.

المطالبة بإقالة القاضي (مدحت المحمود): السيد (مدحت المحمود) له ما له وعليه ما عليه، ولكن هل هو المشكلة الآن؟ لا، فالمشكلة ليست بالشخوص وحدهم، فإذا لم نصوت على قانون المحكمة الاتحادية، وإذا لم نتخذ الإجراءات الصحيحة داخل القضاء، وإذا لم نقنن التشريعات ذات الصلة بجميع مفاصل السلطة القضائية التي ما زالت إلى الآن تعيش على أربعة سطور من زمن (برايمر)؛ تُشكل سلطة قضائية فيها مجلس قضاء.

تنحية مائة وثلاثة وعشرين وكيلًا ومديرًا: ذكر السيد رئيس الوزراء أمس أن الإجراء لم يكن هكذا فجأةً، بل شُكلت لجان، وطُلب من السادة الوزراء التقييم، وذهبت لجان أخرى وقيّمت، وبعد حصيلة هذه المعطيات، من حصل إجماع على وجود ملاحظات معينة تجاهه اتُخذ قرار بشأنه، ومن كان هناك أكثر من رأي بشأنه أبقي لمرحلة لاحقة لاستكمال الإجراءات.

ضخ الدماء والوجوه الجديدة شيء صحيح، ولكن لماذا تتم تنحية كل من بلغ عمره خمسين سنة؟ فهؤلاء خبرة متراكمة، وفي جميع وزارات العالم بأي بلد متحضر ترى

القيادي الهرم في الوزارات، وأعضاء الكونغرس عندما يزورن العراق قلما ترى شابًا بينهم، فالزهد بذوي الخبرة والتجربة خطأ، ولكن ضخ الدماء الجديدة أمر صحيح جدًا، وهذا التوازن شيء مطلوب.

موقف المرجعية عزز ثقة الشارع فيها بدعم الإصلاحات: بالفعل، المرجعية تناشد وتنادي دومًا بالإصلاح، ولكن المرجعية وجهت خطابها للسلطات الثلاث والسياسيين الواعين وطالبتهم بالإصلاحات، أما ما هي الإصلاحات، وما هي الخطوات، وما هي السياقات الدستورية المطلوبة، فهذا ليس شأن المرجعية، بل شأننا نحن الطبقة السياسية، ويجب أن نجلس ونحدد الإصلاحات المطلوبة، ونكيّفها مع الدستور والقانون، فلا نحمّل المرجعية ما لا تتحمل، فالمرجعية ليست معنية بهذه التفاصيل.

تحكيم الولاءات المذهبية والعشائرية والفئوية: إذا أردنا أن نبني دولة، فعلينا أن نتسامى ونعض على الجراح، ولكن من ناحية أخرى توجد محنة كبيرة فيها أبعاد مذهبية وقومية في المنطقة، ولا نستطيع أن ندس رؤوسنا في التراب، ولا نرى هذه الحقائق وتأثيراتها في واقعنا العراقي.

الأساس هو أن قادة البلد يتفقون في القضايا الإستراتيجية: قادة البلد جزء من النسيج السياسي، ويجب أن تكون لدينا مؤسسات فاعلة ونشيطة وقوية تنتج قرارات مقبولة من الجميع.

أدوات المصلح ومساحته: هذا كلام حق، ويجب أن نحدد؛ المصلح الدولة ومؤسساتها وإفرازاتها الدستورية، ليس لدينا خيار آخر.

رعاية المناطق الصامدة حق، وعملنا دومًا على ذلك، ويجب أن نستمر في هذا الأمر.

ردم الفجوة بين الشعب والمسؤولين حق.

عدم إقصاء الكفوئين والمخلصين حق.

المحاصصة أسّ المشكلة: جزء من المحاصصات مرفوض، ولكن جزءًا من تبادل الأدوار وإشراك القوى التي حازت ثقة الشعب أمر معقول.

الإصلاح يجب أن يبدأ منا: لقد قرأت كلمة لأمير كبير يقول: ظننت أن الوزير إذا صلح فسوف تصلح شؤون البلاد، فأصبحت وزيرًا، وأزعم أني كنت صالحًا، ولكن لم تصلح الأمور، فقلت إذا صلح الملك والرئيس والزعيم فسوف تصلح شؤون البلاد،

ولكنها لم تصلح، فتيقنت أن الشعب إذا صلح صلحت أمور البلاد، لأن الشعب عندما يكون ذا ثقافة عالية فهو الذي سيحسن الاختيار، ويحسن المراقبة والضغط إلى غير ذلك، فهذا الكلام الذي تفضلتم به كلام حق.

الإحصاء السكاني: نعم، ولكن دخلنا في تفاصيل؛ أن هذا الإحصاء سيبين كم تبلغ نسبة المكون الفلاني، ونسبة المكون الآخر، في محافظات مرتبكة، ولم نحصل على الإحصاء، وهذه مشكلة نواجهها.

تفعيل قانون الأحزاب: هذا كلام صحيح، ويجب بعد إقراره أن نفعّله ونذهب إلى تنفيذه.

قانون الانتخابات: يجب أن نضع رؤية صحيحة، ففي كل انتخابات قانون جديد، ويجب أن يكون لدينا قانون ثابت، بعد مرور اثنتي عشرة سنة على العملية السياسية وكذا عملية انتخابية، يكون ضامنًا للنظام البرلماني ويعمق الوحدة والتماسك داخل العملية السياسية، أما أن يكتب ويصاغ خارج إطار المؤسسات الدستورية، فنحن لسنا مع هذا لأمر.

مجلس الخدمة الاتحادي: يجب أن يتسم هذا المجلس بحيادية ومهنية ويعطي فرصًا متكافئة للجميع، سواء كانوا منتمين لأحزاب وقوى، أو كانوا مستقلين، فكفاءة الشخص وقدرته وشهادته وخبرته هي التي تمنحه الفرصة، وحين نصل إلى هذه الحالة، ستكون هذه بداية تصويب حقيقي للعملية الإدارية في البلاد.

مؤسسة عسكرية مهنية ومستقلة، كلام حق.

النازحون وضرورة معالجة مشاكلهم، هذا كلام صحيح.

خفض سنّ التقاعد: يجب أن يدرس هذا الأمر دراسة عميقة، إذ نُحرم من شخص بعد سنوات من الدرس والخبرة والتجارب وإلى آخره.

إصلاح التحالف الوطني ومأسسته: الجهود مستمرة، والحساسيات حقيقة في التحالف وغير التحالف، ونحتاج إلى أن نعض على الجراح ونتفاهم مع بعضنا، وأن نطور مؤسساتنا السياسية لتكون قادرة على أن تطمئن الشارع وتحظى بثقته.

شكرًا لكم أحبتي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد الإعلامي [٢٦٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

السيدات الكريمات، السادة الكرام، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تجشمكم عناء الحضور إلى هذا اللقاء، وإثراءكم هذا الديوان بالملاحظات القيمة، والعميقة، والدقيقة، والمعبرة عن حرصكم على الوطن وعلى هذا الشعب وأنتم أبناؤه، وليس غريبًا على هذه النخبة الإعلامية المسؤولة الكريمة بتوجهاتها الوطنية أن تعيش هذا العنفوان والحماسة، وهذه الرغبة الكبيرة في إصلاح الأمور في بلادنا.

كُلي شكر وتقدير لكل ما تفضلتم به، وكذلك لمستوى الصراحة التي اتسم بها هذا اللقاء، كما هو الحال في اللقاءات السابقة. لقد تعاهدنا أو تبانينا على أن أسجل مجموعة من الملاحظات أولًا، ثم انتقل إلى التعقيب على ملاحظاتكم، وأثمن عمل من هيأ وقدم وثائق ودراسات لهذا الديوان في المحور المخصص، وبكل تأكيد فإن كل ما يذكر في هذا الديوان يُدون ويُقيم، وما يمكن أن ينفع أي رواق من أروقة القرار من هذه الأفكار يُرسل إلى تلك الأروقة للاستفادة منه.

ضرورة الإصلاح وتعريفه

لا شكَّ في أن الإصلاحات ضرورية، وإذا كانت الأمور تسير في الاتجاه الصحيح ولا توجد تظاهرة، فنحن نحتاج إلى أن نطور، فمن تساوى يوماه فهو مغبون، فإن كان هناك تلكؤ فيجب إزالة التلكؤ، وإن كانت هناك مشاكل فيجب معالجة هذه المشاكل،

٢٦٠. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب الإعلامية الذي عقد بحضور النخب والكفاءات الإعلامية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٩/ ٩/ ٢٠١٥.

فمبدأ الإصلاح مبدأ أساسي وضروري ويجب أن يُعتمد، وعندما يكون هناك مناخ وأجواء من الرأي العام مشجعة ومساندة، فهذا يعطي زخمًا أكثر وقوة للمسؤول في أن يسير ويتصدى في إجراء الإصلاحات.

كما تفضلتم فإن الإصلاح كمبدأ يناشد به الجميع ويقبل به، ولكن الإصلاحات كبناء البيت؛ سهلٌ في فكرته قبل البناء ولكنه صعب في تنفيذ المشروع، لأنه يحتاج إلى عناء كبير، وإصلاح دولة بحجم العراق يحتاج إلى رؤية، وإلى خارطة طريق، وإلى إجراءات صحيحة؛ هل نستطيع أن نصلح كل شيء في لحظة واحدة؟ قد لا نستطيع، هل نستطيع أن نستعدي الجميع في نظام أساسه مبني على التعاون بين الأطراف، والحكومة مُشكلة على أساس الشراكة الوطنية؟ هذه حقائق وواقعيات يصطدم بها المسؤول، وفي تواصلي واجتماعاتي المستمرة مع الأخ الدكتور (العبادي) ألمس منه هذا الإعياء أحيانًا؛ فالرجل راغب في أن يقوم بدور، ولكن عندما يأتي إلى التفاصيل ويريد أن يضع النقاط على الحروف تواجهه تعقيدات كبيرة، ونعتقد بأن الإصلاحات الجدية الحقيقية التي يطمح إليها المواطن يجب أن تتوفر فيها ست سمات أساسية؛ أن تكون إصلاحات جدية، وجذرية، وشاملة، ومتوازنة، ودستورية، وجماعية، ولا أقول إجماعية؛ لأن الإجماع من الصعب أن يتحقق على الإصلاح وأساسه، فنريد أن نصلح ما أفسده بعض العاملين في هذه الساحة، ولكن بطريقة جماعية جُهد الإمكان.

الإصلاح يضرب مصالح فئات وجماعات مستفيدة، فالعملية الإصلاحية تفقد هذه القوى، وفي قبالها يجب أن تكسب قوى أخرى لكي يكون هناك توازن بين حجم القوى التي تنضم، وحجم القوى التي تخرج عن مسار العملية السياسية أو الحكومة أو ما شابه ذلك، وهذا توازن دقيق، وإلاّ كما قيل فإن السيد رئيس الوزراء بالتالي أخذ هذا الموقع ضمن هذه المعادلة التي جلبت هذا وجعلته وزيرًا، وذاك جعلته رئيس جمهورية، والثالث جعلته نائب رئيس الوزراء، ضمن هذه المعادلة، واليوم لا يستطيع أن ينتفض على نفسه وعلى المعادلة التي هو جزء منها، فإذا أراد أن يتخذ قرارات بدون التشاور مع الأطراف فسوف تتشكل بمواجهته غالبية نيابية في البرلمان، وبدأتم تسمعون بعض الشخصيات والقيادات اليوم تتحدث عن مطالبة بتغيير رئيس الوزراء، ونحن نؤكد هنا دعمنا للسيد رئيس الوزراء ولحكومته ولمسار الإصلاح، ونعتقد بأنه لا توجد الآن فرصة واضحة لخيار أفضل يُمكن أن يحقق إصلاحات أكثر مما هو متحقق، فنحن ندعم

إصلاحات السيد رئيس الوزراء، ونعتقد بأننا يجب أن نقف الآن بكل قوانا من أجل إنجاح هذه العملية الإصلاحية، بشرط أن نوفر هذه السمات الست.

ورقتنا الإصلاحية.. رؤية لصالح الجميع

كما تعرفون فنحن لا نذهب إلى التصريحات النارية، وفي الأزمات غالبًا ما يخفت حضورنا العام، إذ نذهب إلى الحلول خلف الأضواء وخلف الأبواب المغلقة، وفي اليوم الذي طُرحت فيه فكرة الإصلاح والحزمة الأولى للإصلاح، شعرنا بأننا لا نستطيع أن نكون كالمتظاهرين، فإذا طلبنا وفعلتم أنتم كذلك فمن يُنفذ؟ فوسائل الإعلام تطلب من المتصدين أن يقوموا بإصلاحات، فإذا فعل المتصدي الشيء نفسه فمن الذي سينفذ؟ لذلك شكلنا لجانا وذهبنا خلف الأبواب، وراجعنا جميع المبادرات والخطوات والرؤى والأفكار والدستور، وعندما نقول يجب أن تكن الإصلاحات جدية جذرية شاملة متوازنة دستورية جماعية، إذن نحن نقدم مسودة مقترح لرؤية متكاملة إصلاحية في جميع القطاعات، وهذا الجُهد الذي استمر عدة أسابيع والعمل المضني الذي تحقق أنتج ورقتين، ولا أقول هذا للإعلام، بل أقوله لكم كرجال الإعلام، وأرجو أن يبقى خاصًا حتى يُعلن بشكل رسمي من الجهات المختصة.

لقد قمنا بصياغة ورقة أسميناها (السياسات الإصلاحية)، وورقة ثانية أسميناها (الإجراءات الإصلاحية)، إذ نحتاج إلى سياسات، ونحتاج إلى إجراءات، وكانت السياسات الإصلاحية في ثماني صفحات، والإجراءات في خمس صفحات، ثلاث عشرة صفحة هي مجموع السياسات والإجراءات، ثم وزعناها بين القوى السياسية، إذ أخذناها إلى رئيس الجمهورية، وإلى رئيس الوزراء، وأول من سُلمت إليه السيد رئيس البرلمان، ثم القوى السياسية من جميع الأطراف.

قلنا إن هذه المسودة لنا جميعًا وليست للمجلس الأعلى فادرسوها وناقشوها، وحاولت أن تستهدف إجراءات ومواقف وتصحيح مسارات وتشريعات أكثر من أن تستهدف شخوصًا، وهذه الإجراءات والسياسات الصحيحة بالتالي ستؤدي إلى إبعاد أشخاص، والورقة الآن بين يدي الجميع لتُدرس، ودعونا إلى طاولة حوار ولكن ليس في المجلس الأعلى، فإذا كان في المجلس الأعلى فسيكون هذا المكان مشكلة جديدة تضاف، ونحن لا نريد أن نزيد أعباء العملية السياسية، وقلنا إن رئيس الجمهورية رمز

سيادة البلد، فليكن الاجتماع في مقر رئيس الجمهورية، بأن يُدعى قادة البلد بعد أن يكونوا قد درسوا هذه القضية وطوروها، ليتفقوا على رؤية شاملة، ويدعموا رئيس الوزراء والحكومة في سياسات وإجراءات عملية حقيقية دستورية غير قابلة للطعن، وغير قابلة للتفكك، فنمضي لبناء واقع جديد، نعالج فيه إخفاقات وتلكؤات حصلت في العملية السياسية.

الاتفاق لا يحصل كما تفضلتم، ولكن يجب أن تكون لدينا قوى مهمة كبيرة تلتئم وتجتمع، وفي مسألة النظام السياسي التي تفضلتم بها، فإن الديمقراطية أصلًا أفضل الخيارات السيئة كما يقال، ولا يوجد عندنا نظام متكامل مئة بالمئة، والديمقراطية لا توجد فيها عدالة كاملة بل عدالة نسبية، وهذه أمريكا قارة كبيرة فيها ثلاثمائة مليون نسمة، ولكن قادة الشعب الأمريكي كله إما من الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي، فهناك حزبان يتنافسان فقط، في هذا التنوع الكبير من الأديان والحضارات والقوميات، فالشعب الأمريكي كما تعلمون شعب مهاجرين، أي لا توجد عنده عراقة كالشعب العراقي الذي يبلغ تأريخه آلاف السنين، فهذه أمريكا بهذا الحجم وهذا التنوع الكبير جدًا، إما جمهوري أو ديمقراطي، وهذه تركيا التي يبلغ تعداد شعبها تسعين مليون نسمة، وهي دولة فيها مستوى من الديمقراطية، تنافست فيها أربعة أطراف مع بعضها وخرجت بنتائج، وكان يكفي حزب العدالة أن يتفاهم مع طرف واحد من الأربعة لكي تشكل الحكومة، ولكن مرت المدة القانونية ولم يستطع أن يتفاهم مع طرف واحد، واضطروا إلى أن يذهبوا إلى انتخابات مبكرة، وهم يستعدون لها هذه الأيام كما تعرفون، ونحن في العراق لدينا خمسمائة كيان دخلت الانتخابات، وفي هذا تبعات كبيرة، سببها فتوة التجربة والرغبة بالمشاركة من الجميع، ويجب أن نتقبل أن هذه المسألة تحتاج إلى تشديد.

الوضع الاقتصادي والسياسي

نحن نقول إن مشكلة العراق هي الفساد، ولكن أين هي الأموال لكي يسرقها الفاسدون؟ هذه فرصة لتجفيف منابع الفساد وعودة الأمور إلى نصابها الصحيح، وهذه فرصة للمسؤول بأن يعطي صلاحيات للقطاع الخاص، وللمحافظات، والاستثمار، فميزانية الدولة تكاد لا تكفي للرواتب، إذن يجب علينا أن نجلب الاستثمار وإلاّ سينهار الوضع اقتصاديًا، فهذه كلها فرص جدية، إذ ما دامت الأموال بأيدينا فلن يعطي المسؤول صلاحيته للآخر، بل يبقى متمسكًا بها والجميع يركض وراءه، لذلك

هذه فرصة تأريخية، بأن نحول التحدي إلى فرصة في أن نعيد تقويم الأمور وتصويبها بالشكل الصحيح في الوضع الاقتصادي.

وفي الوضع السياسي، نجد هذه الضغوط الشعبية والتظاهرات، وكلها فرص في تقليل الرواتب والامتيازات إذا تقننت، وتوجد ظواهر اجتماعية خاطئة، فالفساد تحول إلى ظاهرة وثقافة مع الأسف، ونحتاج إلى معالجات جذرية، ولن تحل المشكلة بعزل وزير أو مسؤول.

الموازنة بين معركة الوجود ومعركة الإصلاحات، فمعركة الوجود مفادها (ثبت العرش ثم انقش)، وأحيانًا أشعر أن الاهتمام بالجوانب الإصلاحية بمستوى يجعل ذهن المسؤولين كله غائبا عن الجبهات والقتال.

بشأن تحديد هوية الدولة، أعتقد بأن الدستور حدد الملامح، ولا نستطيع أن نرجع إلى المربع الأول وكل يوم نعيد النظر، فهذه الهوية موجودة، وإذا فكرنا بشيء آخر علينا أن نذهب إلى تغييرات دستورية بنيوية، وأرى أن الجو غير ملائم لها.

محاربة الفساد وخطورة التعميم

في ما يخص محاسبة كبار الفاسدين، وكبار القضاة، فمن حيث المبدأ من يقول لا نحاسب؟ ولكن كواقع هذا الذي بيناه، فالفساد الذي يحصل في العراق اليوم في الأعم الأغلب فساد ممنهج، بإجراءات وقوانين، وكل شخص يغطي نفسه بسياقات، فالفساد موجود وتراه بعينك ولكن من هو المفسد؟ هذه مشكلة حقيقية ما لم نذهب إلى سياسات إصلاحية، ما لم نقلل البيروقراطية، ما لم نجعل الإجراءات واضحة وشفافة وقصيرة وبينة.

البعض يلوح بأن أبناء المرجعية فاسدون، ومن خلالكم أدعو كل من لديه وثيقة إلى أن يبرزها، ولا أتحدث عن غيري، فأي شيء تجاه هذا العبد الفقير لله (سبحانه وتعالى) أرحب به، وأشكر من يقدم أي دليل وله الفضل في ذلك، إن كانوا أولئك البعض أو غيرهم فنحن في خدمتهم جميعًا، وأنا أزعم أن المجلس الأعلى أقل جهة سياسية استفادة من الأماكن الحكومية، وحتى هذه الأماكن المحدودة هي بعقود رسمية من أول يوم، ومقر المجلس الأعلى في بغداد كنا قد اشتريناه في وقتها، ونستخدم وضعنا الخاص ولم نأخذ من أموال الدولة، والمكان الوحيد هذا المقر، الذي كان مكتب طارق عزيز وصودر من قبل الدولة، وأخذناه بعقد منذ سنين، وليس بعقد رمزي بل

ندفع إيجاره بالملايين، وهذا المكان الذي تجلسون فيه كان قطعة أرض فارغة، وقمنا بالتعاقد رسميًا من الحكومة لاستثماره كمركز ثقافي، ويستخدم في ما وضع له كمركز ثقافي، وتلك الأرض الأخرى أرض حكومية بنيت عليها القاعة الحكومية، فهذه الأرض لا أحد يستطيع أن يستثمرها لأي غرض لأنها داخل فضاء رئاسة الجمهورية وغير مسموح لأحد بأن يدخلها، فاستعملناها كقاعة للاستخدام العام يدخلها آلاف الناس وتعقد فيها مؤتمرات لمصلحة البلد، فهي ليست للاستخدام الشخصي ولا العائلي، بل إن وضعها معروف، وليس لدينا في بغداد أي مكان حكومي غير هذا، وفي النجف لدينا مقر للمجلس الأعلى، هو مكان حكومي سابقًا وكان خربة، ونستخدمه بإيجار وعقد أيضا، وأنا في هذه اللحظة لا أذكر إن كان لدينا أماكن أخرى مستأجرة من الحكومة غير هذه الأماكن، وعلى كل حال هذا ما أحببت أن أوضحه.

ما علاقة المجلس الأعلى بالسيد (البارزاني) وتفاهمات وتحالفات وغيرها؟ من اثنتي عشرة سنة، أي منذ سقوط نظام صدام، إلى هذه اللحظة لا يوجد لدينا تعامل اقتصادي بقدر دينار مع الأخ البارزاني وأنا مسؤول عن كلامي، ولا توجد مصلحة خاصة، وكل ما عندنا هو العراق الذي نريده موحدًا، وهذا العراق إذا أردناه أن يتوحد فيجب على جميع المكونات أن تتفاهم مع بعضها، وإذا حدثت مشكلة فهل يكون الحل بالكسر في وسائل الإعلام، أو نذهب إلى حلول خلف الأبواب؟.

هناك من يصرخ في وسائل الإعلام، ولكنه خلف الأبواب يبدي مرونة كبيرة، بدون ذكر أسماء، ونحن نزعم أننا ممن يتحدث بأوضح العبارات خلف الأبواب المغلقة ويضع النقاط على الحروف بشكل لا تتصورونه، ولكن في الإعلام لا نذكر أحدًا بسوء لأننا نريد أن نحل المشكلة، فالتجريح في وسائل الإعلام يجعلك غير قادر على الحل، ونحن لم نكن في موقع تنفيذي يتطلب منا أخذ إجراء معين، وكل ما فعلناه هو أننا ذهبنا لنتكلم خلف الأبواب لكي يكون تأثير كلامنا أكبر، وعلى كل حال، لا قرابة لنا مع شخص مع احترامنا لجميع الذوات، ولا مصلحة تربطنا مع شخص أو مجموعة، مع احترامنا لكل شخص ولجميع الأحزاب.

مشروع تشكيل الأقاليم

الإقليم كان مشروعنا لماذا تخلينا عنه؟ لأنه أصبح هناك منافسون، والذي دعا إلى هذا المشروع هو عزيز العراق، وقد ذهب اليوم إلى ربه، وأنا أشهد أمامكم، وهو الآن لا يستفيد من هذه الشهادة لأنه عند ربه، أشهد أنه لم يكن ينظر ولو بنسبة واحد بالمائة

إلى دوره أو إلى موقعه وموقع كيانه في هذا الإقليم، بل كان ينظر إلى مسألة تشكيل أقاليم في ظل الاستقرار الذي كان آنذاك والبلد ممسوك، وبالتالي يوجد وضع أمني مسيطر عليه إلى حد ما، إذ كان يرى أن هذا التعدد في الأقاليم يفضي إلى أن يأخذ كل طرف حقه وتستقر الأمور ويبقى العراق موحدًا وقويًا، هذه كانت نظريته.

لقد كان يجلس مع القيادات السُنية ويتحدث معها، ويقول: أنا أنصحكم لله، ونحن لا نريد أن ننشئ إقليمًا من غير حضوركم، ولكنهم رفضوا بشدة، وعندما رأى أن هناك رفضا في الساحة السُنية والساحة الشيعية جمد الموضوع، ثم أصبحنا أمام واقع آخر، إذ توجد إشكاليات والآن داعش ما زال يحتل مساحة من العراق، وتوجد بعض الإشكاليّات المعروفة عندكم، لذلك نحن دعاة هذا المشروع أحجمنا بسبب التوقيت عن إقليم البصرة أو إقليم في الأنبار، فالآن في هذه اللحظة لا نرى التوقيت مناسبًا.

الإصلاح والاستقرار

الإصلاح يتطلب استقرارًا سياسيًا، لأن انهيار الوضع السياسي يعني ذهاب الإصلاحات أيضًا، فيجب أن يكون لدينا استقرار سياسي واستقرار أمني وأن نعمل عليهما، ونجري الإصلاحات ضمن رؤية واضحة، هذا هو التوازن الصحيح.

القول إن خمسة وعشرين شخصًا كتبوا الدستور، ليس وصفًا دقيقًا، وكذلك القول إنه كتب بستة أشهر، ليس وصفًا دقيقًا، فهناك خمس عشرة سنة من النقاشات الطويلة في مؤتمرات وفعاليات وورشات وندوات؛ كيف يجب أن يكون العراق، وجميع هذه التجارب والملاحظات استحضرت، وكذلك الاستشارات في هذا الموضوع، فقد تمت استشارة عراقيين وغير عراقيين كثر، والدساتير التي استحضرت، والأمم المتحدة بكل جهودها وطواقمها، والاستفادة من تجارب الآخرين الذين كتبوا دساتيرهم، فاستُحضرت جميع هذه الخبرات والتجارب في كتابة الدستور، وهذا الدستور فيه ثغرات، ولكنه ليس كما يسعى البعض إلى أن يصوره بأنه كله مشاكل، بل فيه إيجابيات عظيمة وحفظ البلد، وخير دليل أن من كان يعارضه في لحظة الاستفتاء عليه، كان بعد ذلك متمسكا به، فهذا الدستور ضامن لحقوق الكثير.

التحالف الوطني يتحمل مسؤولية استثنائية في الإصلاح، وفي اجتماعات التحالف يجري كلام صريح جدًا وواضح ومشفق ومحب لإنجاح الإصلاحات، وأن تأخذ مدياتها ومساراتها الصحيحة، فما زال هناك عدد كبير من المدراء يُظن أنهم فاسدون، وما زالت

هناك مناصب بالوكالة، وهذه القضايا بحاجة إلى أن تعالج، وتوجد المعالجات في هذه المسألة ضمن الورقة.

موضوع الهجرة بين السلب والإيجاب

الهجرة الواسعة ظاهرة تحتاج إلى وقفة؛ ما الذي حصل؟ فحين دخل داعش إلى الموصل هاجر مليونًا إنسان منها، فالهجرة هنا سببها دخول داعش، وحين سقطت الرمادي بيد داعش توجه مليون شخص فجأةً من أهالي الأنبار إلى بغداد والحلة وكربلاء وغيرها، وهذا سبب مقنع وواضح، أما أن يهاجر هؤلاء الناس والشباب فجأةً، فأنا أسأل بحثًا عن جواب، وأنتم إعلاميون وقد راقبت الكثير من تغطياتكم الإعلامية وتقاريركم، وأنا شخصيًا ليس لدي جواب، ما الذي حصل فجأةً وجعل الناس اليوم يفكرون بالهجرة؟ هل هو انهيار أمني كبير؟ لا يوجد، أو انهيار اقتصادي؟ الدولة تدفع رواتب، أو انهيار سياسي معين؟ لا يوجد، بل بالعكس فالمسيرات مستمرة ودور الشعب أصبح أكثر، فما الذي حصل؟ وما نقوله بهذا الشأن هو:

أولًا: إن الإصلاحات وتحسين الأمور ستخفف من هذه الغلوة.

ثانيًا: أثمن تقاريركم الصحفية أو التلفازية التي ركزت على نازحين ذهبوا ورأوا أن هذه ليست جنة الفردوس التي كانوا يتوقعونها، والآن بدأت الطائرات تعيد الناس في هجرة عكسية، وأنا أتمنى على إعلامنا العراقي أن يجري مقابلات مع هؤلاء، ليتكلموا عن محنتهم وألمهم وعن الإذلال الذي رأوه في هذه الدول، وهذا هو الذي سيعطي رسالة للآخرين الذين يفكرون بالخروج.

بعد كل هذه الأمور اقبلوا هذه الكلمة مني ولو كانت مزعجة لكم: إن الهجرة ليست كلها سيئة، أحيانًا تكون في الهجرة إيجابيات، فهجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من مكة للمدينة أدت إلى نقلة عظيمة، وهجرة اللبنانيين في الخمسينيات والستينيات حولتهم إلى جالية مؤثرة في أمريكا اللاتينية وأستراليا وإفريقيا، وأصبحوا قطبًا اقتصاديًا كبيرًا في هذه البلدان، واليوم يقوم اقتصاد هذه الدول عليهم في هذه المناطق، وكذلك هجرتنا كعراقيين من بطش صدام في التسعينيات وغيرها، فقد ذهب أناس ودرسوا وتعلموا وعادوا، واليوم جزء منهم يجلسون في هذه القاعة، والكثير منهم نراهم في أماكن أخرى وأصبحوا مصدر إثراء للبلد، وعلى كل حال، أنا لا أشجع على الهجرة، وأعتقد بأن هذا خطر وأي عقل شاب يذهب فهو خسارة للعراق، ولكن جزءًا من هذه الحالات

لها مبررات تخص المهاجر نفسه أو ظروف البلد، وقد تؤدي في ما بعد إلى ارتدادات إيجابية لاحقة.

الإصلاح العسكري والأمني كلام حق، والتطور الاقتصادي مطلوب ويجب أن نذهب إلى القطاع الخاص، وقانون الاستثمار الآن تُبنى عليه آمال، وإن شاء الله يعطي فرصة حقيقية.

مطالب التظاهرات

في ما يخص التظاهرات المطالبة بالإصلاح، فإن جزءًا من مطالب الإصلاح يجب أن توجه إلى الحكومة، وبعضها إلى البرلمان؛ إذ تحتاج إلى تغيير تشريع، ولكن القانون يأتي من الحكومة، وإلاّ فالبرلمان يريد أن يشرع، وأي شيء فيه قضية مالية سيرجعه، فالحكومة توفر المقدمات وإن كان البرلمان له دور أيضًا في إقراره، وبعضها شؤون قضائية، وعلى القضاء أن يتحرك، وهكذا يجب إشراك الجميع.

أعتقد بأن المرجعية كانت صائبة حينما وجهت خطابها للسلطات الثلاث، فقد حملت الدولة المسؤولية ووجهت الخطاب لها، وليست الحكومة وحدها، وهذا الشيء مهم.

شكرًا لكم جميعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد السياسي [٢٦١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة والحضور إلى ديوان بغداد، وهذا الإثراء الكبير والواسع بملاحظاتكم القيمة تجاه هذه الأزمة والأوضاع العامة في البلد، ومن الجيد أن العراقيين ينظرون دائمًا إلى أوضاعهم الداخلية بسقف عالٍ، إذ لديهم توقعاتٌ كبيرة من أنفسهم ومن حكومتهم ومن بلدهم، ولكن يجب أن لا يصل هذا إلى مرحلة جلد الذات، حتى نشعر بالإحباط واليأس وكأن أمامنا شيئًا غير قابل للإنجاز، لأن ما هو مُنجز شيءٌ كثير، وفي هذه الأزمة بالتحديد، إذا ما قارناها بأزمات سابقة فسنجد أننا في موقفٍ أكثر تطورًا.

إجماع وطني

تُلاحظون على المستوى السياسي، أن أغلب القوى الكُردية سجلت موقفًا واضحًا في إدانة التوغل التركي، وأغلب القوى السُنية أبدت وجهات نظر وعبرت عن تشديدها على السيادة الوطنية، وأغلب القوى الشيعية كذلك، ومن لم يُعبر عن موقفه هم القلة القليلة جدًا، حتى من لم يُطلق تصريحا ويشدد على السيادة الوطنية وفضّل أن يسكت مراعاة لاعتبارات معينة أو أنه اكتفى بالآخرين، وقلما يحصل في أزمة من الأزمات أن نصل إلى مستوى شبه إجماعي، وحتى رئاسة الإقليم أطلقت تصريحات تشدد على أصل السيادة من دون أن تُدين هذا الموضوع، والسيد رئيس مجلس النواب قال كلمته بوضوح وشدد على السيادة وعلى التنسيق مع الحكومة، فهذا الموقف كان موقفا

٢٦١. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والاجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠١٥.

متطورا من حيث فهم الصورة، ومن حيث الخطوات التي اتخذتها الحكومة بحكمة وبتدرج، بدءًا من فتح الحوار واستقبال الوفد التركي لنرى ما إذا كان بالإمكان أن تُعالج القضية بالحوار، واستمرارًا بتسليم رسالة من الحكومة العراقية إلى مجلس الأمن وإلى السيد الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون بالأمس، وستستمر هذه الخطوات ضمن التخويل والتفويض الذي منحه مجلس الوزراء للسيد رئيس مجلس الوزراء في أن يقوم بهذه الخطوات.

إذن توجد قاعدة سياسية عريضة جدًا، متحدة ومتفقة على ضرورة وضع حد لهذه الخطوة، وهناك مراحل متدرجة تخطو بها الحكومة واحدة تلو الأخرى، وهذا موقف كبير في بلد متنوع ومتعدد الأعراق، نحن ليست لدينا حرية الحركة التي تملكها تركيا؛ إذ إن السيد (أردوغان)، ورئيس الوزراء (أحمد داود أوغلو)، ووزير الخارجية، كلهم من حزب واحد، فاتخاذ موقفهم أسهل بكثير منا كعراقيين، فاليوم في مجلس النواب هناك ممثّلون لعدد كبير من القوى والأحزاب والتوجهات والمكونات، وصياغة الموقف هنا أصعب بكثير مما هو في مكان آخر.

الفرص بحجم التحديات

كلما كانت تحدياتنا كبيرة، كانت الفرص أمامنا أعظم، وهذا ما يجب أن نلتفت إليه، ولأن تحدياتنا اليوم كبيرة جدًا، إذن نحن أمام حلول وفرص ومعالجات لم تكن أمامنا من قبل، والبعض منكم رأى أنه من الصعب افتراض تلاقي العراقيين على الأمد المنظور، واسمحوا لي أن أختلف مع هذا الرأي؛ فأنا شخصيًا لا أجد فرصة لأن يلتقي العراقيون أقرب من الفرصة التي نعيشها اليوم، فما دام كل منّا قويًا في ساحته ومشربه وتوجهه، ويرى أن لديه فرصة في أن يضغط أكثر على الآخر، فإمكانية التسوية والوصول إلى الحلول الشاملة تكون أصعب، وكلٌ يتصلب برأيه، ولكن في الوقت الذي تواجه فيه جميع ساحاتنا ومكوناتنا ضغوطا ومشاكل، وقد مضت على هذه المشاكل اثنتا عشرة سنة، فاليوم نحن أمام فرصة تأريخية، فالجميع يشعر بالإعياء والحاجة إلى الآخر، وهذه هي فرصة التسوية التأريخية، هذه فرصة الالتقاء في المنتصف من قبل الجميع.

لم يكن العراق أمام فرصة التوحد بقدر ما هو مُتاح له الآن، ولعلنا في لقاءٍ سابق قبل شهر محرم الحرام ناقشنا هذا الموضوع، وبيّنا كيف أن وحدة العراق خيار كردي اليوم، سواء التفتت إليه بعض الأطراف الكردية أو لم تلتفت، وخيار لسُنة العراق، وخيار لشيعة العراق، وخيار للمكونات العراقية الأخرى، لأن حجم الضغط والتحديات في

كل ساحة لا يعطي فرصة لأن تنهض أي ساحة بمفردها وتقف أمام الآخرين، وتنطلق وتبني دولة مستقلة أو كيانًا مستقلًا.

اليوم نحن بحاجة لبعضنا أكثر من أي وقتٍ مضى؛ فالساحة الغربية ظروفها معروفة، كما وصفها بعض الأفاضل، فإن داعش اليوم تغتصب مساحات كبيرة من هذه الأرض، والجمهور نازح، إلى غير ذلك من المشاكل، فأيّ دولة وأيّ إقليم في هذه الظروف، وفي هذه المحنة العظيمة التي نواجهها في غرب العراق؟ والإخوة في إقليم كردستان ليست مشاكلهم بسيطة سياسيًا واقتصاديًا وأمنيًا، وكلنا يعرف ماذا يجري في الإقليم، فالأمور يتم تداولها عبر وسائل الإعلام ولم تعد سرًا على أحد، والحديث اليوم ليس الانتقال من الإقليم إلى دولة، بل الحديث اليوم كيف نحافظ على هذا الإقليم لكي لا يتحول إلى إقليمين أو إدارتين أو ثلاث، فالوضع في الإقليم لا يُساعد أيضًا على التشظي، والساحة الجنوبية أيضًا مصلحتها أن تكون قريبة من الشركاء الآخرين، فلا مصلحة لأحد في الانشطار والانقسام.

اليوم نحن أمام فرصة لتسوية تأريخية، وهذه التسوية لا تعني التنازل، كما يريد البعض أن يجعلها، بل تعني الوقوف ضمن سقف الدستور في ملتقى يجتمع عليه العراقيون جميعًا.

المحاصصات وفرض الإرادات وكسر الآخر إلى غير ذلك، هذه الأساليب جربها الجميع ولم تُنتج، وأي مكون لم يصبح قويًا بإضعاف إخوانه وشركائه الآخرين، فاليوم نحن أمام فرصة حقيقية لتسوية تأريخية.

أزمة التوغل التركي

أتت هذه الأزمة كمفردة من المفردات التي تجمعنا، وهذا مما يصعب حصوله في ظروف سابقة، فقد يُنظر إلى هذه الدولة التي يُراد إدانتها أو ما شابه ذلك، فإذا كانت هذه الإدانة تُحقق مصلحة شيعية أو سُنية أو كُردية، يصطف مكون مع هذا الأمر ومكون ضده، أما اليوم فلا توجد حالة من هذا النوع، وفي أغلب القضايا النقاشية التي تحصل هناك من الشيعة والسُنة والكُرد والمكونات الكريمة الأخرى والديانات مَن يقفون إيجابًا، وهناك من لعله يتحفظ من أكثر من مكون أيضًا، وهذا تطور مهم يجب أن نلاحظه.

نعود لهذه القضية؛ لنفترض أنه كانت هناك اتفاقات مع نظام صدام، وكانت بحدود كما قيل، بأن يكون التوغل بضعة كيلو مترات لملاحقة حزب العمال الكردستاني،

ولكن نظام صدام كان مشغولا بظروفه الأمنية المعروفة ولا يستطيع السيطرة على كامل الحدود، فأعطى الفرصة للحكومة التركية بأن تتوغل قليلًا وتضرب المعارضين لها الذين يتواجدون على الأراضي العراقية إذا شكلوا خطرًا على تركيا، ثم جئنا نحن في الحكومة السابقة، وكان هناك اتفاق على تدريب في معسكرات في السليمانية وأربيل وإلى آخره، ولدينا أيضًا مدربون أمريكان وألمان، أما أن تأتي قوة عسكرية بمدرعات ودبابات، ليس إلى المقر التدريبي، ولا ضمن الخمسة كيلو مترات المتفق عليها سابقًا، وإنما تأتي إلى بعشيقة التي تبعد ثلاثة وعشرين كيلو مترًا عن مدينة الموصل، فلا المكان متفق عليه، ولا السلاح والدبابات تدريبية، وهذا غير مقبول.

حجة السيد (أردوغان) أنهم بحاجة إلى غلق الحدود وتجفيف منابع الإرهاب، فضلا عن تقديم الاستشارة العسكرية والغطاء الجوي المساند، إلى غير ذلك، ولكننا لم نطلب قوة عسكرية أجنبية داخل الأراضي العراقية، وهذا شيء تنفرد به تركيا بقرار خاص، وهذا خرق واضح للسيادة العراقية.

هل وجود مشاكل داخلية في العراق يعني أن من حق جيش من جيوش العالم أن يدخل إلى العراق ويتصرف كما يشاء؟ الجواب كلا وألف كلا، يجب أن نحل مشاكلنا الداخلية، ولكن يجب أن نحرص على حفظ سيادتنا، وأن لا نسمح لأي قوة أجنبية بأن تعتدي على أراضينا.

عجبًا لدولة أسقطت طائرة لدولة أخرى، وبحسب الرواية التركية فإن هذه الطائرة اخترقت السيادة التركية في الفضاء مدة سبع عشرة ثانية، وفي نفس الوقت تُدخل ألف مقاتل، ثلاثة أفواج، بدبابات ومدرعات إلى أرض عراقية بدون إذن، وهذا غريب جدًا من هذه الدولة، وكما قيل فإن دول مجلس الأمن الخمس مجتمعةً اتخذت موقفًا وأكدت على السيادة العراقية، في إشارة واضحة إلى أن هذا انتهاك لهذه السيادة، ولا توجد أي دولة في العالم أيدت التوغل التركي واعتبرته حقًا لتركيا.

إذن، لا أحد يُبرر هذه القضية، والحل يُفضل أن يكون سياسيًا، ولكن إذا لم ينفع فيجب أن نذهب إلى الحل الشعبي والعقوبات الاقتصادية، وهناك آلاف الشركات التركية تعمل في العراق، ويمكن أن نلوّح بالعقوبات الاقتصادية.

أعتقد بأن موقف الحكومة موقف فيه حكمة ووضوح وتدرج، وليس فيه انفعال، وأنا شخصيًا أُشيد بهذا الموقف والخطوات التي أُتخِذت، وبخارطة الطريق الموضوعة، فلا نحتاج إلى أن نصرخ، بل نحتاج إلى أن نأخذ القرار الصحيح، فنحن لسنا معارضة بل

حُكام، ولو تطلب الأمر نُنزل شعبنا إلى الشارع لتدعيم موقف الحكومة لكي لا تشعر أنها وحيدة، ولكن هذه كلها خطوات يجب أن نجعلها في وقتها المناسب والملائم.

تجنب المحاور

تجنب المحاور لا يعني تجنب التحالف مع الآخرين، فنحن بحاجة إلى حلفاء، ولكن نبني تحالفنا مع الآخرين بقدر ما ينسجم مع مصلحتنا العراقية، ومصلحتنا لا تجعلنا دائمًا في خانة دون أخرى، فلا نستطيع أن نقول لتحالف دولي مكون من أربع وستين دولة لا نحتاج إليك، وأعضاء هذا التحالف هم أنفسهم يصرخون بأن داعش هو عدوهم، وهذا بالتأكيد قوة للعراق.

إن الإنسان في لحظات تعبه يحتاج لكل شيء، حتى لو كان صوتًا واحدًا فقط يقف إلى جانبه، فكل من يقف معنا ضد داعش نقول له أهلًا وسهلًا، بشرط أن يكون ذلك ضمن القانون الدولي، وضمن اشتراطات العراق وسياقاته، بأن يستأذن منا للتعاون معنا في القضاء على داعش.

الخطاب المذهبي

أرى أن الخطاب المذهبي أصبح اليوم يرتد على صاحبه، وأنا أشاطركم الرأي بأنه أينما برزت الطائفية في العراق كانت سياسية وليست مجتمعية، وخير دليل أن لدينا اليوم مليون نازح من المحافظات الغربية الكريمة يتواجدون في مناطق بغداد وجنوب بغداد والنجف وكربلاء.. إلى البصرة، فهل سمعتم أحدًا اشتكى من شيء؟.

إن هؤلاء النازحين لم يذهبوا إلى مخيمات، بل ذهبوا إلى مجتمعات وصاروا جزءًا من المجتمع، ففي الأعم الأغلب لا توجد مخيمات في الجنوب، والناس فتحوا لهم الحسينيات والمساجد والمضايف وجميع الأمكنة لإيوائهم، سواء كانوا من السُنة الكرام أو من المسيحيين أو من أي ديانة أخرى يعيشون بسلام، والوضع المعيشي للكثير منهم، بحكم وجود المنازل والأماكن، أفضل من مخيمات النازحين في الإقليم، فالإقليم لا يستطيع توفير المنازل لمليوني نازح، لأن الوضع هناك مختلف، ولكنهم في الجنوب أصبحوا ضمن النسيج المجتمعي.

هذا واقع جديد يجب أن نقرأه، ويجب أن نلاحظ أنه حفظ العراق وقرّب العراقيين إلى بعضهم بشكل كبير، وربّ ضارة نافعة؛ فشعار إرهابيي داعش كان أنهم جاؤوا

انتصارًا للسنة بضرب الروافض الشيعة، وكان هدفهم إيجاد الفتنة الطائفية وتعميقها، فتحولت هذه القضية إلى لحمة ليس لها مثيل، وهذا تحقق بفضل المحنة التي نعيشها اليوم معًا.

تعليقات مختصرة

زيارة تركيا في هذه الظروف: قلنا لمن زاروا تركيا قبل أن يزوروها، وقبل حدوث هذه الأزمة، إما أن تؤجلوا الزيارة، وإما أن تذهبوا إلى تركيا وتُدافعوا عن السيادة الوطنية العراقية، لكي تكونوا صوتًا للعراق في هذه الزيارة، هذا ما قدمناه من نصيحة للإخوة الذين ذهبوا إلى تركيا.

التهميش لبعض المكونات: في لحظة الأزمة هناك فوضى ومشاكل، ولكن هل من إرادة للتهميش؟ لا أعتقد بأن هناك إرادة للتهميش، واليوم عندما يدور الحديث عن المسبيات نلاحظ العقل العراقي المسلم يذكر الإيزيدية قبل أن يذكر المسلمة الشيعية من تلعفر أو غيرها من التركمانيات وأمثالهن ممن تعرضن إلى السبي، لذلك فالاهتمام بالمسيحيين والإيزيديين والصابئة موجود دائمًا، ونحن نذكر ونقدر ونُثمن مواقفهم ونقف معهم في محنتهم، وهي طبعًا محنة عظيمة، ولكن إخوانهم المسلمين لديهم مشاكل كبيرة أيضًا، فنحن في لحظة حرجة، ولكن ما إن يُعاد ترتيب الأوراق بتحرير الموصل، فستجدوننا إلى جانب الشبكي والإيزيدي والمسيحي، ويجب أن يحافظ الجميع على هويتهم الثقافية والمجتمعية.

استقطاب الشارع السُني

هناك ضرورة لاستقطاب الشارع السُني وعزله عن الوقوع في التدخلات والتأثيرات الخارجية، فليس لنا إلاّ بعضنا، وذاك الذي ذهب وراء الأجندة الأجنبية من الشارع السُني ماذا كان مصيره؟ ومن وقف لجانبه؟ النتيجة هي ثلاثة ملايين نازح، وأراض مستباحة، وأعراض مُنتهكة، فالجميع وصل إلى نتيجة مفادها أنه (ما حك جلدك مثل ظفرك)، فأخوك وشريكك في الوطن، مهما اختلف معك مذهبيا أو دينيًا أو قوميًا، هو الوحيد القادر على أن يحميك، وأنت الوحيد الذي يحتمي به، فنحن نحمي بعضنا ونحتمي ببعضنا، وكل من ذهب إلى خيارات أخرى ارتطم رأسه بجدار الواقع، وعاد بعد أن رأى الحقيقة كما هي.

في المخيمات اليوم، حين أدخل، أنا خادمكم، أحظى باحترام كبير وتقدير من أولئك النازحين من أبنائنا وأهلنا وأعزائنا، ولكن هناك من السياسيين من نفس مناطق هؤلاء، ربما إذا أراد الدخول لتلك المخيمات فسوف يطردونه بالحجارة، وهذا دليل على أن الناس أصبح لديهم وعي، ولم يعودوا يقبلون الارتماء في أحضان المشاريع الخارجية.

كل الأمل في حل المشكلة الداخلية، وأنا شخصيًا أعتقد بأننا اليوم مهيؤون لهذا الحل أكثر من أي وقت مضى، ولكن نحتاج إلى أن نكسر هذا الجمود السياسي في ساحتنا، وحالة الإحباط التي بدأت تدب، وهذا الإحباط من أخطر الأشياء، فلا شيء مستحيل، ولأن الظرف صعب، وكل طرف يحتاج للطرف الآخر، فهذه لحظة الانطلاق يدًا بيد لبناء هذا الوطن والتغلب على مشاكله.

أمنيًا، العراق هو البلد الوحيد الذي يمسك أموره بقوة ويتقدم خطوة بعد خطوة، وإن شاء الله ستتحرر الرمادي قريبًا، وبيجي تحررت، وسنجار اليوم كذلك، والموصل قريبًا، وهكذا خطوة بعد خطوة نطهر وطننا، وهذا ما أراه من خلال تقارير استخبارية يومية عن أحوال داعش في مناطق تواجدهم، ويمكن أن أقول إن داعش ذلك البعبع قد انتهى، ولكن نحتاج إلى وقت للقضاء على ما تبقى منه، أما وجوده كمشروع فقد انتهى أمده، والدول التي وقفت معه وصلت إلى قناعة اليوم برفع اليد عنه، وستجدون أفوله يومًا بعد يوم بإذن الله.

شكرًا لكم لقدومكم، وأعتذر عن الإطالة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد الإعلامي [٢٦٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أُرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تلبيتكم هذه الدعوة، وصبركم ومداخلاتكم العميقة، والإثارات المهمة التي تفضلتم بطرحها.

هنا لا أود أن أرد على أحد، وإنما أُعقب على بعض الأفكار والملاحظات والمداخلات المحترمة لمن يعتقد بها، ومن الطبيعي أن نختلف، والاختلاف لا يفسد في الود قضية، كما أعتذر لتعطل هذا الديوان لشهرين، محرم وصفر، كما هو العادة السنوية كي نتفرغ للمجالس التي تُقام بهذه المناسبات، ونعطل فعالياتنا الدورية كالملتقى الثقافي وديوان بغداد وأمثال ذلك.

لا بُدَّ لي من أن أُجدد العزاء بذكرى استشهاد الإمام العسكري (صلوات الله وسلامه عليه)، وأُبارك لكم بذكرى المولد النبوي الشريف الذي سنستقبله بعد أيام قلائل.

النظرة الموضوعية

هناك الكثير من الشجون والآلام والملاحظات، وكلها على الرأس، ولكنها تُبيّن جانبًا من الحقيقة، وأعتقد بأنه في أي رؤية موضوعية علينا أن ننظر إلى الجانب الآخر؛ النصف الممتلئ من الكأس.

هناك خصيصة مهمة في العراقيين؛ أنهم يُركزون على سلبيات أوضاعهم، وهذا دليل

٢٦٢. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب الإعلامية الذي عقد بحضور النخب والكفاءات الإعلامية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠١٥.

على أنهم شعب طامح، يُريد أن يكون في وضع أفضل ويبحث عن الظروف الأفضل، وهذا حق لهذا الشعب وشيءٌ نفتخر به، ولكن استحضار السلبيات من دون استحضار النصف الممتلئ من الكأس قد يؤدي أحيانًا إلى الإحباط، والشعور باليأس، وإلى أن لا يرى الإنسان حجم المنجز الذي يتحقق في هذا البلد، وهذا الجانب خطير أيضًا، إذ يمنع الإنسان من أن يواكب ويواصل الحماس كما هو المطلوب في إنجاز المشروع.

الوضع الإقليمي يشهد لنا

لو أردنا أن ننظر اليوم إلى الدول المحيطة بنا، مثل الجارة تركيا، فإنها دولة عاشت استقرارا سياسيا كبيرا بعد تحديات أمنية مهمة، إلاّ مشاكلهم مع (pkk)، ولكنهم دخلوا في تفاهمات معهم، ونشهد التنامي في وضعها الاقتصادي، وقد استطاع حزب واحد أن يحوز ثقة الشعب ويأخذ أكثر من نصف الأصوات ويشكل حكومة بمفرده، وكلنا نعرف أنه حينما يكون القرار واحدا، والحاكم من حزب واحد وجهة واحدة، وفريق العمل منسجمًا في رؤية محددة، فإن ذلك سيؤثر في سرعة القرار.

وقد رفعوا شعار تصفير الأزمات مع دول الجوار، واليوم وبعد كل هذا المنجز، وما زال حزب واحد يحكم، وما زالت إمكانات هائلة متوفرة، ولا توجد حساسية مذهبية من تركيا، ولها علاقات تأريخية مع دول كثيرة؛ فلها قدم في أوربا، وعمل للانضمام للاتحاد الأوربي، وقدم مع العالم الإسلامي.

اليوم نلاحظ علاقة تركيا مع روسيا كيف هي، وعلاقة تركيا مع سوريا كيف هي، وعلاقة تركيا مع إيران كيف هي، وعلاقة تركيا مع أرمينيا كيف هي، وعلاقة تركيا مع العراق كيف هي، فتصفير الأزمات تحول إلى تصفير العلاقات مع دول الجوار، والوضع الاقتصادي معروف لكم، ودخول تركيا بهذا الشكل في سوريا أذكى الكثير من الحساسيات لدى أكثر من عشرين مليون علوي يعيش في تركيا، واليوم لم تعد التقاطعات خافية عليكم.

في ما مضى سعى القادة الأتراك لحل مشاكلهم مع الكرد واتفقوا على أشياء كثيرة، ثم جاؤوا لينقضوا هذا الاتفاق ويدخلوا في معركة من جديد، وتعود الأمور إلى نقطة البداية.

ولو أردنا أن ننظر إلى ظروف جارتنا الكبرى المملكة العربية السعودية؛ ما هي ظروف الأسرة الحاكمة، والصراعات في داخل الأسرة والتبدل السريع الذي حصل؟ وكلنا يتابع

ويطلع على هذه التفاصيل، وما هو حال الوضع الأمني في داخل المملكة؟ واليوم تُمثل المملكة العربية السعودية البلد الأول في العالم في حجم التعاطف الشعبي مع داعش، وهو نتيجة عدد التغريدات في تويتر والتعليقات في الفيس بوك، والكتّاب الذين يكتبون لصالح داعش، وفيما ينخفض عدد العراقيين في تنظيم داعش في العراق، يتعاظم ويتنامى الدواعش غير العراقيين، مما يعني أن داعش يفقد رصيده حتى في ساحات نفوذه التقليدية في العراق، ويرتفع حجم التعاطف الشعبي مع داعش في المملكة العربية السعودية، وهذا خطر ما بعده خطر.

داعش كمجموعة عصابات مسلحة غريبة عن بيئتها، لا بقاء لها في العراق أو سوريا، فقبل سنة ونصف السنة كانوا يحتلون (٤٠٪) من الأراضي العراقية، ولكننا استعدنا مئة ألف كيلو متر من أراضينا، ونحن مقبلون على تحرير مدن أساسية ومهمة، وفي هذه اللحظة يضعون يدهم على (١٧٪) فقط من الأراضي العراقية، ولكن المبادرة في أيدينا ونمتلك جميع مقومات الانتصار بإذن الله تعالى في هذه المعركة، فمواجهة داعش كقوة تحمل السلاح أسهل بكثير من مواجهة جمهور مؤمن بداعش يملأ المملكة العربية السعودية، فالخطر هو هناك، وسيخرج العراق بإذن الله تعالى ـ احفظوها عني ـ وسيأتي يوم أُذكركم بهذه الكلمة، سيخرج العراق من عنق الزجاجة منتصرًا وسيهزم داعش على الأراضي العراقية، فيما ستغرق بلدان أخرى، وحينذاك ستكون مناعة وحصانة تلك البلدان أضعف منا بكثير، لأن هذا ضد نوعي سيتحرك في بيئتها.

في العراق توجد حصانات؛ فالساحة الكردية محصنة قوميًا، والساحة الجنوبية محصنة مذهبيًا وعقيديًا، وحتى الساحة الغربية، فشعارات الانتصار لهم من بطش الحكومة وإساءات بعض الأجهزة الحكومية انكشفت، وًاصبحت القضية واضحة اليوم، وًاصبحوا يعرفون ما هو داعش.

إذن هذا هو حال الجارة الثانية، وهكذا لو ذهبنا لكل بلد من بلدان الجوار لوجدناه أمام قائمة طويلة من المشاكل والتحديات، ولو قارنا وضعنا الحالي بهذه الصورة التي تعيشها المنطقة، فقد نكون في وضع أفضل منهم بكثير.

العراق مثال للصمود

بعد عقود عاشها العراق من الحروب والدمار، سقطت الدكتاتورية في (٢٠٠٣)، وبدأنا بمعركة مع الإرهاب لا نظير لها في تأريخنا المعاصر، وأيّ بلد لو تعرض لمثل

هذه المشكلة لعجز عن معالجتها، وقد رأينا ماذا جرى في فرنسا، والولايات المتحدة، والأخطار التي تواجه بلجيكيا وألمانيا، فهذه البلدان المستقرة بأجهزة أمنية لا تصدق وبتقنيات حديثة، وبأقمار اصطناعية تلاحق النملة في الليلة الظلماء!.. بكل هذه الإمكانات عجزت عن أن تقف أمام خلايا بدائية استهدفت أهدافا عامة وأوقعت أضرارًا هائلة.

نحن على مدار اثني عشر عامًا نواجه المفخخات والأحزمة الناسفة والذبح والقتل، وهؤلاء المتوحشون أصحاب الأفكار الضالة يتقربون إلى الله بدماء شعبنا، فأي شعب من الشعوب يمكن أن يصبر ويتحمل ويواجه ويصل إلى هذا المستوى من القدرة على الدفاع عن نفسه؟.. إن هذا شيء كبير يتحقق في العراق.

الإنجاز في الوقت الصعب

قبل أيام كان لديّ اجتماع مع كتلة المواطن من مختلف المحافظات، وكان موضوع الاجتماع البرنامج الانتخابي؛ ماذا وعدنا الناس، وما هي نسبة التنفيذ؟ ماذا نُفذ وماذا لم يُنفذ؟ وقضينا ساعات طوالًا نستمع لكل محافظة عن المنجز، وطبعًا هذه الإنجازات لم تحققها كتلة المواطن وحدها، وإنما جميع الكتل السياسية لها مساهماتها في العمل الذي تحقق في هذه المحافظات.

هل تعلمون أن محافظة واسط منذ أشهر طويلة لديهم كهرباء على مدار أربع وعشرين ساعة، والبصرة على مدار إحدى وعشرين ساعة؟ وكذا بقية المحافظات، وهل تعلمون أن نسبة الصرف الصحي في محافظة ميسان في المدن الكبيرة (٩٨٪) وفي القرى (١٠٠٪) وفي عدد من المحافظات (٧٠٪) بعدما كانت محدودة في جزء من المدن الكبيرة فقط؟.. وبعد الذي سمعته في ذلك الاجتماع من نسب دقيقة عن حجم المنجز قلت لهم: أنا عمّار المهتم بهذه الشؤون، والذي اصرف وقتًا يوميًا في المتابعة، أتفاجأ بهذه النسب التي تذكرونها، فهل شعبنا يعلم بها؟.. كم مستشفى كانت عندنا قبل عشرة أعوام وكم لدينا اليوم؟ وكم جامعة كانت وكم أصبحت اليوم؟ وهذه الجامعة كم كلية كانت فيها وكم أصبحت الآن؟ والكلية الواحدة كم قسمًا كان فيها وكم أصبح اليوم؟ وكم طالبا كان لدينا وكم أصبح العدد اليوم؟ وهكذا لو أردنا أن نحسب.

قبل أيام رأيت أحد أرحامنا يعيش في الإمارات العربية المتحدة، وكان يريد أن يدرس الطب في العراق، فسألته: لماذا تترك الإمارات وتدرس في بغداد؟ فقال: سيدنا، إن

الخريج من جامعات الطب في العراق بمستوى متوسط يفوق المتميز من جامعات الإمارات، فالطب متطور في العراق أكثر من الإمارات، فقلت: سبحان الله، كم نظلم أنفسنا ولا نرى هذه الإنجازات والتطور الموجود.

بعض الإخوة الأطباء ممن أعرفهم كعينات عشوائية سنحت له الفرصة بأن يذهب في دورة إلى دول أخرى كبريطانيا وكوريا الجنوبية وبلدان أخرى، يقول: عندما ندخل في البداية نراهم يستهزئون بنا، ولكن حين يعرفون العمليات التي أنجزناها لا يصدقون، فالطبيب العراقي بحكم الإرهاب والمشاكل واجه حالات نادرة لا تتوفر لأطباء العالم.

أحيانًا كنا نضطر إلى أن نركب طائرات غير عراقية وأحيانًا طائرات عراقية، فنلاحظ أن خبرة الطيار العراقي أفضل بكثير من الطيار الأجنبي، وإذا أردنا أن نستعرض فسنجد الإيجابيات كثيرة في مختلف المجالات، نرى جيلًا ينمو، وقد سمعت معلومة مؤخرًا من وزارة التخطيط فاجأتني كثيرًا، وشعرت بتفاؤل كبير تجاهها؛ فالشعب العراقي الآن بلغ تعداده في آخر إحصائية سبعة وثلاثين مليونًا، والنسبة المئوية للمواليد منذ (٢٠٠٣) إلى (٢٠١٥)، أي نسبة الذين ولدوا خلال الاثني عشر عامًا الأخيرة، هي (٤٠٪) من الشعب العراقي، والنسبة من سنة (١٩٩١) إلى (٢٠٠٣) هي (٢٠٪) من الشعب العراقي، أي أن (٦٠٪) من شعبنا هم دون الخامسة والعشرين عامًا من أعمّارهم، ويبقى (٤٠٪)، فالعراق مليء بالحيوية والحماسة والفرص إذا ما وقفنا عند هذه الأرقام والحقائق.

اليوم لا يلاحظ العالم هذه الإيجابيات، لأننا مشغولون بكثير من الأمور، وأنا شخصيًا لا أحلُم وأتسم بشيء من الواقعية، ولدي الكثير من المعلومات التفصيلية، والمنغصات تصل قبل المنجزات، وأقول لكم بثقة: كل فرص النجاح متوفرة لدينا في العراق، ولكنها مبعثرة، وستأتي فرصة تأريخية يومًا ما لتنظيمها.

نقطة التوازن والتسويات

على المستوى الإقليمي أعتقد شخصيًا بأن الجميع وضع كل ما لديه من أوراق على الطاولة، فهناك صراع إقليمي محتدم منذ أربع أو خمس سنوات، فالمملكة العربية السعودية وتركيا ومن وراءهم بذلوا كل ما يستطيعون ليسقطوا (بشار الأسد)، ولكنهم بالنتيجة لم يستطيعوا، ولم يحققوا التغيير الذي كانوا يصبون إليه، والجبهة الثانية، إيران

وروسيا وحزب الله وكل الذين شاركوا، بذلوا قصارى جهودهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يحسموا المعركة لصالح (الأسد)، والجميع وصل إلى نقطة التوازن.

وفي اليمن، بذلت المملكة العربية السعودية وحلفاؤها كل ما يستطيعون، ولكنهم عجزوا عن إنهاء الحوثيين، وعن استعادة صنعاء وإعادة هادي إليها كما وعدوا، حتى باب المندب عجزوا عن احتلاله وهو في الجنوب، والفريق الآخر، الحوثيون ومن وراءهم، بذلوا قصارى جهودهم ولم يستطيعوا أن ينهوا المعركة لصالحهم، والحصيلة الآن حوار سلمي في جنيف.

وفي لبنان، فعل الطرفان المستحيل من أجل أن يأتوا برئيس يمثل قوى الثامن من آذار أو الرابع عشر من آذار، ولكنهم عجزوا عن ذلك، والحديث الآن عن فرنجية رئيس تسوية بين الطرفين.

وهكذا في قضايا العراق والبحرين لا أحد يستطيع أن يحسم، ولذلك تسمعون اليوم في التسريبات الإعلامية عن حوار إيراني سعودي، كما بدأ حوار إيراني أمريكي مخفي بعيد عن الأضواء في سلطنة عمان وفي أماكن أخرى، ثم بعد أن وصل إلى نتائج ظهر إلى العلن، وهذه التسريبات قد تكون صادقة صحيحة، وسيتبين لاحقًا أنه يوجد تفاهم بين الجبهتين الإقليميتين كما هو التفاهم الروسي الأمريكي، وأنا أعتقد بأن (٢٠١٦) هو عام التسويات، ولا أرى أننا ذاهبون إلى حرب عالمية ثالثة، فلا أحد مستعد لهذه الحرب، فالحرب العالمية الثانية خلفت مئة وأربعين مليون قتيل، فكيف الحال مع حجم التطور الموجود في القرن الحادي والعشرين؟. لقد قدمنا مئات الآلاف من الضحايا خلال هذه الأربع أو الخمس سنوات ونحن ذاهبون إلى تسويات، وفي هذه التسويات سيخرج العراق شامخًا عزيزًا كريما بإذن الله تعالى.

ترتيب البيت العراقي الداخلي

يبقى ترتيب البيت الداخلي، فما حكك جلدك مثل ضفرك، إذ نرى البلدان المجاورة تنظر لنا بعينها الخاصة – أي من زاوية مصالحها – كما نحن الآن ننظر إلى هذه البلدان بعين عراقية ونلحظ مصالحنا معها، وما أريد قوله هو أن المنطقة ماضية نحو التفاهمات ونحو التسويات، وفي العراق نحن الآن في لحظة التسوية التأريخية، وقلتها أكثر من مرة وأقولها وأبينها عن معرفة بيّنة؛ لقد وصلنا إلى لحظة الإعياء، لماذا نقول عنها لحظة التسوية؟ لأن كل طرف بذل ما بوسعه ولم يستطع أن يحسم القضية لصالحه.

في الساحة السنية نلاحظ اليوم أن داعش يفتك بهم، وبناهم التحتية مهدمة وهناك ملايين النازحين، وهذه النتيجة وُجِدت نتيجة عدم الانسجام والانخراط بواقع العراق الجديد، وعدم وئام السياسيين مع بعضهم، وفي الساحة الكردية خرجت ثلاث عشرة شركة نفطية، والآن نحن في الشهر الخامس ولم يدفعوا رواتب موظفيهم، والشعب في كردستان يصرخ بوجه قيادته بعد أن كان يصرخ بوجه بغداد، وهذا بفضل الاتفاق النفطي الذي نتحدث عنه ليلًا ونهارًا.

في هذا الاتفاق النفطي لو التزمت كردستان فنحن رابحون، وإذا تخلفت فنحن رابحون أيضًا، ففي كلا الحالتين نحن رابحون، والبعض ربما يتساءل عما ظفر به العراق من هذا الاتفاق، ونقول لهم: ظفرنا بالتزام من كردستان بأن تعطي (٥٥٠) ألف برميل يوميًا إلى العراق، وفي حال عدم التزام كردستان بهذا الاتفاق بإمكان العراق أن يقطع الـ (١٧٪) من حصة كردستان وليس من حق أحد أن يعترض، والكتلة الكردستانية في مجلس النواب العراقي يلاحظون في الموازنة أن دفع نسبة كردستان منوط بتسليم كردستان النفط العراقي، والجميع يعلم أننا في الحكومة السابقة كنا نعطي (١٧٪) من دون مقابل، أما اليوم فلا نعطي دينارًا واحدًا ما لم يدفع الإخوة الأكراد حصتهم من النفط.

اليوم ليس لدينا غير النفط، ولولا أننا طورنا إنتاجنا النفطي وزدنا عليه خلال هذه السنوات مليونًا ومئتي ألف برميل لكنا اليوم في الهاوية، ومع كل هذه الزيادة ما زلنا نواجه صعوبة في سد الرواتب، وهذا إنجاز كبير وغير مسبوق على ما أعتقد.

في مسألة الموازنة، فهذه أول سنة منذ (٢٠٠٣) إلى اليوم نقر فيها موازنة السنة القادمة قبل حلول السنة الجديدة، وتعلمون أيها الإخوة والأخوات ماذا يعني هذا المكسب العظيم، وتعلمون كم خفضنا من امتيازات المسؤولين؛ سياراتهم، ووقودهم، وحركتهم، ونثرياتهم، وإيفاداتهم، وسفراتهم، كل شيء في هذه التفاصيل خُفِض إلى أبعد ما يُمكن، وأنا مُطلع على الامتيازات التي قُطِعت في هذه الموازنة الجديدة، وهذه من فوائد انخفاض أسعار النفط، فما دامت هناك وفرة مالية، فمن الصعب أن تتمكن من تقنين سلوك صحيح، ولكننا اليوم مضطرون بسبب قلة الميزانية.

في موضوع مكافحة الفساد، يجب أن نبدأ بالكبار وليس بالصغار، هل تعرفون كم ندفع من خدمات للشركات النفطية؟ إن عقود النفط اليوم عقود خدمة، وعن كل برميل لهم دولاران، فضلًا عن جميع خدماتهم من سفر وخدمة وما يحتاجون إليه كلها على

نفقتنا، وفي هذه الخدمات سرقات كبيرة، إذ يكتبون مقابل القلم الواحد عشرة أضعاف سعره في الفاتورة، وهناك أطراف عراقية متورطة في هذه القصة، فيصادقون على هذه التسعيرات ولهم حصة فيها، وقد كان مقررًا في سنة (٢٠١٦)، كما قدمت لنا تلك الشركات النفطية، أن ندفع لهم ثلاثة وعشرين مليار دولار، ولهذه السنة ثمانية عشر مليارا، وفي (٢٠١٧) يجب أن ندفع اثنين وثلاثين مليار دولار، وهكذا كانت تتصاعد، فأتى شخص السيد الوزير بنفسه وشكل فريقًا مختصًا وأحصى بئرًا بئرًا وفاتورة فاتورة وبضاعة بضاعة، فخفض الثلاثة والعشرين مليارًا للسنة القادمة إلى أحد عشر مليارًا.

لا نستطيع أن نقضي على الفساد في يوم وليلة، ولكن الطريق الذي سلكناه هو طريق سليم ويحتاج إلى جهد ووقت، وما ننجزه الشيء الكثير وما علينا إنجازه أكثر، والطريق طويل وشاق، ولكن يجب أن نرى المُنجز لكي نُهيئ أنفسنا ونستعد وندعم الظواهر الإيجابية الموجودة.

العراق سيبقى موحدًا

العراق ليس ذاهبا إلى التقسيم، بل سيبقى موحدًا، وخذوها مني وعاتبوني إذا تبين خلاف ذلك؛ ما أراه اليوم بوضوح أن العراق سيبقى موحدًا، وكل من يتحدث اليوم بالتقسيم فهو إما من باب الضغط السياسي أو لا يعرف المسألة جيدًا، فأيّ مقومات دولة اليوم في إقليم كردستان، وأعزاؤنا في الإقليم غير قادرين على أن يتوحدوا لاختيار رئيس إقليم؟ واليوم الحديث عن تعدد إدارات وأقاليم في كردستان، وهذا يعني أن يعودوا خطوة إلى الوراء وليس من الإقليم إلى الدولة، وأيّ دولة اليوم وكل مصيرهم الاقتصادي مرتبط بأنبوب نفطي واحد؟ والنفط الذي يصدرونه ليس لهم وحدهم، فمثلما تعرفون فإن مائتين وخمسين ألف برميل فقط اليوم من داخل الإقليم، أما بقية الكمية، أي ستمائة ألف برميل، فهي من محافظة كركوك وهي ليست كردستانية، وإذا كانت قواتنا الأمنية في هذه اللحظة عاجزة عن توفير الأمن لآبار كركوك وفرض هيبتها وهيمنتها على هذه المساحة من الأراضي العراقية، فسيأتي يوم تتمكن فيه الدولة من مسك هذه الأمور.

والإخـوة في إقليم كردستان ربطوا جميع مصالحهم بهذا الأنبوب إلى تركيا، وعلاقتهم لم يبنوها مع الدولة التركية، ولا مع حزب العدالة والتنمية، وإنما مع شخص السيد (أردوغان)، فهو وأسرته طرف في هذه القضية، وهكذا فإن أي ارتباك يحصل في المعادلة السياسية التركية يعني توقف هذا الاتفاق، ونعلم المشكلة بين pkk والحكومة

التركية، وهذا الأنبوب يعبر من أراض تتواجد فيها هذه العناصر المسلحة، وإقليم كردستان إن اختار الوقوف مع الـ pkk خسر الأنبوب، وإن وقف مع الحكومة التركية تفجر هذا الأنبوب بيد الـ (pkk)، فإذن لا توجد بنية اقتصادية صحيحة تسمح بإقامة دولة، ولا بنية سياسية تسمح بإقامة دولة.

وفي الوضع الأمني اليوم قال السيد (البارزاني) إنهم أحبطوا أكبر عملية إرهابية لاجتياح كردستان من قبل داعش، وأنا أقول لكم إن هذا الجيش والشرطة مهما تحدثنا عن سلبياتهما وأنهما دون مستوى الطموح، ولكنهما أفضل بكثير قياسًا بالوضع الأمني الموجود في كردستان، أقولها وأنا مطلع على حجم الإمكانات الأمنية المتاحة وطبيعة العمليات التي يقوم بها إخواننا الكرام في كردستان.

إذن هناك تحدٍّ أمني وتحدٍّ اقتصادي وتحدٍّ سياسي، لا تسمح بإقامة دولة كردية، والمناطق الغربية لا تزال أجزاء مهمة منها بيد داعش، والبنى التحتية مهدمة، والجمهور نازح، واسألوا هذا الجمهور، الثلاثة ملايين، هل يُريدون دولة؟ أبدًا لا يُريدون دولة مستقلة، بل هم معتزون بالعراق.

واليوم حصل شيء عظيم، وهذا غير ملتفت له أيضًا؛ فإن مليون نازح جلهم من إخواننا السنة الكرام يتواجدون ويعيشون في مناطق الشيعة من بغداد إلى البصرة، وفي هذه المناطق لا توجد مخيمات كما في إقليم كردستان، بل معظمهم يعيشون بين المجتمع، في الحسينيات والمساجد والمنازل والمضايف، وأبناؤهم أيضًا يدرسون في المدارس، فلو كانت هناك أزمة طائفية في البلد لسمعنا أن شخصًا قُتل أو اعتُدي عليه في البصرة أو العمّارة أو الناصرية أو النجف أو كربلاء، وأنا شخصيًا التقيت كثيرا من هؤلاء في زيارات خاصة وزيارات عامة، أو أرسل فرق عمل للتواصل معهم، والانطباع الموجود عند أغلبهم إيجابي، لأنهم لم يواجهوا مشكلة في التأقلم.

مشروع السلم الأهلي

نحن اليوم كسبنا مليون سفير لنبذ الطائفية، وبترسيخ الوطنية سيعودون إلى مدنهم إن شاء الله بعد تحريرها سالمين غانمين، وإذا ما تكلم سياسي سني بالطائفية بعد اليوم سنرى هؤلاء الذين كانوا نازحين هم من يلطمونه على فمه ويسكتونه، فالمجتمع عاد متماسكا بقوة بفعل هذه الأزمة، والله (سبحانه وتعالى) يجعل الفرص الهائلة في أشد

حالات الأزمة والابتلاء، كما قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢٦٣]، وهذا ما يحصل اليوم في العراق.

السلم الأهلي كمشروع وطني سياسي نحتاج فيه إلى أن نلملم الوضع، وقبل يومين كان لدي لقاء مع عدد من القيادات السنية، جاؤوا بنفس جديد، وقالوا نحن نعاني من مشكلة داخلية، وأنتم لديكم مرجعية على رأسكم، والساحة الكردية أيضًا منظمة، ولكننا في الساحة السنية مبعثرون غير منظمين، فوجدنا أنفسنا عاجزين على أن ندخل في مشروع قبل أن نحل مشكلتنا الداخلية، بأن نوحد رؤيتنا وخطابنا ونحدد ممثلين، لكي تكونوا أنتم على بيّنة مع من ستتفاوضون، ولا نُريد أن يقتصر التفاوض بيننا فقط، لكي لا تقولوا هناك دول إقليمية دخلت على الخط، ولكن نريد أن يكون التفاوض بحضوركم، فندعوكم للجلوس معنا بصفة مراقب، ونريد أن نأتيكم بإجابات موحدة لكي نحدد موقفنا من الإرهاب، وموقفنا من الدولة والديمقراطية، وموقفنا من التعايش مع الشيعة، والنتيجة التي سنصل إليها سنقدمها لكم كمسودة قبل إعلانها بالمؤتمر، ونأخذ آراءكم لكي تكون شيئًا مقبولًا ونتفاهم ونضع يدًا بيد، فقلت لهم إن هذا الكلام هو الذي سيوصلنا إلى بر الأمان.

لدينا الرؤية الوطنية، وقد تجلّى ذلك في مبادرة (السلم الأهلي وبناء الدولة)، التي عرضناها عليكم قبل أشهر، والجهد الذي بُذل من القوى السياسية في إثراء هذه المبادرة، فلدينا الرؤية في بناء دولة، ولكن لكي نبني دولة نحتاج إلى مفاوض من الأطراف، بهذه العقلية وبهذا السياق، أشد الأطراف تصلبًا في التحالف الوطني، جلست معهم وأخبرتهم بهذه المبادرة، ووجدت تقبلا كاملا في هذه الطريقة، إذن نحن الآن في التحالف الوطني ليس لدينا معترض على هذا المسار، ومن كان متصلبا ومتشككا قبل اليوم هذا المسار، فهذه بيئة مناسبة للوصول إلى السلم الأهلي، وإلى التسوية التأريخية بين المكونات، والخروج بمشروع تنظيم الساحة السُنية أولًا، ثم الساحة الوطنية، ثم مشروع جامع بين العراقيين.

بلا حوار ستبقى المشاكل دائمًا، وأنا دائمًا عندما ألتقي السيد رئيس الوزراء أحثه على الحوار، وكذلك السيد رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان، ومنذ أشهر أنا أكلم السيد رئيس الجمهورية أنه في زمن مام جلال كان يجمع القيادات السياسية على طاولة ونتناقش في القضايا الحساسة، وأحيانًا نبدأ بكلمات متوترة شديدة، ثم قليلًا قليلًا نصل إلى المنتصف ونخرج متحابين.

---

٢٦٣. سورة البقرة: الآية ٢١٦

إذا دعونا الإخوان فسيأتون، وأنتم تعلمون أنه في هذه القاعة حصل اجتماع القيادة الرمزي والقادة الرمزيين وإلى آخره من اجتماعات، ولكن حينما يكون ذلك بغطاء رئاسة الجمهورية سيتكيف مؤسسيًا، لذلك نريد أن نبعد الاجتماع من أي حساسية، لكي نضمن استمراريته، وذلك ما دعانا إلى أن نطلب من السيد رئيس الجمهورية أن يقوم بهذه المهمة.

مشكلة التوغل التركي

بخصوص التوغل التركي، وطموحات ودوافع الأتراك، أسأل سؤالا: لماذا إلى اليوم في كل سنة في الموازنة التركية هناك فقرة تخصص لولاية الموصل ليرة رمزية، ولم تنقطع سنة من السنوات، وولاية الموصل تأريخيًا تعني الموصل وكردستان في الخارطة، ونلاحظ في كلمات بعض الإخوة الأتراك أن العراق إذا بقي موحدًا فالموصل عراقية، وفي اللحظة التي يتقسم بها فستكون الموصل تركية، فإذن هناك طموحات وآمال معقودة على هذه المنطقة، والبعض يرى أن تفاهم السيد (أردوغان) مع السيد (البارزاني) حول النفط، هو نوع من أنواع ربط المصالح بشكل غير قابل للتفكيك مستقبلًا.

نحن دعاة تصفير الأزمات مع دول المنطقة، وتحملنا من أجل ذلك الكثير، وأنتم تعرفون ذلك جيدًا، كم تعرضنا إلى الأذى والتشويش من قبل منافسينا في ساحتنا، لأننا نؤمن بضرورة الانفتاح العربي الإسلامي العالمي، والبعض افترضوا في ذلك ضعفا وهوانا وقلة اهتمام بالمصلحة الوطنية، ونحن كنا وما زلنا نعتقد بأن العلاقات الطيبة حتى مع الدول التي تتحسس منا، تمثل قوة للعراق، بأن يكون جزءًا من منظومة إقليمية، ويحفظ علاقات متوازنة مع الجميع، ولكن هذا مؤشر خطير من حيث نوعية الفعل، بأن تدخل دبابات ومدرعات بلا إذن فهذا أمر خطير، لذلك نحن اعتبرنا هذا عملا مدانا وقضية لا تقبل التسامح، وأصدرنا بيانا وعبرنا عن موقفنا بشكل واضح، وتكلمنا مع الإخوة الأتراك بوضوح، وتكلمنا مع جميع الأطراف في التحالف الوطني وفي الاجتماع الوطني في هذه المسألة.

التحالف ضد داعش

في مسألة التحالف الإسلامي، فإن أي خطوة لمواجهة داعش إذا لم تنتهك سيادة البلدان الأخرى فهي مورد ترحيب، ولكن أكثرية هذه الدول الآن موجودة في التحالف الدولي، فلماذا نترك التحالف الدولي ونتعامل مع التحالف الإسلامي؟.

إن إيران اليوم من أهم الدول الإسلامية التي تُقاتل داعش، فلماذا لا توجه لها دعوة؟ إذن هذا التحالف ليس بإسلامي، وإنما مذهبي يُمثل لونًا معينًا، فهذه خطوة متعجلة، وقراءتي لها أنها ورقة من أوراق التفاوض للإخوة في المملكة العربية السعودية، ليجلسوا ويتفاوضوا في القضية السورية والقضية اليمنية، وهم يحتاجون إلى ورقة تحسن من فرص التفاوض، لذلك لسنا في وارد أن نقف ونواجه ونعترض، لأنها ليست أكثر من قضية إعلامية.

قضايا من الداخل العراقي

مراكز الأبحاث مهمة جدًا، ومتى ما عملنا عملًا مؤسسيًا سنصل إلى نتائج علمية في اكتشاف الظواهر، ولا نبقى أسرى انطباعات قالوا وقلنا، وكل واحد منا اليوم يسمع، ولكن ماذا يُمثل هذا السماع من حقيقة وواقع الأمور؟ يجب أن ندرس الواقع دراسة علمية، وأنا مع هذه المسألة.

حملات دعم (صُنع في العراق) مسألة مهمة جدًا، والمجتمع المدني في أي بلد يعيش حالة ديمقراطية حرة يجب أن يأخذ دورًا متناميًا، والأدوار تُنتزع ولا تُمنح، وبهذه الأدوار يُمكن أن يأخذ المجتمع المدني دوره ومكانته الطبيعية في المجتمع.

رعاية الأساتذة الجامعيين مهمة جدًا، وحينما طُرحت فكرة تقليص رواتبهم بشكل ملفت للنظر، عقدت آنذاك اجتماعًا للتحالف الوطَني حضره السيد رئيس الوزراء ووزير التعليم العالي وإخوة آخرون وخطبت فيهم خطبة (شقشقية) في ذلك الاجتماع، وحذرت من مثل هذا الأمر، والحمد لله لمسنا تراجعًا عن تلك الخطوات وتعديلًا لها بشكل صحيح.

تعلمنا كقوى سياسية الكثير من الدروس بعد سقوط الموصل، فهذه المحنة بكل آلامها ومعاناتها كشفت الكثير، وكانت لنا بمثابة سونار دقيق للواقع العراقي وللثغرات الموجودة، والضربة التي لا تقصم ظهرك تُقويك، بأن يكتشف الإنسان الثغرات ويُعالجها بلا مكابرة، وأعتقد بأن سقوط الموصل كان درسًا بليغًا في وقت مناسب لجميع السياسيين ولشعبنا عمومًا.

في ما يخص المقارنة بين الوضع الحالي وعهد النظام السابق، أنا شخصيًا أعتقد بأن أي مقارنة بين العهدين هي مقارنة خاطئة، ذلك أن حقيقة المؤشرات تختلف كليًا.

النزاعات العشائرية خطر كبير يتنامى، وأصبح السلاح في متناول الجميع، والمشاكل

تُعالج بالسلاح، فالدولة حينما تضعف تنمو فيها هذه الظواهر، وحين تقوى تتقلص هذه الظواهر، فكلما بنينا دولة خفت هذه الأمور.

قانون (من أين لك هذا) حق، وقانون إلغاء رواتب التقاعد للمنتخبين هذا أيضًا كلام حق وفيه حديث كثير، وأنتم تعلمون أنه كان لدينا مشروع بهذا الشأن في الدورة السابقة وأنجزناه داخل مجلس النواب، ولكن المحكمة الاتحادية أرجعته، وفي هذه الدورة أيضًا نحاول أن نكيفه تكييفًا قانونيًا ونمضي فيه.

لا أرى أن التحالف الوطني في حالة من التيه، وإنما أراه ضعفًا وإرباكًا، والعلاقة بين القوى علاقة جيدة، ولا توجد أزمة بين القوى السياسية في داخل التحالف الوطني، ولكن يوجد ضعف في الاجتماعات وفي تنسيق الرؤى، ونعمل على أن نعالج ذلك في المستقبل القريب إن شاء الله.

في ما يخص القول إن هناك فسادًا في المؤسسات ولا نرى حلولًا ملائمة، وإن هناك شبكات ومافيات وعصابات مكيفة بتكييفات قانونية، فإن كشف الفاسد ووضع اليد عليه وتسليمه للعدالة عملية معقدة جدًا في العراق، لأن هناك إرباكًا كبيرًا في التشريعات والقوانين وتكييفات معينة، وانخفاض الميزانية نراه فرصة لضرب هذا الفساد والحد منه بالتدريج.

المشروع الوطني ضرورة، وطاولة الحوار أساس، ووجود رؤية منهجية لتثقيف شعبنا وبنائه نواجه فيه مشكلة كبيرة إلى حد ما، ووسائل الإعلام واحد من أهم الروافد للتأثير في الرأي العام، ولكن هذه الوسائل الإعلامية كحالنا في الوضع العراقي؛ فهي أيضًا ليست ببوصلة واحدة واتجاه واحد، فلو استطعنا أن نبدأ من الإعلاميين ومؤسساتنا الإعلامية في تهدئة الساحة وطمأنة الناس، وتخفيف هذا الإحباط والاحتقان، فأنا شخصيًا أعتقد بأن ذلك سيساعد كثيرًا بهذا الاتجاه.

معاناة عوائل الشهداء كبيرة، وأنا شخصيًا كان لي شرف زيارة عدد من عوائل الشهداء، وأرسل وفودًا لعوائل الشهداء، واللافت أن نسبة كبيرة من هذه العوائل في بيوت الصفيح والطين وفي أماكن نائية، فهذه الطبقة المسحوقة في المجتمع بالدرجة الأساسية هي التي ضحت من أجل الوطن، وهذه طبعًا فيها عبرة كبيرة ومسؤولية في أن نعالج هذا الموضوع.

بشأن القول إن هناك هوة معنوية بين الجمهور والطبقة السياسية، نعم، كانت هناك موجة من السراق والفاسدين ونشر الغسيل وأشكال كثيرة، حدث هذا وولد نوعًا من

الحاجز، وأعتقد بأنه لا مصلحة لأحد بمثل هذه الفجوة، ولا سيّما أن في الطبقة السياسية من لا تنطبق عليه هذه المواصفات، ويجب أن نفرز بين السياسي الفاسد والسياسي النزيه، ويجب أن ندافع عن السياسي إذا كان مستقيما في عمله ويؤدي واجباته بالشكل الصحيح.

هناك قائمة طويلة من المستشارين في رئاسة الوزراء من مختلف الاختصاصات، وقد سمعت من السيد رئيس الوزراء في أكثر من مناسبة أنه في طور تفعيل هذه الاستشارية وإناطة مهام بهم، وهم يدرسون القضايا ويعطونه نتائج، ولكن يجب أن يُسألوا هل بالفعل تحقق ذلك أو ما زالوا بعيدين عن صناعة القرار؟.

بشأن استهداف رجال كتلة المواطن، فإن كتلة المواطن نتيجة لرؤيتها ومنطقها وعلاقاتها من الطبيعي أن تُستهدف من المنافسين، والاستهداف إذا كان بحق وبنقد موضوعي وبنّاء فسيكون على الرأس، ولكن ما يؤلم الإنسان أن هناك سلسلة من الأكاذيب والاتهامات غير الواقعية، ويجب أن نُميز بين الأكاذيب لنتجنبها إذا ما ثبت عدم صحتها، وبين ما هو حقائق، ونحن طبعًا لا ندعي العصمة لرجالنا، ونحن جاهزون لمحاسبتهم إذا ما تبين خطؤهم.

بشأن تصويت كتلة المواطن لصالح الـ (١٧٪)، نقول: ليست لدينا قرابة مع الكرد، ولا توجد أي مصلحة معهم، ولكن يوجد تقدير لضرورة وحدة البلد، فهذه الـ (١٣٪) هي لحدود إقليم كردستان، ولكن في واقع الأمر اليوم فإن إقليم كردستان يخدم مساحات أخرى لا تستطيع الحكومة الاتحادية الوصول إليها، أو غير مسموح للحكومة الوصول إليها، ربما بسبب فرض الإقليم أن يمسك هذه المناطق خارج الإقليم، وهذه الـ (٤٪) الآن تعادل أقل من تلك المساحات التي تُخدم من قبل إقليم كردستان وليس من الحكومة الاتحادية، فالـ (١٧٪) في حالة واقعية تغطي مساحة من الشعب العراقي من واجب الحكومة الاتحادية أن تخدمهم.

بشأن الحشد الشعبي ومستقبله، فمن هم الحشد الشعبي؟ إنهم الإخوة في كتلة بدر، وكتلة بدر موجودة في التحالف الوطني، وخمسة ألوية لتيار شهيد المحراب، وتيار شهيد المحراب موجود في التحالف الوطني، ولواء من العصائب، والعصائب موجودون أيضًا في التحالف الوطني، فالحشد الشعبي قوى سياسية جاءت بتنظيماتها وبأبنائها إلى مواجهة داعش، فلا يوجد واقعٌ جديد لم يكن موجودا من قبل وحدث اليوم.

في ما يخص انتقال بعض قوى الحشد الشعبي إلى الجنوب، أعتقد بأن جزءا مهما من هذه القوى في الحشد الشعبي منضبطة، وممسوكة من قوى سياسية وشخصيات بارزة، فهؤلاء سيحافظون على التزامهم، وهناك قوى صغيرة هنا وهناك قد تقوم ببعض الأدوار غير المنضبطة، وإذا فعلت ذلك سنسقطها فورًا في أنظار الناس، ولا يمكنها أن تحافظ على شعبيتها إذا ما حصل مثل هذه الأخطاء، وأنا شخصيًا لا أشعر بقلق كبير، ولكن يجب أن نبقى حذرين مراقبين ولا نسمح بظواهر مسلحة خارج إطار الدولة.

المحاضرات الاخلاقية في
الأخوّة الإيمانية

ألقى سماحة السيد عمار الحكيم هذه المحاضرات على ملاكات المكتب الخاص والملاكات المتقدمة لتيار الحكمة الوطني خلال شهر رمضان المبارك بعد صلاة الظهر واستمرت بعد الشهر الفضيل في يوم الثلاثاء من كل أسبوع .

المحاضرة الأخلاقية الأولى
بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبّل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار.

كان حديثنا في السنتين الماضيتين عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أنّ العلاقة بين المؤمنين تمثل مدخلا مهما في البنية الاجتماعية في رؤية الإسلام، وتحدثنا عن تعريف العلاقة الإيمانية، وأقسامها، وأهميتها، ثم انتقلنا للحديث عن حقوق الأخوّة، وقلنا إن هذه الأخوّة ليست ادّعاء، ليست صِرف مشاعر وعواطف قلبية، وإنما يترتب عليها التزامات و حقوق للإخوان، كل أخ مؤمن عليه التزام تجاه الأخ المؤمن، وله حق في قبال إخوانه المؤمنين، فهناك حقوق متبادلة في العلاقة الإيمانية.

فقد روى القاسم بن محمد بن جعفر العلوي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم: للمسلم على أخيه ثلاثون حقًا، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويردّ سلامه، ويطيب كلامه، ويبر إنعامه، ويصدّق أقسامه، ويوالي وليه ولا يعاديه، وينصره ظالمًا ومظلومًا، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»[٢٦٤].

٢٦٤. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٦، ح ٣٦.

يعدّد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك لأمير المؤمنين حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، التي تبلغ ثلاثين حقًا. ويبيّن أنّ ذمة المؤمن تجاه أخيه المؤمن لا تبرأ إلا أن يؤدي هذه الحقوق الثلاثين، أو أن يصفح له عنها. فإذا لم يسقطها لا يخرج المؤمن من هذه الحقوق إلا بوفائها والالتزام بها.

وقد استعرضنا في السنتين الماضيتين خمسة وعشرين حقا منها، ونبدأ بحثنا في هذا العام وفي أجواء شهر الفضيلة شهر رمضان المبارك بالحق السادس والعشرين.

الحق السادس والعشرون / موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه

من حق المؤمن على أخيه المؤمن موالاة وليّه ومعاداة عدوه، وهو الحق السادس والعشرون من حقوق الأُخـوّة الإيمانية التي ذكرتها الرواية المروية عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بقوله: «يوالي وليّه ولا يعاديه»، فليس من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يواليه ويصادقه فقط، وإنما عليه أن يوالي وليه، فصديق الصديق صديق، وصديق الأخ المؤمن صديق لباقي المؤمنين أيضًا حتى لو لم يكونوا يعرفونه بشكل مباشر، فيجب عليهم موالاته، وأن يحملوا له الولاء والودّ والمحبة، وينتقل حق الأُخوّة من الأخ المؤمن إلى أصدقاء المؤمن أيضًا، وكما على المؤمن أن يصادق أخاه المؤمن، فعليه أيضًا أن يصادق أصدقاءه، وأن يعادي عدوه، وكما عليه ألاّ يعادي المؤمن فكذلك عليه ألاّ يعادي وليّ المؤمن، فهذه الحقوق الثابتة للأخ المؤمن تمتد لأصدقائه المؤمنين.

وقد ورد في كلام أمير المؤمنين ما يؤكد هذا المعنى، قال: «أصدقاؤك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وأعداؤك عدوك وصديق عدوك وعدو صديقك»[٢٦٥]

لا تجتمع محبة الله ومحبة الشيطان في قلب واحد؛ فما دام القلب متوجها إلى الشيطان والظلمات فلا مجال فيه للنور، وكما أن النور يطرد الظلمة فكذلك لا يمكن لقلب يحب شخصًا أن يجعل مكانًا فيه لعدو من يحبه، ولهذا فالإنسان عندما يحب شخصًا لا يدع عدو من يحبه ينفذ إلى قلبه، بل يعادي صديق عدوه، ولا يوالي عدو صديقه.

وورد في وصية أمير المؤمنين لولده الحسن: «اجعل نفسك من أخيك عند صرمه ـ أي قطيعته لك ـ على صلة، وعند صدوده ـ جفائه ـ على اللطف والمقاربة، وعند جموده ـ بخله ـ على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه ـ

٢٦٥. نهج البلاغة ٤: ٧١، الحكمة ٢٩٥.

الإساءة ـ على العذر، حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه وأن تفعله بغير أهله. لا تتخذ عدو صديقك صديقًا فتعادي صديقك»[٢٦٦].

فيجب علينا أن نمحض أصدقاءنا النصيحة، حلوة كانت أو مرة، أي وإن كانت غير مريحة له، فقد ورد عن الإمام الصادق أنه قال: «من رأى أخاه على أمر. . . . فلم يردّه عنه وهو يقدر عليه فقد خانه»[٢٦٧].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾، من الكفار والمشركين، ﴿أَوْلِيَاء﴾، أعوانًا توادونهم وتنصرونهم، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾، ترسلون إليهم أخبار المسلمين لطلب مودتهم، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾، القرآن والإسلام، ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾، أخطأ طريق الحق، ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾، إن يظفروا بكم أو يصادفوكم، ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾، يمدوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالشتم، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[٢٦٨] أي تمنوا أن تكفروا.

وقال الحق جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٢٦٩]. وليس المقصود بالغلبة والنصر الغلبة والنصر المرحليين، بل الغلبة والنصر النهائيان، وكذلك النصر المحتوم لأتباعهم والسائرين على خطى الأنبياء كما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٢٧٠].

لقد استعرض القرآن الكريم في عدد من آياته الشريفة مصاديق لأعداء المؤمنين، وحدّد مجموعة من العناوين وقال عنهم: هؤلاء هم أعداء المؤمنين، فإذا أردنا أن نعادي أعداء المؤمنين فعلينا أولًا أن نستحضر هذه العناوين، ونستعرض بعض هذه العناوين على عجالة.

---

٢٦٦. نهج البلاغة ٣: ٥٣، رقم ٣١.
٢٦٧. بحار الأنوار ٧١: ١٩٠، ح ٢.
٢٦٨. سورة الممتحنة: الآية ١.
٢٦٩. سورة الصافات: الآية ١٧٠ – ١٧١.
٢٧٠. سورة غافر: الآية ٥١.

أولًا/ أصحاب العقيدة المنحرفة: من هذه العناوين التي ذكرها القرآن الكريم لأعداء الله هم أصحاب العقيدة المنحرفة من خارج الجماعة المسلمة، فهناك أفراد جماعة غير مسلمة يحملون عقيدة منحرفة يعتبرهم القرآن الكريم خصمًا للمسلمين، ويجب اتخاذ موقف منهم وعدم موالاتهم والانسياق باتجاههم؛ لاحظوا هذه الآيات الشريفة من آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٧١).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»: الخطاب للمؤمنين.

«لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَة»: أي لا تتخذوا أصدقاء توالونهم وتحبونهم من غير المؤمنين تطلعونهم على أَسراركم.

«مِّن دُونِكُمْ»: من غير المسلمين، من خارج جماعتكم، تضعون أسراركم عندهم وتطلعونهم على خفاياكم وعلى أموركم المهمة والحساسة.

«لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالا»: هؤلاء ممن هم خارجكم، لا يتورعون عن أي مفسدة وعن أي إساءة يلحقونها بكم، ويمكن أن يبيعوكم إلى أعدائكم بأزهد الأثمان، وأن يفشوا أسراركم ويشهروها على الملأ، كما في «ويكي ليكس»، وتأتيكم مائة قصة أُخرى، وفجأة ترون الأسرار كلها في كل مكان، فهؤلاء لا يألونكم خبالًا، وليس لديهم أي حرص على دفع الفساد عنكم وحفظ سمعتكم وحفظ أسراركم، بل يبيعونكم في أي وقت وفي أي فرصة، وقد لاحظتم مؤخرًا كيف بدأت الوثائق تخرج عمن يبيع ومن يشتري ومن يتسلم أموالًا، وجميعها في كتب رسمية نشرها موقع « ويكي ليكس » تخرج الأول والأخير وتبين حقيقة الأطراف وتوجهاتها.

«وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ»: هؤلاء يتمنون إلحاق الضرر الشديد بكم، ويتمنون لكم الشر، فهم كما قال الشاعر:

يؤتيكَ من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ عنكَ كما يروغُ الثعلبُ

فلا تجعلوا ثقتكم وأسراركم عند من يحمل العقيدة المنحرفة.

«قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»: هؤلاء لا يستطيعون أن يسيطروا على مشاعرهم؛

٢٧١. سورة آل عمران: الآية ١١٨ – ١١٩.

فحين يتكلمون تظهر العداوة في أفواههم، وتظهرعلى ألسنتهم عبارات العداوة والبغضاء لكم بين طيات كلامهم.

«وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ»: هذا الذي يبدو على ألسنتهم يظهر وهم يحاولون أن يسيطروا على أنفسهم ولا يبرزوا حقيقتهم، ومع ذلك تخرج على ألسنتهم العجائب، أما إذا اطّلعت على قلوبهم فهي مملوءة بالغيظ والعداوة والخصومة والحقد عليكم.

«قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ»: أي يا معاشر المؤمنين، إنكم تعطون هؤلاء الولاء والمحبة والثقة وتعرّفونهم بأسراركم، ولكنهم لا يبادلونكم هذه المشاعر ولا يحبونكم.

«وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ»: أي تؤمنون بجميع الكتب السماوية وهم لا يؤمنون بها، والقرآن الكريم يذكر هذه الحقائق، فنحن نؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وجميع الكتب السماوية؛ لأنها من السماء، فنحن نؤمن بالكتب السماوية الأصلية غير المحرفة.

«وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا»: هؤلاء حين يرونكم يسايرونكم ويقولون لكم: نحن معكم، ونحن مؤمنون أيضًا.

«وَإِذَا خَلَوْاْ»: ولكن حين يجلسون وحدهم بعيدًا عن أنظاركم.

«عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ»: ترون أحيانا شخصًا يعض على أصابعه من شدة الغيظ، أي أنّ هؤلاء حاقدون عليكم، فهم أمامكم يتكلمون بكلام لطيف ويقولون نحن مؤمنون أيضًا، ولكنّهم خلفكم يعضون على أصابعهم من شدة الغيظ ويريدون أن يلحقوا بكم أشد النكاية ويهزموكم شر هزيمة.

«قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ»: يقول الله تبارك وتعالى لهم: موتوا من شدة غيظكم على المؤمنين، أي أنّ الله (سبحانه وتعالى) سينصر المؤمنين ويمكّنهم من أعدائهم من المنافقين إذا مشوا في الطريق الصحيح، ولم يعتمدوا على أصحاب العقيدة المنحرفة ولم يضعوا أسرارهم كلها عند هؤلاء ليجدوها بعد حين أمام الرأي العام.

«إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»: إذن من يحمل العقيدة المنحرفة عدو لكم، وعليكم أن تحذروا منهم، لأنّهم خصوم لكم.

ثانيًا/ المجادلون في آيات الله: هناك عنوان آخر وهم المجادلون في آيات الله، فهناك أناس لا يريدون أن يفهموا ولو شرحت لهم عشرين ساعة عن حقيقة واضحة،

فعندما تقولون: انظروا إلى الشمس، يقولون: من قال إن هذه شمس؟ فتقولون لهم: هذه شمس كبيرة أمامكم لا ينكر وجودها أحد، فيقولون: كلا قد تكونون أنتم من عمل لنا تنويمًا مغناطيسيًا. إنّهم يشككون في أوضح الواضحات ويجادلون في آيات الله تبارك وتعالى، وأي شيء تقولونه في الحياة الخاصة والشخصية فإنّهم يقولون: إنّ كل قضية لا بُدَّ من أن يُناقش فيها، فحالتهم دائمًا هي الجدل والخصومة والنقاش والتشكيك وإثارة الشبهات، وهي ظاهرة مَرَضية في وجود بعض الناس، وفي المقابل هناك بعض الناس البسطاء والسذج الذين يصدّقون كل ما يسمعون، ولكن المجموعة الأُولى مصابون بمرض الوسواس، هذا إذا لم يكونوا مغرضين ويفتعلون هذه الحالة ويتظاهرون بعدم قبول أي حقيقة مهما كانت واضحة، ومثال هذه الحالة المرضية أننا نرى شخصا سليمًا تتنجس يده فيضعها تحت الماء ويطهرها ويكتفي بذلك، ونرى شخصًا آخر مريضًا تتنجس يده فيضعها نصف ساعة تحت الماء ليطهّرها، فهذا مرض الوسواس في الطهارة. وهناك وسواس في الصلاة، وهناك وسواس في الفكرة، فنرى شخصًا مهووسًا لا يستطيع أن يقبل حقيقة ما، بل يناقش في كل شيء، ويتحول إلى إنسان سلبي ومزعج ولا يقبل الحقائق ويشكك في البديهيات والواضحات. ونرى أحيانًا أخرى أكثر من الوسواس؛ وهو الإنسان المغرض، فهو يعلم الحقيقة ولكنه لا يريد أن يقبلها، فيثير شبهة حولها ليتنصل من قبولها.

وهؤلاء الذين يجادلون في آيات الله يشككون الناس في الدين، فتسمعهم يقولون: من قال إن هذا رسول الله؟ فيقال لهم: لقد رأينا منه معجزة، فيقولون: من قال إن هذه معجزة؟ فقد تكون سحرًا، فيشككون الناس في فطرتها وهي قد عرفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتفت حوله وأخذت منه وتعرفت على الدين وتمسكت به، ولكن يأتي هذا باسم الحداثة وباسم العصرنة وباسم التجديد وباسم الفكر المتجدد فيطرح عناوين من هذا النوع، ويعبّر بكلام مرتب ولطيف ينبهر به البعض، فيتسرب الشك إلى قلبه، وعندما يقرأ كتابًا يقرؤه وهو مهزوز، وبعد أن كان دينه واضحًا صار عنده شك في الدين، وصار عنده شك في شعائره، وصار عنده شك في قرآنه. فهذا الشخص الذي يجادل في آيات الله هو العدو.

لاحظوا قوله تعالى في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [٢٧٢].

٢٧٢. سورة غافر: الآية ٣٥.

«الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ»: أي أنّ هؤلاء ليس لديهم سلطان وحجة حقيقية، فإذا كان عندهم برهان حقيقي فليأتوا به، ولكن لا يوجد لديهم دليل. والكلمات التي يتفوه بها هؤلاء من قبيل: من يقول؟ وما الدليل؟ ولماذا كذا؟ يريدون بها فقط أن يهدموا، وليس لديهم رؤية واضحة، وليس لديهم دليل واضح. وهذا مرض، وهؤلاء أعداء كما يعبّر عنهم القرآن الكريم.

«كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ»: أي عظم بغظًا وعداوة من الله (سبحانه وتعالى) تجاه هذا الإنسان الذي يجادل في الحق من دون دليل، والذي يشكك الناس بعقائدهم من دون دليل، فهذا يكبر مقته عند الله سبحانه ويبغظه بشدة.

«وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا»: هنا الشاهد، ويكبر بغضه وعداؤه عند المؤمنين أيضًا، فالمجادلون في آيات الله تعالى هم عدو لله سبحانه وللمؤمنين.

«كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»: يطبع أي يختم، وجبار يعني متسلط بغير حق، أي أنّ هذا المشكك يشكك الإنسان ويبعده عن الحقيقة، ويهيمن ويتسلط على عقول الناس بغير وجه حق، وكل من يجادل في آيات الله بغير حق يعبّر عنه القرآن بأنّه جبار، ولذا يجب اتخاذه عدوًا ونحذر منه، فعندما نكون في طريق الصواب وطريق الحق ثم يأتي شخص ويشككنا بهذا الطريق فيجب أن نبتعد عنه؛ لأنّه عدو لا ينبغي التفكير في كلامه، فهو يدخل فايروسات في عقولنا فنبقى في حيرة من أمرنا.

ثالثًا: أعداء الله: إن أعداء الله هم أعداء المؤمنين أيضًا، لاحظوا الآية الشريفة من سورة الأنفال: ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [٢٧٣]، أي من هو عدو لله فهو عدو للمؤمنين أيضًا.

وورد هذا المعنى في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، خطاب للمؤمنين، ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [٢٧٤]، فعدو الله هو عدو المؤمنين أيضًا، فاحذروا أن توالوهم وتحبوهم، وجاملوهم فقط؛ لأنّ المجاملة أخذ وعطاء، ولا يجوز حمل مشاعر الحب والولاء لمن فهم أعداء.

وقال تعالى أيضًا: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٢٧٥].

٢٧٣. سورة الأنفال: الآية ٦٠.
٢٧٤. سورة الممتحنة: الآية ١.
٢٧٥. سورة الممتحنة: الآية ٣.

«لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ»: لا يفيدونكم حتى لو كانوا من أقربائكم وعشيرتكم.

«وَلَا أَوْلَادُكُمْ»: حتى لو كانوا أولادكم، وهم أقرب الناس إليكم لأنّهم خرجوا من أصلابكم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [٢٧٦]، فهذا ابن نبي ومع ذلك فهو عدو لله، فلا توجد قرابة أقرب من الله ورسوله، وإن كان أبًا أو أخًا أو من الأقرباء أو العشيرة، إذا كانوا أعداء لله فهم أعداء للمؤمنين أيضًا.

«يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ»: يفصل الله (سبحانه وتعالى) يوم القيامة بين المؤمنين وأعدائهم.

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»: الله ينظر كيف تتعاملون بينكم؛ أتوالون أعداء الله وتحبونهم وتثقون بهم وتركنون إليهم، أم تبغضونهم وتقاطعونهم وتتخذونهم أعداء؟.

فاحذروا هؤلاء الأعداء الأربعة الذين ذكرتهم الآية الكريمة ـ الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة ـ فهم الأعداء المخفيون، والعدو المقنّع أخطر من العدو الواضح، فالعدو الواضح كداعش شاهر سيفه وقادم إليك ليذبحك، فتعرفه عدوًا وتتخذ الإجراءات المناسبة تجاهه لتفادي خطره، ولكن من هو معكم وبينكم يغدر بكم ويطعنكم من الخلف، ولهذا يجب الحذر الشديد من العدو المقنّع والخفي.

لاحظوا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [٢٧٧].

«والله أعلم بأعدائكم»: أي أنتم لا تعرفون جميع أعدائكم، فبعضهم تتصورونه صديقًا فتقربونه لكم وتدخلونه بيوتكم، وتدعونه يتعرف على عورات بيوتكم وأعراضكم على أنّه صديق لكم، ولكن لا تعلمون ماذا تعني نظراته ودواخله القلبية وأفكاره، فهو كذئب يترصد لحظة معينة لينقض عليكم وينهشكم وعوائلكم، فلا يغرنكم تودده لكم، فالحذر الحذر في اختيار الصديق، فالصديق ليس لعبة يا إخوتي، جاملوا الناس وتقربوا منهم وثقوا بهم بالتدريج وبهدوء، ولكن ضعوا لكم خط رجعة واجعلوا الناس تحت المجهر.

أحيانا نرى صديق العمر حينما تحصل حادثة ما وتنقطع العلاقة لسبب أو لآخر يبدأ شريط الأحداث التي جمعتنا معه بالرجوع، ويحصل أمر عجيب إذ يفطن الإنسان لأمور

٢٧٦. سورة هود: الآية ٤٦.
٢٧٧. سورة النساء: الآية ٤٥.

كان غافلًا عنها حين حصولها؛ فتلك المرة قال كذا ولم ألتفت، وفي المكان الفلاني فعل كذا ولم ألتفت، فحينما يقع الفأس في الرأس كما يقولون يبدأ الإنسان يتذكر ما حدث هنا وهناك، فإذا مائة ثغرة ومائة ضوء أخضر قد فتحها الله تعالى لنا ولكن لم نرَ ولم تكن عيوننا ترى هذه السلبيات؛ لأننا وضعنا كل ثقتنا بهذا الصديق، وهذا خطأ، فمهما كان الصديق قريبًا يجب أن ندقق في كل كلمة وفي كل موقف وفي كل قضية ونربط بين الأحداث ونتأكد هل هذا أمر حقيقي أو لا؟ نعم إذا جزمنا أنه من المؤمنين فهنيئًا وينبغي علينا التمسك به، ولكن إذا ثبت لنا عكس ذلك وتبين لنا شيء آخر فيجب أن نكون على حذر منه.

«وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا: أي أنّ الله تبارك وتعالى ينصركم ويواليكم، لأنّه محور الولاء للمؤمنين، وهو يدفع البلاء عنهم من مثل هؤلاء المقنّعين فاحذروهم.

رابعًا/ الشيطان الرجيم: إنه من ألد أعداء المؤمنين، فقد ورد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [٢٧٨].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً»: السلم يعني الإسلام، أي كونوا مسلمين وتمسكوا بعقيدتكم.

«وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»: الشيطان عدو مبين أي عدو واضح، فلا تقعوا فريسة مكائده، واحذروا أن تصطادكم فخاخه.

وفي آية أُخرى قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [٢٧٩] أي هو عدو لكم فلماذا لا تعادونه؟ فلا يعقل أن ترفع غصن الزيتون في وجه من يرفع السلاح بوجهك ويريد قتلك، فهذا لا يجوز، فمن يعاديك عاده، وكل شيء يغيظ الشيطان ويفرح الرحمن فافعله، وكل شيء يفرح الشيطان يعني ابتعادًا عن الرحمن فلا تفعله، وهذه هي المعادلة.

خامسًا وسادسًا: الأزواج والأبناء غير المتدينين وغير الملتزمين وغير المنضبطين الذين ليس لديهم قيم، هؤلاء أعداء كما يقول القرآن الكريم، فالزوجة والأولاد إذا خرجوا عن الإيمان فهؤلاء ليسوا بأصدقاء، إذ يمكن أن نجاملهم ونعايشهم، وأمرنا

٢٧٨. سورة البقرة: الآية ٢٠٨.
٢٧٩. سورة فاطر: الآية ٦.

معهم إلى الله تعالى، فالله قد ابتلى بعض الأنبياء وبعض أئمتنا الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بزوجات غير صالحات فتحمّلوا، وقد قتل بعض أئمتنا بالسم بواسطة زوجاتهم، والتحمل شيء والولاء شيء آخر.

وتقوم الزوجة والأولاد غير المؤمنين بتخريب وتضعيف كل توجه ديني لدى الزوج أو الأب، فعندما يقول مثلًا: لنذهب للزيارة، يقولون: تعبنا من الزيارات فخذنا لمنتجع ما أو لمطعم ما أو لمنتزه ما، وحين يقول لهم: هذه ليلة الجمعة وزيارة الحسين فيها من أفضل الأعمال، يجيبونه بكلام كثير يجعله يترك الزيارة ويذهب للمتعة. ثم يأتي الحج فيقول لهم: إنّ اسمي ظهر في قرعة الحج، فيقولون له: أين هو المال الزائد عن حاجتنا لتذهب به إلى الحج، ألا ترى الثلاجة لا تعمل والبيت يحتاج إلى الصبغ ويلحون عليه في الكلام مما يضطره إلى إنفاق ماله في تحسين المعيشة، وهكذا يذهب عليه الحج، وأي خطوة فيها طاعة وعبادة يواجهونه فيها بأساليب ماكرة إلى أن يثنوه عنها ويشغلوه بأمر الدنيا، ويقترحون عليه في كل يوم أمرًا يجعله غارقًا في طلبه ولا يدعون له وقتًا للتفكير والعمل للآخرة، وهكذا يجعلون همه الدنيا دائمًا فينسى الآخرة. وهذه العوائل التي لا قيم لها ولا دين ولا ضوابط محددة وتكثر من طلباتها الدنيوية ولا تقف عند حد تمنع الأب من السير في طريق الآخرة.

لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة التغابن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٨٠].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»: الخطاب للمؤمنين أيضًا.

«إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ»: يستعمل لفظ الزوج في اللغة العربية للرجل والمرأة، ولكن من الأخطاء الشائعة في استعمال الناس أنهم يقولون زوج للرجل وزوجة للمرأة، والمراد في هذا الاستعمال القرآني أنّ الرجل قد يكون صالحًا وامرأته غير صالحة، وأنّ المرأة قد تكون صالحة وزوجها غير صالح، فهذا الخطاب للمؤمنات أيضًا كما هو للمؤمنين.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»: فكم من الأزواج والأولاد أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله ويبعدونكم عن الطاعة، فاحذروا أن تطيعوهم. وكم هي خطيرة هذه العداوة ممن تحبه وتسعى في صلاحه، وهو يسعى في إفسادك وهلاكك، فالعلاقة الزوجية والبنوة تمنع في كثير من الأحيان من الحذر الذي ينبغي أن يتحلى به المؤمن خوفًا من الانزلاق إلى ما يريده عدوه.

---

٢٨٠. سورة التغابن: الآية ١٤.

«وَإِن تَعْفُوا»: أي عما سلف وبدر منهم.

«وَتَصْفَحُوا»: ولا تعاقبوهم.

«وَتَغْفِرُوا»: وتستروا عليهم.

«فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»: أي إن غفرتم لهم فإنّ الله تعالى سيغفر لهم أيضًا، فهم وإن كانوا أَعداء ولكن لا تنتقموا منهم، وحاولوا أن تربوهم وتفتحوا عيونهم، وحاولوا أن تروّضوهم وتدفعوهم في الاتجاه الصحيح، فالرجل له تأثير في زوجته وأولاده، وحين يتركهم فسوف تنمو فيهم هذه الحالة، ولكن حين يقف بوجه هذه القضايا ويعترض ويعاتب ويبين لهم أن هذا ليس صحيحًا وهذا لا يجوز مرة أو مرتين أو ثلاثًا فستنصلح الأمور قليلًا قليلًا، ولا يحتاج إلى أن يتشفى فيهم.

وقد نزلت هذه الآية في المهاجرين الذين أرادوا أن يهاجروا فمنعتهم زوجاتهم، وكن يقلن لهم: إلى أين تذهبون وتتركون بيوتكم وعوائلكم؟ هل فكرتم ماذا سيحل بنا؟ وكان طريق الهجرة مفتوحًا أمامهن لو أنهن آمنّ كما آمن أزواجهن، ولكنهن لم يكن يرغبن في الإيمان والهجرة، وإلا فكم من مؤمنة آمنت وهاجرت مع زوجها. وهكذا كانوا يمنعون ويصدون المسلمين عن أن يهاجروا عن طريق الضغط عليهم من خلال أزواجهم وأولادهم ومنعهم من الهجرة معهم، ليبقوا في مكة فلا يمكنهم الجهر بإسلامهم ويبقى إسلامهم ضعيفًا، لأنّ بعض الأزواج يكونون أحيانًا أسرى لزوجاتهم وأولادهم، فيأتمر بما يقولون وإن كان في ذلك وهنًا لدينه، وهذه ظاهرة سلبية.

وهناك بعض الأزواج أُمراء في بيوتهم، فالجميع يرتجف منه إذا دخل البيت، ويخافون أن تصدر منهم كلمة أو حركة تزعجه، فإذا ما نام أو خرج تنفسوا الصعداء وارتاحوا منه بضع ساعات لحين استيقاظه أو عودته، وهي ظاهرة سلبية أيضًا، إذ يتحول الأب إلى جلاد وإمبراطور لا يفكر أحد في مخالفته أو التصرف من غير إذنه، فهو ليس ربًّا لهذه الأُسرة يرعى شؤونها ويتعامل معها باللطف والرحمة والمحبة، بل هو ديكتاتور ظالم تسلط على ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، قد ملّكه الله سبحانه أمرهم وأجرى أرزاقهم على يديه، فأفسد أمرهم بسلوكه هذا وجعلهم يعيشون في عناء يتمنون موته والخلاص منه.

وكلا الحالتين ليست صحيحة؛ فلا ينبغي أن يكون أسيرًا ولا أميرًا، بل ينبغي أن يكون رب الأُسرة ظهيرًا لعائلته، يساندهم في الحق ويمنعهم من الخطأ، وأن يكون

مربيًا ومرشدًا وصديقًا وقريبًا يتعامل معهم برفق، هذا هو الأساس في التعاطي مع العائلة كما تشير هذه الآية الشريفة.

سابعًا: الكفار: إن الكفار أعداء للمؤمنين؛ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [٢٨١]، فالكافر عدو واضح وظاهر العداوة للمؤمنين، وهو لا يخفي عداوته لهم بل يتجاهر بها، فاحذروا الكفار.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [٢٨٢]، أي لا يظن الكافرون أنهم غلبوا المؤمنين وسبقوهم؛ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، وهو قادر على إهلاكهم واستئصالهم في أي لحظة والانتصار للمؤمنين.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٨١. سورة النساء: الآية ١٠١.
٢٨٢. سورة الأنفال: الآية ٥٩

المحاضرة الأخلاقية الثانية
بتأريخ٢٠١٥/٦/٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا عن حقوق الأخوّة الإيمانية، حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، و تحديدا في الحق السادس والعشرين، وهو(موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه)، وانتهينا من الحديث عن أعداء الله في القرآن الكريم، ننتقل إلى الحديث عن موجبات العداء والخصومة.

ما السبب في أن يعادي إنسان الآخرين؟ وما الأُمور والعوامل التي تزرع العداء والخصومة بين الناس؟ وهذه من المواضيع القرآنية الشيقة، وحينما نراجع آيات القرآن الكريم نجد أن كتاب الله يشير إلى العديد من العناصر والأُمور التي تزرع العداء والخصومة بين الناس، نستعرض بعضًا منها كما يلي:

الأمر الأول: الاختلاف في الكتب السماوية

فحينما يختلف الناس في الرسالات الإلهية ينشب العداء والخصومة بينهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٢٨٣]، أي أن الله تبارك وتعالى ينزل الكتب

٢٨٣. سورة البقرة: الآية ١٧٦.

السماوية وينقل فيها برنامجًا متكاملًا للحياة، ولكن حينما يختلف الناس في التعاطي مع ما ينزله الله (سبحانه وتعالى) من الكتب السماوية نجدهم يقعون في خصومة شديدة. إذن فالعداء والخصومة الشديدة يظهران من خلال الخلاف في كتاب الله وما أنزله الله (سبحانه وتعالى) كما تشير هذه الآية.

الأمر الثاني: الاستكبار والاستعلاء

وهو أيضًا سبب من أسباب الخصومة والعداء كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٢٨٤).

أي أن الله تعالى أعطى الكتاب والشريعة لموسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، وأتبعه بأنبياء ورسل آخرين، إلى أن وصل إلى عيسى فآتاه الرسالة والبينات، وكان عيسى قد جاء بالعديد من المعجزات التي تميز بها، وأيده بجبرائيل، ولكنكم يا معاشر اليهود إذا لم يعجبكم أي نبي يأتيكم تمنعكم حالة الاستكبار والترفع والاستعلاء عن الخضوع لرسالة السماء ولحكم الله (سبحانه وتعالى)، فكذبتم جماعة من الأنبياء كعيسى بن مريم عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ ولم تصدقوا رسالته، وقتلتم جماعة منهم كزكريا ويحيى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ. فردّة الفعل تجاه هؤلاء الرسل كانت استكبارًا ينتهي إلى التكذيب أو القتل. إذن فالاستكبار يجر الإنسان إلى الخصومة والعداء.

وهناك شاهد آخر في القرآن الكريم على الموضوع نفسه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلى حِينٍ﴾ (٢٨٥).

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ»: السجود لآدم تعظيمًا وليس عبادة، لأنّ السجود عبادةً لا يكون إلا لله (سبحانه وتعالى). وقد طلب الله (سبحانه وتعالى) من الملائكة أن يسجدوا لآدم، أي أن يعظّموه، ونرى اليوم أن البعض حينما يريد أن

٢٨٤. سورة البقرة: الآية ٨٧.
٢٨٥. سورة البقرة: الآية ٣٤ – ٣٦.

يسلّم على آخر يضع يده على صدره ويطأطئ رأسه، وهذا نوع من أنواع الخضوع، فحالة السجود هذه تعظيمًا واحترامًا وتكريمًا لآدم.

«فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ»: أي امتنع عن إطاعة أمر الله سبحانه في السجود لآدم، وكان امتناعه هذا استكبارًا، وعلة استكباره بيّنتها آية أُخرى حينما سأله الله تبارك وتعالى عن سبب امتناعه عن السجود لآدم: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٢٨٦).

«وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»: هذا الاستكبار جعله يتمرد ويكون كافرًا خارجًا عن طاعة الله تعالى.

«وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ»: بعد أن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم قال لآدم وحواء: ادخلا الجنة واسكنا فيها.

«وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا»: أي كُلا منها هنيئًا مريئًا ما يعجبكما من ألوان الفاكهة والثمار، وكل ما تأكلانه وتشربانه منها هو حلال لكما وسائغ.

«وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ»: الشيء الوحيد الممنوع فيها هو الاقتراب من هذه الشجرة، والمقصود هو الامتناع عن الأكل منها، ولكن عبّر الله سبحانه بعدم الاقتراب من باب التشديد في النهي، وقد جاءت نظائر ذلك في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٢٨٧)، أي الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الزنا كمقدمات الزنا.

«فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ»: أي أن نتيجة الأكل من الشجرة هو أنكما ستكونان من الظالمين؛ لأنّ من أوضح مصاديق الظلم هو عصيان الأوامر الإلهية وعدم الالتزام بها.

إن مساحة الحلال واسعة، بينما مساحة الحرام ضيقة، وهذه قاعدة وقانون سماوي، فمساحات المباح واسعة جدًا ويمكن أن يحصل الإنسان فيها على الطيب واللذيذ من آلاف أنواع الفاكهة والثمار، ونُهي فقط عن تناول عدد محدود جدًا، إما لغرض صحي أو غرض تربوي، ونهي آدم وحواء عن تناول ثمرة تلك الشجرة كان لغرض الاختبار والامتحان والتعريف بشخصية عدوهما الأبدي إبليس عليه اللعنة.

---

٢٨٦. سورة الأعراف: الآية ١٢ – ١٣.

٢٨٧. سورة الإسراء: الآية ٣٢.

وهنا نقاط مهمة أشارت إليها الآيات الكريمة:

منها: لفظ «هذه»، وهو اسم إشارة للقريب، وقد خاطب الله تبارك وتعالى آدم وحواء بقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، مما يدل على أنهما كانا قريبين منها في أثناء الخطاب، ولعل الحكمة في ذلك أن تتضح لهما بشكل قاطع الشجرة المنهي عنها، لئلا يقولا بعد ذلك إنهما اشتبه عليهما الأمر في تشخيصهما لها من بين الأشجار، وقد استعمل إبليس اللعين لفظ «هذه» أيضًا في خطابه لهما حينما قال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [٢٨٨]، مما يدل على أنه كان قريبًا منها أيضًا في أثناء الوسوسة لهما بالأكل منها. ولكن حينما أكلا منها خاطبهما الله تعالى بقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [٢٨٩]، فاستعمل لفظ «تلك»، مما يدل على أنهما ابتعدا اختيارًا عنها بعد الأكل منها لإحساسهما بالخطأ الذي وقعا فيه، أو أن الله سبحانه قد أبعدهما قهرًا عنها بعد فشلهما في الاختبار.

وفي ذلك دلالة على أنه كان على آدم وحواء منذ البدء الابتعاد عن الشجرة بعد نهي الله تعالى لهما عنها، ولم يعيا بشكل دقيق قوله تعالى لهما ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾ الذي يشمل بإطلاقه القرب المكاني، فلعلهما لو كانا بعيدين عنها في أثناء خطاب إبليس اللعين لهما، لكانت لهما فسحة من الوقت حتى يصلا إليها، وبذلك ينتبهان إلى خدعة إبليس اللعين ويتراجعان عن الأكل منها. وفي هذا درس بليغ لنا في الابتعاد عن أماكن المعصية وإن لم يكن في نيتنا ارتكابها وقاية من المحذور.

ومنها: يقول علماء التفسير: إن النهي في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾ هو نهي إرشادي وليس نهيًا مولويًا، فتارة ينهى المولى فيقول: لا تفعل كذا وإن فعلت عصيت، ولو كان النهي هنا نهيًا مولويًا لكان حكمًا شرعيًا، يعني حرمة شرعية، فالذي يأكل يكون قد ارتكب معصية وأمرًا محرمًا، وآدم نبي من الأنبياء معصوم لا تصدر منه المعصية، فالنبي المعصوم لا يرتكب المحرم، أما إذا كان النهي نهيًا إرشاديًا فهو ليس حكمًا شرعيًا، وهو مجرد نصيحة لخدمة الإنسان ولصالحه، كوصفة الدواء التي يكتبها الطبيب للمريض لعلاجه من مرض معين، ولكن لا يترتب على امتناع المريض من تناول الدواء دخول السجن مثلًا؛ لأنه لم يرتكب جريمة، وعصيانه لأوامر الطبيب لا يُعد معصية أو مخالفة قانونية يستحق عليها العقاب، فالطبيب لا يصدر تشريعات، بل البرلمان هو الذي يفعل

٢٨٨. سورة الأعراف: الآية ٢٠.
٢٨٩. سورة الأعراف: الآية ٢٢.

ذلك ويقول: هذا واجب على المواطنين الالتزام به ومن يخالف يُسجن، أما الطبيب فيقول: عليك أن تستعمل هذا الدواء كي تشفى من مرضك وإن لم تفعل فسوف يشتد عليك المرض وتموت، فالأمر الإرشادي فيه نصيحة للناس ولا تُعد مخالفته عصيانًا. وهنا يقول الله (سبحانه وتعالى) لآدم: يا آدم إذا لم تأكل من هذه الشجرة فستبقى في هذه الجنة، تأكل وتشرب وتفرح وتستمتع ولا أخرجك منها، بشرط ألاّ تأكل من هذه الشجرة، فإذا أكلت منها فستخرج من الجنة وتنزل إلى الأرض.

«فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا»: أي أوقعهما في الخطأ، من) زلت الأقدام) إذا مالت عن الطريق، فأكلا من الشجرة الممنوعة، وبمجرد أن أكلا من هذه الشجرة خسرا الجنة، وإن لم يرتكبا معصية، ولكنهما فقدا مكانًا مهمًا، كمن يخسر مكانًا في فندق خمس نجوم عندما يُشترط عليه عدم التدخين ولكنه لا يلتزم فيخرجونه منه، فالشيطان لم يدعهما يستمتعان بالجنة حين تركا آلاف الأشجار المثمرة وأكلا من ثمرة هذه الشجرة، فقد خدعهما قائلًا لهما: أنتما بشر وعمركما قصير، ولكن الذي يأكل من هذه الشجرة يصير ملكًا من الملائكة أو يكون خالدًا لا يموت، وكان آدم وحواء يريدان أن يخلدا في الجنة ولا يموتا، وهذه قضية ليست هينة ففيها خلود.

«وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ»: لم يقل لهما أنا شيطان وأنا عدو لكما، بل أقسم لهما إنه لهما ناصح، وأغلظ لهما في القسم بدليل دخول لام التأكيد على «من الناصحين»، ولم يكن آدم وحواء قد سمعا من يقسم كاذبًا، فصدّقا قوله من غير أن يتريثا ويحققا في صدق دعواه، ولو فعلا ذلك لتبين لهما كذبه ولنجحا في هذا الاختبار، ولكن إبليس اللعين دخل إليهما من الباب الذي يرغبان فيه وهو الخلود، فاندفعا مسرعين لتحقيق حلمهما المنشود مما جعلهما يأكلان من هذه الشجرة.

«فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ»: أي أخرج الله تبارك وتعالى آدم وحواء مما كانا فيه من نعيم الجنة، ومفهوم هذا الكلام أن إبليس اللعين لم يكن يحظى من نعيم الجنة بشيء، لأنه من جنس آخر لم يكن يتغذى على الطعام والشراب كما هو حال الإنسان.

«وَقُلْنَا اهْبِطُوا»: والهبوط لا يعني بالضرورة النزول من مكان عال إلى مكان أسفل منه، بل يُطلقَ أيضًا على الانتقال من مكان إلى مكان كما في قوله تعالى لبني إسرائيل حينما سألوا موسى الخروج من سيناء إلى مكان آخر فيه ألوان الطعام: «اهبطوا مصرًا

فإنّ لكم ما سألتم»[٢٩٠]، ولهذا استفاد البعض احتمال أن الجنة التي كانوا فيها هي من جنان الأرض.

«بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ»: وهنا يعلن الله (سبحانه وتعالى) حقيقة العداوة بين الإنسان والشيطان، التي كان الشيطان يضمرها للإنسان حينما امتنع من السجود له، ولكن الظاهر أنّ الهبوط كان من الجنة السماوية إلى الأرض بدليل ما يأتي في تتمة الآية الكريمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرّ﴾.

إذن فإن هذا الاستكبار في الامتناع عن الانصياع والذعون للأمر الإلهي بالسجود لآدم بعد خلقه هو الذي جرّ إبليس اللعين إلى الكفر.

«وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِين»: أي أنّ الأرض ستكون المستقر ومكان الإقامة المؤقت للإنسان والشيطان إلى حين قيام الساعة. وكذلك لهم فيها متاع إلى ذلك الحين. وقد جاءت كلمة «متاع» نكرة لبيان أنّ نعيم الأرض قليل زائل بالنسبة إلى نعيم الجنة الدائم، كما وردت الإشارة إلى هذا المعنى في آيات عدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢٩١].

إنكار الله (سبحانه وتعالى) يؤدي أيضًا إلى العداء والخصومة، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[٢٩٢].

«هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ»: أي هذا مؤمن وذاك كافر اختلفوا في دينهم، هذا يؤمن بالله (سبحانه وتعالى) ويقول إنه الرب، وذاك يؤمن بالأوثان ويقول إنها أرباب.

«فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ»: أي أن رفض عبدة الأوثان القبول بعبادة الإله الواحد الأحد جرّهم إلى عداوة المؤمنين، وبالتالي أوصلهم إلى النار. إذن فالاختلاف في الدين والمعتقد يؤدي إلى الخصومة والعداوة.

بذاءة اللسان تورث الخصومة، وهذه ثقافة سيئة مع الأسف، فنرى البعض يستعمل

٢٩٠. سورة البقرة: الآية ٦١.
٢٩١. سورة التوبة: الآية ٣٨.
٢٩٢. سورة الحج: الآية ١٩.

كلمات بذيئة جارحة، بل اعتاد البعض عليها حتى صار يستعملها في المزاح، وصار أحدهم يخاطب الآخر بها وهم يضحكون فرحين، ولذا يجب أن يكون لسان الإنسان المؤمن نظيفًا وطاهرًا من كل بذاءة حتى مع الأعداء فضلًا عن الأصدقاء؛ لأن البذاءة تؤدي إلى مضاعفات لا تُحمد عقباها.

انظروا إلى ما أشار إليه الله تبارك وتعالى من نتائج بذاءة اللسان وماذا تفعل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينا﴾ [٢٩٣].

«وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»: أي على المؤمنين أن يقولوا الكلمة الطيبة حتى مع الكفار ليستميلوهم إليهم، وليس بين المؤمنين فقط، فالكلام بالتي هي أحسن والكلام المهذب مع الآخرين حتى مع العدو يجعلهم يخجلون من أنفسهم، فيجذبونهم إليهم بالكلام الطيب، ولكن نرى البعض منا ـ مع الأسف ـ كأنه «شفل» متحرك يكسر جماعة ويسب جماعة ولا يبقي ولا يذر ويسيء إلى الجميع، وحينما نسيء إلى الآخر فكيف يمكن أن نتفاهم معه؟ وكيف حينئذ نستطيع أن نهديه ونقرّبه؟ إنه لن يقترب بعد أن هدمنا الجسور بيننا وبينه، فمن أجل أن نؤثر فيه لا بُدَّ من أن نمد الجسور معه. ولكن لماذا قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ؟.

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ»: أي أنّ الشيطان يريد أن يفسد العلاقة بينكم فيدفعكم إلى بذاءة اللسان، فلا تقولوا التي هي أحسن بل تقولوا التي هي أسوأ وتتفوهون بالكلمات البذيئة.

«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ»: أي أنّ علة وسوسة الشيطان للإنسان ليكون ذا لسان بذيء هي لأنه عدو مبين له، فيسعى لجلب العداوة والبغضاء والخصومة بين الناس، وهذا منهج الشيطان، وبذاءة اللسان أسلوب من أساليبه القذرة، ومن هنا ينطلق لزرع بذور العداوة بين أفراد عدوه اللدود التي كرس حياته من أجلها، بل طلب الإمهال من الباري عز وجل ليضلهم عن الصراط ويدخلهم معه إلى جهنم، وهذا هو منهجه، بينما المنهج القرآني والمنهج الإسلامي ومنهج السماء هو توصية الإنسان بأن يقول التي هي أحسن.

إذا غابت التقوى بدأت النزاعات والخصومات بين الناس، فالتقوى ومراعاة الموازين الشرعية هما اللتان تربطان الناس بعضهم ببعض، وقد أشار إلى هذا السبب قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [٢٩٤].

---

٢٩٣. سورة الإسراء: الآية ٥٣.

٢٩٤. سورة الزخرف: الآية ٦٧.

«الْأَخِلَّاءُ»: أي الأصدقاء الذين يتوادون في الدنيا.

«يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»: أي أنّ المتقين هم فقط من لا يعادي بعضهم البعض الآخر، فإذا غابت التقوى كان الأخلاء بعضهم لبعض عدوًا، وتنتهي إلى غير رجعة تلك الصداقات الدنيوية الوثيقة التي كانت قائمة على أساس المصالح واللذائذ، فحين ينعدم الدين والقيم والموازين الشرعية من تلك العلاقات، تنعدم الحدود ويرتكب الإنسان جميع الموبقات والعياذ بالله ويقع في كل ذنب ومعصية.

إن الاختلاف في العقائد يُوجد الخصومة والعداء بين الناس، حتى لو كانوا أبناءهم أو آباءهم كما ذكرنا في آيات سابقة، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[٢٩٥].

«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ»: يطلب الله تبارك وتعالى من المسلمين أن يتأسوا بإبراهيم والذين آمنوا معه في مسألة عقائدية مهمة وهي مسألة البراءة من المشركين.

«إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ»: أي تبرأنا منكم أيها المشركون يا من تتخذون إلهة تعبدونها من دون الله، وإعلان البراءة وإحداث التميّز بين صفي الموحدين والمشركين أمر في غاية الخطورة لما يترتب عليه من آثار مهمة في حركة هداية المجتمع نحو الإيمان، ومعنى البراءة أننا لا نسير معكم أيها المشركون في درب واحد؛ لأنكم تكفرون بالله ونحن نؤمن بالله.

«وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا»: أي بسبب هذا ظهرت العداوة والبغضاء بيننا وبينكم إلى الأبد، إذن فالاختلاف في العقيدة بين المؤمن والكافر يؤدي إلى الخصومة الأبدية بينهما، فأهل الإيمان وأهل الكفر لا يجتمعون ولا يلتقون لا في الدنيا ولا في الآخرة. نعم قد يتجاملون أحيانًا ولكن لا يتحابون ولا توجد بينهم مودة حقيقية، بل خصومة وانزجار نفسي، وهذا ما شرحناه في الأيام السابقة.

«حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»: الإيمان نور والكفر ظلمة، والنور والظلمة لا يجتمعان أبدًا، لأنهما أمران متناقضان، فإذا وجد أحدهما انعدم الآخر، فالضوء في هذه القاعة يعني أنه لا توجد ظلمة، فإذا أُطفئ الضوء حلت الظلمة بدله.

---

٢٩٥. سورة الممتحنة: الآية ٤.

إن عدم احترام المقدسات من الأُمور التي توجب الخصومة، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمة عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢٩٦].

«وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ»: ينهى الله (سبحانه وتعالى) المسلمين من أن يسبّوا أصنام المشركين وأوثانهم، وهي اللات والعزى وهبل، وأصنامهم الأُخرى، ثم يبيّن الله تبارك وتعالى علّة هذا النهي في الفقرة التالية.

«فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْم»: أي أنّ المشركين سيتخذون سبّ إلهتهم من قبل المسلمين ذريعة لسبّ الله (سبحانه وتعالى)، ومن أجل تنزيه الله تعالى عن سبّ المشركين نهى عن سبّ آلهتهم.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أمر مهم كثيرًا ما وقع فيه الخلط؛ وهو عدم التمييز بين البراءة والسب، فقد أمرت الآية الكريمة السابقة بوجوب إظهار البراءة من المشركين، ونهت هذه الآية الكريمة عن سبّ آلهتهم، وهذا يعني بشكل جلي أنّ إعلان البراءة أمر غير السبّ، وأنّ اتهام من يظهر البراءة من المشركين وعقائدهم الباطلة بالسبّ لهم ولآلهتهم هو خلط للأوراق ومحاولة لمنع المسلمين من إظهار البراءة بمثل هذه الحجة الباطلة، كيف وقد أمر الله (سبحانه وتعالى) المسلمين بإعلان البراءة من المشركين في سورة كاملة هي سورة «الكافرون»، وهي قوله عز من قائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا﴾ أي عداءً وتجاوزًا بغير علم وبدون تفقه، ولهذا فإنّ منهج سبّ مقدسات الآخرين منهج غير صحيح، لأنه يدعو الطرف الآخر أيضًا إلى سبّ مقدساتنا، فالذي يقدّس البقرة ويتخذها إلهًا لا ينبغي سبّها أمامه، لئلا يتجرأ على سبّ مقدساتنا، لأنك حينما تكسر الآخر بالإساءة إلى مقدساته، فإنه سيكسرك أيضًا ويسيء إلى مقدساتك، ولذلك فمنهج السب ومنهج الإساءة لمقدسات الآخرين منهج غير إسلامي وغير قرآني.

«كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمة عَمَلَهُمْ ثُمَّ إلى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ»: أي أنّ الله تبارك وتعالى قد حسّن في عين كل أُمة أعمالها وعقيدتها، بما في ذلك أصحاب

٢٩٦. سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

العقيدة الباطلة، فهي بنظر أصحابها شيء مقدس جدًا، والله (سبحانه وتعالى) هو الحكم وهو الذي يجازي أو يعاقب الناس في يوم القيامة، أما الآن فواجبنا احترام المقدسات وعدم الإساءة وعدم انتهاكها، ولكن ينبغي أن يكون ذلك مع إظهار البراءة منها.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية الثالثة
بتأريخ٢٢/٦/٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم، ورزقنا الله وإياكم رحمته وعنايته في هذا الشهر الفضيل.

كان حديثنا في اللقاءات الماضية عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أن واحدة من أهم العناوين في الأخوّة هي الحقوق المتبادلة بين الأخ وأخيه المؤمن، وانتهينا في هذه الحقوق إلى الحق السادس والعشرين، وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يوالي وليّه ولا يعاديه)، واستعرضنا في اللقاء السابق سبعة من (موجبات العداء والخصومة)، ونكمل بقية الموجبات في هذا اللقاء إن شاء الله.

إن الحسد يورث العداوة والبغضاء أيضًا كما أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في كتابه الكريم حين قال: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. . . إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[٢٩٧].

«إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»: جاء يوسف إلى أبيه يعقوب (عليهما وعلى نبينا وآله السلام) وقال: يا أبت

٢٩٧. سورة يوسف: الآية ٤ – ٩.

إني رأيت رؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء حجة عليهم، رأيت أحد عشر كوكبًا يسجدون لي، وكذلك رأيت الشمس والقمر يسجدان لي، وكان له أحد عشر أخًا، والشمس والقمر هما أمه وأبوه، والسجود هو كناية عن الخضوع، والرؤيا تبشره بأنه سيكون له مكان رفيع أعلى من درجة أبيه وأمه وأعلى من درجة أخوانه الأحد عشر؛ لأنه سيجمع بين النبوة والملك، وحينما حكى يوسف رؤياه لوالده عرف أنه سيكون لولده منصب عظيم دون بقية الإخوة، فقال له:

«قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ»: ولم يعبّر يعقوب الرؤيا لولده يوسف، وهذا يعني أنّ يوسف كان يعلم تعبيرها، وإنما طلب منه فقط عدم حكايتها لإخوانه.

«فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا»: أي أنهم إذا عرفوا أنك ستكون أرفع منهم درجة وستكون لك المنزلة العظيمة فسوف يحسدونك، وإذا حسدوك احتالوا عليك احتيالًا شديدًا، وسيحاولون إلحاق الأذى بك وقتلك.

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»: والسبب في هذا الحسد هو الشيطان اللعين الذي يزرع بذور الخصومة ويدفع نحو العداوة، وحين يحسد شخص شخصًا آخر فمعنى هذا أنه لا يريد له الخير، بل يريد له الشر، فمثلًا حينما يأتيه خبر أنّ فلانًا مرض بالمرض الفلاني يفرح بذلك؛ لأنّ الحسد يوجب الخصومة والعداوة. ثم تشير الآيات الكريمة إلى تحقق هذا القلق والخشية عند النبي يعقوب على ولده يوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

«إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ»: أخو يوسف هو بنيامين، وكان شقيقه، أي هو أخوه من أمه وأبيه، فإنّ يعقوب كان متزوجًا من نساء عدة.

«أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا»: لقد كان أُخوة يوسف يشعرون بأنّ يوسف وبنيامين يحظيان بحب أبيهم أكثر مما يحظون به من هذا الحب، وقد كان هذا أمرًا واقعيًا، فدفعهم ذلك إلى الحسد، الذي يجر بدوره إلى الخصومة والعداوة. ولكن سبب ذلك الحب هو صغر سنّهما، فقد كانا هما الأصغر سنًّا من الآخرين، بل كان الفارق في السن بينهم كبيرًا إلى حد ما، وهذا أمر طبيعي جدًا؛ إذ يحظى الولد الأصغر سنًّا دائمًا بدرجة من الحب تزيد على إخوانه الذين يكبرونه سنًّا. ولكن الشيطان الرجيم أعمى قلوبهم عن هذا الأمر الطبيعي في الفطرة الإنسانية وصور لإخوة يوسف أن دافع الحب هو أمر آخر، ولذا عليهم التخلص من يوسف وأخيه ليخلص لهم حب أبيهم.

وفي هذا درس لنا، فقد يكون لنا أربعة أو خمسة أولاد، وقد يكون أحدهم محبوبًا أكثر من الآخرين، بسبب طاعته أو لكونه مهذبًا وملتزمًا أو لأي سبب آخر، فلا ينبغي أن

نعامله بطريقة مميزة أمام إخوته، لأنّ ذلك ربما يزرع الضغينة والحسد في قلوبهم، ولذا يجب المساواة الظاهرية بين الأبناء في المعاملة، لئلا ينفذ الشيطان اللعين من هذه الثغرة فيوسوس لهم ويزرع الضغينة في قلوبهم.

ولذلك طلب يعقوب من ولده يوسف ألاّ يقصص رؤياه على إخوته فيطلعوا على منزلته، ولكنهم أحسّوا بذلك فاجتمعوا وتسالموا بينهم على أنّ يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم منهم، وأكدوا ذلك بدليل دخول لام التأكيد على قولهم: «لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا»، من غير أن يعترض أحد منهم أو يحاول تبرير هذا الحب، مع اعترافهم بأنّ أباهم كان يحبهم أيضًا ولم يقصّر في إظهار هذا الحب لهم. يعقوب ويوسف كانا نبيين معصومين، وكانا ملتزمين وعلى مستوى عالٍ من التعبد والطاعة لله سبحانه تعالى، ولا يمكن أن يقاسا بأولئك الذين لم يكونوا ملتزمين.

«وَنَحْنُ عُصْبَةٌ»: أي نحن جماعة متكاتفة ومترابطة، فهم ما عدا بنيامين كانواعشرة، وهذا الكلام كان بمثابة المقدمة لما سيطرحونه من حل لاحقًا للتخلص من هذه المشكلة، ومعناه أننا سنتخذ قرارًا جماعيًا ونقوم بإنجازه معًا ونتجنب أي عمل فردي، لكي نتحمل جميعًا نتائج العمل الذي سنقوم به، كما أنّ كوننا عصابة سوف يسهّل علينا أي عمل نريد الإقدام عليه مهما كان ذلك العمل.

«إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ»: أي أنهم كانوا يعتقدون بأن أباهم يعقوب كان مخطئًا جدًا حينما فضّل يوسف وبنيامين عليهم، ومعنى ذلك أنهم لم يكونوا يعتقدون بعصمة أبيهم يعقوب في الأقل.

«اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا»: فالخيار الأول الذي طرحته هذه العصابة الضالة للتخلص من مشكلة عائلية هو قتل أخيهم يوسف، والخيار الثاني هو إلقاء يوسف في الأرض بعيدًا فلا يعرف كيف يرجع، أي إبعاده إلى منطقة نائية يتيه فيها ويأخذه الناس.

وطرح خيار القتل أولًا يعني إما أنه كان يمثل أغلبية آراء عصابة الإخوة العشرة، أو لأنه يمثل أفضل الحلول وأسهلها وأكثرها حسمًا وسرعة. وهذا يعني أنّ ذهنية العصابات الإجرامية تلجأ دائمًا إلى خيار القتل أولًا، فإن عجزت عن ذلك تلجأ إلى الوسائل الأخرى.

«يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ»: أي ستكون محبته خالصة لكم وحدكم. وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو كيف سيخلو لهم وجه أبيهم بعد قتل يوسف مع بقاء بنيامين على قيد الحياة؟ فقد زعموا أنّ المشكلة تكمن في حب أبيهم الزائد ليوسف وبنيامين معًا، ويفهم من

كلامهم هذا أنّ المشكلة الواقعية كانت في وجود يوسف دون بنيامين، وأنّ المشكلة لم تكن في حب أبيهم لهما، بل كانت تتعلق بمسألة أخرى وهي وراثة النبوة، فقد علموا أنّ يوسف هو من سيرث النبوة بعد أبيه، ولعل ذلك يتضح من قولهم بعد مضي عقود من الزمن حينما التقوا به: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٢٩٨)، كما يُفهم ذلك أيضًا من نهي يعقوب ليوسف عن حكاية الرؤيا لإخوته، وكما جاء ذلك صريحًا في الآية، ولعله تتمة كلام يعقوب لولده يوسف: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٩٩).

وهنا نقطة جديرة بالالتفات وهي أنّ إخوة يوسف كانوا يكتمون السبب الحقيقي وراء تآمرهم على قتل يوسف، وكانوا متواطئين حتى في حواراتهم الخاصة بينهم على بيان سبب آخر إمعانًا في تضليل بعض إخوانهم الذين لم يكونوا يعرفون الدافع الحقيقي للقتل، ومحاولة إقناعهم بسبب مشترك وهو حظوة يوسف وأخيه بمحبة أكبر، فلعل بعض الإخوة لم يكونوا يطمحون إلى منصب النبوة ولا يجدون في ذلك سببًا كافيًا لارتكاب جريمة قتل أخيهم.

«وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِين»: وهذا يعني أنّهم كانوا يدركون تمامًا أنهم قادمون على ارتكاب جريمة تخرجهم من دائرة الإيمان، ولكنهم وفي سعيهم لتضليل بعضهم للبعض الآخر أو لتضليل بعض إخوانهم السذج الذين لم يبينوا لهم السبب الواقعي للقتل، قالوا إن طريق التوبة والعودة إلى دائرة الصلاح سيكون متاحًا لهم، بل هم عازمون على أن يكونوا قومًا صالحين بعد قتل يوسف.

ومما تقدم تبيّن دور الحسد وأثره في إيجاد النزاعات والخصومات بين الإخوة النسبيين فضلًا عن الآخرين.

الخمر والقمار يوجبان البغضاء، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (٣٠٠).

«إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ»: الخمر هو

٢٩٨. سورة يوسف: الآية ٩١.
٢٩٩. سورة يوسف: الآية ٦.
٣٠٠. سورة المائدة: الآية ٩١.

كل شراب مسكر، والميسر هو القمار، والقمار هو كل لعبة فيها رهان ببذل مقدار من المال.

«وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ»: أي يمنعكم ويصرفكم عن ذكر الله تبارك وتعالى.

«فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ»: أي هل أنتم تاركون الخمر والميسر؟. فإذا كنتم لا تريدون العداوة والبغضاء ولا تريدون أن تتخلوا عن العبادة والصلاة فاتركوا الخمر والميسر.

الشيطان يوجد الخصومة والعداء بين الناس، كما أُشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [٣٠١]، فالإنسان إذا لم ينطق بالقول الأحسن فإنّ الشيطان اللعين سيجد ثغرة في كلامه فيوسوس للآخرين حولها ويثير الخصومة والاختلاف بينهم بسببها.

وأُشير إليه أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٣٠٢]، فالشيطان يوسوس ويزرع العداوة والخصومة بين الناس، ولا نجاة من وسوسة هذا اللعين إلا باللجوء إلى الله تبارك وتعالى والاستعاذة به من وسوسة الشيطان الرجيم.

وكذا كانت الإشارة إلى هذا السبب بشكل جلي في تتمة قصة يوسف عند لقائه أبويه وإخوته بعد عقود من الفراق حينما قال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٠٣].

«وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ»: العرش يعني المكان المرتفع الذي كان يجلس عليه يوسف داخل القصر.

«وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا»: أي عبّر الأب والأم والإخوة الأحد عشر عن إكبارهم وتعظيمهم واحترامهم ليوسف.

«وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي

٣٠١. سورة الإسراء: الآية ٥٣.
٣٠٢. سورة فصلت: الآية ٣٦.
٣٠٣. سورة يوسف: الآية ١٠٠.

مِنَ السِّجْنِ»: حين عظموه وأكبروه وسجدوا له تعظيما تذكر الرؤيا التي رآها في الطفولة، فذكرها لأبيه يعقوب وقال له إنّ الحالة التي هم عليها الآن هي تعبير لتلك الرؤيا. ثم ذكر نعمة الله (سبحانه وتعالى) عليه حينما أنقذه من السجن.

«وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ»: ثم ذكر نعمة الله (سبحانه وتعالى) على والديه وإخوته حينما جاء بهم إلى مصر.

«مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي»: هنا الشاهد؛ فالشيطان هو الذي ينزغ بين الناس، حتى بين الأخ وأخيه، ويسبب بينهم الخصومة والعداوة.

«إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»: أي أنّ الله تبارك وتعالى يمضي مشيئته بشكل دقيق جدًا وبأسوب هادىء ومن غير ضجيج ولفت انتباه، فهو العليم بكل شيء والحكيم الذي يضع الشيء في موضعه المناسب وفي وقته المناسب.

يعد الغرور من الأسباب التي تكرس الخصومة والعداء بين الناس، كما أُشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٣٠٤]. أي شديد الخصومة مع الآخرين في الدنيا، فيصرخ بالناس الذين هم أضعف منه ويسيء ويعتدي ويتجاوز.

لماذا تتكبر أيها الإنسان؟ لماذا لا تتذكر أنّ أصلك من نطفة وجيفة؟ أنسيت أنّ النطفة حولتك إلى إنسان، فلماذا ترفع أنفك حتى على خالقك وتتحول إلى خصم؟ فهل تتصور نفسك شيئًا كبيرًا؟ فلماذا هذا الغرور والتكبر؟ ولماذا تحولت إلى عدو كاسر؟.

ورد في حكمة لأمير المؤمنين: «ما لابن آدم والعجب وأوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة»[٣٠٥]، فأصله نطفة ويصبح بعد ساعات من موته جيفة كريهة الرائحة، فنسرع في تكفينه ودفنه، وهو بين أول حياته ونهايتها يحمل جيفة، فالأكل يتحول إلى قاذورات تدفع في بيت الخلاء. فيا من أوله جيفة وآخره جيفة وهو بينهما يحمل جيفة، لماذا كل هذا التكبر؟ فانظروا إلى الغرور ماذا يفعل بالإنسان، ويجب عليه أن يتذكر ذلك باستمرار لئلا يقع في الغرور والتكبر.

على الإنسان أن يعرف قيمته؛ «ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه»[٣٠٦]، ولا يعرف ذلك

٣٠٤. سورة يس: الآية ٧٧.
٣٠٥. غرر الحكم والمواعظ: ٤٧٩.
٣٠٦. مشكاة الأنوار: ٤٣٠.

إلا حينما يعرف أصله وأين كان وأين سيكون، فلماذا التكبر؟ وهذه مسألة مهمة جدًا في المنهج القرآني القائم على تذكير الإنسان بواقعه كي لا يصاب بحالة من الغرور والنرجسية العالية.

انتهينا من الحديث عن الحق السادس والعشرين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية الرابعة
بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم في هذا الشهر الفضيل.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أن هذه العلاقة علاقة ناتجة من الإيمان، من العقيدة، الرباط بين هذا الأخ وأخيه هو الإيمان والتدين والالتزام، وبما أن الإيمان حالة مقدسة فالعلاقة الإيمانية أيضا علاقة مقدسة، والأخوّة الإيمانية تكتسب قداستها من خلال هذا الرباط العقائدي الذي يربط بين الناس.

وكان الحديث عن حقوق هذه الأخوّة، ووصلنا إلى الحق السابع والعشرين

الحق السابع والعشرون / نصرة المؤمن ظالمًا ومظلومًا

وهو قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ينصره ظالمًا ومظلومًا»، أي يجب على المؤمن أن ينصر أخاه المؤمن سواء كان ظالمًا أو مظلومًا، يعني إذا كان الأخ المؤمن ظالمًا فعليه أن ينصره، وإذا كان الأخ المؤمن مظلومًا فعليه أن ينصره أيضًا، ولكن السؤال هو كيف ننصر الأخ المؤمن حينما يكون ظالمًا؟ وكيف ننصره حينما يكون مظلومًا؟. يوضح الإمام أمير المؤمنين (علىه السلام) هذا الأمر فيقول:

«فأما نصرته ظالمًا فيردّه عن ظلمه»، أي يرجعه عن الظلم الذي صدر منه، ويمنعه

من الظلم، وهذا سيجعله يعود إلى رشده وإلى جادة الصواب، لأنه ما دام ظالمًا فسيسقط في نظر المجتمع، وسيكون عرضة للعذاب الأُخروي في يوم القيامة، وحينما نمنعه من الظلم فحينئذ نكون قد انتصرنا له في تحسين سمعته في المجتمع، وضمنا له أيضًا النجاة من العذاب الأُخروي ومن النار.

«وأما نصرته مظلومًا فيعينه على أخذ حقه»: أي يساعده على أخذ حقه من الظالم، بأن يقف إلى جانبه ويدافع عنه بجميع الوسائل المشروعة إلى أن يسترد حقه المغتصب.

إذن في الأحوال كلها يجب علينا نصرة الأخ المؤمن، وهذه النصرة تختلف في تطبيقاتها؛ فنصرته حين يكون ظالمًا تختلف عن نصرته حين يكون مظلومًا، ففي بعض الحالات التي يمر بها الإنسان تجاه أخيه المؤمن حينما يكون ظالمًا ربما يكون فيها راضيًا نفسيًا عن الظلم الذي يمارسه ضد الآخرين بذرائع مختلفة، ويرتاح لذلك ويرى أنَ المقابل يستحق ما وقع عليه من الظلم، فيرضى بالظلم الصادر من أخيه المؤمن، وربما يدعمه ويساعده ويقول له: أنا معك عليهم، وافعل بهم كذا، وأحرق بيوتهم، فهناك رضا نفسي ودعم وإسناد عقلي وسلوكي، هذه حالة.

والحالة الثانية أن يكون راضيًا نفسيا بما يصدر من أخيه المؤمن من ظلم تجاه الآخرين ولا يمنعه، ولكنه فى نفس الوقت لا يدعمه ولا يساعده، وهذه حالة أخف قليلًا من الحالة الأولى، ولكنها مشمولة أيضًا.

والحالة الثالثة ألاّ يكون راضيًا عن الظلم الصادر من أخيه المؤمن ولا يقبل به، ولكنه في الوقت نفسه لا يمنعه منه خشية على علاقة الصداقة التي بينهما، ويقول لا علاقة لي بما يفعله وهو أعرف بتكليفه.

والحالة الرابعة ألاّ يكون راضيًا عن فعل الظلم من أخيه المؤمن، ولكنه في الوقت نفسه لا يكتفي بعدم منعه، وإنما يدعمه بدافع التعصب العشائري أو الحزبي أو السياسي أو الطائفي أو القومي، مع أنه يعلم أنَ ما يفعله حرام شرعًا وأنَ إعانته عليه حرام أيضًا.

والحالة الخامسة، وهي محل الشاهد، ألاّ يكون راضيًا عن الظلم الذي يصدر من أخيه المؤمن ولا يدعمه بل يمنعه منه، فهو نفسيًا لا يرضى بالظلم، ولا يدعم الظلم، ويقف في وجه الظالم ويقول له: ماذا تفعل؟ ألا تخشى من عاقبة الظلم؟ لماذا تعتدي وتظلم؟ فهو يفعل ذلك وإن كان أخوه المؤمن لا يرضى بذلك منه، ولكنه يرى أن يمشي أخوه في الطريق الصحيح وإنْ لم يرض عنه وتكون عاقبة أمره إلى الجنة

والسعادة في الآخرة ويكون محبوبًا بين الناس في الدنيا، أفضل من أن يمشي في الطريق الخطأ وهو راض عنه وتكون عاقبة أمره إلى النار في الآخرة والسمعة السيئة في الدنيا، إذ ما قيمة هذه الصداقة وهذه العلاقة إذا كانت آخرة الأخ المؤمن في خطر؟ فحق المؤمن على أخيه المؤمن أن يمنعه من الظلم ولا يرضى له به ولا يدعمه، بل يمنعه أيضًا كي لا يقع في الحرام.

تطرقت الروايات الشريفة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لموضوع إعانة الظالم، نذكر بعضًا منها:

الرواية الأُولى: في كتاب الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»[٣٠٧].

«العامل بالظلم»: الذي يظلم الناس.

«والمعين له»: الذي يساعد الظالم على ظلمه، بذريعة أنه من عشيرته أو من حزبه أو من طائفته أو من قوميته أو من مدينته وما إلى ذلك.

«والراضي به»: الراضي بالظلم بقلبه وإن لم يظهر ذلك على لسانه، فضلًا عن عدم إعانة الظالم بيده أو ماله، ولكنه حين سمع فرح، وهذا الرضا يجعل الراضي شريكًا مع ذلك الظالم في ظلمه.

«شركاء ثلاثتهم»: هؤلاء الثلاثة شركاء في جريمة الظلم ويتحملون جميعًا وزره في الآخرة، وهم الذي يظلم والذي يساعده على الظلم والذي يرضى به.

وفي المصدر نفسه عن عبد الله بن سنان قال: «قال أبو عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه) عليه: من عذر ظالمًا بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته»[٣٠٨].

«من عذر ظالما بظلمه»: أي برر لظالم ظلمه واعتداءه، فيقول مثلًا: لم يكن قصده كذا، ولم يشأ أن يضربه ولكن، ولم يكن يريد أن يحرق البيت بل كان يريد أن يهدد فاشتعل البيت، وهكذا يبرر العدوان والظلم، ويحاول أن يخفف من وطأة الظلم، وعندما يسمع مثلًا أن فلانًا من أعوان الطاغية محكوم عليه بالإعدام يقول: كان وزيرًا في الدولة والمأمور معذور فلا يلام، وذاك القائد العسكري معذور أيضًا في قتل الناس

٣٠٧. الكافي ٢: ٣٣٣، ح١٦.
٣٠٨. الكافي ٢: ٣٣٤، ح١٨.

لأنه مأمور وقد جاءته أوامر عسكرية لا يستطيع أن يعصيها. عجيب أمر هؤلاء وهم يتكلمون بمثل هذا الهراء، ويطالبون بإطلاق سراح شخص محكوم بالإعدام لأنه حينما قتل الناس كانت عنده أوامر عسكرية فأطاع الأمر العسكري، فيبررون للظالم ظلمه! .

«سلط الله عليه من يظلمه»: أي أن الله تعالى يسلط على من يبرر للظلمة ظلمهم شخصًا يظلمه كي يعرف وطأة الظلم وشدته.

«فإن دعا لم يستجب له»: يتوجه الإنسان حين يقع في ورطة وحين يُظلم إلى الدعاء، فيدعو الله عز وجل قائلًا: يا رب نجني مما أنا فيه، ولكن الله سبحانه لا يستجيب له دعاءه عقوبة له على تبريره لأفعال الظلمة وتخفيفه من حدَّة الظلم؟.

«ولم يأجره على ظلامته»: المظلوم مأجور لأنه مظلوم، أي يعطيه الله ثوابًا وأجرًا، ولكن من يبرر للظالم ظلمه يسلط عليه ظالمًا فيصبح مظلوما، ولكنه مظلوم لا يستحق أجرًا وثوابًا، ولا يستجاب دعاؤه لأنه يغطي للظالم، وتبرير الظلم ظلم، وتبرير الخطأ خطأ، وتبرير الاعتداء اعتداء، فيجب علينا ألاّ نبرر الظلم ولا نغيره ولا تخففه.

الرواية الثانية: في وسائل الشيعة عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في وصيته لأصحابه أنه قال: «وإياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم فيدعو عليكم فيستجاب له فيكم، فإن أبانا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة، وليعن بعضكم بعضًا، فإن أبانا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان يقول: إن معونة المسلم خير وأعظم أجرًا من صيام شهر واعتكاف في المسجد الحرام»[٣٠٩].

«وإياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم»: يحذر الإمام الصادق (عليه السلام) من الإعانة والمساعدة على ظلم المسلم، وإن كان من يعينه قريبه أو صديقه أو أخاه المؤمن.

«فيدعو عليكم»: أي خوفًا من أن يرفع المظلوم يده ويدعو على ظالمه، فيقول مثلاَ: إلهي كل من ظلمني فاكسر رقبته، أو يقول: كل من ظلمني فخذ بحقي منه، لكن الله (عزّ وجلّ) لا يخصص الدعاء على الظالم بمن يظلم مباشرة، وإنما يعممه حتى على من ساهم وساعد ورضي بالظلم.

«فيستجاب له فيكم»: أي أن الله (سبحانه وتعالى) يستجيب دعاء هذا المظلوم فينزل غضبه على الظالم وعلى من ساعد الظالم وعلى من رضي بفعل الظالم، وعلى الساكت عن فعل الظالم، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ

٣٠٩. . وسائل الشيعة ١٦: ٥٦، ح٣.

خَاصَّةً﴾ [٣١٠]، فلا ينحصر نزول العقاب بالظلمة فقط، بل تشمل العقوبة حتى غير الظالم، فإنه سوف يُسأل يوم القيامة ويحاسب أيضًا بسبب سكوته عن الظلم، أو بسبب رضاه وعدم اكتراثه واهتمامه بالظلم؛ لأن الله تعالى أمرهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمة يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٣١١]، فمن لم يكن بهذه الصفة في المجتمع ولم يكن صاحب موقف في إيقاف النزيف والظلم والاعتداء والتجاوز، ومن قال: ما لي والدخول بين السلاطين، ومن قال: هذا الأمر لا يعنيني، ومن قال: عمل غيري لا علاقة لي به فأنا مواطن بسيط، فسيشمله دعاء المظلوم.

«فإن أبانا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة»: أي أن الله عز وجل يستجيب دعاء المظلوم بحق ظالمه. وكم هو لطيف هذا التعبير، فهو لا يقول إن رسولنا، بل يقول: إن أبانا رسول الله، فهو (صلى الله عليه وآله) أب حقيقة لأهل البيت (عليهم السلام)، كما أنه أب للمسلمين جميعا كما ورد في الحديث الشريف: «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»[٣١٢]، على غرار ما ورد في القرآن الكريم في تسمية إبراهيم (عليه السلام) أبًا للمسلمين: «ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل»[٣١٣].

«وليعن بعضكم بعضًا»: أي فلتكن بينكم المساعدة والعون بعضكم لبعض.

«فإن أبانا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول: إن معونة المسلم خير وأعظم أجرًا من صيام شهر»: أي أن ثواب نصرة المسلم واعانته ومساعدته وحل مشكلته والوقوف معه أفضل من ثواب صيام شهر كامل، والمقصود هنا هو الصوم المستحب لا الصوم الواجب في شهر رمضان.

«واعتكاف في المسجد الحرام»: أي أن مساعدة المظلوم أفضل أيضًا من ثواب الاعتكاف في المسجد الحرام، مع ما للمسجد الحرام من أفضلية على سائر المساجد.

الرواية الثالثة: عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (سلام الله عليه) عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب - وهذه الرواية

٣١٠. سورة الأنفال: الآية ٢٥.
٣١١. سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
٣١٢. بحار الأنوار ٢٣: ١٢٨، ح٥٩.
٣١٣. سورة الحج: الآية ٧٨.

من روايات السلسلة الذهبية التي يرويها الإمام الصادق عن أبيه الإمام الباقر، عن أبيه الإمام زين العابدين، عن أبيه الإمام الحسين، عن أبيه أمير المؤمنين، عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ـ أنه قال: «يا علي شر الناس من باع آخرته بدنياه، وشر منه من باع آخرته بدنيا غيره»[٣١٤].

يبين لنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك صنفين من أصناف شرار الخلق، وهما:

الأول: من باع آخرته بدنياه، لأنه عمل عكس ما هو مطلوب منه؛ وهو أن يبيع دنياه من أجل آخرته، كما جاء ذلك في قوله تعالى عن اليهود: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٣١٥]. وفلسفة هؤلاء في الحياة هي أنهم يقولون: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة، فلعله ليس هناك آخرة وجنة ونار، وهذا مجرد كلام، وما دامت الدنيا بأيدينا فلنستمتع بها، وليحصل بنا بعد الموت ما يحصل. رأيت عجوزًا قبل عدة أيام هزني قولها هزًا، تقول: لا نريد الجنة ونريد أن ندخل النار فما علاقتكم بنا! نريد أن نستمتع بالدنيا فلماذا سعر قنينة الخمر بكذا؟ لماذا لا نستطيع أن نحصل على الموبقة الفلانية بسهولة؟ ما هذه الحكومة؟ عليكم أن تقدموا التسهيلات للبر والفاجر ولا علاقة لكم بمن يريد أن يدخل الجنة أو النار، ألا تريد النار وقودًا فنحن وقودها. يا الله! ما هذه الجرأة على الله! فهذا بحد ذاته معصية، نستجير بالله من ذلك.

ومصداق آخر هو من يؤمن بالآخرة ولكنه لا يبالي بالنتائج ويقيم على المعاصي وهو يعلم أن عاقبتها النار ويقول: فلنستمتع والله كريم. فهؤلاء عدهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الأشرار.

الثاني: وهو شر من الأول، وهو من باع آخرته بدنيا غيره. وهنا الطامة الكبرى، فالأول يبيع آخرته بدنياه لكي يستمتع هو، وأما الصنف الثاني فهو يبيع آخرته كي يستمتع غيره، فهو لا دنيا له ولا آخرة، فتراه من أجل أن يستمتع الظالم بدنياه يعينه على ظلمه، وما أكثر هؤلاء الذين يدفعهم الجهل والعصبية إلى خسارة دنياهم وآخرتهم بلا مقابل.

الرواية الرابعة: عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق يقول: «من

٣١٤. وسائل الشيعة ١٦: ٣٤، ح١١.
٣١٥. سورة البقرة: الآية ٨٦.

أعان ظالمًا على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطًا حتى ينزع عن معونته»[٣١٦]، أي أن الله عز وجل يستمر في غضبه على من يعين ظالمًا ما دام معينًا له على ظلمه بأي أنواع الإعانة ولو بالسكوت عنه، ولا يزول هذا الغضب إلى أن يرفع يده عن عون الظلمة، حتى لو كان هذا الظالم أخًا فإنه تحرم مساعدته في ظلمه، بل يجب منعه وتنبيهه على حقيقة العمل الذي يقوم به من الظلم والتجاوز على الآخرين.

الرواية الخامسة: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به، وإثم الرضا به»[٣١٧]، فمن رضي بفعل جماعة كان شريكًا معهم، سواء كان ذلك العمل صالحًا أو طالحًا، فإن كان حقًا حصل على الثواب، وإن كان باطلًا حصل على إثمين: إثم العامل بالظلم، وإثم الراضي به، فنفس الرضا بالظلم معصية يستحق عليها العقوبة الإلهية.

الرواية السادسة: عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: «كن للمظلوم عونًا، وللظالم خصمًا»[٣١٨]، يأمر أمير المؤمنين (عليه السلام (الإنسان في هذه الحكمة المباركة بأن يساعد المظلوم في رفع الظلم عنه، وأن يخاصم الظالم ليمنعه من الظلم، لأن الناس إن لم يفعلوا هذين الأمرين معًا وقع الضعفاء فريسة للأقوياء، وعندها تتسع دائرة الظلم لتشمل الناس جميعًا.

نتوقف عند هذه الرواية ونكمل في الجلسة المقبلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣١٦. وسائل الشيعة ١٦: ٥٧، ح٥.
٣١٧. نهج البلاغة ٤: ٤٠، الحكمة١٥٤.
٣١٨. عيون الحكم والمواعظ: ٣٩٣.

المحاضرة الأخلاقية الخامسة

بتأريخ٢٠١٥/٦/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

ما زلنا في حقوق الأخوّة الإيمانية، حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، ووصلنا إلى الحق السابع والعشرين، وهو (نصرة المؤمن ظالمًا ومظلومًا)، وتناولنا الروايات التي تتحدث عن إعانة الظالم، وذكرنا ستا منها، ونذكر اليوم عددا آخر منها.

الرواية السابعة: عنه أيضًا قال: «أحسن العدل نصرة المظلوم»[٣١٩]، أي أن أفضل حالات العدل هي نصرة المظلوم والوقوف معه وإعانته ومساعدته لتخليصه من الظلم، بغض النظر عن هوية هذا المظلوم، سواء كان من أهله أو عشيرته أو حزبه أو أبناء وطنه أو قوميته أو مذهبه أو دينه أو لم يكن.

إذن منع الأخ المؤمن من ظلم الآخرين هو بحد ذاته نصرة له؛ لأننا حينما نمنعه من الوقوع في ذلك نكون قد أنقذناه من العقوبة الإلهية في الدنيا والآخرة جزاء له على ظلمه.

وقد ورد في القرآن الكريم الحث على التعاون لإقامة العدل والنهي عن التعاون على الظلم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣٢٠].

٣١٩. عيون الحكم والمواعظ: ١١٣.

٣٢٠. سورة المائدة: الآية ٢.

تطلب الآية الكريمة من المؤمنين التعاون على أمرين إيجابيين، وهما التعاون على فعل الخير والتعاون على التقوى، وتطلب منهم التعاون أيضًا على ترك أمرين سلبيين، وهما التعاون على ترك المعاصي وترك الشر.

«وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى»: البر أمر وجودي وهو فعل الخير، والتقوى هي ترك واجتناب الإثم والمعاصي وما هو منهي عنه.

«وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»: الإثم هو المعصية، أي النهي عن مساعدة الآخر حتى لو كان أخًا مؤمنًا عَلَى ارتكاب معصية، فلو استغاب أمامك مؤمنًا فلا تبتسم له ولا تسكت عنه، بل يجب رده فورًا بأن تقول له: ما هذا الكلام؟ كيف تستغيب الناس؟ وإذا فعل ذلك أمام الآخرين فاكتب له ورقة أو اهمس في أُذنه أو اخرج من مجلس فيه معصية، فلعلهم حين يرونك رافضا لذلك لا يفعلونه مرة أُخرى، فأي موقف فيه إثم وعدوان وإساءة وتجاوز يجب الابتعاد عنه وإظهار عدم الرضا به، ولذلك نجد أن بعض العقود في الفقه الإسلامي عقود تجارية محرمة، كبيع العنب ليصنع خمرًا، فالعين فاكهة محللة يجوز أن تباع وتشترى للأغراض المحللة كالأكل، ولكن لا يجوز أن يباع لمصانع الخمور، وربما يقول بائع العنب: ما علاقتي بصناعة الخمر فأنا بعته عنبًا وأخذت ثمنه؟ والجواب: أن في بيع العنب ليصنع خمرًا إعانة على الإثم ولو بهذا المقدار. وكذلك يحرم بيع السلاح لأعداء الدين ولمن يستخدمه في الفتك بالناس والإساءة إليهم، ولا يجوز أيضًا إجارة مكان لتمارس فيه المعصية والفاحشة والرذيلة مع علمه بأنه سيتحول إلى مكان لذلك، ولا يقُل أحد: أنا أجّرت داري لشخص فما علاقتي بما يفعل فيها؟ لأن هذا المقدار في الإعانة على الإثم كاف في الحرمة. وهذه الحرمة ليست مطلقة بل فيها شروط، ولكن المبنى العام هو حرمة الإعانة على الإثم، فإذا تحققت الشروط فلا يجوز البيع أو الإيجار في هذه الأمثلة المتقدمة؛ لأن هذا أيضًا داخل في التعاون على الإثم والعدوان.

لقد ذكر صاحب كتاب الوسائل في الجزء السابع عشر في الباب الثاني والأربعين مجموعة من الروايات الواردة في إعانة الظلمة، وبالطبع يكون الأخ المؤمن مصداقًا للظالم أيضًا إذا ارتكب الظلم ومشمولًا بهذه الروايات.

الرواية الأولى: عن الإمام أبي عبد الله الصادق قال: «اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع، وقوّوه بالتقية، والاستغناء بالله عز وجل، إنه من خضع لصاحب سلطان ولمن يخالفه على دينه طلبًا لما في يديه من دنيا أخمله الله عز وجل ومقته عليه ووكله إليه، فإن

هو غلب على شيء من دنياه فصار له منه شيء نزع الله جل اسمه البركة منه، ولم يأجره على شيء منه ينفقه في حج ولا عتق ولا بر ولا عمل صالح»[٣٢١].

«اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع»: ما أروع أن يصون المؤمن دينه بالورع، وهو ليس فقط ألاّ يفعل الحرام، بل يتجنب أيضًا ما فيه شبهة، ولا يلتزم بالواجبات فقط، بل يمتثل أيضًا لما يحتمل أن الله تبارك وتعالى يريده.

«وقوّوه بالتقية»: أي لا تكشف أسرارك ولا تفضح نفسك ولا تطلع الآخرين على واقعك بالكامل، بل اطلعهم على ما يجب الاطلاع عليه، فإذا كنت عرضة للضرر فلماذا تخاطر بنفسك في قضية ليس فيها ضرورة؟.

«والاستغناء بالله عز وجل»: اطلب الغنى والثروة والقوة من الله (سبحانه وتعالى)، ولا تذل نفسك لهذا وذاك، ولا تُرق ماء وجهك لمخلوق مثلك ومحتاج إلى الله تعالى.

«إنه من خضع لصاحب سلطان»: من ذلّ واستكان لمن بيده سلطة وتزلف لمدير عام ظالم مثلًا أو كان من أعوان الظلمة.

«ولمن يخالفه على دينه»: أو ذل واستكان لمن يختلف معه في الدين أو في العقيدة أو في السلوك أو في المنهج ومن كان له معه خلاف عميق.

«طلبًا لما في يديه من دنيا»: لكي يحصل منه على مال، أو لأجل أن يُعيَّن بدرجة وظيفية خاصة، كي يوفر له فرصة للحصول على لقمة عيش عن طريق حرام.

«أخمله الله عز وجل»: أي أن من يفعل ذلك يصيبه الله (سبحانه وتعالى) بالخمول ويضيّع أخباره ويضعفه.

«ومقته عليه»: أي أبغضه وكان مشمولًا بالمقت الإلهي.

«ووكله إليه»: أي يتركه الله (سبحانه وتعالى)، ويقول له: ألم تذهب إلى فلان الظالم وتُرق ماء وجهك عنده فاذهب وخذ حاجتك منه، لماذا لم تأت إلى الله الرزاق ذي القوة المتين الذي هو على كل شيء قدير، والذي بيده مقاليد كل شيء، وتطلب منه حاجتك؟.

«فإن هو غلب على شيء من دنياه فصار له منه شيء»: أي إذا ذهب مع الظالم وحصل منه على المال وصار يملك المليارات.

---

٣٢١. الكافي ٥: ١٠٥، ح٣.

«نزع الله جل اسمه البركة منه»: أي عنده المليارات ومع ذلك ترى آثار البؤس والحرمان عليه، لأن الله سبحانه سيبتليه بأنواع البلايا التى سينفق ما حصل عليه من أموال في سبيل دفعها، كما لو خرج ابنه إلى الشارع فصدمته سيارة فأنفق الملايين لعلاجه، ثم مرضت زوجته فأنفق أموالًا طائلة لعلاجها، وقبل أن تشفى زوجته أُصيب بالسرطان، وحينئذ لن تنفعه المليارات التى استحوذ عليها من ذلك الظالم وتسلب منها البركة ولا يهنأ بها، كما قالها الإمام الحسين (عليه السلام) لعمر بن سعد في كربلاء في ليلة عاشوراء: «أي عمر أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعيّ بلاد الري وجرجان؟ والله لا تهنأ بذلك، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك يتراماه الصبيان في أزقة الكوفة»[٣٢٢] يجعلونه كرة يلعبون به ويتقاذفونه بأقدامهم، واليوم هو يوم القرار الصحيح وعليك أن تقف مع الحق، ففي ذلك عزة الدنيا والآخرة، وإن لم ترد الوقوف مع الحق فاجلس في بيتك واستقل لكى لا تظلم ولا تتورط بدمي ودماء أهل بيتي وأصحابي، لأن الظلم لا يهنأ به أحد.

هل رأى أحد منكم ضمن دائرة معلوماته ظالمًا هنِئ بالأموال التي استحوذ عليها من الشعب؟ نعم قد توهم الصورة من بعيد بذلك، فهو صاحب قصر كبير ولطيف ولكن هذا القصر ليس فيه راحة ولا سعادة ولا ألفة ولا ذكر الله، بل كله همّ وغمّ ومؤامرات ودسائس ومكر وظلم، فلا تتصوروا أن أحدًا إذا حصل على شيء من المال الحرام سيرتاح ويسعد.

«ولم يأجره على شيء منه ينفقه في حج ولا عتق ولا بر ولا عمل صالح»: أي لو أنفق هذه الأموال في سبل الخير لم يقبل منه؛ لأن الله تعالى لا يطاع من حيث يعصى، إذ كيف يتقرب إلى الله تعالى بالمال الحرام وهي لا يطهرها خمس ولا زكاة ولا صدقة، بل لو أنفقها كلها فلن تقبل منه؛ لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المحسنين، ولأنه سبحانه هو الغني ونحن الفقراء فلا يحتاج إلى أموالنا، وفلسفة فرض إعطاء المال هي لكي نتكامل، كما جاء ذلك صريحًا في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٣٢٣]، وإذا أنت لم تعط الفقير فإن الله تعالى يعوضه بغيرك فيعطيه، فالأمر غير متوقف عليك بل الله يرزقه، كل ما في الأمر أن الله تعالى يجعلنا أداة ووسيلة وواسطة لرزقهم، فمن أعطى الفقير فهنيئًا له لأن الله تعالى وفقه لجزيل الثواب، ومن لم يفعل فإن الله تعالى يهيىء له من يعطيه. ولذلك لا يمكن أن يحصل الإنسان على الأجر من خلال الفعل الحرام والمال الحرام.

٣٢٢. بحار الأنوار ٤٥: ١٠.
٣٢٣. سورة التوبة: الآية ١٠٣.

الرواية الثانية: عن أبي بصير قال: «سألت الإمام أبا جعفر الباقر عن أعمال الظلمة هل يجوز أن أعمل معهم؟ فقال لي: يا أبا محمد لا ولا مدة قلم، إن أحدكم لا يصيب من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من دينه مثله، ألا ومن علق سوطًا بين يدي السلطان جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعبانًا من النار طوله سبعون ذراعًا يسلطه الله عليه في نار جهنم وبئس المصير»[٣٢٤].

تتحدث هذه الرواية المباركة عن حرمة العمل مع الظلمة وإعانتهم بأي عمل ولو كان بسيطًا كالكتابة لهم التي لا علاقة مباشرة لها بقراراتهم الظالمة؛ لأن هؤلاء الظلمة لا يعطون أحدًا من دنياهم شيئًا بلا مقابل، بل يعطونه بقدر ما يؤثر في سلب آخرته، وبقدر ما تتقرب منهم، وبقدر ما تخلص لهم، والإخلاص للظالم هو إخلاص لظلمه، وهو يعطيك بنفس المقدار بدله، فإن كنت ما زلت مشكوكًا في ولائك فستبقى تصفق وتهتف إلى أن تكسب ثقته وعندها يقرّبك ويعيّنك.

الرواية الثالثة: عن الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ألا ومن علق سوطًا بين يدي السلطان جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعبانًا من النار طوله سبعون ذراعًا يسلطه الله عليه في نار جهنم وبئس المصير»[٣٢٥].

يبين هذا الحديث النبوي المبارك أن إعانة الظالم على ظلمه ولو بمقدار تعليق السوط بين يديه يدخله النار، ويجعل الله تعالى ذلك السوط يوم القيامة ثعبانًا من النار، وليس ثعبانًا من اللحم، وطول هذا الثعبان سبعون ذراعًا، والسبعون في اللغة العربية كناية عن الكثرة، وإلا فقد يبلغ طول هذا الثعبان أضعاف السبعين، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[٣٢٦]، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن جبرئيل جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو قاطب. . إلى أن قال: ولو أنَ حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعًا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها»[٣٢٧].

الرواية الرابعة: عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين

٣٢٤. الكافي ٥: ١٠٧، ح١٠.
٣٢٥. وسائل الشيعة ١٧: ١٨٠، ح١٠.
٣٢٦. سورة الحاقة: الآية ٣٢.
٣٢٧. بحار الأنوار ٨: ٢٨٠، ح١.

أعوان الظلمة، ومن لاق لهم دواة، أو ربط كيسًا، أو مد لهم مدة قلم؟ فاحشروهم معهم»[٣٢٨].

يتحدث رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك عن مشهد من مشاهد يوم القيامة يختص بأعوان الظلمة وشدة العذاب الذي سيلاقونه، وهو يبين بعض مصاديق هؤلاء الأعوان من الذين يزاولون أعمالًا للظلمة يتصورون أنها لا تدخلهم في زمرة الأعوان.

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أعوان الظلمة ؟»: والمراد من أعوان الظلمة هم من يعين الظالم على ظلمه، وهم أدوات الظالم الذين لولاهم لما استطاع الظالم أن يظلم أحدًا.

«ومن لاقٍ لهم دواة»: لاقٍ الدواة أي وضع فيها الصوفة أو القطنة التي يلتصق الحبر بها، فالدواة التي فيها الحبر في العصور السالفة إذا لم تكن فيها هذه الصوفة سوق تُنقع القصبة التي يكتبون بها، وحين يحملها الكاتب تقطر حبرًا، فيضعون الصوفة لتتبلل القصبة بحبر قليل ويبقى الحبر في الدواة، أي أن من مصاديق أعوان الظلمة من ساعد الظالم ولو بأن وضع القصبة في الدواة وناولها للظالم.

«أو ربط كيسًا»: المقصود به الشخص الذي يربط كيس أموالهم، لأن الأموال كانت تحفظ في ذلك الوقت بأكياس ثم تربط لئلا تتناثر.

«أو مد لهم مدة قلم»: أي من كتب لهم حرفًا أو كلمة واحدة.

«فاحشروهم معهم»: أي أن مصيرهم سيكون نفس مصير الظلمة، وأنهم يتحملون من العذاب ما يتحمله الظلمة، نستجير بالله.

الرواية الخامسة: عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه قال: «ما اقترب عبد من سلطان جائر إلا تباعد من الله، ولا كثر ماله إلاّ اشتد حسابه، وما كثر تبعه إلا كثرت شياطينه»[٣٢٩].

يبين رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف ثلاثة أمور يحسبها الإنسان أمورًا جيدة وهي في الواقع أمور سيئة، وهي:

٣٢٨. وسائل الشيعة ١٧: ١٨١، ح١١.
٣٢٩. وسائل الشيعة ١٧: ١٨١، ح١٢.

الأمر الأول: الاقتراب من السلطان الجائر، فكثير من الناس بل أغلبهم يعتبر الاقتراب من سلاطين الجور أمرا مستحسنا، فبواسطتهم يستطيع تمرير الكثير من شؤون حياته، غافلًا عن أن هذا الاقتراب يبعده عن الله عز وجل، ومن ابتعد عن الله فأمره في تسافل حتى يرد الجحيم.

الأمر الثاني: كثرة المال، فالإنسان يسعى وراء تكثير أمواله وتنمية ثرواته ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، بل إن بعضهم يحرص على جمع المال ولو بالطرق غير المشروعة، متناسيًا أن جمع المال يستتبع حسابًا عسيرًا يوم القيامة لا ينجو منه إلا القليل.

الأمر الثالث: كثرة الأتباع، فالإنسان يسعى وراء الجاه والزعامة ويبذل في سبيل ذلك الأموال الطائلة، بل يرتكب الحرام في تصديه للآخرين من أمثاله المنافسين له في طلب الرئاسة، مع أن الرئاسة وكثرة الأتباع تستتبعان كثرة الشياطين من الإنس والجن الذين يحيطون به ويزينون له كل قبيح ومحرم.

الرواية السادسة: عن صفوان الجمال قال: «دخلت على أبي الحسن الأول ـ أي الإمام موسى بن جعفر الكاظم (صلوات الله وسلامه عليه) ـ فقال لي: يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئًا واحدًا. قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل. قلت: والله ما أكريته أشرًا ولا بطرًا ولا للصيد ولا للهو ولكني أكريته لهذا الطريق، ولا أتولاه بنفسي. فقال لي يا صفوان: أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم. فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم ورد النار. فبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون، فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك. قلت: نعم. قال: ولم؟ قلت: أنا شيخ كبير، وإن الغلمان لا يفون بالأعمال، – ما حك جلدك مثل ظفرك – فقال: هيهات هيهات، إني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر. قلت: ما لي ولموسى بن جعفر؟ فقال: دع هذا عنك، فو الله لولا حسن صحبتك لقتلتك»[٣٣٠].

ينبه الإمام الكاظم (عليه السلام) في هذه الرواية الشريفة أحد أصحابه المخلصين وهو صفوان الجمال إلى أمر كان في غفلة عنه، وهو مسألة إعانة الظالمين، فقد كان صفوان يملك جمالا كثيرة وكان يؤجرها لهارون العباسي في كل عام ليذهب بها إلى الحج، جاهلًا أن هذا العمل فيه إعانة للظالمين، وعندما بين له الإمام الكاظم (عليه السلام) هذا الأمر بأدب رفيع يعجز عن مضاهاته غير المعصوم عندما قال له: «يا صفوان

٣٣٠. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٦، ح٣٤.

كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئًا واحدًا»، وهنا يتفاجأ صفوان من هذا الكلام وهو الذي ضبط إيقاعاته جميعًا على ضوء الشريعة، فيسأل الإمام الكاظم (عليه السلام) عن هذا الأمر القبيح الذي صدر منه بغير علم منه، فيخبره (عليه السلام) أن إكراء الجمال لهارون فيه إثم عظيم لأن فيه إعانة للظالم، وهذا لم يخطر ببال صفوان؛ لأنه لم يؤجر جماله للشر ولا للبطر ولا للهو ولا للصيد، بل أكراها له لحج بيت الله الحرام، وهو من الواجبات المفروضة على كل مسلم مستطيع، كما أنه لا يتولى هذا بنفسه، بل يقوم به غلمانه، فأين هو المحرم في عمله؟ وهذا أمر لا يتنافى مع وجوب التسليم للمعصوم، لأن صفوان من أولئك المؤمنين الذين يلتزمون بما يقوله المعصوم وإن لم يدركوا وجه العلة أو الحكمة فيه، فقد تساءلت الملائكة عن علة خلق الإنسان عندما قال الله تبارك وتعالى لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣٣١]، فلم يستنكر الله (سبحانه وتعالى) عليهم قولهم هذا، بل أجابهم عن هذه الشبهة التي علقت في أذهانهم عندما تصوروا أن الخلافة ستكون لمطلق الإنسان، وبعد خلق آدم (عليه السلام) وتعليمه أسماء الأنوار التي كانت تحيط بالعرش والتي كانت تعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتكبير، وكانت الملائكة تجهل أسماء هذه الأنوار، طلب تعالى منهم ذكر هذه الأسماء، وهي ليست أسماء الأشياء كما ظنها الكثيرون خطأ؛ لأنهم كانوا يعرفون أسماء الأشياء، فقد ذكروا الأرض والدم، بل يعرفون المعاني الكلية كالخلافة والإفساد وسفك الدماء، كما أن قوله تعالى «أسماء هؤلاء» دليل على أن المراد ليس أسماء الأشياء، لأن «هؤلاء» في اللغة العربية تستعمل للمذكر العاقل، ثم طلب من آدم أن يذكرها لهم فذكرها كما علمه، وحينها أدرك الملائكة أن الخلافة ليست لمطلق الإنسان، بل هي للإنسان الذي يحمل العلم الإلهي. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٣٣٢].

وهنا يبين الإمام الكاظم (عليه السلام) وجه الحرمة في إعانة الظالمين ولو على الأعمال الواجبة كمناسك الحج، ويتدرج معه في الوصول إلى المقصود عن طريق

٣٣١. سورة البقرة: الآية ٣٠.
٣٣٢. سورة البقرة: الآية ٣١ – ٣٣.

السؤال والجواب، إلى أن يصل إلى النتيجة وهي أن من أحب بقاء الظالمين حشر معهم كائنًا من كان. فكم هذه القضية صعبة ودقيقة، نسأل الله أن يجيرنا من ذلك.

انتهينا من الحديث عن الحق السابع والعشرين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية السادسة
بتأريخ٢٠١٥/٦/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين. تقبّل الله أعمالكم، وجعلكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل.

انتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن الحق السابع والعشرين من حقوق الأخوّة الإيمانية، ونتناول اليوم الحق الثامن والعشرين، وهو (عدم تسليم الأخ المؤمن لعدوه)

الحق الثامن والعشرون / عدم تسليم الأخ المؤمن لعدوه

يتجسد هذا الحق في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يسلمه»، أي أنّ من حق المؤمن على أخيه المؤمن ألاّ يسلمه إلى أعدائه أو إلى خصمائه، لأنّ في ذلك خذلانًا له، فالمتداول في عالمنا اليوم إذا كان هناك شخص مطلوب من أحد ويقول: من يدلني عليه أعطيه كذا وكذا من المال، فإنّ هناك من يستجيب ويدله عليه، ومثال آخر لهذا الحق هو ما ينتزعه الحاكم الظالم بالتعذيب من اعترافات على أشخاص أعانوهم أو شاركوهم في عمل ضد الحكومة الظالمة، وهذا التسليم إن كان خوفًا من التهديد أو طمعًا في هدية أو جائزة أو مكرمة من السلطان أو من ذلك الغريم فهو من المحرمات، ومن حق المؤمن على أخيه المؤمن ألاّ يسلمه ولا يبيعه ولا يخونه ولا يعرّض حياته إلى الخطر، ولا سيَّما إذا كان قد لاذ به وطلب منه الأمان، كما لو جاءه ودق بابه وقال له إنني

مطارد الآن وجئت لائذًا بك، فإذا أعطاه الأمان يجب عليه أن يحميه بنفسه ولا يجوز له أن يذهب ويشي به إلى الحاكم.

وفي هذا الحق معنى ظاهري ومعنى باطني، فالمعنى الظاهري لعدم جواز تسليم الأخ المؤمن إلى العدو هو منع وصول العدو إليه، والمعنى الباطني أو المعنوي هو عدم جواز تسليم الأخ المؤمن إلى العدو الحقيقي وهو الشيطان الرجيم؛ لأنه العدو الحقيقي للإنسان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [٣٣٣]، فإذا رأيت أخاك قد أخذه الهوى وأخذته الدنيا وذهب باتجاه الانحراف فلا تسلمه للشيطان اللعين، وامنع وصوله وتعرضه إلى وساوس هذا الخبيث، وأعده إلى طريق الصواب وطريق الهداية.

علينا بمراجعة القرآن الكريم لنعلم كيف ينظر إلى مفهوم الخيانة، وفي الحقيقة هناك الكثير من الآيات القرآنية الشريفة التي وردت في هذا الأمر نذكر بعضًا منها:

منها: ما ورد في حرمة الخيانة، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٣٣٤]، يقال إنّ شأن نزول هذه الآية الشريفة هو أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما حاصر بني قريظة في المدينة، بعد أن آذوه كثيرًا، وآذوا المسلمين، وقد تعامل معهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ برفق وإحسان، فأعطاهم الفرص، واستعمل معهم المداراة، ولكن كان أثر هذه المداراة عكسيا دائمًا، فكلما تعامل معهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمون برفق ولين، كانت ردود الأفعال أشد وأعظم، وكان ردهم المزيد من المكائد والخديعة والمؤامرات.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد حاصر بني النضير، فصالحوه على الرحيل من المدينة إلى الشام دون قتال، وانتهت مشكلتهم بهذه الطريقة، وكرر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نفس الأسلوب مع بني قريظة، وأمر بحصارهم، فحاصرهم المسلمون ثلاثة أسابيع، فتضعضعوا وانهاروا وأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقالوا: صالحنا على ما صالحت عليه بني النضير، فنترك أطراف المدينة ونرحل إلى الشام، فلم يقبل منهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذلك، كما يبدو من أجواء الروايات والنصوص التاريخية، ولم يجد عندهم الجدية في هذا الأمر، وقال لهم: إنّ لبني النضير حكمًا، ولكم حكم آخر. وهنا نستفيد درسًا مهمًا، وهو أنّ لكل حالة ظروفها الخاصة بها، وينبغي التعامل معها بطريقة مختلفة.

---

٣٣٣. سورة فاطر: الآية ٦.

٣٣٤. سورة الأنفال: الآية ٢٧.

فاختاروا أن يكون سعد بن معاذ ـ وهو صحابي جليل ـ هو الحكم فيهم وأن يقبلوا بكل ما يقرره فيهم، وكان سيد قومه في الجاهلية والإسلام، فقبل منهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ذلك، وهنا درس آخر نستفيده من هذه الواقعة، فمع أنه سيد الأنبياء والمرسلين، والحاكم، والنبي، والولي، ويتبعه المسلمون كلهم، لم يترك كل الأمور بيده، وترك الأمر لسعد بن معاذ، ليحكم فيهم بما شاء. وكان لبني قريظة علاقة صداقة مع أحد المسلمين يدعى أبا لبابة، فقالوا لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ابعث لنا أبا لبابة نريد أن نتشاور معه، فوافق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وذهب أبو لبابة لبني قريظة، فاجتمع به كبارهم، وقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى حكم سعد بن معاذ فينا؟ فقال لهم: إنّ حكم سعد بن معاذ فيكم سيكون الذبح، وفي هذه الأثناء نزل جبرائيل على قلب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأخبره بخيانة أبي لبابة، فخرج أبو لبابة من عندهم، وفي طريقه راجع شريط الأحداث، فقال في نفسه: يا أبا لبابة ماذا فعلت؟ كيف تشي بأسرار المسلمين؟ هذه خيانة، فتأذى كثيرًا، وهذا درس آخر؛ فليس كل من يرتكب خطأ هو خائن، فأحيانًا يضعف الإنسان.

وقرر أبو لبابة في الطريق، وهو لا يعلم أنّ جبرائيل نزل على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، أن لا يرجع إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ولا لبيته، وأخذ حبلًا وذهب إلى مسجد النبي، وهو بيت من بيوت الله، وربط الحبل برقبته، وربط الطرف الآخر باسطوانة المسجد، وقال: لا أخرج إلا أن أموت أو يغفر الله لي، وفي الليل لا يأكل إلا ما يسد رمقه، ومرّت سبعة أيام وهو يبكي ويناجي ربه، وفي اليوم السابع نزل جبرائيل على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يحمل البشارة بأنّ الله تعالى قد غفر لأبي لبابة وتاب عليه، وبعث له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من يوصل إليه الخبر، وقال له: يا أبا لبابة هنيئًا لك المغفرة من الله (سبحانه وتعالى)، فقال: لن يحلّ هذا الحبل إلا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فجاء رسول الله بنفسه وحلّ الحبل، وقام أبو لبابة فقال: يا رسول الله لم يرتح قلبي بعد هذه الخيانة التي خنتها، أريد أن أتصدق ببيتي وممتلكاتي وأموالي في سبيل الله. فقال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: كثير، فقال: نصف، قال: كثير، فقال: ثلث، قال: تصدق بثلث أموالك في سبيل الله. فكتمان السر أمر مهم جدًا، وإفشاء السر مصداق من مصاديق الخيانة لله ورسوله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ

رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [٣٣٥]، فالله (سبحانه وتعالى) لا يهدي من يخون ومن يلصق التهم بالآخرين، لأنه يمهل ولا يهمل. ولكن الإنسان تضعف نفسه أحيانًا، ففي لحظة نظرة إلى حرام، وفي لحظة كلام محرم، أو حضور مجلس محرم، يندفع في اتجاهات معينة لا قدّر الله، وقد أشرنا في لقاءاتنا السابقة إلى المنهج الإسلامي في الابتعاد عن مواضع التهم، ولكن حينما يقع ذاك، فعليه أن يستعصم من الحرام ما أمكن. إذن فالآيات تشير بوضوح إلى حرمة الخيانة وتأثيرها الهدام.

الأثر الأول: غضب الله (سبحانه وتعالى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [٣٣٦]. تنفي الآية الكريمة اتهام المنافقين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالخيانة في توزيع الغنائم، باعتباره نبيًا مرسلًا من الله (سبحانه وتعالى)، ومن يصطفيه للنبوة لا يمكن مطلقًا أن تصدر منه الخيانة؛ لأنّ أصل النبوة قائم على أساس الأمانة في تبليغ الأحكام وفي تطبيقها، ويستحيل على الله (سبحانه وتعالى) أن يختار خائنًا للنبوة.

ثم تبيّن الآية الكريمة أن من يخون ـ وهم أنتم أيها المنافقون ـ سيقف للحساب يوم القيامة، والذي يخون الله (سبحانه وتعالى) يحشره يوم القيامة حاملًا الشيء الذي خان به، إن كان سيفًا أو ثوبًا أو أي شيء آخر، ويوفيه الله سبحانه ما يستحق من العذاب. ثم تتطرق الآية الثانية إلى حلول الغضب الإلهي على الخائن، وأنّ عاقبته ستكون إلى جهنم وبئس المصير الأسود الذي ينتظره.

الأثر الثاني: خيانة النفس، فالذي يخون الآخرين فقد خان نفسه، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [٣٣٧]، فهذه من آثار الخيانة أيضًا، فقد يكون الإنسان في موقع يخون فيه نفسه، كما ورد ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ [٣٣٨].

---

٣٣٥. سورة يوسف: الآية ٥٠ – ٥٢.
٣٣٦. سورة آل عمران: الآية ١٦١ – ١٦٢.
٣٣٧. سورة الإسراء: الآية ٧.
٣٣٨. سورة البقرة: الآية ١٨٧.

لقد ورد التصريح بهذا الحق في كثير من الروايات، نذكر بعضًا منها:

الرواية الأُولى: عن أبي الميمون الحارثي قال: قلت لأبي عبد الله: «ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: إنّ من حق المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره. . . إلى أن قال: وأن لا يخذله»[٣٣٩]، أي لا يسلمه إلى عدوه.

الرواية الثانية: عن أمير المؤمنين قال: «إذا أؤتمِنتَ فلا تخن»[٣٤٠]، أي حينما تؤتمن فلا تغدر ولا تُسرّب معلومات عن الأمانة.

الرواية الثالثة: عن أمير المؤمنين أيضًا قال: «لا تجتمع الخيانة والأُخوّة»[٣٤١]، أي أنّ الأُخوّة والخيانة متضادتان لا يمكن أن تجتمعا، فإذا كانت هناك أُخوّة، فمعنى ذلك أنه لا توجد خيانة، وإذا كانت هناك خيانة، فمعنى ذلك أنه لا توجد أُخوّة.

الرواية الرابعة: عن أبي عبد الله قال: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه»[٣٤٢]، أي يجب على المؤمن أن يحافظ على أخيه المؤمن كما يحافظ على عينه.

الرواية الخامسة: عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «كونوا عباد الله إخوانًا، فإنّ المؤمن أخو المؤمن لا يخونه»[٣٤٣]، مصداق الأُخوّة وتجسيدها أن لا يخون المؤمن أخاه المؤمن.

الرواية السادسة: عن أمير المؤمنين قال: «غاية الخيانة خيانة الخل الودود، ونقض العهود»[٣٤٤]، أي أنّ أشد حالات الخيانة وأقصاها هي خيانة الصديق الودود، وغاية الخيانة أيضًا نقض العهود، أي حينما يعطي الإنسان العهود والمواثيق ثم ينقضها، إذ إنّ من أهم مقومات إيمان المؤمن الصدق والأمانة.

الرواية السابعة: عن الإمام الصادق قال: «إنما سُمّوا إخوانًا لنزاهتهم عن الخيانة»[٣٤٥]، حينما يتنزهون عن الخيانة، حينئذٍ تستطيع أن تُسميهم إخوة.

واستعرض العلامة المجلسي في موسوعته بحار الأنوار مجموعة من هذه الروايات نذكر بعضًا منها:

---

٣٣٩. الكافي ٢: ١٧١ ح٧.
٣٤٠. عيون الحكم والمواعظ: ١٣٤.
٣٤١. عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٣.
٣٤٢. الكافي ٢: ١٦٦ ح٣.
٣٤٣. مستدرك الوسائل ٩: ٤٩ ح٢٤.
٣٤٤. عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٩.
٣٤٥. مستدرك الوسائل ٨: ٣٣١ ح٥.

الرواية الثامنة: عن عبد العظيم الحسني – المدفون في ضواحي طهران– عن أبي الحسن الثالث – الإمام الهادي – قال: «كان في ما ناجى موسى ربه: إلهي ما جزاء من ترك الخيانة حياءً منك؟ قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة»[٣٤٦]، أي من تأتيه الفرصة ولا يخون، فهو في مأمنٍ من عذاب الله يوم القيامة.

الرواية التاسعة: عن الإمام الصادق عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أربعٌ لا تدخل بيتًا واحدةً منهنّ إلا خرب ولم يُعمر بالبركة: الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا»[٣٤٧]، يبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أثرين من الآثار الدنيوية لأربعة من الذنوب الكبيرة المذكورة أعلاه، وهما: الخراب، والمقصود بالخراب هنا هو الخراب المعنوي وليس انهيار السقف أو الجدار، والثاني هو زوال البركة من ذلك البيت، والمقصود بها أن لا تكون في البيت محبة ولا مشاعر ولا ألفة.

الرواية العاشرة: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من خان جاره في شبر من الأرض جعلها الله طوقًا في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوقًا، إلا أن يتوب ويرجع»[٣٤٨]، فالله (سبحانه وتعالى) يحوّل هذا الشبر إلى طوق ملتف حول عنقه، ويمتد إلى الأرضين السابعة، إلى أن يتوب عن غصبه لأموال الناس وأراضيهم.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٤٦. بحار الأنوار ٧٢: ١٧٠ ح١.
٣٤٧. بحار الأنوار ٧٢: ١٧١ قطعة من ح٣.
٣٤٨. بحار الأنوار ٧٢: ١٧١ قطعة من ح٣.

المحاضرة الأخلاقية السابعة
بتأريخ ٢٠١٥/٦/٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

ما زلنا في الحق الثامن والعشرين من حقوق الأخوّة الإيمانية، وهو(عدم تسليم الأخ المؤمن لعدوه)، وانتهى بنا الحديث عند (عنوان الخيانة في الروايات)، إذ ذكرنا عشر روايات، ونستمر اليوم في ذكر عدد آخر منها.

الرواية الحادية عشرة: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من خان أمانةً في الدنيا ولم يردّها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان»[٣٤٩].

الرواية الثانية عشرة: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من اشترى خيانةً وهو يعلم فهو كالذي خانه»[٣٥٠].

الرواية الثالثة عشرة: عن جعفر عن أبيه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب الفقر»[٣٥١].

الرواية الرابعة عشرة: في روايةٍ أُخرى عن الإمام الصادق عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لا تزال أُمتي بخير ما لم يتخاونوا، وأدّوا الأمانة، وآتوا الزكاة،

٣٤٩. بحار الأنوار ٧٢: ١٧١ قطعة من ح٣.
٣٥٠. بحار الأنوار ٧٢: ١٧١ ح٤.
٣٥١. بحار الأنوار ٧٢: ١٧٢ ح١٠.

فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين»[٣٥٢]، يبيّن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنّ أُمته باقية على الخير ما دامت فيها ثلاث خصال: الأُولى: ترك الخيانة، فلا يخون أحدهم الآخر. والثانية: أداء الأمانة، فمن لم يمد يده إلى المال الحرام، فإنّ الله تعالى يعوضه بأموال أُخرى. والثالثة: إيتاء الزكاة، فدفع الحقوق الشرعية، مثل الخمس والزكاة، يجعل البركة في المال، ومن يختلط ماله بمال حرام وبحق الله تعالى وبحق رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وبحق الناس، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) لا يجعل في ماله بركة. وإذا ما فقدوا هذه الخصال الثلاث، عاقبهم الله (سبحانه وتعالى) بالقحط والسنين، أي يبتليهم بالفقر والفاقة والقحط.

الرواية الخامسة عشرة: عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم قال: «ليس منا من يُحقّر الأمانة حتى يستهلكها إذا استُودِعها، وليس منا من خان مسلمًا في أهله وماله»[٣٥٣].

الرواية السادسة عشرة: في كتاب الكافي الشريف عن الإمام الصادق أنه قال: «إنّ من حق المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره. . . وأن لا يخونه»[٣٥٤].

يستعرض الإمام في هذه الرواية المباركة مجموعة من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، ومنها: «أن لا يخونه»، أي أن يحفظه ولا يسلمه.

الرواية السابعة عشرة: ورد عن أمير المؤمنين في غرر الحكم كلام يؤيد هذا المعنى، هو قوله: «إذا أؤتمنت فلا تخن»[٣٥٥]، أي حينما يأتمنك أحد فلا تخنه ولا تغدر به ولا تشِ به ولا تسرّب معلومات عنه.

الرواية الثامنة عشرة: عن أمير المؤمنين أيضًا: «لا تجتمع الخيانة والأُخوّة»[٣٥٦]، أي أنّ الأُخوّة والخيانة متضادتان، لأنّ الوفاء قرين الأُخوّة، فمن كان أخًا لك يجب ألاّ تخونه، ومن خان صاحبه فإنّ ذلك يعني أن لا أُخوّة بينهما، إذ كيف يمكن للأخ أن يخون أخاه؟.

الرواية التاسعة عشرة: في كتاب الكافي عن أبي عبد الله: «المؤمن أخو المؤمن عينه

٣٥٢. بحار الأنوار ٧٢: ١٧٢ ح١٣.
٣٥٣. بحار الأنوار ٧٢: ١٧٢ ح١٣.
٣٥٤. الكافي ٢: ١٧١، ح٧.
٣٥٥. غرر الحكم: الحكمة ٥٢٤١.
٣٥٦. عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٣.

ودليله لا يخونه»[٣٥٧]، فالمؤمن عين المؤمن، ويجب أن يحافظ عليه كما يحافظ على عينه، وهو دليله لأنّه العين التي يرى بها الطريق التي يسلكها، ولذا يجب عليه ألاّ يخونه.

الرواية العشرون: في مستدرك الوسائل عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «كونوا عباد الله إخوانًا، فإنّ المؤمن أخو المؤمن لا يخونه»[٣٥٨]، يطلب نبيّنا الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من المسلمين أن يكونوا إخوة؛ لإنّ المؤمن أخو المؤمن، ومصداق هذه الأخوّة يتجسد في عدم خيانة أخيه المؤمن.

الرواية الحادية والعشرون: عن أمير المؤمنين قوله: «غاية الخيانة: خيانة الخل الودود، ونقض العهود»[٣٥٩]، يبيّن الإمام في هذه الحكمة العلويه أقصى درجات الخيانة، ويقول إنّها أمران، الأول: خيانة الصديق الودود، أي الصديق المقرب، فإنّ خيانته لا توجد سفالة أسفل منها. والثاني: نقض العهود، أي أنّ يعطي الإنسان عهدًا والتزامًا ثم ينقضه، في حين أنّ الصدق والأمانة سمتان أساسيتان من مقومات إيمان المؤمن، فإذا خان العهد فهذا يعني أنّه فقد إيمانه.

الرواية الثانية والعشرون: في أمالي الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق(سلام الله عليه) أنّه قال: «إنما سمّوا إخوانًا لنزاهتهم عن الخيانة»[٣٦٠]، يحصر الإمام علة تسمية الإنسان بالأخ حينما يتنزه عن الخيانة، ومن دون ذلك لا يحق أن نسمّيه أخًا، فمثل هؤلاء ليسوا إخوة بل هم في الحقيقة أعداء.

الرواية الثالثة والعشرون: في وسائل الشيعة عن أبي عبد الله الصادق قال: «إنّ من حق المؤمن على المؤمن أن لا يخونه»[٣٦١].

وردت روايات كثيرة في عقوبة الخيانة، استعرض العلامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار مجموعة من هذه الروايات:

منها: ما رواه السيد عبد العظيم الحسني عن أبي الحسن الثالث الإمام الهادي علي بن محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، قال: «كان في ما ناجى موسى ربه: إلهي ما جزاء من ترك الخيانة حياء منك؟ قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة»[٣٦٢].

---

٣٥٧. الكافي ٢: ١٦٦، ح٣.
٣٥٨. مستدرك الوسائل ٩: ٤٩، ح٢٤.
٣٥٩. عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٩.
٣٦٠. أمالي الطوسي: ٦٠٩، ح ١٢٥٨/٧.
٣٦١. وسائل الشيعة ١٢: ٢٠٧، ح١٠.
٣٦٢. بحار الأنوار ١٣: ٣٢٨، ح٤.

ينقل الإمام في هذه الرواية الكريمة مقطعًا من مقاطع الكلام الذي دار بين الجليل جل جلاله ونبيّه موسى الذي كان يطلق عليه لقب كليم الله، إذ يسأل عن الثواب الذي ادّخره (عز وجل) لمن ترك الخيانة ليس حياء من الناس، بل حياء منه عز وجل. فجاء الجواب من الله (سبحانه وتعالى) أنّ له الأمان يوم القيامة، حيث الفزع الأكبر.

ومنها: ما رواه الإمام الصادق عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «أربع لا تدخل بيتًا واحدة منهنّ إلاّ خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا»[٣٦٣].

يتحدّث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف عن آثار أربعة من الذنوب الكبيرة، وأنّ ارتكاب أي واحد من هذه الأربعة له أثر ليس على صاحبها فقط، بل يشمل جميع أفراد عائلته، وهذا الأثر هو خراب البيت وزوال البركة منه. ومعنى ذلك أنّ جميع أعضاء الأُسرة يجب أن يتحملوا المسؤولية كاملة ويحولوا دون ارتكاب أي فرد منها لأي واحد من هذه الذنوب الأربعة، لأنّ آثارها الماحقة ستحل بالجميع، وليس معنى الخراب هنا الخراب المادي للبيت كسقوط جداره، بل المقصود الخراب المعنوي وهو زوال البركة منه، وحينئذ تتحول الحياة فيه إلى حياة ليس فيها طعم ولا روح ولا بركة ولا مشاعر ولا محبة ولا ألفة، فقد يكون هذا البيت قصرًا ويمتلك صاحبه المليارات، ولكنه ليس مستمتعًا بها ولا بركة فيها وليس ملتذًا بحياته، بل حياته عذاب وشقاء.

وأول هذه الذنوب الأربعة الخيانة، فالبيت الذي فيه خائن لا بركة فيه، وثانيها السرقة، فالبيت الذي يعيش فيه من يمد يده إلى المال الحرام ويعتدي على مال الناس، تزول البركة منه أيضًا، وثالث هذه الذنوب هو شرب الخمر، فالبيت الذي يشرب فيه الخمر أو يسكن فيه شارب خمر تزول منه البركة، ورابعها هو الزنا، فهو يذر الدار قاعًا صفصفًا من البركة، وإذا زالت البركة من بيت كان أهله في شقاء مستمر لا يعرفون للسعادة طعمًا.

ومنها: ما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من خان جاره شبرًا من الأرض جعلها الله طوقًا في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوقًا، إلاّ أن يتوب ويرجع»[٣٦٤]، فكثيرًا ما يتهاون الإنسان في الأشياء الصغيرة ويرى

٣٦٣. بحار الأنوار ٧٢: ١٧٠، ح٢.
٣٦٤. بحار الأنوار ٧١: ١٥٠، ح٢.

أنّ ذلك أمر متسامح فيه، كما لو أخذ شبرًا من أرض جاره فضمها إلى أرضه وحرم صاحبها منها، وقد يتصور أنّ مثل هذا لا يُحاسب عليه في الآخرة لعدم مطالبة جاره به لتفاهته، ولكن الحديث الشريف يبيّن عظم عقوبة هذه الخيانة ولو كانت في شبر من الأرض لا يعلم به صاحبه حينما غصب منه، فبمجرد أن يموت سيطوق بطوق من النار يلف بدنه إلى أن يلقى الله (سبحانه وتعالى) يوم القيامة فيحاسبه على هذه الخيانة في الآخرة، إلاّ أن يتوب إلى الله تعالى من جريمته هذه ويُرجع الحق المغتصب إلى أصحابه.

ومنها: عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضًا أنّه قال: «من خان أمانة في الدنيا ولم يردّها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي»[٣٦٥]، فلا يقولن إنني مسلم من مات وقد مد يده إلى أموال الناس، وسوف يلقى الله وهو عليه غضبان.

ومنها: قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالذي خانه»[٣٦٦].

ومنها: عن الإمام جعفر الصادق، عن أبيه الإمام الباقر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب الفقر»[٣٦٧]، أي أنّ الإنسان الأمين تحل عنده البركة، وأما الإنسان الخائن فيحل عنده الفقر. وتكمن المشكلة في أنّ الخائن يحسب ما يحصل عليه من أموال حسابات مادية بحتة، فهو يتصور أنّه إذا مدّ يده إلى أموال الناس وأخذ مائة ألف فقد كسب مائة ألف، ولا يعلم أنها فايروس دخل في أمواله فتسبب في ضياع أمواله التي كسبها من حلال. وأما الأمين فإنّ الله تعالى يجعل البركة في ماله وإن كان قليلًا.

ومنها: ما روي عن الإمام الصادق، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لا تزال أمتي بخير ما لم يتخاونوا وأدوا الأمانة وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين»[٣٦٨]. يبيّن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف ثلاثة شروط لبقاء أمته بخير، وهي:

الأول: «ما لم يتخاونوا»: أي ما لم تدخل الخيانة فيهم، فهي أُمة صالحة وصادقة وأمينة، فالأُمة التي لا يمدّ بعضها يده إلى أموال البعض الآخر ستكون بخير.

---

٣٦٥. بحار الأنوار٧٢: ١٧١، ح٣.
٣٦٦. بحار الأنوار ٧٢: ١٧١، ح٣.
٣٦٧. بحار الأنوار ٧٢: ١١٤، ح٦.
٣٦٨. بحار الأنوار ٧٢: ١٧٢، ح١٠.

الثاني: «وأدوا الأمانة»: قد لا تتخاون الأُمة إذا لم تقبل الأمانة، فلا يكون هناك موضوع للخيانة أصلًا، وهو أمر سلبي، ولكن المطلوب هو أمر إيجابي؛ وهو أن تقبل الأمانة ثم تؤدي هذه الأمانة لأصحابها. حدّثني أحد المسؤولين يقول: كنا نذهب إلى كردستان قبل ٢٠٠٣ عام سقوط الطاغية لنشتري بضاعة، فكنا نأتي لبائع التمر ونقول له: بع لنا تمرًا، فيقول: ما عندي من التمر ليس تمرًا جيدًا، ولكن تعال أدلك على من عنده تمر أفضل. فأقول له: أنا أريد أن أشتري منك، وأنت لم تغش ولم تخن وقد أتيتك برجلي ويمكنك أن تسكت، وأنت تراني غريبا، فيقول: لا نريد أن نخجل مع الغرباء. وهذه قمة الأمانة، فالشعب الذي تتسم علاقاته بالصدق والأمانة والوضوح يجعل الله تعالى فيه خيرًا وبركة، ولو كُشف لنا الغطاء عن حال هذا الإنسان فمن المؤكد أننا لن نجده فقيرًا، ولن نجده متحيرًا، فإنّ الله تبارك وتعالى يقف معه ما دام يملك مثل هذه الأمانة، لأنّ الأمور هنا تعطي مداليل عكسية، فإعطاء الصدقة يعتبر ظاهريًا نقصًا للمال، ولكن الصدقة في الواقع نماء للمال وزيادة وبركة، فمن لا يمد يده إلى أموال الناس يعوضه الله تعالى بأموال أخرى.

الثالث: «وآتوا الزكاة»: أي أنّ دفع الحقوق الشرعية من خمس وزكاة يجعل في المال بركة، وقد يظن من لا يدفع ما أوجبه الله عليه من حقوق مالية أنه قد حافظ على أمواله، وهو لا يعلم أنّ البركة كلها تذهب من أمواله، لأنها قد اختلطت بالمال الحرام من حق الفقراء الذي امتنع من دفعه.

«فإذا لم يفعلوا ذلك»، أي إذا لم يكونوا أمناء ولم يحافظوا على أموال الناس ولم يؤدوا الأمانات إلى أهلها ولم يدفعوا الحقوق الشرعية إلى مستحقيها، فماذا سيحدث؟.

«ابتلوا بالقحط والسنين» أي ألبسهم الله سبحانه ثوب الفقر والفاقة والقحط، فينزل سعر النفط من (١٢٠) دولارًا للبرميل الواحد إلى (٤٠) دولارًا أو أقل. لقد ذهبت من أيدينا فجأة تلك الوفرة المالية بما كسبت أيدينا؛ لأنّ معاملاتنا لم تكن معاملات سليمة، فالفساد يضرب أطنابه في جميع مؤسسات الدولة وينخرها، ومن يصرخ بمكافحة الفساد حين صار مسؤولًا فيها أصبح من الفاسدين، وترى من يسرق الآلاف والملايين ينتقد من يسرق المليارات، مع أنّ لعابه سال على الآلاف فكيف يؤتمن على المليارات؟. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣٦٩]، فعلينا أن نجرب الناس في الأموال القليلة، فإن خانوا الأمانة

٣٦٩. سورة الصف: الآية ٣.

فإنهم قطعًا سيخونون في الأموال الكثيرة، وإن نجحوا في أدائها فلا يعني ذلك أنهم سينجحون في أداء أماناتهم في الأموال الكثيرة.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية الثامنة
بتأريخ ٢٠١٥/٦/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل.

ما زلنا في الحق الثامن والعشرين من حقوق الأخوّة الإيمانية، وهو (عدم تسليم الأخ المؤمن لعدوه)، وانتهى بنا الحديث عند (عقوبة الخيانة في الروايات)، ننتقل للحديث عن (مصاديق الخائنين في القرآن الكريم)

أولًا: أسرى بدر.

لقد عبّر القرآن عن أسرى المشركين في بدر بالخونة.

ثانيًا: الخائنون من أهل الكتاب.

وتحدثنا عن اليهود في هذا العنوان.

ثالثًا ورابعًا: بنو أبيرق، وشرحنا قصتهم، وقلنا إن من يقضي بغير حق فهذا خائن أيضًا.

خامسًا: بنو إسرائيل بعنوانهم، وقد تحدث القرآن الكريم عن خيانتهم، كما في هذه الآيات الشريفة من سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَايِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧٠).

«وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»: الميثاق هو العهد، أي أخذ الله عهدًا على بني إسرائيل. وقد ذكر الله (سبحانه وتعالى) هذا الميثاق في آية أخرى من كتابه الكريم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾ (٣٧١).

«وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا»: النقيب أي القائد والزعيم، كما نقول اليوم: نقيب المهندسين ونقيب الصحفيين. هل اختيار الله جل جلاله العدد اثني عشر زعيمًا لبني إسرائيل كان أمرًا اعتباطيًا؟ طبعًا ليس كذلك؛ لأنّ الله تعالى حكيم ومن المستحيل أن يصدر عنه أمر اعتباطي. وقد ورد في رواية أنّ هؤلاء كانوا وزراء لموسى، ثم بعد ذلك صاروا أنبياء(٣٧٢). وورد في بعض الروايات عن رسولنا الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه شبّه أئمتنا الاثني عشر بنقباء بني إسرائيل(٣٧٣). إذن فالرقم اثنا عشر له مداليل في علم الله (سبحانه وتعالى).

«وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ»: يا بني إسرائيل أنا أنصركم وأدعمكم وأحسم لكم المعركة، ولكنْ عندي شروط ومواثيق وعهود، وهي:

الشرط الأول: إقامة الصلاة

وهو قوله تعالى: ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ﴾، فالصلاة لها قيمة عظيمة في تطهير الإنسان وتهيئته للأدوار الكبيرة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر»(٣٧٤).

وقد ورد التعبير عن هذا الشرط هنا بإقامة الصلاة؛ لوجود فرق بين صليتم وأقمتم الصلاة، فأحدنا يؤدي الصلاة فيصدق عليه أنه صلى ويقول صليت، ولكن إقامة الصلاة

٣٧٠. سورة المائدة: الآية ١٢ – ١٣.
٣٧١. سورة البقرة: الآية ٨٣.
٣٧٢. الدر المنثور ٢: ٢٦٧.
٣٧٣. بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٩ ح٨، ٣٦: ٢٣٠ ح٩، ح١٠.
٣٧٤. سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

تعني أن يساعد على إشاعتها وتثبيتها في المجتمع، فالمطلوب ليس فقط أن يصلي، بل ينبغي أن يكون المجتمع مجتمعًا ملتزمًا ومصليًا.

الشرط الثاني: إيتاء الزكاة

وهو قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾، أن تدفعوا حقوقكم الشرعية ولا تتنصلوا أو تتهربوا أو تبحثوا عن مخارج معينة ظاهرها شرعي وواقعها ليس كذلك، ودفع الحق الشرعي يطهر الأموال ويزيد البركة فيها، فنحن حينما نعطي إنما نزيد في أموالنا ولا ننقصها ماديًا، فمن الناحية الواقعية يزيد هذا المال.

الشرط الثالث: الإيمان بالرسل

وهو قوله تعالى: ﴿وَآمَنتُم بِرُسُلِي﴾، أي يجب عليكم الإيمان والتصديق بالأنبياء الذين أبعثهم إليكم، وقيل: إنّ المقصود بهم هم الأنبياء من بعد موسى، لأنّه لو كان مشمولًا بهذا الشرط لكان يفترض أن يقدّم شرط الإيمان بالرسل على شرط إقامة الصلاة وشرط إيتاء الزكاة؛ لأنّ الصلاة والزكاة قد فرضتهما رسالة موسى على بني إسرائيل.

الشرط الرابع: نصرة الرسل

وهو قوله تعالى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، أي أخذتم بكلام الأنبياء وأطعتموهم ونصرتموهم.

الشرط الخامس: العمل الصالح

وهو قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، أي فعلتم فعل الخير، وقد عبّر الله تبارك وتعالى عن فعل الخير والعمل الصالح بالقرض الحسن له سبحانه، أي من يعمل صالحًا فإنّ أجره يقع على الله وهو يجزي به، وجعله بمثابة القرض له، أي أنّ الله تعالى يعتبره دينًا عليه، وحاشا لله ألاّ يفي بوعده أو لا يؤدي دينه.

«فمن كفر بعد ذلك منكم»: أي التزموا بهذه الشروط الخمسة وأنا معكم وناصركم ومعينكم، ولكن من لم يلتزم بها وكفر بها بعد الميثاق الذي أخذه الله (سبحانه وتعالى) على بني إسرائيل وخان الأمانة.

«فقد ضل سواء السبيل»: أي انحرف عن جادة الصواب، وسلك طريقًا منحرفًا، يُعد سالكه إنسانًا منحرفًا لا يلتزم بعهد ولا ميثاق، فكيف إذا كان هذا الميثاق مع الله (سبحانه وتعالى)؟.

«فبما نقضهم ميثاقهم»: تخبرنا الآية الكريمة أنّ بني إسرائيل خانوا الأمانة والعهد والميثاق.

«لعناهم»: أي كانت نتيجة نقض المواثيق أنّ الله (سبحانه وتعالى) طردهم من رحمته، وحرموا من الوعد الإلهي بأن يكون معهم في الحياة الدنيا، وخذلهم وأوكلهم إلى أنفسهم وطردهم من رحمته.

«وجعلنا قلوبهم قاسية»: أي لا تميل إلى ذكر الله (سبحانه وتعالى) ولا تتأثر بذكره، وقوله تعالى: «وجعلنا قلوبهم «يعني هم جعلوا قلوبهم قاسية عندما أقدموا على ارتكاب جميع المقدمات ونقضوا جميع المواثيق، فلا بُدَّ من أن تُرتب النتيجة المحتومة عليها؛ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) وضع قواعد عامة في هذا الكون، وسننًا جارية في هذه الحياة، لا تتخلف فيها النتائج إذا وجدت المقدمات، فالظالم يظلم نفسه بظلمه للآخرين، ومن ينقض العهود والمواثيق فهو الخاسر؛ لأنّ نتيجة فعله هذا أن أصبح قلبه قاسيًا، وإن كانت النتيجة ببعدها الإيجابي أو السلبي تنسب إلى الله سبحانه؛ لأنّه هو من رتّب هذه النتيجة على تلك المقدمات، ولكنها في الحقيقة نتيجة فعل الإنسان نفسه، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [٣٧٥]، فالله تعالى لا يضل أحدًا، بل هو فتح الرحمة والهداية وجعلهما للجميع، فمن ظلم الآخرين فقد ظلم نفسه في الحقيقة وضل، ولكن هذه النتيجة تنسب إلى الله (سبحانه وتعالى).

ومثل هذا ورد في قوله تعالى أيضًا: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [٣٧٦]، أي جعلنا النفاق في قلوبهم، وحاشا لله أن يجعل المؤمن منافقًا إلاّ بفعله، وبقوا منافقين إلى يوم لقاء الله، وقد فعل الله ذلك بهم بسبب مخالفتهم لما وعدوا الله به بنقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها على أنفسهم.

وهنا أيضًا بنفس الخلفية: «وجعلنا قلوبهم قاسية»، أي أنّ قلوبهم أصبحت قاسية لا تتوجه نحو الله (سبحانه وتعالى)، إذ الإنسان المؤمن حتى لو انحرف فإنه عندما يسمع آية من الذكر الحكيم أو يسمع موعظة أو يسمع فقرة من دعاء يُقرأ، يخشع قلبه لذكر الله، أما مثل هؤلاء فقلوبهم ميتة أبدًا، وهي لا يخشع لذكر الله، أي لا تتفاعل مع الدعاء والذكر وطاعة الله (سبحانه تعالى).

---

٣٧٥. سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

٣٧٦. سورة التوبة: الآية ٧٧.

«يحرّفون الكلم عن مواضعه»: ثم يصف الله (سبحانه وتعالى) بني إسرائيل بأنهم يحرفون كلامه، فهؤلاء لا يريدون تدينًا، بل عندهم مصالح يريدون غطاء دينيًا لها، فهناك فرق شاسع جدًا بين شخص متدين حقًا، وشخص يبحث عن غطاء وظاهر ديني لمآرب شخصية، كأيِّ ملحد الآن يطيل لحيته ويتختم ويحمل مسبحة بيده ليكون متدينًا تمامًا في نظر الناس، وربما يخدع البعض بمظهره ويحسبونه مؤمنًا، ولكن باطنه كله انحراف وضلال وفساد، وبنو إسرائيل من هذا النوع؛ إذ كانوا يبحثون عن غطاء ديني وهم في الحقيقة ليسوا متدينين وليس لديهم دين واقعي، ولذلك كانوا يحرفون الآيات الصريحة في التوراة ويفسرون معناها بما يوافق مصالحهم، وهذا أمر عجيب؛ فمن أنت لتقول إنّ الله يريد كذا على خلاف ظاهر الآية؟! لماذا تغيّر؟ لماذا تفسرها تفسيرًا خاطئًا؟.

وهذه الظاهرة ليست لدى بني إسرائيل فقط، بل هي عندنا أيضًا، فهناك من يفسر القرآن برأيه، وهناك من يفرض قناعاته على آيات الذكر الحكيم، وهذا لا يجوز، فالآيات القرآنية فيها المحكم وفيها المتشابه الذي تلتبس فيه الأمور، ويجب أن نفسر المتشابهات بالمحكمات الواضحات، وفيها العام وفيها الخاص، وفيها المطلق وفيها المقيد، فيجب أن نُرجع الخاص إلى العام والمطلق إلى المقيد. وهناك استثناءات وتخصيصات، فلا يمكن أن نأخذ نصًا قرآنيًا ما ونقول هكذا قال الله، بل يجب العودة إلى الفقهاء وإلى المفسرين الذين يفسرون القرآن بشكل صحيح، كي نعرف هل معنى هذه الآية كما نفهمه، فالقرآن ليس كتاب قصة نقرأها ونفهمها، بل قد نفهم آية معينة بمعنى معين، ويكون لها مدلول آخر أو تكون منسوخة بآية أُخرى.

يقول البعض: لا حاجة بنا إلى الرسالة العملية، ولا حاجة بنا إلى الفقهاء والعلماء، ويكفينا الرجوع إلى القرآن لنرى ماذا يقول ونعمل به، وهذه مغالطة؛ فهل يفهم صاحب هذا القول القرآن كاملًا؟ وهل يعرف ناسخه ومنسوخه؟ وهل يعرف عامه وخاصه؟ وهل يعرف سبب نزول كل آية؟ وهل يعرف الحكم الشرعي الموجود فيها؟ فإذا كان الجواب بالنفي فلا يمكن لهؤلاء الاعتماد على هذه الطريقة؛ لأنهم سيحرّفون الكلم عن مواضعه، أي يغيرون تفسير الآيات فيستنتجون استنتاجات بعيدة عن الواقع.

«ونسوا حظًا مما ذكروا به»: أي نسوا آيات من التوراة مما كانوا قد ذُكّروا بها، إذ كانوا يحذفون ما لا يعجبهم، وإلاّ فإن البشارة برسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانت موجودة في توراتهم، فحذفوها من التوراة كي لا يبقى أثر يلزمهم الإيمان برسول الإسلام.

«ولا تزال تطلع على خائنة منهم»: هذا هو الشاهد؛ «ولا تزال» فعل مضارع مستمر، أي أنهم دائمًا يخونون، فديدنهم الخيانة، وتشكل ظاهرة في المجتمع اليهودي، وظاهرة الخيانة من حيث المساحة واسعة جدًا وتتكرر منهم، وكثير من بني إسرائيل خونة، هكذا يقول القرآن الكريم.

«إلاّ قليلًا منهم»: قليل منهم لا يخونون، ولكن الطابع العام لهم هو الخيانة.

«فاعفُ عنهم»: أي يا رسول الله اعفُ عنهم في إساءاتهم لك، وكن أكبر منهم، ولكن لا تعفُ عنهم في انحرافاتهم العقائدية؛ لأنّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لا يمكنه أن يعفو عن هؤلاء في ضلالهم وانحرافهم.

«واصفح»: عن إساءاتهم.

«إنّ الله يحب المحسنين»: أي أنّ العفو والصفح من خصال المحسنين، وإذا كان الإنسان محسنًا كان محبوبًا عند الله تبارك وتعالى.

إذن بنو إسرائيل مصداق آخر من مصاديق الخيانة.

سادسًا: امرأة العزيز «زليخا»: وهي من مصاديق الخيانة أيضًا، وقد مر الحديث في العديد من الآيات الشريفة من سورة يوسف التي تشير إلى خيانة زليخا، منها قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾[٣٧٧]، أي دعته إلى المعصية.

هناك أُمور تمنع الإنسان من الخيانة، هي:

أولًا: العلم بالثواب الإلهي لمن ترك الخيانة

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣٧٨]، أي إذا لم تخونوا فإنّ الله تعالى عنده أجر عظيم لكم يجزيكم به. فهذا الأمر، وهو العلم بوجود الأجر الإلهي، يمنع الإنسان من الإقدام على الخيانة.

٣٧٧. سورة يوسف: الآية ٢٣.
٣٧٨. سورة الأنفال: الآية ٢٧.

ثانيًا : الحياء من الله

فالإنسان الذي يستحي من الله (عزّ وجلّ) لا يخون، والذي يستحي من البشر لا يخون أيضًا، أي أنّ الإنسان الذي عنده حياء لا يخون، فضميره لا يسمح له بذلك حتى لو لم يكن صاحب دين.

إلى هنا نكون قد انتهينا من الحديث عن الحق الثامن والعشرين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية التاسعة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله صيامكم وقيامكم وجميع أعمالكم، ونحن في شهر الطاعة والغفران، شهر رمضان المبارك.

ما زلنا متواصلين في الحديث عن حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وانتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن الحق الثامن والعشرين.

الحق التاسع والعشرون/ عدم خذلان المؤمن

لقد ورد هذا الحق في الرواية موضوع البحث، في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يخذله»، أي المؤمن لا ينبغي أن يخذل أخاه المؤمن، ولا يتركه، ولا يتخلى عنه، ولا يدعه بمفرده أمام التحديات والأخطار.

والفرق هنا عمّا ورد في الحق السابق «لا يسلمه»، أي لا يسلم المؤمن أخاه المؤمن إلى الطاغية أو العدو، قبال مال أو تهديد أو تعذيب أو ما إلى ذلك، فيشي به ويسلمه إلى غريمه، أن المؤمن هنا عليه ألاّ يقول لأخيه المؤمن ليس لي شأن بك، ويغلق الباب في وجهه، ولا يساعده وهو قادر على مساعدته، فهو هنا ـ إن فعل ذلك ـ لا يسلمه، بل يتركه يواجه القدر بمفرده، وهذا مخالف للحقوق الإيمانية للمؤمن على أخيه المؤمن، فكما لا يجوز أن يسلمه، فكذلك لا يجوز أن يخذله، أو يتركه، أو يتخلى عنه.

إن هذا التخلي تارة يكون أمام عدو أو ظالم، وتارة أُخرى يكون التخلي بمعنى آخر، وهو أن يتركه هو والشيطان ليعبث به ويوسوس له ويحرفه باتجاهات معينة، فهذا أيضًا خذلان، فمن رأى أخاه المؤمن واقعا في انحراف معين بتأثير خلطاء السوء من حوله، يجب عليه ألاّ يتركه وحده، ولا يتخلى عنه، وأن يقف معه، ويحاول أن يرجعه إلى طريق الصواب وينصحه ويوضح له آفات ومخاوف الطريق الذي دخل فيه، فإن لم يفعل فهذا هو الخذلان المعنوي، وهو أن ترى أخاك المؤمن سائرًا في طريق الانحراف، فتتخلى عنه، بدلًا من أن تقف معه وتعينه وتصلحه وتعيده إلى الصواب.

وهناك خذلان في البعد الاجتماعي أيضًا، وهو إذا لم يكن لهذا الأخ المؤمن عدو، ولكن عنده مرض، أو فقر، أو حاجة، أو مشاكل حياتية، أو أي قضية من هذه القضايا التي تحصل للإنسان، فهنا أيضًا إذا تخليت عنه وأنت قادر على مساعدته فقد خذلته، فكما لا يجوز أن تخذله إذا كانت المسألة ترتبط بظالم أو خطر يهدد حياته، أو ترتبط بالجانب المعنوي وبآخرته وسلامة واستقامة مسيرته، لا يجوز أيضًا أن تخذله إذا كانت المسألة ترتبط بالجانب الاجتماعي والتحديات التي يواجهها والمشاكل والمعوقات في حياته. يعني أنّ عبارة «لا يخذله» تشمل جميع تلك المساحات، فالأخ المؤمن يجب أن يناصر أخاه المؤمن، ولا يتركه، ولا يتخلى عنه.

وقد ورد هذا المعنى في الروايات الشريفة، منها ما ورد عن الإمام الصادق قال: «ما من مؤمنٍ يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته، إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»[٣٧٩]، فهذه ليست من الذنوب ولا المخالفات التي يمهل الله (سبحانه وتعالى) بها ويؤخر عقوباتها للآخرة، وقد ذكرنا في أبحاثنا السابقة هذا الموضوع، وقلنا إنه توجد مخالفات إذا ارتكبها الإنسان يعاقبه الله تعالى عليها يوم القيامة، ولكن هناك مخالفات لها عقوبات في الدنيا والآخرة، كموضوع العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين، والأعراض، ومسائل عديدة أُخرى ناقشناها في أبحاث سابقة، وهذا ما نلاحظه في حديث الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، ففي الآخرة يوجد عذاب إلهي للخذلان، وكذلك في الدنيا يوجد له عقاب دنيوي، وهو خذلان الله (سبحانه وتعالى) لمن خان أخاه المؤمن، فبسبب عدم وقوفك معه عندما تعرض للظلم، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يعرضك للظلم ولا يقف معك أحد، أو تتعرض إلى مشاكل وتحديات مثله، من جوع أو فقر أو وباء

٣٧٩. وسائل الشيعة ١٢: ٢٦٧ ح٩.

أو أي أمر آخر، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يعرضك لها إذا لم تقف وتتحمل مسؤوليتك تجاه أخيك المؤمن.

وعليك أن تواسي أخاك المؤمن إن لم تستطع أن تقدم له شيئًا، فمثلًا عندما تخرج في جنازة المؤمن يستحب أن تُري نفسك لصاحب العزاء، فهذا له أبعاد اجتماعية، فيدخل في عنوان «لا يخذله»، ومن النصرة وعدم الخذلان أن تواسي أخاك المؤمن حتى لو لم تستطع أن تقدم له شيئًا.

ومثال آخر لمصاديق عدم الخذلان هو عيادة المرضى، وهي من المستحبات. كنا مرة في زيارة للإمام الرضا (سلام الله عليه) قبل سنين، وصادف أن التقينا رئيس الأوقاف في مدينة مشهد، فتحدث عن بعض الموقوفات الغريبة والنادرة عندهم في مشهد، وقال: هناك شخص متوفى منذ سنين أوقف مزرعة تُصرف أموالها لأُناس يزورون المرضى في المستشفيات، فيدخلون عليهم واحدًا واحدًا ويسلّمون عليهم ويجلسون معهم ويواسونهم ويبثون الأمل في نفوسهم ويقدمون لهم هدية، فشعرت بالإكبار أمام هذا المجهول الذي أوقف هذا الوقف، فهو لم يوقفها لأقاربه، بل أوقفها لاستئجار من يزور مرضى المسلمين في المستشفيات، وقد مرّت مائتا سنة وهذه الأرض تنتج، وتعطي أموالها لأناس يزورون المرضى.

إذا لم يكن بيدك شيء، ففي الأقل انصر أخاك المؤمن بالمواساة، فهذا حق للمؤمن على أخيه المؤمن، حتى لا يشعر بالوحدة، لأنّ الإنسان ينكسر وينهار في الوحدة أو الغربة، ولكن وجود الناس حوله يبث فيه قوة القلب، والقدرة على الصمود والتحمل والثبات، إلى أن يفرجها الله تعالى، فمراعاة هذا الجانب أمر مهم جدًا.

وورد في وصايا أمير المؤمنين لكميل بن زياد: «يا كميل ومن أخوك؟ أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة، ولا يغفل عنك عند الجريرة»[٣٨٠].

وورد عن أمير المؤمنين(صلوات الله وسلامه عليه) أيضًا: «ساعد أخاك على كل حال، وزل معه حيثما زال»[٣٨١].

لقد أشار القرآن الكريم إلى موضوع الخذلان في عدة آيات:

منها: قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى

٣٨٠. مستدرك الوسائل ٨: ٣٣٠، ح٤.
٣٨١. عيون الحكم والمواعظ: ٢٨٤.

يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [٣٨٢]. تتحدث الآية الكريمة عن أمرين؛ الأول: النصر الذي هو من عند الله تبارك وتعالى، وأنه لو تحقق في أرض الواقع فلا يمكن لأحد مهما أوتي من قوة أن يقف في وجهه ويتغلب عليه. والثاني: الخذلان الذي هو من عند الله (سبحانه وتعالى)، وهو لو نزل بساحة فرد أو جماعة أو قوم، فلا يمكن لأي قوة أن تقف أمام الانهيار والهزيمة.

ونسبة الخذلان إلى الله (سبحانه وتعالى)، هي بمعنى أنه حينما يرفع يده ودعمه ونصرته ورعايته عن المخطئين والعصاة من عباده، فلا يمكن أن يُتدارك.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [٣٨٣]، والخذول يعني كثير الخذلان، أي أنّ الشيطان الرجيم ليس له صاحب ولا وفاء له، وحين يقول للإنسان اكفر فيطيعه، يقول له: أنا بريء منك، وهذا هو طبع الشيطان الرجيم، لا يفي مع أحد، ويبقى يوسوس إلى أن يأخذ مبتغاه، فهو يمثل قمة الانتهازية، ومراده أن يأخذ دينك، ويسلب إيمانك.

ومنها: قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [٣٨٤]، أي لا ناصر لك ولا معين.

انتهى حديثنا عن الحق التاسع والعاشرين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٨٢. سورة آل عمران: الآية ١٦٠.
٣٨٣. الفرقان: ٢٨ – ٢٩.
٣٨٤. سورة الإسراء: الآية ٢٢.

المحاضرة الأخلاقية العاشرة
بتأريخ٢/٧/٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله صيامكم وقيامكم وجميع أعمالكم، ونحن في شهر الطاعة والغفران، شهر رمضان المبارك

ما زلنا متواصلين في الحديث عن حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وانتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن الحق التاسع والعشرين.

الحق الثلاثون/ حبُّ الخير للمؤمن وكُره الشرّ له

ويتمثل هذا الحق من حقوق الإخوان في قول رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية المذكورة في صدر البحث: «ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشرّ ما يكره لنفسه»، وقد شرحنا في لقائنا السابق هذا الحق؛ وقلنا إنّ الإنسان بطبعه يطمح للخير لنفسه؛ يريد المال والصحة والحياة الطيبة، ولديه طموحات كثيرة، من عمل جيد وزوجة صالحة وأولاد طيبين صالحين بررة، إلى غير ذلك مما يتمناه لنفسه، ولا مشكلة في ذلك كله، ولكن المشكلة في أن يتمنى الإنسان هذه الأمور لنفسه ولا يتمناها لإخوانه المؤمنين، فضلًا عن أن يسعى لحصولهم عليها، فالمهم عنده أن يرتفع راتبه مثلًا وإن كان صاحبه ليس لديه راتب أصلًا، والمهم عنده أن يحصل على زوجة صالحة وإن لم يحصل صاحبه على مثلها، والمهم عنده أن يحصل على العمل الجيد والإمكانات،

وأن يكون بصحة وسلامة، وأن يرزق بأطفال سالمين، وإنْ لم يكن **لغيره من هذه النعم شيء**.

وفي الاتجاه الآخر يكره لنفسه كل سوء، فلا يريد المرض ولا البلاء ولا الشدائد ولا السلبيات أن تلم به، ولا مشكلة في أن يتمنى ذلك كله ويسعى من أجله، ولكن المشكلة هي ألاّ يتمنى لأخيه المؤمن مثل ذلك ويسعى من أجل دفعها عنه إذا حلت بساحته.

وهناك حالة أشد من ذلك؛ وهي عندما يريد الخير لنفسه وينزعج عندما يراه عند غيره، فمثلًا ينزعج إذا رأى صاحبه اشترى من نفس نوع القميص الذي يرتديه، لأنه يريد أن يلبس شيئًا يتميز به عن الآخرين، وينزعج إذا جاءت فرصة لغيره كما جاءته، لأنه يريد جميع الفرص له فقط، وكذلك في الأمور السلبية؛ إذ نراه يريد أن يدفع البلاء عن نفسه فقط، وقد يرتاح ويستأنس إذا ما نزل البلاء بغيره، فهو مصاب بحساسية تجاه أخيه المؤمن، فإذا مَرِض أخوه المؤمن فقد يشمت به في قلبه، وكل هذا مخالف لهذا الحق، ولا يجوز للإنسان ـ فضلًا عن المؤمن ـ أن يتعاطى مع الآخرين بهذه الطريقة.

نذكر بعض الآيات الشريفة في هذا الباب:

الشاهد الأول/ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّـهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣٨٥).

وكما تعرفون فإنّ الإنصاف والعدل يشار إليهما بإشارة واحدة في القرآن الكريم، ولذلك فالآيات التي تخص العدل تعني الإنصاف أيضًا، وينبغي ملاحظة أنّ الإنصاف ليس إنصافًا فرديًا فقط، فالإنسان كفرد ينصف الأفراد الآخرين، ولكن هناك إنصافًا له أبعاد سياسية، وأحيانًا تكون له أبعاد اجتماعية، وهذه الآية الشريفة تشير إلى البعد السياسي والاجتماعي للانصاف.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»: الخطاب للمؤمنين دون سائر الناس؛ لأنهم الذين يسمعون كلام الله ويسعون لتطبيقه.

«كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّـهِ»: كونوا دائمي القيام بحقوق الله، أي أدّوا حقوق الله (سبحانه وتعالى).

٣٨٥. سورة المائدة: الآية ٨.

«شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ»: اشهدوا بالعدل، أي كونوا حقانيين ومنصفين، وضعوا الأمور في نصابها الصحيح.

«وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ»: أي لا يحملنّكم.

«شَنَآنُ قَوْمٍ»: بغض قوم والاستياء منهم.

«عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا»: على ترك العدل في التعامل مع من تكرهون؛ لأنّ الإنسان عندما يختلف مع الآخر حزبيًا أو مذهبيًا أو قوميًا أو سياسيًا أو دينيًا لا يكون عادلًا معه، فهذه الحساسيات التي يحملها في نفسه تجاه من يختلف معه تمنعه من التعامل معه على أساس العدل والإنصاف، فلا ينبغي للمؤمن أن تخرجه هذه الحساسيات عن جادة الإنصاف. وكذلك الأمر على صعيد العلاقات الشخصية مع الآخرين؛ فقد يجره البغض إلى ترك الإنصاف مع من يبغض، فنرى البعض يقول: لقد أساء فلان إليّ في التلفاز أو في الفيس بوك، وسأنال منه بالكلام كما نال مني، وسأكتب عنه بالسوء كما كتب عني، وإذا كنا لا نقبل أن يتكلم أو يكتب عنا أحد بكلام سيئ أو كتابة سيئة، فلماذا إذن نتكلم أو نكتب عن الآخرين بنحو سيئ؟. إنّ الاختلاف السياسي مقبول في حدود وجهات النظر، ولكن يجب ألاّ يؤدي هذا الاختلاف إلى أن نفقد الإنصاف؛ لأنّ العدل والإنصاف هما الأساس في التعامل مع الآخرين.

«اعْدِلُوا»: هذا التكرار دليل على الأهمية، يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بالعدل قامت السماوات والأرض»[٣٨٦]، أي ليس بالعدل تُحل مشاكل البشر فقط، بل السماوات والأرض قائمة بالعدل، فهو النظام الذي يحكم السماوات والأرض، وبدونه ينهار كل شيء.

«هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»: حينما نعدل، وحينما ننصف الآخرين حتى لو كانوا مختلفين معنا في الانتماء المذهبي أو الحزبي أو القومي أو الديني، نكون حينئذ أقرب للتقوى، أي أقرب للاستقامة.

«وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»: يجب علينا أن نخاف الله (سبحانه وتعالى) في ترك العدل بالتعامل مع الآخرين، فإنّ الله تعالى مطلع وعليم بجميع أفعالنا، ولا يعزب عنه علم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وسيحاسبنا على جميع أعمالنا، ومنها ترك العمل بالعدل والإنصاف الذي أمرنا به.

---

٣٨٦. تفسير الصافي ٥: ١٠٧.

الشاهد الثاني/ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّـهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّـهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [٣٨٧].

هذه الآية الكريمة على غرار الآية السابقة وقريبة منها بالمضمون، ومتشابهة معها في المعنى.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ»: أي كونوا مواظبين على إقامة العدل والقسط، وأن تشهدوا بالحق لوجه الله (سبحانه وتعالى).

«وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ»: وكم هو أمر صعب أن يكون الإنسان منصفًا وعادلًا ويشهد الشهادة الحقة حتى لو كانت على نفسه أو والديه أو أقربائه، فالإنسان ميال بطبعه إلى جر النفع إلى نفسه ودفع التهمة عنها وعمن يحب، فكيف يتسنى له أن يخالف هواه ويشهد على نفسه بالضد وينصف الناس منها؟.

لقد كان الناس في الجاهلية لا يشهدون على أفراد قبائلهم بالحق، وكانوا إما يحرفون الشهادة أو يخففونها ويغيرون مضمونها أو لا يشهدون أصلًا، وحين أسلموا بقوا على نفس السياق السابق حينما يكون في القضية ضرر على أنفسهم أو على عوائلهم أو على عشيرتهم، فنزلت هذه الآية الكريمة لتقول لهم: لقد صرتم الآن مسلمين، ويجب عليكم أن تشهدوا بالحق ولو على أنفسكم أو أحد أفراد أسرتكم أو عشيرتكم، وإنْ كانت هذه الشهادة تجلب ضررًا عليكم أو على والديكم أو على الأقربين منكم.

«إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّـهُ أَوْلَى بِهِمَا»: بعض الناس يشهد لصالح الغني حتى لو لم يكن على حق، طمعًا بما في يده من المال، فينتصر للغني وصاحب الوجاهة، بل نرى هذه الظاهرة في الانحياز إلى أمثال هؤلاء حتى في دوائر الدولة المختلفة؛ فلو تخاصم ابن مسؤول مع مواطن بسيط وذهبا إلى مركز الشرطة، فإنّ الدعوى ستنقلب لصالح ابن المسؤول، بل تمتد القضية لأبعد من ذلك في شتى نواحي الحياة الأُخرى؛ فلو تنافس مثلًا مواطن بسيط مع أحد أبناء المسؤولين على مقعد أو إيفاد أو وظيفة، فلا شكّ في أنّ القضية ستحسم لصالح ابن المسؤول. فالانحياز إلى الأثرياء وإلى ذوي الوجاهات على حساب الحق أمر محرّم، والله تعالى يأمرنا أن نكون مع الحق بغض النظر عن كون صاحب الحق فقيرًا أو غنيًا، وأن نشهد شهادة الحق حتى لو كانت هذه الشهادة ضد الغني والوجيه، فلا مجاملة في الحق.

٣٨٧. سورة النساء: الآية ١٣٥.

وقد تُعكس القضية أحيانًا فنرى البعض يشهد لصالح الفقير وإن لم يكن الحق معه، ويقول إن هذا فقير وإذا حبسوه فمن لعائلته بعده، وسيبقون بلا معيل ولا مأوى، فيشهد له كاذبًا قربة إلى الله تعالى وانتصارًا للفقير كما يتصور وأنقاذًا له، وهذا أمر محرّم أيضًا، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول إنه أولى بهما، فالفقير إذا كان مذنبا والحق ليس معه فيجب أن نشهد الشهادة الصحيحة ولا ننظر إلى غناه أو فقره. فمن يشهد زورًا لصالح الغني لغناه شط عن الحق، ومن يشهد زورًا لصالح الفقير شفقة عليه لفقره شط عن الحق أيضًا، فليس للشاهد علاقة بمآل المشهود عليه ومن يتكفل؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: «إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّـهُ أَوْلَى بِهِمَا»، فهو سبحانه من يتكفل بأمره، فلا علاقة للشاهد بذلك، لأنّه ليس وصيًا على الخلائق، وهذه ليست مهمته، وما عليه سوى قول الحقيقة، سواء كانت لصالح الغني أو الفقير، وليس للشاهد الدخول في تفاصيل من هذا النوع، فلا يقول مثلًا: كيف أقول الحقيقة وهو من مذهب آخر وصاحبي من مذهبي وسوف يتضرر من هذه الشهادة، فالواجب قول الحق سواء كان المشهود له أو عليه مختلفًا معنا مذهبيًا أو قوميًا أو دينيًا كما في الآية السابقة، أو كان قريبًا كما في هذه الآية.

لقد تحدثت الآية السابقة عن الإفراط في البغض: «ولا يجرمنكم شنآن قوم»، أي إذا كان هناك أُناس نكرههم ولا نحبهم فلا ينبغي أن يدفعنا ذلك إلى أن نكون غير عادلين، بينما تتحدث هذه الآية عن الإفراط في الحب، أي إذا كان هناك أُناس نحبهم جدًا فلا ينبغي أن يدفعنا ذلك إلى أن نكون غير عادلين ونشهد لصالحهم على خلاف الحقيقة شهادة زور، بل يجب قول الحق لنا أو علينا، فنقول الحق وإن كان المستفيد منافسنا السياسي، ونقول الحق وإن كان المستفيد من مذهب آخر أو ديانة أُخرى أو قومية أُخرى، نقول الحق ولا تأخذنا في الله لومة لائم.

«فلا تتبعوا الهوى»: أي لا تشهدوا بالذي يناسب هواكم ورغباتكم، فتميلوا بشهادتكم إلى إخوانكم أو إلى أبناء عشيرتكم أو مذهبكم أو حزبكم أو قوميتكم، فقد ورد عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنّه قال: «أما اتّباع الهوى فيصد عن الحق»[٣٨٨]، فالهوى يغلق باب الحق، والهوى يتجه بالإنسان اتجاهات بعيدة عن الحق، لذلك لا تتبعوا الهوى.

«أن تعدلوا»: أي لا يمنعكم الهوى من أن تكونوا عادلين.

٣٨٨. نهج البلاغة ١: ٩٢، الرقم ٤٢.

«وإن تلووا»: «تلووا» من الليّ، والمراد منه اللف والدوران، يعني لا تغيروا الوقائع في شهاداتكم، ولا تخففوها ولا تحوروها ولا تحرفوها في سبيل نجاة من تحبون.

«أو تعرضوا»: أي لا يجوز كتمان الشهادة فيقول: إني لم أرَ شيئًا، أو لم أكن حاضرًا، أو يتهرب من أداء الشهادة.

«فإنّ الله كان بما تعملون خبيرًا»: لم يقل الله (سبحانه وتعالى) هنا: إنّ الله كان بما تعملون عليمًا، بل قال: «خبيرًا»، يعني أنه ملمٌ بالتفاصيل، فهو يعلم بما في قلوبنا، بل هو أعلم منا بأنفسنا، فالله تعالى يقول: أنا أعرف جميع التفاصيل؛ ما هو قصدك من هذا الكلام، فأحيانًا تلعب الصياغات دورًا مهمًا في تشويش الحقائق، وتعطي مطاطية للكلام بأن يحتمل معاني متعددة ومداليل أُخرى تخفف الحقائق، وقد نهانا الله تعالى عن حكاية الوقائع بصياغات مبهمة، لأنّه سبحانه خبير بنا ويعرف بالضبط نياتنا من هذا الكلام.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية الحادية عشرة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم في آناء الليل وأطراف النهار.

ما زلنا في حقوق الأخوّة الإيمانية، حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وكنا نتحدث في الحق الثلاثين، وهو(حب الخير للمؤمن وكره الشر له)، وتحديدا عند موضوع (الإنصاف في القرآن)، إذ ذكرنا له شاهدين من القرآن الكريم، ونستمر بذكر شواهد أخرى.

الشاهد الثالث/ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ. . . ﴾[٣٨٩].

ترتبط هذه الآية الكريمة بموضوع الحرص على العمل بالإنصاف والعدل بين الناس، إن كان في طوعهم فبذلك، وإلاّ فباستعمال القوة.

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا»: أي أنّ الله تبارك وتعالى أرسل أنبياءه ليمارسوا دورهم الرسالي الإلهي بأدوات ثلاث، هي:

«بالْبَيِّنَاتِ»: وهي الأداة الأُولى، والبينات هي الحجج والبراهين الواضحة التي تدفع كل إنسانَ منطقي للإيمان بها.

٣٨٩. سورة الحديد: الآية ٢٥.

«وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ»: وهذه الأداة الثانية، والكتاب يشمل الشرائع، وهي تحتوي على جملة من القوانين والتعاليم التي تنظّم الحياة الإنسانية على أساس الحق والعدل. وهذا يعني أنّ هذه الآية تتحدث عن الأنبياء من أُولي العزم وليس عن سائر الأنبياء؛ لأنّ هؤلاء من نزلت عليهم كتب سماوية.

«وَالْمِيزَانَ»: وهو ما به تقاس الأُمور، وما به تُوزن المسائل، أي الأحكام والقوانين الإلهية التي تتحكم في مسار الإنسان وحركته.

فالبينات والكتاب والميزان هي الأدوات الثلاث التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) تحت تصرف الرسل الذين أرسلهم إلى الناس، ثم يبيّن الله عز وجل الغاية من إرسال الرسل ومعهم البينات والكتاب والميزان والغرض المطلوب من ذلك بقوله:

«لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»: كل ذلك من أجل إشاعة العدل وترسيخ الإنصاف بين الناس، واللافت في هذه الآية الكريمة أنها لا تقول: لنفرض على الناس القسط والعدل، بل تقول: «ليقوم الناس بالقسط»، وهذا يعني أنّ المدرسة الإسلامية ـ وهي مدرسة السماء ـ لا تعتمد على الأسلوب العسكري والفرض بقدر ما توفر القناعة، فكل نبي لا يأتي ومعه سيف، بل يأتي ومعه البينات والكتاب والميزان، ومن خلال المنطق والعقل، ومن خلال المنهج التربوي والثقافي الذي يحمله الرسل إلى الأمم والشعوب تؤمن وتدرك أهمية أن تسير في خط الرسالات الإلهية، وهذا الأمر يجعلها تتقبل هذه الأُمور وتعمل عليها، وهي التي تقوم بها بالقسط، وليس ليقوم بها النبي، ومعنى أن يقوم الناس بالقسط هو أن يستوعبوا هذه الرسالة ويؤمنوا بها ويتفاعلوا معها ويصبحوا جزءًا منها، ثم هم يقومون بالقسط بطوعهم واختيارهم، فيمارسون هذا الدور الرسالي المطلوب.

ولكن من لا يريد أن يخضع للعقل والمنطق، ومن لا يريد أن يسير في طريق الطاعة لله (سبحانه وتعالى)، ومن لا يريد أن ينصف ويعدل بين الناس، فهل يُترك ليعبث ويوجد الفوضى كما يشاء؟. الأساس أنّ الناس هي التي تتقبل؛ لأنّ هذه الرسالة بنيت على أساس العقل والمنطق وجاءت بالبينات والكتاب والميزان، ولكن الذي لا يريد أن يحتكم إلى المنطق فليس له دواء إلا القوة؛ كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، فالذي يسير مستقيمًا في طريق الهداية ويحكّم عقله ويفتح قلبه لحقائق الكتاب والميزان فأهلًا وسهلًا به، وهو من سيقوم بالعدل، ولكن من لا يريد ذلك فليس له إلاّ القوة.

«وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ»: أي فيه قوة، وفيه تلويح باستخدام القوة لفرض

العدل على من لا يريد أن يعدل وينصف، ويريد أن تشيع الفوضى بين الناس. والحديد كما يبدو في رواية عن أمير المؤمنين يعني السلاح وغير ذلك، فالسيف مادته الحديد، والدرع حديد، والسهم حديد، فالأدوات القتالية هي من الحديد، سواء كانت البسيطة منها في ذلك الزمان أو المتطورة منها كما في زماننا هذا؛ مثل الدبابات والمدافع والطائرات والصواريخ، فالسلاح غالبًا ما يصنع من الحديد، وغير السلاح أيضًا، وكل مكامن القوة التي ترغم من لا يريد الانصياع للحق على أن ينصاع في هذا الاتجاه.

«فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ»: البأس الشديد فيه تلويح بالقوة من أجل فرض هذا الأمر على من لا يريد الخضوع.

لقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «الخير كله في السيف وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار»[٣٩٠]، فالذي لا يريد أن ينصاع ويلتزم فلا خيار إلاّ استخدام القوة لإقناعه بأن يسير في الطريق الصحيح، ولا يمكن لأمة أن تبعثر جهودها بسبب حاكم أو مجموعة من الناس يريدون الخروج عن القانون، لأنّ «الخير كله في السيف وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف»، فالسيف يقوّم أداء الناس المنحرفين الذين لا يريدون الخضوع للحقيقة والحق والهداية. «والسيوف مقاليد الجنة والنار» أي في السيوف يتضح الموقف.

إذن هذا منهج قرآني مهم؛ وهو أنّ الأساس أن تقتنع الناس وتؤمن وتتفاعل وتندفع مع القانون الإلهي، وهذه هو الخيار الأول، وهذا هو الحل الصحيح، ولكن إذا لم يشأ بعض الناس ذلك كالمنحرفين منهم، فيجب ألاّ نجعلهم يتمددون ويعتدون ويتجاوزون على الآخرين، وهنا يأتي دور السيف واستخدام الحديد والقوة، فهو الحل والعلاج.

«وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ»: فالحديد ليس لتصنيع السلاح واستخدام القوة فقط، بل فيه منافع كبيرة للناس أيضًا، ولو لاحظنا حياتنا فسنرى الكثير من الأُمور في حياتنا اليومية تعتمد على الحديد، وبدونه لا يمكن أن نرتب حياة منظمة؛ فقد دخل الحديد في البناء بنحو لا يمكن الاستغناء عنه في البنايات الضخمة والعمارات، وكذلك نحتاج إلى الحديد في الصناعة بحيث لا نستطيع أن نتصور مصانع بلا حديد، ودخل الحديد في الزراعة أيضًا عبر استعمال المكننة في تطوير الزراعة، ففي جميع الأدوات الزراعية نحتاج إلى

٣٩٠. الكافي ٥: ٢، ح١.

الحديد، وكذلك وسائط النقل البرية والبحرية والجوية كلها تحتاج إلى الحديد، إذن فالحديد فيه منافع كبيرة للناس، وهو يمثل عنصرًا أساسيًا لتوفير مصالح الناس.

«وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ»: فقد ألقى الله تعالى الحجة على عباده: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (٣٩١)، وأضاء لهم الطريق بالكتب والبينات والميزان ودفعهم باتجاه الحق والعدل والإنصاف، ووضع لهم مقومات وروادع وكوابح إذا ما أرادوا أن يتخلفوا، فوضع الحديد لمن يريد أن يعبث بحياة الناس، كل ذلك ليختبر الناس ويعرف من ينصاع ويسير في طريق الطاعة ويناصر الله (سبحانه وتعالى) وأنبياءه ورسله، فالدنيا دار الافتتان والاختبار، حيث يعرّض الله (سبحانه وتعالى) الإنسان إلى شدائد ومطبات ومعوقات، حتى يتبين أيّهم يسير في طريق الهداية وأيّهم يشذ وينحرف عن هذا الطريق.

الشاهد الرابع/ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ (٣٩٢).

تتحدث هذه الآيات الكريمة عن ضرورة تحقيق الإنصاف والعدل من دون ظلم وتعسف، فكما أنّ الظالم لا يحق له أن يظلم، يجب على المظلوم أن يرد الظلم عن نفسه، ولكن يجب عليه ألاّ يبالغ وألاّ يندفع اندفاعات يتحول معها من مظلوم إلى ظالم، فمثلًا لو أحرق الظالم دارك فلك أن تأخذ عوض الأضرار التي لحقت به، فإذا لم ينصع للحق فلك أن تلجأ إلى قوة القانون لأخذ حقك بالقوة، ولكن لا يحق لك أن تذهب وتذبح وتقتل لأنّه أحرق دارك، فهذا فيه نوع من الإسفاف، ولكن لك رد الظلم والدفاع عن النفس أو العرض أو المال أو الجماعة أو الوطن، بعيدًا عن التشفي والحقد والكراهية والبغضاء، فحل المشكلة وردع الظالم شيء، وأن تأخذنا حالة من التشفي والظلم للآخر شيء آخر، فهذا لا يجوز.

«وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ»: أي وقع عليهم الظلم والاعتداء فصاروا مظلومين.

«هُمْ يَنتَصِرُونَ»: أي لا يستسلمون ولا يرضخون ولا يخنعون ولا ينكسرون، فلا يجوز لمن يُظلم أن يُطأطئ رأسه ويقبل بالظلم، وعليه أن يرفض المنطق القائل إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأعطه خدك الأيسر ليصفعك، فهذا ليس مقبولًا في الرسالة الإسلامية وفي الفهم الإسلامي بحكم هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ

٣٩١. سورة الأنعام: الآية ١٤٩.
٣٩٢. سورة الشورى: الآية ٣٩ – ٤١.

الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾، أي يقفون بوجه الظالم ويضعون حدًا للعدوان ويطلبون النصرة من إخوانهم، فإذا كان المطلوب من المظلوم أن ينتصر لنفسه بإخوانه المؤمنين، فهذا يعني أيضًا أنّ المؤمنين عليهم أن ينصروا إخوانهم إذا استنصروهم، كما تشير إلى ذلك الآية الشريفة: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [٣٩٣]، أي يجب نصر المؤمن والوقوف معه إذا طلب النصرة.

إذن فالمبدأ العام هو عدم القبول بالظلم، وعدم الخنوع أمام الظالمين، ولا تردد في الدفاع عن النفس، فكيف نتعامل مع الظالمين إذا أردنا أن ندافع عن أنفسنا ونرد كيدهم إلى نحورهم ؟. هنا يبيّن الله تبارك وتعالى في الآية الأخرى ملامح الإطار العام للسلوك الإنساني في هذا الأمر، فيقول: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [٣٩٤].

«وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا»: يتضح معنى هذا المقطع القرآني من قوله تعالى في آية أُخرى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [٣٩٥]، أي يردّ الاعتداء ويصفع الظالم، فجزاء من أساء إليك وظلمك واعتدى عليك هو سيئة مثلها، وقد يقول قائل: إنّ الظالم حين يعتدي يكون ظلمه سيئة، فلماذا حين يردّ المظلوم على ظالمه نعتبره سيئة أيضًا ؟ والمفروض أن يكون جزاء السيئة حسنة، وردّ الظلم حسنة وليس سيئة، والجواب: أنّه قد يكون في هذا التعبير إشارة إلى أنّ استخدام القوة والعنف أمر غير محبذ، ولعل التعبير بـ «سيئة» يمهد للآية الآتية التي تتحدث عن العفو، فإنّ عليك أن ترد وتدافع عن نفسك إذا لم يكن هناك طريق لإيقاف الظلم إلاّ بالرد، أما إذا استطعت أن تستخدم الوسائل السلمية وتعفو وتنهي القضية من موقع القوة وليس من موقع الضعف، فذلك يكون أفضل، إذ المهم ألاّ يتجرأ الظالم ولا يشعر بأنّ الجميع في حالة من الخوف والانكسار ولا أحد يقف بوجهه فيطغى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [٣٩٦]، فحينما يشعر الإنسان بالاستغناء وبالقدرة وأنّه لا توجد أي قوة في قباله، تأخذه حالة من العزة بالإثم ويندفع أكثر، وهنا يجب أن نوقفه عند حدوده، ولكن إذا كنا في موقع القوة والاقتدار ولم نرد أن نعيد الصاع بصاع، وأردنا العفو والتسامح واحتواء وتطويق الأزمات فأهلًا وسهلًا، وهذا خيار جيد.

---

٣٩٣. سورة الأنفال: الآية ٧٢.
٣٩٤. سورة الشورى: الآية ٤٠ – ٤١.
٣٩٥. سورة البقرة: الآية ١٩٤.
٣٩٦. سورة العلق: الآية ٦ – ٧.

إذن معنى ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، أنّه حتى لو كنا في موقع الدفاع عن النفس ورددنا على من ضربنا بضربٍ مثله، فإنّ الضرب أمر سيئ وإن كنا معذورين في ذلك، فكوننا معذورين لا يجعل الضَرب أمرًا حسنًا.

والنقطة الأُخرى في معنى ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أنّ الضرب يجب أن يكون بنفس المقدار لا أكثر، فمن ضربنا مرة نضربه مرة، فحينما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في مثل هذه الأيام، أوصى لولده الإمام الحسن قائلًا: «ضربة بضربة»[٣٩٧]، لا أن يُقطّع إربًا إربًا لأنّه ضرب خليفة المسلمين. فالمراد من ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أي بقدرها من دون إسفاف أو تشفٍّ وحقد وكراهية؛ لأنّ الرد للتأديب وإنزال العقوبة وليس للتشفي.

«فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه»: إذا كان بالإمكان تطويق الأزمة وإيقاف الظلم والتعدي من خلال الاحتواء، فهو أفضل من الذهاب إلى خيارات رد الفعل؛ لأنّ رد الفعل سيستتبع ردًا وهكذا تستمر القضية، والمجتمع فيه ما فيه من إشكاليات وأخطاء ومنغصات، ولكن يبقى علينا كيف نتعامل مع أهواء وتوجهات ومشارب سياسية متعددة للمنافسين والخصوم، فمن حقنا أن نردّ على من ظلمنا بمثل ما ظلمنا، ولكن ردّ الظلم ليس كل القضية، فإذا أراد شخص أن يرد وذاك يعود ليرد على الرد وهكذا، فسوف تستمر القضية والنزاعات والخصومات، ولا نصل إلى نهاية وحسم للنزاع، ففي مثل هذه الحالات ينبغي الاعتماد على مبدأ الحوار والتفاهم والاحتواء وتطويق الأزمات واحتضان الآخر المختلف معنا، ولكن من موقع القوة والاقتدار والعفو عند المقدرة، إذ العفو عند الضعف قد يُفسّر على أنه جبن، وأننا فعلنا ذلك لأننا لا نستطيع الرد، ولكن العفو مع القدرة على الرد فيه درس بليغ ورسالة تربوية نافعة ومعالجة مهمة لحالة الاعتداء لا نحتاج معها إلى إراقة دماء وإلى مضاعفات. ولذلك فالمنهج القرآني يتلخص بالاعتماد على الوسائل السلمية في رد الظلم مهما أمكن، وحينما لا يمكن ذلك يلجأ إلى الاعتماد على وسائل القوة والشدة لإيقاف الاعتداء والطغيان.

والآية الكريمة محل البحث تقول: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، أي من أراد أن يرد فعليه أن يرد بنفس المقدار والكيفية وليس أكثر، ولكن إذا أراد ما هو أفضل من استخدام القوة، فليلجأ إلى العفو والإصلاح، ومن يعتمد على منهج العفو والصلح فقد وقع أجره على الله.

---

٣٩٧. الكامل في التاريخ ٣: ٢٩١.

وقد ذكر القرآن الكريم أمورًا محددة لها أجر محدد؛ كالسبعين والسبعمائة إلى غير ذلك من أرقام في الأجر والثواب، وذكر أمورًا ليس لها أجر محدد؛ كما في قوله تعالى هنا: «فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»، ومعناها أنّ الجزاء الذي سيحصل عليه صاحب العفو ليس له رقم محدد لكثرته، وهو دائمًا في تكاثر وازدياد، لأنّ الله تعالى هو الجواد الكريم الذي لا تنقص خزائنه لكثرة العطاء، ولا يزداد على كثرة العطاء إلا كرمًا، وعطاؤه (سبحانه وتعالى) عظيم ليس له حدود، فمعنى هذه الآية انّ أجر من وقع أجره على الله لا يعلم مقداره إلاّ الله عز وجل فقط.

لاحظوا هذه الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بيان معنى «فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»، قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان أجره على الله فليدخل الجنة، فيقال: من ذا الذي أجره على الله؟ فيقال: العافون عن الناس، فيدخلون الجنة بغير حساب»[٣٩٨]. أي كل من عمل عملًا استحق به أن يكون أجره على الله تعالى فهو يدخل الجنة مباشرة بلا حساب، وعندما يقف الناس للحساب في يوم القيامة يناديهم ملك من الملائكة: من منكم أجره على الله؟ فيسألهم الناس: ومن هم هؤلاء؟ فتجيبهم الملائكة: هؤلاء هم العافون عن الناس. فيقوم جماعة من الناس فتقول لهم الملائكة: ادخلوا الجنة بغير حساب.

إذن منهج الصفح والتسامح والعفو عن الآخرين هو المنهج الأقوم الذي دعا إليه الإسلام، كما صرحت به الكثير من النصوص القرآنية والروائية؛ منها قوله تعالى: ﴿. . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا. . .﴾[٣٩٩]، فالإسلام لا يريد منا أن نكون أناسا حقودين، ولا يريد منا أن نكون أناسا معتدين، ولا يريد منا أن نكون أناسا متشفين، بل يريد منا أن نتسامح ونعفو ونصفح عن الآخرين.

ولكن مع الأسف الشديد نرى اليوم في ساحتنا السياسية من يفسر هذا التسامح والاحتواء وتطويق الأزمات بأنّه انبطاح وضعف وجبن ومنقصة، والحقيقة أننا لسنا انبطاحيين، بل نحن متسامحون ونبحث عن حلول وتطويق للأزمات ولملمة لمكونات الشعب، ويعتقد البعض أنّ المنهج الصحيح هو أن تكسر الآخرين لتكون قويًا، ولتكون بالفعل منتميًا لشعبك ولمدرستك وتنتصر لمكونك، ولكن هذا المنهج ليس منهجًا قرآنيًا، بل المنهج القرآني يقول إنّ من اعتدى عليك فمن حقك أن ترد الاعتداء عليه

٣٩٨. بحار الأنوار ٦٨: ٤٢٥، ح٦٨.
٣٩٩. سورة الحشر: الآية ١٠.

بنفس المقدار، ولكن الأفضل أن تعفو وتصفح، وهذا هو الذي يصفي القلوب ويطهر النفوس ويخفف الحساسيات ويردم الفجوة بين أبناء الوطن الواحد ويشد الناس بعضهم تجاه بعض، ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى هذا المنهج القرآني في الاحتواء وتطويق الأزمات ومد يد المحبة والإخاء وجسور المودة تجاه الآخرين.

«إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»: يعني أن المظلوم حينما يبالغ ويتطرف في الرد يصبح ظالمًا أيضًا، والله تعالى لا يحب الظالمين، فلا تتحول من مظلوم إلى ظالم، ولا تضيع قضيتك من خلال الاعتداء على الآخرين.

ونحن اليوم بحاجة إلى تطبيق هذا المنهج في معركتنا المقدسة ضد الإرهاب الطائفي الذي تمارسه داعش والتنظيمات الإرهابية الأُخرى، وعند تحريرنا للمدن من قبضة هذه الزمر التكفيرية ينبغي توخي الحذر الشديد من استعمال العنف أو الإساءة إلى الناس الذين كانوا يرزحون تحت الاحتلال الداعشي، حتى لو كانوا من عوائل الدواعش، ويجب الاقتصاص من المتورطين بالدماء فقط، أما الناس الذين يعيشون في تلك المدن فهم مغلوبون على أمرهم، وعلى أسوأ التقادير فإنّ بعضهم متعاطف مع الدواعش، ولكن هذا التعاطف لا يكفي ليكون مبررًا لقتلهم أو الإساءة إليهم أو هدم بيوتهم أو إحراق مزارعهم، فكل هذا محرم ولا يجوز، وهنا يجب أن نكون دقيقين جدًا ولا نقول: هؤلاء قتلوا أولادنا وأهلنا، والآن دخلنا المدينة الفلانية فلنقتص منهم، فهذا خطأ فادح يحولنا من مظلومين إلى ظالمين، ويجب علينا ألاّ نرضى بذلك، وهذا ما تؤكد عليه المرجعيّة العليا بشكل مستمر، ونؤكد عليه دائمًا أيضًا.

«وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ»: أما هذا الذي يكون مظلومًا فينتصر لنفسه ويدافع عنها فهذا من حقه، وليس عليه من سبيل لمؤاخذته، وإن كان العفو والصفح أفضل بشرط ألاّ يُجرّئ الظالم أكثر على التمادي في ظلمه وطغيانه، ولا يوقفه عند حده ولا يعيد للمظلوم حقه منه.

روي عن أبي عبد الله الصادق قال: «أوحى الله (عزّ وجلّ) إلى آدم أني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات. قال: يا ربي وما هنَّ؟ قال عز وجل: واحدةٌ لي، وواحدةٌ لك، وواحدةٌ في ما بيني وبينك، وواحدةٌ في ما بينك وبين الناس. قال: يا ربي بينهنَّ لي حتى أعلمهنّ. قال (عزّ وجلّ): أما التي لي فتعبدني، لا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء، وعليَّ

الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك »[٤٠٠].

تبيّن هذه الرواية الكريمة أنّ الإنصاف هو جوهر العملية في العلاقات مع الآخرين، وأنّ المعيار هو: ما أحبه لنفسي أحبهُ للآخرين، وما أكرههُ لنفسي أكرههُ للآخرين.

وفي روايةٍ أُخرى عن أبي جعفر الباقر قال: «قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ثلاث خصال من كُنَّ فيه أو واحدةٌ منهنّ كان في ظل عرش الله، يوم لا ظلّ إلا ظله: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجلٌ لم يقدّم رِجْلًا ولم يؤخر رِجْلًا حتى يعلم أنّ ذلك لله رضا، ورجلٌ لم يعب أخاه المسلم بعيبٍ حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنه لا ينفي منها عيبًا إلاّ بدا له عيب»[٤٠١].

وورد في روايةٍ أُخرى عن عيسى بن منصور قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق أنا وابن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة، فقال ابتداءً منه: « يا ابن أبي يعفور، قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ست خصال من كنَّ فيه كان بين يدي الله عز وجل، وعن يمين الله. فقال ابن أبي يعفور: وما هنَّ جُعلتُ فداك؟ قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية. فبكى ابن أبي يعفور وقال: كيف يناصحه الولاية؟ قال: يا ابن أبي يعفور، إذا كان منه بتلك المنزلة بثهُ همّه، ففرحَ لفرحهِ إن هو فرح، وحَزنَ لحزنهِ إن هو حزن، وإن كان عنده ما يُفرّج عنه فَرّج عنهُ، وإلاّ دعا الله له. ثم قال الإمام: ثلاث لكم، وثلاث لنا، أن تعرفوا فضلنا، وأن تطؤوا عقبنا، وأن تنتظروا عاقبتنا، فمن كان هكذا كان بين يدي الله عز وجل، فيستضيء بنورهم من هو أسفل منهم، وأما الذين عن يمين الله، فلو أنهم يراهم من دونهم لم يهنئهم العيش مما يرون من فضلهم، فقال ابن أبي يعفور: وما لهم لا يُرون وهم عن يمين الله؟ فقال: يا ابن أبي يعفور، إنهم محجوبون بنور الله، أما بلغك الحديث أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان يقول: إن لله خلقا عن يمين العرش بين يدي الله وعن يمين الله وجوههم أبيض من الثلج وأضوأ من الشمس الضاحية، يسأل السائل ما هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء الذين تحابّوا في جلال الله »[٤٠٢].

---

٤٠٠. الكافي ٢: ١٤٦ ح١٣.
٤٠١. الكافي ٢: ١٤٧ ح١٦.
٤٠٢. الكافي ٢: ١٧٢ ح٩.

ومنها: ما ورد في الحكمة المروية عن أمير المؤمنين قال: «الإنصاف أفضل الفضائل»[٤٠٣].

ومنها: ما ورد في رواية أُخرى عنه قال: «الإنصاف أفضل الشيم»[٤٠٤]، أي من أفضل المروءة ألاّ تحتكر كل الخير لك، بل تتمناه للآخرين، وما لا تتمناه لنفسك، عليك ألاّ تتمناه لغيرك.

ومنها: عن رومي بن زرارة عن أبيه عن أبي جعفر الباقر قال: «قال أمير المؤمنين في كلام له: ألا إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزًا»[٤٠٥]، أي إذا أردت عز الدنيا والآخرة، فعليك أن تتمنى الخير لغيرك كما تتمناه لنفسك.

ومنها: عن أبي البلاد رفعه قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز ـ أي بركاب ـ راحلته، فقال: يا رسول الله علّمني عملًا أدخل به الجنة. فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتِه إليهم»[٤٠٦]، وهذا هو عمق الإسلام، فالدين المعاملة، فينبغي أن نتعاطى مع الآخرين كما نتمنى أن يتعاطوا معنا.

انتهينا من الحق الثلاثين والأخير من حقوق الأخوّة الإيمانية، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤٠٣. عيون الحكم والمواعظ: ٥١.
٤٠٤. غرر الحكم: الحكمة ٩٩٨٣.
٤٠٥. الكافي ٢: ١٤٤ ح٤.
٤٠٦. الكافي ٢: ١٤٦ ح١٠.

المحاضرة الأخلاقية الثانية عشرة
بتأريخ٢٠١٥/٧/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم، وجعلنا وإياكم من المرحومين في شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والغفران.

ما زلنا في الأخوة الإيمانية، وقلنا في بداية بحثنا إنّ حديثنا عن الأخوّة الإيمانية سيكون في ستة محاور،

الأوّل: تعريف الأُخوّة الإيمانية.

الثاني: أقسام الأُخوّة الإيمانية وأهميتها.

الثالث: حقوق الأُخوّة الإيمانية.

الرابع: جذور الأُخوّة الإيمانية.

الخامس: آثار الأُخوّة الإيمانية ومعطياتها.

السادس: طرق تحقيق الأُخوّة الإيمانية

وقد انتهينا في اللقاء السابق من المحور الثالث (حقوق الأخوّة الإيمانية)، ونبدأ اليوم بالحديث عن المحور الرابع

جذور الأُخوة الإيمانية

ما الذي يدفع المؤمن إلى أن يبني علاقة إيمانية مع أخيه المؤمن؟ وما هي جذور هذه الأُخوّة؟. من الممكن أن نذكر العديد من هذه الدوافع، وهي دوافع في نفس **الإنسان تدفعه إلى أن يتخذ من أخيه المؤمن أخًا وصديقًا ووليًا، وهذه الدوافع هي:**

إن هذا الدافع هو الحصول على النتائج والمعطيات المترتبة على هذه الأُخوّة، سواء كانت هذه المعطيات دنيوية أو أُخروية، وقد اتضح لنا بعد استعراض حقوق الإخوان وما ورد في فضل الأُخوّة وما استعرضناه من الآيات والروايات الشريفة، حجم المعطيات العظيمة والنتائج الكبيرة التي تترتب على هذه العلاقة الإيمانية وعلى هذه الأُخوّة الإيمانية، فهناك معطيات كبيرة في الجانب الدنيوي، وهناك معطيات في الجانب الأُخروي أيضًا، وهذا يدفع الإنسان إلى أن يبني علاقة أخوية مع أخيه المؤمن ويفي بهذه الحقوق والالتزامات، ليحصل على تلك الفوائد الدنيوية والأُخروية العظيمة.

وقد تبيّن لنا أنّ الله (سبحانه وتعالى) يحفز ويشجع ويدفع المؤمنين ليكونوا إخوة بعضهم مع بعض، فالحصول على رضا الله (سبحانه وتعالى)، مع قطع النظر عن المعطيات المادية أو المعنوية، الدنيوية أو الأُخروية، في هذه العلاقة، يكون دافعًا للبعض في بناء هذه الأُخوّة.

المؤمن فطرته سليمة، والأخ المؤمن أيضًا يتمتع بفطرة سليمة، وهذه السنخية الروحية والمواءمة النفسية والروحية وتلاقي وتلاقح الأرواح مع بعضها تولد الانسجام والتفاعل الوجداني الذي يجده المؤمن تجاه أخيه المؤمن، وهذا يدفع المؤمنين أيضًا إلى أن يقتربوا من بعضهم، فالطيور على أشكالها تقع، كما ورد في المثل المعروف، فالسنخية والانشداد الروحي والانسجام العاطفي والمشاعري هي التي تدفع المؤمنين بعضهم باتجاه بعض بحكم الفطرة التي أودعها الله (سبحانه وتعالى) فيهم.

وقد ورد عن الإمام الصادق أنه قال: «الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام كما تتشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولو أنّ مؤمنًا جاء إلى مسجد فيه أناس كثير ليس فيهم إلاّ مؤمن واحد لمالت روحه إلى ذلك المؤمن حتى يجلس إليه»[٤٠٧]، أي أنّ الأرواح جنود الله تعالى، جنّدها وعبّأها، وهي تلتقي مع بعضها فيشم بعضها بعضًا كما تشم الخيل بعضها بعضًا، تعبيرًا عن المحبة بينها.

٤٠٧. بحار الأنوار ٧١: ٢٧٣، ح١٦.

. وفي هذه الرواية الشريفة استعار الإمام الصادق هذه الصورة ليشبّه بها تلاقي أرواح المؤمنين، فالروح تبحث عما ينسجم مع سنخها وسياقاتها ومبادئها وتوجهاتها، وهذه السنخية الروحية تولد حالة التشام، ولعلنا تحدثنا في لقاءات سابقة عن هذا الموضوع، وقلنا إن هناك أرواحًا تتلاقى مع بعضها دون سابق إنذار، فبمجرد رؤية رجل في شارع أو في مسجد أو في برنامج أو في مكان ما نقبل عليه نفسيًا، مع أننا لم نره سابقًا ولم نعرف حتى اسمه ولا من أين هو، ولا نملك أي معلومة وأي خلفيات عنه، ولكن ما إن يقع نظرنا عليه حتى نجد روحنا منجذبة نحوه، والعكس صحيح؛ فقد نرى رجلًا فننكمش منه مع أنّه لم يؤذنا ولم يتكلم معنا ولا نعرف من هو، فلم نره من قبل، بل قد لا نراه بشكل مباشر؛ كما لو رأينا صورته على مجلة أو على شاشة تلفاز، فلماذا نرتاح للأول ولا نرتاح للثاني؟ ليس هناك تفسير مادي لهذه الحالة، لأنّنا لم نحتك بهما، مع أنّ هذا الشخص الذي لم نرتح له قد يكون وسيمًا والشخص الآخر ليس كذلك، ومع ذلك تقبل روحنا عليه. وهذا التوافق والانسجام والارتياح النفسي يعبّر عنه الإمام الصادق بالتشام. فما تعارف من هذه الأرواح ائتلف وانسجم وكانت هناك حالة توأمة بين هذه الأرواح المتعارفة مع بعضها، التي تدفعها الفطرة نحو بعضها، والتي توجد سنخية في ما بينها، وما تناكر من هذه الأرواح اختلف وتناكر وتنافر، وحينما يكون هناك اختلاف فلا يوجد تقارب ولا تلاؤم، ولا تستطيع الاقتراب من بعضها مهما حاولت ذلك، إذ تجد تنافرًا وتناكرًا نفسيًا ولا تجد تفاعلًا مع بعضها، لعدم وجود سنخية بينها. وهذا التنافر أو التعارف بين الأرواح هو أمر من الله (سبحانه وتعالى)، ونحن نسبناه إلى عالم الذر، كما ورد ذلك في رواية سابقة.

ثم يبيّن الإمام الصادق قوّة تعارف الأرواح بينها فيقول: لو أنّ مؤمنًا جاء إلى مسجد مملوء بالناس وهو لا يعرف أهل ذلك المسجد، وليس فيهم إلا مؤمن واحد، كما لو نزل مدينة في الطريق في أثناء السفر، لمالت روحه إلى ذلك المؤمن وتعرف عليه ولم يرتح حتى يجلس إليه، فالمؤمن ينجذب إلى المؤمن بمجرد أن يراه وإن لم يعرفه سابقًا.

وروى الشيخ الكليني في كتاب الكافي الشريف عن أبي بصير قال: «سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إذا اشتكى شيئًا منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشد اتصالًا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[٤٠٨].

٤٠٨. الكافي ٢: ١٦٦، ح٤.

يبيّن الإمام الصادق في هذه الرواية المباركة حجم العلاقة بين المؤمنين، ويشبهها بالعلاقة بين أعضاء الجسد الواحد، وهي علاقة مترابطة وقوية، بحيث لو أُصيب أحد أعضاء البدن بأذى فإنّ سائر الأعضاء تشاركه في تحمل ذلك الألم، وتتأذى لأذاه، فلو آلم الإنسان أظفره مثلاً فإنه سيرى كل جسمه في استنفار ولا راحة عنده، بينما كان في أيام عافيته لا يحس بمثل هذا الترابط، فهو حينما ينام يغمض عينيه ولا علاقة له بإظفره ولا بأي جزء آخر من جسمه، وكذا لو أصابه ألم في أحد أضراسه فإنّ جسمه كله يكون مستنفرًا ولا يستطيع أي عضو من أعضائه أن يرتاح، فلا يمكن له التفكيك بين عضو وآخر ويقول هذه اليد سليمة والأخرى مكسورة فلتنم الأُولى لترتاح، لأنّ الجسم كله لن يرتاح وليس العضو المصاب فقط، وهكذا المؤمنون فهم كالجسد الواحد، لشدة العلاقة الوثيقة بينهم، فإذا تعرض أي واحد منهم إلى مكروه تألم الآخرون لألمه، ووجدوا ألم ذلك المؤمن في صدورهم؛ لأنّ أرواحهم من روح واحدة وطينتهم واحدة يتأثر بعضها ببعض، وكثيرًا ما يحس المؤمن بضيق في صدره في وقت من الأوقات من غير أن يعرف لذلك سببًا، ثم يطّلع أنّ أحد إخوانه المؤمنين قد تعرض في تلك الساعة لمكروه أحزنه، وهكذا سرى ذلك الهمُّ إلى صدور إخوانه المؤمنين بسبب العلاقة الوثيقة التي تربط أرواحهم.

وكثيرًا ما نرى هذا الأمر بين الأم وولدها بسبب العلاقة الوثيقة التي تربطها به، فإذا تعرض لمكروه كما لو سقط شهيدًا في ساحة المعركة، ففي نفس اللحظة تشعر الأم بشعور غريب وتدرك أنّ هناك شيئًا ما حصل لولدها فتقلق عليه، ويكون بالفعل في تلك اللحظة قد أصيب بمكروه أو حدثت له مشكلة. وهذه العلاقة بين المؤمنين تصل إلى مثل هذه العلاقة بين الأم وولدها في الإحساس بما يتعرض له بعضهم من مشاكل، فيتنبهون لها ويتفاعلون معها ويسارعون في الاستفسار عنها والسعي لدفعها.

ثم يوضح الإمام الصادق شدة اتصال روح المؤمن بالله تبارك وتعالى ويصفها بأنها أشد اتصالاً من شعاع الشمس بالشمس، فهو لا ينفك عنها أبدًا، فكذلك روح المؤمن لا يمكن أن تنفك عن الله تبارك وتعالى، وهي مرتبطة به ارتباطًا وثيقًا جدًا، وإذا ما كانت أرواح المؤمنين متصلة بروح الله تعالى هذا الاتصال الوثيق، فمعنى ذلك أن كل ما يتعرض له المؤمن هو بعين الله (سبحانه وتعالى)، وهو القادر على رفع كل مكروه عنه حين حدوثه، بل يدفعه عنه قبل أن يتعرض له إذا شاء ذلك، كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّا

لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٤٠٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّه يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٤١٠].

وفي الدعاء المروي عن الإمام المهدي (صلوات الله وسلامه عليه): «اللهم إن شيعتنا منا، خُلقوا من فاضل طينتنا»[٤١١]، فطينة أهل البيت كانت منشأ لخلقة أتباعهم ومواليهم لكي تتآلف أرواحهم مع أرواح أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤٠٩. سورة غافر: الآية ٥١.
٤١٠. سورة الحج: الآية ٣٨.
٤١١. بحار الأنوار ٥٣: ٣٠٣.

المحاضرة الأخلاقية الثالثة عشرة
بتأريخ٢٠١٥/٧/٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم، وجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل.

نتواصل بالحديث عن الإخوّة الإيمانية، وقد انتهينا في اللقاء السابق من المحور الرابع، وهو(جذور الإخوّة الإيمانية، ننتقل اليوم إلى المحور الخامس.

آثار الأُخوّة الإيمانية ومعطياتها

إنّ الأُخوّة الإيمانية، كما تبين من خلال مئات الآيات والروايات التي مرت علينا، لها آثار عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، وهذه الآثار تشمل من يبادر لبناء هذه العلاقة ومن يستجيب لها وللمجتمع الذي تكون فيه علاقات إيمانية واسعة، ففي كل علاقة هناك مبادر؛ وهو من يبني هذه العلاقة وينفتح على الآخر ويخطو خطوة باتجاهه، وهناك من يتقبل ويستجيب لهذه الخطوة، وهناك المجتمع الذي يستفيد ويستثمر مثل هذه العلاقة.

ولا شكَّ في أنّ مجتمعًا فيه علاقات على مستوى الأُخوّة الإيمانية، وفيه صداقات على أساس الإيمان والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، هو مجتمع يسير نحو الكمال ويقترب من الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأنّ منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه واسع وواضح ومتجذر، ولأنّ مكارم الأخلاق تطبق فيه، وهناك رقابة اجتماعية عامة ما دام المؤمنون متواصلين مع بعضهم ولا يسمحون بوجود خروقات وإساءات واعتداءات على الحرمات وعلى الأحكام الشرعية وما شابه ذلك، ولذلك

فإنّ وجود منظومة من العلاقات الإيمانية يساعد على دفع المجتمع باتجاه التكامل، والمجتمع السائر نحو الكمال والعبودية لله (سبحانه وتعالى) مجتمع يحظى برضا الله (سبحانه وتعالى) ومحبته ولطفه، فينزل رحمته على الأفراد والمجتمع. وفي الاتجاه الآخر تجدون علاقات منفتحة ومنفلتة بلا ضوابط ولا حرمات، وتصل إلى حد علاقة الجنس مع نظيره، ونرى دولًا تفتخر بذلك ويعتبرونه مظهرًا من مظاهر التقدم والتطور والمساواة، ويشرعون قوانين لحماية العلاقات غير المشروعة بين أفراد الجنس الواحد، بل يمتد الأمر إلى ما هو أسوأ من ذلك؛ عندما يقننون لعلاقات البشر مع الحيوانات، ونراهم يحتفلون ويباركون لمن وصل إلى هذه الدرجة من الانحطاط الخلقي.

أين هذه العلاقات المنفلتة التي لا تراعي أي قيمة إنسانية أو رسالية أو سماوية، من علاقات المؤمنين المبنية على أساس التقوى والورع ومخافة الله والعهود والموازين الشرعية؟ ولذلك فإنّ مجتمعًا من هذا النوع يسير نحو الكمال، يحظى برحمة الله سبحانه ومحبته ورضاه، وكذلك فإنّ الله (سبحانه وتعالى) بفضله ولطفه حينما يجد الناس يحب بعضهم بعضًا على أساس الحق والعدل والإيمان يعفو عنهم ويتجاوز عن تقصيرهم، فيندفع هذا المجتمع باتجاهات صالحة.

روي عن الإمام الحسن العسكري (صلوات الله وسلامه عليه) في قول الله عز وجل في سورة الحمد: ﴿اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ. . ﴾، أنه قال: «أي قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك. . . . وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة فلم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حق إلاّ جعل الله عز وجل نفسه تسبيحا وزكى عمله. . . »[٤١٢].

نحن نقرأ يوميًا سورة الفاتحة المباركة عشر مرات في الصلوات المفروضة فقط، ولا بُدَّ من أن نتساءل من هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ونطلب من الله تبارك وتعالى الاقتداء بصراطهم؟ ومع أنّ جزءًا من هذه الرواية لا علاقة له بالموضوع، ولكن بما أنّنا نقرأ هذه السورة دائمًا في الصلوات، فمن المهم أن نعرف من هم الذين أنعم الله عليهم، والذين نطلب من الله أن نسير على هديهم وصراطهم.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾: إنّ نِعَم الله تعالى متنوعة، فقد ينعم الله على الإنسان بمال، وقد ينعم عليه بوجاهة، وقد ينعم عليه بصحة في البدن، فهل نحن حينما نقول ﴿اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾، أي أنعمت عليهم

٤١٢. بحار الأنوار ٢٤: ١٠ ح٢.

بمال، ونطلب من الله سبحانه أن نسير خلف أصحاب الأموال؟ أهكذا نطلب من الله في صلواتنا؟ أم نقصد الذين أنعم الله تعالى عليهم بالصحة ونطلب منه سبحانه أن نسير خلف أُناس غير مرضى؟. إمامنا العسكري يقول: إنّ معنى ﴿اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾، أي أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، فهؤلاء الذين وفقتهم لنعمة الإيمان والطاعة والعبادة هم الذين نطلب أن نسير خلفهم، وإلاّ فالمال مال الله يعطيه للبر والفاجر، وينعم بالصحة على الكافر والمؤمن.

«وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة فلم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حق إلاّ جعل الله عز وجل نَفَسَه تسبيحًا وزكى عمله»: فالمداراة أمر مطلوب، ولكنها المداراة المشروطة بأن لا تدخل الإنسان في باطل ولا تخرجه من حق، فينبغي ألاّ تكون المداراة على حساب الحق، فلا يقولنّ أحد: أخشى أن يغضب صديقي، لذلك سأذهب معه للمكان المحرم، أو يقول: أخشى أن يغضب إن قلت له إن هذه غيبة أو نميمة، ولأستمع إلى جميع ما يقوله بدون اعتراض، فهذه المداراة للباطل تبعدنا عن الحق، وهذه في الحقيقة ليست مداراة، بل هي انبطاح وخنوع وأزمة ثقة بالنفس، يصبح معها الإنسان كالحرباء؛ يتعامل مع كل إنسان بما يهوى، فيقول مثلًا: ما دمت أخرج مع أصدقائي وهم شباب غير ملتزمين فلأحلق لحيتي وألبس كما يلبسون وأُغيّر تسريحة شعري والله كريم، وعند الظهر أختبئ عنهم وأصلي صلاتي. إنّ من يفعل ذلك سيضيع، لأنّه لا معنى لأن تحترم من لا يحترمك ولا يحترم هويتك ولا يحترم تدينك، فلماذا تحترم عدم التزامه ؟.

هناك آثار دنيوية لبعض هذه الحقوق، وهناك آثار أُخروية لبعضها الآخر، وهناك آثار دنيوية وأُخروية معا لصنف منها. وهو ما سنسعى بإذن الله تعالى إلى أن نستعرضه في الآيات والروايات لنجد الآثار الخاصة التي سجلت لبعض هذه الحقوق الإيمانية.

هناك جملة من الآثار الدنيوية والأُخروية تترتب على التزاور بين المؤمنين، نحاول أن نستعرضها في ما يلي:

هناك آثار دنيوية للتزاور نذكر بعضًا منها:

أولًا: إحياء القلوب

بما أنّ العلاقة الإيمانية، أي العلاقة بين المؤمنين، قائمة على أساس الإيمان، فهي تقوّي الحالة الإيمانية بين الأخوين المتآخيين، وحينما يقوى الإيمان فمن الطبيعي أن

يحيي القلب؛ لأنّ حياة القلوب بالإيمان وبذكر الله (سبحانه وتعالى) . لاحظوا ما ورد في كتاب الكافي الشريف عن الإمام الصادق قال: «تزاوروا، فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم»[٤١٣].

ثانيًا: زيادة المعارف الإيمانية

إنّ أحاديث المؤمنين كلها موعظة وعلم، وعندما يجلس الأخ المؤمن مع أخيه المؤمن، فإما أن يضيف له معلومة، أو يستفيد منه معلومة، ففي تزاورهم هناك دائمًا معرفة وعلم، وهذه من الآثار المعنوية الدنيوية للعلاقة الإيمانية.

وقد ورد في تتمة الرواية السابقة: «وذكرًا لأحاديثنا، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»، أي أنّ الالتزام بما جاءت به روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هو طريق النجاة والخلاص.

في رواية أُخرى عن خيثمة قال: قال لي أبو جعفر الباقر: ««تزاوروا في بيوتكم، فإنّ في ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبدًا أحيا أمرنا»[٤١٤].

وفي رواية أُخرى عن السيد عبد العظيم الحسني عن أبي الحسن الرضا (صلوات الله وسلامه عليه)، أنه قال له: «يا عبد العظيم أبلغ عني أوليائي السلام، وقل لهم ألاّ يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلًا . . . إلى أن يقول: والمزاورة فإنّ ذلك قربة إليّ»[٤١٥].

ثالثًا: تنمية العقل والفكر

عندما تزخر مجالس المؤمنين بالموعظة والفكر، فسينتج عنها رشد فكري ونضج عقلي عند الإنسان، نتيجة المخالطة والتعايش والتزاور مع المؤمنين، فقد ورد عن السيد عبد العظيم الحسني أيضًا عن أبي جعفر الثاني الإمام الجواد (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «ملاقاة الإخوان نشرة وتلقيح العقل وإن كان نزرًا قليلًا»[٤١٦].

٤١٣. الكافي ٢: ١٨٦ ح٢.
٤١٤. بحار الأنوار ٧١: ٣٥٢ ح٢١.
٤١٥. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٠ ح٢٧.
٤١٦. بحار الأنوار ٧١: ٣٥٣ ح٢٦.

رابعًا : المحبة والمودّة بين المؤمنين

من الطبيعي أنّ تعمّق الزيارة أواصر المحبة الإيمانية بين المؤمنين، كما ورد ذلك في رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الزيارة تثبت المودّة »[٤١٧]. وورد عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «زُر غبًا تزدد حبًا »[٤١٨]، يعني متناوبًا. وورد أيضًا في هذا المعنى ما روي في هذه الأبيات المنسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

إذا شئتَ أنْ تُقلى فزُرْ متواترًا وإنْ شئتَ أنْ تزداد حبًّا فزُرْ غبّا

منادمة الإنسان يحسنُ مرةً وإنْ أكثروا إدمانها أفسد الحُبّا [٤١٩]

خامسًا : السعادة والراحة

لا شكَّ أنّ في لقاء المؤمن لأخيه المؤمن سعادة؛ لأنّ اللقاء الإيماني يبعد حالة التشويش والاضطراب والقلق، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٤٢٠]، والمؤمن تفوح منه رائحة الإيمان والتدين وذكر الله (سبحانه وتعالى) دائمًا، فيزيل الهم والغم، فالمؤمن يورث السعادة، وأُخوّة المؤمن وزيارته فيهما للقلب سعادة وفرحة، وقد ورد هذا المعنى في ما رواه عمر بن يزيد قال: قال الإمام الصادق : « لكل شيء شيء يستريح إليه، وإن المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله »[٤٢١]، ولذا يجب أن تكون الأخوّة مع المؤمن أُخوّة إيمانية، لأنهما من سنخية واحدة، فإذا أنت أنست بغير المؤمن فعليك أن تشك في إيمانك.

هذه هي الآثار الدنيوية للتزاور، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٤١٧. مستدرك الوسائل ١٠ : ٣٧٤ ح٩.
٤١٨. مستدرك الوسائل ١٠ : ٣٧٤ ح٩.
٤١٩. الديوان المنسوب للإمام علي: ٨٦ الرقم ٤٣.
٤٢٠. سورة الرعد: الآية ٢٨.
٤٢١. بحار الأنوار ٧١: ٣٥٥ ح ٣٠.

المحاضرة الأخلاقية الرابعة عشرة
بتأريخ٢٠١٥/٧/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كنا نتحدث عن المحور الخامس من موضوع الأخوّة الإيمانية، وهوالآثار المترتبة عليها، وقد ذكرنا في اللقاء السابق الآثار الدنيوية للتزاور بين المؤمنين، واليوم نذكر الآثار الأخروية.

هناك مجموعة من الآثار الأُخروية للتزاور نذكرها في ما يلي:

أولًا: التزاور يثبت الحسنات ويمحو السيئات

ورد في كتاب الكافي الشريف عن الإمام أبي جعفر الباقر والإمام أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ قالا: «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفًا بحقه، كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، وإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبديّ تزاورا وتحابّا فيّ، حق عليّ ألاّ أعذبهما في النار»[٤٢٢].

رويت هذه الرواية المباركة عن الإمامين الباقر والصادق عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ لما فيها من بشارة عظيمة للمؤمنين المتحابين في الله عز وجل، وتأكيدًا على أهمية التزاور بينهم.

«أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره»: تشير هذه الفقرة إلى أنّ المضمون الذي سيرد

٤٢٢. الكافي ٢: ١٨٣، ح١.

فيها هو لمن خرج من بيته قاصدًا زيارة أخيه المؤمن، ولا يشمل من التقى به وهو سائر في الطريق أو في مكان ما من غير أن يتضمن خروجه من منزله بقصد زيارته. وهذا هو القيد الأول للتزاور بين المؤمنين.

«عارفًا بحقه»: وتتضمن هذه الفقرة القيد الثاني للتزاور؛ وهو أن يكون المؤمن عارفًا بحق أخيه المؤمن، ومن جملة ذلك تفقد أحواله، لا مجرد زيارته كما يزور أي شخص آخر، لقضاء الوقت مثلًا أو لتداول الحديث حول الأوضاع السياسية في البلد، أي المطلوب هو العلاقة الواعية المبنية على فهم أنّه مؤمن، وأنّ له حقوقًا، وأن الذهاب لزيارته لإكرامه وللاطلاع على أحواله جزء من هذه الحقوق.

«كتب الله له»: فإذا وُجِد هذان الشرطان في زيارة المؤمن لأخيه المؤمن ترتب على هذه الزيارة ثلاثة آثار:

«بكل خطوة حسنة»: هذا هو الأثر الأول، ففي كل خطوة يخطوها حسنة، وكلما طالت المسافة ازدادت الحسنات، فيكون بُعد الطريق غنيمة لمن يطلب الثواب.

«ومُحيت عنه سيئة»: هذا هو الأثر الثاني، ففي كل خطوة تُمحى عن السائر لزيارة أخيه المؤمن سيئة، وكلما بعدت الشقة تضاعف عدد ما يُمحى من الذنوب.

«ورُفعت له درجة»: هذا هو الأثر الثالث، ففي كل خطوة يرفعه الله تعالى درجة في الإيمان ويقربه إليه.

«وإذا طرق الباب»: فإذا وصل إلى باب دار أخيه المؤمن فقد حصل على الثواب المتقدّم بأجمعه، وإن عدل عن نيته ورجع عن قصده لأمر ما، فإذا طرق الباب فهنا يحصل على مكرمة جديدة وهي:

«فُتحت له أبواب السماء»: قبل أن يفتح الأخ المؤمن باب داره يفتح الله تبارك وتعالى أبواب السماء باستجابة الدعوات ونزول الرحمات والفيوضات لهذا المؤمن الزائر.

«فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه»: فإن وجده في الدار وخرج لاستقباله وتصافحا وتعانقا، أقبل الله تعالى عليهما بوجهه الكريم في لحظة المعانقة والمصافحة وتبادل التحية، ومن أقبل الله تعالى عليه بوجهه فقد ألبسه ثوب العزة والكرامة وكان عنده وجيهًا.

«ثم باهى بهما الملائكة»: ولا يكتفي الله (سبحانه وتعالى) بهذا التكريم لهما، بل يفتخر بهما أمام الملائكة، تعريضًا لهم بما قالوه: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٤٢٣].

ثانيا: العتق من النار

من الآثار الأُخروية للتزاور هو العتق من النار، أي أنّ التزاور بين المؤمنين يؤدي إلى العتق من النار كما يعتق العبد من العبودية ويذوق حلاوة الحرية، فقد ورد في تتمة الرواية السابقة قوله: «فيقول: انظروا إلى عبديّ تزاورا وتحابّا فيّ، حق عليّ ألاّ أعذبهما في النار». وهذه كرامة ما بعدها كرامة لهؤلاء الذين يتحابون في الله ومن أجل الله وقربة إلى الله، فكيف يمكن أن يعذبهم الله؟ بل يكتب لهم العفو والصفح والعتق من النار.

ثالثا: الفوز بالجنة

ومن الآثار الأُخروية أيضًا للتزاور هو الفوز بالجنة، فقد ورد في كتاب الكافي في باب زيارة الإخوان عن أبي عبد الله قال: «من زار أخاه لله لا لغيره، التماس موعد الله، وتنجّز ما عند الله، وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنة»[٤٢٤]، أي من كان هدفه ودافعه لزيارة أخيه المؤمن هو الله (سبحانه وتعالى)، رغبة بما وعد من الثواب الجزيل وطمعًا بالعطاء الإلهي، وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك ينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة، فكل هذا العدد من الملائكة هم من أمرهم الله تبارك وتعالى بأن يحملوا البشارة لمن زار أخاه قربة إلى الله تعالى، وهذه ليست من المبالغات، بل هو كلام الله تعالى ورسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأهل البيت المعصومين عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، وهو كلام محسوب. فاعرفوا هذا التزاور وما يُبنى عليه من بناء اجتماعي أصيل بين المؤمنين، وأي أثر عظيم يترتب عليه.

وورد في بحار الأنوار عن أبي عبد الله أيضًا: «ما زار مسلم أخاه المسلم في الله ولله إلاّ ناداه الله تبارك وتعالى: أيها الزائر طبت وطابت لك الجنة»[٤٢٥]. إذا كان الملائكة هم الذين ينادون المؤمن في الحديث السابق ويبشرونه بالجنة، ففي هذه الرواية أنّ الله تبارك وتعالى بنفسه هو الذي ينادي المؤمن ويبشره بالجنة.

---

٤٢٣. سورة البقرة: الآية ٣٠.
٤٢٤. الكافي ٢: ١٧٥، ح١.
٤٢٥. بحار الأنوار ٧١: ٣٥٠، ح١٧.

ويبدو من بعض الروايات أنّ الجنة التي يجري الحديث عنها في الأُخوّة الإيمانية لها مقام يختلف عن مقام الجنة التي يدخلها الآخرون، لاحظوا هذه الرواية في بحار الأنوار أيضًا عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: «لله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله عز وجل»[٤٢٦].

يتحدث الإمام الباقر في هذه الرواية المباركة عن وجود جنة خاصة لا يدخلها إلا ثلاثة أصناف من المؤمنين، يتميزون بعمل يفوق أعمال غيرهم من أهل الجنة، وهم:

الصنف الأول: رجل حكم نفسه بالحق، وهو مقام رفيع لا يحظى به إلاّ الأوحدي من الناس، فمن الصعب جدًا أن ينظم الإنسان إيقاعات سلوكه على أساس الحق، فيحكم بالحق على نفسه ولو كان في ذلك ضرر له، وينصف الآخرين من نفسه، ويعطي الحق لأصحابه وإن ألحق الضرر بنفسه، والرجل الذي يعمل ويحكم على أساس الحق نسميه رجلًا حقانيًا، فنقول: هذا حقاني ليس له «صاحب صديق»، فهو يشهد بالحق ويقول الحق ولو على نفسه أو أقرب الناس إليه، وهذا يدخل المقام الخاص من مقامات الجنة.

الصنف الثاني: رجل زار أخاه المؤمن في الله، فهذا أيضًا له مقام خاص في الجنة، وهو موضع الشاهد.

الصنف الثالث: رجل آثر أخاه المؤمن في الله عز وجل، فقدّم أخاه على نفسه، كما لو سنحت فرصة للحج فيقول: أنا ذهبت مرة للحج وأخي لم يذهب، فيمنح هذه الفرصة له، وهكذا هو في جميع شؤون الحياة يؤثر الآخرين على نفسه، وهذه صفة أخلاقية عظيمة، ومثل هذا ممن يؤثرون على أنفسهم، يعطيهم الله تعالى هذه المنزلة الخاصة في الجنة.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: النبي في الجنة، والصدّيق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله»[٤٢٧].

يُفهم من هذا الحديث الشريف وغيره من الأحاديث النبوية أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

٤٢٦. بحار الأنوار ٧١: ٣٥٢، ح٢٤.
٤٢٧. مجمع الزوائد ٨: ١٧٤.

عندما كان يجلس في مجلس، كان يبادر إلى الكلام في تعليمهم ثقافة الإسلام إن أحجموا عن السؤال ولاذوا بالصمت هيبة له، وهنا يبادر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أصحابه بالحديث، وذلك بأن يستأذنهم أولًا في بيان أي منهم يدخل الجنة، وهو يفصح عن قمة الأدب في الخطاب، فهو لا يفرض عليهم موضوع الحديث، وإنما يقترح عليهم ذلك اقتراحًا، فإن وافقوه تكلّم، وهذا كان ديدنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إن سألوه أجابهم وإن سكتوا ابتدأهم.

ثم بيّن صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من يدخل الجنة من المسلمين وهم ثلاثة، أولهم النبي، ويعني به نفسه المقدسة، وذلك مما لا يشك فيه أحد. والثاني هو الصدّيق، والمقصود به كثير الصدق، ومن هنا تتضح أهمية قضية الصدق. والثالث: الرجل يزور أخاه في ناحية المصر، وهو موضع الشاهد، والمراد به من يسكن في أطراف المدينة بنحو يتحمل زائره بعض المشقة في الوصول إليه، لأنه أحيانًا تكون دار الأخ المؤمن قريبة من دار أخيه المؤمن فلا يتحمل أي مشقة وعناء في زيارته، وهذا له ثوابه ولكن لا يدخل بسبب هذا العمل فقط، واشترط رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن تكون هذه الزيارة خالصة لوجه الله تعالى وليست فيها أي شائبة من شوائب الدنيا، وليس عنده أي غرض آخر سوى القرب من الله (سبحانه وتعالى)، فلا يكون طامعًا بماله أو جاهه أو زاره ليحل له مشكلة من المشاكل، فمثل هذا المؤمن يستحق أن يدخل الجنة بسبب زيارته لأخيه المؤمن.

وهنا نلاحظ تأكيدًا كبيرًا على الدوافع الإلهية لزيارة المؤمن أخاه المؤمن في الله، وأن يكون عارفًا بحقه، فهذا الدافع الإلهي مهم جدًا في الحصول على هذه المقامات الرفيعة، وهناك عباد لله مخلصون صالحون بعيدون عن هذه الأضواء، لا مال عندهم فيطمع فيه طامع، ولا جاه عندهم فيقصدهم القاصدون لقضاء حوائجهم، ولا يستطيعون أن يعملوا لأحد أمرًا دنيويًا، ولكنهم رجال آية في الصلاح والتقى والورع، فزيارة هذا النمط من الناس والتواصل معهم وزيارتهم لله (سبحانه وتعالى) له أجر عظيم.

وورد في كتاب الكافي عن أبي عبد الله قال: «من زار أخاه في الله قال الله عز وجل: إياي زرت، وثوابك عليّ، ولست أرضى لك ثوابًا دون الجنة»[٤٢٨].

٤٢٨. الكافي ٢: ١٧٦، ح٤.

يؤكد الإمام الصادق في هذه الرواية المباركة ما تضمنته الأحاديث السابقة، وهي تشمل ثلاث نقاط، هي:

الأُولى: أن تكون نية الزيارة خالصة لوجه الله تعالى من دون أي شائبة دنيوية.

الثانية: إنّ زيارة المؤمن لأخيه المؤمن هي بمثابة زيارة الله تبارك وتعالى في عرشه.

الثالثة: إن من زار أخاه المؤمن كان ثوابه على الله تعالى، وهو سبحانه لا يرضى غير الجنة ثوابًا لهذا العمل.

كانت هذه بعض الآثار الدنيوية والأُخروية للتزاور، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية الخامسة عشرة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

بعد أن انتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن الآثار الدنيوية والأخروية للتزاور بين المؤمنين، نتحدث اليوم عن الآثار الدنيوية والأخروية لعيادة المريض.

لقد تحدثنا في هذا الحق طويلًا، أما الآثار الدنيوية والأُخروية لعيادة المريض، فهي:

الأثر الأول: استجابة دعاء المريض بحق الزائر

حينما يذهب المؤمن لزيارة أخيه المؤمن المريض فيدعو له، فإنّ الله عز وجل يستجيب له دعاءه في حق أخيه الزائر، ولذا لا ينبغي للمؤمن المريض عندما يزوره أخوه المؤمن أن يغفل أو ينشغل عن الدعاء له، بل يكثر من الدعاء له لأنها فرصة لقضاء حوائجهم الدنيوية والدينية.

فقد ورد في كتاب وسائل الشيعة عن الإمام أبي جعفر الباقر (سلام الله عليه) قال: «من عاد مريضًا في الله لم يسأل المريض للعائد شيئًا إلا استجاب الله له»[٤٢٩].

وورد في كتاب الكافي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (سلام الله عليه) قال: «إذا

٤٢٩. وسائل الشيعة ٢: ٤٢٠، ح٣.

دخل أحدكم على أخيه عائدًا له فليسأله يدعو له، فإن دعاءه مثل دعاء الملائكة»[٤٣٠] كما أن دعاء الملائكة لا يُرد، فكذلك دعاء المريض بحق زائره وعائده لا يُرد.

الأثر الثاني: قضاء الحوائج

إنّ الله تبارك وتعالى يقضي حاجة المؤمن عند عيادة أخيه المؤمن المريض، فقد ورد في كتاب بحار الأنوار عن الإمام الكاظم عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ـ وهذه الرواية من روايات السلسلة الذهبية التي يرويها إمام عن إمام عن رسول الله ـ قال: «يعيّر الله عز وجلَّ عبدًا من عباده يوم القيامة فيقول: عبدي ما منعك إذ مرضت أن تعودني؟ فيقول هذا العبد: سبحانك سبحانك أنت رب العباد لا تألم ولا تمرض، فيقول الله (سبحانه وتعالى): مرض أخوك المؤمن فلم تعده، وعزتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده، ثم لتكفلت بحوائجك فقضيتها لك، وذلك من كرامة عبدي المؤمن، وأنا الرحمن الرحيم»[٤٣١].

تضمن هذا الحديث الشريف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نقاطًا مهمة:

الأُولى: التعبير بـ «يعيّر الله عز وجل عبدًا من عباده يوم القيامة»، وهو تعبير عجيب من رسول الله، فهي كلمة مأخوذة من العار، أي من العار على المؤمن ألاّ يزور أخاه المؤمن عند مرضه، وهو موقف يُعاتب عليه يوم القيامة عتابًا شديدًا.

الثانية: أنّ الله تعالى يجعل مرض عبده المؤمن بمثابة مرضه، وعيادته في أثناء مرضه بمثابة عيادة له.

الثالثة: أنّ الله تبارك وتعالى يقسم بعزته وجلاله أنّه موجود عند عبده المؤمن في أثناء مرضه إلى أن يشفى منه أو يدركه أجله المحتوم.

الرابعة: أنّ المؤمن لو عاد أخاه المؤمن في أثناء مرضه لوجد الله تعالى عنده ولقضى له جميع حوائجه الدنيوية والأُخروية من غير أن يسأله إياها. كل ذلك كرامة للمؤمن عند الله تبارك وتعالى. فكم نحن غافلون عن اغتنام هذه الفرص الذهبية!.

الخامسة: أنّ الأسماء الحسنى لله تعالى لها حضور فاعل في بعض الأزمنة والأمكنة، فاسم «الرحمن الرحيم» يتواجد بقوة في أثناء عيادة المؤمن لأخيه المؤمن عند مرضه.

---

٤٣٠. الكافي ٣: ١١٧، ح٣.
٤٣١. بحار الأنوار ٦٤: ٦٩، ح٢٨.

الأثر الثالث : مشايعة الملائكة واستغفارهم لمن يزور أخاه المؤمن ودعاؤهم له

فقد ورد في كتاب الكافي عن أبي عبد الله الصادق قال: «من عاد مريضًا شيّعه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يرجع إلى منزله»[٤٣٢]. يعني أنه بمجرد أن يخرج المؤمن من داره إلى أن يعود إليها قاصدًا زيارة أخيه المؤمن، يشيّعه ويكتنفه سبعون ألفًا من الملائكة يحفظونه من كل مكروه إلى أن يعود سالمًا كما خرج، وفي أثناء هذه المدة ذهابًا وإيابًا يستغفرون له، وهذا يعني أنّه كلما طالت المسافة واستغرق قطعها وقتًا أكبر كان الوقت الذي تقضيه الملائكة بالاستغفار له أكثر، وهذا يعني أنّ عددًا أكبر من الذنوب تُغفر له. وهذا باب واسع جدًا فتحه الله تعالى لعباده المؤمنين لغفران ذنوبهم، فما أيسر العمل وأعظم النتيجة.

وورد في كتاب الكافي أيضًا عن أبي جعفر الباقر قال: «من عاد امرأ مسلمًا في مرضه صلّى عليه يومئذ سبعون ألف ملك يطلبون الرحمة له إن كان صباحًا حتى يمسوا، وإن كان مساءً حتى يصبحوا مع أنّ له خريفًا في الجنة»[٤٣٣]. وتضمنت هذه الرواية المباركة معلومة جديدة؛ وهي أنّ من عاد أخاه المسلم في مرضه، فإنّ سبعين ألف ملك يستغفرون له مدة اثنتي عشرة ساعة، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الله تبارك وتعالى يعطيه خريفًا أي مساحة واسعة من أرض الجنة ثوابًا لهذه الزيارة.

وورد في كتاب الكافي أيضًا عن أبي جعفر الباقر قال: «أيّما مؤمن عاد مؤمنًا خاض في الرحمة خوضًا، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة، فإذا انصرف وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ويسترحمون عليه ويقولون طبت وطابت لك الجنة إلى تلك الساعة من غد، وكان له يا أبا حمزة خريف في الجنة. قلت: وما الخريف يا ابن رسول الله جعلت فداك؟ قال: زاوية في الجنة يسير الراكب فيها أربعين عامًا»[٤٣٤]. وفي هذه الرواية المباركة يبيّن الإمام الباقر عظم ثواب عيادة المؤمن لأخيه المؤمن في مرضه، وكانت الرواية السابقة في عيادة المسلم لأخيه المسلم؛ إذ المؤمن أعظم درجة من المسلم، والفرق بينهما أنّ السبعين ألف ملك يستغفرون للمؤمن أربعًا وعشرين ساعة، بينما يستغفرون للمسلم اثنتي عشرة ساعة. وفي هذه الرواية تحديد لمعنى الخريف الذي يعطيه الله تعالى ثوابًا للمؤمن الذي يعود أخاه المؤمن في مرضه، وهي

٤٣٢. الكافي ٣: ١٢٠، ح٢.
٤٣٣. الكافي ٣: ١١٩، ح١.
٤٣٤. الكافي ٣: ١٢٠، ح٣.

أرض في الجنة يسير فيها الراكب أربعين عامًا، فإذا كانت هذه الأعوام من أعوام الدنيا، وكانت مسيرة الراكب عشرة كيلو مترات في الساعة على أقل تقدير، يكون طول هذه المساحة ثلاثة ملايين ونصف المليون من الكيلو مترات، هذا أجر عيادة مريض واحد لمرة واحدة، هذا بالإضافة إلى غفران الذنوب.

الأثر الرابع: الأنس في القبر

إنّ أخطر وأصعب شيء يواجهه الإنسان حينما يذهب إلى القبر هو وحشة القبر وغربته فيه، ولكن المؤمن عندما يعود أخاه في مرضه، فإنّ الله يرسل له ملكًا يؤنسه في قبره ويُذهب الوحشة عنه، وقد وردت في هذا المعنى روايات كثيرة.

منها: ما ورد في كتاب الكافي عنٍ أبي عبد الله قال: «أيّما مؤمن عاد مؤمنًا في الله عز وجل في مرضه، وكّل الله له ملكًا من العوّاد يعوده في قبره ويستغفر له إلى يوم القيامة»[٤٣٥]. وفي هذه الرواية المباركة تأكيد وجوب خلوص النية والدوافع الإلهية في عيادة المؤمن لأخيه المؤمن في مرضه لكي يحصل على هذه الكرامة والمنزلة في قبره. ويُفهم من هذه الرواية وغيرها من الروايات أنّ الملائكة أصناف كثيرة، ولكل صنف مهمة خاصة به، ومنهم صنف وظيفتهم عيادة المؤمنين في قبورهم والاستغفار لهم إلى حين قيام الساعة والنشر للحساب.

ومنها: ما ورد في كتاب الكافي عن أبي عبد الله الصادق قال: «من عاد مريضًا وكّل الله عز وجلّ به ملكًا يعوده في قبره»[٤٣٦].

ومنها: ما ورد في المصدر نفسه عن أبي جعفر الباقر (سلام الله عليه) قال: «كان في ما ناجى به موسى ربه أن قال: يا ربي ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟ فقال الله عز وجل: أوكل به ملكًا يعوده في قبره إلى محشره»[٤٣٧].

الأثر الخامس: دعاء الملائكة للزائر بالجنة

إنّ عيادة المؤمن لأخيه المؤمن المريض تستتبع دعاء الملائكة له بدخول الجنة والتنعم بنعيمها وأفراحها وطيباتها، فقد ورد في الكافي عن أبي عبد الله قال: قال

٤٣٥. الكافي ٣: ١٢٠، ح٤.
٤٣٦. الكافي ٣: ١٢٠، ح٧.
٤٣٧. الكافي ٣: ١٢٠، ح٩.

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «من عاد مريضًا ناداه منادٍ من السماء باسمه: يا فلان طبت وطاب لك ممشاك بثواب من الجنة»[٤٣٨].

وورد في بحار الأنوار عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: من زار أخًا في الله أو عاد مريضًا نادى منادٍ من السماء: طبت وطاب ممشاك، تبوأت من الجنة منزلك»[٤٣٩].

وجاء في وسائل الشيعة عن الإمام محمد الباقر قال: «قال أمير المؤمنين: ضمنت لستة الجنة: رجل خرج يعود مريضًا فمات فله الجنة. . . »[٤٤٠].

هذه هي أبرز الآثار الدنيوية والأخروية لعيادة المريض، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤٣٨. الكافي ٣: ١٢١، ح١٠.
٤٣٩. بحار الأنوار ٨١: ٢١٩، ح١٧.
٤٤٠. مستدرك الوسائل ١٠: ٣٧٤، ح٧.

المحاضرة الأخلاقية السادسة عشرة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

بعد أن انتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن الآثار الدنيوية والأخروية لعيادة المريض، نتحدث اليوم عن الآثار الدنيوية والأُخروية لإفشاء السلام.

لقد مر الحديث في هذا الأمر بالتفصيل في الحقوق الإيمانية، وقلنا إنّ من حق المؤمن على المؤمن أن يسلم عليه وأن يردّ سلامه، وهناك آثار دنيوية وأُخروية لإفشاء السلام:

الأثر الأول: الشمول بالمغفرة الإلهية، فقد ورد في بحار الأنوار عن الإمام الصادق قال: «إنّ من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام»[٤٤١]. لقد حث الإسلام كثيرًا على إفشاء السلام بين الناس، وهي إحدى المميزات الفارقة التي تمتاز بها حضارة المسلمين. وإفشاء السلام يعني السلام على من تعرف وعلى من لا تعرف، وإلقاء التحية أمر سهل وفائدته عظيمة؛ أهمها غفران ذنوبه، بالإضافة إلى فوائدها الدنيوية الكثيرة؛ من دفع الشر واستجلاب المحبة وإشاعة الأمان وفتح باب التعارف بين الناس وغيرها. ومن الممكن أن يصير السلام ملكة عند الإنسان بأن يعوّد نفسه بشكل مستمر على المبادرة إلى إلقاء التحية على الآخرين من غير تأمل وإعمال روية.

لقد نُقل في حال بعض فقهائنا أنّه كان إذا دخل إلى مجلس لا يكتفي بأن يقول

٤٤١. وسائل الشيعة ٢: ٤١٦، ح٨.

السلام عليكم، بل كان يسلّم على الحاضرين فردًا فردًا ويخص كل واحد منهم بسلام خاص، وهذا فيه توقير واحترام أكبر للآخرين، بالإضافة إلى ما فيه من الأجر العظيم.

وذكرت الرواية أمرًا آخر وهو حسن الكلام، فالإنسان الذي يريد أن يتكلم ينبغي أن يتكلم بكلام حسن وبعبارات مهذبة وبكلمات غير جارحة، وألاّ يستخدم الكلام البذيء أو الفحش والعياذ بالله، فالمؤمن لا يصدر منه مثل هذه الكلمات، فحسن الكلام أيضًا كما تشير هذه الرواية مدعاة وموجب للمغفرة الإلهية.

الأثر الثاني: الحسنات والبركات من خلال إشاعة السلام، وقد طرح القرآن الكريم أنّ الحسنة حقيقة من الحقائق، وهي تستحق أن يطلبها الإنسان في الدنيا والآخرة؛ إذ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٤٤٢]. ومن خصائص الحسنة أنها تدفع السيئة كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٤٤٣]، لذلك عندما يقال: إنّ إفشاء السلام وإلقاء التحية على الآخرين يؤدي إلى الحسنات، يعني ذلك أنها تزيح السيئات أيضًا، وقد نصت الروايات على أنّ الفضل لمن يبدأ بالسلام وهو الذي يحظى بالثواب الأعظم، فقد ورد عن أمير المؤمنين أنّه قال: «للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد»[٤٤٤]. ولهذا ينبغي علينا أن نكون مبادرين في إلقاء التحية على الآخرين لئلا يفوتنا الثواب الجزيل.

وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يبادر بالسلام على الآخرين ولم يستطع أن يسبقه في ذلك سابق. وقد جاء في إحدى الروايات أنّ أحد المسلمين أراد أن يسبقه بالسلام، فأخفى نفسه خلف جدار وانتظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليمر من هناك فيبادره بالسلام، ولكنه مع ذلك لم يستطع، فقد بادره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسلام قبل أن يصل إليه.

وورد في بحار الأنوار عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال لأنس بن مالك: «يا أنس سلّم على من لقيت يزيد الله في حسناتك، وسلّم في بيتك يزيد الله في بركتك»[٤٤٥].

وورد في وسائل الشيعة عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أسبغ

٤٤٢. سورة البقرة: الآية ٢٠١.
٤٤٣. سورة هود: الآية ١١٤.
٤٤٤. بحار الأنوار ٧٣: ١١، ح٤٦.
٤٤٥. بحار الأنوار ٧٣: ٣، ح٥.

الوضوء تمر على الصراط مر السحاب، أفش السلام يكثر خير بيتك، أكثر من صدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب»[٤٤٦].

تضمن هذا الحديث النبوي الشريف الإشارة إلى ثلاثة أُمور خفيفة المؤونة عظيمة الأثر في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة:

الأول: إسباغ الوضوء، فإنّ أثره هو المرور على الصراط مرورًا سريعًا. والوضوء لا يأخذ من وقت الإنسان إلا دقيقة أو دقيقتين، فلنتعلم أن نكون على وضوء دائمًا وأن نحسن الوضوء على أحسن وجه لنكون من أهل هذا الحديث.

الثاني: إفشاء السلام، فإنّه يكثر خير البيت، وهو أمر يسير ولكن أثره خطير، فكم من صاحب مال نزعت من ماله البركة فأنفقه في ما لا فائدة فيه ثم افتقر.

الثالث: الإكثار من صدقة السر، وأثرها إطفاء غضب الرب، وكذلك لصدقة العلانية أثر، ولكن أثر صدقة السر أعظم.

وورد في وسائل الشيعة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وإذا دخل أحدكم بيته فليسلم فإنه تنزل البركة»[٤٤٧].

الأثر الثالث: ثواب عتق رقبة

ورد في الروايات أنّ ثواب إفشاء السلام هو ثواب عتق رقبة، فقد ورد في بحار الأنوار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « من لقي عشرة من المسلمين فسلم عليهم كتب الله له عتق رقبة»[٤٤٨].

لا شكَّ في أنّ لإكرام المؤمن آثارًا أُخروية نذكرها في ما يلي:

الأثر الأول: إكرام المؤمن يجعل الإنسان في أمان الله يوم القيامة، فقد ورد في كتاب الكافي عن هشام بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: «قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»[٤٤٩].

يبيّن الإمام الصادق في هذا الحديث القدسي عظيم منزلة المؤمن وكرامته على الله جل جلاله، وأنّه في كنفه وحمايته، فمن آذى مؤمنًا فليعلم أنّ الله تعالى هو خصمه

٤٤٦. وسائل الشيعة ١: ٤٨٩، ح٦.
٤٤٧. وسائل الشيعة ٥: ٣١٨، ح ٣.
٤٤٨. بحار الأنوار ٦٦: ٣٨٢، ح٤٤.
٤٤٩. الكافي٢: ٣٥٠، ح١.

وهو من يتولى حربه، وهذا مصداق لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤٥٠]، فمن آذى مؤمنًا فقد أعلن الحرب مع الله عز وجل، ولا شك في أنّ الحرب مع الله تعالى حرب خاسرة مهما كانت الإمكانات التي يمتلكها الطرف المقابل للمؤمن؛ لأنّها لا قيمة لها أبدًا أمام قدرة الله (سبحانه وتعالى) اللامتناهية.

وأما من يكرم المؤمن ـ وهنا محل الشاهد ـ فليأمن غضب الرب الجليل، وسيلبسه ثوب الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، وينزع عن قلبه كل خوف.

الأثر الثاني: دخول الجنة، فقد وعد الله (سبحانه وتعالى) من يكرم أخاه المؤمن بدخول الجنة، فقد ورد في كتاب وسائل الشيعة عن الإمام الصادق عن آبائه في حديث المناهي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حديث طويل أنّه قال: «ومن أكرم أخاه المسلم فكأنما يكرم الله عز وجل»[٤٥١]. فإكرام المسلم هو في الحقيقة إكرام لله (عز وجل).

وورد في مستدرك الوسائل عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «ومن أكرمه فقد أكرمني، ومن أكرمني فقد أكرم الله، ومن أكرم الله فله الجنة»[٤٥٢]، إذن فإكرام المؤمن إكرام لله (سبحانه وتعالى)، وإكرام الله يؤدي إلى ضمان الجنة، والله (سبحانه وتعالى) يمنح الجنة لمثل هؤلاء المخلصين من العباد.

الزلة هي الخلل، أي الخطأ غير المتعمد، ويطلق «الخطأ» على من ارتكب عملًا مخالفًا متعمدًا، بينما تطلق «الزلة» على من ارتكب عملًا مخالفًا غير متعمد، فيقال «زلّ لسانه» لمن أخطأ في كلامه عن غير قصد، وسُمّي خطأ المؤمن زلة لأنّه لا يتعمد الخطأ، وإنّما يصدر منه سهوًا، ولهذا ينبغي للمؤمن أن يصفح عن خطأ أخيه المؤمن؛ لأنّه خطأ غير متعمد ومن حيث لا يقصد، كما لو صدرت منه كلمة مزعجة، فيعذر لأنّه لم يكن يقصدها ولم يختر الكلمة الصحيحة ولم يتعاط بالطريقة الصحيحة. وللصفح عن زلة المؤمن آثار دنيوية وأُخروية، هي:

٤٥٠. سورة الحج: الآية ٣٨.
٤٥١. وسائل الشيعة ١٦: ٣٨٩، ح٥.
٤٥٢. مستدرك الوسائل ١٧: ٣٠٠، ح٥١.

الأثر الأول : العفو والمغفرة الإلهية

يعطي الله (سبحانه وتعالى) لمن يصفح عن زلة أخيه المؤمن في الدنيا العفو والمغفرة، فيعفو عنه ويغفر له، وهذه في الحقيقة سنّة إلهية، فمن زرع حنطة يحصد حنطة، ومن زرع شعيرًا يحصد شعيرًا، وكذلك من يزرع خيرًا يحصد خيرًا، ومن يزرع شرًا يحصد شرًا، وهذه هي القاعدة العامة لجزاء الأعمال عند الله تبارك وتعالى، فمن يصفح عن أخيه المؤمن فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يصفح عنه أيضًا. وأما الذي يقاطع الأخ المؤمن بسبب كلمة تفوّه بها، ثم يقف في الصلاة ويدعو في قنوته: ربنا اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ولكنه غير مستعد لأن يعفو عن أخيه ويصفح عنه، فكيف تتوقع من الله تعالى أن يستجيب لك دعاءك ويغفر لك ذنوبك؟.

ورد في كتاب غرر الحكم عن أمير المؤمنين قال: «أَقِلْ تُقَلْ»[٤٥٣]، يعني اصفح يُصفح عنك، وسامح يُتسامح معك.

الأثر الثاني: نيل المكانة المرموقة والدرجات العالية

ورد في غرر الحكم أيضًا عن أمير المؤمنين قال: «تجاوز عن الزلل وأقل العثرات تُرفع لك الدرجات»[٤٥٤].

يحث أمير المؤمنين في هذه الحكمة على تجاوز الزلل، وألاّ يبقى الإنسان أسيرًا لكلمة أو موقف خاطئ من أخيه المؤمن، وأن يقيل عثراته إذا طلب منه الصفح عنها، والعثرات هي الأخطاء المقصودة، كما لو كان غاضبًا وأراد أن يؤذيك فقال كلمة أو فعل شيئًا ما أو أغلق الباب بقوة أو أغلق الهاتف بوجهك، ولهذا التجاوز والصفح أثر كبير في حياة صاحبه في الدنيا والآخرة، فمن آثاره في الدنيا ارتفاع مكانته في المجتمع، وسيحظى بمكانة مرموقة عند الله (سبحانه وتعالى).

أما الآثار الأُخروية للصفح عن زلة المؤمن فهي الشفاعة، فإنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يشفع للمؤمن الذي يصفح عن إخوانه ويتسامح معهم ويتجاوز عن أخطائهم، فقد ورد في كتاب وسائل الشيعة عن جعفر بن محمد عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي ـ إذن هذه الوصية منقولة بطريق السلسلة الذهبية التي يرويها إمام عن إمام عن رسول الله ـ قال: « يا علي؛ من لم يقبل من متنصل عذرًا،

٤٥٣. غرر الحكم: الحكمة ٥٠٥١.
٤٥٤. غرر الحكم: الحكمة ٥٠٥٥.

صادقًا كان أو كاذبًا، لم ينل شفاعتي»[٤٥٥].

يبيّن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذه الوصية المباركة أنّ شفاعته للمؤمن في يوم القيامة متوقفة على قبول عذر إخوانه المؤمنين، سواء كانوا صادقين في أعذارهم هذه أو كاذبين. والمتنصل هو الذي يحاول أن ينكر ما قاله ويتبرأ من جنايته أو ذنبه، كأن يقول لم أقل ذلك، أو لم أقصد ذلك، أو ليس هذا هو الذي قلته بل قلت كذا وكذا، أو يعتذر فيقول: أرجو المعذرة، أنت فهمتني خطأ، فلم يكن في نيتي أن أسيء لك هكذا. فيجب قبول عذره وإن كنت تعلم يقينًا أنه كاذب؛ لأنه أراق ماء وجهه واعتذر وقال إني لم أقصد. ومن لم يقبل من مؤمن عذرًا فكيف يرجو من الله عز وجل أن يتجاوز عن أخطائه؟.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين في وصيته لابنه محمد بن الحنفية قال: «لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، لعل له عذرًا وأنت تلوم، صادقًا كان أو كاذبًا، فتنالك الشفاعة»[٤٥٦].

ينهى أمير المؤمنين ابنه محمد بن الحنفية ومن ورائه كل مسلم أن لا يقطع علاقته مع أخيه ويهجره لمجرد الظن والتهمة؛ لأنّ ﴿بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٤٥٧] كما أخبرنا الباري جل جلاله في كتابه الكريم، ولقد شاع في هذه الأيام وخاصة في الفضائيات كيل التهم والافتراءات على الآخرين، وينسبونها إلى مصدر مطّلع من غير ذكر اسمه، ثم تتداولها الناس وكأنها أمر يقيني، مع أنّ مثل هذه الفضائيات تريد إثارة الفتن. ثم يوصي أمير المؤمنين ولده محمدًا ألاّ يقطع أخاه المؤمن دون استعتاب، أي من غير أن يعاتبه ويصارحه ويكاشفه بما سمع ونقل له، فلعله لم يقله أو لم يفعله أو كان له عذر مقبول في ذلك. إنّ الحفاظ على العلاقة الإيمانية مسألة مهمة جدًا ينبغي عدم التفريط بها، فهل تعلمون أنّ خمسين بالمائة في الأقل مما ينسبه بعضنا لبعض هو غير صحيح وكذب محض، وأن الخمسين بالمائة الأخرى ليست بالشكل الذي يقولونه، بل ينقلونه بطريقة تنتزع الكلمة من سياقها وتجردها من أجوائها التي قيلت فيها. وقد ورد هنا أيضًا تأكيد قبول عذر المؤمن سواء كان صادقًا أو كاذبًا، فإن فعل ذلك فقد استحق الشفاعة.

الرحمة هي الشفقة، فالذي يشفق على أخيه المؤمن ويرحمه يكون مشمولًا بالرحمة

---

٤٥٥. وسائل الشيعة ١٢: ٢١٧، ح١.
٤٥٦. وسائل الشيعة ١٢: ٢١٧، ح٢.
٤٥٧. سورة الحجرات: الآية ١٢.

الإلهية، كما قال أمير المؤمنين : «إرحمْ تُرحمْ»[٤٥٨]، وهذه قاعدة ثابتة؛ فقد ورد في غرر الحكم لأمير المؤمنين قال: « ببذل الرحمة تستنزل الرحمة»[٤٥٩]، أي من أراد أن يحصل على الرحمة الإلهية فليبذل رحمته للآخرين.

وورد عنه في غرر الحكم: «من لم تسكن الرحمة قلبه قلّ لقاؤها له عند حاجته»[٤٦٠]، أي من كان قلبه خاليا من الرحمة، كما لو كان له أخ مؤمن في ضيق ولم يهمه أمره، سيحرم من هذه الرحمة في وقت حاجته لها، ويبقى حائرًا بنفسه ولا أحد يرحمه.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٤٥٨. بحار الأنوار ٧١: ١٠٠، ح٤٨.
٤٥٩. غرر الحكم: الحكمة ٥٠٥٤.
٤٦٠. غرر الحكم: الحكمة ١٠٣٣٩.

المحاضرة الأخلاقية السابعة عشرة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

ما زال حديثنا في الآثار المترتبة على حقوق الأُخوّة الإيمانية، وانتهى بنا الحديث عند الآثار الدنيوية لرحمة الأخ المؤمن، واليوم نتحدث عن الآثار الدنيوية لستر العورات والعيوب.

ستر عورة المؤمن هو كتمان عيب ونقص الأخ المؤمن لكي لا يظهر، فالإنسان عادة ما يستر عيوبه ونواقصه التي يعلم بها ويحرص على عدم إظهارها للآخرين، وهنا كذلك يجب على المؤمن ستر عيوب إخوانه المؤمنين، فمثلاً إذا ظهرت زلة في كلامهم أو سلوكهم فعليه كتمانها وعدم التشهير بهم، ولستر عيوب المؤمن آثار دنيوية كبيرة.

من يستر عيوب المؤمنين فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يستر عيوبه، فقد ورد في كتاب وسائل الشيعة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «كان بالمدينة أقوام لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله عن عيوبهم الناس، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس. وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله لهم عيوبا لم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا»[٤٦١].

يبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف أنّ ستر الله (سبحانه وتعالى) على عبده مرهون بسكوته عن الخوض في عيوب الآخرين، وأنّه لو تحدث في

٤٦١. وسائل الشيعة ١٥: ٢٩٢، ح١٠.

عيوب الناس من لا عيب فيهم، فإنّ الله تعالى يُظهر لهم على ألسنة الناس عيوبًا يُشهرون بها إلى أن يموتوا عقابًا لهم في الدنيا، وأنّ من كان ممتلئا بالعيوب من رأسه إلى أخمص قدميه وسكت عن الكلام في عيوب الآخرين، فإنّ الله عز وجل يستر عليه جميع عيوبه في الدنيا ولا يمكّن أحدًا من الحديث بها. وقال أمير المؤمنين: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[٤٦٢].

عن الإمام الصادق: «طلبت الجنة فوجدتها في السخاء، وطلبت العافية فوجدتها في العزلة، وطلبت ثقل الميزان فوجدته في شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وطلبت السرعة في الدخول إلى الجنة فوجدتها في العمل لله تعالى، وطلبت حب الموت فوجدته في تقديم المال لوجه الله تعالى، وطلبت حلاوة العبادة فوجدتها في الجوع والعطش، وطلبت نور القلب فوجدته في التفكر والبكاء، وطلبت الجواز على الصراط فوجدته في الصدقة، وطلبت نور الوجه فوجدته في صلاة الليل، وطلبت فضل الجهاد فوجدته في الكسب للعيال، وطلبت حب الله فوجدته في بغض أهل المعاصي، وطلبت الرئاسة فوجدتها في النصيحة لعباد الله، وطلبت فراغ القلب فوجدته في قلة المال، وطلبت عزائم الأُمور فوجدتها في الصبر، وطلبت الشرف فوجدته في العلم، وطلبت العبادة فوجدتها في الورع، وطلبت الراحة فوجدتها في الزهد، وطلبت الرفعة فوجدتها في التواضع، وطلبت العز فوجدته في الصدق، وطلبت الذلة ـ الذلة لله بأن يكون الإنسان ذليلًا بين يدي الله (سبحانه وتعالى) ـ فوجدتها في الصوم، وطلبت الغنى فوجدته في القناعة، وطلبت الأُنس فوجدته في قراءة القرآن، وطلبت صحبة الناس فوجدتها في حسن الخلق، وطلبت رضا الله فوجدته في برّ الوالدين»[٤٦٣].

الأثر الأول: الرئاسة والوجاهة

حينما يكون حريصًا على الآخرين يذكر لهم بأدب وبخفية بعض مثالبهم ونواقصهم وإشكالاتهم، وهذا يطلق رسالة أنّ هذا الشخص يحب الخير للجميع، وليس احتكاريًا وليس أنانيًا يريد الخير لنفسه فقط، بل يريد الخير للجميع، ويريد الجميع أن يكونوا مستقيمين في سلوكهم وفي كلامهم وفي تعاملاتهم إلى غير ذلك.

فالنصيحة إذن هي تشخيص سلبية معينة ومحاولة إلفات نظر الأخ المؤمن إليها كي

٤٦٢. نهج البلاغة ٢: ٩٦، من كلام له – تحت رقم ١٧٦.
٤٦٣. مستدرك الوسائل ١٢: ١٧٤، ح١٩.

يعدّل المسار، وهذا من شأنه أن يجعل المؤمنين يتمحورون حول هذا الشخص الناصح ويحبونه ويقدرونه؛ لأنهم سيدركون بالتدريج أنه لا يريد أن يكسرهم أو يحرجهم أو يظهر ضعفهم أمام الآخرين، بل يريد أن يقويهم ويدافع عنهم، ويهمس في آذانهم سرًا وبشكل هادئ لتصحيح بعض أقوالهم أو أفعالهم.

الأثر الثاني: المودَّة

كما نعرف فإنّ المحبة أمر قلبي، والمودة أمر ظاهري، وهي إظهار المحبة، فقد ورد عن أمير المؤمنين في غرر الحكم قال: «النصح يثمر المحبة»[٤٦٤]، فالإنسان حين ينصح أخاه يولد المحبة بينهما، لأنه سيقول إن هذا حريص عليّ ومهتم بشؤوني ولا يريدني أن أخطئ أو أسقط، فلذلك يتولد نوع من المحبة له.

وورد عن أمير المؤمنين أيضًا قال: « النصيحة تثمر الودّ»[٤٦٥]، أي تولّد المودة بين المؤمنين، وهو أمر خارجي وظاهري كما أشرنا.

كما أنّ تقديم النصيحة له آثار دنيوية وأُخروية للناصح، فكذلك قبول النصيحة له آثار دنيوية وأُخروية لقابل النصيحة.

من آثار قبول النصيحة أنّ الذي يقبلها ويصحح مساره يبتعد عن الذنوب والمعاصي والقبائح، فالنصيحة فيها إلفات نظر إلي أنّ الكلمة الفلانية مثلًا غيبة، فيلتفت صاحبها ولا يغتاب مرة أخرى، أو أنّ القول الفلاني كذب وخلاف الواقع، فيقول كنا نمزح، مع أنّ المزاح كذبًا والمخالف للواقع حرام، فلا يجوز لأحد أن يتكلم بكلام خلاف الواقع، سواء كان عن جدّ أو هزل، فقد ورد عن أمير المؤمنين في كتاب غرر الحكم: «من أقبل على النصيح أعرض عن القبيح»[٤٦٦]، أي من استمع إلي النصيحة وقبل بها ولم تأخذه العزة بالإثم ترك القبيح.

وورد عنه أيضًا في الكتاب المذكور: »من قبل النصيحة أمن من الفضيحة»[٤٦٧]، أي أن قبول النصيحة يؤدى بالإنسان إلى الإقلاع عن الذنب الذي اطّلع عليه من ينصحه، وأنه إن لم يتركه فسيطّلع عليه آخرون وسيشتهر أمره ويفضحه ذنبه.

---

٤٦٤. غرر الحكم: الحكمة ٤٥٤٧.
٤٦٥. غرر الحكم: الحكمة ٤٥٤٨.
٤٦٦. غرر الحكم: الحكمة ٤٥٨٠.
٤٦٧. غرر الحكم: الحكمة ٤٥٧٩.

قلنا إن من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يحبه، ولهذه المحبة آثار:

الأثر الأول/ محبة الله له: فمن أحب أخاه المؤمن أحبه الله (سبحانه وتعالى)، فقد ورد في كتاب وسائل الشيعة عن الإمام الصادق: «من فضل الرجل عند الله محبته لإخوانه، ومن عرّفه الله محبة إخوانه أحبه الله، ومن أحبه الله وفّاه أجره يوم القيامة»[٤٦٨]. فالذي لا يحب الخير للآخرين وقلبه مملوء حقدًا وكراهية ونقمة تجاه إخوانه المؤمنين، فليعلم أنه ليس بذي حظوة عند الله عز وجل، وأما من كان قلبه ينبض محبة لإخوانه المؤمنين، فليعلم أنّه صاحب فضل عند الله (سبحانه وتعالى)، والذي يتفضل عليه الله (سبحانه وتعالى) ويجعل في نفسه محبة لإخوانه المؤمنين تشمله المحبة الإلهية، ومن أحبه الله وفّاه أجر هذه المحبة يوم القيامة.

الأثر الثانى/ زيادة الفضل من الله (سبحانه وتعالى): ورد في كتاب الكافي عن الإمام الصادق قال: «ما التقى مؤمنان قط إلاّ كان أفضلهما أشدهما حبًا لأخيه»[٤٦٩]، يبيّن الإمام الصادق أنّ ميزان التفاضل بين المؤمنين عند الله (عز وجل) هو الحب، فمن كان أكثر محبة لأخيه فهو الأفضل عند الله (سبحانه وتعالى)، فمستوى الفضل يرتبط بنسبة محبة الإنسان لإخوانه المؤمنين.

تحدثنا كثيرًا أنّ المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه، ولهذا الإنصاف آثار:

الأثر الأول: إيجاد المحبة للإنسان المنصف، فالموقف المنصف يغرز محبة صاحبه في قلوب الآخرين ويديمها ويرسخها. لاحظوا ما ورد من حكم عن أمير المؤمنين في هذا الباب:

قال: «الإنصاف يؤلف القلوب»[٤٧٠]، فدواء القلوب المتنافرة هو الإنصاف والعدل، فإذا علم كل طرف أنه غير مغبون استشعر الرضا وزال الاختلاف.

وقال: «لا تدوم على عدم الإنصاف المودة»[٤٧١]، أي بدون الإنصاف والعدل لا تدوم المحبة، فإذا وُجِد الانصاف وُجِدت المودة.

---

٤٦٨. وسائل الشيعة ١٦: ١٨٠، ح١٤.
٤٦٩. الكافي ٢: ١٢٧، ح١٥.
٤٧٠. غرر الحكم: الحكمة ٩١١٥.
٤٧١. غرر الحكم: الحكمة ٩٦١٨.

وقال: «الإنصاف يستديم المحبة»[٤٧٢]، أي أنّ العدل يديم المودة مع الآخرين.

وقال: «بالنصف تدوم الوصلة»[٤٧٣]، أي بإنصاف الناس وإقامة العدل تستمر العلاقة معهم، وبظلمهم تنقطع هذه العلاقة.

وقال: «مع الإنصاف تدوم الأُخوّة»[٤٧٤]، وكذلك تدوم العلاقة بين الإخوان على أساس العدل، أي أنّ علاقة الأُخوّة مهددة بالانقطاع مع عدم الإنصاف، فلا يتّكل أحد في ديمومة هذه العلاقة على الأُخوّة النسبية أو الإيمانية.

وقال: «على الإنصاف ترسخ المودة»[٤٧٥]، أي تتقوى آصرة الأُخوّة وتترسخ باستعمال العدل والإنصاف.

الأثر الثاني: القرب من الله (سبحانه وتعالى)، فالإنسان المنصف قريب من الله (سبحانه وتعالى)، لأنّه يحب العدل ويبغض الظلم، والله هو العادل المطلق فيحب من تلبس بثوب العدل، ومن أحبه الله تعالى قرّبه إليه. وقد ورد عن أمير المؤمنين قوله: «إنك إن أنصفت من نفسك أزلفك الله»[٤٧٦]، أي قرّبك الله لأنه يحب المنصفين.

الأثر الثالث: الشرف، فالإنسان المنصف يعطيه الله تبارك وتعالى منزلة وشرفًا، وقد ورد عن أمير المؤمنين أنه قال: «أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك، فإنّ ذلك أجل لقدرك وأجدر برضا الله (سبحانه وتعالى)»[٤٧٧]، أي أنصف قبل أن يوقظك الآخرون ويجبروك على الإنصاف، فتعمل بالعدل مرغمًا، وفي ذلك إهانة لك، فمن الأفضل أن تبادر إلى استعمال الإنصاف؛ فإنه أجلّ وأفضل لقدرك ومكانتك، ويعطيك منزلة مرموقة، وكذلك فإن العدل أجدر برضا الله (سبحانه وتعالى).

وورد عن أمير المؤمنين أيضًا: «من تحلّى بالإنصاف بلغ مراتب الأشراف»[٤٧٨]، فالشرف والكرامة يحظى بهما المنصفون.

وجاء في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين هذا البيت:

---

٤٧٢. غرر الحكم: الحكمة ٩١١٤.
٤٧٣. غرر الحكم: الحكمة ٩١١٨.
٤٧٤. غرر الحكم: الحكمة ٩١٢٤.
٤٧٥. غرر الحكم: الحكمة ٩١١٩.
٤٧٦. غرر الحكم: الحكمة ٩١٠٧.
٤٧٧. غرر الحكم: الحكمة ٩١١٧.
٤٧٨. غرر الحكم: الحكمة ٩١١١.

إنْ كنتَ تطلبُ رتبةَ الأشرافِ فعليكَ بالإحسانِ والإنصافِ

أي إذا كنت تطلب العزة والشرف في قومك فكن منصفًا وعادلًا.

من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يدعو له، ولهذا الدعاء آثار مترتبة عليه.

الأثر الأول: أنّ الله (سبحانه وتعالى) يعطي من يدعو لأخيه المؤمن نفس ما طلبه له، وهذه نعمة عظيمة، فالذي تريده لنفسك اطلبه لأخيك المؤمن، وسوف يعطيكه الله تعالى، فقد ورد في كتاب الكافي الشريف عن أبي عبد الله، قال: «قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا ردّ الله (عز وجل) عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة، مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة، إنّ العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا رب هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا به، فيشفعهم الله عز وجل به فينجو»[٤٧٩].

يبيّن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك أمرين:

الأول: أنّ الله تعالى يرزق المؤمن من جنس ما يدعو به لأخيه المؤمن، فإن دعا له بسعة الرزق وسّع الله تعالى عليه في رزقه، وإن دعا له بالشفاء شفاه الله تعالى مما به من داء، وإن دعا لأخيه المؤمن بالذرية الصالحة رزقه الله تعالى ذرية صالحة. . . وهكذا. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الله تعالى يعطيه ما دعا لكل مؤمن ومؤمنة منذ أن خلق الخلق إلى يوم القيامة، فإن قال في دعائه: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه يشمل الماضين منهم واللاحقين، ويعطيه الله تعالى كما يعطي هؤلاء جميعًا.

الثاني: أن الله تعالى يقبل شفاعة من كان يدعو لهم الإنسان عندما يؤمر به إلى النار يوم القيامة بسبب أعماله، فينجو ويدخل الجنة معهم، فالدعاء الدائم للمؤمنين والمؤمنات ضمان لقبول شفاعتهم يوم الحساب، فلنواظب كما علمنا الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٤٨٠].

وورد في كتاب الكافي عن علي بن إبراهيم القمي عن أبيه قال: «رأيت عبد الله بن جندب في الموقف فلم أر موقفًا كان أحزن من موقفه؛ ما زال مادًا يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض، فلما صدر الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت موقفًا قط أحسن من موقفك. قال: والله ما دعوت إلا لإخواني، وذلك أنّ

٤٧٩. الكافي ٢: ٥٠٧، ح٥.
٤٨٠. سورة إبراهيم: الآية ٤١.

أبا الحسن موسى أخبرني أنّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائة ألف ضعف، فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا»[٤٨١].

وعبد الله بن جندب هو أحد الأجلاء من أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، والموقف هو موقف عرفات أيام الحج، فما أعظم الحالة التي كان عليها من الحزن، وما أعظم الزمان والمكان اللذين اختارهما هذا المؤمن ليدعو لإخوانه المؤمنين، تاركًا الدعاء لنفسه، تسليمًا لما سمعه من الإمام الكاظم، وبمعادلة حسابية بسيطة يعرفها كل عاقل، فإنّ مائة ألف دعوة مضمونة الاستجابة أفضل من دعوة واحدة لا يدري أيستجاب له فيها أم لا، ولهذا فقد آثر إخوانه بالدعاء لتقضى حوائجهم وحوائجه في آن معًا.

لقد كان يكفيه أن يدعو لإخوانه وهو في حالته العادية، ولكنه اختار أن يدعو بتضرع وبكاء وتوسل رافعًا يديه من وقت الظهيرة إلى الغروب في لهيب الشمس المحرقة، حيث يختار الآخرون اللجوء إلى الظل والقيلولة في ساعات من العمر، وربما لا يُكتب لهم التوفيق للوقوف في هذا المكان مرة أخرى، ولكن من كان من أمثال عبد الله بن جندب لا تفوته مثل هذه الفرص الذهبية. وانظروا إلى البعض منا كم هو أناني؛ فهو مع علمه بهذا الحديث، عندما يذهب للزيارة ويمسك الضريح يذكر حاجات نفسه ولا يذكر حاجات إخوانه المؤمنين، فعلينا أن نتعلم ثقافة الدعاء، وكيف ندعو لإخواننا وأرحامنا وأصدقائنا.

هذه أبرز الآثار المعنوية للدعاء للمؤمن، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٤٨١. الكافي ٢: ٥٠٨، ح٦.

المحاضرة الأخلاقية الثامنة عشرة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

نتواصل بالحديث عن الآثار المترتبة على حقوق الأخوّة الإيمانية، فبعد أن انتهينا في اللقاء السابق عند الحديث عن آثار الدعاء للمؤمن، نتحدث اليوم عن آثار نصرة المؤمن وقضاء حاجته.

من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن نصرته وقضاء حوائجه، وقد تحدثنا طويلًا في هذا الموضوع في السنة الماضية.

الأثر الأول/ إغضاب إبليس: فالمؤمن عندما يقضي حاجة أخيه المؤمن يصاب إبليس لعنه الله بالغضب ويتلقى صفعة موجعة، فقد ورد في كتاب الكافي عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله: «أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن ولا أعانه إلا خمش وجه إبليس وقرّح قلبه»[٤٨٢]، يطلب الإمام الصادق من أحد أصحابه الأجلاّء ـ وهو إسحاق بن عمار ـ أن يحسن إلى شيعته، بكل طرق الإحسان ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، فإنه إن فعل ذلك فقد أدمى بأظفاره وجه إبليس اللعين وأحرق قلبه وأدخل عليه الحزن.

الأثر الثاني/ قضاء حاجته: أي أنّ الله (عز وجل) يتكفل بقضاء حاجة المؤمن الذي يقضي حوائج إخوانه، وهو أثر مباشر، فقد ورد في بحار الأنوار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

٤٨٢. الكافي ٢: ٢٠٧، ح٩.

أنه قال: « من قضى لمؤمن حاجته قضى الله له حوائج كثيرة أدناهنّ الجنة »[٤٨٣]، وإذا كان أدنى حوائج المؤمن هي الجنة فلعل أبعدها أو أكبرها هي الفوز برضوان الله تبارك وتعالى، كما جاء ذلك في آيات من الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤٨٤].

وفي المصدر نفسه رواية مهمة عن حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (صلوات الله وسلامه عليه): قال: «من قضى لأخيه حاجته فبحاجة الله بدأ، وقضى الله له بها مائة حاجة إحداهن الجنة، ومن نفّس عن أخيه كربة نفّس الله عنه كرب القيامة بالغًا ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام، ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسرّ بقضائها فكان كإدخال السرور على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كساه من عري كساه الله من استبرق وحرير، ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسي من الثوب سلك، ومن كفاه بما هو يمتهنه ويكف وجهه ويصل به يده أخدمه الله الولدان المخلدين، ومن حمله على رحله بعثه الله يوم القيامة إلى الموقف على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته فكأنما كساه من يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجة يأنس بها ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة أحب أهله إليه، ومن عاده عند مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف وتقول: طبت وطابت لك الجنة. والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام»[٤٨٥].

ذكر الإمام السجاد في هذه الرواية المباركة جزاء مساعدة المؤمن في ثلاثة عشر موردًا، هي:

١. إنّ قضاء حاجة الأخ المؤمن هي بمنزلة قضاء حاجة الله (سبحانه وتعالى)، وجزاؤها أنّ الله تعالى يقضي له مائة حاجة إحداهن الجنة.

٢. جزاء من نفّس عن الأخ المؤمن كربته هو أن يُنفّس الله عنه كربه يوم القيامة مهما بلغت كثرة.

---

٤٨٣. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٥، ح٧.
٤٨٤. سورة التوبة: الآية ٧٢.
٤٨٥. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٣، ح٤٧.

٣ . جزاء من أعان الأخ المؤمن على ظالم له هو إعانة الله له على عبور الصراط في يوم تزل فيه الأقدام .

٤ . جزاء من سعى في حاجة الأخ المؤمن حتى قضاها له ففرح بقضائها هو كجزاء إدخال السرور على رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

٥ . جزاء من سقى الأخ المؤمن من العطش أنّ الله تعالى يسقيه من الرحيق المختوم .

٦ . جزاء من أطعم الأخ المؤمن من الجوع هو أنّ الله تعالى يطعمه من ثمار الجنة .

٧ . جزاء من كسا الأخ المؤمن من عري ـ أي لم تكن عنده ملابس ـ أن يكسوه الله تعالى من حرير الجنة .

٨ . من كسا الأخ المؤمن من غير عري ـ أي كانت عنده ملابس ولكن أعطاه أفضل منها ـ لم يزل في ضمان الله تعالى حتى آخر خيط منها .

٩ . من كفى الأخ المؤمن بما هو يمتهنه ـ كما لو كان نجارًا فعمل لبيته أبوابًا ـ فكف بها وجهه عن سؤال الآخرين ووصل بها يده ، أخدمه الله تعالى الولدان المخلدين .

١٠ . جزاء من حمل الأخ المؤمن ـ في سيارته ـ هو أن يبعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة .

١١ . جزاء من كفّن الأخ المؤمن عند موته كجزاء كسوته من يوم ولدته أمه إلى يوم يموت .

١٢ . جزاء من زوج الأخ المؤمن زوجة يأنس بها ويسكن إليها هو أن يؤنسه الله تعالى بصورة أحب أهله إليه .

١٣ . جزاء من عاد الأخ المؤمن عند مرضه هو أن تحفه الملائكة وتدعو له حتى ينصرف وتقول له : طبت وطابت لك الجنة .

ثم يختم الإمام السجاد كلامه بذكر أهمية قضاء حاجة المؤمن ومنزلتها عند الله تبارك وتعالى فيقول : « والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام » ، أي أنّ ثوابه لا يحصيه إلاّ الله تعالى .

الأثر الثالث : نصر الله (سبحانه وتعالى) وتسديده وعونه لمن يقضي حوائج

المؤمنين، فمن ينصر المؤمن كمن ينصر الله (سبحانه وتعالى)، ومن ينصر الله فالله (سبحانه وتعالى) ناصره، كما صرّح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٤٨٦].

وورد تأكيد ذلك أيضًا في الروايات الشريفة، منها ما جاء في بحار الأنوار عن الإمام الصادق: «ما من مؤمن يدخل بيته مؤمنين فيطعمهما شَبَعَهما إلاّ كان ذلك أفضل من عتق نسمة. وما من مؤمن يقرض مؤمنًا يلتمس به وجه الله إلاّ حسب الله له أجره بحساب الصدقة. وما من مؤمن يمشي لأخيه في حاجة إلاّ كتب الله له في كل خطوة حسنة، وحط عنه سيئة، ورفع له بها درجة، وزيد بعد ذلك عشر حسنات، وشُفّع في عشر حاجات. وما من مؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب إلاّ وكّل الله له ملكًا يقول: ولك مثل ذلك. وما من مؤمن يفرج عن أخيه كربة إلا فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة. وما من مؤمن يعين مؤمنا مظلومًا إلاّ كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام. وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ نصره الله في الدنيا والآخرة»[٤٨٧].

يذكر الإمام الصادق في هذه الرواية الكريمة ثواب سبعة أعمال صالحة، ترغيبًا للمؤمنين في القيام بها، وهي:

الأول: ثواب إطعام اثنين من المؤمنين أفضل من ثواب عتق رقبة، أي أكثر ثوابًا من تحرير إنسان من العبودية.

الثاني: ثواب إقراض مقدار من المال لمؤمن محتاج طلبا لوجه الله تعالى يساوي ثواب الصدقة بذلك المقدار.

الثالث: ثواب من يمشي لأخيه في حاجة هو أن له في كل خطوة حسنة، وأن يمحو عنه في كل خطوة سيئة، ويرفع له بكل خطوة درجة، ويزيد بعد ذلك في كل خطوة عشر حسنات، ويُشفّع في كل خطوة في عشر حاجات يقضيها الله تعالى له.

الرابع: ثواب من يدعو لأخيه بظهر الغيب أن يأمر الله تعالى ملكًا بأن يدعو له بمثل ما يدعو لأخيه، ودعاؤه مستجاب.

الخامس: جزاء من فرّج عن أخيه كربة أن يفرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة، أي من حل مشكلة لأخيه في الدنيا حل الله تعالى له مشكلة من مشاكل يوم القيامة، ولا

٤٨٦. سورة محمد: الآية ٧.
٤٨٧. بحار الأنوار ٧١: ٣١١، ح٦٧.

قياس بين كرب الدنيا وكرب الآخرة، فإنّ كرب الدنيا زائلة لا محالة، وكرب الآخرة دائمة لا زوال لها.

السادس: ثواب من أعان مؤمنًا مظلومًا أفضل من ثواب صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وهو الشاهد. وإذا علمنا أنّ ثواب الصوم يتولاه الله تعالى بنفسه، نعلم عظمة الثواب الذي سيحصل عليه من فرّج كربة مؤمن.

السابع: جزاء نصرة المؤمن هو نصرة الله تعالى له في الدنيا والآخرة.

وفي بحار الأنوار أيضًا رواية أُخرى عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «إنّ الله في عون المؤمن ما دام المؤمن في عون أخيه المؤمن، ومن نفّس عن أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه سبعين كربة من كرب الآخرة»[٤٨٨].

يذكر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك أمرين في علاقة المؤمن بأخيه المؤمن ويحث عليهما رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل.

الأمر الأول: أنّ الله تعالى مستمر في إعانة المؤمن ما دام المؤمن مستمرًا أيضًا في إعانة أخيه المؤمن، فإن ترك تقديم هذا العون ترك الله (سبحانه وتعالى) إعانته وأوكله إلى نفسه.

الأمر الثاني: أنّ الله (سبحانه وتعالى) يفرّج عمن حل لأخيه مشكلة من مشاكل الدنيا سبعين كربة من كرب الآخرة.

وورد في كتاب الكافي الشريف عن زيد الشحام قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده، فنفّس كربته وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله (عز وجل) له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله»[٤٨٩]. اللهفان: المكروب، واللهثان: العطشان.

يحدثنا الإمام الصادق في هذه الرواية الكريمة أنّ المؤمن إذا أدرك أخاه المؤمن المكروب في ساعة حاجته فساعده وأغاثه وقضى حاجته، أعطاه الله عز وجل بذلك اثنتين وسبعين رحمة، وليس حسنة ـ فرحمة الله واسعة لا حدود لها، وكل ما في الوجود هو مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل ـ يُعجّل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته في

٤٨٨. بحار الأنوار ٧١: ٣١١، ح٦٩.
٤٨٩. الكافي ٢: ١٩٩، ح١.

الدنيا، ويدخر له إحدى وسبعين ليتحفه بها في الآخرة. هذا كله لمن نفّس عن مؤمن كربة واحدة، فكيف إذا تكرر منه هذا الفعل مرات ومرات، فمعنى ذلك أنه سيعيش في بحبوحة يغبطه عليها الآخرون، فما أيسر العمل وأعظم النتيجة لمن أراد خير الدنيا والآخرة.

وفي رواية أُخرى في كتاب الكافي أيضًا عن ذريح المحاربي قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: أيّما مؤمن نفّس عن مؤمن كربة وهو معسر، يسّر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة. قال: ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة. قال: والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه، فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير»[٤٩٠].

يبيّن الإمام الصادق في هذه الرواية نتيجة عمل الخير في ثلاث حالات:

الحالة الأُولى: جزاء مساعدة مؤمن فقير يعاني من تعسّر أُموره المعيشية، هو أن ييسر الله تعالى له حوائجه في الدنيا والآخرة، فلا يدع له حاجة إلاّ قضاها له من غير أن يسأله.

الحالة الثانية: جزاء ستر وكتمان عورة مؤمن يخاف ظهورها وفضيحتها، هو أن يستر الله تعالى عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة، فلا يفتضح أمره لا في الدنيا ولا في الآخرة وتكون نسيًا منسيًا.

الحالة الثالثة: جزاء عون الأخ المؤمن، هو أن يكون الله تعالى بنفسه عونًا له، ومن كان الله عز وجل معينًا له كان موفقًا في جميع شؤون حياته، واستغنى عن طلب العون من الآخرين.

ثم يطلب الإمام الصادق من المؤمنين الانتفاع بهذه المواعظ وأن يعملوا بها، وأن يرغبوا في عمل الخير إلى الناس، ولا يزهدوا في مساعدة قليلة، فإنّ نتائجها جليلة خطيرة.

الأثر الرابع: إزالة القلق والكربات يوم القيامة، وقد مرّ آنفًا أنّ من ينفّس كربة مؤمن في الدنيا فإنّ الله تعالى ينفّس عنه كربات الآخرة، كما مر في العديد من الروايات التي تلوناها.

ووردت في هذا السياق أيضًا في كتاب الكافي هذه الرواية المؤثرة، فقد روى محمد

٤٩٠. الكافي ٢: ٢٠٠، ح٥.

بن جمهور قال: «كان النجاشي ـ وهو رجل من الدهاقين ـ عاملًا على الأهواز وفارس، فقال بعض أهل عمله لأبي عبد الله: إنّ في ديوان النجاشي عليّ خراجًا، وهو مؤمن يدين بطاعتك، فإن رأيت أن تكتب لي إليه كتابًا. فكتب إليه أبو عبد الله: بسم الله الرحمن الرحيم سُرّ أخاك يسرّك الله. قال: فلما ورد الكتاب عليه دخل عليه وهو في مجلسه، فلما خرج الناس وبقي وحده ناوله الكتاب وقال: هذا كتاب أبي عبد الله. قال: الإمام الصادق كتب لي؟ قال: نعم، فقبّله ووضعه على عينيه، وقال له: ما حاجتك؟ قال: خراج عليّ في ديوانك. فقال له: وكم هو؟ قال: عشرة آلاف درهم. فدعا كاتبه وأمره بأدائها عنه، ثم أخرجه منها، وأمر أن يثبتها له لقابل، ثم قال له: سررتك؟ فقال: نعم جعلت فداك. ثم أمر له بمركب وجارية وغلام وأمر له بتخت ثياب، في كل ذلك يقول له: هل سررتك؟ فيقول: نعم جعلت فداك، فكلما قال نعم زاده حتى فرغ، ثم قال له: احمل فرش هذا البيت الذي كنت جالسًا فيه حين دفعت إليّ كتاب مولاي الذي ناولتني فيه وارفع إليّ حوائجك. قال: ففعل، وخرج الرجل فصار إلى أبي عبد الله بعد ذلك، فحدثه الرجل بالحديث على جهته، فجعل يسرّ بما فعل، فقال الرجل: يا ابن رسول الله كأنه قد سرّك ما فعل بي؟ فقال: إي والله لقد سرّ الله ورسوله»[٤٩١].

الدهقان: معرّب يُطلق على رئيس القرية، وعلى التاجر، وعلى من له مال وعقار. يقص محمد بن جمهور الراوي لهذه الحادثة ما دار بين النجاشي ـ الوالي من قبل الدولة العباسية على مقاطعتي الأهواز وفارس، وكان من الموالين لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ وبين أحد الشيعة الذي كان يعيش في ظل سلطته في إحدى هاتين المدينتين، وكان صاحب أرض زراعية وعليه أن يدفع للوالي ضرائب قد أثقلت كاهله ولا يستطيع دفعها، وإن لم يفعل فإنّ الأرض ستؤخذ منه فيقع في فقر أشد، فلجأ إلى الإمام الصادق يشفّعه عند النجاشي ـ وكان على علم بأنه من الموالين له ـ بأن يمحو عنه هذه الديون التي في ذمته للدولة العباسية، فكتب إليه الإمام الصادق بعد البسملة جملة مختصرة وهي: «سرّ أخاك يسرّك الله»، أي أفرح أخاك يفرحك الله. وفي هذا الكتاب دروس وعبر، منها أنّ الإمام الصادق لم يفصح فيه عن اسم المرسِل والمرسَل إليه ولا عن حاجة صاحب الكتاب في إسقاط ما بذمته من ديون للدولة، لئلا يقع الكتاب بأيديهم فيسبب مشكلة كبيرة للوالي ولحامل الكتاب، وكان يعلم ما للنجاشي من فطنة يفهم بها ما يرمي إليه الإمام، وكأنه كان يعرف خط الإمام فلم يشكك به بل قبّله ووضعه على عينيه وعمل بما فيه، وسرّ أخاه سرورًا عظيمًا بحيث أعطاه أكثر مما يتوقع أضعافًا مضاعفة وأكرمه إكرامًا

٤٩١. الكافي ٢: ١٩٠، ح٩.

كبيرًا، ويحدثنا الراوي أنّ عمله هذا في قضاء حاجة أخيه المؤمن قد سرّ الإمام الصادق ، بل سرّ الله تبارك وتعالى في عرشه، ورسوله الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وكذا ينبغي أن يكون المؤمن لأخيه المؤمن.

إلى هنا نكون قد انتهينا من المحور الخامس من حديثنا عن الأخوّة الإيمانية، وهو الآثار المترتبة على هذه الأخوّة، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية التاسعة عشرة
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

ما زلنا في الأخوّة الإيمانية، وقد انتهينا في اللقاء السابق من المحور الخامس، وهو الآثار المترتبة على هذه الأخوّة، ننتقل اليوم إلى المحور السادس، وهو الوسائل والطرق لتحقيق الأخوّة الإيمانية.

الوسائل والطرق لتحقيق الأُخوّة الإيمانية

تبين من خلال الأبحاث السابقة أنّ بناء العلاقة الإيمانية ورعاية حقوق الإخوان من أصعب الأُمور، ولكن الله (سبحانه وتعالى) يُعين الإنسان على هذا الأمر، كما مرّ علينا في حديث طويل عن الإمام الصادق يقول فيه: «وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا وما أوجب الله من حقوقنا، فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن»[٤٩٢]. إذن الوفاء بهذه العلاقة وأداء حقوق المؤمنين أمر في غاية الصعوبة، ولكن هذا لا يمنع من أن يبذل الإنسان جهده ويسعى إلى أن يبني هذه العلاقة الإيمانية بشكل أوسع، وأن يفي بالحقوق بين الإخوان التي أشرنا إليها بالتفصيل، ومن أجل ذلك هناك العديد من الوسائل والطرق لبناء هذه العلاقة وتعميقها وترسيخها، والوفاء بالحقوق بين الإخوان التي استعرضناها بالتفصيل في لقاءاتنا السابقة، وهذه الوسائل على صنفين؛ فهناك وسائل علمية، وهناك وسائل عملية.

---

٤٩٢. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٦، ح١٨.

أولًا : الوسائل العلمية

أما الوسائل العلمية التي من خلالها نعزز الأُخوّة الإيمانية ونلتزم ونفي بالحقوق بين الإخوان فهي :

الوسيلة الأولى: العلم والمعرفة

إن العلم والمعرفة هما المقدمة الأساسية لأي عمل إرادي، فأي عمل إرادي مهما كان بسيطًا، كما لو أراد أحد أن يشرب ماء، فقبل أن يمد يده ويشرب الماء يجب أن تكون عنده معرفة وعلم ووضوح بأنّ شرب الماء مفيد له نتيجة العطش الذي عنده، فيشعر بالرغبة والحاجة، فالحاجة هي معرفة يعرف بها ويستشعرها ويدركها، فإذا أدرك هذه الحاجة تولدت عنده رغبة وشوق نحو شرب الماء، وهذه الرغبة تولد إرادة، فتنبثق عنده إرادة لشرب الماء فيشرب. ومثال آخر: شخص نائم مرتاح ولكنه يستيقظ على أذان الصبح فيستذكر أهمية الصلاة، وهذه معرفة، فتتولد عنده رغبة، وهذه الرغبة تعطيه اندفاعًا وتولد عنده إرادة، فينهض من الفراش ويذهب لأداء الصلاة. ومثال ثالث: إنسان عطشان وجوعان في شهر رمضان، ولكنه يستذكر أهمية الصيام والطاعة لله (سبحانه وتعالى)، وهو ما يتطلب الامتناع عن الشراب والطعام، وهذه معرفة أنّ الطعام والشراب وهو صائم أمر لا يجوز، وأنّ الوفاء بحق الله تعالى وطاعته يوجب ألا يأكل ولا يشرب بالرغم من عطشه وجوعه، وهذه المعرفة تولد عنده انزجارًا عن الطعام والشراب في الصيام، وهذا الانزجار يولد إرادة بترك الطعام والشراب.

إذن فكل فعل سواء كان فعل شيء أو ترك شيء، إنما أساسه يبدأ من المعرفة والعلم بوجود مصلحة ومنفعة أو بوجود مضرة للإنسان في أن يفعل كذا أو أن يترك كذا، وهذه المعرفة وهذا العلم شرط أساسي لكل فعل إرادي، ويمكن أن يكون أساسًا في ما نحن فيه، يعني حينما يعلم الإنسان بحقوق الإخوان وأهمية العلاقة الإيمانية والدور الكبير الذي تفي به هذه العلاقة، والذي شرحناه بالتفصيل، مما نحصل عليه من خلال هذه الأُخوّة في الدنيا والآخرة، حينما نعرف ذلك ونستحضره ونلتفت إليه يتولد عندنا شوق واندفاع إلى بناء هذه العلاقة، وهذا الشوق يوجد لدينا إرادة، وهذه الإرادة تساعدنا في بناء العلاقة الإيمانية والتغلب على الصعاب.

إذن فالعلم والمعرفة أمر مهم، وهو الذي يساعد الإنسان على اكتشاف أهمية هذا الحق، ثم الشوق إليه والرغبة فيه، وانبثاق الإرادة لتحقيقه فيحصل العمل، ويبني هذه

العلاقة ويتحمل صعوباتها، هذه المعرفة بشأن الحقوق الإيمانية وأصل العلاقة بين المؤمنين يمكن أن تتنوع في اتجاهات عديدة؛ منها المعرفة بحقوق المؤمنين وآداب هذه العلاقة، واستحضار هذه الحقوق الثلاثين ـ ونِعمَ ما صنع الإخوة حينما وضعوها على جدار لكي نقرأها دائمًا ونستذكرها ـ واستذكارها ومراجعتها بشكل مستمر، كي نعرف ما هو حق المؤمن على أخيه المؤمن، وهذه الحقوق الثلاثون وآداب العلاقة بين المؤمنين بحد ذاتها تساعد إلى حد كبير على إنجاز ما هو مطلوب في بناء هذه العلاقة، ولذلك نجد في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كثيرًا من الأسئلة التي توجه من أتباع أهل البيت إلى الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يسألون فيها عن هذه الحقوق، ففي مئات الروايات نجد أن السائل من أصحاب الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يسألهم عن حق الإخوان، وما هو حق الأخ في هذه القضية، وكان رسولنا الكريم والأئمة الأطهار(سلام الله عليهم) يجيبونهم بحسب ظروف الزمان والمكان والسائل ومستواه الثقافي والمعرفي، ولذلك وجدنا أجوبة فيها إيجاز وأجوبة فيها تفصيل، وأسئلة تركز على جوانب وأسئلة تركز على جوانب أخرى، وأجوبة تنظر إلى القضية بشمولية أوسع كرواية أمير المؤمنين التي يستعرض فيها الحقوق الثلاثين بأكملها.

هذا إذن مدخل؛ فكلما عرفنا الحقوق استعرضناها، وكلما تعرفنا على آداب هذه العلاقة اندفعنا لبناء العلاقة بشكل صحيح وسليم.

الوسيلة الثانية: المعرفة بآثار هذه العلاقة

ما فائدة مصافحة المؤمن؟ وما فائدة نصرة المؤمن؟ وما فائدة السلام على المؤمن؟ هذا الذي بحثناه في الأيام الأخيرة الماضية؛ أي آثار الحقوق في الدنيا وآثارها في الآخرة، فقد استعرضنا الآثار الدنيوية والأُخروية لكل حق من الحقوق، ونحن حين نستعرضها نعرف أنّ القيام بهذه العلاقة فيه هذه الفوائد، وسنحصل على كذا في الدنيا، ونحصل على كذا في الآخرة، وهذا من شأنه أن يدفع الإنسان لبناء هذه العلاقة. وسنعرف أيضًا الآثار الناجمة من عدم مراعاة هذه الحقوق، كمن أذل مؤمنًا أو أهانه أو خذله، أنه سيحدث له كذا في الدنيا وسيحصل له كذا في الآخرة، فهذه الآثار حين نستحضرها تمنعنا من التنصل ومن عدم الالتزام، فالمعرفة بآثار الحقوق وثوابتها وتوابعها في الدنيا والآخرة تدفع الإنسان أيضًا إلى الالتزام بهذه الحقوق.

الوسيلة الثالثة: الالتفات إلى عظمة مكانة المؤمن عند الله سبحانه

هنا لا يتعلق الأمر بجلب منفعة ودفع ضرر كما هو في الأمر الأول؛ حين نلتفت إلى حقوق الإخوان ونستحضرها فيتولد عندنا اندفاع ونرى أنّ لدينا مصلحة في هذا الأمر، وليس كما في الأمر الثاني؛ حين نرى وندرس الآثار المترتبة على مراعاة حقوق الإخوان أو عدم مراعاتها من جنة أو نار، خوفًا أو طمعًا، فنندفع لبناء هذه العلاقة، بل الاندفاع في الأمر الثالث يكون تقديرًا لأهمية المؤمن ومكانته. ومثال العلاقة المبنية على أساس المصلحة: أن تكون عندنا قضية ما أو حاجة ما عند إنسان معيّن، فنسلم عليه كي يرانا ويذكرنا عندما نذهب إليه، أو إذا كان عنده مجلس فاتحة نذهب إليها لأنه مدير عام ونحن بحاجة إليه، مع أننا لا نذهب إلى كثير من مجالس الفواتح، ونريه أنفسنا ونصافحه جيدًا لكي يتذكرنا حينما نذهب إليه في الدائرة في اليوم الثاني فيسهل لنا قضيتنا، إذن يبني أحدنا أحيانًا علاقة مع أُناس معينين لأجل مصلحة، وأحيانًا لدفع ضرر؛ فنسلم بحرارة على الشخص الشرير كي لا يأخذ عنا انطباعا سلبيا ويرسل لنا في اليوم التالي من يؤذينا، ومرة نبني هذه العلاقة مع شخص لا على أساس مصلحة ولا على أساس خوف أو ضرر منه، كما لو كنت في حرم أحد المعصومين فرأيت العالم الفلاني فذهبت لتسلم عليه، مع أنك ليست لديك مصلحة معه ولا تخشى منه ضررًا، بل لأنه عالم وفاضل وشخصية دينية، وكما لو رأيت لاعب كرة معروفًا فذهبت لتلتقط معه صورة لأنه نجم رياضي، لا خوفًا منه ولا طمعًا فيه، بل لشهرته وذياع صيته.

إننا نبني أحيانًا علاقة إيمانية لجلب المنفعة والحصول على آثارها في الدنيا والآخرة، وتارة نبني هذه العلاقة لدفع الضرر كالخوف من النار والإصابة بسوء في الدنيا، كما لو خذلنا مؤمنا وتقاعسنا عن نصرته، وتارة نبني هذه العلاقة لا لمصلحة ولا لطمع ولا لخوف، وإنما لمكانة المؤمن وتقديره وعظم منزلته عند الله (عز وجل)، فقد وردت أحاديث مهمة حول الموضوع، نقتصر على ما روي عن الإمام الباقر (سلام الله عليه) أنه استقبل الكعبة وقال: «الحمد لله الذي كرمك وشرفك وعظمك وجعلك مثابة للناس وأمنًا، والله لحرمة المؤمن أعظم منك»[٤٩٣]. يبيّن الإمام الباقر مفهومًا غائبًا عن أذهان كثير من المسلمين الذين يتصورون أن حرمة الكعبة أشد من حرمة المؤمن، ويعيد رسم الصورة الصحيحة من داخل المسجد الحرام وقد استقبل الكعبة أمام جمع من المسلمين، ثم نطق بهذه الكلمات

٤٩٣. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٣.

التي تبيّن أنّ حرمة المؤمن أشد وأعظم من حرمة الكعبة عند الله (عز وجل)، ويقسم على ذلك، ولهذا تجب مراعاة حرمة المؤمن أكثر من مراعاة حرمة الكعبة.

وورد في كتاب الكافي الشريف ـ الذي يحتوي على مجموعة من الروايات التي تشير إلى مكانة المؤمن وعظمة هذه المكانة عند الله (سبحانه وتعالى)، نتبرك بقراءة بعض هذه الروايات ـ عن هشام بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) يقول: قال الله عز وجل: فليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن، ولو لم يكن في خلقي في الأرض في ما بين المشرق والمغرب إلاّ مؤمن واحد مع إمام عادل لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي، ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما، ولجعلت لهما من إيمانهما أُنسًا لا يحتاجان إلى أُنس سواهما»[٤٩٤].

يروي الإمام الصادق هذا الحديث القدسي المبارك الذي يوضح ثلاثة أُمور تتعلق بمنزلة العبد المؤمن عند الله تبارك وتعالى:

الأول: الدفاع عن المؤمن، فقد تكفل الله (عز وجل) بالدفاع عن المؤمن والانتقام ممن يؤذيه فقال: « فليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن»، أي فليستعد من آذى مؤمنًا لإعلان الحرب عليه من الله (سبحانه وتعالى)، والـذي يحارب الله مغلوب لا محالة، فالإنسان الذي تؤذيه بعوضة ولا يستطيع لها دفعًا، وتقتله الشرقة وتخنقه العبرة، كيف يستطيع مواجهة جبار السماوات والأرض؟ لا شكَّ في أنّ الله (عز وجل) سيدمره تدميرًا.

الثاني: الأمان من غضب الله تبارك وتعالى لمن أكرم المؤمن، فقال عز من قائل: «وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»، فإكرام المؤمن وتقديره والإحسان إليه تؤدي إلى الأمان من غضب الله (سبحانه وتعالى)، فعند نزول الغضب الإلهي الذي لا ينفك نازلًا على أهل القرى والمدن الظالمة، سينجو منه المؤمن ومن يكرمه، وسيلقى الباقون مصيرهم المحتوم ليخسروا الدنيا والآخرة.

الثالث: استغناء الله تبارك وتعالى بمؤمن واحد مع الإمام العادل الحجة على أهل الأرض عن سائر الخلق، فإنّ فلسفة خلق الله تعالى للإنسان هي من أجل عبادته (سبحانه وتعالى)، أي طاعته في ما أمر ونهى، كما بيّن ذلك بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

٤٩٤. الكافي ٢: ٣٥٠، ح١.

وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٤٩٥]، ويخبرنا هذا الحديث القدسي المبارك أنّ هذه الغاية تتحقق بوجود مؤمن واحد فقط مع الإمام المعصوم الحجة على أهل الأرض، ينقاد له ويسمع ويطيع، فإذا فُقد مثل هذا الإنسان المؤمن انتفت الحكمة من وجود الخلق، وهذا الأمر يوضح عظيم منزلة المؤمن وكرامته على الله تبارك وتعالى. وهذا يعني أيضًا أنّ المؤمن لا يمكن أن يستغني عن الإمام الحجة العادل، وأن الأرض والسماوات لا تقوم بوجود المؤمنين من غير هذا الإمام العادل، وقد جاء هذا المعنى في روايات عديدة، منها قول الإمام الرضا : «لو خلت الأرض طرفة عين من الحجة لساخت بأهلها»[٤٩٦]. ويبّين هذا الحديث القدسي المبارك أيضًا أنّ الله تعالى يجعل لهذا المؤمن والإمام العادل من إيمانهما أنسًا لا يحتاجان معه إلى أنس سواهما، ويستغنيان عن جميع الناس، فلا يشعران بالغربة والوحشة، ولا شكَّ في أنّ هذا الأُنس الذي يتحف به الله تبارك وتعالى عبده المؤمن يفصح عن عظمة منزلة المؤمن عنده (سبحانه وتعالى) .

وورد في رواية أُخرى عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله : «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم»[٤٩٧].

يستعرض الإمام الصادق في هذه الرواية الشريفة مشهدًا من مشاهد يوم القيامة؛ حينما ينادي ربّ العزة والجلالة بنفسه: أين الصادّون لأوليائي؟ أي من صدّ وعادى المؤمنين وأعرض عنهم؟ وكان الله (سبحانه وتعالى) قد وسمهم بعلامة يعرفهم من خلالها كل أحد، فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، ونحن نرى قريبًا لهذه الوجوه الصورة في الأشعة كيف يكون شكلها مخيفًا، فاللحم هو الذي يستر وجوه الآدميين ويجعلها حسنة المنظر، ولولا هذا اللحم لكانت أشكالنا مخيفة، فإذا قام هؤلاء من صفوف الخلق، ينادي منادٍ من الملائكة: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم، فيأمر الله (سبحانه وتعالى) بهم إلى النار وبئس المصير.

وعن أبي عبد الله قال: « قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قال الله تعالى: « من أهان لي وليًا فقد أرصد لمحاربتي»[٤٩٨].

---

٤٩٥. سورة الذاريات: الآية ٥٦.
٤٩٦. بصائر الدرجات: ٥٠٩، ح٨.
٤٩٧. الكافي ٢: ٣٥١، ح٢.
٤٩٨. الكافي ٢: ٥١، ح٣.

هذا حديث قدسي يرويه الإمام الصادق عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن الله تبارك وتعالى. ويبيّن هذا الحديث القدسي أنّ إهانة المؤمن وإذلاله بمنزلة الإرصاد لمحاربة الله (عز وجل)، فليحذر أولئك الذين يستضعفون المؤمنين، وليعلموا أنهم إنما يحاربون الله العزيز الجبار القهار المنتقم، وأنهم لا محيص يعرضون أنفسهم لأقصى درجات الخطر والعقوبة في الدنيا والآخرة، وأنهم لا سبيل لهم للنيل من المؤمن إلا قتله وفي ذلك عزة له في الدنيا والآخرة، ولكنهم في مقابل ذلك سيكونون هم الأذلاء في الدنيا والآخرة.

وفي رواية أُخرى عن الإمام الصادق أيضًا قال: «من حقّر مؤمنًا مسكينًا أو غير مسكين لم يزل الله (عز وجل (حاقرًا له ماقتًا حتى يرجع عن محقرته إياه»[٤٩٩].

يبيّن الإمام الصادق في هذه الرواية الشريفة عقوبة إذلال المؤمن، سواء كان مسكينًا أو لم يكن مسكينًا، وهي أولًا: الاحتقار الدائم له من الله (سبحانه وتعالى) ما لم يرجع ويتُب إلى ربه، وثانيًا: البغض الدائم له من الله (سبحانه وتعالى) ما لم يرجع ويتُب.

وفي رواية أُخرى عن أبي جعفر قال: «لمّا أُسري بالنبي قال: يا ربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن وفاة المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلاّ الغنى وإن صرفته إلى غير ذلك لهلك، وما يتقرب إليّ عبد من عبادي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت إذًا سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»[٥٠٠].

ينقل لنا الإمام الباقر مقطعًا من الكلام الذي دار بين الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ليلة أُسري به، فقد سأله عن حال المؤمن عنده؟ فأجاب (عز وجل) رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالحقائق التالية:

أولًا: أنّ من أهان وأذل وليًا من أولياء الله عز وجل فقد أعلن الحرب على الله، وحينها سيتدخل بسرعة لنصرته، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [٥٠١] كما في الآية الشريفة.

---

٤٩٩. الكافي ٢: ٣٥١، ح٤.
٥٠٠. الكافي ٢: ٣٥٢، ح٨.
٥٠١. سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

ثانيًا: أنّ الله تعالى لا يتردد في شيء يفعله إلاّ في قبض روح المؤمن الذي يكره الموت، ويكره الله تعالى الإساءة إليه، فيبتليه الله سبحانه عندها ببعض الابتلاءات كشدة المرض فيتمنى عندها الموت فتقبض روحه.

ثالثًا: أنّ من عباد الله المؤمنين من لا يُصلح دينه إلاّ الغنى، ولو ابتلاه بالفقر لكفر وهلك، وأنّ منهم من لا يصلح دينه إلاّ الفقر، فإن أغناه لكفر وهلك، فالبعض يحافظ على إيمانه بالغنى، والبعض الآخر يحافظ على إيمانه بالفقر، فالله (سبحانه وتعالى) بفضله يتعامل مع كل بحسب ما يصلح أمر آخرته، فيعطي هذا الغنى ويبتلي هذا بالفقر، حرصًا وشفقة عليهمًا ليحافظا على إيمانهما.

رابعًا: أنّ أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى هو أداء الواجبات وترك المحرمات، وأما من يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل والمستحبات، كمن يصلي النوافل اليومية، ويصوم الأيام البيض من كل شهر، ويصوم أيضًا شهري رجب وشعبان، ويستمر على ذلك، فإنه يحظى بمحبة الله (عزّ وجلّ)، فإن أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعا الله استجاب له، وإن سأله أعطاه، أي أنه سيسمع ويبصر وينطق بنور الله ويبطش بقوة الله، كما حظي أمير المؤمنين بهذه الدرجة بشهادة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٥٠٢]. هكذا يكون حال المؤمن عند الله تعالى.

وفي رواية أخيرة عن أبي عبد الله قال: «من استذل مؤمنًا واستحقره لقلة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»[٥٠٣]، إنّ ما يشير إليه الإمام الصادق في هذه الرواية ما زال موجودًا عند بعضنا مع الأسف، وهو مشهد يتكرر أمامنا في مناسبات كثيرة؛ إذ يقدر الناس أصحاب الأموال لأموالهم، ولا يُقدر المؤمن لإيمانه بسبب فقره، بل يتعدى الأمر هذه الحدود في بعض الأحيان حينما يُهان المؤمن ويذل لفقره. ويبيّن الإمام الصادق في هذه الرواية الكريمة عقوبة من يسيء إلى المؤمن ويذله ولا يوقره بسبب فقره، بأنّ الله (سبحانه وتعالى) يشهره يوم القيامة ويخزيه ويفضحه أمام الخلائق كلها وينتصر لهذا العبد المؤمن، فاحذروا أحبتي من أن تتعرضوا لشخص ما بالإهانة، لعله وليٌّ من أولياء الله، فقد أخفى الله (سبحانه وتعالى) أولياءه بين عباده، فكيف تتسنى لنا معرفتهم؟ ولهذا ينبغي لنا أن نكون حذرين في التعامل مع عباد الله.

---

٥٠٢. سورة المائدة: الآية ٥٤.

٥٠٣. الكافي ٢: ٣٥٣، ح٩.

إذن فالالتفات إلى مكانة المؤمن يجعل الإنسان يندفع لبناء العلاقة مع المؤمنين، وهذه المعرفة هي الوسيلة الأهم من الوسائل العلمية لبناء العلاقة والحفاظ على الحقوق الإيمانية.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية العشرون
بتأريخ ٢٠١٥/٧/١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا عن المحور السادس من محاور موضوع الأخوّة الإيمانية، وهو الوسائل والطرق لبناء الأخوّة الإيمانية، وقلنا إنّ هناك العديد من الوسائل والطرق لبناء هذه العلاقة وتعميقها وترسيخها، والوفاء بالحقوق بين الإخوان التي استعرضناها بالتفصيل في لقاءاتنا السابقة، وهذه الوسائل على صنفين؛ فهناك وسائل علمية، وهناك وسائل عملية، ذكرنا ثلاثا من الوسائل العلمية.

الوسيلة الرابعة: التذكير

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٠٤]، فقد يغفل الإنسان بسبب الشهوات والميول والنزوات والانشغالات، ولكن حينما يرجع ويتذكر ماذا يعني المؤمن وما هي حقوق الإيمان، وهو في خضم هذه الحياة المادية، حيث التجاذبات المختلفة، فهذا التذكير يجعل الإنسان يندفع لبناء العلاقة الإيمانية وأداء الحقوق بشكل صحيح، فتذكير الإنسان لنفسه إذا كان مقصرًا ليرجع ويعاتب نفسه ويصوّب مسيرته وموقفه في تأدية الحقوق، هو أمر مهم ويجب أن يحصل هذا الاستذكار، وبالطبع فإنّ هذا الاستذكار تساعد عليه السنخية بين المؤمنين، فالطيور على أشكالها تقع، وقرأنا عددًا من الروايات في هذا الأمر، وقد مر في بعض الروايات أنّ المؤمن يدخل إلى مسجد

٥٠٤. سورة الذاريات: الآية ٥٥.

فيه مئات الناس فلا يرتاح بين كل هؤلاء إلاّ إلى المؤمن، إذ ينظر إلى الوجوه فيرتاح إلى واحد منهم فيذهب ويجلس معه، فهناك سنخية بين المؤمن والمؤمن وانجذاب روحي، ولذلك فهذه السنخية تساعد على الاستذكار بشكل مستمر، ولذلك نجد أن أهل البيت (سلام الله عليهم) قبل استعراض الحقوق بين الإخوان يذكّرون غالبًا في الروايات ـ كما مر ـ بأصل الأُخوّة وأهميتها، لكي يوجدوا عنصر التذكير الذي يدفع الإنسان إلى بناء العلاقة الإيمانية، كما ورد في بحار الأنوار عن الإمام الصادق قال: «المؤمن أخو المؤمن هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه»[٥٠٥]، ثم يبدأ ببيان الحقوق، فإن الكلمات: عينه، دليله، مرآته، تذكرنا من هو المؤمن؛ لأنّ هذا التذكير يساعد على بناء العلاقة الرصينة.

الوسيلة الخامسة: المقارنة

لقد تكلمنا عنها في بحث الإنصاف، وقلنا لو وضعنا أنفسنا في مكان الطرف الآخر، فهل نقبل أن يهيننا أحد؟ طبعًا لا نقبل، إذن يجب علينا ألاّ نهين أحدًا من الناس. ونسأل أنفسنا أيضًا: هل نقبل أن يخذلنا أحد؟ طبعًا لا نقبل، إذن يجب علينا ألاّ نخذل الناس. وكذا لو سألنا أنفسنا: هل نقبل أن يتكبر علينا أحد ولا يسلّم علينا؟ طبعًا لا نقبل، إذن علينا أن نسلّم على الناس. وهل نقبل أن نسلّم على شخص فلا يردّ علينا السلام؟ طبعًا لا نقبل، إذن يجب علينا ردّ السلام. هل يقبل شخص وهو في محنة وأزمة ألاّ يقف معه أحد؟ فعلينا إذن مساعدة الناس. . وهكذا تكون المقارنة بين ما نريده لأنفسنا وما نريده للآخرين، فنضع أنفسنا في مكانهم ونقول: لو كنت أنا في هذا الظرف، فماذا أريد من الناس؟ وما الذي أطلبه وأتوقعه منهم؟ إذن لأفعله أنا لهم. وهذه المقارنة تجعل الإنسان وفيًا لحقوق الإخوان؛ لأنّ كل إنسان يريد أن يعامله الآخرون على أساس هذه الحقوق.

كانت هذه أهم الوسائل العلمية.

ثانيًا: الوسائل العملية

أما الوسائل العملية في بناء الأُخوّة الإيمانية فهي:

٥٠٥. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٧، ح٣٨.

الوسيلة الأُولى: المشارطة والمراقبة والمحاسبة والمعاتبة

وهي الخطوات الأربع التي يذكرها علماء الأخلاق لتهذيب الأخلاق وتزكية النفس، ونبينها في ما يلي:

أولًا: المشارطة

فمن أراد أن يستقيم فعليه أولًا استعمال أسلوب المشارطة، أي أن نشخص أين هي نقطة الضعف عندنا؛ فهل أنا عصبي أُستفز بسرعة؟ هل أنا حينما أتكلم مع الآخر أكسره؟ إذن هناك خلل في صفة «إكرام المؤمن» عندي. هل أنا لا ألتفت للتفاصيل ولست معتادًا على السلام؟ إذن عندي مشكلة في إلقاء التحية على المؤمن. وبعد تشخيص نقاط الضعف يجب علينا الاهتمام بها والتركيز عليها، فنقول: إذا رأينا مؤمنًا فعلينا أن نسلّم عليه، فنركز أولًا على المؤمنين، وأيّ واحد نراه منهم نسلّم عليه، أما إذا كانت طريقتنا سابقًا هي إلقاء التحية فقط، فعلينا اليوم أن نمسك بأيديهم ونصافحهم، وهكذا نفعل مع الحقوق الأخرى، فأي حق لدينا مشكلة فيه نركز عليه ونضع مشارطة؛ فإذا رأينا مؤمنًا ولم نصافحه وغفلنا عن ذلك، نشرط على أنفسنا أن نصلي على محمد وآل محمد مائة مرة، وبذلك نلزم أنفسنا بالمصافحة. وكذا إذا سيطر علينا الغضب (العصبية)، أو كسرنا مؤمنًا، فعلينا أن نصوم يومًا مستحبًا قربة إلى الله تعالى، وهذه تسمى مشارطة. وهكذا نتصرف في سبيل القضاء على نقاط الضعف؛ إذ نشخص أولًا النقاط أو الحدود التي لسنا ملتزمين بها، ثم نلزم أنفسنا بشيء من المال نتصدق به إن نحن لم نفعل ما ينبغي علينا فعله.

فالخطوة الأُولى إذن هي المشارطة، فنضع هذه الحقوق أمامنا ونشخص نقطة الضعف التي لا يخلو منها أي واحد منا، وأيّ حق من حقوق الأُخوّة لا نستطيع أن ننفذه، ثم نلزم أنفسنا بأننا إذا لم نلتزم بها فعلينا كذا وكذا.

ثانيًا: المراقبة

وهي أن نبقى منتبهين لأنفسنا؛ هل انفعلنا؟ هل كسرنا مؤمنًا؟ هل خذلناه أو لم نلتفت إليه؟ وهكذا نراقب أنفسنا في كل حق من الحقوق.

ثالثًا : المحاسبة

وهي أن نجلس آخر الليل كالكاسب حين يراجع حساباته آخر الليل ليرى كم الربح والخسارة، فنقول لأنفسنا: يا فلان ماذا فعلت حين ذهبت للمكان الفلاني؟ وكيف تصرفت حين زارك أخوك؟ وهكذا نحاسب أنفسنا على كل قول أو فعل أتينا به.

رابعًا: المعاتبة

إذا كنا مقصرين في شيء فعلينا أن نعاتب أنفسنا ونفي بالالتزامات التي اشترطناها على أنفسنا، فنصوم إذا اشترطنا على أنفسنا الصيام، ونتصدق إذا اشترطنا الصدقة. . إلى آخره، وهكذا نلزم أنفسنا.

إذا التزمنا بهذه الوسائل العملية ـ المشارطة والمراقبة والمحاسبة والمعاتبة ـ بخصوص حقوق الإخوان، فسوف تصبح لدينا ملكة فيها خلال فترة وجيزة، أي أنّ أداء هذه الحقوق سيكون بشكل طبيعي تلقائي بلا تكلف، فلا نرفع أصواتنا على مؤمن، ونبتسم بوجوه المؤمنين، ونصافحهم، وننا صرهم، وندعمهم بحل مشاكلهم جهد الإمكان، ونعود مريضهم، ونشيع ميتهم، إلى غير ذلك من الحقوق الثلاثين التي ذكرناها، فهذا هو الأسلوب العملي لتقوية العلاقات الإيمانية.

الوسيلة الثانية: إلزام النفس برعاية هذه الحقوق

وهي تدخل ضمن المراقبة التي تكلمنا عنها، ولكن نفصّل القول فيها لأهميتها.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة في بحار الأنوار: عن أبي عبد الله قال: «قال أمير المؤمنين في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: ألزم نفسك التودد، وصبّر على مؤونات الناس نفسك، وابذل لصديقك نفسك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك ومحبتك، ولعدوك عدلك وإنصافك واضنن بدينك وعرضك»[٥٠٦].

يوصي أمير المؤمنين ابنه محمدًا بقواعد السلوك العام، وهي:

أولًا: التودد إلى الناس وإلزام النفس بذلك، لأنّ «المؤمن هش بش»[٥٠٧] كما ورد في الحديث الشريف. فمهما كان الأمر يجب أن تبقى الابتسامة على وجوهنا، ونرى اليوم أنّ الابتسامة تسمى دبلوماسية الابتسامة، ولا تتصوروها قضية عادية بسيطة، بل

٥٠٦. بحار الأنوار ٧٠: ٢٩٧، ح٦.
٥٠٧. الكافي ٢: ٢٢٩، ح١.

هي مهمة جدًا، فمن يقبل عليك ابتسم بوجهه، فتكون قد كسرت حواجز كبيرة بهذه الابتسامة والبشاشة والكلمات الرقيقة والأدب والاحترام للآخر فتخجله وتكسر أنفه، فإذا جاءك شخص غاضبًا فاعلم أنّ الابتسامة والكلام اللين كفيلان بتنفيس كل غضبه.

ثانيًا: الصبر على مؤونات الناس، وإلزام النفس بها، فطبائع الناس مختلفة، فبعضهم فيه ثقل، وبعضهم عصبي، وبعضهم لديه طموح زائد. . إلى آخره، فينبغي أن يكون التعامل مع كل واحد منهم بحسب وضعه، فإرضاء الناس غاية لا تدرك، والذي يريد أن يتعامل مع الناس فإنّ في ذلك عبئًا نفسيًا كبيرًا وعليه أن يتحمل.

ثالثًا: بذل النفس والمال للصديق، أي بذل الجهد والمال لمساعدته والاهتمام بشأنه، وذلك بالسعي لقضاء حوائجه وحل مشاكله ومواساته.

رابعًا: بذل الهدية للمعارف والقرب منهم، وربما لا تعلمون كم للهدية من أثر بليغ في تطييب النفوس مهما كانت بسيطة، فمثلًا حين تُهدي صحنًا من الرطب لهؤلاء المعارف، فإن له أثرًا لطيفًا ووقعًا في النفوس، ولا تقولوا إنه قليل ونستحي منه، فليست القيمة هي الملحوظة هنا بل ذكرك لهم، وكذا إهداء قلم أو مسبحة له مداليل مهمة؛ فمعنى ذلك أني ذكرتك، فالهدية مهمة جدًا لما فيها من تكريم وتقريب للقلوب. وكذا ينبغي أن نكون قريبين من معارفنا لأنهم يريدون هذا الحضور المستمر.

خامسًا: بذل البشر والمحبة لعموم الناس، فلا ينبغي أن يكون مقطبًا بوجوه الناس وكارهًا لهم وخشنًا في تعامله معهم، بل ينبغي أن يلاقيهم بالابتسامة والمحبة، حتى يقولوا إن هذا بشوش وودود وتعامله رقيق ولطيف.

سادسًا: بذل العدل والإنصاف للعدو، فحتى العدو لا ينبغي أن يكون هناك إسفاف وتشفٍّ في التعامل معه، بل يجب أن نتعامل معه بالعدل والإنصاف.

سابعًا: الحرص على الدين والعرض والتمسك بهما كي لا يضيعا في زحمة هذه العلاقات الاجتماعية. وعلينا أيها المؤمنون أن نحافظ على زوجاتنا وبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا لأنّ مجتمعنا صار منفتحًا بشكل زائد، فيجب أن نلاحظ حجابهن ووضعهن، فإنّ العيون الدنيئة موجودة، وليست النوايا كلها صحيحة، وهذه مسائل تحتاج إلى العفة والدقة في العلاقات البينية، ويجب ألاّ نقول: إن هذا ابن عمي أو هذا من أقاربنا، فيدخل ويخرج، والرجال والنساء معًا والاختلاط قائم على قدم وساق، وهذا شيء خاطئ، فابن العم والأقارب قدرهم محفوظ، ولكن مكانهم عند دخول الدار في غرفة الضيوف.

الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفهرست

تقديم ٥

الملتقيات الثقافية

الملتقى الثقافي بتأريخ ٤ / ٢/ ٢٠١٥ ..... ٩

الملتقى الثقافي بتأريخ ١١/ ٢/ ٢٠١٥ ..... ٢١

الملتقى الثقافي بتأريخ ١٨/ ٢/ ٢٠١٥ ..... ٣٤

الملتقى الثقافي بتأريخ ١١/ ٣/ ٢٠١٥ ..... ٤٧

الملتقى الثقافي بتأريخ ١٨-٣-٢٠١٥ ..... ٦٠

الملتقى الثقافي بتأريخ ١-٤-٢٠١٥ ..... ٧٢

الملتقى الثقافي بتأريخ ١٥-٤-٢٠١٥ ..... ٨٤

الملتقى الثقافي بتأريخ ٦/ ٥/ ٢٠١٥ ..... ٩٧

الأمسيات الرمضانية

الأمسية الرمضانية الأولى بتأريخ ١٩/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١١١

الأمسية الرمضانية الثانية بتأريخ ٢٠/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٢٠

الأمسية الرمضانية الثالثة بتأريخ ٢١/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٣٤

الأمسية الرمضانية الرابعة بتأريخ ٢٢/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٤٢

الأمسية الرمضانية الخامسة بتأريخ ٢٦/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٥٢
الأمسية الرمضانية السادسة بتأريخ٢٧/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٦٢
الأمسية الرمضانية السابعة بتأريخ٢٨/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٦٩
الأمسية الرمضانية الثامنة بتأريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٧٩
الأمسية الرمضانية التاسعة بتأريخ٣٠/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ١٨٧
الأمسية الرمضانية العاشرة بتأريخ١/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ١٩٦
الأمسية الرمضانية الحادية عشرة بتأريخ٢/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٢٠٤
الأمسية الرمضانية الثالثة عشرة بتأريخ٤/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٢١٦
الأمسية الرمضانية الرابعة عشرة بتأريخ٥/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٢٢٤
الأمسية الرمضانية الخامسة عشرة (٦/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٢٣٤
الأمسية الرمضانية السادسة عشرة بتأريخ١٠/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٢٤٠
الأمسية الرمضانية السابعة عشرة بتأريخ١١/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٢٥١

دواوين بغداد . .
لقاءات السيد عمّار الحكيم مع النخب العشائرية
والسياسية والمهنية والمجتمعية

ديوان بغداد السياسي ٢٦١
ديوان بغداد لقادة وزعماء العشائر ٢٧٢
ديوان بغداد المهني ٢٧٧
ديوان بغداد الإعلامي ٢٩٠
ديوان بغداد السياسي ٣٠٥

ديوان بغداد لشيوخ العشائر ٣٢٣
ديوان بغداد السياسي ٣٣٤
ديوان بغداد للنخب الشبابية ٣٥٠
ديوان بغداد لشيوخ العشائر ٣٦٠
ديوان بغداد السياسي ٣٦٩
ديوان بغداد الإعلامي ٣٨٢
ديوان بغداد للعشائر ٣٩٥
ديوان بغداد الشبابي ٣٩٩
ديوان بغداد السياسي ٤٠٦
ديوان بغداد للعشائ ٤١١
ديوان بغداد المهني ٤١٧
ديوان بغداد السياسي ٤٢٢
ديوان بغداد الإعلامي ٤٢٨
ديوان بغداد السياسي ٤٣٧
ديوان بغداد الإعلامي ٤٤٤

المحاضرات الاخلاقية في
الأُخوّة الإيمانية

المحاضرة الأخلاقية الأولى بتأريخ٢٠/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٤٦١
المحاضرة الأخلاقية الثانية بتأريخ٢١/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٤٧٣
المحاضرة الأخلاقية الثالثة بتأريخ٢٢/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٤٨٣

المحاضرة الأخلاقية الرابعة بتأريخ٢٥/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٤٩٠
المحاضرة الأخلاقية الخامسة بتأريخ٢٧/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٤٩٧
المحاضرة الأخلاقية السادسة بتأريخ٢٨/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٥٠٦
المحاضرة الأخلاقية السابعة بتأريخ٢٩/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٥١٢
المحاضرة الأخلاقية الثامنة بتأريخ٣٠/ ٦/ ٢٠١٥ ..... ٥١٩
المحاضرة الأخلاقية التاسعة بتأريخ١/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٢٦
المحاضرة الأخلاقية العاشرة بتأريخ٢/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٣٠
المحاضرة الأخلاقية الحادية عشرة بتأريخ٥/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٣٦
المحاضرة الأخلاقية الثانية عشرة بتأريخ٦/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٤٦
المحاضرة الأخلاقية الثالثة عشرة بتأريخ٧/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٥١
المحاضرة الأخلاقية الرابعة عشرة بتأريخ٨/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٥٦
المحاضرة الأخلاقية الخامسة عشرة بتأريخ١١/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٦٢
المحاضرة الأخلاقية السادسة عشرة بتأريخ١٢/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٦٧
المحاضرة الأخلاقية السابعة عشرة بتأريخ١٣/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٧٤
المحاضرة الأخلاقية الثامنة عشرة بتأريخ١٤/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٨١
المحاضرة الأخلاقية التاسعة عشرة بتأريخ١٥/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٨٩
المحاضرة الأخلاقية العشرون بتأريخ١٦/ ٧/ ٢٠١٥ ..... ٥٩٨